معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى

18

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

2003 - 1424

المغرب الأقصى

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق ـ الرباط
1984 / 0629

جميع حقوق النقل والترجمة ـ جزئيا أو كلياً بأي شكل كان ـ محفوظة
للجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ولمطابع سلا

ردمك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)
ردمك 2 - 025 - 03 - 9981 (الجزء 18)

بسم الله الرحمن الرحيم

أعد هذا الجزء من معلمة المغرب بدعم من وزارة الثقافة ويسعد الهيئة العلمية للمعلمة أن تتقدم للسيد الوزير بأصدق عبارات الشكر والامتنان.

المدير المشرف : **محمد حجي** رحمه الله

لجنة التحرير : **أحمد التوفيق**، أستاذ التاريخ بكلية الآداب. الرباط
المرحوم **محمد حجي**

لجنة العلوم الإنسانية : **محمد بنشريفة**، أستاذ الأدب العربي والأندلسي بكلية الآداب وعضو أكاديمية المملكة المغربية، الرباط
إبراهيم بوطالب، أستاذ التاريخ بكلية الآداب. الرباط
سالم يفوت، أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، الرباط
مصطفى ناعمي، باحث في التاريخ الاقتصادي بالمعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط

لجنة العلوم الطبيعية والجغرافية : **عبد الله العوينة**، أستاذ الجيمورفولوجيا بكلية الآداب، الرباط
مصطفى عياد ، أستاذ الجغرافية البشرية بكلية الآداب، الرباط
إدريس الفاسي، أستاذ علم التربة والبيئة بكلية الآداب ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
عبد المالك بنعبيد ، أستاذ بالمدرسة الوطنية الغابوية، سلا ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
محمد رمضاني، باحث في البيولوجيا الحيوانية بالمعهد الوطني وأستاذ بكلية العلوم، الرباط

اختصارات

تـ . = توفي
تح. = تحقيق
تر. = ترجمة
خ. تـ = خزانة تطوان
خ. ح. = الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط
خ. ص. = الخزانة الصبيحية بسلا
خ. ع. = الخزانة العامة بالرباط
خ. ق. = خزانة القرويين بفاس
خ. ي. = خزانة ابن يوسف بمراكش
د. تـ = دون تاريخ
د. د. ع. = دبلوم الدراسات العليا
د. م. = دون مكان
ط. = طبعة
← = انظر

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

المشاركون في هذا الجزء

محمد **الأخضر**، باحث - الرباط
الفقيه **الإدريسي**، كلية الآداب - بني ملال
محمد **أديوان**، كلية الآداب - الرباط
عبد الرزاق **ازريكم**، كلية الآداب - مراكش
محمد **أزهار**، كلية الآداب - المحمدية
سعيد أحمد **أعراب**، باحث - تطوان
مصطفى **أعشي**، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية - الرباط
عمر **أفا**، كلية الآداب - الرباط
إبراهيم **أقديم**، كلية الآداب - فاس
محمد **الأكلع**، كلية الآداب - مراكش
العربي **اكنينح**، المدرسة العليا للإساتذة - فاس
محمد **الأمراني**، كلية الآداب - فاس
حسن **أميلي**، كلية الآداب - المحمدية
محند **أيت الحاج**، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء
محمد **الأيوبي**، وزارة العدل - الرباط
محمد **البخاري**، باحث -
ثريا **برادة**، كلية الآداب - القنيطرة
عكاشة **برحاب**، كلية الآداب - المحمدية
محمد الأمين **البزاز**، كلية الآداب - الرباط
عبد العزيز **بل الفايدة**، كلية الآداب - القنيطرة
محمد **بلعتيق**، باحث
محمد **بلعربي**، باحث - الرباط
عائشة **البلغيثي** العلوي، كلية الآداب - الرباط
رقية **بلمقدم**، كلية الآداب - القنيطرة
عبد الإله **بلمليح**، باحث - فاس
أحمد **بنجلون**، باحث - الرباط
زوليخة **بنرمضان**، كلية الآداب - المحمدية
محمد **بنشريفة**، كلية الآداب - الرباط

عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين - سلا
حليمة **بنكرعي**، كلية الآداب - القنيطرة
محمد **بوخبزة**، باحث - تطوان
أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب - فاس
محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية - الرباط
عمر **بوسليهم**، باحث
مصطفى **بوشعراء**، باحث - سلا
إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب - الرباط
مصطفى **بوعناني**، كلية الآداب - القنيطرة
عبد المجيد **بوكاري**، باحث - مراكش
أحمد **بومزگو**، وزارة التربية الوطنية - تيزنيت
نجيب **تقي**، باحث
عبد العزيز **توري**، وزارة الثقافة - الرباط
عبد العزيز **تيلاني**، مديرية الوثائق الملكية - الرباط
حسن **جلاب**، كلية اللغة العربية - مراكش
الحسين **جهادي**، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء
محمد **حجاج الطويل**، كلية الآداب - الدار البيضاء
محمد **حجي**، كلية الآداب - الرباط
عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب - وجدة
فاطمة **الحراق**، معهد الدراسات الافريقية - الرباط
مريم **حكم**، كلية الآداب - الرباط
يحيى **الخالقي**، كلية الآداب - بني ملال
محمد **خربوعة**، معهد العلمي - الرباط
نفيسة **الذهبي**، كلية الآداب - القنيطرة
علال **ركوگ**، كلية الآداب - بني ملال
محمد **رمضاني**، المعهد العلمي - الرباط
مليكة **الزاهدي**، باحثة - الرباط
أحمد **زروال**، كلية الآداب - مراكش

قاسم **الزهيري**، باحث ـ الرباط

عبد النبي **زين العابدين**، المدرسة الغابوية للمهندسين ـ سلا

محمد **السعديين**، وزارة التربية ـ سلا

عبد القادر **سعود** ، باحث

رشيد **السلامي**، كلية الآداب ـ مراكش

عبد المالك **سلوي**، كلية الآداب ـ المحمدية

مصطفى **الشابي**، كلية الآداب ـ الرباط

عبد اللطيف **الشاذلي**، مديرية الوثائق الملكية ـ الرباط

الميلود **شاكر**، كلية الآداب ـ الرباط

إدريس **شحو**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **الشريف**، باحث ـ تطوان

عبد الله **شقرون**، كلية الآداب ـ الرباط

صالح **شكاگ**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط

الحسن **شوقي**، وزارة التربية الوطنية ـ القلعة

محمد **الشياظمي**، باحث ـ الرباط

عبد العزيز **الضعيفي**، كلية الآداب ـ بني ملال

أحمد صالح **الطاهري**، معهد الآثار ـ الرباط

محمد **الطيلسان**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **الظريف**، كلية الآداب ـ المحمدية

عبد العزيز **بن عبد الجليل**، باحث ـ مكناس

عبد العلي بن محمد **العبودي**، وزارة العدل ـ الرباط

سعد الدين **العثماني**، باحث ـ الرباط

عبد الصمد **العشاب**، باحث

أحمد **عزاوي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد **ابن عزوز** حكيم، باحث ـ تطوان

عبد الرحيم **العطاوي**، كلية الآداب ـ الرباط

نزهة **عقيلي**، باحثة ـ الرباط

عبد العزيز **العلوي**، باحث ـ فاس

أحمد **عمالك**، كلية الآداب ـ مراكش

عبد الله **العمراني**، باحث ـ تطوان

محمد **عمراني**، كلية الآداب ـ القنيطرة

عبد الله **العوينة**، كلية الآداب ـ الرباط

عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

محمد **فتحة**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء

حسن **الفكيكي**، كلية الآداب ـ القنيطرة

بوشتى **الفلاح**، المعهد العلمي

محمد **القبلي**، أستاذ باحث

محمد **اللبار**، كلية الآداب ـ وجدة

محمد **ماكامان**، المركز التربوي الجهوي ـ مراكش

الصغير **مبروك**، باحث

أحمد **متفكر**، باحث ـ مراكش

الحسن **المحداد**، كلية الآداب ـ أگادير

محمد **مداد**، باحث

نجاة **المريني**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **مزين**، كلية الآداب ـ فاس

محمد **المغراوي**، كلية الآداب ـ الرباط

أحمد **المكاوي**، كلية الآداب ـ الجديدة

عبد الرحمن **الملحوني**، باحث ـ مراكش

محمد **المنصور**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **المنوني**، كلية الآداب ـ الرباط

محمد **ياسر الهلالي**، كلية الآداب ـ مكناس

أحمد **هوزالي**، كلية الآداب ـ مراكش

أحمد **الوارث**، كلية الآداب ـ الجديدة

محمد عزيز **الوكيلي**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط

مصطفى **ناعمي**، معهد البحث العلمي ـ الرباط

عبد الله **نجمي**، كلية الآداب ـ الرباط

زهراء **النظام**، كلية الآداب ـ المحمدية

Liste des principales abréviations des périodiques

A.A : *L'Afrique et l'Asie.*
A.A.N : *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
Acad. Sc. Col. : *Académie des Sciences Coloniales.*
A.E.S.C : *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*
A.F : *Afrique Française.*
A.F : R.C : *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*
A.I.E.A : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
A.I.E.O : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
A.M : *Archives Marocaines.*
A.M.S : *Archives Marocaines de Sociologie.*
And. : *Al-Andalus*
Ann. Rech. Forest. Maroc : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
Ant. Afr. : *Antiquités Africaines.*
B.A.M : *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
B.A.R : *British Archeological Reports.*
B.C.T.H : *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
B.E.P.M : *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
B.E.S.M : *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
B.G.M : *Bulletin de Géographie du Maroc.*
B.I.D.M : *Bulletin de l'Information et de la Documentation Marocaine.*
B.I.F.A.N : *Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire.*
B.M.S.A.P : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
B.L.O.A.B : *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
B.L.S : *Bulletin de Liaison Saharienne.*
B.S.G : *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*
B.S.G.A : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
B.S.G.A.O : *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*
B.S.H.M : *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*
B.S.O.A.S : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
B.S.P.M : *Bulletin de la Société de Prehistoire du Maroc.*
Bull. Archéol. : *Bulletin Archéologique.*
C.A.A : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
Cah. Rech. Agron. : *Cahiers de la Recherche Agronomique.*
C.A.T.A.N : *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
C.B.E.T : *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
C.C.E.J : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
C.E.A : *Cuadernos de Estudios Africanos.*
C.H.I : *Cuadernos de Historia del Islam.*
C. Méd. : *Cahiers de la Méditerranée.*
C.R.A.I.B.L : *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
C.R.A.S : *Compte-Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
C.T : *Cahiers de Tunisie.*
E.B : *Encyclopédie Berbère.*

E.I.1 : *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*
E.I.2 : *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*
E.T.A.M : *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
Et. Medit. : *Etudes Méditerranéennes.*
F.M : *France - Maroc.*
F.S.S.A.N : *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
G.E.M : *Grande Encyclopédie du Maroc.*
Hesp : *Hespéris.*
H-T : *Hespéris-Tamuda.*
H.T.E : *Hommes, Terre et Eaux.*
I.G : *Information Géographique.*
I.H.E.M : *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
I.H.E.M : N-D : *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. : *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*
I.S.C : *Institut Scientifique Chérifien.*
Isl. Cult. : *Islamic Culture.*
I.S.P.M : *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
J.H.S.N : *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
M.A.I.B.L : *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
Medit : *Méditerranée.*
M.E.F.R : *Mélanges de l'Ecole Française de Rome.*
N.A.M.S.L : *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*
P.I.H.E.M : *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
P.S.A.M : *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
P.S.H.M : *Publications de la Section Historique du Maroc.*
R.A : *Revue Africaine.*
R.A.P : *Revue de l'Action Populaire.*
R.C.C : *Revue de la Chambre de Commerce.*
R.D.M : *Revue des Deux Mondes.*
R.E.A : *Revue des Etudes Anciennes.*
R.E.I : *Revue des Etudes Islamiques.*
R.E.L : *Revue des Etudes Latines.*
R.G.L : *Revue de Géographie de Lyon.*
Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. : *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*
R.G.M : *Revue de Géographie du Maroc.*
R.H.C.M : *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb.*
R.H.E : *Revue d'Histoire Economique.*
R.H.M.C : *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
R.M.D.E.D : *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
R.M.E : *Revue Maroc-Europe.*
R.M.F : *Revue Militaire Française.*
R.M.F.P.E : *Revue Marocaine des Finances Publiques et d'Economie.*
R.M.M : *Revue du Monde Musulman.*
R.P.P : *Revue Politique et Parlementaire.*
Rev. Inst. Hist. Mil. : *Revue Internationale d'Histoire Militaire.*
S.G.L : *Sociedade de Geografia de Lisboa.*
S.I : *Studia Islamica.*
S.I.H.M : *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. : *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*

ابن **عبود، المعطي** بن **محمد** المعطي بن محمد بن الهادي ابن عبود المكناسي، عالم خاشع وواعظ ناسك ورع، ذو عفة ووقار كان محباً في الرسول صلى الله عليه وسلم وآله وسائر المتعلقين بأهذابه، من الفضلاء المتبتلين الخطباء، كان مدرساً وعدلاً موثقاً عارفاً بالتوثيق وإماماً بالمسجد الأعظم وخطيباً بمسجد البراذعيين وحافظاً مكثراً، كان يسرد الذخيرة المعطوية وتفسير الثعلبي والسيرة النبوية للكلاعي وصحيح مسلم تقرباً لله خاصة في شهر رجب وشعبان ورمضان. تولى نيابة القضاء بالحضرة المكناسية وزار القبر الشريف زيارة حج في عام ستة وعشرين وثلاثمائة وألف.

من شيوخ المترجم الذين أخذ عنهم وأصبحوا عمدته في مروياته وأسانيده، والده الشيخ محمد بن المهدي، والشيخ فضول السوسي، وشيخ الجماعة الشيخ مبارك، والسيد العباس بن كيران، والسيد المهدي بن سودة والشيخ المختار بن الحبيب الجراوي. ومن تلاميذه الذين أصبح هو أيضاً عمدتهم فيما أخذوه عنه، سيدي محمد بن إدريس الشبيهي والسيد عبد القادر العرائشي والسيد الغالي السنتيسي والسيد عبد الرحمن ابن زيدان، والفقيه الكاتب السيد أحمد بن محمد بن فقيرة والنقيب سيدي مشيش بن المختار الشبيهي وجماعة من أعيان أهل العلم.

من شعره قصيدة في تقريظ عبد الرحمن بن زيدان الموسومة بكفاية *المحتاج في مدح صاحب اللواء والتاج*.

توفي يوم الثلاثاء آخر ذي الحجة سنة 1330.

ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 4 : 316 ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، 8 : 2867.

عبد القادر سعود

ابن **عبُود، المهدي** (الدكتور -) بن محمد بن عبد السلام السلوي. علم من أعلام المغرب المعاصر ورائد من رواد الدعوة الإسلامية ومفكر من جهابذة المفكرين الأتقياء.

انحدر من سلالة الصالح سيدي عبد السلام بن مشيش.

نشأ والده بمدينة مكناس ورزق تسعة أبناء منهم الشهيد سيدي أحمد الذي أعدمه الاستعمار في حوادث 1944 للمطالبة بالاستقلال والشيخ العلامة المرحوم زين العابدين.

رحل والد المهدي في مقتبل عمره بعائلته إلى مدينة سلا حيث أكرمه أهلها لما اشتهر به من فضل وورع ودعوة للإسلام وتفسير للقرآن الكريم على الطريقة الصوفية، فكان يقصده الطلبة والفقهاء والقاصي والداني في زاويته الشهيرة بسلا. وكان يغشى الأسواق والتجمعات الشعبية ليعلم الناس فرائض الدين وحلاوة الإيمان مسترشداً بكتاب الله يغوص في أسرار معانيه ويزود محدثيه بالأذكار. كان كثير الاستبصار، لا ينام وفي جيبه مال يفرق ما تجمع له على الفقراء.

في هذه البيئة تربى المهدي. فلما مات والده وهو صغير كفلته أمه وتولى تربيته الدينية أخوه زين العابدين، فكان لما كان يرى ويسمع ويعي تأثير في تكوين شخصيته. احترف مهنة الحصارة لمدة قصيرة، ثم دخل المدارس العصرية فساعده نبوغه وقوة فطنته وذاكرته على تخطي مراحل التعليم بسرعة وأتقن ثلاث لغات : العربية والفرنسية والانجليزية. وما إن دخل قسم الفلسفة حتى دهمته المستحدثة والفكر الغربي مقارنة لما استوعبه فأخذ يبحث عن ذاته ويجد في طلب الحقيقة يلتمسها في تدبر آيات الذكر الحكيم وأحاديث الرسول الأكرم والرجوع إلى أكبر المجتهدين والتراث الإسلامي، تابع بحثه وهو يدرس الطب فتخصص في أمراض الجلد بقدر ما تضلع في الفلسفة وعلوم الدين.

ساهم بعد ذلك بأوفى نصيب في النضال من أجل الاستقلال وفي صفوف المقاومة وجيش التحرير تارة ثم في أروقة هيئة الأمم المتحدة تارة أخرى، إلى أن أصبح أول سفير لبلاده في الولايات المتحدة الأمريكية. ثم ما لبث أن اعتزل الوظيف للعمل الحر ففتح عيادة لطب الجلد بالرباط. كان يعالج المساكين بالمجان ويسعفهم أحياناً بالدواء. وكان إلى جانب ذلك يدرس بجامعة محمد الخامس كأستاذ للفلسفة وعلم النفس والدراسات الإسلامية. طبقت شهرته الآفاق

فكان يطلب في أغلب العواصم الغربية بأوربا وأمريكا وعواصم العالم العربي والإسلامي فأصبح داعية تتخطفه المنابر والإذاعات فكانت "أحاديثه تمتاز بتجلي البيان وفيض الحكمة والجنان وإشراق البيان". حسب ما قال عنه أحد علماء مكة المكرمة. كان حقا عميق التفكير، كثير التأمل، بليغ اللسان، سريع البديهة، سليم الطوية.

كان يتصدى من محاضراته وأحاديثه من محطات الإذاعة والتلفزة ومما كتب للرد على الإيديولوجيات المنحرفة ومواقف الإسلام في القضايا المطروحة ومجادلة المفكرين والمجاهدين. وهو القائل : "إن ما يثير الدهشة هذا البحر المتلاطم الأمواج من الفلسفات والإيديولوجيات والمعتقدات والمذاهب العلمية والآراء السياسية والتربوية والاجتماعية والأخلاقية عن الصراعات الفكرية... بحيث يتساءل العاقل عن قيمة المعارف الإنسانية وحدودها قائلا مع أبي العلاء المعري :

فوا عجبا من مقالاتهم   أيعمى عن الحق كل البشر ؟"

كما كان المهدي يتصدى إلى هذه الأفكار بما كان يقوم به من محاضرات وأحاديث في المنتديات ووسائل الإعلام العالمية حيث كان له إقبال كبير. وقد امتد عمله هذا أزيد من ثلاثة عقود. ولم يقدر لكثير من إنتاجه الصدور مع الأسف.

ولكنه ترك إصدارات نذكر منها كراسات : العلم والمعرفة، صراع العقائد ومستقبل الإنسان، الإنسان وطاقته الروحية. ثم نشر كتاباً جامعاً أسماه "رصد الخاطر" ضمنه آراءه وخواطره عن صراع العقائد وأتبعه بجزأين من سلسلة "شراع" من كتاب "عودة حي بن يقظان" حذا فيه حذو ابن طفيل أحد أعلام الفكر الإسلامي بالأندلس الذي أفرغ فلسفة عصره في قصة خيالية ورد عليها، فقلده الدكتور المهدي بالرد هو كذلك على فلسفات عصره.

وكان آخر آثار المهدي الفلسفية والإيمانية قصيدته التي نافت عن أزيد من ألف بيت والتي اختار لها عنوان : "صورة عصر وشكوى *نفس*" كتبها تباعاً وهو طريح الفراش مدة تزيد عن ثلاث سنوات. وقد أودعها معانيه الإيمانية الروحية ونجواه وشكواه إلى ربه من الجاهلية التي تتخبط فيها الإنسانية وتشوقة إلى لقاء ربه قائلاً :

سلاماً ملاك الموت ما جئت شاكيا   أيشكو جوار الحق من كان راجيا
أيشكو فراق العصر والعصر منذر   بتدمير ما كان بالأمس بانيا
أيشكو فراق الأرض والأرض مرتع   لم نباع للأهواء قلباً مرابياً

توفي يوم 27 شعبان 1420 الموافق 6 ديسمبر 1999 في الرباط عن سن تناهز الخامسة والثمانين، فكان لوفاته صدى حزن عميق في عموم المغرب.

قاسم الزهيري

العَبُودي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Abudi.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1149.

محمد ابن عزوز حكيم

العبودي أو العبوديون أسرة مغربية عريقة، تنتسب للشرفاء العمرانيين وتنتشر بمختلف قبائل جبال الزبيب الجبلية، كقبيلة الأخماس، واغصاوة، وبني زووال وغيرها. وبعضهم يعرف بأولاد بنعبود. اشتهر الكثير من أفرادها بحفظ القرآن الكريم وتعلمه وتعليمه بمختلف رواياته. أنجبت كثيراً من المفتين والفقهاء والعلماء، بينهم قضاة وعدول. ساهم بعضهم في الجهاد والدفاع عن الوطن في العديد من المعارك قديماً وحديثاً.

العبودي الأغصاوي، أحمد بن **محمد** من علماء القرويين. ولد بمسقط رأس عائلته باغصاوة (اغزاوة) في بداية العقد الثاني من القرن العشرين، حفظ القرآن الكريم وهو دون سن العاشرة من عمره على المقرئ الفقيه السيد عبد السلام الشعري، كما تلقى مبادئ العلوم اللغوية والفقهية على والده الفقيه القاضي محمد العبودي، وعمه الحاج علي بن محمد العبودي بمسجد القرية مع ثلة من أبنائها وغيرهم، بعدما حفظ مجموعة من المتون وأمهات المصنفات اللغوية والفقهية، كالمرشد المُعين، والأجرومية، والألفية، وتحفة ابن عاصم، ومختصر الشيخ خليل، الذي كان من حفاظه، ثم التحق بجامع القرويين وذلك في منتصف الثلاثينيات للاستزادة من المعرفة والعلوم، لينهي دراسته بحصوله على شهادة العالمية سنة 1946.

وكان من شيوخه بها سيدي العباس بناني، و سيدي مَحمد العلمي، وسيدي محمد بن عبد الرحمان العراقي، ومولاي العباس الأمراني، وسيدي عمر بنسودة المري، وسيدي محمد بن عبد القادر بنسودة، وسيدي الجواد الصقلي.

ساهم وهو طالب بفاس بنشاط وطني ضمن أقرانه من طلبة القرويين والأساتذة بها، مما جعله يتعرض لكثير من المضايقات الاستعمارية، في مرحلة طلبه، وعدد من المصاعب الاجتماعية حتى بعد تخرجه، أثَّرَ ذلك عليه في مستقبل حياته من حيث البحث عن العمل والاشتغال بما فيه خير له وللوطن، لما حاول تأسيس مدرسة حرة بمدينة وزان فمنع من الحصول على رخصة لإنشائها، الأمر الذي اضطر معه لأن يحول وجهته للعيش بالدار البيضاء، فعين عدلا بمحاكمها، ولم يمنعه ذلك من أن يبقي مستمراً في نشاطه الوطني بشكل بارز، جعل ممثل الحماية، المندوب الفرنسي بمحكمة باشا الدار البيضاء وقتها، يعارض على ترشيحه، ويحْرمه من حق المشاركة في المباراة المنظّمة لاختيار القضاة الشرعيين، والمفتوحة أساسا في وجه الحاملين لشهادة العالمية، حيث لم

يتول القضاء إلا بعد أن استقل المغرب، فعين قاضيا على مدينة برشيد وقبيلة أولاد حريز، تلك الخطة التي تركها بعد فترة ليصبح مدرسا بمعهد القرويين (1958 ـ 1959)، ثم بالمعهد الديني بمدينة العرائش (1959 ـ 1963)، وبعدهما عين أستاذا للسلك الثاني بثانوية المولى إسماعيل بمدينة مكناس (1963 ـ 1971) ليقع الاختيار عليه ليصبح مديراً لثانوية النهضة بنفس المدينة، وبقي بمنصبه هذا إلى أن أحيل إلى المعاش آخر سنة 1984.

العبودي الأغصاوي، علي بن **محمد** بن مَحمد بن الهاشمي بن الطاهر بن أحمد بن عيسى بن عمر العبودي العمراني، ولد بدوار دار الوادي من قبيلة اغصاوة السفلى التي كانت تحت الحماية الفرنسية، وبه نشأ وتربى وحفظ القرآن الكريم وبعض المتون المتداولة في وقته، ثم انتقل إلى بعض القرى التي كانت تشكل مراكز تعليمية مهمة بالمنطقة، فأخذ عن شيوخها علوم اللغة والفقه وماله صلة بهما من منطق وبلاغة.

ومن شيوخه البارزين الذين استفاد منهم كثيراً الفقيه الجليل محمد المجلاوي، تلميذ الشيخ المقرئ المشهور أحمد ابن المكي بن يرمق.

ثم بعد ذلك التحق بجامع القرويين ومكث بإحدى مدارس الطلبة رفقة ولد أخيه القاضي محمد الآتية ترجمته بعده. فتلقيا عن شيوخه العلامة الشريف سيدي الحسن العمراني الزرهوني، والعلامة سيدي محمد الصنهاجي، وأخيه الفقيه المدرس سيدي أبي الشتاء.

وبعد أن غادر القرويين اخْتِيرَ لمهمة الإمامة والخطابة والتدريس لمدة تقارب ثلاثة عقود في العديد من القرى الكبيرة التي كانت تتوق إلى أمثاله وتفرح بمكثوهم في مساجدها للتعليم والإرشاد والإفتاء، معزّزين مكرمين وذلك في قبائل اغصاوة، وسطة، وعوف، بدائرة وزان.

وقد تتلمذ عليه بها كثير من الطلبة المحليين وغيرهم، أصبح منهم من احتل مناصب عليا في البلاد، بعدما أتم دراسته العليا ببعض جامعات المغرب وخارجه.

انتهى بمترجمنا المطاف بالاستقرار والسكنى بمدينة وزان التي أسس بها حلقة دراسية هامة كان مقرها في البداية مسجد حي الرمل. وكان لدروسه بهذا المسجد نتائج لافتة مرضية تُذكَر له فيُشكر عليها، ثم لما تقرر في بداية الستينيات إحياء الدراسة بالمدرسة الحسنية الدينية، بهذه المدينة نفسها بمسجد زاوية مولى عبد الله الشريف، بمساعدة وإشراف وزارة الأوقاف، كُلفَ بإدارتها ومراقبة درُوسها والنظرِ في شؤون طلبتها، بالإضافة إلى ممارسته شخصيّاً التدريس بها لعدة فنون كان يقوم بها واستمر على ذلك إلى آخر حياته كما أخبر بذلك عنه تلميذه الملازم له نكيز الحسن الغرباوي الذي درس عليه في هذه المدرسة ورافقه وساعده في بعض شؤون الدراسة بها، يقول عنه مؤلف كتاب *مصابيح ولاية القنيطرة*. ومما يوصف به أنه من أوائل أعضاء رابطة المغرب وأنه منذ أنشئ فرعها في القنيطرة وهو عضو في مكتبه، وبه عرفتُه عن كثَب، وأشْهَدُ أنّني وجدتُ فيه كل الصفات التي يجب أن يتحلى بها العالم الفَاضل، من تواضع وحلم ووقار ومروءة وغير ذلك من الأوصاف المحمودة، وكتب الله لي أن زرته بداره في وزان عام 1990، طالبا منه معلومات عن بعض علماء الجبال فأفادني كثيرا وزودني بما لم أظفر به عند غيره. توفي رحمه الله بمدينة وزان، مقرِّ سكناه في اليوم الثاني عشر من ذي القعدة عام اثني عشر وأربعمائة وألف هجرية الموافق (14 / 6 / 1992).

ودفن مع والده بمسقط رأسه بدار الوادي من قبيلة اغصاوة، وقد ترك وَلَدَه محمداً الذي يعمل قاضيا بمدينة أبي ظبي بدولة الإمارات العربية المتحدة، وعبد الوهاب الأستاذ بثانوية ابن زهر بمدينة وزان. (من كتاب *مصابيح ولاية القنيطرة* بتصرف الصفحة (147 ـ 148) للعلامة محمد الهبطي المواهبي.

العبودي الأغصاوي، محمد بن **محمد** بن امَحمد من قضاة العدل المبرزين، لعب دوراً لا يستهان به في هذا المجال. ولد بقبيلة اغصاوة (اغزاوة) يوم 18 شوال عام ستة وثمانين ومائتين وألف. حيث تلقى تعليمه في صباه بقراءة القرآن على والده وغيره عند الدخول إلى الكتاب القرآني، وأقرأه الأمهات المتداولة من المتون كالمرشد المعين، والأجرومية والألفية، وتحفة ابن عاصم، ومختصر الشيخ خليل وبعض مبادئ المنطق وعلوم البلاغة وأصول الفقه. وكان لوالده عناية به وبإخوانه لتربيتهم وتثقيفهم.

ففي عام أربعة وثلاثمائة وألف (1304) أثناء الزيارة للقطب الأشهر المولى عبد السلام بن مشيش بجبل العلم، صحبة سيدي الحاج محمد الترغي البقال الحرائقي، التقيا بجماعة من كبار علماء فاس من بينهم الشيخ الفقيه العلامة سيدي محمد بن التهامي الشريف الوزاني الذي يرافقه تلميذه الطالب العباس بن العربي بن المختار الجامعي حيث عبر والده للفقيه الوزاني المذكور عن نيته في إلحاق ولده المتحدث عنه بجامع القرويين، للاستزادة من تحصيل مختلف العلوم والفنون على جلة علمائها. ثم انتقل به إلى فاس للغاية المذكورة حيث لازم القراءة على كبار فقهائها، وأشْهَرِ من انتصب للتدريس بها في هذا الوقت، كشيخ الجماعة سيدي أحمد بن الخياط الزكاري وشيخ الجماعة سيدي أحمد بن الجيلالي الأمغاري والشيخ الفقيه محمد بن التهامي الوزاني المذكور، والفقيه العلامة المحقق أبي عبد الله سيدي محمد المهدي الوزاني العمراني صاحب *النوازل الصغرى والكبرى*.

وبعد قضائه فترة من الدراسة بجامعة القرويين وارتوائه من معين مختلف المعارف بها، اشتغل بالتدريس والخطابة والفتوى، فتخرج على يده جماعة من الطلبة تولى البعض

منهم خطة العدالة والقضاء، كما ساهموا معه بعد ذلك في الحركة الجهادية عند ظهور الأطماع الاستعمارية لاحتلال المغرب نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلادي، ضد الحملات الإسبانية والفرنسية التي شُنَّتْ على القبائل الجبلية والريف بشمال المغرب، وبعد اندلاع حرب الريف التحريرية شارك في المسعى الحميد لتوحيد الخطة بين المجاهدين بقبائل المنطقة وانضمامها لحركة التحرير التي قادها الأمير عبد الكريم الخطابي لغاية إفشال جهود الغزاة وقطع الطريق على الجيوش الاستعمارية في عملياتها العسكرية.

وهكذا جعل من مجاهدي قبيلته اغصاوة سدا منيعا وحصنا حصينا على العدو بتنظيم المجاهدين الذين يعملون على خط أعالي وادي اللكوس بقبيلة اغصاوة مع غيرهم (بجبل أسوال) من مجاهدي قبيلة بني مستارة، وقبيلة بني مزگلدة وقبيلة بني زروال. ولقد نظم هذا القاضي ورفقاؤه أثناء تلك الفترة حصارا محكما لقشلة فتراس حتّى استسلم من كان بها من الجيش الفرنسي المحاصر. ونفس الأمر وقع في معركة أخرى ضد الجيش الإسباني عرفت بمعركة (مغزيز) المعركة التي غنم فيها المجاهدون ما تقووا به من الغنائم، كالمدفع الرشاش الذي أسقطوا به طائرة كانت تقوم بقنبلة مداشر مختلف التجمعات السكنية بالمنطقة، بقيادة الطيار المدعو : سرجان ساگرلا الذي وقع في الأسر ثم استعمله المجاهدون والفقيه العبودي على رأسهم وسيلة ناجحة لافتكاك أسرى القبيلة الأغصاوية بعد مفاوضات بشأن ذلك مع الجيش الفرنسي المحتل لوزان وبعض نواحيه.

وتصميم الفقيه العبودي وجماعته على الدفاع عن مراكز وجودهم جعل الجيشين الفرنسي والإسباني يتخوفان من المواجهة مكتفيين بالعمليات الهجومية بواسطة الطائرات التابعة لفرنسا والتي كانت تقلع من مطار : اغنيوة قرب مدينة وزان أو بواسطة الطائرات الإسبانية التي كانت تقلع من مطار : سميد الماء بالعوامرة قرب مدينة العرائش.

ولما تم الاحتلال الكامل لمنطقة جبالة وكانت اغصاوة آخر ما تم احتلاله بها، ونظراً لثقة الناس في الفقيه العبودي واطمئنانهم إليه في سلوكه المتزن وسيرته النقية أُقرَّ قاضياً بظهير ملكي سنة 1928، ليصير مجاهدا بالنصح والإرشاد يحاول دائما إنهاء الكثير من نزاعات الخصوم، بدعوتهم إلى الصلح، يميل في فتاويه وأحكامه إلى التيسير، ويبتعد عن التعسير، يؤيد من أفتى قبله إن رأى أنه الصواب معتذراً بلطف عن إعطاء رأيه أحيانا. قال في بعض اعتذاراته : "وصلَنا شَرِيفُ خطابكم مع الرسوم بقصد التأمل فيها فإذا به لم نتمكن من التأمل والفتوى عليها على التمام".

للفقيه العبودي مجموعة من الفتاوى نشر البعض منها أخيراً ومازال الباقي بيد من أفتى لهم أو عند ورثتهم. كان القاضي العبودي لا يُسْكِت أحدا عند عرض خصومته مهما أطال فيها، ولايمل من سماع الرد على الدعوى ممن يدافع عن نفسه فيها.

توفي فجر يوم الجمعة سابع ربيع الأول عام 1370 الموافق 7 دجنبر 1950 بعد ما ترك أولاداً علماء : قضاة، وعدولا، وأساتذة معلمين.

العبودي الأغصاوي، محمد بن محمد بن محمد

ولد سنة (1329 / 1909) بمسقط رأس عائلته باغصاوة، وبكتاب مسجد القرية حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة وتلقى تعليمه الأولي به على والده، والعديد من الشيوخ القراء والعلماء، كما حفظ مختلف المتون وأمهات المصنفات في قواعد النحو، واللغة، والفقه، والعلوم المرتبطة بها.

ثم التحق بجامع القرويين كتلميذ مُجِدٍّ في الطلب، للاستزادة من المعارف على جِلة العلماء والشيوخ بفاس : كالفقيه العلامة سيدي الحسن العمراني (الزرهوني)، والعلامة الأصولي سيدي العباس بناني، والنحوي الأديب سيدي محمد بن عبد الرحمان العراقي، والعلامة سيدي محمد الصنهاجي، وأخيه الفقيه العلامة المدرس سيدي أبي الشتاء، وشيخ الفلكيين بالمغرب في وقته الحيسوبي سيدي محمد العلمي.

وفي مادة التوقيت هذه برز مترجَمنا أكثر، مما جعل أستاذه الفقيه العلمي المذكور يأمره بأن يقوم كل سنة تحت إشرافه أوبمعيته، خاصة بعدما قل نظره، على رصد حركات النجوم والكواكب التي تدعو حاجة الطلبة إلى معرفة حركاتها في حساباتهم التوقيتية.

وبعدما حقق رغبته في التحصيل، تولى خطة العدالة بمحكمة قاضي زومي ببني مستارة، ثم شارك في المباراة المنظّمة لاختيار القضاة الشرعيين، وكان النجاح حليفه، حيث أُلحِقَ أول الأمر بوزارة العدل قبل أن يعين قاضياً على أحواز الرِباط، وابن سليمان بالشاوية، وكان مثالَ القاضي المعتز بمهمته لا يخضع فيها لأي تهديد من حكام الحماية. ولا يقبل المس باستقلال القاضي الكفء في عمله، ولو اعترضته صعوبات أو تحمل في سبيل ذلك مشقات.

وبعد الاستقلال عين قاضيا على قبيلة أولاد الحاج بالصويرة، ثم قاضيا بالعرائش ثم مستشاراً بالمحكمة الإقليمية بمكناس، وبمحكمة الاستئناف بالرباط، والدار البيضاء ؛ لينهي مسيرته مستشارا بالمجلس الأعلى.

توفي يوم الجمعة تاسع عشر ربيع الثاني عام سبعة وتسعين وثلاثمائة وألف موافق 8 أبريل 1977. وشيعت جنازته بحضور جل رجال القضاء بالرباط، والبعض من رجال التعليم بها، وعدد كبير من الأقارب والأصدقاء، ودفن بمقبرة الشهداء بالرباط.

كانت له رحمه الله في مهامه القضائية منذ البداية مواقف تُظهر أنه لا يخشى في الله لومة لائم سجل فيها بشرف، ما يجب أن يتحلى به الاكفاء من القضاة.

العبودي الأغصاوي، محمد بن **مَحمد** بن **الهاشمي** بن الطاهر الفقيه القاضي (1319)، ولد في العقد الثالث من القرن الثاني عشر الهجري بالقرية المعروفة بمدشر دار الوادي مقر العائلة المذكورة، هذا الوادي الذي عرف عند أهله بوادي التفاح في الفترة التي تقارب وفاة الشيخ محمد بن علي الحاج الرهوني، صاحب الحاشية على شرح الشيخ الزرقاني على مختصر الشيخ خليل.

تعلم القراءة وحَفظَ القرآن بكتّاب القرية برواياته التي تلقاها عن شيوخ القَراءات المشهورين بقبيلته، وبالقبائل المجاورة وبالخصوص قرّاء قبيلة الأخماس بناحية شفشاون. حيث اشتهر بحذقه لمختلف قواعد القراءات ونصوص ضبط القرآن.

ثم التحق بالقرويين بفاس بعد تحصيله وتمكنه من الفهم الجيد لأمهات المصنفات المتداولة في وقته، التي درسها بشروحها على أشهر فقهاء ومدرسي المنطقة بينهم الفقيه المقرئ عبد السلام المرابط (1251).

وكانت له بعد ذلك علاقة متينة بالمشهورين من الشرفاء البقاليين بمدشر الريحان من قبيلة بني مزگلدة. ولهؤلاء اتصال بالدوائر السلطانية بفاس البعض منهم يسير في ركب السلطان أثناء مختلف رحلاته التي اشتهر المولى الحسن الأول بها، حتى قيل في حقه : "إن عرشه كان فوق صهوة جواده" لكثرة تنقلاته لتفقد شؤون رعيته والاطلاع بنفسه على أحوالها ولو في المناطق النائية من مملكته.

وفي مدينة فاس حضر دروس جلّة علمائها، فازدادت معارفه، وتفتحت مداركه، حتى حصلَ على مبتغاه من سماع دروسهم، وتزود بمختلف العلوم الفقهية، والقواعد اللغوية، والفنون البلاغية، والمبادئ الأصولية على يدهم. وبعد ذلك اختير إماماً وخطيبا للجمعة، ومدرِّسا ينشر العلم بين الطلبة الملازمين والواردين على زاوية جد البقاليين الشيخ الفقيه، الأديب الفصيح النافذ الإرادة عند ملك فاس، المنزل منزلة الأمراء في الأمر والنهي في وقته، أبي الحسن سيدي علي الحاج البقالي من أهل القرن العاشر، مما أهله لأن يتولى خطة القضاء على قبيلة اغصاوة.

ومع ذلك لم تشغله مهامه المذكورة عن أن يكون سالكا في حياته الخاصة مسالك الباحثين عن الشيوخ المتمكنين الواصلين درجة الإخلاص لله وحده في عبادتهم.

صاحب في هذه المرحلة شيخ الزاوية الدرقاوية بمدشر بني نُعيم من قبيلة اغصاوة العليا، سيدي الراضي الزرْغيلي، فتواصلا في الله واستمرت زيارات بينهما متبادلة ومدارسة تفاسير القرآن الكريم ودواوين الحديث متصلة غير منقطعة خاصة تفسير *روح البيان* لمؤلفه الشيخ اسماعيل حقي البروسوي المتوفى عام 1137 للبحث عن الموارد العذبة لمعاني العبادة السامية الحقة، التي تمكن من خلوص النية في العبادة لله سراً وعلانية.

وعند اختتام كل سَلكة لهذا الكتاب، تُعقد بالمناسبة مجالس خاصة، يحضرها معاصروه من العلماء بمنزله بدار الوادي، كما يشارك فيها قراء القرآن وحفّاظه، في احتفال ديني، صوفي، روحاني، جل محاور الكلام فيه تدور على الالتزام والتقيد بالأوامر الإلاهية والنواهي الربانية في معاملات المسلمين الدينية والدنيوية مع أنفسهم وربهم.

تلك المعاني الصافية الواردة في كتاب الله تعالى وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم التي تُربّي النفوس المومنة على الخوف من رب العباد وخالقهم، وتقوي الرجاء في رحمته بالاعتماد على حوله تعالى وقوته، حتّى صارت تلك المناسبة عبارة عن موسم قرآني للواردين وكافة الحاضرين، مُساهمة في زيادة نشر الروايات المتواترة، ومختلف القراءات التي اشتهر أهل الجهة بالحفظ والإتقان لها، فلا يشاهد عندهم إلا القليل ممن لا يحفظ القرآن عن ظهر قلب بينهم.

توفي رحمه الله عام 1319 بعدما ترك ذرية ساهمت بدورها في نشر العلم وإعطاء الفتاوى وتدريس مختلف العلوم المتداولة، وعلى رأسهم ولده البكر : الفقيه القاضي محمد، وولده الأصغر، الفقيه المدرس الحاج علي، الذي توفي عن سن تناهز التسعين عاما وهو مدير للمدرسة العتيقة الملحقة بالمسجد الأعظم بزاوية المولى عبد الله الشريف بمدينة وزان.

وثائق خاصة ؛ رواية شفوية.

عبد العلي بن محمد العبودي

العَبُودي، محمد بن **أحمد** شيخ الجماعة بقبيلة غزاوة كان يرأس المجاهدين الذين انضموا إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني ؛ وقد حضر جميع المؤتمرات التي عقدتها الثورة وعين عضوا بالمجلس الاستشاري للمقاومة من المؤتمر المنعقد بقرية عين الدالية يوم 11 ماي 1913 ؛ وقد شارك في 51 معركة.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

F. Capas, *Cabecillas de Corona* 1949.

محمد ابن عزوز حكيم

العبيد (واد –) من الروافد الكبرى والمهمة لوادي أم الربيع بحيث يجمع كمية كبرى من مياه السفح الشمالي للأطلس الكبير الأوسط.

وينحصر حوض تغذية "واد العبيد" طبغرافيا بين خطي طول 7 درجات و7 دقائق و5 درجات و15 دقيقة غرب خط كرينوتش، وبين خطي عرض 31 درجة و43 دقيقة و32 دقيقة شمال خط الاستواء.

وبهذا تقدر مساحة هذا الحوض الإجمالية بحوالي 7840 كلم^2.

1 ـ المعطيات الطبغرافية :

ـ يمكن تلخيص الحدود بالنسبة لحوض تغذية "واد العبيد" كالتالي.

ـ من الشمال والشمال الغربي : أطلس القصيبة (جزء من أطلس بني ملال) وسهل تادلة.

ـ من الشرق والشمال الشرقي : الأطلس الكبير الشرقي وحوض ملوية.

ـ من الغرب والجنوب الغربي : سهل الحوز وأطلس دمنات.

ـ من الجنوب : الهوامش الجنوبية للأطلس الكبير.

ولهذا فإن "واد العبيد" يجري داخل سلسلة جبلية والتي تتخللها مجموعة من الأشكال خاصة الهضبية وهذه السلسلة لها نفس الاتجاه العام للسلسلة الأطلسية أي من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي (نفس اتجاه جريان العبيد).

على أن أهم هذه الهضاب من الناحية الهيدرولوجية هي الهضاب الكارستية وهي هضاب تشكلت داخل بنيات كلسية جوراسية ولياسية (الزمن الثاني).

2 ـ المعطيات الجيولوجية :

أهم ما يمكن استنتاجه من خلال الدراسة الجيولوجية لحوض "واد العبيد" هو سيادة التكوينات الكلسية وكذا بداية التطور الجيولوجي منذ "البرموترياس" (نهاية الزمن الأول وبداية الزمن الثاني). هذه الحقبة تتكون من مجموعة من طبقات غير نافذة خاصة عند المركب "الصلصالي ـ البازلتي" الذي يمثل قاعدة الخزان الذي يحجز المياه. اللياس الأسفل والأوسط والأعلى يتميز بوجود تكوينات كلسية ودولوميتية مع ظهور كتل كلسية تكون أهم القمم العليا.

وعلى العموم فإن الزمن الثاني يتميز بوجود كلس داكن مع انتشار طبقات حمراء قارية حثية طينية مع توضعات رصراصية تكون قعور المقعرات.

وأخيراً الزمن الرابع ويتمثل في توضعات رصراصية نتجت عن عمليات التحليل الكيماوي الذي شمل الصخور الكاربوناتية الكلسية ونقل هذه المحلولات بواسطة العيون التي تظهر عادة في البنيات الكارستية.

ويمكن القول إن النشاط المائي أفرز تنوعا في الأشكال الكارستية داخل حوض "واد العبيد" انطلاقا من التفاعل بين الصخور الكربوناتية (الكلس والدولومي) المتماسكة والقابلة للذوبان مع الشبكة المائية. من بين هذه الأشكال نجد مغارات، تجاويف كلسية، جوبات وبالوعات كلسية منتشرة داخل هذا الحوض.

3 ـ المعطيات المناخية والنباتية :

من بين المشاكل المطروحة لدراسة حوض "واد العبيد" عدم توفر معطيات كافية عن التساقطات والحرارة.

لكن يمكن إعطاء فكرة عن المناخ السائد داخل الحوض انطلاقا من دراسة المعطيات المتوفرة في بعض المحطات القريبة من الحوض كما أن موقع الحوض في السفح الشمالي للأطلس الكبير الأوسط وتدرج الارتفاعات يجعله يتلقى تساقطات مهمة (أمطار وثلوج).

هذه المحطات هي : أزيلال (1420م وتتلقى 630 ملم تقريبا)، دمنات (1000م و600 ملم)، وأفورار (420م و480 ملم من التساقطات).

ومن خلال دراسة مختلف المعطيات والعناصر المناخية خاصة التساقطات والحرارة، يمكن أن نستخلص بعض الملاحظات المهمة :

ـ بالنسبة للميزانية المائية وبما أن معظم المجال كلسي (أي التسرب هو السائد)، فإن فترة التسرب يمكن حصرها بين شهري نونبر حتى ماي، أما مؤشرات العجز المائي فتلاحظ ابتداء من شهر يونيو.

ـ تعرف المنطقة بين 5 شهور (ازيلال ودمنات) و6 شهور (افورار) يمكن اعتبارها شهوراً جافة.

ـ فيما يخص التصنيف المناخي (L. Emberger)، فإنه يختلف حسب موضع النطاقات داخل الحوض. لذلك فإن الجبال العليا والوسطى (المنخفضات الداخلية كذلك) تقع في النطاق شبه الجاف ذو الشتاء البارد، المنطقة الواقعة عند السلسلة الجبلية تدخل في النطاق شبه الجاف ذو الشتاء المعتدل، أما سفوح الأعراف فيمكن تصنيفها داخل النطاق شبه الرطب ذو الشتاء البارد.

والملاحظ كذلك داخل حوض "واد العبيد" هو أن التدرج الارتفاعي أعطى تنوعا مناخيا كما أدى إلى تنوع في الغطاء النباتي.

لذلك فإن الجبال العليا تحتوي على تشكيلات قزمية متأقلمة مع البرودة، والجبال الوسطى يكسوها غطاء نباتي متفرق مع غابة العرعر أما السفوح ذات المناخ الشبه رطب فيكسوها غطاء نباتي كثيف مكون أساسا من البلوط الأخضر إلى جانب أنواع أخرى كالعفصية، الصنوبر الحلبي، الخروب، الزيتون البري والدوم.

وعلى ذكر الغطاء النباتي وباعتباره ثروة وطنية هامة، فإن السمة الأساسية هي التدهور المستمر الذي يتعرض له هذا الغطاء النباتي لأسباب مختلفة ومتداخلة.

4 ـ الشبكة الهيدروغرافية لحوض "واد العبيد" :

ـ واد العبيد : يعتبر هذا الواد من أهم المصادر المائية التي تزود بحيرة "بين الويدان"، ويجد منابعه انطلاقا من مناطق ذات طبغرافية عالية تتدرج ما بين 2200 و2400 متر تقريبا، ويتم تزويده انطلاقا من عدة روافد تنزل من العالية أهمها "أسيف أورين"، أسيف أغندو" و"أسيف اكاسن" الذي يعتبر أطول هذه الروافد، كما نجد على الضفة اليسرى "واد عطاش" الذي يبلغ طوله 30 كلم تقريبا إلى جانب العديد من الروافد الصغرى.

ـ واد احنصال : يعتبر من أهم روافد "واد العبيد" إلى جانب "أسيف" "أملول" يجد منبعه في أعالي "أسيف بوكماز" على علو يصل تقريبا إلى 3000 متر كما يسير بصفة عمودية اتجاه الشمال على أزيد من 40 كلم بحيث

يخترق "جبل تالمست" لكي يلتقي "بأسيف ملول" عند منطقة "تلوكيت" التي توجد بها محطة لقياس الصبيب.

ـ أسيف ملول : توجد منابعه داخل الهضاب الكارستية على السفح الشمالي "لتيزي ـ ن ـ تيغور غزين" وهي عبارة عن التواء على علو يصل ما بين 2700 و2800 متر، كما يصبح المجرى دائماً على ارتفاع حوالي 2300 متر، ليلتقي بأسيف أحنصال" عند ارتفاع 1100 متر تقريبا.

ـ بعد استقبال العديد من الروافد الصغرى الآتية من الأعالي، يخترق "واد العبيد" مقعر "تاگلفت" ليصل إلى بحيرة بين الويدان. وانطلاقا من الجبل نحو السهل وابتداء من خروجه من منخفض "واويزغت" إلى أن ينتهي مجراه على طول الأطلس، يقطع "مقعر أيت عتاب" على طول حوالي 60 كلم، ثم يخرج من المنطقة الجبلية ليتصل بنهر "أم الربيع" عند سهل "بني موسى" على بعد 10 كلمترات تقريبا من عرف "تازركونت".

ـ بالإضافة إلى هذه الروافد التي تغذي واد العبيد، يمكن أن ندرج "بحيرة بين الويدان" التي تتخذ شكلا طوليا وتساهم في تغذية صبيب "واد العبيد" انطلاقا من السد.

5 ـ الدراسة الهيدرولوجية لواد العبيد :

ـ توجد عدة محطات هيدرولوجية داخل حوض "واد العبيد" تشرف عليها "وكالة حوض أم الربيع" ببني ملال، لكنها تقوم بقياس الصبيب عند السافلة.

وقصد إعطاء فكرة عن طبيعة الجريان، اعتمدنا على معطيات محطتين صبيبيتين :

ـ محطة "أيت أوشن" في أسافل "واد العبيد" عند ارتفاع يصل إلى 1200 متر تقريبا (مساحة الحوض عند هذه المحطة تصل إلى 2635 كلم^2).

ـ محطة "تلوگيت" عند أسافل "أسيف ملول" على ارتفاع 1100 متر وحوض تصل مساحته إلى حوالي 1690 كلم^2).

ـ يمكن اعتبار كمية هامة من التساقطات التي يعرفها الحوض لا تتعرض للتبخر وذلك ناتج عن عمليات الكرستة وعامل الارتفاع، ولهذا يمكن أن نستنتج أن نظام "واد العبيد" هو نظام تساقطي ثلجي متوسطي (Régime Pluvio-nival Méditerranéen).

ـ ومن خلال دراستنا للأرقام المتوفرة، يلاحظ أن هناك تباينا في المعدلات السنوية للصبيب يمكن تفسيره بتباين معدلات التساقطات بحيث أن ارتفاع الصبيب يتم بشكل متوازي مع زيادة التساقطات مع بعض الاستثناءات.

المحطة	متوسط الصبيب السنوي م^3/ث	أقصى الصبيب	أدنى الصبيب
أيت أوشن	7,68 م^3/ث	17,97 م^3/ث	1,86 م^3/ث
تلوگيت	10,24 م^3/ث	29,62 م^3/ث	4,66 م^3/ث

جدول رقم 1 : تباين الصبيب بين المحطات

كما أن هناك تباينا في التوزيع الفصلي للصبيب مع التساقطات وهذا يؤكد أهمية نشاط الدينامية الكارستية التي تعمل على تخزين المياه.

ولهذا فإن الصبيب يزداد قوة خلال فصل الربيع أي بعد فترة التساقطات التي تهم فصل الشتاء الذي يعرف بدوره ارتفاعا ملحوظا للصبيب.

الفصل	الخريف		الشتاء		الربيع		الصيف	
	الكمية م^3/ث	%	الكمية م^3/ث	%	الكمية م^3/ث	%	الكمية م^3/ث	%
	17	17,40	26,8	27,4	39,5	40.4	14.6	14,9

جدول 2 : تباين الصبيب حسب الفصول بمحطة "أيت أوشن" (1999-1977)

من الملاحظات كذلك أن الصبيب الشهري خلال الشهور الممتدة من يونيو حتى دجنبر لا يتأثر بالعجز في التساقطات، وهو ما يفسر الدور الكبير الذي تلعبه الدينامية الكارستية التي تعمل على تخفيف هذا النقص، ذلك أن العيون الكارستية تعمل على تفريغ خزاناتها خلال الفترات الجافة.

بالإضافة إلى هذا، فإن الثلوج التي تذوب خلال فصل الربيع تعمل على تغذية الفرشات الباطنية وبالتالي فإنها تؤثر على نظام الجريان بعد فصل الشتاء (الصبيب يبلغ أقصاه خلال شهري مارس ـ أبريل).

وفيما يخص استغلال المياه، يتم استغلال مياه "واد العبيد" وبالتالي مياه "بحيرة بين الويدان" في إنتاج الطاقة الكهربائية عبر شلال "افورار" (450م كيلوواط / ساعة) وشلال "بين الويدان (200 م كيلوواط / ساعة سنويا)، وتستفيد عدة مناطق من المغرب من الطاقة المستخرجة.

كما يتم الاستغلال بتحويل مياه "واد العبيد" المجتمعة في "سد بين الويدان" عبر نفق باطني (عبر جبل تازركونت) إلى "أفورار" حيث يتكون حوض كبير تتوزع منه القنوات لسقي قطاع "بني موسى".

بالإضافة إلى كمية مهمة تستعمل لسقي قطاع خارج المنطقة وهو قطاع "تساوت السفلى" عبر قناة تربط بين سهل تادلا وسهل الحوز (طول هذه القناة يصل إلى 93 كلم وصبيب يصل إلى 13 م^3 / ث).

خلاصة :

من خلال هذه الدراسة البسيطة لحوض تغذية "واد العبيد" ورغم أهميته المحلية والجهوية وحتى الوطنية، يتضح أنه يعرف تدهوراً مستمراً نتيجة قساوة المناخ خصوصاً خلال السنوات الأخيرة، تدهور الغطاء النباتي بشكل خطي، الضغط السكاني المتزايد على المجال، وزيادة الطلب على أراضي فلاحية ورعوية جديدة على حساب الغابة كل هذا

سبب في تعميم التعرية بكل أشكالها كما أثر بشكل خطير على الموارد المائية خاصة على مستوى بحيرة "بين الويدان" التي أصبحت تعرف توحلا خطيراً يؤثر بشكل واضح على مستوى "مخزون السد" بكل نتائجه الخطيرة (560 طن / كلم^2 / السنة).

J. Loup, *L'Oum - Er - Rebia, Contribution à l'étude hydrologique d'un fleuve marocaine*, Rabat, 1960.

أحمد زروال

ابن عبيد، **لفقير محمد** (قائد زمن الحماية) ينتسب إلى جماعة الطوال إحدى البطون القبلية المنتمية إلى اتحادية أولاد الحاج الظعن التي كانت جموعها تنتشر على نطاق أوسع في بلاد الظهرة إلى غاية مطلع القرن الرابع عشر متعاطية للرعي والترحال وفق ضوابط وأعراف جماعية منظمة. وقد كان محمد لفقير، وهو المنحدر من بيت عريق المحتد والتجلة، يحظى بتقدير وإجلال مشهودين في وسط عصبته، نظراً لما كان يحوزه من قطعان وافرة العدد من الغنم والإبل وأيضاً لما كان يتميز به نبل معشر وكرم ضيافة وقوة شكيمة، وهي خلال وقيم مكنته ليس فقط من أن يكون صاحب وجاهة وسلطة رمزية بين بني جلدته، وإنما صاحب شخصية مهابة الجانب، مسموعة الكلمة في جل أوساط قبائل أولاد الحاج الرحل وكذا تجمعات القصور الممتدة على جنبات وادي ملوية الأوسط من منطقة القصابي إلى حدود وادي عمار. وحسبنا أن نشير إلى أن الشيخ محمد لفقير قد تدخل غير ما مرة لفض النزاعات التي كانت تنفجر بين الفينة والأخرى بين الجماعات القبلية إما حول مصادر المياه أو حول المراعي الجماعية، كما شارك في مناسبات عدة عن طريق الاستشارة أو التحكيم في حل بعض الخلافات المستعصية الناجمة عن اقتراف بعض الجنح والمخالفات من قبل بعض الأفراد أو الجماعات.

ومما يؤثر عن الشيخ محمد لفقير ؛ قبل أن تسند إليه سلطات الحماية الفرنسية منصب القيادة، أنه كان أبرز من تزعم محلياً حركة ملاحقة أحد أدعياء الحكم كان قد حل بمنطقة أوطاط الحاج في أواخر القرن الثالث عشر زاعماً أنه أحد أبناء السلطان الحسن الأول. فاستقر أول الأمر عند أهل تكور ثم انتقل بعد ذلك إلى قصر أولاد عبد الكريم ليحط رحاله أخيراً في قصبة أهل أوطاط. ولم يتردد الشيخ محمد لفقير حينئذ في مراسلة هذا الدعي الذي كان يطلق على نفسه اسم "الروكي" وذلك حتى يعرف مقصده ويستكشف حقيقة أمره. فكان أن تبين له أخيراً أن هذا الشخص المتلبس إنما هو شخص يهودي مخادع ليس إلا. فبادر الشيخ عندئذ مباشرة إلى جمع قوات محلية من مختلف قبائل ملوية فتم الإجهاز على حركة هذا الفتان واحتز رأسه وبعث به إلى دار المخزن.

على أن أهم حدث طبع مسار حياة هذا الشيخ بطابع مميز ومخصوص - حسب ما ترويه الذاكرة الشفاهية المحلية - هو استقدامه للقوات الفرنسية من عين الحمراء بعد أن تمكنت من احتلال مدينة وجدة والمناطق المجاورة لها في خطوة أولى على طريق تنفيذ مخطط غزو التراب المغربي ككل. حيث وقع في هذا السياق مع إدارة الاحتلال اتفاقاً تعهد فيه - فيما يرجح - بعدم تعرض جحافل قواتها لأي شكل من أشكال المقاومة من طرف قبائل أولاد الحاج مقابل التزامها بإقرار "التهدئة" والأمن بين الجماعات المحلية التي لم تعد تحتكم إلا إلى لغة السيف والرصاص في ظل غياب أي تمثيل مخزني للسلطة الشرعية على النطاق المحلي. وتبعاً لمقتضيات ذلك الاتفاق، حلت القوات الفرنسية أول ما حلت بمنطقة تساف ثم انتقلت بعد ذلك للاستقرار "بالكرطي" بمركز أوطاط الحاج حيث أقامت هنالك إدارتها الاستعمارية التي ستلعب فيما بعد دوراً رئيسياً وعضوياً في إخضاع الساكنة المحلية ومطاردة جيوب المقاومة التي كانت تتخذ من مرتفعات الأطلس المتوسط منطلقاً لعملياتها المسلحة. ومكافأة له على هذا الصنيع عينت إدارة الاحتلال الفرنسي الشيخ محمد لفقير قائداً على أولاد الحاج جريا على نهجها السياسي المعروف في مثل هذه الحالات داخل مناطق أخرى عديدة. وبقي يزاول مهامه وفق ما تمليه عليه إرادته في توافق تام مع منطق الإدارة الاستعمارية إلى أن وافته المنية فعين خلفا له ابنه محمد بن عبيد المدعو بالكريط.

مراسلات من الأرشيف الفرنسي بدائرة أوطاط الحاج ؛ وثائق خاصة؛ رواية شفوية ؛ تحريات ميدانية.

ابن عبيد، **محمد لكريط** (قائد في فترة الحماية). ولد بمنطقة أوطاط الحاج 1880 وهو سليل أسرة معروفة بوجاهتها الاجتماعية في وسط جماعات أولاد الحاج الرحل منهم أو المستقرين على السواء. تولى منصب الشياخة منذ أن أسندت إدارة الاحتلال الفرنسي لأبيه محمد الفقير منصب قائد على قبيلته ثم عين بعد ذلك خلفاً له فور وفاته مباشرة عام 1922.

وقد تميزت طريقة إدارته لشؤون الأهالي على وجه العموم باللين تارة والمناورة تارة أخرى وذلك بحسب طبيعة الظروف والقضايا المعروضة على أنظاره. وقد مكنه هذا النهج في واقع الأمر ليس فقط من إقرار الأمن بين الناس أفراداً أو جماعات، ولكن أيضاً من الاستجابة في هدوء لأوامر ومطالب الإدارة الاستعمارية المحلية. ونظراً لما كان يحظى به الشرفاء أولاد سيدي عيسى من مكانة اعتبارية في الوسط القبلي المحلي بفعل ما كانوا ينعمون به من ظهائر التوقير والاحترام، فإن القائد لكريط لم يكن يقرب ساحتهم إلا بما يناسب مقامهم الاجتماعي والرمزي من تقدير ومواددة.

وبحكم ما كان يتمتع به من دراية واسعة ومعرفة دقيقة بمجالات حدود الأراضي والمراعي الجماعية التابعة لنفوذ قيادته قام بإيعاز من الإدارة الفرنسية بتقسيم الأراضي بين المشيخات الواقعة تحت إشرافه وتحفيظها بصفة قانونية، كما

اضطلع، من جهة أخرى، بدور أساسي في وضع تقسيم إداري محدد بإحداثيات مجالية لا تزال بعض معالمها قائمة إلى اليوم بين أراضي قيادته وقبائل : أيت بوشاون وبني گيل وأولاد جرار وأولاد علي وأولاد دخاوة وتكور ... الخ.

وقد استمر القائد لكريط في ممارسة مهامه في ظل نظام الحماية الفرنسية إلى أن حصل المغرب على استقلاله السياسي الوطني حيث تخلى عن منصبه إسوة بما فعل قواد آخرون في عدة قرى وبوادي مغربية مخلفا وراءه رصيداً غنياً ومتعدداً من الأعمال والممارسات لا تزال الذاكرة الجماعية المحلية تتداول تفاصيلها وتروي أطوارها إلى اليوم بصيغ وأشكال متفاوتة تمثلاً وتأويلاً من سياق إلى آخر ومن شخص إلى آخر.

وثائق محلية، روايات شفوية، مقابلات ميدانية.

الفقيه الإدريسي

عبيدات الرما، طوائف شعبية تمارس أنماطا من الفنون الاستعراضية. وقد كانت حتى مطالع القرن العشرين منتشرة في أنحاء عدة بمدن المغرب وقراه ثم تقلص عددها في العقود الأخيرة ولم يعد لها وجود إلا في بعض المناطق كمنطقة زعير.

ويقال بأن أتباع هذه الطائفة ينتسبون إلى زاوية الشيخ سيدي علي بن ناصر الذي أسس زاوية الرماية بمراكش في القرن الحادي عشر.

وفي دراسة أنجزها الأستاذ علال الخديمي ذهب إلى القول بأن تسمية "اعبيدات الرما" ضاربة في أعماق التاريخ المغربي وفي الثقافة الشعبية، وأنها تحيل مباشرة على معاني الرماية والجهاد والفروسية والانتظام في جماعة متعاونة ترتبط ممارساتها بسلوكات أخلاقية معينة مازالت بعض معالمها حية وباقية إلى اليوم لدى جماعات الرمي المنظمة لغرض الصيد والقنص".

تتخذ طائفة اعبيدات الرما مظهراً عسكرياً يتجلى في حمل أعضائها للبنادق، ولعل ذلك ما يفسر نسبتهم إلى (الرما) وأنهم كانوا في الأصل رماة يتدربون على الرماية بالبنادق استعدادا للمقاومة، وهي تجمع إلى مظهر العسكري مظهر الفرجة الاستعراضية التي يشترك جمهور المتفرجين في تنشيطها من خلال اقامتهم لحفلة (المعروف) التي يحتفون فيها بأعضاء الطائفة.

ويبدو أن المواضيع التي واكبت نشاط هذه الطائفة كانت في البدء تتمحور حول الإشادة بأعمال الجهاد والفروسية والقنص، ثم تحولت بفعل انقطاع أسباب الجهاد إلى ما يتصل بالترويح عن النفس وأمور الهزل وحكايات العجائز والاحتفال بمحاصيل الصابة واقتسامها، إضافة إلى موضوعات أخرى تتناول النقد الاجتماعي اللاذع من قبيل التعريض بالكسول، وبذلك تحولت فرجات اعبيدات الرما إلى مشاهد تشخيصية تبرز فيها المواهب ويتدفق عبرها الكلام ما بين خطاب مستفز وحوار أخاذ.

ومن خلال متابعة أطوار العرض الفني لعبيدات الرما يلاحظ أنه يتوخى إثارة فضول الجماهير واستقطاب اهتمام الحاضرين وتحريك إعجابهم وانبهارهم، ومن أجل ذلك فهم "يزينون رؤوسهم بقلنسوات مزخرفة بأصداف الحلزون زخرفة مضحكة، ومن ورائهم يتدلى ذنب الثعلب، وقد يرتدي الواحد منهم كسوة نسوية". والمشاهد بصفة عامة تتوالى فيها الأدوار التمثيلية والموسيقية على نحو متكامل بحيث يتخلل الأدوار الهزلية ضرب المقص والنقر على الطار والتعريجة والنفخ في الناي فإذا انتهى العرض وانفض الجمهور عاد مقدمو الطائفة إلى زواياهم ليقضوا ليلتهم في التسبيح والتهليل والصلاة على النبي صلعم.

وقد أورد المستشرق اميل لاووست في مجموعة (قصص المغرب البربرية) وصفا حيا لفرجات "اعبيدات الرما" فأشار إلى أنهم يختمون حفلاتهم يوم الجمعة بقراءة الفاتحة في محفل كبير، يؤدونها أمام بساط مفروش عليه برنس، وحوله يقف المقدمون والشرفاء ثم يلقون بهداياهم وعطاياهم. وبعد نهاية الفرجة يحمل اعبيدات الرما بنادقهم ويؤمون شط النهر حيث نصبت أهداف الرماية، فيشرعون في تصويب بنادقهم نحوها، ثم يوشحون الرامي المتفوق على عمامته.

ع. الله بنشقرون، *فجر المسرح العربي بالمغرب*، تونس، 1988، ص. 41 - 46 ؛ ع. الخديمي، *أصول الرماية والرمي في التراث الشعبي*، مج. *المناهل*، س. 25، ع 64 و65، شعبان 1422 ماي 2001، ص. 470 - 480 ؛ ع. الله، شقرون، مج. *الفنون*، س. 1 ع 7 و8 مايو - يونيو، 1974، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن **عبيدة**، أبو **بكر محمد** هو محمد بن عبيدة الله الأنصاري الاشبيلي السبتي. يكنى أبا بكر وأبا عبد الله. ولد بإشبيلية يوم عيد الفطر سنة 627 / 1230. يشير إليه ابن رشيد في رحلته بالأستاذ المقرئ الأديب النحوي البارع. (*بغية الوعاة*، 1 : 170). استقر بسبتة. أخذ عن جملة من الأساتذة منهم أبي الحسن علي ابن الدبَّاج، وأبي محمد فضيل المقرئ، وأبي محمد بن ستاري، وأبي عبد الله ابن المحلي السبتي، وأبي الحسن الزيات، وابن أبي الربيع (*درة الحجال*، 2 : 259). وتتلمذ عليه جملة من الفقهاء من بينهم محمد بن عبد الله بن عبد العظيم بن أرقم النميري (*الإحاطة*، 3 : 89). له نظم. توفي بسبتة في رابع عشر القعدة سنة 706 / 1307، ودفن بالمقبرة الكبرى في سفح جبل الميناء منها (*درة الحجال*، 2 : 259 ؛ *اختصار*، 17).

الأنصاري، *اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار*، تح. عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1403 / 1983، ص. 17 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال في أسماء الرجال*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، 1391 / 1971، الجزء الثاني، ص. 27 و259 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، الجزء الثالث، ص. 89 ؛ ابن القنفذ، *شرف الطالب في أسنى المطالب*، محمد حجي، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1396 / 1976، ص. 15 ؛ السيوطي، بغية

الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، الجزء الأول، ص. .

زليخة بنرمضان

أيت **عتاب**، يتضح من خلال الإشارات الواردة في تضاعيف مصادر التاريخ والأدب أن مجال أيت عتاب كان مأهولا منذ عصور سحيقة. فلما غزا عقبة بن نافع بلاد المغرب أواسط القرن الهجري الأول كان مجالهم من ضمن تراب قبيل هسكورة البربري. على أن عتاب كعلم لم يكن أبدا بربريا، ليس فقط لأن صيغته عربية، ولكن أيضا لأنه من بين أسماء الأعلام العربية التي اشتهر بعضها في مختلف المصادر. فمتى بدأ إطلاق هذا الاسم على سكان ذلك المجال ؟

لا شك في أن هذا التساؤل يفضي إلى تساؤل آخر، وهو من يكون عتاب هذا ـ إذا افترضنا أنه شخص ـ الذي انتسبت إليه هذه القبيلة ؟ فهل يكون ذلك الشخص من بين العرب الذين دخلوا المغرب في عهد يعقوب المنصور الموحدي ؟

لا نستطيع أن نتمادى في التساؤل، لأن معظم أسماء القبائل التي درجت المصادر على إلحاقها بأعلام بشرية لاتزال مثار أخذ ورد ؛ وكل ما تحصل إلى حد الآن لا يتعدى نطاق اجتهادات محتملة، في أغلبها. وإذا سلكنا مسلك من اعتقد أن عتاب ينتمي إلى بني جابر، من بني هلال العربية المعروفة (عيسى العربي، *قبيلة أيت عتاب*، ص. 23)، فكيف انتقلوا إلى ذلك المجال واستوطنوه، وأخذوا لسانه ؟

هذا السؤال وغيره من الأسئلة المهمة لا تزال المصادر المعروفة، إلى حد الآن عاجزة عن أن تجد لها أجوبة شافية.

والغالب على الظن أن اسم أيت عتاب لم يتردد في المصادر العربية المعروفة إلا انطلاقا من القرن العاشر (16 م)، حيث تحدث عنها الحسن الوزان كمدينة أسسها الأفارقة (وصف *إفريقيا*، 1 : 145). وتكاد الأوصاف التي أسبغها على سكانها ومجالهم تطابق ما هم عليه الآن. وهي الأوصاف نفسها التي تكررت لدى مارمول فيما بعد (*إفريقيا*، 2 : 119). لكن أي واحد منهما لم يتحدث عن أيت عتاب القبيلة. فهل ظهر أيت عتاب كاتحادية قبلية، في سياق الاتحاديات التي تكونت في ذلك العصر ؟ نطرح هذا السؤال ونحن ننطلق مما شهده المغرب من "شغور في الأحكام"، على إثر انحلال عرى الدولة المغربية، في أواخر العهد المريني والعهد الوطاسي ؛ وظهور الأحلاف القبلية الكبرى ـ كأيت عطا ـ في الأطراف والجهات النائية، إما بهدف الدفاع عن مجالاتها (من أراض ومراع)، أو من أجل غزو مجالات جديدة، في سياق التدافع مع القبائل الأخرى.

وأيا ما كان الأمر، فإن ذكر أيت عتاب ما فتئ يتردد في المصادر المعروفة منذئذ، لأن موقعها غير بعيد عن الطريق التجارية الواصلة، عبر التاريخ، بين العواصم المغربية، وبين المغرب وبلاد السودان. أي أنها تقع ضمن المجال الذي يكون صلة الوصل بين الشمال والجنوب.

ومن ثم لا نستغرب إذا علمنا أنه بالقرب من ذلك المجال وقعت أكبر المعارك الحاسمة بين جيوش الدول الآيلة إلى السقوط والدول الصاعدة. وبناء على ذلك، ورد ذكر أيت عتاب في سياق معظم الأحداث التي عرفتها تلك الجهة، عند الإفراني والريفي والضعيف والزياني والناصري وابن زيدان وغيرهم. وأشار عيسى العربي إلى أن حفدة مولاي عيسى بن إدريس وحفدة عبد القادر الفاسي يتوفرون على مجموعة من الظهائر المنعم عليهم بها من لدن سلاطين السعديين والعلويين (*قبيلة أيت عتاب*، ص. 26).

ومن تلك الإشارات والمعلومات الواردة في المصادر والوثائق يتضح أن أيت عتاب قبيلة بربرية، ينتمي لسانها إلى مجال الاتصال بين مصمودة وصنهاجة. وتقع مواطنها في هضاب الأطلس المتوسط الغربي، على الضفة اليمنى لوادي العبيد. وتتوسط قبائل هنتيفة وأيت مساض، في الجنوب والجنوب الشرقي، وأيت بوزيد، في الشرق، وبني عياط، في الشمال.

تتكون قبيلة أيت عتاب من أحد عشر فخذا وهي :

ـ أسمسيل، ويضم هذا الفخذ عدة فرق، من أشهرها أولاد معمر تزروالت وأيت دحان وبوكوت وبوزرگان وبوگنفو وأيت بنداوة.

ـ تسقي، وينضوي تحته أولاد سعيد وأيت حموحقي وأيت عبو وإحلوان وفم الزاوية وإغير وأيت بومليك وأيت بويحيى وتاوريرت.

ـ أيت عيسى، ومن بين فرقه أولاد غنام وأيت يحيى وأيت عياش. وهذه الأفخاذ الثلاثة كلها في الناحية الغربية من أيت عتاب.

ـ أيت يحيى، وأشهر بطونه، أيت حدو

ـ أيت إغص، ومن أشهر فرقه، أيت وابيت

ـ أيت طوطس، ومن أشهر فرقه، أيت عبد السلام

ـ أيت يعزم، ويشتهر به فرقتان، أيت يشو وأيت عبد الوافي

ـ أيت أومعلا، وبه فرقة تسگدلت

ـ أيت وقدير، وبه إنغماس وتاونزة وتامريغت

ـ أيت وزگان، وأشهر فرقه، أيت وشاد. وتقع الأفخاذ السبعة سالفة الذكر في الجهة الوسطى.

ـ إخرخوضن، وبه فرقتان، حنضور وأخداش. وتمتد مواطن هذين الفخذين في الناحية الشرقية من أرض قبيلة أيت عتاب. والجدير بالملاحظة أن السلطات الفرنسية في أثناء أعمال الإحصاء التي قامت بها، لم تثبت إلا عشرة أفخاذ، مستثنية فخذ أيت عيسى *(Répertoire alphabétique)*.

ومن بين أهم مميزات قبيلة أيت عتاب، أنها من القبائل التي شهدت اختلاطا كبيرا في العناصر المكونة لسكانها. ففضلا عن العنصر البربري، المصمودي ـ الصنهاجي، بما انضاف إليهم من مختلف القبائل المجاورة، فهي تضم عددا لا يستهان به ممن يتكلمون اللسان العربي ؛ حتى إن المرء، في بعض الفرق، لا يكاد يميز هل هو موجود في جهة بربرية

أو عربية. كما اشتهرت أيت عتاب من بين أقدم المناطق التي استوطنها العنصر اليهودي.

ولعل شدة الاختلاط التي ميزت أيت عتاب راجعة بالدرجة الأولى إلى وقوعها في مجال عبور، طوال فترات تاريخية مديدة. أشرنا قبل إلى أن تراب القبيلة العتابية لا يبعد عن الطريق الواصلة بين الشمال والجنوب، وهي الطريق التي كانت مطروقة بكثافة منذ العهد المرابطي على الأقل. كما أنها غير بعيدة عن الطرق الجبلية الأخرى، ولاسيما طريق دادس - أحنصال. إلى جانب ذلك، بينا في دراسة سابقة أن أراضي أيت عتاب تقع في مجال عبور اتحادية أيت عطا، التي لا نشك في أن اكتساحها لذلك المجال، ولاسيما في أثناء فتور السلطة المركزية، كان يترتب عنه تحريك عناصر من القبائل الواقعة في طريقها، وقد ينتهي بها الأمر إلى الاستقرار حيث تجد بعض وسائل العيش، كما هو الحال في أيت عتاب الذين يتوافر في أراضيهم نماء وخصب (مقدمة تحقيق الدرة الجليلة). ومما ترتب عن هذا الموقع الوسط، أن عدة قبائل عبرت مجال أيت عتاب في أثناء الأزمات الدورية التي كانت تنزل بالبلاد، فتؤدي إلى هجرات كبيرة بين شمال البلاد وجنوبها.

ونتيجة لما ذكر، حافظت قبيلة أيت عتاب على تماسكها وكثافتها السكانية منذ ظهورها، في القرن العاشر (16 م). فقد شهد مختلف الرحالين والكتاب الذين زاروا تلك الجهة أو تحدثوا عنها، بكثرة سكانها. وإذا استندنا إلى تقديرات هؤلاء، نستنتج أن عدد السكان عند الحسن الوزان حوالي 5000، ومارمول 10000، ودوفوكو وكيدنفيلد 6000.

وبعد فرض الحماية على المغرب، قامت السلطات الاستعمارية بثلاثة إحصاءات كانت نتائجها كالآتي :
1931 : 17.522 ؛ 1936 : 21.766 ؛ 1952 : 22.831 ؛ ليرتفع هذا الرقم، بعد الاستقلال، إلى 31.212 سنة 1971 و33.199 سنة 1982.

بقي أن نشير إلى أن قبيلة أيت عتاب شاركت في جل الأحداث التاريخية التي عرفها المغرب منذ العصور السحيقة، واستأثرت بعناية كل الدول المتعاقبة على الحكم في بلاد المغرب منذ القرن العاشر (16 م).

في هذا السياق نذكر أن قبيلة أيت عتاب أنجبت عددا من الأعلام تركوا بصماتهم، وبرزوا في الميادين العلمية والصوفية والسياسية والعسكرية والاقتصادية. منهم محمد بن سعيد العتابي السلاوي، المتوفى عام 1033 / 1622، من أصحاب الشيخ عبد الله بن حسون السلاسي (*الإتحاف الوجيز*، ص. 97). ومنهم الباشا أحمد العتابي، أحد أشهر قواد السلطان المولى إسماعيل. ومنهم محمد العتابي، الرحالة أحد علماء القرويين ؛ وهو غير محمد بلحاج العتابي، المقاوم المتوفى سنة 1972 (ع. العربي، ص. 174). ومنهم المعمر الفقيه المجوجكي، محمد بن علي بن الرامي (المتوفى سنة 1977) ؛ الفاضل العالم الذي بلغ درجة الإفتاء.

هذا، علاوة عن عدد من الأعلام العتابيين من أهل القرن الثاني عشر (18 م) - من أيت وزكان وأيت طوطس وتزملت - الذين انخرطوا في سلك الطريقة الناصرية ؛ وكانوا من الفقهاء وحفظة القرآن الكريم. وإلى هؤلاء يرجع الفضل في الحفاظ على التوازن في تلك الجهة، بما قدموا إلى السكان من خدمات، كنشر التعليم والدعوة إلى الله والوساطة في النزاعات.

ولما فقد المغرب استقلاله، كانت أيت عتاب من القبائل التي تم احتلالها في أواخر سنة 1916 ؛ حيث زحفت عليها القوات الفرنسية، انطلاقا من قصبة تادلا ومن مراكش، بأمر من الجنرال دولاموث (*قبيلة أيت عتاب*، ص. 178). فاعتبرت منطقة عسكرية، وكل أمرها إلى ضابط للشؤون الأهلية.

البيدق، *المقتبس* ؛ ابن الزيات، *التشوف* ؛ ابن خلدون، *العبر* ؛ الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ مارمول، *أفريقيا* ؛ الإفراني، *نزهة الحادي* ؛ القادري، *نشر المثاني* ؛ الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ الزياني، *الترجمانة* ؛ *البستان الظريف* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس* ؛ أ. التوفيق، إيشولتان ؛ م. بوسلام، *قبيلة بني ملال* ؛ عيسى العربي، *قبيلة أيت عتاب*.

Répertoire alphabétique.

أحمد عمالك

عتاب، ثائر ارتبط اسمه بثورة الموحدين أدت إلى تخريب مدينة داي، ورغم ذلك فلم يرد ذكره إلا عند ابن الزيات التادلي في إشارات عرضية، لذلك لا نستطيع تحديد اسمه الكامل ولا ملامح شخصيته على وجه الدقة. قام عتاب بانتفاضة ضد الدولة الموحدية في بداية عهد يوسف بن عبد المؤمن، وبالضبط سنة 559 / 1164، انطلاقاً من مدينة داي التي كانت مركزاً صوفياً نشيطاً. وأدت هذه الانتفاضة إلى قيام الموحدين بمطاردة "أشياخ المريدين بسبب ما نسب إلى عتاب، حين قيل إنه يطلب الملك، فقتل وطلب أصحابه" (*التشوف*، 394)، وقمعت حركته بقسوة تسببت في خراب المدينة وجلاء أهلها وافتراقهم في البلاد، ربما لتضامنهم مع الانتفاضة، أو فقط كإجراء تخويفي من إجراءات الموحدين.

اتسمت الظرفية التي ثار فيها عتاب بقدر كبير من الارتباك، فبعد وفاة عبد المؤمن سنة 558 / 1163 توقف عن بيعة ابنه يوسف "قوم من أشياخ الموحدين، وامتنع من بيعته أخواه السيد عبد الله صاحب بجاية والسيد محمد صاحب قرطبة، فكف عنهما ولم يطلبهما بالبيعة وتسمى بالأمير، ولم يتسم بأمير المؤمنين حتى اجتمع الناس عليه" (*روض القرطاس*، 208)، ولم تتم له البيعة النهائية إلا سنة 561 / 1166. وقد عرفت سنة 559 / 1164 التي وقعت فيها أحداث داي اندلاع ثورة كانت أكبر وأشد تنظيماً هي ثورة مرزدغ الغماري الصنهاجي، الذي تبعته قبائل صنهاجة وغمارة

وأوربة، وزحف في اتجاه فاس فدخل مدينة بني تاودة. كما عرفت نفس السنة اندلاع ثورة تادلا بزعامة قبائل صنهاجية أخرى. ويبدو أن عتاب قد أدرك خصوصية الظرف وأراد اقتناص فرصة مواتية للاستفادة من ثورة تادلا، ليقود انتفاضة مدينته ضد أمير متفق على بيعته حتى بين إخوته وأشياخ دولته، لكن قرب المنطقة من مراكش عاصمة الموحدين جعل القضاء على هذه الانتفاضة سهلاً إلى حد ما.

وباستثناء السياق الذي وقعت فيه الحادثة فإن المصادر لا تسعف بشيء يمكن من إزاحة الغموض عنها. وقد رجح الأستاذ أحمد التوفيق أن يكون لحركة عتاب "سند من العصبية، وقبائل تادلا مرشحة لها لأكثر من سبب ... وقبائل المنطقة كلها صنهاجية وليست من المصامدة الذين أيدوا الموحدين" (*التشوف*، مقدمة التحقيق، 20)، وافترض أن قبيلة أيت عتاب المجاورة لمنطقة داي تنسب إليه.

من المؤكد أن مثل هذه الانتفاضات والثورات كانت الرسائل الموحدية والمصادر التاريخية المعاصرة تحرص على ذكرها ولو بإشارات مقتضبة من منطلق تسجيل انتصارات الخلافة على المخالفين، لكن إذا أخذنا بعين الاعتبار أن تحرك عتاب تزامن مع تحركات أخرى، فلا يبعد أن تكون المصادر قد اعتبرته جزءاً من انتفاضة تادلا، فلم تفرده بالحديث لهذا السبب.

لقد جاءت هذه الحادثة الغامضة في مرحلة تحول خطير بالنسبة للدولة الموحدية هي مرحلة وفاة عبد المؤمن وانتقال الحكم إلى ابنه يوسف، وعادة ما كانت هذه الفترات الانتقالية تعرف نشوب ثورات هنا وهناك. ويظهر أن الموحدين ربما استغلوا مشاركة بعض المريدين في ثورة أهل داي ليوسعوا دائرة مطاردة أهل التصوف من أبناء المنطقة، فطوردوا مع من طورد من أصحاب عتاب وفر بعضهم إلى المشرق، ولا شك أن مصير عدد منهم كان هو القتل، كما حصل لعتاب الذي قتل في ظروف غامضة في نفس السنة.

ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب*، الرباط، 1972، ص. 208 ـ 210 ؛ ابن الزيات، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، 1984، ص. 20 ـ 168 ـ 394 ـ 395 ـ 402 ؛ *أخبار أبي العباس السبتي*، ص. 466 ؛ البيدق، *أخبار المهدي*، الرباط، دار المنصور، 1971، ص. 86 ؛ م. العمراني، *الفتن والتمردات بالمغرب الأقصى والأندلس خلال القرن السادس الهجري (12 م)*، رسالة د. د. ع، تاريخ، كلية الآداب بالرباط، 1996، ص. 188 ـ 196.

E. R. Gauthier, *Madinat - Oudai, Hesp.*, 1926, t. IV, 1er trim..

محمد المغراوي

العتابي، أحمد بن **يشو**، الملالي ثم العتابي، نسبة إلى أيت عتاب القبيلة المعروفة الواقعة مواطنها غربي الأطلس المتوسط، جنوبي بني ملال. ينحدر العتابي من أيت ابن يشو، المنضوين اليوم تحت لواء مشيخة تسقي. أخذ المترجم الطريقة الناصرية عن الشيخ الحسن بن مسعود اليوسي، الذي كان قد ندب نفسه لتلقين الورد الناصري لمن لم يستطع الوصول إلى تامگروت.

ولعل العتابي رحل إلى درعة حيث أخذ الورد، مرة أخرى، عن الشيخ أحمد ابن ناصر، كدأب سائر مريدي ذلك العصر. كان هذا الرجل من بين تلاميذ الناصريين الذين عملوا على ترسيخ التعاليم الإسلامية واللغة العربية لدى سكان الجهات النائية ؛ في عهد كان قد عرا السلطة فتور كبير، واستشرت الانحرافات التي لم ينج منها الميدان الديني نفسه.

وكما لا نعرف شيئا عن ميلاده ونشأته، لا نعرف تاريخ وفاته ؛ على أننا نرجح أنه توفي فيما بين 1182 و1204 / 1768 و1790.

م. الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ *التحري الميداني*.

العتابي، الباشا أحمد، أحد قواد السلطانين المولى إسماعيل والمولى عبد الله. اشتهر بالحركة التي قادها ضد زاوية أحنصال بأيت مضريف، حيث أضرم النار فيها، وطارد أتباعها من أيت عطا ـ نُ ـ مالو، وأخلى قصبة ووزغت. وهذا هو المتداول إلى حد الآن ؛ في غياب المصادر الكفيلة بكشف حقيقة هذه القضية. ويظهر أن نفوذ الباشا العتابي كان ممتدا على مجال واسع، يتجاوز أيت عتاب ليصل إلى أيت مساض وأيت بوزيد، وقسم من هنتيفة الجبل ؛ من القبائل المجاورة في الشرق والجنوب. وبصدد تاريخ وفاته نرجح أن يكون في صدر دولة المولى عبد الله الثالثة ؛ أي فيما بين 1145 و1151.

وثائق من زاوية كرول، بالقرب من دمنات ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ *التحري الميداني*.

أحمد عمالك

العتابي بلحاج، ابن زاهر محمد، مقاوم ولد حوالي 1914، بدوار أولاد معمر بمشيخة اسمسيل بأيت اعتاب. حفظ ما تيسر من القرآن الكريم في كتاب قريته، ثم التحق بزاوية سيدي إبراهيم البصير في بني عياط من أجل متابعة دراسته.

وعندما حلت المجاعة بالمنطقة انتقل مع أمه إلى بلاد زيان، وبعد مدة من الزمن، غادرها متوجهاً نحو سطات، فالدار البيضاء التي حل بها في سنة 1930، حيث تعلم هناك مهنة ميكانيك كهرباء السيارات. وفتح محلا خاصا به في "گراج علال". وفي هذه المدينة احتك بلحاج العتابي بالحركة الوطنية فانخرط في صفوفها، إذ انضم إلى الحزب الوطني عام 1934. ثم بعد تأسيس حزب الاستقلال أسندت إليه مسؤولية مكتبه بالحي الصناعي في الدار البيضاء سنة 1944.

وفي عام 1953 ـ وبعد نفي جلالة الملك محمد الخامس ـ أصبح من بين المنظمين الرئيسيين لحركة المقاومة السرية إلى

جانب مقاومين كبار أمثال محمد الزرقطوني، الذي كانت تربطه به علاقات طيبة للغاية. ولذلك كان عضوا في إحدى المنظمات السرية تسمى "منظمة الهلال الأسود". ولهذا صنفه محمد الفرقاني ضمن القيادات البارزة للحركة الوطنية (*الثورة الخامسة*، ج. 1، ص. 352).

ومن الخدمات الجليلة التي قدمها بلحاج العتابي لهذه الحركة، أنه جعل من محل عمله ورشة لصناعة القنابل التي يقوم الفدائيون بتفجيرها في مختلف الأماكن، حيث تحدث رعبا قويا وارتباكا كبيرا في صفوف المحتلين الفرنسيين ومن في خدمتهم من خونة ومتعاونين مغاربة (الفرقاني، م. س. 287).

وكنتيجة لتحركاته المكثفة ونشاطاته الواسعة في أكثر من مدينة في ميدان المقاومة والنضال، تعرض لاستنطاقات متعددة من قبل المسؤولين الفرنسيين، الذين أصدروا في حقه عدة أحكام بالسجن والنفي.

ولما تبين لبلحاج العتابي أن أمر الوطنيين المنخرطين في خليته قد اكتشف من قبل سلطات الاحتلال سنة 1954، وهي السنة التي استشهد فيها محمد الزرقطوني، فر مع مجموعة من المقاومين إلى المنطقة الشمالية للمغرب الخاضعة للاحتلال الإسباني، وهناك تابع نضاله الوطني، حيث قام بعدة مهام تناسب ما تميز به من شجاعة وإقدام وغيرة وطنية، ومن تلك المهام المهمة التي أسندت إليه والمتمثلة في الإشراف على شؤون اللاجئين المغاربة الذين فروا من منطقة الحماية الفرنسية. كما قام بربط الاتصال ببعض قادة الحركة الوطنية، وعلى رأسهم علال الفاسي الذي كان مقيما في القاهرة بمصر، إذ كان يوجه إليه تقارير دورية وفي مختلف المناسبات يخبره فيها بالأحداث المستجدة في ظل الاحتلال الفرنسي على وجه الخصوص.

وعندما تم تشكيل هيئة لأركان الحرب بتطوان، أصبح بلحاج العتابي أحد أعضائها النشيطين، وقد لعبت هذه الهيئة دورا طلائعيا في إدارة شؤون جيش التحرير. وأسهم أيضا بفعالية في تزويد المقاومين بالسلاح عن طريق تهريبه، وذلك قصد تنفيذ عملياتهم البطولية وتوجيه ضربات موجعة لجيش الاحتلال وعملائه.

وعندما حصل المغرب على استقلاله، وأدمج جيش التحرير في القوات المسلحة الملكية، تم تعيين بلحاج العتابي ضابط احتياط برتبة قبطان. كما عينه جلالة الملك محمد الخامس عاملا على إقليم الشاون، ثم على إقليم الناضور. وكان المواطنون يقدرونه ويحترمونه لما اتسم به من استقامة وتواضع، ومما كان يقوله حسب ما صرح به صديقه المقاوم إبراهيم النصر "دار العامل ما هي إلا دار للشعب، ونحن لا شغل لنا سوى خدمة مواطنينا بكل صدق وتجرد".

وبعد ذلك تقلد مسؤوليات أخرى في المجلس البلدي ومجلس عمالة الدار البيضاء، وانتخب عضوا في مجلس المستشارين ومجلس النواب.

وبذلك كله يمكن القول بأن المجاهد بلحاج العتابي نجح إلى حد بعيد في جهاديه الأصغر والأكبر على السواء.

توفي رحمه الله تعالى في شهر شعبان 1392 الموافق لشهر أكتوبر 1972.

م. الحبيب الفرقاني، *الثورة الخامسة*، صفحات من *تاريخ المقاومة وجيش التحرير*، طبعة 1990، ج. 1، ص. 17، 287، 352 - 353 ؛ الحسن العرائشي، *انطلاق المقاومة المغربية وتطورها*، الرباط 1982، ص. 17، 35، 92 ؛ م. التجكاني، *دار بريشة أو قضية مختطف*، مراجعة وتقديم الحاج أحمد معنينو، طبعة 1987، ص. 55 - 56، 58، 62، 86 ؛ ع. الله الصنهاجي، مذكرات في تاريخ حركة المقاومة وجيش التحرير المغربي من 1947 إلى 1986، طبعة 1987 ؛ عز الرحيم الورديغي، *المقاومة المغربية ضد الحماية الفرنسية 1952 - 1956*، طبعة 1982، ص. 139 ؛ ع. الحفيظ الهلالي، *عمليات فدائية لمنطقة الهلال الأسود*، مجلة المقاومة وجيش التحرير، عدد 3 دجنبر 1981، ص. 19 ؛ م. س. لقدماء المقاومين وأ. ج. التحرير : سلسلة أحداث ملحمة الاستقلال، الوثائق 2 ص. 140، الوثيقة 3 ص. 77 ؛ عيسى العربي، *مقاومة سكان قبيلة أيت عتاب ضد الاحتلال الفرنسي 1908 - 1956*، مطبعة الرباط، ط. 1 يونيو 1995، ص. 180 - 193.

عبد العزيز الضعيفي

العتّابي، محمد من رواد الحركة الوطنية المغربية، درس بفاس وكان على صلة وثيقة بالشيخ السلفي أبي شعيب الدكالي منذ كان يدرس عليه بالقرويين، ثم عمل معه كاتباً حين أصبح الشيخ وزيراً للعدل علي عهد السلطان عبد الحفيظ. ولما عمل الفرنسيون على إقصائه بعد فرض الحماية، ثارت ثائرة العتابي فتوجه إلى المشرق سنة 1332 / 1913 وحج، وبعد سنين دخل إلى عاصمة الخلافة العثمانية الآستانة وانضم إلى الشخصيات الشرقية والمغربية النازلة بها والساعية إلى تحرير الأوطان والشعوب تحت ظل الجامعة الإسلامية، وفي مقدمتهم الوطني التونسي الكبير عليّ باش حامية الذي أصبحت له حظوة وكلمة مسموعة لدى رجال الدولة، فقد سهّل على العتابي ماموريته النبيلة حتي حضر لدى الخليفة محمد رشاد الخامس وأحاطه علماً بأخبار المغرب وأحداثه، وما يقاسيه السكان تحت السيطرة الأجنبية وأحوال المقاومة المسلحة المنتشرة آنذاك في أكثر الأقاليم سهلاً وجبلاً.

بعد ذلك سافر العتابي إلى ألمانيا التي كانت تخوض الحرب ضد فرنسا وحلفائها. وقد استضافته الدولة في برلين وحاولت أن تسخره لخدمة أغراض سياستها الرامية إلى فتح واجهة سياسية وحربية في المغرب، لكنه رفض كل مالا يتفق وخطته الوطنية التحريرية الهادفة إلى الاستعانة بألمانيا

لصالح المعارضة والمقاومة بالمغرب، فعاد إلى تركيا. ولما اعترف المؤتمر الإسلامي المنعقد بالآستانة باستقلال المغرب - بسعي من محمد العتابي - حرص على ألا يحتفظ بقراراته كحبر على ورق فسعى إلى الدعوة لمقرراته حينما عهد المؤتمر إلى فريق من أعضائه بالسفر للخارج قصد التجول في مختلف الدول الملتزمة للحياد في الحرب العالمية الأولى كالدانمارك والسويد والنرويج للتعريف بمقررات المؤتمر وتنوير الرأي العام بخصوص قضايا العالم الإسلامي عامة، وخاصة المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر. لقي وفد المؤتمر كل مساعدة وأفسح له المجال للدعوة بوسائل الاتصال والنشر، وكان من أعضائه محمد العتابي وعلي باش حامية وشكيب أرسلان، فضح العتابي خطة فرنسا وإسبانيا في المغرب وساعده رفاقه في ترجمة بياناته وكتاباته إلى اللغات الأجنبية، ورددت الصحافة حتى في باريس أصداءها، لذلك أدانته السلطة الفرنسية بواسطة المحكمة العسكرية وأصدرت ضده حكماً غيابياً بتحريم عودته إلى المغرب وبالاستيلاء على ممتلكاته .. تابع العتابي نشاطه ونجح في استصدار قرارات هامة من المؤتمر المنعقد في اسطوكهولم عاصمة السويد سنة 1917 بإعلان استقلال المغرب التام وضم إقليم شنگيط إلى المغرب ومناشدة دول الحياد للعمل حتى يصبح الاستقلال المغرب مطلباً نافذاً. وكان العتابي يعمل في نفس الوقت للاتصال بمن في داخل المغرب من المهتمين مثله بقضية الحرية، كرجال المقاومة المسلحة، وكاد أن يظفر من دولة الخلافة بما طلبه للثورة الداخلية من إسناد بالرجال والأسلحة حيث وقع الاتصال بالسلطان السابق عبد الحفيظ بمدريد ليتولى زعامة الحركة الجهادية لكنه لم يقبل لأسباب خاصة به. وبعد ذلك طرأت أحداث في الشرق العربي وأوربا الشرقية : ثورة الملك حسين بالحجاز بإيعاز من الأنجليز والتحاق لبنان وسوريا به، وانفصال رومانيا وبلغاريا عن الدولة العثمانية بتدبير من الحلفاء لإلحاق الهزيمة بها كحليفة لألمانيا في الحرب وكدولة تتزعم العالم الإسلامي وتحكم أقطاراً مسيحية في أوربا، فتضعضعت الدولة العثمانية وتعرضت هي نفسها للاحتلال في أطرافها.

هكذا ضاع الأمل في إعانة تركيا للمجاهدين المغاربة واضطر محمد العتابي في نهاية الحرب إلى مغادرة الآستانه والنزول بمصر لدى ملكها فؤاد الأول. وقد قال عنه الزعيم محمد حسن الوزاني في نهاية هذه الترجمة الحافلة التي خصه بها ومنها أخذنا هذا المختصر :

"أسهم العتابي باسم المغرب والنخبة الواعية المخلصة من رجاله في جميع حركات النهضة الإسلامية والسياسية في المشرق خاصة لصالح قضية الحرية ... وبهذا خلّد ذكره في سجل التاريخ واستحق تقدير وطنه والأجيال المغربية التي عاصرته أوجاءت من بعده ... أوذي في سبيل الله والواجب الأقدس، فحكم عليه قضاء الاستعمار بالتغريب والمصادرة عقاباً واقتصاصاً".

انقطعت أخبار محمد العتابي في مصر فمات غريباً مغموراً في تاريخ غير محدد.

م. حسن الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد*، بيروت، دار الغرب الإسلامي / مؤسسة محمد حسن الوزاني، د. ت. الجزء الأول، ص. 226 ـ 232.

محمد حجي

العتابي، مَحمد بن **سعيد**، عالم مشارك، يعتبر من أبرز تلامذة الشيخ عبد الله بن حسون السلاسي السلاوي - صاحب المزارة الشهيرة قرب المسجد الأعظم بسلا - لذلك تولى أمر الخلافة بعد وفاته في محرم 1013 / ماي - يونيو 1604. تصدى المترجم للتدريس بمدينة سلا، وكانت له اليد الطولى في التصوف، والفقه، وعلوم القرآن، فذاع صيته، وقصده الناس من المدن النائية للأخذ عنه. ومن أبرز تلامذته سيدي أحمد ابن مَحمد الطالب الذي حل إليه من القصر الكبير بإذن الشيخ سيدي محمد المُجَوّل القصري. وإذا غلب على محمد بن سعيد العتابي التصوف، فإنه كان - على غرار شيخه ابن حسون - يتتبع عن كثب الأحداث السياسية التي كانت تمر منها البلاد. ومما لاشك فيه أنه تأثر بعد أن وجه شيخه هذا المجاهد مَحمد العياشي للمرابطة في سبيل الله بناحية البريجة لمناوشة البرتغاليين عن العاصمة مراكش التي كانت مهددة بالحروب بعد وفاة السلطان أحمد المنصور السعدي 1012 / 1603. إلى جانب ذلك، كان المترجم من أبرز الشخصيات العلمية بسلا التي كانت تدرك كل الإدراك الأضرار التي لحقت السلاويين من جراء احتلال المعمورة من الإسبان 1023 / 1615. ونستشف من إشارة وردت عند الإفراني في *النزهة* أن المترجم كان ممن قدم مَحمد العياشي - بعد رجوعه من البريجة سنة 1024 / 1615 - للقيام بأمور الجهاد، ودرء كل الأخطار المحدقة بمدينة سلا، لا سيما وأن الأمر يتعلق بثغر قريب جداً من هذه الأخيرة.

توفي مَحمد بن سعيد العتابي عام 1032 / 1623، ودفن بجوار شيخه ابن حسون، وعليهما - اليوم - دربوز واحد.

م. الإفراني، نزهة، ط 2، ص. 265 ؛ م. بلحسن السلاوي، *قصيدة السلوانية*، تعليق، أ. معنينو، ضمن مجلة البحث العلمي، ع 39، 1985، ص. 214 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تح. م. بوشعراء، ط 2، 1996، ص ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، ط. 1978، 2 : 445 ؛ ع. اللطيف الشاذلي، *الحركة العياشية*، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1982، ص. 89 - 90.

محمد السعديين

ابن **عتُّو، محمد** بن عبد الرحيم شيخ الجماعة بقبيلته بني يسّف الهبطية كان يرأس مجاهدي القبيلة الذين انضموا معه إلى الحركة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني ؛ وقد شارك في جميع المؤتمرات التي عقدتها الثورة. وفي المؤتمر المنعقد بقرية عين الدالية بالفحص يوم 11 ماي 1913 انتخب عضواً بالمجلس الاستشاري للمقاومة ؛

كما شارك في عدة معارك إلى أن استشهد في المعركة التي جرت باشروطة يوم 17 نوفمبر 1914.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

العتيقي، عبد الله، كنيته أبومحمد. ينتسب إلى أيت عتيق، أحد أفخاذ قبيلة فطواكة (إنفضواك) التي تقع أراضيها غربي مدينة دمنات.

لا نعرف شيئا يذكر عن طفولته ولا نشأته. وكل ما وصلنا عنه نستقيه من الترجمة الطويلة التي أفرده بها مَحمد بن عبد الله الخليفتي (*الدرة الجليلة*، ص. 252). وقد ذكر في هذه الترجمة أن العتيقي كان فقيها أستاذا، إماما عالما عاملا. أخذ طريق القوم عن الشيخ أحمد ابن ناصر (ت. سنة 1129 / 1717). وأشار إلى أنه اشتهر بكثرة الرؤيا للنبي صلى الله عليه وسلم. وأثبت له واحدة من تلك الرؤى، وهي التي رآها ليلة السبع والعشرين من رمضان عام 1155. والخلاصة، أنها كانت بمثابة محاكمة وقع فيها تداول بعض القضايا الكبرى التي شغلت بال أهل ذلك العصر ؛ أبرزها تصنيف الزوايا القريبة من المحيط الذي كان يعيش فيه. وفي الوقت الذي لم يتردد فيه عن وضع المعيار الشرعي للتمييز بينها ؛ فإنه اكتفى بالتلويح إلى موقف المخزن منها.

في هذا السياق، نوه بالناصريين، الذين قبل الرسول ـ حسب الرؤيا ـ ملاقاة شيخهم مَحمد ابن ناصر فرحب به وقبله ضمن وفده. ومعلوم أن طريقة تلك الزاوية كانت تتبنى التمسك بالسنة وتحارب البدع. وكان ذلك حذو مختلف فروعها التي انتشرت في سائر بلاد المغرب، ولا سيما زوايا المناطق الجبلية.

وعلى العكس من ذلك، كان صنف آخر من الزوايا ؛ يظهر من خلال الرؤيا مرفوضا من لدن الرسول صلى الله عليه وسلم. وعلى رأسها إيحنصالن وتنمسلا.. وهي من ضمن الزوايا التي نعتها المعاصرون بالانحراف عن الشرع ؛ فضلا عن التناقض بينها وبين المخزن.

كما أن تلك الرؤيا لم تنِ عن نقد المخزن الذي قام ببعض التجاوزات في مجال الشرع. والقصد هنا إلى السلطان المولى إسماعيل ؛ في مسألتين :

ـ المسألة الأولى، وهي الإفراط في تعدد النساء. وبالرغم من أن هذا الأمر مخالف للشرع، فقد تجنب المعاصرون الحديث فيه. ولعل السبب معروف.

ـ المسألة الثانية، وهي قضية تمليك الحراطين التي تواجه بصددها العلماء والمخزن، وتخلفت عنها أدبيات كثيرة ؛ تندد أغلبها بالتجاوزات التي صحبتها.

هذا فضلا عن بعض القضايا التي وقع التلويح إليها، كقضية السماع الذي كانت بعض الطرق الصوفية تتعاطاه ؛ أو القضايا التي اكتفى بالتعريض بأصحابها، وهي لا تزال في حاجة إلى بحث وتنقيب للكشف عنها.

توفي عبد الله العتيقي بالوباء، فيما بين 1156 و1160 / 1743 و1747 (*الدرة الجليلة*، ص. 263).

مَحمد بن عبد الله الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ م. بن الطيب القادري، *نشر المثاني*.

أحمد عمالك

العثامنة، يغطي مجال قبيلة العثامنة القسم الشرقي من سهل تريفة بأقصى شمال المغرب، وهي في الأصل قبيلة تابعة لاتحادية قبائل أنكاد المحيطة بمدينة وجدة، وقد نزحت بمعية قبيلتي هوارة وأولاد الصغير إلى سهل تريفة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي إثر نزاعات قبلية، فصارت فصائل هذه القبائل تشكل ما يعرف في المصادر التاريخية بأهل تريفة تارة وعرب تريفة تارة أخرى، وهي قبائل ذات أصول عربية كما هو شأن اتحادية أنكاد. ومعلوم أن اسم العثامنة ينتشر في جهات أخرى من المغرب وفي القطر الجزائري على وجه الخصوص، كما هو شأن اسم هوارة وغيرهما من الأسماء القبلية. وقد احتمت قبيلة العثامنة بقبيلة بني خالد المنتمية لاتحادية قبائل بني إزناسن، واستأذنتها في الاستقرار بشرق سهل تريفة، الذي كان في الأصل يُعدّ مجالاً لقبائل بني إزناسن. وكانت قبيلة العثامنة تتركب من الفصائل التالية :

ـ أولاد مسعود ـ الخُضْران ـ المعاريف ـ المخاليف ـ أولاد ناجي ـ الحداشات ـ العبادة. وفي مطلع القرن العشرين تقلصت فصائل قبيلة العثامنة إلى خمسة وهي : الخضران وأولاد ناجي والعبادة والمعاريف والحداشات. ويفسر ذلك بفعل النزوح نحو مدينة أبركان والهجرة إلى الخارج خصوصاً قبل تجهيز قرى هذه القبيلة بالماء الشروب والكهرباء.

لم تبرز شخصيات مخزنية من هذه القبيلة مثلما كان الأمر بأنكاد أو ببني إزناسن خلال القرن التاسع عشر، فهي في غالب الأحيان كانت تابعة لإحدى قبائل بني إزناسن، وقد تولى أحد أعيانها المشيخة ـ وهو معروف باسم مَحمد برحاب في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، حيث كان مكلفا من قبل المخزن بزجر المهربين الذين كانوا يمارسون نشاطهم بالأسواق الحدودية بجوار مصب وادي كيس في البحر الأبيض المتوسط. وقد انحازت قبيلة العثامنة أثناء ثورة الروگي بوحمارة إلى قبيلتي بني عتيق وبني خالد الذين ناصروا الثائر. وبعد الاحتلال الفرنسي لشرق المغرب سنة 1907، تولى كبار أعيان قبيلة بني ازناسن بيع الأراضي التي كانت تستغلها قبيلة العثامنة إلى المعمرين الفرنسيين بصفتهم ملاك أرض تريفة الفعليين، فتكونت ضيعات عصرية بمجال قبيلة العثامنة اشتهرت بأغراس الليمون والكروم، وفي وقتنا الحاضر (2002) تشكّل قبيلة العثامنة جماعة قروية تابعة لدائرة مدينة السعيدية ضمن إقليم أبركان، حسب التقسيم الإداري المعمول به منذ العقد الأخير

من القرن العشرين، ويوجد مقر الجماعة بالموقع المعروف باسم المقهى المغربي بتراب فرقة الـخُضران. وتحتضن هذه الجماعة الفصائل التي لم تندثر، وهي الـخُضران والعبادة وأولاد ناجي والحداشات والمعاريف.

ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي ؛ المجال الحدودي بين المغرب والجزائر في مطلع القرن العشرين*، 1900 - 1912، منشورات كلية الآداب، المحمدية، 2002 ؛ ملف وجدة بمديرية الوثائق الملكية بالرباط.

Mhmmad Ben Rahhal, *A travers les Beni Snassen*, *B.S.G.A.O.*, 1889 ; Voinot, *Oujda et l'Amalat.*

عكاشة برحاب

عُثمان، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Hozmen.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1151.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **عثمان**، أسرة علمية عريقة في مكناس، يرجع نسبها إلى قبيلة مسطاسة، وهذه من فروع زناتة. وقد اشتهر هذا البيت بمن برز فيه من المشتغلين بالعلوم الشرعية والأدبية، فضلاً عن مجموعة من الخطباء والوعاظ والموثقين المنتصبين لخطة العدالة، حيث امتد هذا النشاط - متنوع الاتجاهات - عبر دولتي الشرفاء حتى أواسط ق 19.

1 - ومن أوائل المعروفين منهم : عبد الواحد بن أحمد بن محمد بن عثمان المسطاسي ثم المكناسي، حسب تعبير آخر منتسخ بخطه، فرغ من كتابته زوال يوم الأربعاء أوائل ربيع الثاني 999، مخطوط، خ. س 8457.

2 - واشتهر مع هذا اسم أخيه عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عثمان المسطاسي، كما يسمي نفسه، آخر منتسخين - بخطه - عامي 989 و990.

ويعتبر هذا بين علماء الأسرة المرموقين، انظر ترجمته بالملحق رقم 1.

3 - 4 - 5 - وخلف ابنه أبا العباس أحمد، والد الأخوين عبد الرحمن ومحمد، حيث جاءت الإشارة للثلاثة في وثيقة بتاريخ 8 شعبان 1048.

6 - ومن علماء هذه الأسرة علي بن محمد بن محمد ابن عثمان، ورد ذكره - عرضاً - عند أبي زيد عبد الرحمن الفاسي، محلياً له بصاحبنا الفقيه القاضي : سيدي علي ابن عثمان.

وجاء اسمه في وثيقة موصوفا بالفقيه الأجل، العالم الأفضل، المدرس : أواخر رجب 1086.

وفي وثيقة أخرى (رجب 1108) خطط بوصف النائب عن السلطان.

وورد عدلاً شاهداً في وثيقتين : الأولى : بتاريخ أواخر رجب 1108.

والثانية : بتاريخ أوائل رمضان 1117.

7 - ولعلي أخ شقيق هو الفقيه العدل السيد محمد.

8 - وعلي - أيضاً - هو والد الفقيه العدل أحمد اليماني.

9 - وهذا - بدوره - والد الفقيه محمد المدني.

10 - ومن المرموقين بهذه الأسرة عبد الواحد بن أحمد ابن عثمان : أستاذ القراءات السبع، حيث نوه بالأخذ عنه تلميذه عبد الرحمن بن علي بن عبد الله بن كريم الصنهاجي.

وكان عبد الواحد ابن عثمان يتعاطى خطة التوثيق، فيأتي اسمه عدلاً أول في وثيقة بتاريخ 23 ربيع الأول 1149.

11 - وله ولد يحمل اسم عبد الوهاب : عدل في وثيقة مؤرخة في 7 قعدة 1169 ثم في وثيقة أخرى بتاريخ 28 جمادى الأولى 169.

12 - 13 - ونشير - الآن - إلى الفقيه العدل عبد الوهاب بن الفقيه العدل محمد العربي ابن عثمان.

14 - ثم أحمد بن عبد الوهاب السفير، وكان - أيضاً - من صدور عدول مكناس، وقد حافظت إحدى حوالات مكناس على وثيقة مذيلة بإمضائه على شكل توقيعات العدول، مع التعريف به وتاريخ وفاة صاحبه في وباء عام 1214.

15 - وبعد السفير ابن عثمان يأتي اسم محمد الطاهر بن أحمد ابن عثمان، ويظهر أن هذا هو ناظر الأحباس الكبرى بمكناس، المتوفى عام 1270، وهناك رسالة من السلطان أبي زيد ابن هشام خطابا لهذا الناظر، حيث لا يستبعد أن يكون هو ابن السفير ابن عثمان، ويكون هذا ابن عبد الوهاب بن العربي.

16 - غير أن الناظر المنوه به لم يعقب، وكان عاصبه هو ابن عمه الطالب أحمد، حسب وثيقة مؤرخة في أوائل شعبان 1270.

17 - وينبغي أن لا يلتبس اسم ابن عثمان السفير باسم قريبه ومعاصره أحمد بن الرضي العالم الأديب الطائر الصيت.

18 - ووالده الرضي محلى بالفقيه، في الوثيقة التي ذكر فيها هو وابنه.

19 - وهذه طائفة أخرى تكمل أسماء النابهين المعروفين من نفس الأسرة، بدءاً من محمد بن محمد ابن عثمان : عدل مذكور في عدة وثائق.

20 - عبد الوهاب ابن عثمان.

21 - أحمد بن محمد ابن عثمان.

22 - الصغير بن الحاج محمد ابن عثمان.

23 - عبد الله بن أحمد بن عثمان.

24 - عبد القادر بن أحمد ابن عثمان.

25 - محمد بن محمد ابن عثمان.

26 - محمد ابن عثمان.

27 - المجذوب بن محمد ابن عثمان

28 ـ الطاهر ابن عثمان : واعظ في المسجد الأعظم بكتاب المنذري، يقرأ منه بعد العصر على كرسي العنزة، وقد يكون هو المذكور سابقاً.

28 ـ الفقيه السيد عبد العزيز ابن عثمان.

29 ـ أحمد ابن عثمان : كتب بخطه أكثر النصف الثاني مّن حاشية الفيشي على المختصر الخليلي، وفرغ من انتساخه عقب صلاة العصر من يوم عيد المولد النبوي عام 1174، وخطه حسن سريع.

ب ـ الربع الأخير من حاشية بناني على شرح الزرقاني للمختصر الخليلي، فرغ منه بعد زوال الأربعاء 2 شعبان 1213، حيث يسمى نفسه أحمد بن محمد بن أحمد ابن عثمان.

30 ـ محمد ابن عثمان : ورد ذكره ضمن لائحة علماء مكناس عام 1149 وقد يكون أحد المحمدين سابقي الذكر.

محمد المنوني

ابن **عثمان، الطاهر** من أحفاد السفير ابن عثمان المكناسي كان من أتباع الزاوية العلمية في مطلع القرن العشرين. وكان له باع طويل في فن "العمارة" وتنشيط حلقات الذكر الصوفية.

وقد كان يشكل مع رفيقه ومعاصره الفقيه المسمع محمد الزهراوي ثنائيا فنيا متكاملا، فإذا التقيا يوما في الزاوية العلمية أقبل عليهما الأتباع من الراغبين في التعلم، فكانوا يأخذون عن الزهراوي البردة وإنشاد البيتينات وما يندرج عادة في فن السماع، ثم يتحولون إلى ابن عثمان فيأخذون عنه الحلل والأذكار والبراول وما يندرج عادة في فن المديح.

عبد العزيز بن عبد الجليل

عثمان بن **مالك** من أهل مدينة فاس، واعتبر "فقيه فاس وزعيم فقهاء المغرب في وقته" *المدارك*، أخذ بفاس عن الفقيه ابن مروان الأزدي. وأخذ عنه فقهاء مدينته منهم ابنه أبو بكر وأبو بكر بن الخياط وغيرهما. له *تعليق على المدونة* لسحنون يعتبر أقدم ما كتبه المغاربة حولها، نقله عنه تلاميذه، ورغم شهرة هذا العالم في زمنه فإن الإشارة الوحيدة عنه هي التي وردت في مختصر *ترتيب المدارك* لابن حمادة ونقلتها عنه المصادر المتأخرة.

توفي سنة 444 / 1052.

القاضي عياض، ترتيب *المدارك*، تح. سعيد أعراب، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف، ج 8، ص. 78 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، نشر عبد الوهاب بنمنصور، الرباط، دار المنصور، 1974، ج 2، ص. 457 ؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، طرابلس، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، 1989، ص. 308.

محمد المغراوي

ابن **عثمان، محمد** بن أبي **بكر** بن إبراهيم يعتبر العلامة الرئيس محمد بن عثمان الأب الروحي للجامعة اليوسفية. ينحدر من أسرة سوسية استوطنت زاوية ابن ياسين بمسفيوة.

ولد مع مستهل القرن العشرين بمدينة مراكش بحي المواسين. بعد حفظه للقرآن الكريم، التحق بالجامعة اليوسفية ودرس على شيوخها. ثم شد الرحال إلى مدينة الرباط ودرس على :

- الشيخ أبي شعيب الدكالي
- المحدث محمد المدني بن الحسني
- العلامة محمد بن عبد السلام السائح

وقد التقى بالأستاذ عبد الله الجراري الذي يقول عنه : (وكنا في هذه الأثناء نعقد ندوات تدور فيها مذكرات ومطارحات في مختلف القضايا العلمية). وبقي يدرس بالرباط نحو ثلاث سنوات، ثم عن له أن يتوجه إلى مصر لإتمام دراسته ـ وهنا التقى بالأستاذ عبد الرحمن بن الشيخ أبي شعيب الدكالي ـ فاحتك بشيوخ الأزهر، وحظي عندهم بالتقدير لنباهته، وحسن سيرته. وبعدما قضى بضع سنوات في مصر عاد إلى مسقط رأسه، وأقيم له حفل ترحيب ألقيت فيه كلمات وقصائد شعرية. وأخذ يؤدي رسالته العلمية بمسجد المواسين، وبالجامعة اليوسفية. ثم تدرج من الأستاذية إلى رئاسة جامعة ابن يوسف خلفا للرئيس مولاي أمبارك الأمراني، واستمر يديرها بجد وحزم، تدفعه غيرته وطموحه لأن يبوئها مكانة عالية، ويحدث فيها تغييراً في مناهجها، ونظام تسييرها، وإليه يعود الفضل في إحداث النهائي بالجامعة اليوسفية بعد معركة طويلة مع الأستاذ الفاسي رئيس جامعة القرويين الذي كان يحاول أن تبقى الجامعة اليوسفية تابعة للقرويين، وتحت إمرتها ومسؤوليتها، إذ على طلبة نهائي الجامعة اليوسفية أن يذهبوا إلى فاس لاجتياز الامتحانات الكتابية والشفوية، لكنه رحمه الله لم يرض هذه التبعية، مما دفع به إلى تأليف كتاب عن الجامعة اليوسفية، محاولاً فيه إبراز مكانة الجامعة اليوسفية، والدور الريادي الذي لعبته في نشر الثقافة العربية والإسلامية عبر العصور.

وبعد معاناة كلامية بينه وبين المتعصبين لإحداث النهائي بمراكش، تم له مراده، وأصبح امتحان النهائي بمراكش. وقد أورد الشاعر مولاي الصديق العلوي هذا الحدث العظيم في تاريخ الجامعة اليوسفية بقطعة شعرية جاء فيها :

وفللت شوكة من يهـ ـدمه كما كسرت فاسه
وقطعت آمال الـذي يبغي اذاه وزدت ياسه

ولم تشغله أعباء الإدارة عن الاهتمام بمشاكل الطلبة والوقوف بجانبهم ماديا ومعنويا مما حببه للجميع : أساتذة وطلبة.

توفي رحمه الله فجأة وهو على مأدبة عشاء في بيته أقامها لبعض الضيوف عام 1365 /1945 ودفن بضريح الإمام السهيلي، وترك كتابه الشهير (الجامعة اليوسفية في

تسعمئة سنة). صدر منه الجزء الأول، والثاني ضاع. وقد رثاه شاعر الحمراء محمد بن إبراهيم بيتين هما :

رئيس المجلس العلمي توفي — وداهم بدره ليل التخفي
فقل للشامتين به جزيتم — جزاء ذوي الشماتة والتشفي

أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط ؛ *التأليف ونهضته بالمغرب*، ص. 169 ؛ موسوعة *أعلام المغرب*، 9 : 3188 ؛ *أعلام الزركلي*، 6 : 264 ؛ *المعسول*، 16 : 99.

أحمد متفكر

عثمان (مولاي -) بن **محمد** بن **عبد الرحمن**، دأب سلاطين القرن التاسع عشر، سيراً على عادة وتقليد مألوفين لدى سلفهم من الملوك، على الاستعانة بثلة من أبنائهم وإخوتهم وبني عمومتهم في تدبير وتسيير شؤون البلاد، وهو الأمر الذي ينطبق تماما على مترجمنا وإخوته الثلاثة إسماعيل وعرفة، والحسن الذي صار، فيما بعد، سلطانا للمغرب، وهم في السن على هذا الترتيب.

وهؤلاء الأمراء الأربعة هم الذين كان يعهد إليهم والدهم السلطان محمد بن عبد الرحمن (1276 ـ 1290 / 1859 ـ 1873)، وكذلك من جاء بعده من السلاطين، بالاضطلاع بمهام الخليفة السلطاني بإحدى الحاضرتين فاس أو مراكش، وقيادة الجيوش المخزنية وحُراك القبائل في جهات مختلفة من البلاد، ما عدا الأمير إسماعيل الذي لم نعثر له، وفي وثائقنا، على ما يُفيد تحمله مسؤوليات عسكرية، على رأس الكتائب والتجريدات المخزنية.

فإذن، نحن أمام شخصية بارزة في الأسرة العلوية الحاكمة. استفادت ولا شك، أيام الطفولة والشباب، من العناية الفائقة والاهتمام المتواصل اللذين كان جده السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام (1238 ـ 1276 / 1822 ـ 1859)، ومن جاء بعده من السلاطين، وبالخصوص ابنه وخلفه سيدي محمد، وابن هذا الأخير المولى الحسن (1290 ـ 1311 / 1873ـ 1894)، يولونهما لتعلم وتربية الأمراء.

وقد تجلى ذلك، على الخصوص، في إلحاحهم الدؤوب وحث المشرفين والقيمين على تعليم وتربية ورعاية شؤون الأمراء، على عدم التساهل والتسامح معهم، والتعامل معهم بكل صرامة وجدية، ولا سيما فيما يرجع إلى حصص الدراسة والمواظبة عليها، ومسألة الملبس والغذاء.

وأيّا كان الأمر، فإن صاحبنا لم يرد ذكره لا عند مؤرخ مكناس النقيب عبد الرحمن بن زيدان في مصنفه "*إتحاف أعلام الناس*" ولا في مؤلفاته الأخرى، لا المطبوعة منها ولا المخطوطة، كما أن العباس بن إبراهيم السملالي لم يشر إليه قط في مصنفه "*الإعلام بمن حل*"، مما قد يعني أنه ليس لا من مواليد العاصمة الإسماعيلية، ولا من حاضرة المرابطين.

وحتى من ذكره من الإخباريين والمؤرخين المغاربة، كصاحب "*الدرة السنية في ذكر الدولة الحسنية*"، ابن داني، مَحمد بن أحمد بن محمد المدرومي (ت. 1331 / 1913)، أو مؤلف "*الدرر البهية والجواهر النبوية*"، الشريف إدريس بن أحمد الفضيلي (ت. 1316 / 1898). لم يفردوه إلا ببضعة سطور، حيث قال عنه هذا الأخير ما يلي :

"... أما الفرع الأول (من ذرية السلطان محمد بن عبد الرحمن) وهو السيد عثمان، ففقيه أستاذ، مفضال جواد، حليم كريم، ذو قدر خطير وجاه فخيم، حاز من المجد عنانه، ففاق أقرانه...".

ومن حسن حظنا أننا نتوفر على مجموعة من الوثائق، صادرة عن المخزن الحسني أو العزيزي، لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالمترجم، وتسمح بتلمس جوانب من شخصيته وأوجه من المهام التي كانت تُناط به. وحسب صاحب "*الدرر البهية*" سالف الذكر، فإن والده السلطان محمد بن عبد الرحمن، كان قد عينه خليفة له، أواخر عهده، في فاس، وهي المهام التي أقره فيها صنوه المولى الحسن، ولكن هذه المرة في مراكش، أسابيع معدودات بعد الانتهاء من مراسيم دفن والدهما، وعقد البيعة للعاهل الجديد، أواخر شهر رجب 1292، الموافق لأواخر سبتمبر 1873.

ومعلوم أن مهام الخليفة السلطاني كانت تكتسي، في مغرب القرن التاسع عشر، صبغة رمزية وروحية أكثر منها مادية وتقريرية، إذ لم يكن بيده أدنى سلطة على أعوان المخزن المحليين، كالعامل، والقاضي، والمحتسب، والأمين والناظر...، كما كان لا يتخذ أدنى قرار قبل التوصل بتعليمات وأوامر السلطان، سواء تعلق الأمر بما كان يعرض عليه من قضايا في عين المكان، أو بما كان يكلف بالسهر على إنجازه من أغراض مخزنية.

وكان من عوائد المخزن وتقاليده، أن يكون للخليفة السلطاني حاشية من الأشراف والفقهاء والكتاب والظرفاء والأعوان، يستعين بجميعهم ويستأنس برأي بعضهم للقيام بمهامه المخزنية من جهة، وقضاء أغراضه الشخصية من جهة أخرى. وهذا ما نستشفه مما تضمنته ثلاث وثائق ارتأينا استغلال مضمونها هنا، على سبيل الاستئناس.

فقد جاء في أولاها، وهي بتاريخ 5 جمادى الأولى 1296، الموافق 27 أبريل 1879، أن السلطان يأمر خليفته بمدينة مراكش "باستخدام الشريف مولانا إدريس بن الطيب بن مولاي سليمان معه، وبالاحتفاظ له بمئونته التي قدرها 9 أواقي في اليوم...". وأما الثانية، وهي بتاريخ 22 ذي القعدة 1291، الموافق 31 دجنبر 1874، فنعلم مما ورد فيها، أن السلطان، بعد أن أقال من منصبه القائد العسكري عبد الله بن أحمد الشرادي، فقد قرر توجيهه إلى الخليفة المذكور، للانضمام إلى مخزنه والعمل إلى جانب "عمال أزغار المعزولين الذين يخدمون معك ليريح ويستريح، ولا تجعل له مونه...". وفي الثالثة والأخيرة من هذه الوثائق، وهي بتاريخ 13 رمضان 1290، الموافق 4 نونبر 1873، فتفيد، على لسان الحاجب موسى بن أحمد، أن السلطان أصدر أمره بإطلاق سراح القائد الراضي الصفاعي من سجن مصباح.

ويبدو أن صاحبنا لم يعد قط خليفة للسلطان بمدينة مراكش، وذلك بحلول سنة 1308 / 1890 . 1891 ، أو على أكثر تقدير في مطلع السنة الموالية لها ، أي الثلاثة أشهر الأخيرة من سنة 1891 ، حيث نجده يتأهب لمغادرة مدينة فاس، أواسط شهر شوال 1309 ، الموافق لأواسط مايو 1892 ، على رأس جيش مخزني، قرر السلطان توجيهه إلى ناحية الريف.

ونستشف من مصادرنا حول هذا الموضوع، أن الأمير ومن كان في رفقته من "كبراء المحلة"، كان يتعين عليهم، قبل كل شيء، إخراج ما تخلد بذمم قواد المنطقة من ديون لفائدة المخزن، إما برسم الواجب الشرعي، أو برسم الفروض والتوظيفات والذعائر... وقد نصت وثيقة مخزنية، وهي بتاريخ 26 شوال 1309 ، الموافق 24 مايو 1892 على قدر المبلغ المالي المستحق عليهم جميعا والذي وصل إلى 173.593 ريال، في حين لم يستخلص الأمين محمد الحريشي الذي رافق الحركة، إلا بما قدره 53.518,50 ريال، كما يتبين لنا ذلك من وثيقة بتاريخ 4 رجب 1310 الموافق 22 يناير 1893 ، أي أسابيع معدودات بعد عودة الأمير عثمان في مصادرنا ، تفيد مآل المترجم في الجهاز المخزني، هل ظل مستقرا بالحاضرة الإدريسية، أم رحل عنها إلى مدينة مراكش التي نجده بها في مطلع سنة 1896 ، وهو يتأهب للانضمام إلى الجيش السلطاني الذي تقرر توجيهه إلى منطقة سوس، بإيعاز من الوزير الصدر أحمد بن موسى، تمشيا مع خطته في تدبير دفة الحكم بالبلاد والرامية إلى تهميش وإبعاد أبرز الشخصيات المخزنية، بمن فيهم أقرب الناس وأوفاهم للعاهل الجديد السلطان المولى عبد العزيز (1311 . 1326 / 1894 . 1908)، كالمترجم نفسه، وباشا مكناس الشهير حم بن الجيلاني، وقائد سلاح المدفعية الشريف أحمد بن عبد الله أمهرير الصويري والقائد سعيد الگلولي، والقائد الباشا محمد ويدة السوسي الذي كان أبلى البلاء الحسن في الدفاع عن مدينة مراكش، أيام انتفاضة قبيلة الرحامنة، على إثر وفاة السلطان المولى الحسن في السنة 1894. وقد ظل المترجم وبمعيته الباشا حم بن الجيلاني السابق الذكر، في هذه الربوع السوسية، وبالضبط في مدينة ردانة، إلى أواسط شهر مايو 1897 ، إذ كان على الرجلين وعلى من كان في رفقتهما من الجنود والأصحاب، استخراج ما أمكنهم استخراجه من الأموال من قبيلة هوارة.

ومرة أخرى، يعود صمت تام لاكتناف مسار ومشوار صاحبنا في الجهاز المخزني العزيزي. فلا ندري مثلا، هل استقر به المطاف بمدينة مراكش، بعد عودته من الديار السوسية، أم رحل عنها مباشرة إلى فاس، وهل عُهد إليه بمهام جديدة أم لا ؟ فالإشارة الوحيدة التي ظفرنا بها في هذا الصدد، وتُفيذ بأن الرجل رجع فعلا إلى فاس وبها توفي بعد سنة 1898، عن غير عقب، استقيناها من عند صاحب "*الدرر البهية والجواهر النبوية*" للفضيلي سابق الذكر، نصّت على ما يلي : ".. واستخلفه أخوه مولانا الحسن بمراكش مدة مديدة، وسنين عديدة، فسار سيرة مرضية، انتقل لفاس، منشرح الصدر، طيب الأنفاس، ولم يزل بها بداره بحومة زقاق الرواح، فاس القرويين، أبقى الله مهجته".

الخزانة الحسنية، محفظة مولاي الحسن سنة 1290 / 1873 . 1874 ؛ رقم 378 ؛ رقم 422 ؛ رقم 481 ؛ كناش رقم 199 ؛ رقم 409 ؛ رقم 776 ؛ مديرية الوثائق الوطنية بالرباط، محفظة مراكش ؛ ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1929 . 1933، 5 أجزاء. انظر الأجزاء 1، و2، و3 ؛ ابن داني المدرومي، *الدرة السنية*، مخ. خ. س. رقم 481 ؛ م. بوشعراء، *علاقة المخزن بأحواز سلا*، الدار البيضاء، 1996 ؛ إدريس الفضيلي، *الدرر البهية*، 1999.

A.G.V., 3h9, Rapp. n° 93, année 1895 ; n° 77 du 1er mai 1896 ; n° 80 de juin 1896 ; n° 91 du 1er novembre 1896.

مصطفى الشابي

ابن **عثمان، محمد** بن **عبد الوهاب** المكناسي هو أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن عثمان المكناسي المسطاسي (ت. 1213 / مارس 1799)، ولد ونشأ بمدينة. مكناس في بيت علم، حيث كان والده ورّاقاً وواعظاً بأحد مساجد المدينة، لا نعرف شيئاً عن المراحل الأولى من حياة ابن عثمان، ولكن مما لاشك فيه، كان لبيئته الأسرية وكذلك لظروف مدينة مكناس التي أصبحت منذ العهد الإسماعيلي العاصمة السياسية للمغرب، دوراً هاماً دفعه نحو تحصيل العلوم منذ سن مبكرة حتى أصبح ـ وهو في ريعان الشباب ـ وراقاً وواعظاً مثل أبيه.

عاصر ابن عثمان ثلاثة سلاطين علويين هم : المولى محمد بن عبد الله (1757 ـ 1790)، المولى اليزيد (1790 ـ 1792) والمولى سليمان (1792 ـ 1822)، وتقلّدَ على عهدهم مَهامَ مخزنية منها الكتابة والسفارة ثم الوزارة. بدأ المترجم له نشاطه المخزني مع المولى محمد بن عبد الله عندماعينه هذا السلطان سارداً للكتب بالقصر السلطاني، ثم رقاه كاتباً لحضرته حتى صار ملازماً للأمراء أبناء السلطان المذكور وخاصة الأميران المولى علي والمولى عبد السلام الذي كتب في حق ابن عثمان يقول : "وكان الفقيه محمد بن عثمان حسن البديهة، قوي العارضة، وله قصائد في أخينا مولاي علي ... وهو الذي جذب بطبعه، ورَفع من قدره، وكان منقطعاً إليه، غمره إحساناً وإنعاماً وامتناناً" (*اقتطاف الأزهار*، ج 3، ص. 490). ونظراً للاهتمام الذي أولاه المولى محمد بن عبد الله للعلاقات الدبلوماسية للمغرب، كان يختار من رجالاته من يليق للسفارة وهكذا عين ابن عثمان سفيراً إلى أوروبا مرّتين، ثم إلى المشرق مرة واحدة.

ـ سفارة ابن عثمان إلى إسبانيا عام (1193 / 1779 ـ 1780) لدى الملك كارلوس الثالث، قصد التفاوض بشأن مجموعة من الأسرى الجزائريين، وكذلك قصد إبرام الصلح بين المغرب وهذه الدولة، وقد وُفق في عقد اتفاقية أرَنخويس (Aranjues) (26 جمادى الأولى 1194 / 30 ماي 1780).

ـ سفارة ابن عثمان إلى جزيرة مالطة ومملكة نابولي عام (1195 . 1196 / 1781 . 1782)، توجه أولاً إلى مالطة

وافتدى عدداً مهماً من الأسرى المسلمين، ثم رحل إلى مملكة نابولي حيث حرر عدداً آخر من الأسرى ووقع على اتفاقية صلح وتجارة بين المغرب وهذه المملكة، بتاريخ (11 ذي القعدة 1196 / 19 أكتوبر 1782).

- سفارة ابن عثمان إلى القسطنطينية والديار المقدسة عام (1200 / 1785) تندرج هذه السفارة في إطار العلاقات المغربية بالمشرق الإسلامي، أيام المولى محمد بن عبد الله والسلطان العثماني عبد الحميد الأول، وقد حققت هذه الرحلة إلى المشرق رغبة طالما راودت ابن عثمان، وهي أداء فريضة الحج، وكذلك مكنته من توسيع رصيده المعرفي بلقاء العديد من العلماء والشيوخ واطلع على بعض مؤلفاتهم، في كل من القسطنطينية، ودمشق.

وقد واصل المترجم له نشاطه المخزني، مع المولى اليزيد هذا الأخير الذي أعلن الحرب ضد الإسبان في سبتة، مباشرة بعد بيعته وعندما بلغت العلاقات بين المغرب وإسبانيا أقصى درجات التوتر، عين المولى اليزيد ابن عثمان سفيراً إلى إسبانيا، باقتراح من هذه الأخيرة، عام (1205 / 1790)، فحمل رسالة إلى كارلوس الرابع يعرض فيها شروط المغرب من أجل الصلح، فأخفق في مهمته الدبلوماسية ولذلك أعفاه المولى اليزيد من مهامه، فآثر ابن عثمان الإقامة بالديار الإسبانية ما يناهز السنتين حتى مات المولى اليزيد، وعاد المترجم له إلى المغرب بطلب من المولى سليمان، الذي عينه مكلفاً بجميع أمور أجْناس النصارى في رسالة وجهها إلى قناصل الدول الأوروبية بتاريخ (16 ربيع الأول 1207 / 1 نونبر 1792). وقد انتهت حياة ابن عثمان المخزنية والدبلوماسية بتوقيعه على اتفاقية مكناس بين المولى سليمان وإسبانيا عام (1213 / فاتح مارس 1799)، توفي بعدها بأيام في مدينة مراكش، وكلّف الوزير الزياني بنقل متخلفه منها إلى مكناس. وقد نعاه الزياني في فهرسته ببيت شعر يقول فيه :

ثم محمد بن عثمان الوزير   أخذ من وفر ودرّ كثير

والخلاصة أن اسم ابن عثمان المكناسي اقترن كثيراً بالسياسة الخارجية المغربية خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر، لكن هذا الدبلوماسي كان على قدر هام من ثقافة عصره مكنته من خوض غمار التأليف فترك لنا في الخزانة المغربية ثلاث رحلات سفارية، ومجموعة من الرسائل الدبلوماسية، كما طرق باب المقامة والشعر أيضاً، ولذلك يصح أن يقال في حقه إنه كان أديباً من أدباء عصره.

م. بن عثمان المكناسي، *الإكسير في فكاك الأسير*، ت. تح، م. الفاسي، الرباط، 1965 ؛ م. بن عثمان المكناسي، *البدر السافر لهداية المسافر إلى فكاك الأسارى من يد العدو الكافر*، دراسة وتحقيق، مليكة الزاهدي، د. د. ع في التاريخ، الرباط، 1995 ؛ محمد بن عثمان المكناسي، *إحراز المعَلّى والرّقيب*، مخطوط، رقم 2564، الخزانة الملكية، الرباط ؛ ع. السلام العلوي، *اقتطاف الأزهار من حدائق الأفكار*، تح. كحلي زهراء، د. د. ع في التاريخ، الرباط، 1992، ج 1 ؛ ع. الرحمان بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الرباط، 1990، ج 4، ص. 159 - 160 - 161 ؛ م. الفاسي، محمد بن عثمان المكناسي، صفحات من تاريخ المغرب الدبلوماسي في القرن الثامن عشر، *دفاتر شواطئ البحر الأبيض المتوسط*، الرباط، 1992.

M. Avidas Palau, *Cartas Arabes de Marreucos en tienpo de Maulay Al Yazid (1790 - 1792)*, Tetuan, 1961.

مليكة الزاهدي

عثمان بن أبي **يوسف يعقوب** بن عبد الحق المريني، ولد سنة 675 / 1276 وبويع بالخلافة في جمادى الثانية أو شهر رجب من سنة 710 / 1311 برباط تازة بفضل تدخل أخته عَريبة ومساعدة بعض الوزراء والأشياخ. كان في سياسته العامة "شديداً في حدود الله تعالى، شفيقاً رقيقاً جواداً كريماً، ذا أناة ودهاء وسياسة وعقل. وهو أحد السواس من الملوك" (*الأنيس*، 395 - 396). لذلك قضى عثمان أكثر من واحد وعشرين عاماً من الحكم في تهدئة البلاد وخلق وضعية مناسبة لأزهى فترة في تاريخ بني مرين خلال حكم أبي الحسن وأبي عنان.

اهتم عثمان خلال فترة حكمه بمواجهة مشاكل مختلفة داخلياً وخارجياً، فعلى المستوى الدّاخلي انشغل بمحاربة الثائرين والمتمردين عليه خاصة :

- عدّي بن همو الهسكوري الثائر ببلاد هسكورة سنة 713 / 1314.

- الأمير المريني وأخ السلطان يعيش بن يعقوب المتمرد بأحواز وجدة سنة 714 / 1315.

- الأمير أبو علي عمر، ولد السلطان أبي سعيد وولي عهده الذي استغل شغف والده به وتفضيله إياه عن بقية إخوته وشدة حبه لزوجته جيلة الرومية أم أبي علي، فثار عليه عدة مرات، كانت الأولى سنة 714 / 1315 عند عودة السلطان من حربه لبني عبد الواد ليجد ولي عهده قد عزم على الثورة ضد والده بدعم من والدته وخاله قائد الفرقة المسيحية القشتالية. وقد استطاع الأمير تحقيق مبتغاه والاستبداد بحكم المغرب الأقصى في حين انزوى السلطان بمدينة تازة.

لكنه بعد فترة وجيزة تمكن من استعادة سيطرته على الحكم وعفا عن ولده وأقطعه بلاد القبلة ولم يتوقف أبو علي عن محاولات الافتراء إلى سنة 734 / 1334 حيث كانت نهايته على يد أخيه أبي الحسن.

- أبو زكرياء يحيى بن الفقيه أبي طالب العزفي الذي انتفض على أبي سعيد بسبتة سنة 716 / 1317 واستطاع مقاومة الحصار المريني حتى سنة 719 / 1320 اضطر العزفي بعدها الدخول في طاعة السلطان ودفع الجزية والهدية كل سنة.

- محمد بن أبي زكرياء العزفي الذي ثار على السلطان بتواطؤ مع ابن عمه وقائد أسطول سبتة أبي القاسم محمد بن

علي بن الفقيه، لكن أبا سعيد قرر القضاء نهائياً على تمرد العزفيين وأرسل حملة عسكرية سنة 728 / 1329 لمهاجمة سبتة واحتلالها واعتقال أصحابها واستعادة نفوذ المخزن المريني عليها.

أما على المستوى الخارجي فقد اضطر أبو سعيد للتعامل مع ما يجري وراء حدود بلاده سواء في الشرق أو في الشمال ووضع ذلك في اعتباراته السياسية ونهج سياسة الانفتاح الحذر على محيطه.

ففي الجبهة الشرقية استمر بنو عبد الواد في عدائهم لبني مرين وتهديد استقرار المغرب الأقصى وذلك إما بالهجوم على حدوده الشرقية أو بدعم واحتضان المعارضين للسلطان المريني الذي لم يتردد في توجيه حملة عسكرية إلى تلمسان سنة 714 بقيادة ولديه الأميرين أبي علي عمر وأبي الحسن علي استطاع الجيش المريني خلالها محاصرة العاصمة الزيانية وصاحبها أبي حمو موسى بن عثمان (707 / 1308 ـ 718 / 1318) مدة طويلة، بعدها عاد بنو مرين إلى تازة تاركين وراءهم الخوف والدمار. وفي سنة 730 / 1330، وعلى إثر استغاثة السلطان أبي يحيى أبي بكر الحفصي (718 / 1318 ـ 747 / 1346) بالسلطان المغربي من تمادي صاحب تلمسان أبي تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو (718 / 1318 ـ 737 / 1337) في الهجوم على إفريقية واحتلال مواقع كثيرة منها، قام أبو سعيد بتنظيم حملة عسكرية لمواجهة الخطر الزياني وتلبية نداء حليفه الحفصي، لكن هذه الحملة لم تتم وتم الاستغناء عنها بفضل تمكن السلطان الحفصي من صد الهجوم الزياني واستعادة نفوذه على حضرته تونس.

أما الجبهة الأندلسية فكانت تعيش منذ سنة 709 / 1309 على إيقاع حروب لم تهدأ بعد أن استغل النصارى عزوف ملوك المغرب عن الاهتمام بمشاكل الأندلس، فتوالت على السلطان أبي سعيد استصراخات أهل الأندلس ودعواتهم له بالجواز وذلك سنوات 718 / 1318 و719 / 1319 و727 / 1327، لكن كل هذه المحاولات فشلت في تليين موقف السلطان المغربي الذي اشترط مقابل ذلك تسليمه غريمه الأمير عثمان بن أبي العلاء إدريس بن عبد الحق شيخ الغزاة بالأندلس واللاجئ عند ابن الأحمر.

تميزت العلاقات بين أبي سعيد وملوك إسبانيا المسيحية بنوع من الترقب والحذر تبعا للظرفية التي كانت تخيم على منطقة غرب البحر الأبيض المتوسط. فمملكة قشتالة كانت لا تخفي عدائها المتزايد لبني مرين وللأندلسيين على السواء، فالصراع بين غرناطة وقشتالة ودور هذه الأخيرة في دعم الفرقة العسكرية القشتالية العاملة في الجيش المغربي وانحيازها إلى جانب الأمير أبي علي في ثورته على والده كلها عوامل زادت من حدة التوتر بين إشبيلية وفاس مما دفع بالسلطان المغربي إلى نهج سياسة منفتحة على مملكة أرغون غريمة قشتالة وربط علاقات ودية معها. وتؤكد المراسلات المتبادلة بين أبي سعيد وخايمي الثاني (Jaime II) (1291 ـ 1327) رغبة الطرفين في حل المشاكل العالقة بينهما وربط البلدين باتفاقية سلام وهدنة لتعزيز العلاقات بينهما ومن تجليات ذلك أن طلب ملك أرغون من السلطان المغربي إمداده ومساعدته بالفرقة الأرغونية العاملة في جيشه للاستعانة بها في حملته على جزيرة سردينية. وهي الفرقة التي وقفت إلى جانب أبي سعيد في حربه ضد ولده الثائر عليه. لكن مسار هذه العلاقات سيتغير بعد وفاة خايمي الثاني وخلافة ولي عهده الفونسو الرابع Alfonso IV (1327 ـ 1336) التي تزامنت مع عودة بني مرين إلى الاهتمام بمشاكل الأندلس مما أثار شكوك برشلونة وجعلها بين اختيارين صعبين، إما الاستمرار في التحضير لاحتلال جزيرة سردينية البعيدة وضمها إلى عرش أرغون أو التفرغ "للخطر المريني" القريب والذي بدأ يطل على الأندلس من جديد ويهدد مصالح القوى الأرغونية والقشتالية معا.

وعلى الرغم من هذه المشاكل فإن ذلك لم يمنع أبا سعيد من البحث عن حلفاء آخرين لخلق نوع من التوازن في علاقات المغرب الخارجية فلم يجد أفضل من الحفصيين للتحالف معهم ضد بني عبد الواد وتعزيزه بواسطة المصاهرة بتزويج ابنه أبي الحسن بابنة السلطان الحفصي. كما نشطت في عهد العلاقات الودية مع شرفاء مكة ومماليك مصر وحكام بلاد الشام والعراق، وازدهرت حركة الحجاج المغاربة إلى الديار المقدسة والاعتناء بهم.

عانى المغرب الأقصى في عهد أبي سعيد إلى جانب المشاكل السياسية أزمات طبيعية تمثلت في توالي ظاهرة الجفاف والقحط أدت إلى استفحال المجاعات وغلاء الأسعار سنوات 722 و723 و724 و725. وكان لذلك عواقب وخيمة على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية اضطرت السلطان لنهج سياسة اجتماعية توفق بين حاجيات الدولة ومخلفات الأزمة، ومن أهم ملامح هذه السياسة لجوء أبي سعيد إلى محاولة الاكتفاء بالضرائب الشرعية وإزالة المغارم والمكوس، والتخفيف من حدة مخلفات المجاعات والأزمات الطبيعية عن طريق تأمين الغذاء للناس وفتح أهراء الزرع وإخراجه للبيع بأسعار تقل بكثير عن الأسعار الحقيقية، كما أمر بالصدقات والجياب والأكسية للمحتاجين والفقراء. وحسب المؤرخين فقد كانت سيرة السلطان هاته حتى في أيامه العادية إذ لم يقتصر عطاؤه على المستضعفين فقط بل كان يهتم أيضاً بالعلماء والفقهاء ويبذل الأموال لفك الأسرى المغاربة في كل سنة وبالغ في إعطاء الشرفاء وإكرامهم خاصة بعد اكتشاف قبر المولى إدريس الأول سنة 718 / 1318. ويمكن القول إن هذه السياسة تندرج في إطار توجه عام يُدشن لسيادة المخزن المريني الرسمية واهتمامه بقضايا المجتمع المختلفة مثل قضايا التعليم وبناء المدارس التي شهدت في عهد أبي سعيد ازدهاراً كبيراً خاصة بفاس كمدرسة فاس الجديد (720 / 1320) ومدرسة الصهريج (721 / 1321) ومدرسة العطارين (723 / 1323 ـ 725 /

1325) وكذلك بنى مدارس أخرى بمدن مراكش وتازة. كما شيد العديد من المنشآت الدينية كالجوامع (جامع جزاء ابن برقوقة وجامع السمارين) والمنشآت السكنية كالأحياء ومنها ربض اليهود والقناطر بفاس كقنطرة أبي طوبة وقنطرة باب السلسلة. وحظي العلم والعلماء بأوفر من رعاية السلطان "لأنه كان له نظر في العلوم، واتصاف يدخل به في ذوي الفهوم" (*أعيان*، 3 : 232)، وكان علم التاريخ عنده من أجل العلوم وأشرفها وبوأه مكانة مرموقة أثارت إعجاب الجميع وليس بغريب أن يزدهر هذا العلم في عهده ويدشن مرحلة التدوين التاريخي المريني من خلال تشجيعه للمؤرخين على الكتابة في تاريخ الدولة المرينية خاصة وتاريخ المغرب عامة فظهرت في أيامه مصادر مشهورة ومتميزة ككتاب *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية* وكتاب *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس* لابن أبي زرع و*البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب* لابن عذاري و*مفاخر البربر* لمؤرخ مجهول.

توفي خارج مدينة فاس بعلة النقرس في الخامس والعشرين من ذي القعدة عام 731 / 1331.

ع. التازي، *التاريخ الدبلوماسي*، المحمدية، 1988 ؛ ع. التعارجي، *الاعلام*، الرباط، ط 2، 1997 ؛ الجزنائي، *جنى زهرة الآس*، الرباط، ط. 2، 1991 ؛ ح. حافظي، *سجلماسة وإقليمها في القرن 8 / 14*، الرباط، 1997 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، القاهرة، 1975 ؛ ابن خلدون، *العبر*، *المقدمة*، بيروت، 1988 ؛ ر. السلامي، وثائق مرينية، دراسة وتحقيق، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا، مرقون، الرباط، 1989 ؛ ع. العروي، مجمل *تاريخ المغرب*، بيروت، 1994 ؛ مايا شاتزميلر، *المؤرخون والسلطة في المغرب*، الرباط، 1993 ؛ مجهول، *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية*، الرباط، 1972 ؛ م. المنوني، *ورقات*، الرباط، 1979؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ؛ الونشريسي، *جذوة*، الرباط، 1974.

Mas-Latrie, *Traités de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale du moyen âge*, Paris, 1866 ; S. M. Alarcón, L. R. Garcia, *Los documentos arabes diplomáticos del archivo de la corona de Aragón*, Madrid - Grenade, 1940 ; Ch.-E. Dufourq, *L'Espagne catalane et le Maghrib aux 13è et 14è siècles*, Paris, 1966 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986 ; A. Khaneboubi, *Les premiers sultans mérinides, histoire politique et sociale*, Paris, 1987.

رشيد السلامي

العثماني، أسرة سوسيّة عريقة يوجد فروع لها في أماكن متفرقة من الإقليمي السوسي. أنجبت العديد من العلماء والصلحاء. وقد خصص لها محمد المختار السوسي أكثر من مئة وستين صفحة في الجزء السابع عشر من كتابه التاريخي (*المعسول*). وفي بداية ذلك التعريف قال الأستاذ المختار (ص .43) : "وبهذه المناسبة يجب علينا أن نؤدي الحق لهذه الأسرة المباركة العثمانية بجميع فروعها على حسب ما نعلم". إلى أن قال : "والله يوفقنا ويسدد خطانا حتى نؤدي ما علينا من حق أكيد لهذه الأسرة التي تسلسل فيها العلم والصلاح في (سوس) منذ القرن السادس إلى الآن. ولم أعرف الآن في المغرب أسرة تسلسل فيها العلم أبا عن جد في زهاء ألف سنة إلا هذه، والأسرة الفاسية بفاس التي عرفت أول عالم منها في أواخر القرن الخامس وهي ميزة انفردت بها الأسرتان وحدهما". ووصفها في (*سوس العالمة*) ص. 121) بأنها "أعظم أسرة علمية سوسية"، وأنها "لم تزل في جميع أجيالها منذ ذلك القرن (أي القرن السابع) تطفح بالعلماء، بل وبالأدباء إلى الآن". وقد ذكر المختار السوسي من رجالاتها المعروفين بالعلم والتدريس أو بالصلاح قريبا من مئتي شخصية.

العثماني، عبد الله بن **محمد** بن أحمد بن الحسين السوسي، الجرسيفي أصلا (1302 / 1388 / 1968) من رجالات الأسرة العثمانية السوسية، ومن الفخذ الذي استقر بأكرسيف ثم بأسكاور من أملن بناحية تافراوت بإقليم تزنيت. ولد بقرية أسكاور. كان فقيها معروفا بالصلاح. حفظ القرآن عن والده، وافتتح مبادئ العلوم على يد أبي العباس أحمد الجشتيمي الشهير بالعلم والأدب، إمام السلطان المولى الحسن الأول. وقد أمضى العثماني عبد الله حياته في الإمامة والتدريس، لكن المختار السوسي ينوه أساسا بمعرفته بتاريخ المنطقة، ويقول عنه في *المعسول* (17 : 159) : "هذا هو مؤرخ الأسرة، وأنبه رجالاتها اليوم، وهو الذي يفيدنا بجميع ما نكتبه عن رجالات أسرته، وعن غيرهم في تلك الجهات، بل هو المؤرخ الوحيد الذي يقدر هذا الفن حق قدره، ولم نره نظيراً في جزولة، مع تثبت وتبصر وصدق في النقل، وسداد في الرأي". ويقول عنه أيضاً : "وهذا السيد آية الآيات في الاستحضار لكل ما كان طالعه، مع حرصه الشديد على الازدياد كل حين بكل جديد (...) وهو من أحبائنا نفعنا الله به في ما نحن بصدده". وكانت له صداقة خاصة مع الأستاذ المختار السوسي. كما كان ضمن الوفد من علماء سوس الذي استقبله جلالة الملك محمد الخامس في دجنبر 1955، ورفع إلى جلالته ملتمسا بإحداث عدد من الإصلاحات.

العثماني، محمد بن **عبد الله** بن **محمد السوسي** (1338 / 1919 - 1417 / 1996) هو الابن الأكبر للمتقدم الترجمة. شاعر وأديب ومفكر. ولد بقرية أسكاور (دائرة تافراوت). حفظ القرآن وعدداً من متون العلم ومبادئ الفقه والنحو وأصول الدين على يد والده. وذهب به والده بعد ذلك إلى الشيخ مربيه ربه بن الشيخ ماء العينين، فأخذ عنه أول درس في ألفية ابن مالك. وأخذ على عدد من شيوخ العلم بسوس منهم العلامة سيدي محمد الحبيب البوشواري الذي قضى متعلما بمدرسته في تنالت بآيت صواب (عمالة شتوكة آيت باها) ست سنوات من عام 1351 / 1932 إلى بداية عام 1356 / 1937. ودرس عليه العديد من المتون، وبالأخص في

اللغة والنحو والبلاغة والأدب والفقه والتفسير والحديث. وقد حصل منه على إجازة مطلقة في جميع مروياته عنه، وخاصة صحيح البخاري. وقد تأثر شاعرنا كذلك بصوفية شيخه وورعه، وهو ما أدى إلى شدة إعجابه به فقال عنه في تعريف خصه به حتى قبل وفاته : "لا يوجد نظيره إلا في بطون التاريخ وتحت صفائح القبور". ثم رحل إلى فاس فأخذ عن علمائها بعض الفنون التي تدرس في القرويين آنذاك، من عام 1356 / 1937 إلى عام 1359 / 1940، وبالأخص أصول الفقه عن الشيخ الطائع بن الحاج، والمنطق عن الشيخ عباس بناني، والمعاني والبيان بالجوهرة المكنونة عن الشيخ رشيد الدرقاوي، وبعض أبواب الفقه والنحو عن الشيخ عبد الله الفضيلي، وبعض أبواب سنن أبي داود عن الشيخ القاضي محمد السايح، والأدب واللغة عن طريق دراسة المعلقات عن الشيخ عبد الواحد العلوي، وأصول الدين عن الشيخ الطاهري. واتصل بالمؤرخ العلامة مولاي عبد الرحمان بن زيدان نقيب الأشراف العلويين بفاس فاستفاد منه كثيراً، وكان من أهم مساعديه على البروز في مجال الإبداع الأدبي. لكن أهم ما استفاده الشاعر في فاس هو الجو الوطني العام الذي كان سائداً بها في تلك الفترة. فاندمج فيه وشارك فيه بفاعلية، عاملا مع طلبة جامعة القرويين على بث روح الوطنية ومقاومة الاستعمار، وهو الذي وضع في بيته ووسطه معاني المقاومة مع الجو الذي تركته ثورة الهيبة ضد الاستعمار في المنطقة، ومع العلاقة القوية لوالده مع ابن الشيخ الهيبة ووارثه الشيخ مربيه ربه، ومع تتلمذه على الشيخ محمد الحبيب التانالتي. وهكذا أسهم العثماني في الأنشطة الوطنية والثقافية بفاس أديباً وشاعراً. وكانت قصائده تنشر على أعمدة بعض الصحف الوطنية، وقد تذاع أحيانا. وأبلى في ذلك بلاء جعله يعرف بين طلبة القرويين بلقب "جرير العصر". واغتنمت سلطات الحماية فرصة إضراب الطلبة بالقرويين، فكان ممن نفتهم وجعلتهم تحت الإقامة الإجبارية. لكن على عكس باقي الطلبة الآفاقيين المبعَدين، والذين سمح لهم - بعد قرار المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه - بالرجوع إلى دراستهم بفاس بعد شهرين فقط من إبعادهم، أصرت السلطات المحلية العسكرية بتافراوت على إبقاء الشاعر تحت نفوذها ومراقبتها. ودامت مدة النفي سبع سنوات، من 1940 إلى 1948. وسمح له بعد السنتين الأوليين بخروج محدود، فالتحق بمدرسة تنالت ليقرأ على شيخها العلامة محمد الحبيب صحيح البخاري. وبعد إتمامه أجازه إجازة مطلقة في جميع مروياته. ومن منفاه واصل نظم شعره المقاوم. وكان يراسل بعض الصحف الوطنية وبالأخص جريدة *العلم* منذ بدايتها، حيث نشر فيها سلسلة مقالات وقصائد باسمه الحقيقي تارة وباسم رمزي تارة أخرى.

وفي فاتح يناير سنة 1948 أفرج عنه نهائيا فتقلب مدرسا ببعض المدارس العتيقة بسوس، ثم انخرط في التعليم الثانوي الحر الذي تشرف عليه الحركة الوطنية، فعين بالأقسام التكميلية التابعة للمدرسة العبلاوية. وفي فاتح أكتوبر 1952 انخرط في سلك التعليم الابتدائي الرسمي بالدار البيضاء بشهادة الكفاءة التربوية. وكان له بعد الاستقلال دور رائد في محاولات علماء سوس الإسهام في نهضة المنطقة ومحو آثار الاستعمار. وتولى باسم وفدهم إلقاء كلمة التهنئة بين يدي جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه، بعد رجوعه من المنفى في شهر دجنبر من سنة 1955. وفي سنة 1956 يقوم الشاعر بتسيير مكتب فرع حزب الشورى والاستقلال بأگادير. وفي أكتوبر 1958 عين في التعليم الثانوي بتارودانت ثم انتقل سنة 1964 للتدريس بثانوية يوسف بن تاشفين بمدينة أگادير. ومنذ 05 / 08 / 1968 تفرغ للشؤون الثقافية لجمعية علماء سوس بقرار من وزارة التعليم. ثم عين بظهير شريف بتاريخ 12 يوليوز 1981 عضواً بالمجلس العلمي لأقاليم تيزنيت - كلميم - طاطا. ألقى بين يدي جلالة الملك الحسن الثاني في رمضان 1408 / 1987 ضمن الدروس محاضرة بعنوان : "السلام في مفهوم الإسلام وفي منظور العصر".

اشتهر الأستاذ العثماني منذ شبابه بكونه شاعراً مرموقاً، أشاد بشعره العديد من العلماء والأدباء في سوس وخارجها. والأستاذ المختار السوسي معجب به شديد الإعجاب. يقول عنه في كتابه (*سوس العالمة*) وهو يتحدث عن الأسرة الجرسيفية : "وفيها اليوم الشاعر العثماني المفوه الذي يقل نظيره في الجنوب"، ويصفه بأنه "النابغة العثماني"، وبأنه "أديب "سوس حقا على الإطلاق" (ص. 10). وفي كتابه (*المعسول*) يقول أثناء التعريف به : "هذا أديب سوس، وشاعره المفوه وهزاره الصداح، وأول من انفتق لسانه بالشعر العالي الذي يرضى عنه الذوق العالي (...)". وفي آخر التعريف يقول : "وبعد، فالرجل إن راجع الشعر وزاد فسيكون شاعر العروبة لا شاعر المغرب فقط"، وشعر الأستاذ العثماني شعر عمودي ذو قافية موحدة، ويتميز بمتانة اللغة، وقوة الخيال، وحدَّة الانفعال. ويجعل العثماني مثله الأعلى في ذلك في الطائيين : أبي تمام والبحتري، وفي الأحمدين : المتنبي وأحمد شوقي. وعلى الرغم من أن أكثر شعره في الوطنيات والرثائيات، إلا أن النفحة الدينية فيه قوية، مع اهتمام كبير بالقضايا الإسلامية. كما اهتم في مرحلة الحماية بتأجيج الحماس الوطني بقصائده التي ينشر بعضها في الجرائد الوطنية حديثة الظهور، ويُتناقل بعضها الآخر في الصدور وفي الكراريس. وبقي يشارك بشعره في مختلف الأحداث السياسية الوطنية والإسلامية إلى سنة 1995. وكان إنتاجه الإبداعي موضوع رسالة جامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا ناقشها الأستاذ إبراهيم إد منصور بكلية الآداب بالرباط تحت إشراف الدكتور عباس الجراري بعنوان : "شعر محمد العثماني : جمع ودراسة".

لكن ما يميز أيضاً هذا العالم الشاعر، فكره المجدد. ففي

محاضراته المتعددة، ومقالاته المنشورة، وفتاواه الشرعية، كان دائماً يرنو إلى التجديد المؤصل. يدافع عن الإسلام، عاملاً على محاربة التقليد والبدعة والجمود، لا يتساهل في ذلك قيد أنملة. وكان شديد التأثر بشيخي الإسلام تقي الدين ابن تيمية وابن قيم الجوزية وكان ينصح الشباب بقراءة كتاباتهما.

وكانت له أحاديث وبرامج إذاعية متعددة بث فيها جزءاً من فكره في مواضيع الأدب والتاريخ والاجتماع، منها برنامجا "علماء مجاهدون" و"مجال الفكر" بالإذاعة الجهوية بأكادير وبالإذاعة الوطنية.

ومن كتاباته : *"نظام الزكاة تاريخا ومقترحا وقضايا مطروحة"* وهو غير مطبوع. ومصطلحات أبواب الإجارة والجعالة واللقطة والضوال في الفقه المالكي، وما يقابله من المذاهب الأخرى، ساهم بها في موسوعة المصطلحات الفقهية التي يشرف على إنجازها بمدينة وجدة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي. أسس سنة 1971 مجلة *"الكلمة"*، وهي ثقافية جامعة باسم جمعية علماء سوس، فكان رئيس تحريرها حتى توقفت عن أربعة أعداد. حصل على وسام الرضى من الدرجة الأولى سنة 1969. وحصل على وسام العرش من درجة ضابط سنة 1972.

توفي الشاعر العثماني يوم الاثنين 14 صفر 1417 / فاتح يوليوز 1996 بمدينة الدار البيضاء رحمه الله وغفر له، وأجزل له الرضوان وألحقنا به صالحين.

العثماني، مَحمد بن **عبد الله** بن **محمد** الفقيه (1340 / 1922 ـ 1404 / 1984) أخ العثماني محمد الشاعر المتقدم. أخذ القرآن الكريم والمبادئ العربية وهو بعد صغير عن والده الفقيه عبد الله بن محمد الجرسيفي العثماني الذي سبقت ترجمته. ودرس عليه وعلى علماء المنطقة بعض مبادئ العلوم الشرعية قبل أن يلتحق بمدرسة "تانالت" بآيت صواب (إقليم شتوكة آيت بها) عند الشيخ العلامة الحبيب بن إبراهيم البوشواري المعروف بالحاج الحبيب التانالتي، والمشهور بعلمه وصلاحه. فلازمه أزيد من ست عشرة سنة، من حوالي 1356 إلى 1372. ودرس عليه مختلف الفنون مما كان متداولا في المدارس العلمية السوسية آنذاك. ولم يكن العلامة الحاج الحبيب مجرد أستاذ لتلاميذه، بل كان لهم أيضاً شيخاً مربيا، وكان ذا نفحة صوفية، كثير العبادة والتهجد، جم التواضع، زاهدا، متفرغا للتعليم والتربية والتوجيه. وكان المثال الأعلى في سوس كلها في الصلاح والعلم والجهاد ما يقرب من نصف قرن من الزمان، وتخرج على يده أفواج من العلماء تميزوا بما نفخ فيهم من حيوية الإيمان، وقوة العلم، وتحرر الفكر...

وكان أستاذنا أحظى تلاميذ الشيخ عنده، ومن أكثرهم تأثرا به. وقد كتب له، بعد مغادرته لمدرسة (تانالت)، رسائل تعكس إعجابه به وعرفانه بجميله عليه. ووجه إليه قصائد تعرض فضائله وتثني عليه. وقد انخرط الأستاذ العثماني في فترة تتلمذه بتانالت في العمل الوطني، والتعبئة ضد الحماية الفرنسية. وكان هذا طبيعيا لأن الشيخ محمد الحبيب كان من كبار المقاومين للاستعمار عند محاولاته دخول منطقة سوس. وكان الأستاذ العثماني رأس خلية من خلايا المقاومة الوطنية في آيت صواب. ونفته سلطات الحماية الفرنسية إلى مسقط رأسه بتافراوت حوالي 1950. ولما سمح له بالعودة إلى مدرسة تانالت التي يدرس بها، بقي مدة تحت الحراسة والمراقبة حتى لا يتصل بأحد.

وابتداء من سنة 1953 عمل إماما وأستاذاً بعدد من الجوامع والمدارس العتيقة بسوس. ثم حصل على شهادة العالمية من جامعة القرويين في مارس 1958. وفي فاتح أكتوبر 1962 انتقل للتدريس بالمعهد الإسلامي بتارودانت. وهو المعهد الذي أسسته "جمعية علماء سوس" منذ سنة 1956، في إطار مشروع نهضة علمية طموحة بالمنطقة. وعلى الرغم من هذا الالتحاق المتأخر للأستاذ امحمد العثماني بالمعهد، إلا أنه ما لبث أن قام بدور رائد في استمرار المعهد في أداء رسالته. ولما تأسست دار الحديث الحسنية بالرباط كان ضمن أول فوج التحق بها سنة 1964. ونال منها دبلوم الدراسات العليا سنة 1971 ببحثه *"ألواح جزولة والتشريع الإسلامي"* تحت إشراف الأستاذ علال الفاسي.

وقد تقلب بعدها في عدة مهام نذكر منها بالخصوص أنه كان : ملحقا برئاسة جامعة القرويين بفاس في دجنبر 1966 لمدة سنتين، فمرشدا للطلبة الأفارقة في معاهد تارودانت وفاس ومكناس ابتداء من فاتح دجنبر 1969، فمكلفا بمراقبة المدارس العتيقة بسوس وحاحة وإحصائها ابتداء من سنة 1971، فأستاذا مساعدا بكلية اللغة العربية بمراكش ابتداء من 1973، ثم استاذا محاضرا ابتداء من 1975. ثم أستاذا محاضرا بكلية الشريعة بأكادير ابتداء من فاتح 1982 إلى حين وفاته.

ولقد كان للجو العام السائد في منطقة سوس والتحديات التي عاشتها قبيل الاستقلال وبعده دوراً أساساً في توجيه اهتمامات الأستاذ العثماني ونشاطه وإنتاجه. فالمعروف عن سوس تشبث أهله الشديد بالدين، وعنايتهم بالعلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية وآدابها وتدريسها ونشرها والتأليف فيها، وقد أقام السوسيون لذلك حوالي مئتي مدرسة علمية، اصطلح على تسميتها بالمدارس العتيقة، وكثير منها لا يزال يؤدي دوره إلى اليوم على الرغم من هزال الإمكانات وقلة الاهتمام المعنوي والمادي.

ولقد ركزت الحماية الفرنسية منذ دخلت المغرب على فصل "البربر" ـ ومن بينهم سكان سوس ـ عن العرب، إثارة للتفرقة بين المغاربة، وتسهيلا لإبقاء سيطرتها، ومحاولة لإبطال مفعول أي مقاومة ضدها. كما كانت تهدف بوضوح إلى سلخ المنطقة عن الإسلام، لأنه ضمان وحدة المغاربة، وموقد جذوة المقاومة ضد الاستعمار.

ولقد كانت هذه السياسة الاستعمارية وخصوصاً ما اصطلح عليه بـ "الظهير البربري"، المشعل الأساس لمقاومة شعبية متصاعدة شملت القبائل الأمازيغية كما شملت مختلف مدن وقرى المغرب. وكان لكل ذلك صداه في ربوع سوس، فتعبأ علماؤها وفقهاؤها لمواجهة مؤامرات سلطات الحماية بكل وسيلة. وقد كان من بين أوجه تلك المقاومة تأسيس "جمعية علماء سوس" بمدينة مراكش في خامس أبريل 1953. وجعل المؤسسون رئاستهم الشرفية للأستاذ محمد المختار السوسي وهو آنذاك في معتقله بتنجداد في صحراء تافيلالت. وبقيت الجمعية تعمل في الخفاء بسبب الضغط الاستعماري إلى أن أعلن استقلال المغرب. وقد عملت الجمعية بعد ذلك وفق برنامج إصلاحي واسع ومتكامل ركز على تعليم المبادئ والأحكام الشرعية في المساجد والإسهام في عملية التوعية الشعبية، والعمل على إصلاح نظام المدارس العلمية العتيقة وتطويرها، وإنشاء المعاهد التعليمية، والتي كان المعهد الإسلامي بتارودانت المذكور آنفا أهمها. كما رفعت الجمعية ملتمسات متتالية إلى الجهات المسؤولة مطالبة بالعمل على صيانة الأخلاق والقضاء على الفساد وإصلاح العدالة والتعليم، وتعميم اللغة العربية ...وغيرها. وكانت أسرة الأستاذ مَحمد العثماني معبأة بقوة في مشروع جمعية علماء سوس. ونذكر مثالا على ذلك الوفد من علماء سوس الذي استقبله جلالة الملك محمد الخامس في دجنبر 1955. وكان يضم 130 شخصية، كان من بينهم فقيهنا مَحمد العثماني، ووالده عبد الله، وشقيقه الأكبر الأديب الشاعر محمد العثماني. وهذا الأخير هو الذي تلا كلمة الجمعية أمام جلالة الملك.

لقد كان لهذا الجو ولهذه المعركة أثر بعيد المدى على تكوين الأستاذ مَحمد العثماني واهتماماته. ويمكن أن نختصر المحاور الكبرى لإسهاماته في مواجهة تأثيرات السياسة الاستعمارية المذكورة في أربعة محاور هي :

1 ـ إصلاح المدارس العتيقة بسوس.

2 ـ الدفاع عن التعليم الأصيل.

3 ـ بعث تراث سوس الإسلامي.

4 ـ بعث الوعي الديني .

وعلى الرغم من أهمية الإنتاج العلمي والتاريخي الذي تركه إلا أنه لا يزال مخطوطاً ينتظر العزائم لطبعه. توفي الأستاذ مَحمد العثماني بالدار البيضاء يوم 27 جمادى الثانية 1404 موافق 30 مارس 1984.

م. المختار السوسي، *المعسول*، الدار البيضاء، 1963، ج 17 ؛ *سوس العالمة*، المحمدية، 1960 ؛ م. العثماني، *نظام الزكاة*، مرقون ؛ *وثائق خاصة* ؛ امحمد العثماني، *ألواح جزولة*، د.د.ع. بدار الحديث الحسنية، 1971، مرقون ؛ *معالم من تاريخ سوس*، حلقات إذاعية، مخطوط ؛ *تقرير عام عن المدارس العلمية القرآنية العتيقة* سنة 1972 ؛ *وثائق ورسائل خاصة* ؛ أيت بومهاوت امحمد الوسخيني، *منار السعود عن تفراوت الملود ومدرستها العتيقة*، تصدير محمد العثماني، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1414 / 1994 ؛ مجلة *الكلمة*، أصدرتها الجمعية الإسلامية للثقافة والإرشاد (جمعية علماء سوس) 1971 إلى مايو 1972 ؛ عمر الساحلي، *المعهد الإسلامي بتارودانت والمدارس العلمية العتيقة بسوس*، الدار البيضاء، 1990 ؛ ع. الجراري، *الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه*، الجزء الأول، الطبعة الثانية، الرباط ؛ جمعية علماء سوس، *منجزات جمعية علماء سوس في عهد محمد الخامس*، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، 1980 ؛ سعد الدين العثماني، *الشخصيات التي ساهمت في تكوين الأستاذ محمد العثماني*، ضمن : منجزات جمعية علماء سوس، 2000 ؛ إبراهيم إد منصور، شعر محمد العثماني، جمع ودراسة، د.د.ع. كلية الآداب بالرباط.

سعد الدين العثماني

عجرود (واد – قصبة) كان البكري أول من أشار إلى عجرود باعتباره مرسى من مراسي غرب البحر الأبيض المتوسط، وحدّد موقعه شرق جزر ملوية التي تنعت أيضاً بجزر كبدانة في بعض الأحيان أو الجزر الجعفرية (البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، ص. 89). إلا أن الاهتمام بهذا الموقع الجغرافي وتحديده بدقة تزامن من الاحتلال الفرنسي للجزائر، إذ صار محط نزاع بين المخزن والسلطات الفرنسية المحتلة للجزائر آنذاك، وانتهى أمر الحدود باعتبار عجرود معلمة حدودية بين الأراضي المغربية والجزائرية في أقصى شمال خط الحدود بين البلدين، ونصّت عليه اتفاقية مغنية حول الحدود سنة 1845 في البند الثالث باعتباره وادا يصب في البحر الأبيض المتوسط، ولمزيد من الدقة وقع التنصيص عليه بكونه امتدادا لواد كيس في مجراه الأسفل. وبناء على ذلك يمكن تعريف واد عجرود باعتباره يشكل القسم الأسفل من مجرى واد كيس قبيل مصبه في البحر، حيث لا يتعدى مجرى الواد الذي يسمى عجرود حوالي ثلاثة كلم من مصبه في البحر إلى خانق مشهور باسم "بين الاجراف"، ويحدّ واد عجرود المجال الترابي لقبيلة أولاد منصور من جهة الشرق، وهي القبيلة التي تستوطن الأراضي الممتدة من خط الحدود شرقا إلى مصب وادي ملوية غربا.

وفي العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر كثر تداول اسم قصبة عجرود في الوثائق، ويُقصد بذلك قصبة السعيدية التي كانت تعرف إبّان تأسيسها باسم القصبة السعيدة (انظر مادة قصبة السعيدية في المجلد الخامس عشر)، حيث كثيراً ما كانت تنسب القصبة المذكورة إلى عجرود باعتباره المجال الذي شيدت عليه، وعلى نفس النسق نصادف في الوثائق اسم شاطئ عجرود، ويقصد بذلك الساحل الممتد على ضفتي واد عجرود. وفي مطلع القرن العشرين استُحدثت سوق عند مصب الواد، وصارت تُنسب إليه، بعد أن ألغت سلطات الاحتلال سوق عجرود الشرقي التي كانت تنعقد كل يوم أربعاء، وكان موقعها على الضفة اليمنى لواد كيس على بعد 4 كلم من البحر، وكان ينعتها أهالي المنطقة بسوق الحِيمر، وقد ورد ذكرها بهذا المعنى في اتفاق 20 أبريل

1902 الخاص بتنظيم التجارة بالحدود المغربية ـ الجزائرية: وبعد احتلال المنطقة سنة 1907، قررت السلطات الفرنسية نقل سوق الحيمر إلى جوار قصبة عجرود (السعيدية)، حيث صار يُعَقد كل يوم أحد ليتناسب مع عطلة نهاية الأسبوع عند المستوطنين الفرنسيين، ومازال الأمر كذلك إلى وقتنا الحاضر (2003)، فاشتهر السوق باسم عجرود، وصار هو الاسم السائد بين الأهالي، بينما طغى اسم سوق السعيدية بين المستوطنين الفرنسيين، لكن هذه التسمية الأخيرة هي التي ترسخت في الأذهان بعد استقلال البلاد. ويجب التنبيه إلى أن مرسى صاي المعروف حاليا باسم بلّمهيدي كان هو أيضاً في بداية القرن العشرين ينعت باسم مرسى عجرود كيس (انظر مادة صاي، المجلد الخامس عشر).

البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، ص. 89 ؛ ملف وجدة بمديرية الوثائق الملكية، الرباط ؛ ع. برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي* ؛ *المجال الحدودي بين المغرب والجزائر في مطلع القرن العشرين*، 1900 ـ 1912، منشورات كلية الآداب، المحمدية، 2002.

L. J.-B. Say, *La frontière du Maroc*, in *Bulltein de la Société de géographie commerciale de Paris*, 1888 ; L. Voinot, *Les entraves au commerce algéro-marocaines et la conclusion d'accords spéciaux (1898 - 1902)*, *B.S.G.A.O.*, 1933 ; F. Llabador, *Port Say et son fondateur*, Oran, 1955 ; J. Rouch, *Saïdia, port méditerranéen du Maroc français*, La Géographie, TLX, 1933.

عكاشة برحاب

العجلة عرف المغاربة القدامى العجلة ونقشوها على الصخور وجدران الكهوف لكننا لا نعرف بالضبط متى استعملوها ولأية أغراض، خاصة وأن النوع المرسوم نوع متطور (عجلات ذات عرائش) "أشعة Rayons". مما يجعلنا نفترض أن الإنسان في التاريخ القديم كان يسجل ما يراه ويبهره فينقشه أو يرسمه قصد تقليده أو جلبه عن طريق الحظ كما كان يعتقد، وفي تقديري أن المغاربة شاهدوا العربات أول ما شاهدوها عندما تعرض شرق إفريقيا وشمالها الشرقي لهجمات الفراعنة عند توسعهم غرباً مما اضطر شعوب هذه المناطق إلى النزوح باتجاه الجنوب والغرب مسجلين في المواطن التي حلوا بها ما لاحظوه من بطش عددهم وجبروته وما بهرهم من أسلحته وآلاته ومنها العربات، وإذا قفزنا على المرحلة الرومانية في المغرب والتي كانت فيها العربة ولاشك من وسائل تنقلاتهم السريعة.

وأثبتت المصادر التاريخية والأثرية هذا الاختفاء البطيء للعربات، لكن الملاحظ ومن خلال الإشارات النادرة أن البطء نفسه مسجل في عودة ظهور العجلات بالمغرب، ففي العهد المريني ـ الوطاسي سجل أول ظهور للعجلات ـ كما يفيدنا صاحب كتاب (جنى *زهرة الآس*، ص. 36) فقد تحدث بتفصيل عن البيلة الرخامية التي استوردت في عهد السلطان أبي الحسن من مدينة المرية بالأندلس إلى مدينة فاس نقلت بحراً من الأندلس إلى ميناء العرائش ومنها إلى نهر سفدد (الكوس) ومنه نقلت براً إلى وادي سبو على العجلات تجرها القبائل، وتعود إشارة أخرى إلى العهد الوطاسي أوردها الحسن الوزان في (*وصف إفريقيا*، 1 : 192) ففي معرض حديثه المفصل عن مدينة فاس جرد الدكاكين والصنائع ولما وقف عند صناعة النجارة ذكر أن من مصنوعاتها : "عرائش العجلات" دون أن يحدد استعمالها، لكن مارمول كربخال الذي زار المغرب وعاش في الفترة القريبة جداً من عهد الوزان تحدث عن عجلات العربات.

لم يظهر النقل على العربات في المغرب إلا أواخر القرن 19، ولعل هذا التأخر في ظهوره راجع بالأساس إلى ما سبق وأن عرضنا له من توالي الاضطرابات السياسية والحروب والصراعات القبلية وتحرك السكان الدائم، إضافة إلى الكوارث الطبيعية والغزو الأجنبي، كل ذلك حال دون استمرار وتيرة التطور، أما العجلة فقد وجدت كما لا حظنا منذ القديم وفي كل العصور التاريخية ومنها العهد السعدي، إذا استعملت فيه العجلات على نطاق واسع لكنها اقتصرت على الميدان العسكري، فكانت المدافع المختلفة الأحجام والأوزان توضع على حامل أو سرير من خشب أو حديد له أربع عجلات إما من خشب أو من حديد، لكن ظروف استعمال العجلات في النقل لم تتوفر مثلما توفرت للأوروبيين في الفترة نفسها وما عرفه النقل من تطور في القرون الثلاثة اللاحقة، فقد تطورت عندهم العربات والنقل على العربات بشكل كبير من عربات ثقيلة وبسيطة تجرها الأبقار إلى عربات كبيرة سريعة تجرها عدة خيول، ومن نقل محلي محدود إلى نقل عمومي يربط بين البلدان بل وتكوين خطوط قارة ربطت بين كبريات الحواضر، فكانت من أنجح الوسائل للتبادل التجاري والحضاري، وهذه الوسيلة نفسها لعبت دوراً كبيراً في اكتساح الأروبيين للعالم الجديد وسهلت استغلاله، وفي المغرب استمر التطور بطيئاً إلى أن جاء الغزو الامبريالي ومعه أدواته ووسائله وآليات لاستغلال الشعوب الجامدة.

البكري، *المغرب*، الجزائر، 1911 ؛ ابن عذاري، *البيان*، بيروت، 1948، 1 : 39، الجزنائي، *زهرة الآس*، الرباط، 1967، ص. 36 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، 1 : 99 ؛ الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980، 1 : 192 ؛ مارمول، *إفريقيا*، 2 : 151 و154 ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ مجهول، *الاستبصار*، الإسكندرية، 1998، ص. 155 و455 ـ 435 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح*، الجزائر، 1981، ص. 417 ؛ ابن الحاج، *فيض العباب*، الرباط.

محمد حجاج الطويل

العجميسي، أبو **الربيع** سليمان فقيه سبتي. اسمه الكامل يعرفنا به صاحب *اختصار الأخبار* هو سليمان بن سبع العجميسي. يكنى أبا الربيع (الملاحظ أن الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور لم يعتمد على ما يبدو على مخطوطة الخزانة الحسنية والمصنفة تحت رقم 5570 حيث يرد لقبه). يصفه الأنصاري بالفقيه الخطيب المحدث الحافظ. وربما اعتبر

أحد أسلاف أسرة العجميسي أو العجيسي التي أنجبت العديد من العلماء المالكيين، توفي بسبتة، ودفن في الربض الأسفل بصحن جامع الثيابين حيث تقام صلاة الجمعة، حسب المخطوطة المذكورة، وليس بصحن جامع التبانين كما ورد في النص المحقق. ويذكر من مؤلفاته كتاب *شفاء الصدور*. من الملاحظ أن مؤلفا بنفس العنوان يحفظ الجزء الثاني منه مخطوطاً في الخزانة الحسنية تحت رقم 5733، وقد نقله ناسخه تحت عنوان *شفاء الصدور لابن سبع في فضل الأمة والصحابة وآل البيت* ... إلا أن اسم المؤلف ورد في الكتاب على هذا النحو : الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ أبي مهدي عيسى بن سبع. وقد فرغ ناسخه من نسخه بكرة يوم الخميس 8 من ربيع الأول النبوي عام 1260.

الأنصاري، *اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار*، مخطوطة خ. ح ، رقم 5570، ص. 4، تح. ع. الوهاب بن منصور، الرباط، 1403 / 1983، ص. 22.

زليخة بنرمضان

العجوري، عبد النبي من مواليد سنة 1916 بدوار تاسبيب ملحقة تيزي وسلي ناحية تازة. التحق بصفوف جيش التحرير تحت رئاسة السيد العجوري محمد، حيث شارك في الهجوم على مركز تيزي وسلي والهجوم على مركز سيدي علي بورقبة وذلك بمركز تيزي انتيدا.

توفي في 7 / 6 / 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 504256.

العجوري، محمد ولد 1934 بدوار بغلاست جزناية إقليم تازة وعند اندلاع الشرارة الأولى لجيش التحرير التحق بصفوفه، بمركز تيزي وسلي تحت قيادة الغابوشي. شارك في عدة هجومات من بينها هجوم بين الصفوف، سيدي عيسى، جبل لقرع حيث أبلى البلاء الحسن وبعد الاستقلال التحق بصفوف الجيش الملكي.

توفي يوم 20 شتنبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 504292.

ابن **العجوز، أحمد** بن **عبد الله** بن موسى الكتامي، من أهل أصيلا، وإليه ينسب بيت بني العجوز الشهير في العلم بسبتة لعدة أجيال. كان من أهل الفقه والشعر، ودخل الأندلس وسمع بها من وهب ابن مسرة الحجاري (ت. 346 / 957) وغيره. وكان ولده عبد الرحيم (ت. 420 / 1029 من علماء المغرب المشهورين.

توفي في حدود أواخر القرن الرابع الهجري.

ابن بشكوال، *الصلة*، القاهرة، 1955، ج 1، ص. 87 ـ 366، رقم 184 ـ 824.

ابن **العجوز، عبد الرحمن** بن عبد الرحيم بن أحمد، من أهل الفقه والصلاح. أشهر بني العجوز في العلم وأعلاهم قدراً وجلالة. انتقل من أصيلا إلى سبتة وبها اشتهر ذكره وعرف بباقي مدن المغرب، وكان حسن الأخلاق، ذا علم وفضل ونباهة. لقي العالم أبا إسحاق التونسي في منصرفه من الحج، وأخذ معه في المسائل. وأخذ عنه جماعة من السبتيين.

توفي سنة 449 / 1057.

ابن بشكوال، *الصلة*، طبعة القاهرة، ج 1، ص. 338 ؛ القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، طبعة وزارة الأوقاف، ج 7، ص. 280، وج 8، ص. 84 ؛ ابن حمادة، *اختصار المدارك*، ملحق *ترتيب المدارك*، ج 8، ص. 204 ؛ القاضي عياض، *الغنية*، طبعة بيروت، ص. 196 ؛ ابن فرحون، *الديباج المذهب*، ج 1، ص. 476 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ص. 115.

محمد المغراوي

ابن **العجوز، عبد الرحيم** بن **أحمد** بن عبد الله بن موسى الكتامي. كان أبوه أحمد يسكن أصيلا واستوطن هو سبتة، جال في طلب العلم في الأندلس وارتحل إلى إفريقية حوالي سنة 380 حيث تتلمذ على فقيه القيروان عبد الله بن أبي زيد صاحب كتابي *النوادر والمختصر*. كان عبد الرحيم من حفاظ الفقه المالكي والقائمين به، فتفقه عليه كثير من الناس بسبتة ورووا عنه، منهم جماعة من فقهاء سبتة وفاس، وممن روى عنه أبناؤه عبد العزيز وعبد الرحمن وعبد الكريم ؛ وصف في *"بيوتات فاس"* بالمفتي والعالم المدرس بفاس أيام مغراوة، ورد ذكره ضمن *"بيت بني العجوز"* (41 : 68). ووصفه القاضي عياض بقوله "كان ذا شهرة في بلاد المغرب ... وإليه كانت الرحلة في جهة المغرب في وقته وعليه مدار الفتوى" (*المدارك*، 7 : 278 ـ 280) ؛ ولد سنة 340، وتوفي سنة 413.

وقد تسلسل الفقه والقضاء في سلالة عبد الرحيم، فمن أبنائه الفقهاء : عبد العزيز المتوفى حوالي سنة 430 (تر. في *المدارك*، 8 : 83)، وأخوه أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الرحيم الذي اشتهر ذكره بعد أبيه في العلم بسبتة، ووصف "بالفقيه الكامل العالم الصالح الزكي الفاضل" وممن أخذ عنهم أبوه وأبو إسحاق التونسي بالقيروان ؛ وممن أخذ عنه ابنه محمد الآتي ذكره ؛ توفي عبد الرحمن سنة 449 (*المدارك*، 8 : 84، 88 ؛ *الديباج*، 149 ؛ *شجرة النور الزكية*، ص. 115). ومحمد بن عبد الرحمن المعروف "بأحد رؤوس فقهاء سبتة ومفتيهم"، أو بعبارة أخرى "من جلة فقهاء سبتة مقدما في المفتين" وهو من أهل التدريس بها أيضاً، وقد ترجم له بشيء من التفصيل القاضي أبو الفضل عياض السبتي في المدارك ؛ تولى محمد قضاء فاس في أوائل عهد يوسف بن تاشفين ثم صرف عنه وتوفي بفاس سنة 474 (*المدارك*، 8 : 174).

أما ابنه أبو القاسم عبد الرحمن الذي كان مستوطنا

سبتة، أخذ عن والده أبي عبد الله محمد، وأخذ عنه القاضي عياض وغيره ؛ فكان عالماً فاضلاً فقيهاً ثقة كاملاً، وصف بكونه أشهر أهل بيته في العلم والجلالة، ذكر ابن الزبير أنه "كان يميل إلى النظر والاجتهاد" ؛ تولى قضاء الجزيرة الخضراء ثم سلا ثم خطة خليفة قاضي الحضرة (مراكش) ؛ توفي بفاس مصروفا عن هذه الخطة سنة 515 (وقيل توفي سنة 510).

عياض، *المدارك*، 7 : 278 ـ 280 و 8 : 83 ـ 84، 88 ـ 174 ؛ *الغنية*، 168 ـ 169 ؛ ابن شكوال، *الصلة*، 1 : 85، 2 : 354 ـ 355 ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة*، ق 3 : 218، ع 370 ؛ ابن فرحون، *الديباج*، 149 ، ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت ؛ ابن القاضي، جذوة *الاقتباس*، 2 : 408 ؛ ابن الأحمر وغيره، *بيوتات فاس*، 41 ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، 118 ؛ ابن مخلوف، شجرة *النور الزكية*، ص. 115 ـ 124، بيروت، 1349.

أحمد عزاوي

ابن **العجوز، عبد الكريم** بن **عبد الرحيم** بن أحمد الكتامي أخذ العلم عن أبيه ثم رحل في طلبه، لكنه لم يتفرغ له كإخوته الأربعة، بل فضل الانصراف إلى تدبير شؤون قبيلته كتامة فصار رئيساً لها، وكانت هذه القبيلة تنتشر على المنطقة الجبلية التي تشمل اليوم تراب قبائل بني يوسف وسوماتة إلى منطقة قصر كتامة، وكانت قاعدتها دمنة عشيرة أو الدمنة الواقعة شمال شرق القصر الكبير في تراب قبيلة بني گرفط.

ظهر عبد الكريم بن العجوز على مسرح الأحداث السياسية كشيخ لقبيلة كنامة في أواسط القرن الخامس الهجري (11 م)، ويبدو أنه سعى إلى نقل قاعدة قبيلته جنوباً إلى مدينة سوق كتامة بعد الفراغ والتدهور الذي أعقب سقوط إمارات الأدارسة بالشمال، لذلك اهتم بمدينة سوق كتامة وزاد في عمرانها "فبنى داراً سميت قصراً لعدم القصور بتلك الجهات" (*الاستبصار*، 189)، ولهذا السبب صارت المدينة تعرف بقصر كتامة وقصر عبد الكريم. ومن غير المستبعد أن هذا العمل كان خطوة في سبيل تأسيس إمارة جديدة تنضاف للإمارات المدينية التي كانت تتقاسم المغرب قبل توحيد المرابطين له، مثل الإمارات التي كانت قائمة بسبتة وسلا وفاس وسجلماسة وأغمات وتارودانت، فضلاً عن إمارة برغواطة. لكن مشروع عبد الكريم الكتامي أجهض في بداياته لأنه تزامن مع الزحف المرابطي إلى الشمال، فبعد فتح المرابطين لمدينة فاس سنة 462 / 1069، اضطر أصحابها أمراء مغراوة الزناتيون إلى الفرار واللجوء إلى حليفهم عبد الكريم بن العجوز الذي تراجع شمالاً إلى قلعة الدمنة الجبلية، فتعقبهم المرابطون خوفاً من استجماع قوتهم، وتدخلوا بعنف في قلعة الدمنة فخربوها وقتلوا رئيس كتامة عبد الكريم بن العجوز سنة 465 / 1073.

ابن بسام، *الذخيرة*، تح. إحسان عباس، بيروت، ج 2 ـ 2، ص. 660؛ ابن خلدون، *العبر*، طبعة بيروت، 1981، ج 6، ص. 296 ؛ القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، طبعة وزارة الأوقاف، ج 7، ص. 230 ـ 280 ؛ محمد العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، فاس، طبعة حجرية، 1324، ص. 145 ؛ مجهول، *الاستبصار*، تح. سعد زغلون عبد الحميد، الإسكندرية، 1958، ص. 189 ؛ مجهول، *مفاخر البربر*، تح. محمد يعلى، مدريد، 1996، ص. 194.

محمد المغراوي

ابن **عجيبة، أحمد** بن **محمد** الحسني (1161 ـ 1224 / 1748 ـ 1809) ولد بقرية بقبيلة الحوز (بإقليم تطوان) تعرف باسم "اعجيبش". تعلم القرآن في قريته، وحفظه على جدّه المهدي، كما أقرأه إياه : أحمد الطالب، عبد الرحمن الكتامي الصنهاجي، العربي الزوادي، محمد أشمل. وإلى جانب القرآن كان يشتغل في حفظ المصنّفات كالآجرومية وألفية ابن مالك، والمرشد المعين لابن عاشر، ونظم الخرّاز، وحرز الأماني للشاطبي. وحينما كان يقرأ القرآن ويحفظ المتون على الفقيه أشمل بدار الشاوي من قبيلة بني مصوّر، تعرّف على محمد السوسي السملالي الذي كان يدرّس بمدينة القصر الكبير، فأخذه معه، وهناك تفرغ لدارسة العلم وللعبادة.

وفي سنة ثمانين ومائة وألف (1767)، انتقل إلى مدينة تطوان، فدرس على الفقيهين أحمد الرشتي، وعبد الكريم ابن قرّيش، درس على الأول : *الألفية*، ومختصر *خليل*، و*السلم*، ومختصر *السنوسي* في المنطق والصغرى والبكرى له، ودرس معه *المقنع والخزرجية* ؛ ودرس على الثاني، *التفسير*، وصحيح *البخاري* مراراً، وصحيح *مسلم*، ومختصر *خليل* مراراً و*الرسالة* لابن أبي زيد القيروان و*تحفة الحكام* لابن عاصم، ولاميّة *الزقاق*، و*ألفية ابن مالك* مراراً، و*المغنى* لابن هشام، ولامية *الأفعال*، ومختصر *السنوسي*، و*العقيدتين* الصغرى والكبرى له، و*السلم في المنطق*، وتخليص *المفتاح في البيان*، ومختصر *السبكي* في الأصول، و*الشفا* للقاضي عياض، وهمزية *الإمام البوصيري* ... ودرس على غيرهما أيضاً : مثل النحوي محمد العباس، والقاضي عبد السلام ابن قريش ومحمد غيلان وعلي شطير. ولما قدم الشيخ محمد الجنوي الحسني إلى مدينة تطوان، درس عليه ابن عطاء الله في التصوف، وأصول الطريقة للشيخ زروق في التصوف كذلك وغيرهما.

ولما توفي شيخه هذا رحل إلى مدينة فاس، بغية التزود بالعلم، فدرس على العلامة محمد التاودي ابن سودة صحيح البخاي، وأجازه إجازة عامة ؛ ودرس علم الفرائض على فَرَضيّ وقته محمد بَنِّيس، كما درس جزءاً من "التسهيل" لابن مالك، ودرس التفسير أيضاً على الفقيه أحمد الزعري، وأخذ "التلخيص" عن الطيب ابن كيران ... ومن فاس رجع إلى تطوان فزاول التدريس بها، واشتغل بذكر الله تعالى فرداً وجماعة إلى أن تعرف على شيخه الروحي العارف بالله محمد البوزيدي الحسني فأخذ عنه أصول الطريقة الدرقاوية ولازمه. مدة وتأثر به في سلوكه، وأطاع أوامره في الزهد والتقشف والورع والتقوى.

مؤلفاته : ولم يكتف الشيخ أحمد ابن عجيبة بالتدريس والعبادة والذكر، بل ترك لنا عدة مؤلفات ندعه يتحدث عنها بنفسه. قال تحت عنوان : "*ذكرما جمعناه من التصانيف*" ما يلي :

فمن ذلك شرح الهمزية والبردة للبوصيري. وشرح (الوظيفة) الزرّوقية ؛ وشرح الحزب الكبير للشاذلي ؛ وشرح أسماء الله الحسنى، أفردت لكل اسم باباً ؛ وشرح المنفرجه لابن النحوي ؛ وتأليف في علم النيّة، فيه نحو خمسين بابا ؛ وتأليف في ذم الغَيْبة ومدْحِ العزلة والصمت ؛ وتأليف في الأذكار النبوية ؛ وتأليف في أربعين حديثاً في الأصول والفروع والدقائق ؛ وتأليف في القراءات العشر، مشتملا على آداب القراءة والتعريف بالشيوخ العشرة ورُواتهم وتوجيه قراءة كل واحد منهم ؛ وتأليف في طبقات الفقهاء وذكر أرباب المذاهب والتعريف بهم وبمشاهير أصحاب مالك من زمانه إلى زماننا هذا على ترتيب وجودهم كل قرن وحدهُ إلى وقتنا هذا ؛ ثم أتبعته بذكر النحويين والمحدثين والصوفية غير أن الصوفية لم أستكمل ذكرهم.

ثم شرحتُ - بعد ملاقاتنا بشيخنا البوزيدي - حِكَمَ ابن عطاء الله ؛ والمباحث الأصلية ؛ وتصلية القطب (مولاي عبد السلام) بن مشيش ؛ وشرحت فاتحة الكتاب ثلاثة شروح :

أحدهما صغير (نحو كراسين) ؛ والآخر كبير فيه نيف وعشرون كراساً صغيراً، وآخر صغير جداً (نحو ورقتين). ثم فسرت كتاب الله العزيز من أوله إلى آخره في أربعة مجلدات كبيرة، جمعت فيه بين عبارة أهل الظاهر وإشارة أهل الباطن، سميته (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد) ؛ ثم شرحت خمرية ابن الفارض التي قال في أولها : (شَرِبْنا على ذِكْرِ الحبيب مُدَامَةً) ؛ وبعضَ مقتطعات الششتري ؛ ثم شرحت قصيدة شيخنا الرائية في طريق السلوك ؛ وألّفت كتاباً في القضاء والقدر، ألفته في زمن الوباء ؛ ثم شرحت أبيات الجنيد :

توضّأ بماء الغيب إنْ كُنتَ ذا سرّ   وإلا تَيمَّمْ بالصَّعيد أو الصَّخر
وقدِّمْ إماماً كنتَ أنتَ إمامَه   وصلِّ صلاة الفجر في أوَّل العَصْر
فهذى صلاةُ العارفين بِرَبِّهم   فإنْ كنتَ منهم فانضَح البَرَّ بالبَحْر

ثم شرحت تصلية ابن عربي الحاتمي ؛ وشرحت نُونية الششتري في أربعة كراريس صغار، ثم ألفت كتابا في حقائق التصوف ؛ كما شرحت تائية شيخنا في الخمريات الأزلية (ثمانية كراريس) ؛ وأعددت عليها شرحاً آخر (12 كراساً ونصْف كراس) ثم شرحت "الآجرومية" جمعت فيه بين النحو والتصوف وعبارة وإشارة كصناعة التفسير ... الخ

ولم يطبع من هذه المؤلفات غير : شرح الحكم المسمى (*إيقاظ الهمم في شرح الحكم*)، وشرح الآجرومية مجردةً عن النحو، وخمسة عشرَ حزباً فقط من تفسير (البحر المديد) والباقي مازال مخطوطاً.

وتوفى في سابع شوال من عام 1224 (15 نوفمبر 1809) في دار شيخه الصوفي سيدي محمد البوزيدي الحسني بقرية بوسلامة، بفرقة بني سلمان من قبائل غمارة، وبقي مدفوناً بالقرية مدة اختلف فيها : فمن قائل إنها كانت ثلاثة أيام، ومن قائل، إنها كانت أربعين يوماً ومن قائل إنها كانت ثلاثة أشهر ؛ ولكن مريديه (الفقراء) اغتنموا فرصة فنبشوا قبره، وأتوا بجثته إلى موطنه بقرية الزُّمّيج من قبيلة أنجرة حيث مازال ضريحه هناك يتبرك به.

عبد الله العمراني

ابن **عَجيبة، محمد** بن **تاج الدين**، عالم كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته أنجرة انظم إلى صفوف المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني ؛ وقد كان يشهد له الجميع بشجاعته البالغة حيث يكون دائماً في مقدمة رجاله دون أن يصاب بجروح، فكان الجميع يعتقدون أنه كان له حجاب "التبريد" (أي تبريد الرصاص) كما جاء في أحد تقارير قيادة الجيش الإسباني بتاريخ 14 فبراير 1920.

وكان قد عين عضواً بالمجلس الاستشاري للمقاومة في المؤتمر المنعقد بقرية عين الدالية يوم 11 ماي 1913، كما انتخب عضواً بالقيادة المركزية للثورة في المؤتمر الذي انعقد بضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز من نفس السنة.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

العدالة والتنمية (حزب -) شارك حزب العدالة والتنمية في استحقاقات 14 نوفمبر 1997 على مستوى الانتخابات التشريعية، لكن بنسبة محدودة، حوالي 140 مرشح من مجموع 325 عدد أعضاء مجلس النواب. ولم يعلن رسميا إلا عن نجاح 9 أعضاء. ورغم سلبيات العملية الانتخابية، ثمن الحزب هذه المرحلة لأنها أفرزت ما سمي بحكومة التناوب سنة 1998 من المعارضة السابقة، بالإضافة إلى حزبين هما الأحرار والحركة الوطنية الشعبية. وكان اسم الحزب وفتها (الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية). وفي يوم الأحد 6 دجنبر 1998 بالرباط عقد مهرجان لتغيير الاسم والتعريف بالاسم الجديد الذي اختير له وهو اسم (حزب العدالة والتنمية) حضره العديد من ممثلي الأحزاب والهيئات السياسية. وقد حسم في مسألة تغيير الاسم بالقرار الذي اتخذه المجلس الوطني في دورته المنعقدة بأكتوبر 1998. ومن دلالات اختيار اسم العدالة والتنمية ما يلي : العدالة يقصد بها العدالة الشاملة بين الأفراد والجماعات، والمؤسسات والهيئات والمناطق والجهات. ويتوخى من خلالها الحزب بناء مجتمع تتكافأ فيه الفرص أمام جميع المواطنين في الاستفادة من خيرات البلاد وثرواتها وخدمات الدولة، وتتوزع فيه الثروات توزيعا عادلا وتحفظ فيه حقوق الفرد والمجتمع على

حد سواء وبشكل متوازن. أما التنمية فهي تتعدى المفهوم المادي التقليدي إلى مفهوم أعمق مدى ودلالة ذلك أن الإنسان هو أساس كل إصلاح منشود. وبذلك تكون التنمية ذات محتوى إنساني بالمدلول العلمي الواقعي الذي ينصرف إلى الإصلاح الذاتي للإنسان حتى يصير طاقة خلاقة تبني المجتمع وتدافع عن مصالحه وتحرس قيمه وتذود عن مقوماته وتعمل من أجل الأمن والاستقرار وتضمن الرخاء والنماء والازدهار. وهذا يحتاج إلى أن يكون الإنسان محور التنمية، وهذا الكلام يعرفه الجميع، ولكنه في المغرب مازال بعيداً أن يصبح واقعا ملموسا ومازال للتنمية مفهوم تقني مادي ميكانيكي ضيق. ومازالت فاشلة لأنها تستبعد الإنسان المغربي وخصوصياته ومستوياته وإيجابياته ونقائصه. وهذه التنمية تعنى بالإنسان المغربي المسلم الموجود على هذه الأرض والمتمتع بحقوق المواطنة. وإنه إنسان لا ينتمي إلى عرق بل ينتمي إلى عقيدة. ينتمي انتماء اختياريا، ولا ينتمي الانتماء القهري الذي يورده موارد أخرى. هكذا إذن يختفي اسم (الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية) من الساحة السياسية بعد أن عمر عشرين سنة واستعيض عنه باسم (العدالة والتنمية). لكن كيف سرى الدم من جديد في عروق هذا الحزب ؟ وكيف ظهر (حزب العدالة والتنمية) ؟

في بداية التسعينيات أرادت بعض فعاليات (حركة الإصلاح والتجديد) إنشاء هيئة سياسية تمارس من خلالها نشاطها السياسي فاتفقوا على إنشاء (حزب التجديد) لكن السلطات رفضت الترخيص له. فأصدرت الحركة (حاتم) ورقة سياسية تقترح فيها العديد من المشاريع لممارسة العمل السياسي. فاختار المكتب التنفيذي (لحاتم) بعد موافقة مجلس الشورى لديها بالسماح لمن أراد من أعضاء الحركة (حاتم) الانضمام إلى حزب الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية الذي تأسس منذ 1967 من أجل الدفاع عن التعددية والحركات العامة. والأمور الثلاثة التي اشترطها الخطيب للدخول للحزب هي الإسلام، واحترام الملكية الدستورية، ونبذ العنف (*الشرق الأوسط*، عدد 12 / 12 / 1997). وكان الدكتور عبد الكريم الخطيب والسيد عبد الله الوكوتي قد اقتنعا بجهود حركة الإصلاح والتوحيد (حاتم) وما تدعو له. وهي تؤكد شمولية الأزمة التي تعاني منها الأمة الإسلامية، ولا يمكن تجاوز هذه الأزمة إلا بالعمل على الإصلاح والتجديد. وذلك بالدعوة إلى تجديد التزام الأمة، فرديا وجماعيا، وتدشين عملية بناء شامل يحيي روح الجهاد والاجتهاد في إطار التدرج والرفق (*التنظيم*، 115). وذلك عبر أسلوب الحوار المقنع، والمشاركة الفعالة مع جميع مكونات المجتمع. وهي تعمل في إطار القوانين الجاري بها العمل وفي إطار الثوابت المجمع عليها وطنيا. وتلتزم النهج الديموقراطي بكل تجلياته وتؤمن بالتعددية السياسية والخصوصيات الثقافية في إطار المقومات الإسلامية للمجتمع المغربي (ميثاق، حاتم). وفي يوم الأحد 2 يونيه 1996 عقد المؤتمر الاستثنائي للحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية الذي توج ببيان ختامي جاء فيه "الحركة ملتزمة بقيم الحرية والديموقراطية وحقوق الإنسان وسيادة القانون في إطار المقومات الإسلامية (...) لاصلح مع العدو الصهيوني الغاصب لأرض فلسطين. وتعتبر الحركة أن مشكل المغرب بالأساس مشكل خيارات وكفاءات وأساليب في التسيير وتدعو إلى إرجاع جو الثقة والتوافق والتعاون (*الراية*، ع 199). وكان لهذه المشاركة أثر وردود فعل متباينة في العديد من الصحف الوطنية دفعت بالمكتب التنفيذي ل (حاتم) لأن ينشر توضيحا وقعه محمد يتيم رئيس الحركة بتاريخ 22 يونيه 1996 جاء فيه : أن العلاقة بين (حركة الإصلاح والتجديد) و(حزب الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية) ليست انضماما من الأولى إلى الثانية ولا هي تحالف بين الهيئتين. وكل ما هنالك أن الأعضاء المهتمين بالعمل السياسي في (حاتم) سيمارسونه في إطار الحزب، بينما ستستمر الحركة إسلامية شاملة قائمة بذاتها تقوم بمهامها كما كانت من قبل (*الراية*، ع 202).

ومن جهة أخرى كان الحوار الذي بدأت أطواره منذ مدة بين (رابطة المستقبل الإسلامي) و(حركة الإصلاح والتجديد) (حاتم) حول مشروع التوحيد بينهما. قد طويت فصوله الأخيرة بميلاد حركة جديدة وهي (حركة التوحيد والإصلاح) نهاية شهر غشت. ونشر بيان عن توحيد الحركتين وقعه الدكتور أحمد الريسوني كرئيس للحركة الجديدة بتاريخ 31 غشت 1996 محرر بالرباط (*الراية*، ع 212). وكان لهذا الحدث وقع بارز في الساحة السياسية الوطنية لكونه خلف ردود فعل متباينة. لكن جهل الكثيرين بواقع الحركة الإسلامية بالمغرب وقدرات روادها على تجاوز خلافات المرحلة الانتقالية بين ثلاث حركات مستقلة جلعهم يتوقعون حدوث نزاع حول زعامه الحركة الجديدة من جهة بين أعضاء (حركة الإصلاح والتجديد) وأعضاء (رابطة المستقبل الإسلامي) وقد توحدوا في إطار حركة واحدة وهي (حركة التوحيد والإصلاح). ومن جهة أخرى توقعوا انشقاقاً داخل حزب الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية لوجود عناصر في الحزب تخشى فقدان مصالح شخصية أو مكتسبات داخل الإطار النقابي التابع للحزب (الاتحاد الوطني للشغل بالمغرب) والعناصر الجديدة المنضمة للحزب خصوصاً بعد أن فاز الأستاذ جامع المعتصم كمستشار في الغرفة الثانية وهو عضو في (حركة التوحيد والإصلاح). فأضحى لأعضاء حركة التوحيد والإصلاح النشطاء سياسيا إطار قانوني يمارسون من خلاله نشاطهم السياسي من داخل حزب الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية، حيث تقدم العديد منهم كمرشحين لاقتراع 14 نونبر 1997. عملت (حركة التوحيد والإصلاح) على مساندة مرشحي الحزب. وسخرت إعلامها ومتعاطفيها لخدمة الحملة الانتخابية لمساندة المرشحين للانتخابات وكأن (الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية) جناحها السياسي.

وكان البرنامج الانتخابي تحت شعار "من أجل نهضة شاملة : أصالة ـ عدالة ـ تنمية" (*الراية*، ع 272). وبالرغم من أن الحزب لم يتمكن من تغطية كل الدوائر الانتخابية، إلا أنه فاز بتسعة مقاعد في البرلمان وكان الكل متفائلا بالمستقبل رغم الخروقات المسجلة. وقبل ظهور هذه النتائج قال عبد الرحمان اليوسفي عن (ح. ش. د، د) "يظهر أن هذا الحزب يتموقع في صف المعارضة ونعتبره كحليف موضوعي، ونتمنى أن النتائج التي سيحصل عليها ستصب في اتجاه التغيير المنشود في بلادنا" (*المستقل الأسبوعي*، ع 201). فكان كذلك، وقد ساند الحكومة مساندة نقدية فيما يراه الحزب منافيا للمرجعية الإسلامية. وقد اتضح موقف الحزب المساند في تعامله الإيجابي مع مجموعة المشاريع والمقترحات القانونية سواء المقدمة من قبل الأغلبية أو الحكومة، وكذلك معارضته الشديدة لقانون السلفات الصغرى والخطة الوطنية لإدماج المرأة في التنمية (من *المساندة النقدية* ... 15).

بعيداً عن الانتخابات ونتائجها، بدأت تلوح في الأفق طبيعة العلاقة المستقبلية بين (حزب الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية) و (حركة التوحيد والإصلاح). ومن خلال تصريح لعبد الإله بن كيران عضو الأمانة العامة لحزب الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية ونائب الأمين العام، وعضو المكتب التنفيذي لحركة التوحيد والإصلاح الذي حاول توضيح طبيعة هذه العلاقة بقوله : "كون أعضاء الحركة الشعبية الدستورية الديموقراطية الذين فازوا في الانتخابات التشريعية هم أعضاء في حركة التوحيد والإصلاح لا يفيد أبدا أي تغيير أو تعديل في السياسة التي خططنا لأنفسنا، وهي أننا سنمارس العمل السياسي من خلال حزب الزعيم الدكتور الخطيب (ح. ش. د. د). وانتماؤنا لهذا الحزب ليس قرارا تكتيكيا، إنما قرار عادي وطبيعي، باعتبار أننا وجدنا حزبا ينسجم مع أفكارنا واختياراتنا وقناعاتنا ونظرتنا للأمور انسجاما تاما. وهذا لا يعني نفي الاختلاف الذي يمكن أن يقع أو واقع حول قضايا معينة ذات صبغة مرحلية (*الراية*، ع 276). توالت الأحداث بعد هذا كله وبدأت الحركة والحزب يتغلبان على المشاكل التنظيمية بالتدريج. فوضع الحزب مخططا وطنيا مكونا من أهداف كبرى وهي : أولا، إرساء البناء التنظيمي للحزب ويشمل : 1. تقوية الهيكلة والتنظيم 2. تحديد التصورات والرؤى. ثانيا، تطوير الأداء والتسيير ويشمل :1 ـ الرفع من أداء الأمانة العامة 2 ـ تفعيل العمل الحزبي 3 ـ الاهتمام بالتربية والتكوين. ثالثا، تقوية إعلام الحزب. رابعا، تقوية الانفتاح الخارجي. خامسا، تطوير الإمكانات المادية. وقد حددت البرمجة الزمنية للهدف الأول ليتحقق قبل المؤتمر الوطني الذي هو تتويج لإتمام الهيكلة المحلية. فتم تشكيل 52 مكتبا إقليميا جديداً استطاع من خلالها تغطية حوالي 78٪ من مجموع أقاليم المملكة. ولتأكيد مغربية الصحراء وإبراز الاهتمام بالقضايا الوطنية التي حولها الإجماع الوطني عقد المؤتمر الإقليمي لمدينة العيون الذي حضره الأمين العام وبعض أعضاء الأمانة العامة وقد ترك صدى طيبا لدى عموم المواطنين هناك. أما باقي الأهداف الأخرى ومقترحات أولويات الفترة ما بعد المؤتمر الرابع فقد حددت في : 1 ـ استكمال إعداد الأوراق التصورية وبالأساس تلك المرتبطة بالمنظمات الموازية للحزب، الشبيبة والنقابة بالخصوص. 2 ـ الاهتمام بالتربية والتكوين من خلال وضع البرامج المناسبة لحفظ التوجه الإسلامي للحزب، ورفع مستوى التربية الأخلاقية والسياسية والإدارية داخله. 3 ـ تطوير إعلام الحزب ليكون قويا ومنافسا. 4 ـ تقوية الانفتاح على المكونات السياسية وعلى الشعب وتنشيط العلاقات الخارجية. 5 ـ تطوير إمكانات الحزب المادية. ولتفعيل كل هذه الإجراءات أحدثت وظيفة مدير الحزب لتغيير آليات الاشتغال ووتيرة اللقاءات. وأسندت للدكتور سعد الدين العثماني (تقرير عن أداء الحزب، 96 / 99).

تمكن حزب العدالة والتنمية من عقد مؤتمره الوطني الرابع في نونبر 1999 بالرباط، تحت شعار "معا.. من أجل البناء" وحضرته مختلف الهيئات السياسية والنقابات الفاعلة في المجتمع. وكان ذلك في بداية العهد الجديد واعتبرت خطوة جريئة بالنسبة لسرعة توالي الأحداث. فكانت فرصة لتثبيت المكتسبات وتوسيع هامش الحريات، والتعبير عن مواقف الحزب تجاه قرار الملك الراحل الحسن الثاني إسناد الوزارة الأولى إلى عبد الرحمان اليوسفي. وقد أعرب الحزب عن أمله في نجاح التجربة. رغم اعتذاره عن المشاركة في الحكومة لأسباب ذاتية وموضوعية. إلا أنه اعتمد موقف المساندة النقدية التي تعني ممارسة واجب المناصحة وإبداء الرأي في إطار المبادئ الإسلامية والمصلحة العليا للبلاد. ومن تلك المنطلقات قرر الحزب مواصلة مسيرته السياسية لدعم الاختيار الديموقراطية داخل الحزب وخارجه والإسهام في تنقية الممارسة السياسية من كل أنواع الفساد، ودعم خيار المشاركة والاستمرار في نهج سياسة الحوار والانفتاح على جميع مكونات المجتمع السياسي والمدني، وتأكيد دعوة المجلس الوطني هيئات الحزب إلى إعادة تقييم موقف المساندة النقدية للخروج بالخلاصات المناسبة التي ستوجه مواقف الحزب من الأداء الحكومي وكذا عمل الفريق البرلماني للحزب الذي تمكن من تشكيله قبل انعقاد المؤتمر، الذي تلي فيه مشروع التقرير السياسي المكون من 20 صفحة ومتضمنا للمحاور التالية : 1 ـ تجديد الانطلاقة وترسيخ الهوية انطلاقا من الورقة المذهبية التي صادق عليها المؤتمر الاستثنائي. 2 ـ النهوض بالوضعية الدينية والأخلاقية للمجتمع المغربي. 3 ـ استكمال وصيانة وحدتنا الترابية. 4 ـ تعزيز الحريات العامة وحقوق الإنسان. 5 ـ النهوض بالوضعية الاقتصادية والاجتماعية. 6 ـ إصلاح نظام التربية والتكوين. 7 ـ النهوض بالثقافة الإسلامية العربية والأمازيغية، والحد من هيمنة الثقافة

الفرنكفونية. 8 ـ تدارك التخلف في قطاع الإعلام. 9 ـ الأسرة والمرأة والارتقاء بهما ضمن منظور تنموي شمولي حقيقي يراعي خصوصيات المجتمع المغربي ويقوم على أسس متعددة ومتكاملة. 10 ـ تفيعل السياسة الخارجية المغربية وتعزيز حضور بلادنا مغاربيا وأفريقيا وعربيا وإسلاميا ودوليا (التقرير السياسي للحزب 1999). فما الذي تغير بعد انعقاد المؤتمر الرابع للحزب ؟ من خلال المحطات النضالية للحزب، كانت مشاركته فاعلة وحضوره وازنا في المشهد النيابي بعد تشكيل الفريق. إذ ما فتئ يؤكد تشبثه بالدفاع عن عدد من القضايا وعلى رأسها التأكيد على وجوب اعتبار الشريعة الإسلامية ومرجعيتها في كافة شؤون الأمة. فكان له موقف من قانون السلفات الصغرى بفائدة وتقدم الفريق بتعديلات للإقراض وفق أسس شرعية. كما ناهض مشروع خطة إدماج العمل الوطنية لإدماج المرأة، لأنها طرحت بطريقة أثارت خلافا حادا داخل المجتمع المغربي وجند كل طاقاته لشرح موقفه الذي توج بمسيرة شعبية بالبيضاء يوم 12 مارس 1999، مزامنة لمسيرة أخرى حول نفس القضية بالرباط. كما طالب بإصلاح المنظومة التربوية من منظور إسلامي. التصريح بالممتلكات وقانون معاشات النواب وكان رد الفريق على التصريح الحكومي برفض كل مقترح من شأنه أن يزيد في تحميل خزينة الدولة أعباء جديدة لفائدة النواب. كما قرر الفريق أمام أية مراقبة لحضور النواب. مراسلة رئيس مجلس النواب بعد كل جلسة بلائحة حضور أعضائه وغيابهم لكل غاية مفيدة. منها تطبيق القانون الداخلي لمجلس النواب عليهم بما في ذلك الاقتطاع من تعويضاتهم لتغيب دون عذر والرقابة على الحكومة من خلال الأسئلة الشفوية والكتابية وكذا المطالبة بتشكيل لجان تقصي الحقائق حول وضعية بعض المؤسسات المالية الوطنية. وكانت مكاتب استقبال المواطنين في دوائر نواب الحزب نقط تواصل دائمة مع المواطنين ومشاكلهم الفردية والجماعية. وعمل الفريق الكثير من الجهد لحذف كل الفقرات التي تشير إلى اعتماد مفهوم المقاربة حسب النوع الواردة في مشروع الخطة الوطنية لإدماج المرأة في التنمية. قدمها الفريق كأرضية خلال اجتماع فرق الأغلبية وأثمر الجهد إذ حذفت هذا المفهوم من مشروع المخطط (الخطة، 197.194) في 1 غشت 2000، قدمت الأمانة العامة للحزب مذكرة حول الأداء الحكومي وفق ما اصطلح على تسميته بالمساندة النقدية. وكان أول انتقاد وجه للحكومة هو كثرة أعضائها مما ينبئ عن منطق الترضيات أثناء تشكيلها. واتصف العمل الحكومي بضعف في المبادرة ونقص في الفاعلية وارتباك في الأداء وهذا بعد مضي سنتين من تشكيلها. وتم رصد مظاهر القصور في مجال تخليق الحياة العامة. فاعتبر الفساد السياسي والقضائي والإداري من أخطر عوامل الأزمة التي تعيشها بلادنا، بالنظر لكون الإصلاحات الضرورية في هذا الملف لا تثقل كاهل الميزانية العامة للدولة بقدرما ستوفر لها من مبالغ هامة. وبما أن الحكومة لم تواكب من حيث الإيقاع الخطوات الملكية من أجل إرساء دولة الحق والقانون والتضامن مع الطبقات الفقيرة ومقاومة التبذير. دعا الحزب إلى تفعيل مقتضيات التصريح الحكومي وإعادة هيكلة الحكومة وتحسين طرق أدائها بما يضمن لها الفعالية والمبادرة ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا من خلال تشكيل حكومة مقلصة من حيث عدد أعضائها والأحزاب المشكلة لها. باختيار أفراد أكفاء أقوياء أمناء، بعيداً عن الحسابات الضيقة بين الأحزاب وداخلها. ووضع برامج واضحة المعالم ومضبوطة، مثبتة زمنيا وقابلة للمتابعة والتقييم حسب معايير موضوعية. ملتزمين في ذلك بمبادئنا الإسلامية (مذكرة حول الأداء الحكومي غشت 2000).

بعد المؤتمر الرابع للحزب أعيد انتخاب الدكتور عبد الكريم الخطيب أمينا عاماً للحزب والدكتور سعد الدين العثماني نائبا له ومديراً للحزب. أما القانون الأساسي الجديد لحزب العدالة والتنمية فشكل من 15 بابا وقرابة 40 فصلاً، موزعة بين أهداف الحزب وشروط العضوية وتنظيم الحزب، كالمؤتمر الوطني والأمانة العامة والمجلس الوطني واللجنة المركزية ومجلس المنسقين الجهويين والإجراءات الانضباطية والجانب المالي.

1 ـ يهدف الحزب إلى : الإسهام في تأطير الشعب المغربي والعمل على توعيته من أجل مجتمع أفضل تسوده المساواة والعدالة وتتحقق فيه كرامة الإنسان وتتاح فيه الفرص للجميع، للمشاركة الفعالة في التنمية. تحقيق ديموقراطية منبثقة من تعاليم الإسلام، ومتلائمة مع تقاليدنا الوطنية السليمة في نطاق ملكية دستورية، تمكن الشعب من ممارسة حقوقه ومظاهر سيادته.

2 ـ العضوية : يمكن الانتماء للحزب وفقا للشروط الأساسية التالية : 1 ـ طلب الانخراط في الحزب بعد الاقتناع بمبادئه وأهدافه وقوانينه الأساسية. 2 ـ تأدية واجب الانخراط. وتتخذ العضوية فيه شكلين : 3 ـ عضو مشارك، وهو الذي ينخرط في الحزب لأول مرة ويمنحه المكتب الإقليمي هذه الصفة. 4 ـ عضو عامل، وهو الذي قضى سنة على الأقل في الحزب كعضو مشارك، وتمنحه الأمانة العامة هذه الصفة.

3 ـ هيئات الحزب : يقوم كيان الحزب ابتداءً من القاعدة على الخلايا ثم الهيئات التالية :

1 ـ المكتب المحلي ويحدث على صعيد الجماعة المحلية ويشرف على اللجان المحلية وينبثق عن المؤتمر المحلي.

2 ـ المكتب الإقليمي : ويحدث على صعيد الإقليم أو العمالة، ويشرف على المكاتب المحلية، وينبثق عن المؤتمر الإقليمي.

3 ـ مجلس التنسيق الجهوي : ويحدث على صعيد الجهة، ويقوم بالتنسيق بين المكاتب الإقليمية على صعيد الجهة.

4 ـ المؤتمر الوطني : وهو أعلى هيئة تقريرية داخل الحزب.

5 ـ المجلس الوطني : يسهر على تقويم أداء الأمانة العامة واللجنة المركزية وجميع الهيئات واللجان التابعة له.

ويصادق على تعديلات القانون الأساسي باقتراح من الأمانة العامة ويناقش جدول أعمال المؤتمر الوطني المقترح من قبل الأمانة العامة.

6 ـ الأمانة العامة : تسهر على تسيير الشؤون العادية وتنظيم المسائل الإدارية، وتعيين المنسقين الجهويين، وتراقب سير المكاتب المحلية. ينتخب الأمين العام مباشرة في المؤتمر الوطني، وينتخب باقي أعضاء الأمانة العامة من قبل أعضاء المجلس الوطني أثناء انعقاد المؤتمر الذي يصادق عليهم.

7 ـ اللجنة المركزية : هي هيئة استشارية للتواصل والتنسيق. تتكون من الكتاب الإقليميين والمنسقين الجهويين، ويترأسها الأمين العام أو من ينوب عنه. وتجتمع بدعوة من الأمانة العامة مرتين في السنة على الأقل.

8 ـ مجلس المنسقين الجهويين : يتكون من المنسقين الجهويين ويرأسه الأمين العام أو من ينوب عنه وينعقد مرة كل شهرين على الأقل. يقوم بمهام التواصل والتنسيق بين الأمانة العامة والمكاتب الإقليمية.

ـ الإجراءات الانضباطية : وتتخذ في حق كل عضو انتهك السياسة التي أقرها المؤتمر بالتنبيه، أو الإنذار، أو التجريد من المسؤولية أو بتجميد العضوية، أو الفصل. ويتخذ القرار بأغلبية ثلثي الأعضاء الحاضرين في الهيئة التي ينتمي إليها، وهو قابل للاستئناف أمام الهيئات العليا حسب المسطرة التي يحددها القانون الداخلي.

ـ للحزب حق التملك وحق الشراء والبيع وتقبل التبرعات، والأمين العام أو من ينوب عنه هو الذي يمثل الحزب في جميع القضايا.

م. نجيب بوليف، *التنظيم بين النظرية والتطبيق*، الدار البيضاء، 1998 ؛ نور الدين قربال، *حزب العدالة والتنمية من المساندة النقدية إلى المعارضة الناصحة*، الدار البيضاء، 2000 ؛ أبو زيد المقرئ الإدريسي، *في المساندة النقدية لحكومة التناوب*، الدار البيضاء، 1999 ؛ مصطفى عنترة، المساندة *النقدية بين حزب العدالة والتنمية ومنظمة العمل*، جريدة *المستقل*، عدد 29 ـ 05 ـ 2000 ؛ مصطفى أعشي، *الحركة الشعبية*، *المعلمة*، عدد 10، سلا، 1998 ؛ ميثاق حركة *الإصلاح والتجديد*، الرباط، 1996 ؛ حركة التوحيد والإصلاح، موقفنا *مما سمي خطة العمل الوطنية لإدماج المرأة في التنمية*، الرباط، 2000 ؛ مشروع *خطة العمل الوطنية لإدماج المرأة في التنمية*، الرباط، 99 ؛ جريدة *الشرق الأوسط*، عدد 12، دجنبر، 1997 ؛ جريدة *المستقل الأسبوعي*، عدد، 201 ؛ جريدة *الراية*، العدد 199 ـ 202 ـ 212 ـ 272 ـ 276 ؛ *برنامج حزب العدالة والتنمية*، 1997 ؛ حزب العدالة والتنمية، الأمانة العامة، التقرير السياسي للمؤتمر الوطني الرابع، الرباط، 1999 ؛ حزب العدالة والتنمية، الأمانة العامة، تقرير عن أداء الحزب ما بين 96 / 99، الرباط، 1999 ؛ حزب العدالة والتنمية، الأمانة العامة، مذكرة حول الأداء الحكومي، الرباط، 2000.

عبد الرزاق ازريكم

ابن **عُدّة، محمد الأندلسي** الفاسي شيخ القراء وإمامهم. ويدعى أيضاً العُدِّى، ولد بغرناطة قبل سقوطها بيد الإسبان بنحو اثنتي عشرة سنة، وبها نشأ وبدأ تعلمه قبل أن ينتقل مع أهله إلى فاس حيث تم تكوينه على يد الأئمة محمد ابن غازي المكناسي ومحمد الهبطي السماتي صاحب *وقف القرآن* وبلديه الفقيه أحمد الدقون، وَعُمّر العُدّي فأصبح بعد وفاة أشياخه مضرب المثل في حفظ القراءات السبع والمنظومات المتعلقة بعلوم القرآن، مع الضبط والإتقان، وجودة الخط. ومن أشهر الآخذين عنه المؤلف المشهور أحمد المنجور الذي ترجم له في فهرسه وقال عنه : "جوّد عليه القرآن من الطلبة من لايحصى".

توفي بفاس سنة 975 / 1567.

أ. المنجور، *فهرس*، تح. م. حجي، الرباط، 1977 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 : 213 ؛ *لقط الفرائد* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 2 : 918 ؛ ع. الرحمن الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1978، ج 2 : 353 ـ 354.

محمد حجي

عدّي (سيدي –) مركز حضري من المراكز التي نشأت ونمت في القرن الماضي على طول المحاور الطرقية الكبرى الحديثة، مراكز استمدت حيويتها ونشاطها الاقتصادي من انفتاحها وسهولة الاتصال بها. غير أن ما يميز هذا المركز عن غيره، كونه يستفيد من موقع جغرافي هام، حيث إضافة إلى مرور الطريق الرئيسية فاس ـ مراكش به، نجده يتوسط منخفض تيكريكرة، وهو السهل الفلاحي الغني الوحيد بالمنطقة، اشتهر على مستوى وطني، خاصة في العقود الأخيرة بمغارس التفاح والإجاص والخوخ، وزراعة المشاتل.

ترجع النواة الأصلية لهذا المركز إلى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث استقرت عناصر مهاجرة من منطقتي تافيلالت وسوس بجانب ساكنة محلية مكونة من أيت واحى الأحرار وأيت إشن وغيرها (المنحدرة من قبيلة بني مگيلد الشهيرة) وأقامت تجمعا سكنيا مبنيا بالتراب على النمط الصحراوي الأصيل بالواجهة الشمالية للطريق الرئيسية ومنتظما حول ما كان يسمى "بتيگمي"، وهو تجمع مكون من أسرتين أو ثلاث تربط بينها وحدة القرابة (تيگمي ـ ن ـ إزوضن..). وقد استقر من بين هؤلاء الصحراويين شرفاء صلحاء، يمثل ضريح أحدهم وهو الولي سيدي المخفي، محج سكان المنطقة الذين مازالوا يولونه الاحترام والتقدير.

ويرجع أصل اسم هذا المركز إلى استيطان تاجر صغير به، يدعى عدي. فتح دكانا لبيع السكر والشاي والتوابل والعطور التقليدية والتبغ وغيرها من البضائع، واكتسب شهرة كبيرة لدى سكان المنطقة الذين أصبحوا يتوافدون عليه من كل مكان وشاع اسمه إلى أن أخذ محل اسم "أيت واحى" الذي كان يعرف به هذا التجمع السكني من قبل.

لقد سجل هذا المركز القروي توسعاً حضرياً مهماً خلال العقدين الأخيرين من القرن الماضي حيث وصلت ساكنته حسب إحصاء 1994 إلى 2.196 نسمة وتعززت بنياته الإدارية

والخدماتية العمومية بتأسيس إدارة محلية (مركز القيادة، مركز الجماعة، مركز البريد، ومستوصف) كما أن تجهيزات التعليم تعززت هي الأخرى ببناء مدرستين ابتدائيتين استقبلتا في أكتوبر 2001، 620 تلميذ وإعدادية فتحت أبوابها في نفس الموسم في وجه 346 تلميذ.

تتجمع معظم الأنشطة الاقتصادية على طول المحور الطرقي الذي يعبر المركز حيث تصطف على الواجهتين دكاكين ومقاهي ومطاعم صغيرة شعبية على مستوى الطابق السفلي يعلوها طابق أو طابقين خاصين بالسكن. أزيد من نصف هذه الدكاكين أبوابها مغلقة ومازالت شاغرة (أي ما يقارب 80 دكانا). يزاول الباقي تجارة المواد الغذائية والعقاقير والأدوات الفلاحية والأسمدة والمبيدات. تبقى هذه التجارة محدودة وغير متنوعة بسبب عدم استقرار المداخيل وضعف السوق المحلية، هذا على الرغم من التطور الذي تسجله يوما عن يوم هذه الأنشطة، إذ يلاحظ ظهور خدمات جديدة مثل الصيدلة وغسل الملابس إضافة إلى الخياطة وإصلاح الآلات الفلاحية والشاحنات... ويلجأ السكان إلى السوق الأسبوعي الذي يقام كل يوم السبت لقضاء حاجاتهم أو يقصدون مدينة أزرو التي تمثل أكبر سوق تجاري وأهم مركز بالمنطقة والتي لا تفصلها عن سيدي عدّي إلى 10 كلم.

غير أن التطور السريع الذي سجلته الأنشطة الاقتصادية غير الفلاحية وهو الأمر الذي نلمسه بوضوح من خلال تكاثر الأماكن التجارية لم يضف على مركز سيدي عدي طابعا حضريا.

إن حركة البناء المكثفة منذ ما يقرب من عقدين من الزمن، أدت إلى ظهور أحياء جديدة بهذا المركز انتظمت حول الطريق الرئيسية، غير أنها أحياء مكونة من بنايات بسيطة وغير جاهزة، حيطانها أجورية وغير مبلطة، أبوابها حديدية وتنفتح على أزقة غير معبدة. يمتد البناء أساسا على طول المحور الطرقي رابطاً بذلك التجمعين القرويين العتيقين، أيت بوهو وإخرمازن (الجنوب الغربي) ومتسلقا في الجنوب المنحدرات الأولى لكدية سيدي المخفي (شلواط 1257 م). يظهر الكل في مشهد ورشة بناء مستمرة. أما على الواجهة الشمالية لم تستطع المضاربة العقارية بمركز سيدي عدي إلى حد الساعة أن تجلب بأرباحها المغرية منتجي التفاح والإجاص والخوخ وتدفع بهم إلى التخلي عن هذه الزراعات التي لم تعد مربحة كما كانت من ذي قبل بسبب الندرة المتزايدة للماء والتكلفة العالية للأسمدة والمبيدات واليد العاملة.

إن هذا المركز الطرقي الذي استمد نشأته ونموه من المؤهلات الفلاحية الهامة لمحيطه ومن سهولة ربطه بمختلف أنحاء المغرب بقيت مقوماته الاقتصادية هشة وغير سليمة. فمعظم النشطين يشتغلون رجالا ونساءً في المزارع والمغارس المجاورة حيث الأشغال موسمية والأجور غير منتظمة والبطالة متفشية خاصة في أيام فصل الشتاء والأنشطة التجارية والخدماتية الموجودة تبدو قادرة على امتصاصها.

فكما يلاحظ فإن مركز سيدي عدي لم يستفد بصفة إيجابية من هذه المؤهلات، الأمر الذي جعل منه معقل الوسطاء من كل نوع، من سماسرة الفواكه الذين يبسطون نفوذهم على المنتجين الشيء الذي جعلهم يستثمرون أرباحهم في مجال بناء السكن والمتاجر والمقاهي.

A. El Belghiti Alaoui, *Urbanisation et domination du monde rural I : l'exemple d'Azrou*. Thèse de doctorat, de spécialité, Université de Toulouse le Mirail, déc. 1978 ; *Population légale du Maroc, 1994*. Direction de la Statistique. L'Enquête sur le terrain, juin 2001.

عائشة البلغيثي العلوي

عدّي وبيهي، هو القائد عدّي وبيهي الزدگي من قبيلة آيت يزدگ المنتشرة شرقي الأطلس المتوسط بين مرتفعاته ومرتفعات الأطلس الكبير الشرقية، ازداد بكرّ أندو، قرية جنوب الريش. كان قائدا على قبيلته في فترة الحماية. لكنه فصل عن الوظيفة في الأربعينيات. وهل كان ذلك لاستبداده بالسلطة وتجاوزه كل الحدود حتى بالمقاييس الاستعمارية التي كانت ترخي العنان للقواد شريطة أن يخلصوا للسلطات الفرنسية، يوم كان بيد القائد أدوات التنفيذ الإدارية والقضائية، فضلا عما يستند إليه من قوة الجيوش الاستعمارية بعد أن انتزع من القبائل المغربية سلاحها الذي كان يحميها قديما من شطط قوادها ؟ أم كان ذلك لشعور وطني يستبطنه المترجم له الذي شهد له شيخ الإسلام الفقيه محمد بن العربي العلوي بأنه كان يزوره سرا عندما كان هو في الإقامة الإجبارية في تافلالت غداة أحداث 1944، فلما أحسّ الفرنسيون بذلك، فإنهم قرروا فصله عن القيادة سنة 1948، علما بأن الصحفي الفرنسي جان لاكوتور Jean Lacouture يقول بأن القصر الملكي لم يعترض على القرار. وكانت العلاقات بين القصر والإقامة العامة الفرنسية قد صارت يومئذ إلى التوتر. ولم يخف عدّي وبيهي ولاءه للسلطان، فهو من القواد الذين امتنعوا عن المشاركة في المؤامرة المدبرة من قبل السلطات الاستعمارية لعزل الملك الشرعي بدعوى أنه صار ملكا لحزب الاستقلال ولسكان الحواضر الكبرى، وأن سكان البوادي والقبائل البربرية على وجه التخصيص نفروا منه. ولذلك ما أن عاد محمد الخامس من المنفى واسترجعت البلاد استقلالها حتى كان عدّي وبيهي من أول من يعيّن من العمال على الأقاليم المغربية الكبرى، فأسندت إليه عمالة تافلالت الممتدة من الصحراء جنوب الأطلس الكبير الشرقي إلى مشارف الأطلس المتوسط المطلة على السهول الغربية. وصار من وجوه المغرب المستقل، لا سيما وأنه كان من المقربين من الحسن اليوسي، الذي لم يشارك هو كذلك في المؤامرة الاستعمارة ضد محمد الخامس فكان أول وزير للشؤون الداخلية في عهد الاستقلال. وكلاهما كانا ممن أقاما يوم 11 يوليوز 1956 المهرجان الشعبي الكبير على هضبة أجدير قرب خنيفرة، الذي ترأسه

الملك تزييفا للدعاية الاستعمارية التي كانت تلعب بحبال التفرقة بين البربر والعرب في البلاد. بيد أنه لم تمض على ذلك الملتقى الوطني إلا بضعة أسابيع حتى شنّ عدّي وبيهي والحسن اليوسي حملة دعائية ضد حزب الاستقلال متهمين أياه بالرغبة في الانفراد بالحكم. وتلك الحملة هي التي جعلت عدّي وبيهي يعلن العصيان على الحكومة كفاحا، ابتداء من 17 يناير 1957، وقت كان محمد الخامس في رحلة رسمية في إيطاليا تاركا زمام الأمور بيد ولي عهده الأمير مولاي الحسن. وكان هذا التمرد اختبارا للمغرب المستقل، واختبارا للملكه المتغيب ولمسؤولية ولي العهد ولحكومة حديثة الخبرة بممارسة السلطة العمومية، وذلك قبل انتظام صفوف القوات الملكية المسلحة ببضعة أشهر، وقت كان الجيش الفرنسي لايزال مرابطا في مختلف أنحاء المملكة، يتتبع ما يجرى فيها بقلق يزداد تفاقما بما كان يشتد من ضراوة حرب التحرير في القطر الجزائري المجاور. ثم إن الصراع على الحكم صار يحتدم في المغرب بين أقطاب المخزن التقليدي الذين كانوا يرغبون في العودة إلى ما كان لهم من النفوذ قبل الحماية، وبين مناضلي الأحزاب الوطنية وفي طليعتهم حزب الاستقلال الذي كان أنصاره في منتهى النشاط والحماس في جميع الجهات، متطلعين إلى تعويض ما قدموه من التضحيات من أجل التحرير بما ينالون من شرف المساهمة في تجديد صرح الدولة. وظل هذا الصراع يجري بشكل خفي على الصعيد المركزي في الرباط في الشهور الأولى من الاستقلال، إلى أن افتضح بشكل مفاجئ في إقليم تافلالت النائي على يد القائد عدّي وبيهي الذي أزعجه أول الأمر عزل صديقه الحسن اليوسي عن وزارة الداخلية في شتنبر 1956 وإسنادها إلى إدريس المحمدي وهو من وجوه حزب الاستقلال، فصار عامل تافلالت ينتقد كل القرارات الوزارية ويرفض الامتثال إلى الأوامر والنواهي، ولا يرضى عمن يعينه الوزير من القواد في الإقليم بدعوى أنهم تابعون لحزب الاستقلال، كما أبدي تمام الامتعاض للنظام القضائي الجديد الذي أقيم على مبدأ فصل السلطتين الإدراية والقضائية وجعل شؤون العدل من اختصاص قضاة لا نفوذ للعامل ولا للقواد عليهم. ولم يكن عدّي وبيهي ممن يمكن أن يستسبغ تلك الإصلاحات التي تنال من حرمته. فسولت له نفسه أن يتمرد على الحكومة بدعوى أنها تحت سيطرة حزب الاستقلال، مستفيدا من وجود الملك خارج البلاد، ومستعينا بما تسلمه من السلاح من بعض الضباط الفرنسيين الذين حملهم اليقين بعجز المغاربة عن حكم أنفسهم بأنفسهم على اصطناع من يأتي بالبرهان على ذلك. ولكن السلطات المغربية، وفي طليعتها الأمير مولاي الحسن، سرعان ما تصدت بحزم إلى القائد المتمرد، مطوقة إياه سياسيا أول الأمر، إذ أوفد إليه الأمير من يحاول رده عن غيه وثنيه عن عزمه، ومن الموفدين الشيخ بلعربي العلوي الذي عاد من المهمة مقتنعا بخيانة عدّي وبيهي. فكان التطويق العسكري بقوات حاصرت المتمردين من جهة الشمال ومن جهة الجنوب. وبعد أيام قليلة، ألقى القبض على العامل وعلى ابنه وأنصاره. وسيق الجميع إلى السجن. وأجرى البحث القضائي، وأقيمت المحاكمة في شهر دجنبر 1958، وصدر الحكم بالإعدام في حق عدّي وبيهي وفي حق قائد ميدلت موحا أوهرّوا العياشي، وبأحكام حبسية على باقي المتمردين تتفاوت بحسب درجة ضلوعهم في العصيان. ومجمل القول أن كل ذلك كان مؤامرة يدها عدّي وبيهي، ورأسها الحسن اليوسي الذي صار وزيرا للتاج بعد عزله من وزارة الداخلية، إذ تبين في المحاكمة أن عامل تافلالت كان لا يحرك ساكنا دون استشارته، فأمرت المحكمة بمتابعته لكنه فرّ لاجئا إلى إسبانيا ولم يعد منها إلا سنة 1962. أما سلاح المؤامرة، فمما جاد به بعض الضباط الفرنسيين على المتمردين بإذن أو بغير إذن من رؤسائهم. ولذلك كتب الملك الحسن الثاني رحمه الله قائلا : "لقد كان عدّي وبيهي شجاعا ومقاتلا قديما، كما كان حاذقا ومراوغا، وسبق للفرنسيين أن اعتقلوه وأبعدوه، وقد أثارته مطامع النزعة المتطرفة في حزب الاستقلال والتعديات التي إقترفتها فاستثار، وأكد لي فيما بعد أن مبعث ثورته هذه هو أنه كان يريد "أن يجعل السلطة الملكية محترمة". وسعدت بهذا الحادث طائفة من الجيش الفرنسي كانت لا تزال في المنطقة فأمدت عدّي وبيهي بالأسلحة والذخيرة. لقد كانوا يأملون أن يلتهب إقليم تافلالت كله، وأن تسقط الأمة المغربية الجديدة في هاوية الحرب الأهلية. وهذا ما دعاني إلى القيام برد فعل سريع". ولم ينفذ حكم الإعدام إلا في محا أوهرّا العياشي. أما عدّي وبيهي فقد ظل أسيرا في جناح خاص من مستشفى ابن سينا يستقبل الأقرباء والأصدقاء، إلى أن توفي حتف أنفه يوم 30 يناير 1961، ونقل جثمانه إلى كرّ أندو ليوارى التراب في مسقط رأسه.

الحسن الثاني، *التحدي*، المطبعة الملكية، الرباط، 1403 / 1983 ؛

ع. اللطيف جبرو، عدي وبيهي، *حكاية عصيان تافلالت*، الرباط، 2001.

Lacouture, Jean, Le Maroc à l'épreuve, Paris, Seuil, 1958.

إبراهيم بوطالب

العُدّيْدْ لون من ألوان الشِّعر الشعبي النِّسوي. يقوم مقام الرثاء في الشعر العربي القديم. ينظم للتعبير عن الحزن البالغ في حالات الموت وتشييع جثمان الفقيد ويقال أيضاً في ندب الحظ العاثر والتنفيس عن هموم الحياة وما يكتنفها من تعاسة ونكد.

تختص به نساء محترفات عادة ما تستقدم العدّادة إلى بيت الجنازة، فتقوم بسرد وتعداد خصال المتوفى على شكل قصيدة فلكلورية بأسلوب أقل جودة من الأسلوب الكلاسيكي العربي ولكن بمستوى أعلى من اللهجة العامية.

ومن مميزاته الأساسية أنه أدب خاص بالنساء فقط، يقُلنه في رثاء عزيز مات، وذلك إما تعبيراً عن حزن حقيقي لفقدان من هلك، أو مجاملة للأخريات من أهل الفقيد عند العزاء. وتقوله النِّسْوة كذلك تعبيراً عن همومهن وأشجانهن الدفينة حينما يلم بالواحدة منهن ابتلاء أو مصيبة. ويضم العدّيد نفس المكونات كما في القصيدة العربية الكلاسيكية. يجسد المعاني الرفيعة والعواطف الإنسانية في صورة حية مؤثرة، يجعل أكثرها تبدو وكأنها صادرة عن شخص الميت نفسه كلاماً ووصفاً وشكوى. كما أنه يرتكز على شكل وإيقاع موسيقي معين، إذ تحرص قائلته على إلقائه وفق تلحين معين، إلا أن طابع الحزن والتراتيل الجنائزية توحد بين كل الألحان، وفي صياغته الموسيقية يلتزم هذا التراث بالقافية مما يقرِّبه كثيراً من قوالب الشعر العربي، كما ينهل من التصوير والمبالغة ...

تلقي العدادة المقاطع من شطرين أو أكثر بينما تقوم النساء المتحلقات حولها بترديد اللازمة بين المقطع والآخر وفق إيقاع تصنعه سرعة الإلقاء وتصفيقات الأيدي أو الأرجل، يتم ذلك بمنزل الفقيد أو في المقبرة. قد تشكل النساء دائرة محيطة بالعدّادة، يخدشن الوجوه والصدور على طبيعة الإيقاع وما يستلزمه النحيب. وبالنظر إلى أصول العديد، ينتشر في أوساط القبائل العربية كما هو الحال بالنسبة لقبائل وسط المغرب كورديغة والسماعلة وبني خيران ... وفيه تقول الأغنية الشعبية بالمنطقة :

طَاحَتْ الطَّيارَة من السْمَا (ء)   كايْنْش عَدَّادَة لّلكْرا (ء)

وتقول إحدى العدّادات في وصف فقدان ابن لها على إثر سقوطه في بئر :

أيْلي وْمَالْكْ عْلـيَّ، أيْلـي وْمَالْكْ عْليَّ
الرَّعْدة فْ البْرُوجْ وانَا طَاحَتْ عْليَّ
أيْلي وْمَالكْ عْليَّ، أيْلي وْمَالْكْ عْليَّ
حَايْطْ يْرُدْ فيَّ لْحَايْطْ حْتَى الگَاعْ مَارْث ليَّ
أيْلي وْمَالْكْ عْليَّ، أيْلي وْمَالْكْ عْليَّ
مَلَّ طَاحْ "مْكيگِّي" لْغَطْ كي الوَحْشِيَهْ
أيْلي وْمَالْكْ عْليَّ، أيْلي وْمَالْكْ عْليَّ
إلى عْيَاتْ الخَيْلْ رَا العَوْدَاتْ كي لَحْدِيَهْ

ونشير إلى أن هذا الأدب الشعبي المتميز في طريقة للانْقراض، كما أن تسجيله يطرح صعوبات تتعلق أولا بالمقام الذي يقال فيه، إضافة إلى كون العدّادة ترتبط في إبداعها بالحالة، لذلك يتعذر في الكثير من الأحيان إعادة ما نظم ساعة النواح.

تحريات ميدانية ؛ شوقي عبد الحكيم، موسوعة *الفلكلور والأساطير العربية*، بيروت، 1982 ؛ *المأثورات الشعبية*، العدد العاشر، أبريل، 1977.

صالح شگاگ

العدس، ينتسب إلى فصيلة الفوليات (Fabaceae) التي تنتمي بدورها إلى فصيلة القرنيات (Leguminoseae)، إسمه العلمي هو "لينس كوليناريس" (Lens culinaris). تختلف أصنافه حسب خصائص الحبوب. ومن أشهر ضروبه : العدس ذو الحبات العريضة (var. macropaea)، والعدس ذو الحبات الصغيرة (var. microsperma)، وضرب كريكس أوروبيا (var. grex europaea)، وضرب كريكس أزياتيكا (var. grex asiatica). إلا أن أسماء أصنافه تختلف محليا بحسب المناطق.

إن العدس نبات حولي عشبي، كثيف السيقان، سيقانه مضلعة، يصل ارتفاعها إلى 50 سنتمترا، مائلة، أوراقه مركبة، تتكون من 1 إلى 8 وريقات متقابلة أو متناوبة، شبه جالسة، مزغبة. الأزهار صغيرة، بيضاء ومخططة بالبنفسجي، منفردة أو مجتمعة على طرف الأغصان. الثمار قرنية مسطحة، مستديرة، أو منحرفة، تحتوي غالبا على حبة واحدة أو حبتين، لون الحبوب يتباين حسب الأصناف، وزن مائة حبة يصل إلى 9 غرامات. تمتد فترة النمو والتطور من 150 إلى 200 يوم.

العدس من أشهر القطاني الزراعية، وتنتشر زراعته في بقاع كثيرة من المعمورة حيث المناخ معتدل. إن بذور العدس تنبت عندما تكون الحرارة أعلى من 5 درجات، أما الحرارة الملائمة للنمو فهي تقع ما بين 15 و25 درجة. وهو من ضمن الأنواع النباتية ذات التأقت الضوئي الطويل (Une plante de jour long)، وكذلك من ضمن الأنواع المقاومة للجفاف والجليد القليل، ولكنه يخشى الرطوبة الكثيرة في الهواء بحيث يصبح عرضة لبعض الأمراض الفطرية.

تصلح جميع أنواع التربة لزراعة العدس، غير أن التربة الطينية تلائمه أكثر، ويتحمل العدس حموضة التربة (pH) ما بين 6 و9 درجة. أما احتياجاته من الأسمدة فهي تتغير حسب نوع التربة ومخزونها من المواد العضوية والأملاح المعدنية. وعموما لإنتاج 20 قنطاراً للهكتار يحتاج العدس إلى 100 كلغ من الأزوت و28 كلغ من الفوسفور و78 كلغ من البوتاس.

يزرع العدس عموما في أرض البور ولا يحتاج إلى السقي إلا حين تقل التساقطات المطرية عن 350 ملمتر، أما الاحتياجات الضرورية للنمو والتطور فهي تقدر بحوالي 400 ملمتر. وعلى هذا الأساس يمكن زراعة العدس في المناطق الجافة، وشبه الجافة، وشبه الرطبة، والرطبة.

يزرع العدس في مختلف المناطق المغربية، إلا أن المساحات المزروعة تتغير من سنة لأخرى ومن منطقة لأخرى وذلك حسب أهمية التساقطات المطرية، وكذلك تبعا للدورات الفلاحية. إن الإحصائيات المتوفرة لدى وزارة الفلاحة ما بين 1960 و2000 تبين أن المساحات تتباين بين 13 ألف هكتار سنة 1967 و89,6 ألف هكتار سنة 1987 التي تعتبر سنة قياسية لإنتاج العدس بالمغرب. وعموما تعتبر فترة الثمانينيات أكثر إنتاجاً من التسعينيات. أما الإنتاج فهو يتغير كذلك بحسب أهمية المساحات المزروعة وبالأخص حسب أهمية وتوزيع التساقطات المطرية. ويلاحظ أن قلة

التساقطات المطرية، وبالأخص الربيعية منها تؤثر سلبا على إنتاج العدس بشكل حاد. إن الاحصائيات المشار إليها تبين أن أقل إنتاج سجل هو 27 ألف قنطار سنة 2000 حيث زرعت 41.4 ألف هكتار، وأن أعلى إنتاج مسجل هو 695,5 ألف قنطار بسنة 1986 حيث زرعت 85,6 ألف هكتار. أما المناطق المهمة لزراعة العدس بالمغرب فهي نواحي الخميسات، وتازة، وسطات، والحسيمة، وأزلال، وإفران، وبنسليمان، وكذلك نواحي فاس، ومكناس، وتاونات، والغرب، وآسفي.

عمل المعهد الوطني للبحث الزراعي بالمغرب على إنتاج أصناف جيدة من العدس تتكيف مع الظروف المناخية المغربية، ومن أهم هذه الأصناف "L 24" ذات الحبات الصغيرة، و"L 56" ذات الحبات الكبيرة، و"L 1" ذات الحبات الصغيرة الخضراء.

يعتبر العدس من أهم وأكثر القطاني استهلاكا بالمغرب، خصوصا في المناطق الجبلية بشمال المغرب (جبالة)، وبالبوادي عموما. ويكون بالنسبة للأسر الفقيرة وجبة مهمة، حتى أنه يعتبر بمثابة وجبة "لحم الفقير"، والأسر ذات الدخل المحدود. أما أشكال تحضير وجباته فهي متنوعة حسب المناطق والعادات الأسرية، فهو يحضر كوجبة مستقلة، أو يستعمل كعنصر مكون لبعض الوجبات كالحساء مثلا، أو حتى مع اللحم. أما خصائص طهي العدس فهي مرتبطة أساسا بالتركيز الكيميائي للتربة التي يزرع فيها، وبالأخص مستوى الكالسيوم، والمانيزيوم، والبوتاس.

العدس، منشور تقني للمعهد الوطني للبحث الزراعي بالمغرب ؛ إحصائيات مديرية الإنتاج الفلاحي، وزارة الفلاحة والتنمية القروية، والمياه والغابات لسنة 2001 ؛ *أبحاث شخصية*.

عبد النبي زين العابدين

أبو **عدس** - مهاة - لمهي Addax nasomaculatus (blainville) حيوان من الثدييات المنتمية إلى فصيلة الظباء ومن المجترات الكبيرة المتميزة بالقرون : ترجع تسميته باللاتينية إلى أنفه المرقط ويطلق عليه أيضاً اسم ظبي ماندس (Mendes) وظبي نوبي (Nubie) وذلك لأن قرونه كانت تزين رؤوس الآلهة والكهنة والملوك في الآثار المصرية.

إنه ظبي كبير القامة، علوه عند الغارب يتراوح بين 105 و115 سم؛ طول ذيله 32 سم، طوله جمعا بين الرأس والجسم 160 سم، ويزن ما بين 80 و125 كلغ. شعره كث، قصير وخشن يميل إلى البياض المصفر إلا أنه يصير بنيا جهة الرأس والعنق والعرف. لفافة عريضة بيضاء فوق عينيه تزين رأسه. شفته العليا مزركشة بالبياض، ينتهي ذيله بباقة شعر أبيض وبني. يصبح لونه خلال فصل الصيف رماديا. ظلفه عريض، إسفنجي، دائر من الأمام وطويل من الخلف. قرنه حلقي وملولب في معظمه ويبلغ 80 سم تقريبا. الأنثى أقل حجما من الذكر وتتميز بقرون ضعيفة وغير منتظمة.

يعيش وسط قطيع صغير في المناطق الصحراوية القوية الجفاف : ويستنتج من أقوال سكان جنوب المغرب أنه يستطيع الاستغناء عن شرب الماء بضعة أشهر كاملة ويُحتمل أن له تكييفا فيزيولوجيا يساعده على اقتصاد الماء.

يقوم بهجرات فصولية كبيرة يتوغل فيها داخل الصحراء وذلك وسط قطيع يشمل مائة فرد.

خلال القرن المنصرم كان توزيعُه الجغرافي يشمل الصحراء بأكملها ابتداء من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر. نذكر خلال الأربعينيات من هذا القرن أن قطيعاً بأكمله ذهب ضحية صيد في وادي الذهب.

ويبدو أن توزيعه الجغرافي الحالي يقتصر على الصحراء الوسطى وتنقلاته الفصولية تصل به نادراً إلى الصحراء المغربية.

محمد رمضاني

العدل (وزارة –) بالمغرب، أنشئت لأول مرة عند تأسيس الحكومة الوطنية الأولى بعد الاستقلال سنة 1955. وكانت مهمة الإشراف على شؤون القضاء طوال العهد الإسلامي موكولة إلى قاضي الجماعة المقيم بالحاضرة السلطانية يعين القضاة في الأقاليم ويرعى أعمالهم. تحت نظر أمير المومنين. ولما فرضت الحماية على المغرب سنة 1912 وضع الفرنسيون والإسبانيون وزارة مصطنعة سموا إحداها وزارة العدلية، كانت مجرد مصلحة تهتم بالمحاكم الشرعية وأطرها على مستوى القضاء والتوثيق، ولم تسند إليها سلطة أو نفوذ على جميع اختصاصات هذه المحاكم، لتعارض نفوذ سلطات الحماية، فالقضاء المخزني كانت تمارسه في أغلب الأحيان السلطة الإدارية، وقد توسع على حساب القضاء الشرعي. وفي سنة 1930 أنشأت سلطات الحماية المحاكم العرفية. أما المغاربة اليهود فقد كانت لهم محاكمهم الخاصة.

إلى جانب هذه المحاكم الخاصة بالمغاربة، عرف المغرب وجود محاكم أجنبية، كالمحاكم الفرنسية في الجنوب، والإسبانية في منطقة الشمال. وفي منطقة طنجة أنشئت محاكم مختلطة تحولت لاحقا إلى قضاء دولي. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل كانت توجد خلال هذه الفترة، إلى جانب الأصناف المذكورة. محاكم عسكرية فرنسية وأخرى إسبانية، وقضاء خاص بالبنك المخزني المغربي بالإضافة إلى القضاء القنصلي، حيث احتفظت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وأنجلترا بامتيازاتهما القضائية، الأولى في مجموع التراب المغربي، والثانية في منطقة الشمال وطنجة.

وقد حددت الدولة منذ اللحظة الأولى لإنشاء وزارة العدل، ضمن أول حكومة وطنية، وأقرتها كميثاق لوزارة العدل، الأهداف التالية :

تنظيم وزارة العدل تنظيما عصريا ينسجم مع السيادة

الوطنيـة، وذلك بالإشراف على جميع المحاكم الموجودة فوق التراب الوطني، وعلى كل المصالح المكملة للعمل القضائي.

- توفير قضاء عادل للمواطنين ؛
- استقلال السلطة القضائية ؛
- جعل الأحكام مستمدة من نصوص تشريعية مدونة، تسهيلا لمهمة القاضي والمتقاضي ؛
- تقريب القضاء من المتقاضين ؛
- إدماج القضاء الأجنبي (المحاكم العصرية) في القضاء المغربي وتوحيدهما في قضاء منفرد ؛
- تكوين الأطر اللازمة لمغربة القضاء ؛
- تعريب لغة القضاء في المداولات والمرافعات والأحكام والمستندات.

وقد بادر أول وزير عدل في عهد الاستقلال (عبد الكريم بنجلون) إلى هيكلة وتنظيم المصالح المركزية للوزارة وتنصيب محاكم منظمة في مجموع التراب الوطني على الشكل التالي :

أ ـ التنظيم الهيكلي للوزارة : بمقتضى ظهير 16 أكتوبر 1956 تم إحداث خمس مديريات :

1 ـ مديرية القضاء الديني (الشرعي والعبري)

2 ـ مديرية القضاء العصري (المحاكم الفرنسية والإسبانية المؤسسة بمقتضى ظهير 12 غشت 1913 والظهير الخليفي المؤرخ في فاتح يونيو 1914).

3 ـ مديرية إدارة السجون (وكانت خاضعة فيما قبل لإدارة الأمن العام)

4 ـ مديرية القضاء العادي (القضاء المخزني سابقا)

5 ـ مديرية الموظفين والميزانية

ب ـ التنظيم القضائي : بتاريخ 19 مارس 1956 صدر ظهير شريف ألغى كل مراقبة عامة أو خاصة، على تدبير شؤون القضاء المغربي، وقد تجلى ذلك في إنشاء محاكم للحاكم المفوضين فوق كامل التراب المغربي، ووضع النيابة العامة تحت السلطة المباشرة لوزير العدل ومنعها من تسيير المداولات والتدخل في إصدار الأحكام.

أما توحيد المحاكم فقد مر بعدة مراحل :

1 ـ تنظيم المحاكم العادية على غرار المحاكم العصرية (ظهير 14 أبريل 1956) ؛

2 ـ إلغاء المحاكم العرفية وإنشاء محاكم عادية ومحاكم القضاة (ظهيران شريفان مؤرخ كل منهما في 25 غشت 1956) ؛

3 ـ تنظيم محاكم القضاة على شاكلة المحاكم العادية (ظهير 8 ـ 12 ـ 1956)، وبنفس المنهجية تمت إعادة تنظيم المحاكم العبرية (ظهيران شريفان صدرا بتاريخ 23 فبراير 1957 ؛

4 ـ إلغاء المحكمة المختلطة بمنطقة طنجة، وإنشاء محكمة استئناف ومحكمة إقليمية ومحكمة الحاكم المفوض، للقيام بمهام تطبيق القانون الخاص الذي كان العمل جاريا به من الإدارة الدولية على مجموع السكان بدون تمييز (ظهير 11 أبريل 1951) ؛

5 ـ إحداث محاكم الشغل بمجموع التراب الوطني (ظهير 29 أبريل 1957) ؛

وبذلك أصبح القضاء المغربي في هذه المرحلة يشتمل فقط على ثلاثة أنواع من المحاكم، الدينية والعادية والعصرية بكل درجات التقاضي مع وجود المجلس الأعلى على قمة هرمه.

التوحيد : بمقتضى قانون 26 يناير 1965 تم توحيد القضاء على مستوى ما كان يعرف بالمحاكم العادية، فتم إحداث محاكم سدد، ومحاكم إقليمية، ثم محاكم استئنافية إلى جانب المجلس الأعلى وذلك وفق ما نصت عليه المادة الأولى من القانون المذكور.

التعريب : وقد صدر تطبيقا للمادة الخامسة من نفس القانون، القرار الوزيري رقم 65.414 بتاريخ 18 غشت 1965 عربت بمقتضاه جميع المحاكم، وكان إلزاما من أجل بلوغ هذا الهدف أن يتم التركيز على تعريب القوانين، فانطلقت قبل ذلك أشغال اللجنة المكلفة بمراجعة وتعريب قانون الالتزامات والعقود وباقي التشريعات الصادرة سنة 1913 بتاريخ 19 أكتوبر 1964. ثم كونت لجن أخرى قامت بنفس العمل على مستوى القانون التجاري وقانون التحفيظ العقاري وقانون المسطرة المدنية. كما تم تعريب حوالي 9000 نموذج مطبوع وعشرات السجلات على مستوى الإدارة المركزية بالوزارة.

بعد إرساء آليات تنفيذ قانون توحيد المحاكم ووضعه حيز التنفيذ انطلقت بموازاة ذلك عملية الإصلاح التشريعي، وفي ضوء القانون المذكور شرع في مراجعة النصوص التشريعية الموروثة عن عهد الحماية، من أجل ملاءمتها مع الظرفية الاقتصادية والاجتماعية لمغرب ما بعد الاستقلال، أو من أجل ملاءمة تلك النصوص فيما بينها مما أسفر عن إصدار نصوص جديدة بالنسبة لقوانين المساعدة القضائية، المصاريف القضائية، تنظيم مهنة المحاماة، القانون العقاري، مدونة الأحوال الشخصية، الوضعية المدنية للأجانب، التوثيق، التكوين القضائي، تفتيش المحاكم، التعويض الخاص بضحايا حوادث السير. وذلك خلال الفترة ما بين سنة 1967 و1971 مما ساعد على تحسين أداء العدالة في كل هذه المجالات.

وقد ورد في المادة الرابعة من قانون 26 يناير 1965 إذ نصت على وجوب أن يكون القضاة من جنسية مغربية، وبذلت جهود خلال هذه الفترة لتعويض القضاة الأجانب بأطر وكفاءات مغربية صالحة للقيام بالبت في المنازعات، وإصدار الأحكام وتسيير المحاكم، في وقت بلغ فيه عدد الملفات المعروضة على القضاء 100.000 في حين لم يكن عدد القضاة المغاربة يتعدى 800 منهم 100 قاض مجاز فقط، قدم منهم 70٪ استقالتهم للالتحاق بمجالات أخرى تضمن لهم وضعية

أفضل، بينما كان نصف العدد الباقي وهو 700 قاض شرعي. ونصفهم الآخر من قدماء كتاب ضبط المحاكم العرفية والمخزنية، وبعض تراجمة سابقين أدمجوا في السلك القضائي غداة الاستقلال. وهذا يعني أنه عند صدور القانون المذكور كان القضاة الأجانب وعلى الخصوص الفرنسيين والإسبان يشكلون نسبة مهمة في السلك القضائي.

ومن أجل الاحتفاظ ببعض هؤلاء وتحديد مهمتهم في تقديم المساعدة التقنية للمسؤولين الجدد بالمحاكم الموحدة، تمت إعادة النظر في الاتفاقيتين المبرمتين مع كل من الحكومة الفرنسية والحكومة الإسبانية سنة 1957 حول وضعية القضاة المنتمين لهاتين الدولتين لتحل محلهما اتفاقيتان جديدتان، الأولى في 20 فبراير 1965 مع الحكومة الفرنسية، والثانية بتاريخ 6 أكتوبر من نفس السنة مع الحكومة الإسبانية، تحولت بمقتضاهما مهام هؤلاء القضاة من الوظيفة القضائية إلى عمل ذي طابع تقني.

عرف الجهاز القضائي خلال سنة 1974 تغييرات مهمة شملت التنظيم القضائي، القانون الأساسي لرجال القضاء ثم بعض القوانين كقانوني المسطرة المدنية والمسطرة الجنائية. فبمقتضى الظهير الشريف بمثابة قانون رقم 1.74.338 لـ 15 يوليوز 1974 المتعلق بالتنظيم القضائي، تم إحداث محاكم ذات ولاية عامة تبت ابتدائيا أو ابتدائيا وانتهائيا مع حق الاستئناف، حسب الشروط المحددة قانونا، سميت ـ المحاكم الابتدائية ـ . كما تم إحداث محاكم الجماعات والمقاطعات إلى جانب محاكم الاستئناف والمجلس الأعلى.

وقد عرف هذا القانون تعديلات متعددة همت على الخصوص التراجع عن نظام القضاء الفردي ثم إحداث محاكم متخصصة.

وبمقتضى الظهير الشريف بمثابة قانون رقم 1.74.467 الصادر في 26 شوال 1374 الموافق لـ 11 يوليوز 1974 يكون النظام الأساسي لرجال القضاء، أصبح القضاة مصنفين في درجات تبتدئ بالدرجة الثالثة وتنتهي بالدرجة الاستثنائية مروراً بالدرجة الأولى مع ترتيب الرئيس الأول والوكيل العام للمجلس الأعلى خارج الدرجة، وقد عرف هذا القانون خلال السنوات الأخيرة عدة تعديلات.

التنظيم القضائي الحالي : بمقتضى الفصل الأول من الظهير الشريف بمثابة قانون 1.74.338 لـ 15 يوليوز 1974 كما وقع تتميمه وتعديله المتعلق بالتنظيم القضائي، تحدد أنواع المحاكم الموجودة بالمملكة في :

1 ـ المحاكم العادية

2 ـ المحاكم المتخصصة

3 ـ المحاكم الاستثنائية

كلمة محكمة تعني المحاكم الدنيا كالمحاكم الابتدائية والتجارية والإدارية كما تعني محاكم الاستئناف والمجلس الأعلى.

ويحدد الفصل المذكور هذه المحاكم فيما يلي :

1 ـ المجلس الأعلى

2 ـ محاكم الاستئناف وعددها حاليا 21

3 ـ المحاكم الابتدائية وعددها اليوم 67 تشمل 183 مركز قاض مقيم

4 ـ محاكم الجماعات وعددها 706 والمقاطعات وعددها 131.

2 ـ المحاكم المتخصصة تتكون من :

أ ـ المحاكم الإدارية : ويبلغ عددها سبعة موزعة على مختلف جهات المملكة، وقد أنشئت بمقتضى الظهير الشريف رقم 91.225 بتاريخ 22 ربيع الأول 1414 / 10 شتنبر 1993 والقاضي بالمصادقة على القانون رقم 90.91 بإحداث المحاكم الإدارية.

ب ـ المحاكم التجارية : وقد أحدثت بالقانون رقم 43.95 بتاريخ 6 يناير 1997 المصادر بالظهير الشريف رقم 1.97.65 بتاريخ 2 فبراير 1997 وقد باشرت عملها منذ سنة 1998، ويبلغ عدد المحاكم الابتدائية منها ثماني والاستئنافية ثلاثا.

3 ـ المحاكم الاستئنافية :

أ ـ محكمة العدل الخاصة : أحدثت بمقتضى الظهير الشريف بمثابة قانون قم 157 ـ 72 بتاريخ 27 شعبان 1392 (6 أكتوبر 1972).

ب ـ المحكمة العسكرية الدائمة للقوات المسلحة الملكية : أحدثت بظهير 10 نونبر 1956 بمثابة القانون العسكري للعدل بقانون 26 يوليوز 1971 وبمقتضاه يجب التمييز بين : المحكمة العسكرية الدائمة للقوات الملكية المسلحة في وقت السلم والمحاكم العسكرية في وقت الحرب.

ينظم الإدارة المركزية للوزارة العدل مرسوم 23 يونيو 1998 المتعلق باختصاصات وتنظيم وزارة العدل انطلاقا من ثلاثة أقطاب أساسية :

1 ـ القطب القضائي : يمارس اختصاصات الوزارة في المجال القضائي والمجال المتعلق بالسجون ويتكون من :

- مديرية الشؤون المدنية
- مديرية الشؤون الجنائية والعفو
- مديرية إدارة السجون وإعادة الإدماج
- قسم محاكم الجماعات والمقاطعات

2 ـ القطب التنظيمي : ويهتم بتدبير الموارد البشرية والمادية للوزارة ويتألف من :

- مديرية الموارد البشرية
- مديرية الميزانية والتجهيز

3 ـ القطب التوجيهي : ويشكل نظاماً للتقييم الذاتي وللتواصل والتحدث، يتركب من وحدتين :

- مديريةالدراسات والتعاون والتحديث
- مركز تحليل وتتبع الشكايات

الإدارة المركزية تقع تحت سلطة الوزير والكاتب العام، والهياكل المرتبطة مباشرة بالوزير هي :

ـ الديوان
ـ المفتشية العامة وأحدثت بمقتضى ...
ـ المعهد الوطني للدراسات القضائية
ـ كتابة المجلس الأعلى للقضاء

م. الفاسي الفهري، *L'itinéraire de la justice marocaine*, Ed. Association pour la promotion de la recherche et des études judiciares ؛ *الجريدة الرسمية*، عدد 3237، 31 نونبر، 1974، ص. 3315 ؛ *مجلة القضاء والقانون*، عدد شتنبر، 1957 ؛ *مجلة القضاء والقانون*، عدد خاص بمنجزات الاستقلال، 1956 ـ 1966 ؛ دليل وزارة العدل، نشر وزارة العدل، 2001.

محمد الأيوبي

العدلوني، أسرة تستوطن صفرو، طفحت شهرتها على هذه المدينة الصغيرة وما حولها خلال العصر العلوي، لفضل ما نَبُه منها من الرجال في المجالات العلمية والاقتصادية والسياسية. وتفيدنا وثيقة محلية (شهادة لفيفية) بأن أعيان صفرو يشهدون بأنهم "يعرفون الفقيه الأجل السيد علي عَدْلُون وأولاده الفقيه السيد محمد، والعدل الأرضى السيد عبد الرحمان والسيد عمر .. معرفة تامة، ويشهدون أنهم يعرفونهم ينتسبون إلى النسب العلي .. ويسمعون ذلك سماعا فاشيا مستفيضا على ألسنة أهل العدل وغيرهم وأنهم من بني عدلون ... الكائنين بملوية من ناحية زاوية الدلاء" ..

ويتضح من خلال إشارات هذه الشهادة، التي يرجع تاريخ تحرير أصلها إلى جمادى الثانية عام 1098 / أبريل 1687. أن أسلاف العدلونيين كانوا يستوطنون قبل نزوحهم إلى "قرية صفرو" بلاد ملوية من ناحية الزاوية الدلائية. فهل كان الجد الأعلى للعدلونيين الصفرويين واحداً من عموم طلبة الزاوية الدلائية ؟ فلما لحق هذه الزاوية ما لحقها من السلطان مولاي رشيد العلوي سنة 1079 / 1668. هاجر الطالب "العدلوني" ضمن عامة الطلبة فانتهى به المطاف إلى قرية صفرو ! وسواء صح هذا الافتراض أم لا، فإن الشيء الأكيد أن علي عَدْلُونْ، الذي ينتسب إليه العدلونيون بصفرو، يُقر بأن أسْلاَفه كانوا من أجلة العلماء، ونذكر من هؤلاء :

العدلوني، عبد السلام بن **عبد الرحمان** بن علي، فهو كما يظهر حفيد علي عدلون، لا نعرف شيئا عن ميلاده ونشأته العلمية، ونرجح أن يكون قد تلقى مبادئ القراءة والكتابة على يد أبيه وبني قومه بصفرو، ثم انتقل بعد ذلك إلى رحاب القرويين على عادة طلبة العلم من مجموع أنحاء المغرب، لإتمام تعليمه.

وبعد تخرجه عاد إلى صفرو، فانكب على التدريس. وكان يمارس نسخ الكتب، حيث لا تزال بعض الكتب بخطه الجميل موجودة إلى اليوم في بعض الخزانات (*تاريخ الوراقة المغربية*، 120).

كان عبد السلام بن عبد الرحمان العدلوني ناصري الطريقة لذلك نلاحظ أن الطابع الصوفي حاضر في بعض ما خلفه من مؤلفات مثل *شرح الغنيمة الناصرية والفتح المُبين في شرح عدة الحصن الحصين* و*طبقات في التراجم* ؛ وذكر له ابن سودة كتاباً في *تاريخ وأحداث المغرب*.

ومن المناصب التي تولاها في حياته منصب القضاء بصفرو خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري (18 م) حيث كان لا يزال على قيد الحياة سنة 1152 / 1739.

توفي عبد السلام بن عبد الرحمان العدولوني في زمن غير معروف خلال النصف الثاني من القرن (12 هـ ـ 18 م).

العدلوني، عبد السلام بن **العربي**. وُلد بصفرو في أواسط العشرية الأولى من القرن الرابع عشر الميلادي / 1887 أو 1889. تلقى مبادئ القراءة والكتابة بمسقط رأسه ولم يتجاوز في تكوينه حفظ بعض السور من القرآن الكريم وإتقان القراءة والكتابة. إلا أنه استفاد من مخالطة أهل فاس من رجال المخزن حيث كانت هذه المخالطة تسمح له بمجالسة أهل العلم، فالتقطت ذاكرته الكثير من الفوائد العلمية.

كان عبد السلام العدولوني، باعتباره ابن خليفة القائد عمر اليوسي، آخر ركيزة مخزنية قبل وصول الفرنسيين إلى المنطقة، ولما ورثه من أبيه من ثروة ضخمة، يرى نفسه أكثر استعداداً للتعاون مع سلطة الحماية.

كانت بوابة التعاون مع سلطة الحماية بالنسبة لعبد السلام العدلوني، هي اللجنة البلدية لمدينة صفرو، التي أحدثتها فرنسا سنة 1913، وتتشكل هذه اللجنة من أعيان ووجهاء المدينة. ولم يتمكن عبد السلام العدلوني، ليكون ممثلا لحي "ناس أعَدْلُونْ" في أول لجنة بلدية في إطار التنظيمات الجديدة لتدبير الشأن العام، ولم يفز بعضوية اللجنة إلا في دورتها الخامسة لعام 1921 (*تطور أدوات السياسة المحلية*، 192).

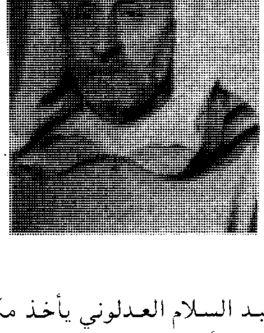

ما كاد عبد السلام العدلوني يأخذ مكانه بين أعضاء اللجنة البلدية حتى أثار انتباه المسؤولين الفرنسيين بتدخلاته الموافقة أحيانا والمعارضة أحيانا أخرى، وكان لا يجد غضاضة في قول كل ما يختلج في نفسه حول قضايا المدينة

حتى ولو كان الأمر يتعارض مع المراقب الفرنسي أو مع رئيس المصالح البلدية أو الباشا. وبقدر ما كان المسؤولون المحليون يتحرجون من مواقف وتدخلات عبد السلام العدلوني بقدر ما كانوا يرون فيه الرجل الذي يمكن الاعتماد عليه لتنفيذ مخططاتهم، ليس فقط داخل صفرو وإنما أيضاً في المناطق المجاورة. ولعل ما يؤكد ماذهبنا إليه أن عبد السلام العدلوني، قد استمر كعضو في اللجنة البلدية في كل دوراتها منذ 1921 إلى غاية نهاية عهد الحماية، باستثناء دورتين أو ثلاث دحضته القرعة وأبعدته عن كرسي العضوية في اللجنة البلدية. نجح عبد السلام العدلوني، منذ أن أضحى عضواً فاعلاً في اللجنة البلدية، بذكائه ودهائه في نسج علاقات واسعة مع كبار المسؤولين الفرنسيين من مستوى المقيم العام فمادونه، فكانت موائده وصلاّته السَّنية تفتح له أبواب مكاتب الإقامة العامة بالرباط، وتقطع ألسنة الانتقاد على المستوى المحلي، وهكذا أصبح يتمتع بتأثير كبير على مختلف أعضاء اللجنة البلدية، فاكتسب نفوذاً قوياً، فكلمته مسموعة وشفاعته لا ترد، ولا يرفض له اقتراح. ونستشف مما يروى عنه شفويا، أنه كان قد بلغ مبلغا من النفوذ عند سلطة الإقامة، أضحى معه يعترض على تعيين بعض المراقبين الفرنسيين على رأس دائرة صفرو.

وبعدما انفض النزاع بين رئيس المصالح البلدية سنة 1930 رولان مارشال (Roland Marchal) والباشا العموري عن عزل هذا الأخير، كان عبد السلام العدلوني ثالث ثلاثة، رشحوا لباشوية المدينة *(Naissance et développement)*.

واعترافا من فرنسا بالدور الكبير الذي بات عبد السلام العدلوني يقوم به ليس بمدينة صفرو فحسب، وإنما في كل ناحية فاس قلدته بعض الأوسمة منها الوسام العلوي من درجة فارس سنة 1944 ووسام جوقة الشرف سنة 1953، وقد انتخب ممثلاً للغرفة الفلاحية بجهة فاس وصفرو في القسم المغربي لمجلس الشورى الذي أقامته سلطة الحماية سنة 1954 في محاولة لتجاوز مطالب الحركة الوطنية التي كانت تلح على إشراك المغاربة في تدبير أمور بلادهم (جريدة *السعادة*، ع 9244 ـ 12 / 1954). وبعد الاستقلال تمكن عبد السلام بن العربي العدلوني من الخروج سالماً من العواصف السياسية التي واجهت أمثاله بعد نهاية عهد الحماية بل إنه نجح في استرجاع موقعه جزئياً في الحياة العامة بصفرو، حيث تم انتخابه عضواً ممثلا للغرفة الفلاحية بالبرلمان المغربي سنة 1962. وقد توفي عبد السلام بن العربي العدلوني بعد مسيرة اجتماعية وسياسية حافلة يوم 17 نونبر سنة 1972.

ع. إبراهيم، *الإعلام*؛ ع. السلام بن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية*؛ م. الزرهوني، *تهيئة وتدبير المجال الحضري بالمغرب على عهد الحماية*، حالة مدينة صفرو، فاس، 2001؛ م. يخلف، *تطور أدوات السياسة المحلية بصفرو أواخر ق 19 ـ 1956*، د. د. ع. الرباط، 1986؛ جريدة *السعادة*، العدد، 9244، دجنبر، 1954؛ مجموعة وثائق العدلونيين بحوزة الأستاذ الوالي العدلوني؛ *رواية شفوية*.

Chafai El Alaoui El Hassane, *Naissance et développement d'une municipalite marocaine sous le protecorat français, Sefrou (1912 - 1956)*, D.E.S., Paris, 1983.

أحمد البوزيدي

العدلوني، عبد السلام بن **محمد** تذهب الرواية الشفوية الرائجة بين العدلونيين بصفرو أنه من ذرية عمر بن علي عدلون. كانت ولادته بصفَرو في زمن غير معروف من القرن (19 م)، وقد تكون في بداية النصف الثاني من نفس القرن. وإذا كنا لا نعرف شيئا عن مراحل تكوينه، فإنه قد يكون أخذ مبادئ القراءة والكتابة على يد بني قومه بمساجد صفرو، ثم رحل إلى فاس فانخرط في سلك المتعلمين بجامع القرويين فأخذ من العلم والفقه ما أهله ليفوز بسمة الفقيه بين أهل صفرو.

كانت أسرة عبد السلام بن محمد العدلوني في نهاية القرن (19 م) ومطلع القرن (20 م)، تتمتع بوضعية اجتماعية واقتصادية متميزة لما تملكه من عقار داخل صفرو، وأراض شاسعة في مزارع المدينة والضواحي، ناهيك عما تتمتع به من جاه وسلطة، فقد كان العربي العدلوني ابن عم عبد السلام العدلوني خليفة مخزنياً إلى جانب القائد عمر اليوسي. ورغم أننا لا نعلم شيئاً عن نشاط عبد السلام العدلوني بعد عودته من رحلته العلمية بفاس، فإننا نعتقد أنه كان يشتغل بممارسة العدالة والتدريس ولو على نطاق محدود.

ويستشف من ظهير سلطاني على عهد مولاي عبد الحفيظ بتاريخ 19 جمادى الثانية عام 1326 / يوليوز 1908، أن الفقيه عبد السلام بن محمد العدلوني كان يمارس القضاء قبل الانقلاب الحفيظي على مولاي عبد العزيز، فقد جاء في هذا الظهير ما يلي "يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره أننا أقررنا ما سكه الفقيه القاضي السيد عبد السلام العدلوني على التكليف بخطة القضاء بصفرو، وأبقيناه مكلفا بذلك كما كان قبل ... ونأمر عامل صفرو بشد عضده على خطته والسلام، صدر به أمرنا الشريف في 19 جمادى الثانية عام 1326" ويظهر أن ثورات القبائل التي عرفتها صفرو والأطلس المتوسط ما بين 1908 و1912، قد أرغمت عبد السلام العدلوني على التخلي عن القضاء حيث لزم بيته إلى أن تنفرج الأزمة.

ولما طما عباب سلطة الحماية على صفرو، عملت فرنسا على تغيير الأساليب التقليدية لتدبير شؤون السكان، باستحداث اللجنة البلدية المحلية، وتتشكل هذه اللجنة من الأعيان الممثلين لأحياء المدينة، وقد شكلت أول لجنة سنة 1913، فكان أن اقترحت على المخزن الشريف وسلطة الحماية إعادة الفقيه عبد السلام بن محمد العدلوني إلى منصب القضاء. وقد قوبل الاقتراح بتزكية الباشا محمد بن علال العموري، وهكذا توصل بظهير تعيينه من جديد قاضيا

لصفرو ونواحيها ابتداء من شهر رجب الفرد 1332 / مارس 1913. وقد ظل بهذا المنصب إلى سنة 1922 حيث تخلى عنه لصالح ابنه محمد الوالي عبد السلام *Naissance d'une municipalité*, 448).

توفي عبد السلام العدلوني فيما يبدو بصفرو قبل سنة 1930.

العدلوني، عبد القادر بن **عبد الرحمان**، نجهل كل شيء عن ميلاده ونشأته العلمية، ولا شك أنه تلقى تعليمه الأوّلي على يد بني قومه بصفرو، ثم التحق بجامع القرويين، وبعد عودته إلى صفرو، ظل يعيش وراء أخيه عبد السلام، وكل ما نعرف له من نشاط علمي هو نسخه للكتب. وقد حلاه أخوه عبد السلام بالعالم الناسك (*الوراقة*، 120) ونستشف من هذه الإشارة أن عبد القادر العدلوني من أهل القرن الثاني عشر الهجري (18 م).

أحمد البوزيدي

العدلوني، علي (مولاي -) بن **محمد** فقيه، نوازلي، مفتي. تنسب الأسرة العدلونية إلى الجد الأعلى (على عدلون) الصفريوي، انتقل جده الثالث من صفرو إلى دمنات وبها كون الأسرة العدلونية.

ولد المترجم له بدمنات يوم 28 رجب عام 1280 / 1863. قرأ القرآن الكريم على والده، وعلى بعض المقرئين، ثم بالروايات الرسم والتجويد عن الشيخ الهاشمي بن عبد الكريم الفيلالي إلى جانب بعض المتون. ثم تفرغ لدراسة العلوم اللغوية والدينية، فدرس على :

ـ والده المرشد المعين، والرسالة، والشيخ خليل، ثم على العلامة محمد بن حمو كرداس، والشيخ علي بن سليمان الدمناتي. ثم رحل إلى مدينة مراكش فدرس على : العلامة محمد أزنيط، والعلامة سعيد جيمي. ثم رحل إلى مدينة فاس عام 1300 / 1882 فدرس على يد :

العلامة محمد بن المدني كنون، والعلامة أحمد بلخياط، والعلامة المهدي الوزاني، والشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني، وغيرهم.

وعندما رجع إلى مسقط رأسه اقترح عليه شيخه كرداس أن يتولى العدالة رغم صغر سنه، وجعله يتلقى الشهادات مع والده. ولما توفي والده عام 1306 / 1888 أسندت إليه مناصب والده : من وعظ، وتدريس، وخطبة جمعة بالجامع العتيق بدمنات.

وفي سنة 1314 / 1896 انتقل إلى مراكش، وتولى العدالة والإفتاء. وفي سنة 1321 / 1903 رافق الشيخ عبد الكبير الكتاني في رحلته إلى الديار المقدسة مروراً بفرنسا، وإيطاليا، والإسكندرية، والقاهرة، ومنها إلى الحجاز لأداء مناسك الحج. ثم ذهب مرة ثانية إلى الحج عام 1354 / 1935، وكان له لقاء مع علماء هذه الأقطار التي زارها، وتبادل معهم الإجازات.

عين قاضيا بالمجلس الأعلى للاستيناف عام 1344 / 1925. ثم قاضيا بأحواز مراكش، وقبائل الجيش عام 1348 / 1929 إلى أن أعفي منه سنة 1362 / 1943 لكبر سنه.

توفي في 20 شعبان عام 1366 الموافق 20 يونيو 1947 ودفن بالضريح العباسي. وقد خلف مؤلفات وتقاييد منها :

1) *روض الأنس في اجتماع الإنسان بالروح والنفس*
2) *أوامر القرآن بإصلاح الأرض، وتشييد العمران*
3) *شرح الصلاة الأنموذجية*
4) *شرح نظم السلطان مولاي عبد الحفيظ للشمائل المحمدية للترمذي*
5) *شرح الحكم العطائية*
6) *السيف المسلول على هامة أهل الفضول*
7) *ديوان شعر*
8) *فهرسة شيوخه*
9) *فلسفة الأخلاق* وغيرها

الوارد الحسن في التعريف بأبي الحسن، تأليف ابنه مولاي أحمد العدلوني ؛ جريدة *الميثاق* لرابطة علماء المغرب، عدد 47، سنة 1964.

أحمد متفكر

العدلوني، محمد بن **عبد القادر** بن عبدالرحمان : كان حياً سنة 1178 / 1764. لا نعرف شيئاً عن ميلاده ونشأته سار على نهج آله في الإقبال على العلم والتصوف، فانتهى به المطاف إلى زاوية عبد الله بن حْسَين الناصري بفطواكة ناحية مراكش، وبهذه الزاوية نسخ بخطه عدداً من الكتب مثل تبصرة الحكام لابن فرحون، وكتاب *في حل ألفاظ الأجرومية بالإضافة إلى نوازل مجهولة* (*تاريخ الوراقة*، 122).

ومن محمد بن عبد القادر العدلوني تفرعت الأسر العدلونية التي كان لها ذكر خلال القرن الثالث عشر الهجري (19 م) بمدينتي دمنات ومراكش.

العدلوني، محمد بن **علي** بن محمد بن عبد القادر، من ذرية علي عدلون الصفريوي، من فرع عبد الرحمان بن علي، ولد بدمنات سنة 1230 / 1814. تلقى مبادئ القراءة والكتابة على يد والده فلما شب عوده، انطلق في رحلة طلب العلم، فانتهى به المطاف إلى مصر، حيث جاور بالأزهر الشريف، فأقبل بهمة عالية على أخذ العلم، وكان عمدته الشيخان علِّيش والبُولاَقِي (*الإعلام*، 7 : 66) كان في نية الفقيه العدلَوني وهو في مصر، البحث عن شيخ صوفي بقيد الحياة، يأخذ بيده إلى الله ويُنْفحه نفحة تطيب لها نفسه. فكان يكثر من زيارة المشايخ، وبَعد ثماني سنوات كان الفقيه العدلوني قد أوكأ خلالها على فقه كثير، جاءته البشارة من بعض أهل الكشف الذي أشار عليه بأن طُلبته من الشيخ

الصوفي ستأتيه إلى باب بيته بالمغرب، وهكذا انتقل إلى الحجاز فأدى فريضة الحج ثم يَمَّم أرض الوطن، فنزل بفاس حيث التقى بالشيخ علي التسولي، ومنها انتقل إلى مدينة أسفي فتصدر للتدريس بها مدة، ثم أزعجته الأقدار إلى مدينة مراكش، فأقبل بهمته المعتادة على التدريس وحسُّه الباطني منشغل بترقب الشيخ الصوفي الذي سيزورهَ في بيته.

ويذكر العباس بن إبراهيم أن أهل دمنات، جاءوا إلى مراكش فراودوا الفقيه العدلوني بالعودة إلى مسقط رأسه دمنات لنشر العلم بها (*الإعلام*، 7 : 83). وبدمنات تأهل الفقيه العدلوني وأقبل على التدريس بمسجد القصبة الدمناتية، فأحيى الله به ما اندرس من العلم بهذه الجهات.

ساقت الأقدار الشيخ محمد بن العربي المدغري، في إحدى سياحاته إلى دمنات، فأخذ عنه الفقيه العدلوني الورد الدرقاوي، وتحققت له البشارة المصرية، ففسح الله له في صدور الناس، فنال شهرة واسعة بين قبائل دمنات، فطواكة، السراغنة ونتيفة وجل قبائل الأطلس الكبير، فكان يُفتي ويصلح بين الناس وجعل الله له قبولا في قلوب العامة والخاصة.

ومن مؤلفاته المعروفة شرح على منظومة البردة للبصيري، وكتاب عن السنوسية.

توفي العلامة العدلوني بعد حياة حافلة بالتدريس سنة 1306 / 1888. ولا يزال أحفاده بمراكش، وفيهم بعض الفقهاء ومن أشهرهم الفقيه مولاي أحمد العدلوني الذي انتقل إلى الرفيق الأعلى في أواسط 2001. وللعدلونيين المراكشيين مصاهرة إلى اليوم مع بني عمومتهم بصفرو.

العدلوني، محمد الوالي بن **عبد السلام** بن محمد. وُلد بصفرو حوالي 1298 / 1880. درج في أول مدارج العلم تحت نظر والده القاضي عبد السلام العدلوني، فلما شب رحل إلى فاس لإتمام تعليمه، فالتحق بالقرويين، وجال في ما كان يروج إبانه من علوم فقهية ولغوية، فتخرج فقيهاً مشاركاً، وأديباً يقرض الشعر ويهتزله، نسخ بخطه الجميل عدة قصائد أدبية لاتزال عند حفدته إلى اليوم، ويظهر من بعض تعاليقه أنه سليم الأسلوب نقي العبارة، ولن نبالغ في شيء إذا قلنا إنه آخر فقهاء بني عدلون بصفرو.

تزامن تاريخ عودة محمد الوالي العدلوني من رحلته العلمية إلى صفرو، مع وصول طلائع القوات الفرنسية إلى المدينة واستحداث التنظيمات الجديدة لتدبير شؤون السكان من خلال اللجنة البلدية ابتداء من سنة 1913.

وبالرغم من أن الفقيه محمد الوالي العدلوني، لم يتمكن من الحصول على العضوية في اللجنة البلدية الأولى سنة 1913، فإن وضعه الاجتماعي كفقيه وابن لقاضي المدينة، وعلاقاته الخاصة بمحمد بن علال العموري، باشا صفرو في وقته، قد سمحت له بالحصول على عضوية اللجنة في دورتها الثانية سنة 1917 وقد كان يتمتع بنفوذ كبير داخل اللجنة البلدية. وبعد خمس سنوات من وجوده في اللجنة البلدية، رشح محمد الوالي العدلوني لوظيفة قضاء صفرو ونواحيها خلفا لأبيه الذي عزل سنة 1922 ومما جاء في ظهير التعيين "يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعزه وجعل في الصالحات طيه ونشره، أننا بحول الله وقوته وشامل ... ومنته ولينا ما سكه الفقيه السيد محمد بن عبد السلام العدلوني خطة القضاء بمدينة صفرو وما يضاف إليها .. فنأمر الواقف عليه من خدامنا وولاة أمرنا أن يعلمه ويعمل بمقتضاه ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه .. صدر به أمرنا الشريف بالله تعالى في ثامن وعشرين ربيع الثاني عام 1340 / يناير 1922.

وإذا كنا نجهل الأسباب التي جعلت المخزن اليوسفي يعزل الفقيه عبد السلام العدلوني عن القضاء ويولي مكانه ابنه محمد الوالي بن عبد السلام، فإننا نعتقد أن للباشا العموري يدا في هذا التعيين، حيث كان القاضي الجديد لا يتردد في التأشير على رسوم الأملاك العقارية التي أثلها العموري بعد الاستحواذ عليها من أصحابها بأبخس الأثمان. وهكذا أصبح محمد الوالي العدلوني يتمتع بنفود واسع بين سكان صفرو والقبائل المجاورة، فأثل أملاكا عريضة وبات يتصرف في ثروات ضخمة جعلت منه واحداً من أغنياء المدينة.

وفي سنة 1923، تخلى محمد الوالي العدلوني عن عضوية اللجنة البلدية لأن القانون يمنع الجمع بين وظيفتين، ومع ذلك فقد ظل يؤثر من وراء ستار في قرارات اللجنة بواسطة صديقه الباشا محمد بن علال العموري. وبعدما قررت سلطة الحماية عزل الباشا العموري سنة 1930، طالت مسطرة العزل أيضا القاضي محمد الوالي العدلوني.

وقد ظل الوالي العدلوني في أخريات أيامه يتنقل بين فاس وصفرو لعلاقاته الوطيدة ببعض العائلات الفاسية، وحسب ما يرويه حفيده فإن كتب ووثائق القاضي العدلوني قد استولى عليها عبد الحي الكتاني، وبضياع هذه الوثائق ضاع الكثير من أخبار فقهاء وقضاة العدلونيين بصفرو.

توفي محمد الوالي العدلوني سنة 1948 ودفن بمقابر أهله بصفرو.

أحمد البوزيدي

عدوتا المغرب والأندلس، العدوة في اللغة المكان المتباعد والمكان المرتفع وشاطئ الوادي. ورد المصطلح في القرآن الكريم (*الأنفال*، 42) "إذ انتم بالعدوة الدنيا وهو بالعدوة القصوى" بمعنى ما يلي المدينة وما يلي مكة.

انتقل مصطلح العدوة إلى بلاد المغرب، عبر الكتاب المشارقة، على الأرجح، فأطلق على ضفتي كل مجال يفصله مجرى مائي. فوجدت في البداية العدوة المغربية

والعدوةالأندلسية، لوجود فاصل مائي بينهما هو البحر المتوسط، الذي عرف في القديم بالبحر الشامي أو بحر الروم أو البحر الأعظم.

وإذا كانت الأندلس لا تطرح مشكلة على هذا المستوى، باعتبارها وحدة جغرافية مستقلة، لذلك سميت بالعدوة الأندلسية، منذ فترة مبكرة من الوجود الإسلامي بها، فإن العدوة المغربية طرحت مشكلة، تتمثل في اختلاف الجغرافيين العرب القدامى حول امتداداتها الجغرافية، بين قائلين بضم العدوة المغربية للمغربين الأوسط والأقصى مع استثناء إفريقية (المغرب الأدنى)، وبين قائلين بكون العدوة المغربية شاملة للوحدات الجغرافية الثلاث.

وتكرس مفهوم العدوتين المغربية والأندلسية، بظهور ما يعرف "بالمنافرات" أو "المفاخرات" بينهما، التي لم تبدأ فعليا إلا في عهد الموحدين، وإن كان الفخر بالأعلام في نطاق المفاضلة بين العدوتين قد بدأ منذ العهد المرابطي حين أصبحت الأندلس تابعة للمغرب.

وهكذا فإن أولى المفاخرات المدونة التي وصلتنا هي تلك التي جرت بين أبي الوليد الشقندي وأبي يحيى ابن المعلم الطنجي، التي تعود إلى العهد الموحدي. وظهرت في العصر المريني مراشقات قلمية بين مغاربة وأندلسيين، مثل "طرفة الظريف في أهل الجزيرة وطريف" و"مفاخر البربر" و"المفاخرة بين مالقة وسلا" لابن الخطيب.

واقتبس مصطلح العدوة من الدلالة على مجالين جغرافيين كبيرين هما المغرب والأندلس، إلى الدلالة على مجالين أصغر منها. فأطلق على سلا والرباط، بعد شيوع عبارة "مدينة سلا وعدوتها شالة"، ثم تطور الاستعمال إلى أن ضاق فأصبح يهم شطري المدينة الواحدة التي يفصل بينهما نهر، مثل مدينة فاس ذات العدوتين : الأندلسيين والقرويين. بل إن الأمر طال جهات أخرى في بلاد المغرب، مثل بلاد درعة، فقد تحدث ابن الزيات التادلي (*التشوف*، 410) عن عدوتي درعة باعتبارها ضفتين لوادي درعة.

عدوتا سلا والرباط :

أشهر مدينتين عرفتا في المغرب بالعدوتين، أسست عدوة سلا (أو العدوة الشمالية) في زمن قديم، يرجح أنه العهد الروماني، أما عدوة الرباط (أو العدوة الجنوبية) فقد ظهرت في العهد الموحدي، ودعيت في البداية برباط الفتح.

ومهما اختلف زمان تأسيس العدوتين سلا والرباط، واختلاف الهدف من وجود كل واحدة منهما، فقد جمع بينهما وادي أبي رقراق (الذي عرف في المصادر القديمة بعدة أسماء مثل وادي سلا ووادي وانسيفن ووادي اسمير ووادي الرمان ...)، ومن هنا جاءت تسمية كل واحد منهما بالعدوة. ورغم اختلاف تطور المدينتين، فقد تدهورت الرباط بعد الموحدين، ونشطت الحياة التجارية في سلا، فإن العلاقة بين العدوتين ظلت قائمة عبر العصور، وسهل هذا الارتباط وجود جسر - يعود إلى العهد الموحدي - بني من ألواح وحجارة يعبر عليها الناس عند الجزر، ويستعملون القوارب عند المد. غير أن ذلك استدعى بناء قنطرة خشبية ضخمة وصلبة، لا يؤثر فيها عبور العساكر والمسافرين، بحيث يمكن رفعها عند المد، مما عزز وحدة الحاضرتين وسهل عملية التبادل بين الشمال والجنوب.

عدوتا الأندلسيين والقرويين :

يرجع تاريخ تأسيس العدوتين إلى الفترة الإدريسية، فقد أسست عدوة الأندلسيين في ربيع الأول من سنة 192 / يناير 808، وعدوة القرويين في مستهل ربيع الأول من سنة 193 / دجنبر 808، وذلك حسب معظم الروايات التاريخية القديمة.

ابتدأ تعمير عدوة الأندلسيين منذ تأسيسها، فقد سورها إدريس الثاني وفتح بها أبوابا، منها باب القبلة وباب الفوارة وباب المخفية وباب الشيبوبة وباب أبي سفيان وباب الكنيسة (باب الخوخة حاليا)، كما بنى بها جامعا للخطبة هو جامع الأشياخ (جامع الأنوار حاليا). أما تعمير عدوة القرويين فقد بدأ أيضاً مع تأسيسها، فقد سورها إدريس الثاني وفتح بها أبوابا مثل باب إفريقية وباب القوس وباب الفصيل (باب النقبة) وباب الفرج (باب السلسلة) وباب الحديد وباب القلعة، وبنى بها جامعا للخطبة هو مسجد الشرفاء.

وأنزل إدريس الثاني الوافدين عليه من الأندلس - الربضيون - بالعدوة الشرقية فسميت عدوة الأندلسيين، وأنزل الوافدين عليه من القيروان بالعدوة الغربية فسميت عدوة القرويين.

يفصل بين العدوتين وادي بوخرارب، الذي أنشئت عليه قناطر تربط بينهما، ويلتقي هذا الوادي بوادي سبو على بعد أربعة كيلو مترات إلى الشرق منها.

ومنذ تأسيس العدوتين استقطبتا القبائل والأسر فاستقروا بهما. وشاع في الأدبيات التاريخية منافرات بين العدوتين، مصدرها الاحتكاك اليومي بين أهليهما، ونموذج ذلك المقارنة التي يقيمها الكتاب بينهما، سواء من حيث نوعية بعض المغروسات التي تجود بها تربتهما، أو غزارة المياه أو العادات أو الشجاعة أو الجمال.

وخلال حكم مغراوة لمدينة فاس، وبالضبط أيام دوناس بن حمامة أصبحت العدوتان مدينة واحدة، حيث أدار بهما وبأراضيهما الأسوار، غير أن فترة حكم ابنيه الفتوح وعجيسة أعادت الفصل الذي كان قائما من قبل بينهما، فقد اختص الأول بعدوة الأندلسيين واختص الثاني بعدوة القرويين. ونشأت عداوة بين الأخوين، تطورت إلى مواجهات، لم يجعل حدا لها سوى وصول المرابطين، الذين قاموا بهدم بعض الأسوار الفاصلة بين العدوتين، وتم ترميم قناطر قديمة وإحداث أخرى جديدة، تربط بينهما، مثل قنطرة أبي طوبة وقنطرة أبي برقوقة وقنطرة باب السلسلة وقنطرة الصباغين وقنطرة كهف الوقادين وقنطرة الرملية.

وهكذا تحولت العدوتان مرة أخرى إلى مدينة واحدة، مع الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين وابنه علي، وتأكدت هذه

الوحدة مع دخول الموحدين مدينة فاس، حيث أمر الخليفة عبد المومن بن علي الكومي بهدم ما بقي قائما من أسوار بين العدوتين، وقال قولته الشهيرة : "إنا لا نحتاج إلى سور، إنما أسوارنا سيوفنا وعدلنا". (جني *زهرة الآس*، 42 ـ 43).

القرآن الكريم، اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، كتاب البلدان، 1988 ؛ قدامة بن جعفر البغدادي، *نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة*، 1988 ؛ ابن الفقيه، أبو بكر الهمذاني، *مختصر كتاب البلدان*، 1988 ؛ ابن القوطية القرطبي، *تاريخ افتتاح الأندلس*، 1957 ؛ المقدسي البشاري، محمد بن أحمد بن البناء، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، 1987 ؛ ابن الزيات التادلي، *التشوف إلى رجال التصوف*، 1984 ؛ عبد الواحد المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، 1978 ؛ أحمد القلقشندي، *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، ج 5، د. ت ؛ ابن منظور، *لسان العرب*، م 4، 1997؛ محمد ابن شريفة، *من منافرات العدوتين*، 1977 ؛ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي، *صورة الأرض*، 1979 ؛ الشريف الادريسي، *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، ج 1، د. ت ؛ مؤلف مجهول، *الاستبصار في عجائب الأمصار*، 1985 ؛ عبد الواحد المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، 1978 ؛ أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل، تقويم *البلدان*، د. ت ؛ محمد بن عبد المنعم الحميري، *الروض المعطار في خبر الأقطار*، 1975 ؛ أحمد القلقشندي، *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، ج 5، د. ت ؛ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، *وصف إفريقيا*، ج 1، 1983 ؛ محمد بن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تاريخ العدوتين، 1986 ؛ عبد العزيز بن عبد الله، *سلا أولى حاضرتي أبي رقراق*، 1989 ؛ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، *كتاب البلدان*، 1988 ؛ أبو عبيد البكري، *المسالك والممالك*، ج 2، 1992 ؛ مؤلف مجهول، *الاستبصار في عجائب الأمصار*، 1985 ؛ ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي، *كتاب الجغرافيا*، 1970 ؛ ابن أبي زرع الفاسي، *الأنيس المطرب بروض القرطاس*، 1973 ؛ علي الجزنائي، *جنى زهر الآس في بناء مدينة فاس*، 1991 ؛ أحمد القلقشندي، *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، ج 5، د. ت ؛ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، *وصف إفريقيا*، ج 1، 1983 ؛ إ. ليڤي بروفنسال، *الإسلام في المغرب والأندلس*، مقال بعنوان : تأسيس مدينة فاس، 1956 ؛ روجي لوطورنو، *فاس قبل الحماية*، ج 1، 1992.

عبد الإله بلمليح

العدول في الاصطلاح المغربي هم الموثقون المنتصبون لتلقي الشهادات وتوثيق العقود في المعاملات المختلفة. ويعرفون في الاصطلاح الأندلسي بكتاب الشروط. وتستند خطة العدالة على مقتضى الآية الكريمة التي أمرت بتقييد الدين بين الناس "وليكتب بينكم كاتب بالعدل" (*البقرة*، آية 281)، والإشهاد في قوله تعالى "واستشهدوا شهيدين من رجالكم" (*البقرة*، آية 281)، وقوله تعالى "وأشهدوا ذوي عدل منكم" (*الطلاق*، آية 2) وفي آيات وأحاديث أخرى.

لقد أدى استخدام الكتابة في الإشهاد والتوثيق بالمغرب الإسلامي إلى ظهور فئة الموثقين أو العدول أو كتاب الشروط أو الشهود المؤهلين، ثم ظهر علم الشروط أو علم الوثائق. وقد ازدهرت صياغة الوثائق القانونية بكل من الأندلس والمغرب على خلاف المشرق الذي لم تعرف فيه نفس المسار، ويعتبر التراث المغربي الأندلسي غنيا في هذا المجال بعدد المؤلفات التي وضعت فيه. وظلت كتب الشروط أو العقود بمثابة مراجع قانونية لصياغة الوثائق في ضوئها. وأقدم النماذج الأصلية التي وصلتنا هي وثائق أندلسية، أما النماذج المغربية فقد وصلتنا منقولة في بطون الكتب. ولاحتواء الأعراف والممارسات المحلية وإدماجها في الفقه المالكي عن طريق الوثائق ظهرت بعض النماذج التوثيقية مثل شهادة اللفيف.

اعتبر ابن خلدون في *المقدمة* العدالة من الخطط الشرعية وجعلها بعد القضاء، وهي من الخطط الضرورية والخطيرة في نفس الوقت في المجتمع الإسلامي نظراً لما يترتب عليها من نتائج قانونية تخص أوضاع الأشخاص ومعاملاتهم المختلفة، لذلك كان القاضي على مدى تاريخ المغرب هو صاحب الصلاحية في توثيق العدول أو منعهم من الجلوس للشهادة، استناداً على معيارين أساسين هما الأهلية العلمية والسمعة الأخلاقية. وفي المدن المغربية الكبرى كان يخصص لهم مكان تصطف فيه حوانيتهم يعرف بسماط العدول، غالباً ما يقع بالقرب من دار القاضي. ومن خلال تراجم العديد من العدول الذين احتفظت بها كتب التراجم نلاحظ أنه كان من بينهم علماء كبار وفقهاء مشهورون، خاصة خلال العصرين المرابطي والموحدي.

وفي العصر المريني كتب ابن الخطيب رسالة سماها *مثلى الطريقة في ذم الوثيقة* نبه فيها إلى الأزمة التي أخذت هذه الخطة تشهدها، ووصف ما وصلت إليه العدالة على يد بعضهم من انحطاط لتصدر كثير ممن ليسوا أهلا للشهادة، لذلك تندر ببعض عدول عصره، وأورد نماذج من ضعفهم في الإنشاء وتعابيرهم المضحكة، واعتبر أن من عيوب هذه المهنة تعريض صاحبها للاحتكاك بالعامة في قضاياهم وخصوماتهم بينما هو داخل في عداد العلماء والفقهاء. ومما يدل على أن بعض العدول لم يكونوا من ذوي الكفاءة الفقهية، إثباتهم لشروط غير شرعية، فكان القضاة يرفضونها إذ نشبت بشأنها خصومات، لكن على العموم فإن العدالة استمرت إلى جانب القضاء في القيام بدورها الفقهي والتوثيقي وظل العدول في المجتمع المغربي من بين الشخصيات التي تحظى بالاحترام والتوقير.

ولضبط الوثائق والرسوم المختلفة كان العدول يضعون عليها أسماءهم إلى جانب اسم القاضي الذي أجاز الوثيقة ؛ ثم ظهرت الحاجة فيما بعد إلى وضع توقيعات معقدة يصعب تقليدها عرفت لدى المغاربة باسم "البخوشة"، وقد أصبح من الصعب جداً قراءتها إلا من طرف خبير مختص، وكان كل عدل يختص ببخوشته، ومع ذلك فقد كان بعض العدول غير الأمناء يقلدون توقيعات غيرهم ويزورون وثائق بأسمائهم. وهذا التوقيع المعقد هو تقليد لتوقيع السلاطين السعديين الذي استوحى الطغراء العثمانية لكن بشيء من الأصالة والخصوصية المغربية.

العدول في عهد الحماية : تم في عهد الحماية دمج

العدول في نظام قانوني جديد وضعته فرنسا، فأدمج قانون العقود لسنة 1913 في قانون الالتزامات والعقود، وأصبحت المادة 418 منه تنص على قبول الوثائق المحررة من قبل العدول طبقاً للإجراء القديم القائم على إجازة القاضي للوثيقة كسند قانوني. وفي سنة 1925 أدخل نظام الموثق العمومي Notaire publique الفرنسي ليأخذ محله إلى جانب العدول كما عرفوا في تاريخ المغرب.

من الإجراءت الجديدة التي لجأت إليها وزارة العدل في عهد الحماية فرض استخدام الورق المدموغ في الكتابات العدلية. كما دخل الرقن إلى عالم العدول وبدأ التخلي عن تحرير العقود بخط اليد كما كان سابقا.

استحدث نظام الحماية سلسلة من القوانين جعلت استخدام السجلات فيما يحرره العدول من وثائق أمراً إجبارياً، وتم توحيد مواصفات هذه السجلات بحيث تتكون من دفاتر تقسم صفحاتها إلى أعمدة مطبوعة يقوم العدول بملء البيانات المطلوبة في خاناتها، وكانت محتويات هذه السجلات تنقل في سجل كبير بمحكمة التوثيق، ثم يحرر العدل نسخة العقد التي يقوم القاضي باستقلالها. فأصبحت مراقبة الدولة لعمل العدول أمراً سهلاً.

وعلى ضوء هذه الإجراءات أصبحت العقود هي الأخرى منمطة من ناحية بعض الشكليات على الأقل، فبجانب الاستخدام الإلزامي للورق المدموغ، ظهرت في هوامش الوثائق الأرقام الدالة على تقييدها في السجلات، وفي بعض الحالات أختام تشير إلى تسجيل إضافي يفيد نقل ملكية عقارية، كما أن القضاة أصبحوا يوقعون على العقود إضافة إلى وضع أختام المحكمة.

ومع مرور الزمن أصبح تعيين العدول من صلاحيات وزارة العدل، وليس القضاة المحليين كما كان آنفا.

العدول في عهد الاستقلال : استمر العمل خلال مرحلة الاستقلال بما كان قبلها من التقاليد المغربية في كيفية صياغة العقود والأساليب المستعملة مراعاة المذهب المالكي والعمل الجاري، وبما ورثته العدالة عن عهد الحماية من المستحدثات الشكلية. كما نصت مدونة الأحوال الشخصية لسنة 1957 على ضرورة الشاهدين العدلين في بعض المعاملات كالزواج طبقاً للمذهب المالكي، وغير ذلك.

تخضع خطة العدالة لمراقبة وزارة العدل مباشرة، ويشرف عليها قاضي التوثيق بكل مدينة ؛ وقد تم تنظيمها بمجموعة من النصوص القانونية أهمها القانون المنظم لخطة العدالة رقم 11.81، الذي أصبح تعاطي هذه المهنة الحرة بموجبه خاضعاً لمقاييس مضبوطة تعتمد على المؤهل العلمي والخبرة المطلوبة في المجال الفقهي، مع تحديد معايير مباراة ولوج المهنة والتداريب المطلوبة للترسيم فيها. كما أن هناك مسطرة محددة ودقيقة لتسجيل العقود بدفاتر العدول (دفتر الجيب) أو بسجل محكمة التوثيق تحت نظر القاضي، حتى تكون العقود التي تسلم لأصحابها مستوفية لجميع الشروط القانونية. وبما أن أجرة تحرير العقود تقع على كاهل صاحب العقد فإن القانون حدد الأجور التي يتقاضاها العدول عن تحرير كل نوع من الرسوم العدلية. كما نص على العقوبات التي يواجهها المخلون بأخلاقيات المهنة.

وتم في السنوات الأخيرة نقل نظام التوثيق الشرعي إلى الخارج لتقريبه من المهاجرين المغاربة، فألحق بعدد من القنصليات المغربية بالدول الأوربية قضاة شرعيون إلى جانب عدول يسهرون على إجراء المعاملات وفقاً للشريعة الإسلامية، وكانت هذه الخطوة إيجابية باعتبارها الأولى من نوعها التي تقوم بها دولة إسلامية.

وقد أدى الدمج التدريجي لنظام العدول في التنظيم القانوني بالمغرب إلى تغيرات هامة في الوضع القانوني للعدول في ظروف أدائهم لمهامهم. ومن ذلك تزايد الإشراف والتنظيم القانوني من قبل الدولة، وهو ما أدى إلى أن تصبح إشهادات العدول في المجال العقاري أساساً قانونياً لفرض الضرائب، كما أن للرسوم العدلية قيمة قانونية كاملة في المعاملات التي تمس عدداً من المصالح العمومية كقطاع التحفيظ العقاري ومصلحة التسجيل والتنبر ومختلف أنواع المحاكم.

أبو إسحاق الغرناطي (ت. 579 / 1183)، *الوثائق المختصرة*، الرباط، مركز إحياء التراث المغربي، 1988 ؛ ع. بن يحيى الجزيري، *المقصد المحمود في تلخيص العقود*، دراسة وتحقيق أسونثيون فريرس، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، 1988 ؛ ابن فتوح، *وثائق المرابطين والموحدين*، طبع منسوباً لعبد الواحد المراكشي، بعناية حسين مؤنس، القاهرة ؛ ابن الخطيب، *مثلى الطريقة في ذم الوثيقة*، تح. عبد المجيد تركي، ضمن كتابه قضايا ثقافية من تاريخ الغرب الإسلامي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1988، ص. 249 ـ 287 ؛ الجريدة الرسمية، عدد 3678، 27 أبريل، 1983.

محمد المغراوي

عدْيَّل، بيت فاسي أصله من الأندلس، واشتهر ذكر أفراده في المصادر المغربية "بأولاد عديل". وكان هذا البيت من بيوتات التجارة والثروة في فاس في القرن الثاني عشر (18 م). كما كان "أولاد عديّل" من أعيان المدينة ووجهائها. ولعل فخامة الدار التي تنسب إليهم في فاس، والمعروفة "بدار عديّل"، خير دليل على أهمية الثراء والجاه الذي كانوا يتمتعون به.

ونذكر من بين شخصيات أسرة عديّل الأولى التي تحدثت عنها المصادر، محمد عدِّيل. وكان محمد هذا من أعيان التجار بفاس، وقد خصه المولى إسماعيل بمكانة متميزة حيث جعله أمينا وأسند إليه مهمة الإشراف على بيت المال والتصرف في المراسي، ثم ولاَّه بعد ذلك إمارة ركب الحج الفاسي. وقد خرج مرة أو مرتين على رأس الركب، ثم تولى بدله أبناؤه وأبناء أخيه وهم : عبد العزيز، والخياط، وعبد القادر، والشاوي ثم عبد الخالق.

وتداول أولاد عديّل لمدة طويلة أمانة بيت المال بفاس، وإمارة ركب الحج لمدة تزيد عن الأربعين سنة، لم يترأس خلالها الركب أحد من خارج بيتهم سوى من أنابوه عنهم. كما أسندت، كذلك، للبعض منهم مهام مخزنية مختلفة كالسفارة، وقيادة فاس.

وورد في *زهر الآس* أن بيت عديّل استمر وجوده بفاس إلى القرن الثالث عشر (19 م). لكن مع ذلك تجب الإشارة إلى أن وضعه المادي والاجتماعي قد تدهور منذ العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الثامن عشر الميلادي، حيث تمت مصادرة أموال أفراده ودارهم لفائدة المخزن. ومن الإشارات التاريخية التي تعبر عن ذلك ما جاء في *سلوة الأنفاس* بخصوص أحد أولياء فاس : "...ومن كراماته أنه نادى مرة على أولاد عديّل وهم في صولتهم من الدنيا والجاه وإمارة الحج فكان يقول : يا عديّل ! تْقطع الحْبيّل، وطاح الحْميّل ومشى المْويّل ! فوقع لأولاد عديّل ما قال".

م. الشرقي، *رحلة الإسحاقي*، م. خ. ح. رقم 11869، الرباط، ص. 28، 29 ؛ ع. الكبير الكتاني، *زهر الآس*، الدار البيضاء ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، فاس، 1316، ج. 3، ص. 113.

عْديّل، الطيب بن **الخياط** بن محمد، كان حيا سنة 1162 / 1749، تذكره المصادر المغربية تحت اسم "الطيب عديّل" و"الخياط عديّل" - وهو اسم ولقب والده المتوفى سنة 1141 / 1728- ثم "عديّل" فقط. كما تفعل مع أعلام آخرين من نفس البيت. وتشير إليه الوثائق المصرية باسم "الطيب بن المرحوم الخياط عديّل".

ينتمي الطيب بن الخياط عديّل إلى بيت عديّل الفاسي الأندلسي الأصل، وهو ابن أخ عبد الخالق عديّل أمير ركب الحج المعروف. والطيب هذا اشتهر كذلك كأحد أعيان المدينة وأثريائها.

ويجب التنبيه إلى أنه كثيرا ما يقع الخلط بين صاحب الترجمة - الذي أسلفنا القول أن المصادر تذكره، كذلك، بالخياط عديّل - وولده عبد الله الخياط الذي تشير إليه نفس المصادر في سياق الأحداث الواقعة في عهد سيدي محمد بن عبد الله بنفس الاسم، أي "الخياط عديّل". وقد أدى هذا إلى الخلط بينهما، فتنسب المعلومات الخاصة بالإبن للأب. وقد انفرد *زهر الآس* من بين هذه المصادر بإيراد الأسماء الشخصية لكليهما مقرونة بذكر اسم الوالد واللقب، غير أنه لم يورد الاسم الشخصي الكامل للابن مكتفيا "بالخياط" بدل "عبد الله الخياط".

ومما يزيد من صعوبة التمييز بين هذين العلمين، كون المعطيات المقتضبة التي جاءت في المصادر لا تسعف في تتبع حياتهما بما يكفي من الوضوح. كما أن مزاولتهما لنفس المهام، ونعني بذلك أمانة بيت المال بفاس وإمارة ركب الحج، جعلت الإشارات القليلة المتعلقة بهما تتشابه.

إن كل ما يعرف عن صاحب الترجمة أنه تداول إمارة ركب الحج مع شخصيات تنتمي لنفس البيت. ومعلوم أن هذا المنصب كان من المناصب البالغة الأهمية، ولم يكن يرشح له، في الغالب، في القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر الميلادي سوى أصحاب الجاه والثروة. كما كانت مشيخة ركب الحج - في حد ذاتها - مصدرا للاغتناء واكتساب المزيد من الثروة والجاه.

وتفيد المعطيات المتوفرة أن الطيب عديّل خرج على رأس الركب مرّات عديدة نذكر منها سنوات 1146 - 1147 / 1733 - 1734، و1148 - 1149 / 1735 - 1736، ثم 1151 - 1152 / 1738 - 1739 . ويمكن القول، بناء على رئاسته المتكررة للحجاج، أنه كان يتوفر، إلى جانب الثروة، على مؤهلات خولته الاستمرار في قيادة الوفد الحجي، كالمهارة والخبرة في التسيير، ودماثة الأخلاق، إذ غالبا ما كان يعزل عن إمارة الركب كل من كان يسيء معاملة الحجاج، أو يطمع في أموالهم وفي تركات المتوفين منهم.

ومما يعرف عنه كذلك، أن أسندت إليه أمانة بيت المال بفاس بعد وفاة عمه عبد الخالق عديّل (ت. 1158 / 1745. وقد ألزمه المولى عبد الله بدفع مائتي مثقال كل شهر من المال الذي كان مؤمنا عند عمه. ففر بسبب ذلك إلى المشرق في رجب من سنة 1162 / ماي 1749. لكن المصادر لا تسعفنا، بعد هذا التاريخ، في تتبع حياته.

إلا أنه، واستنادا إلى متابعة سيدي محمد عام 1174 / 1760 لأبنائه في المال الذي كان مؤمنا عنده، يبقى أمامنا احتمالان إما أنه رجع إلى المغرب وتوفي قبل هذه السنة، وإما أنه استقر بصفة دائمة بالبلد الذي فر إليه في سنة 1162 / 1749.

سجل رقم 138، أرشيف محكمة قسمة عسكرية، دار الوثائق، القاهرة ؛ سجل رقم 148، أرشيف محكمة قسمة عسكرية، القاهرة ؛ المشنزائي، *التقاييد التاريخية*، مخطوط مكتبة بودليان، رقم س 79، أكسفورد ؛ القادري، نشر *المثاني*، الرباط، 1976 - 1986، ج. 3 ؛ ع. الكريم الكتاني، *زهر الآس*، الدار البيضاء، 2002، ج. 2.

نزهة عقيلي

عْديّلْ، عبد الخالق الفاسي الذي تنسب إليه دار عديل بفَاس، ناسك (18م)، كان شيخ الركب الحجازي بفاس في منتصف القرن الثاني عشر ويأتي ذكر اعديل هذا في سياق الأحداث التي عرفتها مدينة فاس أثناء النزاع الذي كان قائما بين السلطان محمد بن إسماعيل المعروف بابن عربية وأخيه المولى عبد الله عام 1150، فقد كان من بين الذين قبض عليهم أعوان ابن عريبة وصادروا جميع أمواله.

وسيعودُ اعديل إلى سطح الأحداث عام 1154 عندما ولاَّه السلطان المولى عبد الله عاملاً على فاس، وقد كانت له عند السلطان حظوة ومكانة، فلما قضى على عامل طنجة أحمد بن علي الريفي كلفه في جماعة من تجار فاس بحيازة ممتلكاته، وكان ذلك عام 1156.

وفي عام 1158 انتهى إلى علم المولى عبد الله نبأ تصرف عدِّيل في قدر لا يستهان من مال الريفي المودع لديه، فأحضره وأخذ عليه ميثاقا بإرجاع ما أخذ تحت ضمانة بعض أعيان فاس.

وتوفي بفاس يوم 23 أو 27 من ذي القعدة عام 1158، ودفن بزاوية سيدي عبد القادر الفاسي.

تقع دار اعديل في زقاق لبغل بعدوة القرويين. وتحتوي على صحن تتوسطه نافورة ماء، تقابلها في إحدى الزوايا سقاية حائطية، وتقوم في زواياه الأخرى قاعات فسيحة ذات أبواب ضخمة نقش على واجهة إحداها هذا البيت الشعري :

انظر إلى سري فلا يلقى له مثـــل   وكيف لا ونشأتي بلوغ الأمـــل

احتضنت هذه المعلمة في بداية عهد الحماية دار السكة، ثم توالت عليها وظائف أخرى، فأصبحت متحفا للفنون الشعبية، ثم مدرسة للبنات، وانتهى بها المطاف إلى احتضان تعليم "الآلة الأندلسية" بعدما كان ذلك في دار الجامعي ثم في دار السلام بالبطحاء.

وقد تقاطر على تعليم الآلة بدار اعديل شيوخ هذا الفن بفاس وأصبحت مقراً للمعهد الموسيقي التابع لوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، يديره الحاج عبد الكريم الرايس، وإلى جانبه من المعلمين شيوخ من طبقته اضطلعوا بالتدريس منهم محمد دادي، وعزوز بناني، ومولاي امحمد اشاواش ومولاي أحمد الوكيلي والحاج محمد مصانو الشرشي التازي، والحاج محمد بوزوبع ... وعلى يد هؤلاء تخرجت فئة من الشباب يمارس بعضهم اليوم تدريس الموسيقى، ومنهم بريول، ومحمد اطراشن، وعبد الفتاح بنموسى وآخرون.

وقد عمدت مصالح وزارة الثقافة إلى إيقاف التعليم بدار عدِّيل عام 1978 بسبب تعرض مرافقها للتلاشي وتداعيها للسقوط. وفي إطار العناية التي أولتها منظمة اليونسكو لمدينة فاس التي صنفت ضمن التراث الإنساني، عهدت الحكومة الإيطالية لهذه المنطقة في سنة 1993 بإنجاز دراسة حول ترميم دار اعديل بغرض تحويلها إلى مركز للأبحاث في تراث الموسيقى الأندلسية والملحون.

وقد رصدت الحكومة الإيطالية لهذا المشروع اعتمادات مالية هامة، ثم انطلقت أعمال الترميم سنة 1995 من شركة مغربية وتحت الإشراف التقني لوزارة الشؤون الثقافية التي حرصت على احترام الطابع المعماري الأصلي للدار كما حرصت على استخدام مواد البناء والنجارة بما ينسجم مع الطبيعة المعمارية للدار.

وقد انتهت أشغال الترميم في متم سنة 1998، وجرى حفل افتتاح الدار يوم 18 يبراير 1999 وأطلق عليها اسم "مركز الحاج عبد الكريم الرايس للأبحاث في تراث الموسيقى الأندلسية والملحون"، تكريما لهذا الرجل الذي اضطلع بإدارتها والتعليم ونشاط بالمركز المهام التالية :

- جمع وتصنيف التراث الموسيقي الأندلسي
- جمع المستندات والدراسات والمدونات المختصة
- إنجاز دراسات وأبحاث علمية حول الموسيقى الأندلسية والتعريف بالبحوث الهادفة إلى إبراز خصائصها.
- تنظيم حلقات دراسية وندوات ومحاضرات ومعارض حول الموسيقى الأندلسية.
- تشجيع ممارسة الإنشاد والعزف الفرديين

ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 3، ص. 145، ج 4، ص. 424، 433 - 438 ؛ جريدة *الاتحاد الاشتراكي*، عدد 16 - 24 يبراير، 1999 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 7، ص. 145 - 152 - 158 - 170؛ محمد الضعيف، *تاريخ الضعيف*، ص. 134 - 147 - 150، تح. العماري ؛ محمد بن الطيب القادري، *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، ج 4، ص. 52.

عبد العزيز بن عبد الجليل

عديّل، عبد الله الخياط بن الطيب، (كان حيا سنة 1175 / 1762). هو أحد أبناء الطيب بن الخياط عديّل. جاء ذكره في المصادر باسم "الخياط عديّل"، وأشارت إليه إحدى الوثائق العثمانية باسم "عبد الله الخياط". كان عبد الله الخياط هذا من أعيان فاس، ومن خدام الدولة المرموقين.

ويستفاد من المعطيات المقتضبة الواردة في المصادر، أن أمانة بيت المال بفاس انتقلت إليه بعد والده في عهد سيدي محمد بن عبد الله. وأن هذا الأخير أدخله مع أخيه عزوز السجن بسبب ما ترتب في ذمتهما من ديون المخزن سواء فيما يتعلق بالمال الذي أمنه بنفسه عندهما أو الذي كان مؤمنا من قبل المولى عبد الله عند والدهما، وذلك في ربيع الثاني عام 1174 / نونبر 1760.

وعلى الرغم من توتر علاقة المترجم بسلطان وقته، إلا أن هذا الأخير أسند إليه مسؤوليات هامة، إذ بعثه عقب تسريحه من السجن سفيرا مع الفقيه الطاهر بناني الرباطي في صفر 1175 / شتنبر 1761 إلى السلطان العثماني مصطفى الثالث (1757 - 1774)، وأصحبهما هدية اشتملت على نفائس المصنوعات المغربية، وذلك رغبة من سيدي محمد بن عبد الله في تعزيز الصلات الودية بين المغرب والدولة العثمانية. وأرسل مصطفى الثالث رفقة السفيرين، عند رجوعهما من اسطنبول، هدية فخمة إلى سلطان المغرب.

وإلى جانب تولّي السفارة وأمانة بيت المال، تقلد عبد الله الخياط إمارة ركب الحج. غير أن المصادر لا تفيد في تحديد السنوات التي خرج فيها على رأس الحجاج المغاربة. وتجمع العديد من الإشارات على أنه كان خبيرا في تدبير الأمور، وحازما في تصريف الشؤون المالية على الخصوص.

ومن بين ما نجهله عن صاحب الترجمة تاريخ وفاته. وكل ما أشار إليه الإخباريون، وبالضبط محمد بن الطيب القادري، أنه توجه إثر عودته من إسطنبول سنة 1181 / 1767 إلى تونس حيث كان أخوه، ومكث بها.

لكن، الواضح أن القادري التبس عليه تاريخ رجوع الطاهر بناني وعبد الله الخياط إلى المغرب. والذي يتضح،

من خلال التاريخ الذي تحمله الرسالة التي بعثها السلطان العثماني رفقة السفيرين، أن مغادرة الوفد المغربي لإسطنبول قد تمت في حدود أواخر شعبان 1175 / أواخر مارس 1762. كما تؤكد معطيات أخرى ذهاب الفقيه الطاهر بناني سفيرا مرة أخرى إلى الدولة العثمانية سنة 1179 / 1765. ولعل هذه السفارة الثانية لرفيق عبد الله الخياط هي التي تفسر الخلط الذي وقع فيه صاحب *نشر المثاني*.

ابن إبراهيم الدكالي، *التقاييد التاريخية* ؛ القادري، *نشر المثاني*، ج. 4 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1956، ج. 8.

Nâme - i Hümâyûn de Fterleri, Istanbul Basbakanlik Devlet Arsivi, Istanbul, Def., n° 8, S./ 445 - 448.

نزهة عقيلي

ابن **عَذاري**، مؤرخ جليل نسيه التاريخ وغفل عن ذكره المؤرّخون ومؤلفو كتب التراجم أو لم يصل إليها ما كتبوه عنه، ولهذا لا يعرف عنه شيء ولا يستدلّ على وجوده إلا بكتابه الحافل المسمى *بالبيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب*، وقد كانت المخطوطات التي وجدت منه أول مرة خلوا من اسم المؤلف وهي التي نشرها دوزي ثم بروفنسال وكولان ولم يكن يعرف منه إلا شهرته بابن عذاري التي وردت في بعض المصادر التي نقلت عنه مثل *الإحاطة* لابن الخطيب، وبعد مرور نحو قرن ونصف على طبعة دوزي كشف عن نسخ خطية جديدة في الخزانة الملكية بالرباط فإذا بعضها يبدأ بما يلي : "قال الشيخ الأجل الأثير الأكمل الراوية المطلع الحسيب الأفضل أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري" وبهذا انتهى الجهل والاضطراب في إسم هذا المؤرخ الذي وقع فيه الإفراني في نزهة الحادي إذا التبس عليه بابن عذاري آخر وكذلك العباس بن إبراهيم الذي ذكره في الأحمدين ثم عاد فذكره في المحمدين وقد كان بروفنسال حصل على البداية المذكورة من شخص كان جلّد المخطوطة المذكورة فأوردها في تقديمه القصير لما سمَّاه الجزء الثالث من *البيان المعرب*.

ومن قبيل الاضطراب في اسم هذا المؤرخ الاختلاف في ضبط عذاري فقد قرأها المستعربون بكسر العين والصواب فتحها لأنها جمع عذراء.

وقد شكلت بالفتحه في ترجمة علم له فيما نظن علاقة بمؤرّخنا وهو أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد البلنسي يعرف بابن عذاري، وهو مشكول في نسخ التكملة لابن الأبار بفتح العين، وقد عاش هذا إلى نهاية القرن السادس الهجري، ولعل المؤرّخ ابن عذاري من قرابة هذا أو ذريته وربما تكون هذه الأسرة لجأت إلى مراكش بعد إخراج المسلمين من بلنسية عام 636.

ويستفاد من *البيان المعرب* أن مؤلفه ابن عَذاري عاش في مراكش وهذا ما يبدو من الأخبار الأخيرة في كتابه وقد كانت له صلات بالمؤرّخ ابن عبد الملك المراكشي قاضي الجماعة في مراكش، وهو يروى عنه مباشرة ونجد ذلك في الفصل المتعلق بنكبة الوزير الكاتب أبي جعفر ابن عطية الذي يفتتحه بقوله : "أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الملك" كما نجده في خبر يتعلق بعبد المومن أوله : "ومن جده وظهور سعده ما أخبرني أبو عبد الله ابن عبد الملك قال : حدثني أحد أشياخ الموحدين بحضرة مراكش" وقد نقل أكثر من مرة عن *الذيل والتكملة* لابن عبد الملك ولكنه لم يعده في المصادر التي سردها كما أنه سمَّاه : *التكملة والذيل*.

وثمة تاريخي آخر سمع منه ابن عذاري بعض الأخبار وهو أبو علي صالح بن أبي صالح الايلاني الذي وصف في كتاب *مفاخر البربر* وكتاب درة *الحجال* بالفقيه الصالح العالم التاريخي الزاهد الورع. كان حيا سنة 712. ويمكن عده - كابن عبد الملك - من شيوخ ابن عذاري.

وقد كان صاحب البيان - فيما يبدو - على صلة كذلك ببعض رجالات الدولة فهو ينقل أخباراً تتعلق بالمرتضى الموحدي عن أبي عمران بن تيجا الذي كان والده أبو سعيد بن تيجا وزيراً للمرتضى، ويمكن القول بأن الأخبار المتعلقة بالسنين الأخيرة لدولة الموحدين رواها عمن عاصرها وهي تنتهي بمقتل أبي دبوس عام 668 وبها يختتم كتاب البيان ولكن ابن عذاري فيما يبدو عاش حتى مطلع القرن الثامن الهجري. وإذا كان القدر ضنَّ علينا بترجمته فقد جاد بوصول كتابه الذي يعتبر أهم مصدر لتاريخ الغرب الإسلامي من الفتح إلى نهاية القرن السابع الهجري.

وهو كما يذكر مؤلفه في بدايته يقع في ثلاثة أجزاء الجزء الأول في الامارات والدول التي قامت في المغرب الأدنى والأوسط والأقصى من الفتح الإسلامي إلى قيام المرابطين. والجزء الثاني في تاريخ الأندلس من حين الفتح الأول إلى حين دخول المرابطين سنة 478.

والجزء الثالث في أخبار المرابطين والموحدين والحفصيين والنصريين ويقف عند استيلاء بني مرين على مراكش عام 667.

هذه هي التجزئة التي ذكرها ابن عذاري في فاتحة كتابه لكنه طبع على أساس مغاير بعض الشيء لأنه ظهر على مراحل وعرف أول مرة من خلال ما نشره منه دوزي ثم عثر على جزء جديد نشره كولان وبروفنسال مع ما نشره دوزي قبل ذلك ثم ظهر الجزء الأخير من الكتاب الذي أعدّه ميراندا ونشر في تطوان وأعيد نشره بتحقيق مجموعة من الأساتذة، وما أحوج هذا الكتاب الجليل إلى أن يعاد إخراجه كله بتحقيق حقيقي بمعارضته على جميع نسخه الخطية التي ظهر عدد منها في السنين الأخيره وفي ضوء بعض مصادره الموجودة.

الأجزاء المطبوعة من *البيان المغرب*، أطروحة Emile FRICAUD.

محمد بنشريفة

ابن **عذراء الجزولي، سليمان** فقيه من أهل السوس

الأقصى، ومن أصحاب وجاج بن زلو اللمطي، التحق بالمرابطين وانخرط في جهادهم. وبعد استشهاد شيخهم عبد الله بن ياسين بكريفلة في حربه ضد البرغواطيين سنة 451 / 1059 اختار المرابطون سليمان بن عذراء زعيماً روحياً لهم، لكنه توفي بعده بسنة واحدة فقط سنة 452 / 1060، فبقي منصب القائد الروحي شاغرا. وكان له أخ يدعى أبا القاسم من أصحاب وجاج بن زلو ومن الفقهاء المتحمسين للدعوة المرابطية أيضاً.

القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، ج 8، ص. 78-80.

محمد المغراوي

عراصي مراكش، العرصة البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء وقد عرفت المدن المغربية على العموم عراصي وجنات عديدة اشتهر بعضها على الصعيد الوطني، وأحيانا على الصعيد الدولي، واعتبر متنفسا مهما للمدينة وفضاء لإقامة الأفراح والتنزه.

وقد ساعد على ظهور هذه العراصي توفر المياه بغزارة في كثير من مناطق المغرب.

فالاهتمام بالعيون التي تتفجر هنا وهناك وتعهدها بالتنظيف وتسهيل سيلانها وابتكار أسلوب الخطارات في مناطق أخرى وشق السواقي التي تجلب المياه من الجبال والأودية إلى المدن وحفر الآبار في المناطق التي تحتاج إلى الماء وبناء الصهاريج والبركات والضايات لتجميع المياه والحفاظ عليها ثم إعادة توزيعها على امتداد السنة حسب الحاجة إليها.

هذه المجهودات كانت وراء انتشار الخضرة وظهور العراصي وتوسعها قبل أن تمتد إليها يد العمران وبناء المدن.

- ان لكثرة العراصي بمراكش أثراً واضحاً في حياة السكان وثقافتهم، بل لقد أدى ذلك إلى ظهور اسم آخر نافس اسم المدينة الأصلي وهو "البهجة" وإنما لقبت بها لكونها ذات منظر حسن، تنشرح بها الصدور، ولاشتمالها على حدائق ذات بهجة بالنظر إليها يكمل السرور (*الإعلام*، 1 : 138).

وقد نهضت العراصي بوظائف عديدة ومهمة منها :

- إنتاج الخضر والفواكه في العراصي المحيطة بالمدينة للاستهلاك المحلي.

- النزهة والاستجمام في فصل الربيع وبعد عاشوراء مباشرة.

وكانت تقام بمنتزه الحارثي الواقع خارج باب الجديد وبين اغصانه وسواقيه احتفالات سلطان الطلبة أثناء عطلة فصل الربيع خلال عقدي الثلاثينيات والأربعينيات، يحضرها طلبة ابن يوسف والسلطان وتتبادل بها الخطب. وتقدم فيا أنواع المأكولات، في جو من المرح والترفيه والاستجمام.

- ولم تكن بعض العراصي تقوم بهذه الأدوار فقط، وإنما أنيطت بها أدوار مهمة على الصعيدين الاقتصادي والعسكري، فعرصة أكدال التي تعني المرعى الخاص بخيول السلطان، غرست من طرف عبد المومن بن علي في ظاهر عرصة الصالحة المرابطية جنوب سور مراكش، طولها ثلاثة أميال وعرضها قريب من ذلك.

- معمل للسكر : تأسس في مؤخرة أكدال (مكينة سيدي عمارة)، جلبت آلاته من أوروبا كذلك وبذل فيه محمد بن عبد الرحمن أموالاً طائلة، وكلف به أوربيين فعجزوا عن تنفيذه، ثم كلف به مصريين فشغلوه مدة ثم توقف (*الجيش العرمرم*، 2 : 80).

وكان المشرف على بنائه محمد الدكالي العارف باللغات الأجنبية، وتعاقب علي ادارته كل من عبد الله المعلم، وعبد القادر العلج (*الإتحاف*، 3 : 556).

- معمل صنع القرطوش : أسسه الحسن الأول، وهناك خمس رسائل تتعلق ببنائه، تتضمن الأولى تكليف محتسب المدينة مولاي عبد الله بن إبراهيم البوكيلي بالإشراف على البناء، وذلك في 12 شعبان 1304 ويستفاد من الملحق الأخير أن المصنع قد كمل بناؤه في آخر سنة 1310 / 1892. أما ادوات استخدامه فقد استجلبت من فرنسا بمبلغ 83900 فرنك وهي مفصلة في لائحة مطولة، وكان المصنع يستخدم بالبخار (*الإتحاف*، 2 : 499).

كما كان ينظم بين أشجار جنان الحارثي المعرض الكبير للجنوب تعرض فيه المنتوجات الفلاحية، والصناعية للمغرب عامة ولجنوبه خاصة. وقد أعيد تنظيمه منذ بضع سنوات بعد توقف طويل.

- وكانت للعراصي مكانة كبيرة في الحياة العامة والخاصة يعيش فيها الملوك والأمراء والورزاء ومختلف الطبقات الشعبية وتشيد بها قصور على قدر متفاوت من العظمة والضخامة بحسب مكانة صاحبها ومستواه.

- ومن الأمثلة على ذلك قصور ومنتزهات أكدال : ومنها المسرة الذي يعود إلى العصر الموحدي عند بعض المؤرخين، والراجح أن المسرة والمشتهى قصران سعديان، وهما اللذان سميا فيما بعد بقصري الهناء والدار البيضاء.

- وفي عهد سيدي محمد بن عبد الله العلوي أعيد غرس أكدال وجدد بها قصر الدار البيضاء، وفي عهد سيدي محمد ابن عبد الرحمن شيد جنان الرضوان مع قصره ومنزهه وذلك سنة 1862 / 1863 وغرست به عراصي النيل.

ولا تقل عراصي المنارة أهمية عن سابقتها فمع أن إحداثها كان لهدف عسكري أساساً : تعليم الجنود السباحة وأساليب التجذيف في صهريجه الكبير، فإن ملوك الدولة العلوية قد بنوا على ضفة الصهريج منزها هو قبة المنارة على عهد سيدي محمد بن عبد الرحمن، وأعيد غرس زيتونه ومجموع أشجاره خلال سنتي 1869 و1870 (Deverdun, 531).

- وتعتبر عرصة النهر من مكملات حدائق قصر البديع وملحقاته بعدما أشرف المنصور السعدي على تشييده وزخرفته.

ـ أما عرصة الرشيدية فتقع داخل باب أيلان وفي الحومة التي تحمل اسم هذا الباب، كان المولى الرشيد يخرج إليها أثناء إقامته بمراكش.

ـ إن إصلاحات المولى محمد بن عبد الله بمراكش كثيرة منها قصر القصبة وتجديده لكثير من الأضرحة والمساجد، وقد أحدث جنان العافية وغرس أشجار وأغلبها من أشجار الزيتون، وكانت تسقيه عين جراوة عبر الساقية المعروفة بهذا الاسم، وكذا ساقية الباشا، وساقية تاسلطانت الشهيرة.

ـ ومن العراصي التي شيدت بها قصور سلطانية كذلك الجنان الكبير الذي يقع خارج باب الخميس على الضفة اليسرى من وادي إيسيل يمين طريق الويدان.

وبمراكش عراص مشهورة كانت في ملكية بعض الأمراء وهي :

ـ عرصة المامونية غرسها مولاي المامون بن سيدي محمد بن عبد الله وإليه تنسب وبنى بها قصراً كان ينزل به عندما يحل بمراكش إذ كان خليفة لأبيه بفاس.

توفي مولاي المامون سنة 1200 / 1786.

وتقع عرصة المامونية داخل السور وبمحاذاته على طول المسافة بين الباب الجديد وباب الرب، وبها شيد فندق المامونية ومستشفى المامونية (ابن زهر حاليا) وتحيط بها غابة من أشجار الزيتون والنخيل والليمون.

ـ عرصة مولاي الحسن بن محمد بن عبد الله العلوي تقع شمال باب المخزن، وحولت إلى ما سمي بـ Parc Lyanbey، تقع أمام قصر البلدية بين باب النقب وباب المخزن، وكانت تسقى من عين العرفاوي.

وكان يسكن بهذه العرصة الواقعة داخل باب الرب بين السور وحي سيدي ميمون وأمام باب أگناو، وقد صارت فيما بعد ملكا لشاعر المولى عبد الرحمن ووزيره محمد بن إدريس العمراوي (1209 / 1794 ـ 1264 / 1847) فحملت اسمه وقد نزل بها بعض الضيوف الأجانب من أشهرهم :

Sir Moses Montefiore president du London committee of british jews

عندما جاء ليتدارس مع محمد بن عبد الرحمن قضايا اليهود بالمغرب سنة 1281 / 1864 وانتهى اللقاء بصدور ظهير ملكي بتوقيرهم مؤرخ في 5 ـ 2 ـ 1864 (Deverdun, 571).

ـ عرصة مولاي موسى بن محمد بن عبد الله العلوي، تقع بين روض الزيتون وعرصة المعاش، حل بها الولي الصالح ابن داوود بن العربي الشرقي سنة 1295 / 1878. وقد بني الجزء الجنوبي من العرصة خلال القرن التاسع عشر وهو الحي المسمى بدرب العهد الجديد أو درب العفو وبني بها كذلك قصر موخا التازي أمين الأمناء في العهد الحسني والعزيزي، وقصر القايد إبراهيم الگلاوي.

وتنتسب بعض العراصي لشخصيات ذات نفوذ وسلطة في البلاد، مثل باحماد (أحمد بن موسى) حاجب مولاي الحسن ووزير المولى عبد العزيز، كانت له عرصة تسمى أگدال باحماد وبها قصر الباهية حفر فيها صهريجا على غرار أگدال الكبير.

ـ وجنان بنشقرا الذي كان ملكا لابن شقراء أحد قواد السعديين وخليفة مراكش على عهد محمد بن عبد الله السعدي يقع بين روض الزيتون الجديد والباهية (*الاستقصا*، 5 : 57).

ولم يكن الملوك والأمراء والوزراء هم وحدهم الذين يملكون العراصي الفيحاء بمراكش، بل كان لعدد من الصوفية والفقهاء عراصيهم لا تقل أهمية عن سابقتها، مثل :

ـ جنان أولاد سيدي عبد العزيز التباع أحد رجالات مراكش السبعة المتوفى سنة 914 / 1508 يقع خارج باب الخميس.

ـ وجنان توايز سيدي بوعمرو القسطلي المراكشي دفين روض العروس، كانت له أملاك كثيرة بمراكش واغواطيم واكفى، وهذا الجنان يقع خارج باب الخميس، بجانب جنان بلحداد (انظر عن أملاكه كتاب *أضواء على الزاوية البوعمرية بمراكش*).

ـ وعرصة الفقيه العالم السباعي قرب جبل گيليز.

وقد كانت كثير من العراصي محبسة على بعض الزوايا والأولياء ترصد مداخيلها للعمل الخيري والإنساني.

فجزء كبير من الداوديات وجزء من جنان العافية كان محبسا على أبي العباس السبتي صاحب مذهب مشهور في الصدقة (*حوالة أحباس الزاوية العباسية*) وأخرى محبسة على محمد بن سليمان الجزولي : القبة والضريح وقراء دلائل الخيرات (*حوالة أوقاف الجزولي*).

وهناك محبسات أخرى من العراصي على باقي مساجد المدينة كبيرة وصغيرة، وكذا دور العلم والمدارس، وكراسي العلماء ومناصب القضاء والفتيا، وحتى الحيوانات (*حوالة أحباس مراكش*). وتناول بول باسكون موضوع الأراضي المحبسة بمراكش وناحيتها وعدد مواقعها ومساحاتها في كتاب *حوز مراكش* (*Le Haouz de Marrekech*, 390 - 391).

الملاحظ أن أغلبية أسماء العراصي لها صيغة أمازيغية، وتفسير ذلك أن أرض مراكش كانت أصلا ملكا لمصمودة فاحتفظوا عبر التاريخ بملكية الأرض، أو بقيت العراصي تحمل الاسم القديم مع ما يطرأ عليها من تغيير من حيث الملكية.

فمن الصيغ الأمازيغية على سبيل المثال : أگدال، ازدو، أدرازن، اتكريانت، أككمار، أدراق، ازدوا، أسليم، اگوش، تاصاغت، تارگينت، تالعينت ...

أما العنصر الأجنبي الذي ملك الأرض في فترة الاستعمار فقد تسمت بعض العراصي باسمه مثل عرصة إيگرى، سينكو، قاسيمو ...

وفرضت العرصة حيزاً كبيراً في تراثنا الشعبي، إذ كانت من أسباب ظهور بعض الفنون الشعبية كفن الكف، وازدهار أخرى كالدقة والملحون والنكت والحكايات الشعبية التي

كانت متداولة في العراصي، فهنالك رجز شعبي حول جنان الصالحة رواه صاحب (*الاستقصا*، 2 : 258) وآخر عن عرصة احريلي :

النزاها وقت النوار فاحريلي واحريلي

سيدي ربي نرجاك بالعالي يزيان حوزنا ترخاص كل امسالي

وقيلت قصائد شعرية في عراصي أخرى كعرصة السهب والمامونية والمسرة.

ونظراً لكبر عراصي بيدة، وتفرطا وبلحداد ... صدرت أمثال شعبية متداولة في شأنها منها :

(واش كيسلك بيدا) و (واش عندو تفرطا أو بلحداد).

ولكثرة مياه بلحداد البالغة مساحته حوالي عشرين هكتارا خارج باب الخميس، وتعدد بركه وصهاريجه نسبت إليه قصة التقاء الشاعر الشعبي الجيلالي امتيرد، ومشاركته لهم بالغناء ليلا، فسلموا له تعريجة، وكان ذلك سبب موهبته وبروزه في ميدان الملحون ونظم القصائد، (*القصيدة*، ص. 612).

يمكن اعتبار العراصي بالمدن المغربية عموما، وعراصي مدينة مراكش خصوصاً من التراث الحضاري الذي يجب المحافظة عليه نظراً لما شهدته من أحداث، وما تحتفظ به الذاكرة الشعبية عنها من مرددات ثقافية متنوعة.

وقد نهضت بدور ريادي في مجال المحافظة على البيئة الطبيعية، موفرة فضاء شائقا يستفيد منه سكان المدينة في النزهة والاستجمام وممارسة الرياضة وفي الدراسة والمطالعة، وإقامة الندوات والمطارحات الأدبية، وتعاطي هواية الغناء والعزف وخاصة في مجال التراث الشعبي الملحون.

إلا أن زحف التمدن، وقطع الأشجار لبناء العمارات والمجمعات السكنية، كان له الأثر على عرصات المدينة إذ أصبح مجرد ذكريات جميلة في أذهان الناس، في حين مازال الكثير منها صامدا، نتمنى أن تلتفت الجهات المختصة بالمدينة إليها لإنقاذها وتجهيزها تجهيزاً يمكنها من الاستمرار في أداء هذه الرسالة الاجتماعية والثقافية النبيلة، في وقت كثر فيه الحديث عن مكافحة كل أنواع التلوث والحفاظ على البيئة الطبيعية التي هي ضمان لاستمرارنا ووجودنا وعيشنا عيشة آمنة كريمة على وجه الأرض.

ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الرباط، 1347 / 1929 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدا البيضاء، 1954 ؛ ع. إبراهيم، *الاعلام* ؛ الكنسوسي، *الجيش العرمرم* ؛ *حوالة أحباس الزاوية العباسية*، ميكروفيلم الخزانة العامة بالرباط، رقم 118 ـ 120 ؛ *حوالة أوقاف الجزولي* ؛ ع. الجراري، *الزجل في المغرب*، ط. الرباط، 1970 ؛ ابن منظور، *لسان الدين* ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث* ؛ ح. جلاب، *معجم عراصي مدينة مراكش* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*.

P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Rabat, 1977 ; G. Deverdun, *Marrakech dès origines à 1912*, Rabat, 1956.

حسن جلاب

العرائش (مدينة ومحيط) يتبنى سكان العرائش الفكرة القائلة باشتقاق اسم مدينتهم من "العريشة" أي البيت من النبات وحطام الأشجار. ذلك أن أسلافهم أقاموا عرائش على ضفاف اللوكوس كانوا يضعون بها أدواتهم وقت تنقلهم عبر منعطفات الواد والمرجات المحاذية له، يلجأون إليها أثناء فترات الراحة ؛ تقيهم حرارة الشمس كما توفر لهم الأمن والمساعدة. وهي تسمية يرى المؤرخون أنها مستمدة من عرائش العنب التي كانت تزين نقود "لكش".

تقع مدينة العرائش ببلاد الهبط على الجانب الأيسر لمصب واد اللوكوس في أقصى شمال أولاد عكبان، عند الإحداثيات الجغرافية '08 °06 طولا و'12 °35 عرضاً. تخترقها طريق الدار البيضاء ـ طنجة ويتفاداها الطريق السيار ؛ تطل على المحيط الأطلنتي بواسطة حافة صخرية يبلغ مداها أزيد من 10 أمتار. تبعد العرائش عن ليكسوس الأثرية (تشمس أو توشمس) بحوالي أربع كيلومترات، يفصلهما واد اللوكوس المعروف بكثرة المنعطفات عند السافلة حيث يتسع السهل ليشكل مجالا مفضلا تستريح به الطيور المهاجرة بين أوربا وإفريقيا.

يرتكز اقتصاد المدينة أساسا على الفلاحة والصيد البحري والصناعات الغذائية المرتبطة بهما. وكغيرها من التجمعات السكانية، تسجل المدينة نمواً ديمغرافيا سريعا بسبب الزيادة الطبيعية والهجرة الداخلية. وقد أدت هذه الزيادة السريعة إلى تغيير المعالم العمرانية للمدينة على حساب فن العمارة الإسباني الذي ساد خلال معظم القرن العشرين.

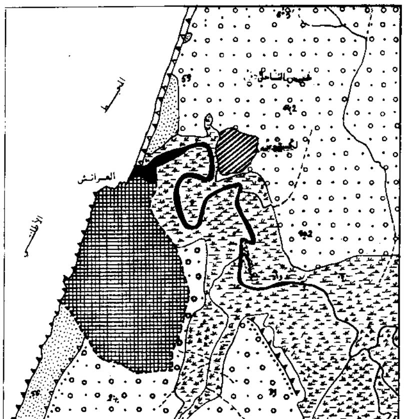

مدينة العرائش عند مصب واد لوكوس

مجال خلفي يغلب عليه الانبساط

موقع متميز وإطار طبيعي وتاريخي ملائم :

يتميز محيط المدينة بخصوصيات طبيعية جيدة ومناسبة للتنمية الاقتصادية. فطابع التدرج من الجبل نحو البحر يتم على عدة مستويات يغلب على طبغرافية المنطقة بدءاً من قمم الريف الغربي ونزولا نحو هضبة أولاد عكبان وسهل القصر الكبير جنوبا، أو بمحاذاة المحيط الأطلنتي غربا.

المستوى الأول أو الظهر الكلسي

يتألف الظهر الكلسي من مجموعة من الجبال عادة ما تفصل السفوح المطلة على المتوسط عن سفوح الواجهة الأطلنتية. يمتاز هذا الحزام الكاربوناتي بارتفاعات تقارب 2000م وباستقرار كثيف للمداشر على جوانبه. واعتباراً لشروط مناخية رطبة تتجذر شبكة التصريف المائي هنا لتضمن تغذية مستمرة للسافلة إن بالمياه السطحية أو الجوفية.

المستوى الثاني أو النطاق النوميدي

يغلب على كل المجالات التي تلي الظهر الكلسي إلى الغرب والجنوب، يمتد ضمنها حوض اللوكوس الأعلى بعرض لا يقل عن 40 كم. وتتميز عن باقي المجالات الريفية بفرشات الصلصال (وحدة طنجة - الهبط) وبسمك المواد الحثية - السليسية (مئات الأمتار)، يرجعها البعض إلى مخلفات فرشة كبيرة كانت تغلف السواحل المغاربية والأندلسية، لم يتبق منها حاليا إلا أحجام منعزلة طولية، تشرف بانحدارات قوية على فرشة طنجة وأحيانا ترتبط بها بواسطة تغليفات وتراكمات سفحية من الرباعي القديم كما تستقر فوقها غابة البلوط الفليني (جبل حبيب، جبل علم 1338م).

المستوى الثالث أو مقدمة الريف

هي منطقة أنسب من سابقاتها للأنشطة الزراعية، وهي الأحدث نشأة وتأثرا بتنقل وتراكب إرسابات الزمن الثالث. لذلك يعمل الجيلوجيون على التمييز بكثير من التعميم بين أراض نقلية ومواد دخيلة على المنطقة ثم قاعدة صلصالية محلية (ميوسين).

المستوى الرابع أو الهضاب الساحلية

تمتد الهضاب عن جانبي المجرى السفلي لمحور اللوكوس، تتناقص ارتفاعاتها من 200م في أقصى الشمال لتصل أقل من 100م جنوبا. تمتاز بغطاءات حصوية ورملية سميكة تدل على قدر هائل من المواد المقتلعة من قمم الريف الغربي، توضعت عند قدم الجبال، تغلفها غابة السنديان الفليني. فخميس الساحل بالشمال هضبة متقطعة بفعل الجريان، أكثر انحسارا نتيجة تقدم جبهة الزحف الريفي شمال مجرى اللوكوس كما أنها أكثر علوا من نظيرتها هضبة الرمل بالجنوب.

المستوى الخامس أو الشريط الساحلي

على شكل زاوية مغلقة في الشمال، ينحصر هذا المستوى بين مقدمة الريف خط الساحل يتراوح بين ساحل رملي ضيق شمال المصب، وأجراف حثية نشيطة تطل مباشرة على المحيط من علو قد يصل عشرات الأمتار.

تصنف مدينة العرائش وضاحيتها ضمن النطاق المناخي الرطب بسبب وفرة تساقطاتها (656,5مم / سنة)، وبسبب وفرة مواردها المائية، خصوصا عند حافة الهضبة سواء منها المطلة على البحر (عيون شاطئ أشقار وسيدي عبد الرحيم) أو على نهر اللوكوس (عين خماسة). وتكثر بالمنطقة كذلك المرجات الدائمة والضايات الموسمية : الغديرة، البكارة، سافلة واد اللوكوس حيث يقدر متوسط الموارد المائية السطحية القابلة للتعبئة بحوض اللوكوس - جنوب العرائش بـ 1237 مليون م^3.

يظهر أن المعطيات ملائمة للأنشطة الفلاحية : وفرة التساقطات، اعتدال حراري (17 كمتوسط سنوي) وأتربة خصبة.

تم بناء سد وادي المخازن (772,7 مليون م3) سنة 1979، وهو تاريخ انطلاق عملية السقي الكبير بالمنطقة. إضافة إلى الري تستعمل مياهه في أغراض الشرب وإنتاج الطاقة والصناعة والحماية من الفيضان. كما تم تشييد سد آخر على نفس المجرى (سد المنع لفصل المياه العذبة عن المالحة) سنة 1981، عند سافلة السد الأول، سعته 4 مليون م3، تستعمل مياهه للري فقط.

ساعدت هذه الخصوصيات الطبيعية على نمو غابة مهمة ومتنوعة نسبيا بمحيط المدينة تقدر مساحتها بحوالي 70000 هكتار، كما تتشكل من عدة أصناف شجرية : بلوط أخضر، بلوط فليني، صنوبر حلب، صنوبريات أخرى، سرو، أيك ... تتميز هذه الغابة كذلك بإمكانيات رعوية وقنصية هائلة، وخصوصا فيما يتعلق بالأيل، الرت، القواع، الأرنب الوحشي، الحجل ...

ليكسوس واحدة من أقدم مدن المغرب

ورد ذكر مدينة ليكسوس في جل النصوص الإغريقية واللاتينية المتعلقة بالمغرب القديم. غير أن هذه النصوص لا تفيد إلا بمعلومات هزيلة يطبعها التكرار والغموض. وترتبط أساسا باسم المدينة وبموقعها الجغرافي أو بنهر لكسوس.

وأهم شهادة أدبية حول ليكسوس هي التي وردت عند بلينيوس الأكبر (سنة 79م) الذي يشير إلى جزيرة قريبة من مصب نهر ليكسوس كان بها مذبح أو معبد هرقل (وهو ملقارت الفينيقي)، ويبدو أن هذا المعبد قد أسس في القرن

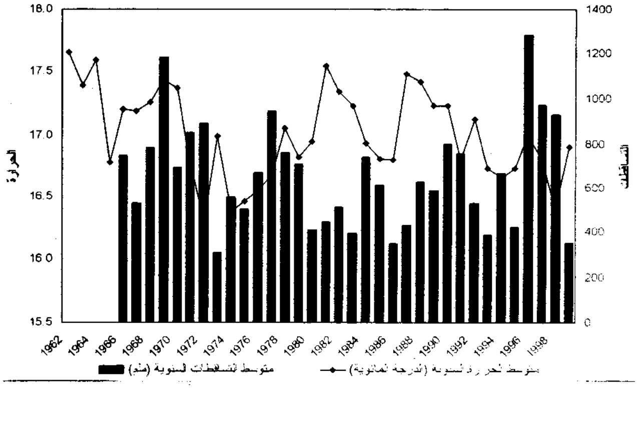

الثاني عشر قبل الميلاد، أي قبل بناء معبد قادس بإسبانيا. كما يورد بلينيوس كذلك، ولو بلهجة تشكيكية، أقوال المؤلفين القدامى الذين وطنوا بليكسوس قصر أنتيوس ومعركته ضد هرقل، وكذلك حديقة الهسبريسات ذات التفاح الذهبي، التي كان يحرسها تنين رهيب. وليس هذا التنين في نظر بلينيوس إلا تمثيلا رمزيا لنهر اللوكوس الذي يرسم انعراجات كثيرة وملتوية قبل التحامه بالبحر.

وتمكن المعطيات الأثرية اليوم من تقديم الخطوط العريضة لتاريخ الاستيطان على امتداد أزيد من 2000 سنة. وقد تم ذلك على خمس مراحل كبرى من البداية إلى الهجر النهائي للموقع.

1 ـ المرحلة الفينيقية : تعود أقدم البقايا الفينيقية بالموقع إلى القرن الثامن قبل الميلاد، كما هو الشأن بالنسبة للمستوطنات الفينيقية على الضفة الشمالية لمضيق جبل طارق. وتدفع وفرة البقايا الخزفية التي تم العثورعليها بالموقع إلى الاعتقاد بأن الفينيقيين سكنوا جزءاً مهما من الهضبة ومن منحدراتها الشرقية، وكذلك إلى العلاقات الوطيدة التي كانت تربط ليكسوس بالمستوطنات الموجودة بإسبانيا حيث صدر ميناء المدينة مواد كجلود الحيوان والخشب، والعاج، وريش وبيض النعام ...

2 ـ المرحلة البونية : رغم قلة المعلومات عن هذه المرحلة، يبدو أن المدينة ساهمت وقتئذ في التجارة المتوسطية بتصدير جزء من فائض منتجاتها السمكية، الشيء الذي يستدل عليه من وفرة بقايا الأنفورات التي صنعت خلال هذه الفترة والتي كانت مخصصة لحمل المنتجات البحرية في إطار شبكات بحرية متوسطية.

3 ـ المرحلة المورية : تميزت الفترة سياسيا بتشكيل المملكة المورية، وعرفت نشاطا معماريا مهما ومتواصلا تشهد عليه مجموعة من البنايات وخزان الماء...

4 ـ الرومنة : بدأ هذا العهد منذ القرن الأول قبل الميلاد مع استعمال اللاتينية على النقود المضروبة بالمدينة. وفي 42 ـ 43، رقيت ليكسوس إلى مرتبة مستوطنة رومانية تحت ظل حكم الإمبراطور كلاوديوس، وبذلك دخلت المدينة عهداً جديداً. خلال هذه الفترة، ارتكز اقتصاد ليكوس على استغلال الثروات السمكية، وهو ما تشهد عليه آثار المركب الصناعي المهم الذي كان مخصصا لتمليح الأسماك وصناعة الكاروم (نقيع السمك). وتعد هذه المعلمة أكبر وأهم معمل في البحر الأبيض المتوسط. وقد كان المنتوج اللكسي يصدر في أنفورات تحمل اسم ليكسوس إلى جهات عدة، ضمنها روما.

صاحب هذا الازدهار تطور عمراني تجلى في تعدد المباني والمسارح والمدرجات والحمامات العمومية والمرافق الإدارية ؛ زينت جميعها بزخارف مصبوغة وفسيفساء تمثل الإله أقيانوس، مارس وهيليوس، الحسناوات الثلاث، موكب باكوس، ... (وكلها لوحات محفوظة بمتحف تطوان الأثري).

ولعل مساحة لكسوس (60 هكتارا) كفيلة بأن تجعل منها أكبر مدينة في موريطانيا الطنجية. غير أن هذا الازدهار لم يدم طويلا، إذ توقف في النصف الثاني من القرن الثالث بسبب تخريب وحريق لحقا بالمدينة فانكمشت في القرن الرابع، واستمرت الحياة بها حتى إفراغها النهائي خلال القرن السادس الميلادي.

5 ـ الفترة الإسلامية : عادت الحياة للموقع، بعد "فترة غامضة"، وذلك خلال الفترة الوسيطية حيث قامت مدينة إسلامية فوق أنقاض وخرائب ليكسوس. وحملت هذه المرة اسم "توشمش" المذكور في النصوص العربية الإسلامية ابتداء من القرن الحادي عشر.

موضع مدينة العرائش، زاوية يحاصرها المحيط والنهر

يتألف إقليم العرائش من قبائل العوامرا، ريصانا، بني عروس وبني جرفط. ومما أورده ابن خلدون (ق 14) أن المنطقة كانت تسكنها قبائل غمارة ومنهم بنو حسان. وقد شكل استقرار عرب الخلط (بنو هلال) منذ القرن 16 بعدما جاؤوا للمغرب في القرن 13، محطة أساسية في تاريخ المنطقة. فطوال القرنين 16 و17 تعرضت العرائش لغزو متواصل من البرتغال والإسبان والإنجليز. ولصد الغزاة أنشئت جيوش الجهاد من عرب الخلط وسكان الريف فحصل مزج عرقي بين العرائش وظهيرها يختزل الاندماج الحاصل بمجموع السهول الأطلنتية. وكباقي المناطق الشمالية خضعت العرائش للاستعمار الإسباني ما بين 1912 و1956.

يمكن اعتبار موضع مدينة العرائش زاوية مغلقة محصورة بين مخطط الأجراف البحرية غربا ونطاق المرجات والمستنقعات من جهة الشرق. فبعدما كانت مقتصرة على المحيط المباشر لمينائها، امتد مجالها لعدة كلمترات على حساب هضبة الرمل جنوبا وذلك بواسطة تجزئات وأحياء سكنية أخطبوطية ترامى بعضها فوق المجالات الغابوية أو أراضي الحبوس أو الأراضي الجماعية. فضفاف اللوكوس غير مؤهلة لاستقبال المباني كما أن الأجزاء المحاذية لحافة البحر تتعرض لانزلاقات عنيفة جراء وضع استرتيغرافي مائل ودينامية هيدروجيلوجية خاصة تتمثل في دكات حثية تعلو قاعدة صلصالية تستقبل فرشة مائية غنية. وقد تسبب هذا الوضع في متاعب تعرضت لها المدينة منذ القدم حيث ظلت كل الأبراج والمنشآت عرضة للهدم والبتر جراء الحركات السفحية.

يتكون إقليم العرائش من دائرتين (العرائش والقصر الكبير)، ومن جماعتين حضريتين و17 جماعة قروية (تقطيع 1992). يعمر المدينة نسبة مهمة من الوافدين من الريف الأوسط وغمارة وفحص طنجة، وسهل الغرب... كما تتجاوز نسبة التعمير 56٪. بينما يتوزع سكان الإقليم (471000 ن) إلى 231000 ن بالوسط الحضري و240000 ن بالوسط القروي (تقديرات 1999)، أي بكثافة تتجاوز خمس مرات المتوسط الوطني (174 ن / كم2، مقابل 37 ن / كم2). نسبة النمو الحضري بـ 3.2٪ / السنة / أعمار حوالي 40٪ من

ساكنة العرائش تقل عن 15 سنة، وهي نسبة مرتفعة مقارنة بالمستوى الوطني (35٪). وتمثل نسبة النشيطين (بين 15 و59 سنة) 53.5٪. وهي نسبة دون المتوسط الوطني (58٪).

أنشطة اقتصادية تعتمد الفلاحة والصيد

مدينة العرائش تستحوذ على معظم المصالح الإدارية والاجتماعية وبعض المصالح الخارجية كالقنصلية الإسبانية والفروع الممثلة للشركات الأجنبية ؛ فيما تنفرد القصر الكبير بالمكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي. يشغل القطاع الأول حوالي 44٪ من السكان النشيطين المشتغلين. ويشغل القطاعان الثاني والثالث نسبا تقدر على التوالي بـ 22 و33٪.

فلاحة أراضي البور ومنتوج سقوي كثيف

تتقاسم مجال المنطقة الأراضي الغابوية والمجالات المخصصة للرعي ثم الزراعة البورية والمسقية. فإلى جانب الفلاحة ذات الطابع التقليدي تتكون الزراعات البورية من الحبوب الشتوية (10 ق / هك) والقطاني والزيتيات. كما تتميز بادية العرائش بقطاع سقوي تغطي مساحته 40000 هكتارا. بينما تتكون الزراعات المسقية من الحبوب (= 15 ق / هك) والزراعات البقلية والعلفية، والقطاني والزراعات الصناعية (شمندر وقصب السكر) والزيتية (عباد الشمس، فول سوداني وصوجا). يمثل إنتاج الشمندر بالمنطقة 10٪ من المنتوج الوطني وبمردودية متوسطها 357 در / قنطار، ويمثل قصب السكر 25٪ بمردودية متوسطها 632 در / قنطار.

مع التسعينيات، بدأت تتكاثر زراعة التسويق والمضاربة : كرز، بطيخ، مغارس المشمش والأفوكا والكيوي كما انتشرت البستنة على مساحة تقدر بحوالي 7800 هك. وهو يوحي بالحاجة الملحة إلى خطة تنموية دقيقة وواضحة تستوعب تحولات فلاحة التسويق والمضاربة بالأساس وتأخذ بالاعتبار أصناف النبات، وحدات التصنيع، وحدات التبريد والتثليج... وهي عناصر وثيقة الصلة بتنوع المنتوج وتعدد آفاق التسويق محليا ووطنيا ونحو البلاد الأوربية.

تربية الماشية :

تمكن مؤهلات الإقليم الطبيعية ووفرة المراعي من تربية الأغنام والماعز. وقد عرفت تربية الأبقار في النطاق السقوي نمواً مهماً (91 رأسا / 100 نسمة)، وذلك نتيجة للإنتاج الهائل للعلف ولحصيدة هذه المنطقة المسقية والمستعملة بشكل ملائم.

جدول 1 : عدد رؤوس الماشية سنة 1999 (1000)

الأبقار	الغنم	الماعز
84,6	179,3	109,3

وكذلك لاستيراد سلالات خالصة بغرض الرفع من إنتاج الحليب. إلا أن النشاط الفلاحي بمنطقة العرائش يواجه عدداً من المعيقات يمكن إجمالها في استمرار التعامل السلبي مع المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي من جهة وفيما يرتبط بفاتورة مياه الري ومحدودية دور التعاونيات والعزوف عن التعامل مع القرض الفلاحي ومخلفات هجرة الشباب إلى الخارج من جهة أخرى.

جدول 2 : عدد رؤوس الأبقار حسب النوع سنة 1994 (1000)

محلي	محسن	المجموع
46,9	37,7	84.6

مصايد العرائش، الأهم بشمال المغرب

يعتبر نشاط الصيد البحري الساحلي حيويا واستراتيجيا لساكنة المدينة. يساهم بشكل فعال في التشغيل كما يساهم بنسب مداخيل أكبر، مقارنة بمجموع المصيدات على المستوى الوطني كما يتضح من تطور منتوجات الصيد البحري الساحلي خلال السنوات الأخيرة :

جدول 3 : تطور منتوج الصيد البحري الساحلي (بالطن)

سنوات	1995	1996	1997	1998	1999
منتوج	41168	23036	25648	26419	30537

وبنفس الوتيرة تطور الصيد البحري الساحلي فأصبح المنتوج السمكي يستعمل في مجالات اقتصادية متعددة مثل الاستهلاك المباشر، التصبير، التثليج، مشتقات السمك، التمليح، التطعيم... تستهلك منه العرائش كمية 8613 طن في السنة، ويصدر الباقي إلى مناطق أخرى أو إلى الخارج (سمك أبيض وقشريات).

جدول 4 : تطور الصيد حسب الأصناف (بالطن) وحسب القيمة (1000 درهم) سنة 199

	الصنف	ميرلان	روبيو	باجو	آخر	المجموع	قشريات	رخويات
سمك أبيض	كم بالطن	100	14	**	557	671	207	63
	قيمة/در	1971	114	4	4075	6164	2181	703

	الصنف	أنشوية	إسقمري	شرن	سردين	تن	أخرى	المجموع
سمك سطحي	كم بالطن	6155	169	150	284	**	914	7672
	قيمة/در	15403	599	465	1024	**	3998	21489

تعبر الأرقام الواردة (جدول 4) عن سجلات رواج سوق الجملة بميناء المدينة علما أن كمية أخرى من السمك تروج بموازاة السوق الرسمي. ويختلف حجم هذا الرواج السري حسب الصرامة في تطبيق القانون لدى المسؤولين عن تسيير

الميناء ؛ والواقع أن استغلال هذه الموارد يتأثر أيضاً لتقادم وضعف التجهيزات والبنيات التحتية.

العرائش جزء من القطب الصناعي طنجة ـ تطوان

يساهم القطاع الصناعي في التشغيل وفي الاستثمار والتصدير، فيما تمثل الوحدات الصناعية بالعرائش 7.6٪ مقارنة مع مجموع وحدات جهة طنجة ـ تطوان. وتتميز البنية الصناعية خصوصا بمؤسسات صناعية ـ غذائية، ونسبيا نسيجية أنشئت من أجل الرفع من مردودية المنتجات الفلاحية والموارد البحرية. ومن أهم مؤسسات العرائش الصناعية وحدات تكرير السكر، وتصبير الطماطم، وتعبئة الغاز، ووحدات تصبير ومعالجة السمك وبعض معامل النسيج ومعمل الآجر.

جدول 5 : أهم المؤشرات الصناعية بعمالة العرائش سنة 1998
(مليون درهم)

عدد المؤسسات	مستخدمون دائمون	قيمة المبيعات	إنتاج	صادرات	نفقات	استثمارات
44	2391	737	767	273	140	29

الصناعة التقليدية :

تعتبر الصناعة التقليدية في الإقليم إحدى القطاعات الرئيسية للنشاط الاقتصادي علاوة على كونها تشكل تراثا ثقافيا وفنيا تمت المحافظة على أصالته وقيمته جيلا بعد جيل. وقد أكسبته السياحة طابعاً استهلاكيا يعتمد الرواج أساسا على مواد أولية محلية أو مستوردة مثل الجبس والطين والفضة والنحاس والصوف والجلد والخشب والحرير والنباتات المائية مثل البردي.

السياحة :

يواجه الوضع السياحي بالمدينة مفارقات كبيرة تنعكس سلبا على أدائه حيث يظل ضعيفا على الرغم من الاستعداد وعلى الرغم من تعدد المؤهلات :

موقع ليكسوس الأثري، يشكل قطبا كبيراً يؤمه السياح كما يفسر جاذبية الموقع أهميته التاريخية الكبيرة ضمن حوض الأبيض المتوسط الغربي.

رغم أن مرور الطريق السيار قلل من عدد زوار المدينة، فمليونا مسافر يمرون سنويا عبر الطريق الرئيسية التي تخترق مدينة العرائش ؛ وهو معطى يبقي محدوداً في غياب خط للسكك الحديدية،

ـ مؤهلات طبيعية عالية مرتبطة بمناخ متوسطي، حار وجاف صيفا، رطب ومعتدل شتاءً. كما أن المدينة تطل على ساحل بحري صخري يمتد على عشرات الكلمترات في اتجاه الجنوب، وآخر رملي يمتد شمالا حتى مدينة أصيلة تقريبا.

ـ نظراً للطابع الفلاحي المميز لاقتصاد المنطقة، تعتبر مداخيل السكان محدودة وضئيلة وهو ما يفسر تكلفة معيشية في متناول الزوار متوسطي الدخل، ويشجع على السياحة الداخلية.

جدول 6 : الوحدات التجارية والخدماتية بالعرائش

مقاهي	مطاعم	متاجر	تجارة جملة	محطة بنزين
91	40	22	15	8

أدى هذا الوضع إلى ضعف ومحدودية مساهمة القطاع السياحي في النشاط الاقتصادي للمدينة، ويستدل على هذا من خلال الجدول التالي :

جدول 7 : توزيع الفنادق المصنفة بالإقليم (31 ـ 12 ـ 1999)*

فنادق	نجمة واحدة	نجمتان	3 نجوم	4 نجوم	5 نجوم	قرى العطل السياحية	إقامة سياحة مراكز الاستحمام	مجموع
عدد الفنادق	2	1	**	**	**	**	**	3
عدد الأسر	122	54	**	**	**	**	**	176

* لم يدرج الجدول الفنادق غير المصنفة والمخيمات والمنازل الخاصة القابلة للاستئجار

إكراهات التنمية : رغم المؤهلات المتوفرة، تعاني العرائش من عدة إشكالات :

ـ محدودية الاستثمار عامة، وفي المجال السياحي خاصة ؛

ـ غياب الاستثمار للموقع السياحي ليكسوس، ونفس الشيء بالنسبة للسواحل ولمصب النهر ؛

ـ الطابع الموسمي للنشاط السياحي الذي يمتد بالخصوص إبان الفترة الصيفية ؛

ـ التركيز على الاستحمام كمنتوج سياحي أحادي وإهمال باقي المؤهلات الثقافية والإيكولوجية للمنطقة ؛

ـ تدني جودة الخدمات ؛

ـ غياب المراقبة الصارمة والفعالة للجودة ولأسعار المنتوجات المباعة بالبزارات والمؤسسات ؛

ـ نقص وسوء تنظيم التأطير بالنسبة للمرشدين السياحيين.

خاتمة :

يتوفر إقليم العرائش على مؤهلات اقتصادية كفيلة بتحقيق إقلاع اقتصادي واجتماعي منشودين. وتتضح هذه المؤهلات في فلاحة حديثة ذات إمكانات هائلة بواسطة السقي وتربية المواشي المنتقاة. أما القطاع الصناعي فبمقدوره إبراز قيمة وتنوع المنتوجات الفلاحية، وخلق مناصب الشغل وتوسيع السوق وطنيا ودوليا.

غير أن المدينة تعاني من بعض الإكراهات كتكاثر السكن غير اللائق والضعيف التجهيز، وتراجع الأراضي الفلاحية بسبب السيرورة المستمرة للبناء. كما تعاني من

ضعف الاستثمارات في الصناعة الغذائية ومن محدودية وسائل النقل كغياب السكة الحديدية وتوقف النقل البحري التجاري.

فهل يمكن للقطاع السياحي أن يساهم في دعم الاقتصاد بنسب أكبر إذا تمت الاستفادة أكثر من الثروة الطبيعية عبر البدائل المقترحة، مثل الحدائق الطبيعية، وتشجيع القنص والسياحة الغابوية وتصميم وتجهيز المخيمات بالغابات الثلاث المحيطة بالمدينة...

الواقع أن انعدام بنية سياحية وانعدام بنية ثقافية وفي غياب استراتيجية تنموية بالإقليم ؛ يتوجب تركيز العناية وفق محاور هادفة منها :

- حماية المجال والموارد الطبيعية من الاستنزاف وذلك بوضع استراتيجية تنموية تعمل بالتخصص في الإنتاج وتقنينه بما يضمن الشغل والمردود وتطور مستوى عيش السكان.

- تدبير وتنظيم الموارد البشرية في قطاع الخدمات خاصة على مستوى السياحة البيئية مع إنشاء متحف للبحر قرب مصب نهر اللوكوس وآخر للتنمية البيئية ومنتزه طبيعي في سافلة اللوكوس.

مديرية الإحصاء، 2000، *النشرة الإحصائية السنوية للمغرب*، 2000، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ؛ أكراز، ع. و 1999، *لكسوس ؛ حدائق التفاح الذهبي*، مخطوط برنامج مندمج في المواقع الأثرية ممول من "ميدا" للاتحاد الأوربي، وثيقة داخلية.

A. El Gharbaoui, *La terre et l'homme et le Habt de Larach. H.T.E.*, vol. 5, n° 21 ; *Aspects de la morphologie littorale de la péninsule de Tanger, R..G.M.*, n° 23 / 24, 1973 ; *L'homme et la terre dans le péninsule tingitane*, Rabat, 1981, 2 vol. ; M.A.D.R.R.M., *Stratégie 2020 de développement rural, Conseil Général du Développement Agricole*, Casablanca, 1999 ; A. Slaoui, *Contribution à l'étude de la variabilité des précipitations et des bilans hydriques dans le Nord-ouest du Maroc*, D.E.S.? Univ. des Sciences et Techniques de Lille, France, 1986 ; PISA (Programme Intégré des Sites Archéologiques), Espace culturel LI-LA(Lixus-Larache), projet pilote, Fév. 2002 (inédit).

بوشتى الفلاح وعبد المالك سلوي

تميز تاريخ العرائش كمدينة بحرية بدورها الكبير في مكافحة الاختراق الإيبيري للمغرب، خاصة وأن ميناءها كانت له أهمية خاصة لأنه كان محميا حماية طبيعية، إضافة إلى قربه من مضيق جبل طارق، وبسبب ذلك تعرضت المدينة لمهاجمة الإيبيريين عدة مرات، فقد هاجمتها سفنهم منذ أوائل العصر المريني في حملة خاطفة ودخلوها سنة 668 / 1270، وقتلوا عدداً من سكانها في الوقت التي كان فيه المرينيون منشغلين بفتح مدينة مراكش. وقد أعاد المرينيون بناء المدينة وجعلوا بها رباطا.

وابتداء من احتلال سبتة سنة 1415 بدأ تهديد البرتغاليين للعرائش يزداد، حتى تمكنوا من مهاجمتها سنة 876 / 1471، فهجرها سكانها لمدة لا بأس بها خوفاً من العدوان. وفي عهد الوطاسيين قام مولاي الناصر بن السلطان محمد الشيخ الوطاسي بإصلاح المدينة وإعادة الحياة لها، بل أصبحت المركز البحري المتقدم للوطاسيين إلى الشمال بعد طنجة وأصيلا وأهم ميناء مغربي للتجارة. وهذا ما جعلها تتعرض للهجوم من جديد من البرتغاليين سنة 910 / 1504.

وبعد سقوط الأندلس ازدادت أهمية مدينة العرائش خاصة وأن العديد من الأسر الأندلسية قد استوطنتها، وأصبح لها دور في حركة الجهاد البحري الذي نظمه الأندلسيون، ثم سرعان ما أحس الأتراك العثمانيين بالدور الهام لمرسى العرائش في حركة الجهاد البحري فقصدها أسطولهم سنة 1517 ليتخذها منطلقاً لعملياته في المحيط، الشيء الذي دعا الإسبان إلى مهاجمتها من جديد عدة مرات بعد ذلك كان أعنفها هجوم سنة 953 / 1546 الذي انطلق من قادس، لكنه لقي فشلا ذريعاً. وحاول الإسبانيون والبرتغاليون بعد ذلك أن يعرقلوا حركة الملاحة بمرسى العرائش سنة 1566 بإغلاق فم المرسى عن طريق إغراق سفينة محملة بالحجارة، لكن مدفعية المدينة منعتهم من ذلك.

وبفضل مقاومتها العنيدة للغزاة ظلت العرائش لمدة لا بأس بها الميناء الوحيد في الشمال الذيّ أفلت من السيطرة البرتغالية، فازدادت أهميتها في حركة الجهاد البحري بعد إخلاء البرتغال لأصيلا سنة 957 / 1550. وكان السعديون قد شجعوا الدور الجهادي للعرائش خاصة في عهد السلطان عبد الملك المعتصم الذي دعم النشاط الجهادي للمغاربة والأندلسيين حيث "أمر بإنشاء السفن بالعرائش، وصار أهل الأندلس يسافرون في البحر مع أهل المغرب، وضيقوا بالنصارى أشد تضييق، وكثرت الغنائم" (*تاريخ الدولة السعدية*، 53). الأمر الذي دعا الملك الإسباني فليب الثاني إلى التفاوض بشأن تسليمه العرائش مع السلطان عبد الملك السعدي سنة 1571 مقابل مساعدته ضد أخيه المتوكل في النزاع الذي كان بينهما. وإحساسا من الأتراك بنفس الأهمية والخطورة فإنهم عرضوا على نفس السلطان عرضا مماثلا مقابل المساعدة في نفس النزاع ؛ لكن السلطان السعدي كان واضحاً في رفض تلك المساومات التي تمس سيادة البلاد. وعندما عزم البرتغاليون على مهاجمة المغرب اشترط ملكهم دون سبستيان على محمد المتوكل التنازل له عن العرائش. ولا شك أن دور مجاهدي العرائش كان بالغ الأهمية في الانتصار الساحق الذي حققه المغاربة على الجيش البرتغالي في معركة وادي المخازن سنة 986 / 1578، وكدليل على أهمية المدينة خلال هذه الفترة كلها فإن اسمها تردد كثيراً في الوثائق الرسمية الإسبانية والبرتغالية.

وظلت مكانة العرائش الجهادية قوية أيضاً في عهد المنصور الذهبي الذي اهتم بها فأسس بها حصنين دفاعيين عرف أحدهما بحصن الفتح وهو مطل على البحر. وعين على رأس أسطولها البحري القائد أبا سالم إبراهيم الشاط.

وإحساسا من الإسبان بخطورتها جعلوها على رأس مطالبهم في تفاوضهم مع السلاطين السعديين، حتى رضخ محمد الشيخ المأمون وسلمها لهم سنة 1019 / 1610 مقابل

20.000 دوكة، ومقابل مساعدته ضد أخيه زيدان، الشيء الذي أثار سخط العلماء فأفتوا ضده، وعم الحزن المغرب بأسرة إثر هذه الواقعة، فأصبح المغاربة يلبسون نعالاً سوداً تعبيراً عن الحداد على العرائش، لكن هذا السلطان الخائن لم يفتأ أن اغتيل سنة 1022 / 1613. وعندما دخل الإسبان المدينة بنوا بها برجا دفاعيا يعرف ببرج اللقالق.

ومنذ ذلك التاريخ ظلت مدينة العرائش على رأس اهتمامات المجاهدين المغاربة وعلى رأسهم المجاهد العياشي والمجاهد الخضر غيلان والزاوية الدلائية في الفترة التي أعقبت سقوط دولة السعديين، لكنها مع ذلك استعصت على التحرير وظلت مستعمرة إسبانية لمدة 82 سنة إلى أن حررها القائد أحمد بن حدو بعد حصار دام ثلاثة أشهر في عهد السلطان مولاي إسماعيل سنة 1100 / 1689 في ملحمة جهادية يطول الحديث عنها، وعم الفرح بفتح العرائش سائر أهل المغرب، وتذكر بعض المصادر أن السلطان مولاي إسماعيل أمر بعد فتح العرائش بخلع النعال السود ولبس النعال الصفر تعبيراً على فك الحداد. وقتل من النصارى في الفتح حوالي 1200 وتم أسر 2000 ؛ ووقع نقاش علمي بين فقهاء المغرب عن حكم غنائم تحرير المدينة، فألف قاضي مكناسة أبو مدين السوسي كتاباً سماه السهم الطائش في حكم غنيمة العرائش. وكان فتح العرائش منطلقا لفتح مدينة أصيلا بعد سنتين فقط.

ومنذ تحرير العرائش إلى إعادة احتلال الإسبان لها من جديد يوم 8 يونيو 1911 لم تتوقف تهديدات السفن الأوربية للعرائش، فقد هاجمها أسطول فرنسي من 14 قطعة بقيادة الأميرال الفرنسي دوشوفو وقنبلها سنة 1765، وضربها أسطول النابريال (النمسا) سنة 1829، وقنبلتها السفن الإسبانية خلال حرب تطوان سنة 1860.

ومع ذلك فقد عرفت خلال القرنين (18 و19) استمراراً للنشاط التجاري البحري، كما أن بعض السلاطين العلويين قد أولوها بعض العناية مثل المولى سليمان والحسن الأول.

كانت العرائش من بين المراسي الأولى التي أعيد فتحها في وجه التجارة الأوربية في بداية القرن التاسع عشر وظلت مرسى نشيطاً منفتحاً على المراسي المغربية الأخرى والمراسي الأجنبية، لكن حركتها التجارية ما لبثت أن تراجعت في أوائل القرن العشرين.

ومن الناحية العمرانية كانت العرائش القديمة محاطة بسور تتخلله خمسة أبواب هي باب البحر وباب المرسى وباب القصبة وباب المنجرة وباب بارة.

وعندما احتلها الإسبان سنة 1911 اتخذوها نقطة عسكرية هامة بالنسبة لاستراتيجيتهم العسكرية في التحكم في منطقة الاحتلال الإسباني في شمال المغرب، وأصبحت قاعدة إقليمية في منطقة الهبط، وأسسوا بها حياً بني على طراز هندسي حديث خارج المدينة العتيقة، فاستوطنتها جالية إسبانية مهمة، وتطور عدد سكانها من 5000 نسمة، منهم 2000 من اليهود و150 أوربيا في نهاية القرن الماضي، إلى 10.000 نسمة في بداية عهد الحماية. وقفز العدد في إحصاء سنة 1955 إلى 43.000 نسمة منهم 27.000 مسلمون و13.000 إسبان، و1300 من اليهود. واستمر نشاطها البحري في عهد الحماية بالخصوص في مجال الصيد، فقد كان بها سنة 1953 حوالي 230 قارباً صغيراً ومتوسطاً للصيد.

ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية*، الرباط ؛ مجهول، *تاريخ الدولة السعدية التاكمادارتية*، الرباط، 1934 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ؛ الوفراني، *نزهة الحادي*، تصحيح هوداس، الرباط ؛ عدة أبحاث بمجلة *المليحة*، إصدار مجموعة البحث حول بلاد الهبط، العرائش، ع 1، يوليوز، 1997.

محمد المغراوي

العرائشي، أحمد بن الحاج **عبد القادر** بن علال المكناسي، من أسرة العرائشيين الذين وفدوا مع الولي الصالح سيدي عبد الله بن حَمَد، واستوطنوا بالعرائش من أرض "تلاجدوت" أحد أحواز مكناس القديمة ـ بأمر من الولي المذكور وذلك حوالي أوائل القرن التاسع للهجرة، ثم انتقلوا للسكنى بداخل مكناس في تاريخ غير مضبوط. وهم أهل علم منهم القضاة والنظار والمحتسبون والفقهاء المدرسون.

كان أحمد بن عبد القادر العرايشي معدوداً من كبار علماء مكناس عارفا بالفقه والنحو والفرائض، بارعا في الحساب والتوقيت والتعديل ومعرفة الطوالع وأحكام النجوم والأوفاق.

أخذ عن شيوخ مدينة مكناس في وقته أمثال العلامة الحاج المختار الذي درسه مختصر خليل والألفية، وموقت مكناس الجيلالي الرحالي وميقاتي فاس إدريس الحبابي اللذين أخذ عنهما التعديل والحساب.

تولى إثر عودته من فاس خطة الكتابة مع شيخه العلامة الحاج المختار، ثم الأمراس السلطانية المخصصة لخزن الحبوب والزيوت التي تجبى من أعشا الإيالة، ثم الكتابة مع محتسب مكناس الحاج محمد أجانا. ثم انسلخ عن ذلك كله وأقبل على تدريس الحساب والتوقيت والتعديل، كما درس القلصاوي ومنية ابن غازي وروضة الأزهار، والرسالة الستينية في الضرب والقسمة وغير ذلك فانتفع من تدريسه خلق كثير، وممن أخذوا عنه الفقيه المعدل عبد القادر بن المعطي والوجيه الميقاتي الطالب العلمي بن رحال والعدل الفقيه الحسن المنوني وغيرهم.

توفي في ذي الحجة عام 1318 ودفن بالزاوية الناصرية بمدينة مكناس.

ابن زيدان، *الإتحاف*، 1، ص. 455 ؛ *والإتحاف*، 5، ص. 355 ؛ محمد المنوني، *محمد بن الحسين العرايشي*، مجلة *دعوة الحق*، ع 9 و10، 1968، ص. 108 ـ 109.

العرائشي، عبد الوهاب قاضي الحضرة الاسماعيلية

وخطيب منبر جامعها الأعظم، عبد الوهاب بن الحاج محمد الشهير بـ "حم العرائشي المكناسي". علامة مشارك فقيه متفنن، نحوي ماهر، خطيب بليغ مصقع. جاء في ظهير تعيينه ناظرا على أحباس المساكين : "الفقيه النحوي الخطيب البليغ الناظر الاسعد ... طاهر النشأة وقورها، محمود السجية مشكورها متحليا بالسكينة. خطبته الخطط العلية واغتبطت به المجادة الأولية، واستعملته الدولة المنيفة التي ترتاد أهل الفضائل للرتب، وتستظهر على المناصب بأبناء التقى والحسب، فسار معدوداً من أعيان خطبائها وصدور نبهائها".

قربه المولى إسماعيل وعهد إليه بنظارة أحباس المساكين بعد وفاة والده، ثم بخطة القضاء، كما تصدر للتدريس بجامع النجارين واعتنى بتدوين ما يرجع إلى ماموريته. هذا إلى جانب الخطابة بالجامع الأعظم.

توفي في 10 جمادى الثانية عام 1127 ودفن بضريح الولي الشهير عبد الله بن حَمَد.

حوالة أحباس الأحمدية بمكناس، رقم 3، ص. 2 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، 5، ص. 398 - 399 ؛ ابن زيدان، *المنزع اللطيف*، ص. 36.

العرائشي، محمد الحاج الشهير بـ "حم" بن أحمد العرائش، "فقيه جليل، صوفي نبيل" كان ناظراً في العهد الاسماعيلي على أوقاف الولي عبد الله بن حمَد، وهو الذي تولى بناء ذلك الضريح بأمر من السلطان. وظل متوليا منصب نظارة تلك الأوقاف حتى وفاته في 18 جمادى الأولى عام 1089 / أبريل 1686، فتولى نفس المنصب بعد ابنه عبد الوهاب. وقد توارثت عائلة العرائشي هذا المنصب أجيالا متعددة.

ابن زيدان، *الإتحاف*، 4، ص. 43 ؛ *حوالة أحباس الأحمدية* بمكناس، رقم 3، ص. 127 ؛ محمد المنوني، *محمد بن الحسين العرائشي*، مجلة دعوة *الحق*، ع 9 - 10، 1968، ص. 108.

رقية بلمقدم

العرائشي، مَحمد بن **عبد القادر** العلمي المكناسي. ولد عام 1344 / 1926 في مدينة مكناس. وقرأ على عمه الفقيه المؤدب سيدي عبد السلام العرائشي، وعنه تعلم مبادئ الكتابة والقراءة. ثم على شيوخ مكناس أمثال محمد بن الحسين العرائشي والشيخ محمد بن إرديس الشبيهي والقاضي محمد بن أحمد العلوي والشيخ محمد العربي المنوني وغيرهم. ثم انتقل إلى فاس ودرس في التعليم النظامي بالقرويين إلى أن حصل على شهادة العالمية تخصص العلوم الشرعية سنة 1366 / 1947.

وفي خضم مزاولته لعمله كمحافظ للخزانة المذكورة طلب منه رئيس المجلس العلمي الإقليمي لمدينة مكناس مولاي المصطفى العلوي المساهمة في دروس الكراسي العلمية التي أمر الملك الحسن الثاني بإحداثها بأهم المدن المغربية لتكون بمثابة جامعة شعبية، على غرار الدروس التي كانت تلقن للعموم بالمعاهد الإسلامية، فأسندت إليه مهمة تدريس علمي الفرائض والتوقيت بالمسجد الأعظم بمكناس بمقتضى قرار من وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري مؤرخ بـ 21 محرم 1407 الموافق لـ 26 شتنبر 1986. وفي السنة نفسها عين مستشاراً لأكاديمية التعليم الجهوية بمكناس بقرار من وزير التربية الوطنية الدكتور محمد الهلالي. وفي 13 رجب 1408 الموافق لـ 02 مارس 1988 عين عضواً بالمجلس العلمي الإقليمي بقرار من وزير الأوقاف سابق الذكر بناء على ظهير ملكي. وقد ظل يشغل هذه العضوية وأستاذية الفرائض والتوقيت إلى حين وفاته يوم الخميس 03 رمضان 1421 الموافق لـ 30 نونبر 2000 بمدينة الرباط في فندق حسان بالغرفة رقم : 101 حيث كان وقتها يستعد لحضور الدروس الحسنية الرمضانية. ونقل جثمانه يوم الجمعة إلى مسقط رأسه بمدينة مكناس، فووري الثرى في صحن ضريح مولاي عبد الله بن حَمَدْ على يمين الداخل، خارج باب البرادعيين أحد أبواب مدينة مكناس.

وعلى الرغم من اختلاف انتماء سيدي مَحَمَّدْ العرائشي السياسي مع العديد من زملاء الدراسة والعمل المكناسيين سواء بمكناس أو بفاس فقد استمرت علاقته بهم طيبة - بشهادة الأستاذ عبد اللطيف الصايغ والسيد علال العيساوي - مادامت أفكارهم وطموحاتهم كانت تلتقي عند هدف واحد هو تحرير البلاد.

واعترافا بخدمات سيدي مَحَمَّدْ العرائشي فقد حصل على مجموعة من الامتيازات حيث عين عضوا في وفد الحج الرسمي سنة 1391 موافق 1972 برئاسة وزير الأوقاف آنذاك الحاج أحمد بركاش، وأحرز على وسام الرضى من الدرجة الأولى في 7 ربيع الأول سنة 1390 موافق 13 ماي 1971، ثم وسام الاستحقاق من الدرجة الممتازة بتاريخ 21 جمادى الثانية 1406 موافق 03 مارس 1986.

واعتباراً لهذه الإسهامات العلمية المتعددة والمتنوعة وغيرها التي لم يتم الإشارة إليها الصادرة بمجلات : دعوة الحق والإرشاد والإيمان والسفير واللواء الثقافي، وبجرائد : المرشد والرأي العام والمعركة. وكذا لمكانة الرجل الوطنية، أقامت جمعية البعث الثقافي بمكناس بتاريخ 11 شوال 1421

الموافق 06 يناير 2001 حفلا تأبينيا للفقيد مَحَمَّدْ العرائشي بمناسبة الذكرى الأربعينية لوفاته، شارك فيه العديد من أصدقائه وتلامذته، وتليت خلاله قصائد في رثائه وكلمات بينت مناقب وخصال الرجل الوطنية والعلمية والخلقية.

محمد العرائشي، *فهرس شيوخي المسمى "الفهرس الجامع لشيوخ والمدرسة والجامع"*، مخطوط، انتهى من تحريره ليلة الجمعة 11 شوال عام 1411 موافق 26 أبريل 1991 ؛ *حوار* أجراه محمد العرائشي مع الإذاعة الوطنية بتاريخ السبت 16 جمادى 1410 موافق 16 دجنبر 1989 بمنزله في حمرية. وقد أجرى معه الحوار محمد الرمال من قسم البرامج بالإذاعة الوطنية بالرباط، وأذيع ببرنامج ضيف الزوال ؛ محمد العرائشي، *ترجمة الشاعر أبي محمد عبد القادر العرائشي المكناسي*، مطبعة كريماديس، تطوان، 1972 ؛ محمد العيساوي المسطاسي، *التعليم الحر والأصيل وتأطير الطلبة والشباب*، مقال منشور ضمن كتاب لمحات من تاريخ كفاح مدينة مكناس، منشورات الجمعية الإسماعيلية الكبرى، ص. 19 - 47 ؛ جون جيمس ديمس، *المدارس الحرة بالمغرب*، 1919 - 1970، تر. السعيد المعتصم، منشورات تانسيفت، 1991 ؛ روايات شفوية.

محمد ياسر الهلالي

العراق والمغرب، احتل العراق حيزاً متميزاً على المسرح الدولي، على مدى الثلاثة عشرة سنة الأخيرة من القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين (1990 - 2003)، وذلك في ظل أزمة غزوه للكويت (غشت 1990) وما ترتب عن ذلك من تداعيات متسلسلة، ابتداء بحرب الخليج الثانية (يناير 1991)، وانتهاء بالاحتلال الامريكي - البريطاني له (أبريل 2003). مروراً بمحنة الحظر الشامل الذي فرض عليه (1991 - 2003). وبانعكاسات الحرب الاستنزافية التي جاربها عليه سلاح الطيران الأمريكي - البريطاني، في إطار ما سمي بـ " مناطق الحظر العسكري" في الشمال والجنوب، والعواقب الاقتصادية الناجمة عن تدمير منشآته المدنية والعسكرية وعملية "ثعلب الصحراء" (دجنبر 1998).

وعلى مدى الثلاثة عشر سنة الأخيرة من التوترات والمجابهات والمنازلات السياسية والعسكرية والدبلوماسية، ظل العراق موضوع انشغال كبير من قبل المجتمع الدولي ومجلس الأمن، تجلى في صدور العديد من القرارات الاممية، طالت مختلف مراحل التوترات والمواجهات، من جهة، وأطرت، من جهة أخرى، إقامة وتدبير حالة الحظر الذي فرض عليه.

بل أن هذا الانشغال المركز، بما انطوى عليه من رؤى ومصالح متباينة لمختلف الفاعلية الدولية قد أدى إلى إحداث انقسام حاد في حظيرة مجلس الأمن، ما بين دعاة خيار الحل العسكري المباشر ودعاة الحل السياسي المشروط، مما كاد أن يفضي إلى أزمة دولية مؤسساتية عميقة.

كما أسس العراق، من جانب آخر، موضوع اهتمام واستقطاب للرأي العام العالمي، عكستهما، بصفة خاصة، المسيرات الشعبية الحاشدة التي عرفتها الساحة العالمية، من إسبانيا إلى اليابان، ومن المغرب إلى اندونيسيا، في إطار حملة لمناهضة الحرب، ورفض العدوان الامريكي - البريطاني عليه (شاء 2003).

ومما لا ريب فيه، أن هذا المعطى السياسي المعاصر، بما اتسم به من دينامية وكثافة، ينم عن رهانات حيوية تنصب على مقومات المكان والإمكان والمكانة، وهي العناصر التي كيفت على الدوام تاريخ بلاد الرافدين، منذ العهد السومري - الاتحادي التليد، في الربع الأول من الألفية الثالثة قبل الميلاد (2700 ق. م) إلى العصر الجمهوري النهضوي المعاصر، في النصف الثاني من القرن العشرين (1958 - 2003).

فمن حيث المكان، إن العراق الذي تمتد أراضيه في آسيا العربية، في أقصى الجانب الشرقي لـ "الهلال الخصيب"، احتل على الدوام موقعاً جغرافيا حيويا : فهو ملتقى المحاور الكبرى للتيارات التجارية بين البحر الأبيض المتوسط وآسيا الغربية والمحيط الهندي، قديماً، وهو يمثل حاليا مركزاً حساسا لشريان نفطي يمتد من بحر قزوين إلى خليج غينيا في إفريقيا، كما يشكل بؤرة استقطاب سياسي واقتصادي وثقافي في الخليج العربي والشرق الأوسط.

ومن حيث الإمكان، فإن توفر العراق على ثروات اقتصادية هائلة، لم تجتمع لأي بلد من بلدان منطقة الشرق الأوسط والخليج : الثروة النفطية (أزيد من 10٪ من المخزون الاحتياطي العالمي للنفط) والثروة المائية (مياه الرافدين : دجلة والفرات)، والثروة البشرية، بفضل انتشار التعليم والتكوين - باتت تؤهله أن يكون قطباً اقتصادياً وانتاجياً وثقافياً فاعلاً ومؤثراً في مستقبل المنطقة.

ومن حيث المكانة، فإن العراق، بحكم دوره التاريخي وميراثه الحضاري ومقدراته الاقتصادي ومؤهلاته البشرية، بات يحتل مكانة متميزة في محيطه العربي - الإسلامي، بل في محيطه الاقليمي والدولي.

فعلى مدى خمسة آلاف سنة، ظلت بلاد الرافدين مركز إشعاع حضاري وثقافي أسهم أيما إسهام في بناء الحضارة الانسانية وفي دفع عجلة التطور البشري. وهكذا فقد أسهمت "ميزوبوتاميا" القديمة، في ظل الحضارة الأكادية - البابلية - الاشورية في إحداث طفرة بشرية جبارة في مجالات فن الري والعمران وفي ابتكار فن الكتابة وغيرها.. كما اسهمت "بلاد الرافدين"، في ظل الدولة الإسلامية العباسية في تحقيق ثورة معرفية وثقافية وفنية وعمرانية وتنظيمية وتشريعية هائلة، امتدت أمواجها الحضارية إلى كل أرجاء العالم القديم، من آسيا إلى إفريقيا وأوربا، ومن المتوسط والمحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي والمحيط الهادي. ولقد استهل المقدسي حديثه عن العراق بقوله : "هذا إقليم الظرفاء ومنبع العلماء، لطيف الماء، عجيب الهواء ومختار الخلفاء.." (*أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، 1906، ط. 2، ص. 113).

2 - معالم من العلاقات المغربية العراقية : بالرغم من

امتداد المسافة الجغرافية التي تفصل بين العراق في أقصى المشرق العربي، والمغرب، في أقصى المغرب العربي، فإن أواصر العلاقات بين البلدين، بمستوياتها السياسية والثقافية والاقتصادية، لم تنقطع تماماً، منذ القرن السابع الميلادي، بالرغم من تقلبات الأحوال وتبدلات الظروف ..

ولئن اتسمت، في البدء، حركية العلاقات المغربية - العراقية بكثافة التبادل المعرفي، ودينامية التفاعل الثقافي، في ظل سيادة الجفاء السياسي، على امتداد الفترة الإسلامية - العباسية، فإن دينامية هذه العلاقات سرعان ما اعتراها تراجع بل جمود خلال الحقبات اللاحقة من تاريخ العراق، الحقبة المغولية (1258 - 1534) والحقبة العثمانية (1934 - 1917) والحقبة الاستعمارية (1917 - 1958)، قبل أن تعرف من جديد انتعاشاً وتطوراً، ابتداء من منتصف القرن العشرين...

ويمكن إجمال معطيات هذا التطور من العلاقات الثنائية بين البلدين، خلال الحقبة المعاصرة، في ثلاثة مستويات حيوية : سياسية وثقافية واقتصادية.

فعلى المستوى السياسي، عرفت العلاقات الثنائية تطوراً إيجابياً ومطرداً على امتداد عدة عقود، كان الموقف العراقي خلالها حاضراً بقوة في كفاح المغرب من أجل الاستقلال ثم في نضاله من أجل وحدته الترابية.

وفي هذا المضمار، لم يعد سراً اليوم أن أول دعم مادي ومعنوي خارجي، تلقته الحركة الوطنية المغربية، والحركة المسلحة بالذات، كان مصدره العراق الملكي في بداية الخمسينيات، وذلك بشهادة قادة المقاومة المغربية الذين لا يزال بعضهم على قيد الحياة (شهادة حسن صفى الدين، المدعو حسن الأعرج). كما كان دعم العراق لقضية استقلال المغرب في أروقة الأمم المتحدة، إلى جانب دعم باكستان ودول إسلامية أخرى، دعما قوياً وفعالاً في ذلك الظرف العصيب الذي كانت تجتازه "القضية المغربية" آنئذ.

ومن منتصف السبعينيات، غداة استرجاع المغرب لأقاليمه الصحراوية، في إطار من التعبئة الشعبية حول الملك الحسن الثاني، تغمده الله برحمته، كان العراق البلد العربي الوحيد الذي عبر عن موقف مبدئي صريح وواضح من تأييده للوحدة الترابية المغربية ورفضه لأطروحة قيام "كيان صحراوي مستقل"، وهي الأطروحة التي كان يروج لها خصوم الوحدة الترابية للمغرب، وانساقت معها دول وحكومات ومنظمات عربية وغير عربية ..

وقد تحمل العراق، بشجاعة وصلابة تبعات موقفه المبدئي هذا، حيث تزامنت لفترة علاقاته الثنائية مع حكومة الجزائر، في وقت كانت فيه الأخيرة تمارس دور الوساطة في معالجة النزاع العراقي - الإيراني.

وعلى قاعدة هذه الأرضية الصلبة التي تسند تضامن وتفاعل البلدين مع القضايا التحررية والمصيرية، سادت بين القيادتين السياسيتين للبلدين علاقات تفاهم وتواصل وتعاون تحدت بمتانتها كل الملمات واخترقت بصلابتها كل الملابسات.

وانطلاقاً من مواقف المغرب المبدئية وتقاليده العريقة من التضامن مع اشقائه في العراق، فقد استمر المغرب في تأكيد انشغاله بتطورات الشأن العراقي خلال التسعينيات وضرورة إيجاد حل دبلوماسي وسياسي للمسألة العراقية. وفي مجال التعاون الثقافي، فقد كان العراق سباقاً إلى فتح مركز لتكوين المعلمين بالدار البيضاء (1957!) عقب حصول المغرب على استقلاله، تخرج منه عدد من مدرسي التعليم الإعدادي في المدارس المغربية، كما زودوا وزارة التربية الوطنية بعدد من المدرسين العراقيين لسد حاجة المغرب آنئذ إلى الأطر التدريسية، في إطار الحملة الوطنية من أجل تعميم التعليم ... كما ظل العراق يستقبل عدداً من الطلبة المغاربة للدراسة بالعراق بمنح عراقية فتزايد عددهم، سنة بعد أخرى، ليبلغوا المئات عند نهاية الثمانينيات.

ومن جهة أخرى، فتح المغرب مؤسساته الجامعية لاحتضان عدد من أساتذة التعليم العالي العراقيين الذين ساهموا إلى جانب مدرسين عرب آخرين، في إرساء بنيان الجامعة المغربية الفتية...

وقد وقع البلدان في إطار الدورة السابعة للجنة المغربية - العراقية المشتركة، المنعقدة في شتاء 1998 (9 - 11 نونبر 1998) على بروتوكول تنفيذي للتعاون الثقافي والعلمي والفني يغطي السنوات 1999 - 2001.

أما فيا يتعلق بمستوى التعاون الاقتصادي، فقد عرفت علاقات التبادل التجاري والتعاون الاقتصادي نمواً مطرداً منذ منتصف السبعينيات، وذلك عملاً بمقتضيات الاتفاق التجاري الموقع ببغداد بتاريخ 24 أبريل 1976، والبروتوكول الملحق به في 15 يوليوز 1980، والذي أصبح بموجبه تبادل السلع بين البلدين بدون رسوم جمركية. ولقد غدا العراق، قبل الحظر الاقتصادي الذي فرض عليه، المستورد العربي الأول للمنتجات المغربية.

وللرفع من حجم المبادلات التجارية وقع البلدان على بروتوكول التجارة والتعاون الاقتصادي بتاريخ 27 يونيه 1988 يتم بمقتضاه زيادة مشتريات المغرب من النفط مقابل تخصيص جزء من قيمة هذه المشتريات لتسديد قيمة سلع مغربية مصدرة إلى العراق ..

كما استقبل العراق عدداً من العاملات والعمال المغاربة بقصد الاستيطان والعمل في المجال الفلاحي، تمتعوا بشروط مشجعة من مجال الإقامة والاستثمار..

وقد عقدت الدورة السابعة للجنة المغربية - العراقية المشتركة ببغداد في نونبر 1998، لإعطاء دفعة جديدة للتعاون بين البلدين، تمت خلالها الدعوة إلى تكثيف مشاركة الشركات المغربية في المناقصات الدولية التي تطرح لتزويد العراق بالمواد الغذائية والأدوية، في إطار "مذكرة التفاهم" بين العراق والأمم المتحدة، كما تم تأكيد التزام العراق

بتسديد ديون الشركات المغربية بعد رفع الحصار الاقتصادي عنه، إضافة إلى تأكيد عزم البلدين على توثيق التعاون بينهما في مختلف الميادين الاقتصادية والفنية ..

كما عقدت بالرباط، في الفترة من 3 إلى 5 أبريل 2000، الدورة الثامنة للجنة المشتركة المغربية ـ العراقية، وخلالها تم تحديد عدد من مجالات التعاون بين البلدين..

وفي سياق علاقات التضامن والتعاون التي تدعمت بين البلدين، وعلى كافة المستويات، خصوصاً خلال العقود الثلاثة الأخيرة، أمضى البلدان سلسلة من الاتفاقات والبروتوكولات طالت مختلف مجالات الأنشطة الاقتصادية والتجارية والفنية (اتفاق تجاري : أكتوبر 1976 / بروتوكول ملحق بالاتفاق التجاري : يوليوز 1980 / اتفاق للتعاون البحري والتجاري : أكتوبر 1981 / اتفاقية للتعاون الاقتصادي والفني : أكتوبر 1981 / بروتوكول للتجارة والتعاون الاقتصادي : يونيه 1988) والجوية (اتفاقه جرى في يونيه 1974) والسياحية (اتفاق سياحي في أبريل 1976) والفلاحية (بروتوكول اتفاق في شأن العائلات المغربية الموفدة إلى العراق، بقصد الاستيطان والعمل في الميدان الفلاحي : أكتوبر 1980) والاعلامية (اتفاق للتعاون الاعلامي : يونيه 1979) والشبابية (بروتوكول اتفاق للتعاون في مجال الشباب والرياضة : دجنبر 1976) والعلمية والثقافية (اتفاق علمي وثقافي : أبريل 1976 / برنامج تنفيذي للتعاون الثقافي والعلمي للسنوات 1999 ـ 2001).

محمد الاخصاصي

العراقي، أحمد بن **محمد المهدي** الحسيني من أعيان العلماء المحدثين في القرن (13 هـ)، أستاذ مشارك، فقيه علامة "ذا جد وانقباض وصلابة في الدين وهدي حسن وصلاح متين وأمر بمعروف ونهي عن منكر غير مألوف" (*سلوة*)، وكان إماماً خطيباً ومدرساً بالضريح الإدريسي، ويأمر به وينه d‌ولو في حال الخطبة .. وكان يطول في الصلاة كثيراً حتى ترك كثير من الناس الصلاة وراءه من أجل ذلك (*سلوة*).

أخذ عن جماعة من العلماء كسيدي الوليد العراقي (صاحب *الدر النفيس فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس*) وغيره، وانتفع به غير واحد من نجباء الطلبة.

والعراقي هذا هو صاحب الفتوى حول مساهمة الرعية في أعباء السالية التي اقتضاها صلح تطوان مع إسبانيا عام 276 / 1860، إذ كانت المبالغ المالية الثقيلة التي يطالب بها الإسبان كغرامة حربية (المادة التاسعة من نص المعاهدة 16 أبريل 1860)، لم يتيسر لحكومة المغرب أن تجمعها بسهولة، وبدأ من خلال رسائل المخزن إلى المدن والقبائل المغربية مدى القلق والحيرة التي استبدت بالمغاربة. فكان أن فكر المخزن في استفتاء أهل العلم ورجال الرأي في شأن هذه النازلة، فجاءت أجوبة العلماء عن استفتاء السلطان، وأثارت، في مجملها، مسألة المعونة، وفيها دعوة إلى الاستكانة والصبر وإلى عدم الثقة في الأعداء وعدم الركون إليهم. وربط العراقي ـ كباقي العلماء ـ وجوب الطاعة بالتروي في مواجهة الشدة وصلابة العزم. ولا يمكن فصل نص فتوى العراقي عن الأجوبة التي أوردها الوزاني في *نوازله الصغرى* ومحمد داوود في *تاريخ تطوان* فبينهما صلات وعرى وثيقة، فمضمونها متشابه، كما يلاحظ أن لأصحابها نفس الصياغة الفقهية، ونفس الأسلوب في طرح مسألة المعونة، ونفس الطريقة في معالجتها بالتماس الشرعية الدينية لها.

توفي أحمد العراقي في منسلخ جمادى الآخرة سنة ست وثمانين ومائتين وألف.

م. المهدي الوزاني، *النوازل الصغرى*، 1 : 340 ـ 345 ؛ الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج 3 : 37 ؛ الأزهري، *اليواقيت الثمينة*، 1 : 88 ؛ م. داوود، تاريخ، 5 : 102 ـ 118 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، ج 2 : 139 ؛ ع. التازي، جامع القرويين، ج 3 : 813. ط 1 : 972، بيروت، ع. العزيز التمسماني خلوق، *حرب تطوان من خلال الأجوبة الفقهية*، ضمن ندوة، *التاريخ وأدب النوازل*، دراسات تاريخية مهداة للفقيد محمد زنيبر، منشورات كلية الآداب الرباط، المحمدية، ط 1 : 1995، ص. 238.

العراقي، إدريس بن **محمد** بن إدريس من الشرفاء الحسيْنيين بفاس، فقيه عمدة، محدث ومتفنن مطلع. كان ـ رحمه الله ـ أحد أئمة الدين وأكابر العلماء المتبحرين "سلطان الحفاظ في الآثار النبوية ورئيسهم وأعلمهم بالصناعة الحديثية" (*الدر النفيس*، ص. 254). وكان آية في الحفظ والرواية والإتقان والضبط وما يتعلق بذلك، ومن المعول عليهم في الحديث والإسناد والرواية والضبط والتخريج والأنساب وما يتبع ذلك، مرجوع إليه في علم الحديث من أهل عصره من غير مدافع، فقل ما تفرغ باب داره من الفقهاء الذين يسألونه عن علم الحديث كالشيخ أبي محمد عبد الكريم اليازغي (*الدر النفيس*، ص. 257)، حتى أنه ـ فيما يذكر معاصروه "استدرك أحاديث كثيرة على الجامع الكبير للجلال السيوطي". أخذ ـ رحمه الله ـ الحديث وغيره عن شيوخ فاس كوالده وأبي العباس بن المبارك والشيخ ميارة الأصْغر والشيخ محمد جسوس وغيره، وأسانيده من أعلى الأسانيد كما في (*الدر النفيس*، ص. 257). وقد أخذ عنه أقوام وانتفعوا به منهم ابن عمه العلامة سيدي زيان وولداه أبو محمد وأبو زيد عبد الرحمان وغيرهم، وممن أخذ عن المترجَم علم الحديث العارف أبو عبد الله محمد الصقلي الحسيني.

وله تآليف منها شرح على الشمائل، وشرح على إحياء الميت في فضائل أهل البيت وشرح الثلث الأخير من الصغاني وغير ذلك وأغلبه شروح في علوم شتى.

توفي سيدي إدريس سنة اثنتين أو ثلاث وثمانين ومائة وألف (1182 / 1183) ودفن بمحراب زاوية مولاي أحمد الصقلي الحسَيْني.

ع. الفاسي، *غاية الأمنية*، ص. 38، خ. ع، الرباط، 97 ج ؛ الوليد الفاسي، *الدر النفيس*، ص. 254 ـ 257، خ. ع، الرباط، 97 ج، فهرسة ؛ ابن الصادق، م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ص. 351.

العراقي، الحسن بن **عبد الرحمان** بن العباس الحسَيْني، العلامة المطلع المشارك العدل الموثق "كان يكتب الوثيقة عن فهم ومعرفة ما يراد بها مع خط حسن" (*إتحاف أعلام الناس*) له شهرة في ذلك مع خيارة ودين.

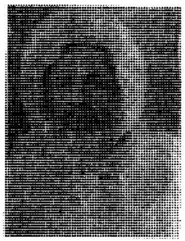

أخذ عن الشيخ التهامي بن المدني كنون، وعن الشيخ محمد بن محمد زويتن، وعن الشيخ علال بن الفاطمي الهرابلي الحسني، وعن الشيخ محمد ـ فتحا ـ بن قاسم القادري، وعن الشيخ عبد السلام بن عمر العلوي الحسني، وعن الشيخ أحمد بن الخياط وعن الشيخ محمد بن جعفر الكتاني وغيرهم من الأشياخ.

وذكر في *سل النصال* أنه اتصل به واستفاد من علمه خصوصاً علم التوقيت والفرائض والحساب.

توفي في صباح يوم الأحد سابع وعشري رجب الفرد الحرام عام ثمانين وثلاثمائة وألف ودفن بروضتهم بالقباب (ابن سودة، *سل النصال*).

ع. ابن سودة، *سل النصال*، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، ج 9 : 3361.

العراقي، عبد الرحمان بن **العباس** الحسيني، من الشرفاء بفاس خير فاضل، كان علامة مشاركاً.

قرأ على أخيه محمد بن العباس العراقي وعلى الفقيه الحاج محمد كنون وغيرهما من أشياخ الحاضرة الإدريسية فشأنها عال في المدائن العلمية. وتصدر بعد ذلك للتدريس في القرويين وامتاز بتدريس الفقه والنحو وغيرها من العلوم التي كانت يومئذ تلقى بحلقات الدرس بالجامع السعيد.

ولسيدي عبد الرحمان بن العباس عارضة قوية في نظم الشعر، ومن نظمه همزية عارض بها همزية الإمام البوصيري، ومنظومة في آداب الدعاء وأخرى في شمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم، وله "منظومة في النكرة والمعرفة وعلم الجنس والمطلق" (خ ع الرباط 2572 د ضمن مجموع) وغير ذلك من الأنظام والاشعار.

توفي في عنفوان شبابه (*إتحاف المطالع*) عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف، دفن بروضة الصقليين داخل باب عجيسة.

ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، ج 8 : 2809 ؛ الأزهري، *اليواقيت الثمينة*، ص، 200 ؛ مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ص. 432 ـ 433 ؛ كحالة، معجم *المؤلفين*، 5 : 142 ؛ الزركلي، *الاعلام*، ج 3 : 309، قدور الورطاسي، ذكريات *الدراسة في فاس*، ص. 171.

العراقي، عبد العزيز بن **محمد** رشيد الحسَيْني، كان مدرساً علامة مشاركاً، أدخل إلى النظام القروي (*الدرة الفاخرة*) في الطبقة الثانية في بيان العلماء الذين عينوا بالقرويين للتدريس.

وممن أخذ عنه قدور الورطاسي، أخذ عنه قواعد اللغة العربية وعلوما أخرى كانت مقررة في برنامج الدروس بالقرويين.

توفي عام تسعة وخمسين وثلاثمائة وألف ودفن بروضة والده معه.

إتحاف ذوي العلم والرسوخ، ص. 70 ؛ *دليل مؤرخ الأقصى*، 1 : 95 ؛ *الدرر الفاخرة*، 51 ؛ *سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، 8 : 3075 ؛ ع. الله الجراري، *شعراء المغرب وأدبائه المعاصرين*، تح. سعيد الفاضلي، مرقونة، ص. 127 ؛ قدورالورطاسي، *ذكريات الدراسة في فاس*، ص. 65 ـ 66.

العراقي، عبد القادر بن أبي القاسم الحسيني، الفقيه العلامة، الواعظ المحدث. نشأ في حفظ وصون، وحفظ القرآن والمتون المعتادة، وأخذ عن أشهر علماء بلاده، وفاس يومئذ من أزهر بلاد العلم بالمغرب، واحتضنت أعلاما أجلاء كعبد السلام القادري وعبد القادر الفاسي وولده محمد، وعبد الهادي العراقي وعبد الله المسناوي. من مؤلفاته "*رفع الخفاء عن منظومة الفناء*" (طبع على الحجر مرتين).

ع. الفاسي، *غاية الأمنية*؛ الوليد العراقي، *الدر النفيس*، خ. ع، الرباط، 97 ج، ضمن مجموع، ص. 218 ؛ الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، ص. 237.

عبد المجيد بوكاري

العراقي، عبد الله بن أبي القاسم الأنصاري العراقي، عالم أديب شاعر من أهل مدينة فاس، لا نعلم عنه كثيراً سوى أنه كان متضلعاً بعلم الكلام وأقرأه بإشبيلية مدة. وكان من خاصة الخليفة الموحدي السعيد ومن جلسائه، فعينه مزواراً لطلبة الحضر سنة 643 / 1245، ونظراً لتوتر الظروف السياسية في عصر هذا الخليفة الذي يقع في مرحلة ضعف الدولة الموحدية وقيام الصعوبات في وجهها، فإنه كان يبعث

شيخ الطلبة العراقي في بعض المهام ذات الطابع السياسي لدى الثوار والقبائل.

توفي بمراكش في حدود سنة 646 / 1248.

ابن الزبير، *صلة الصلة*، ج. 8، الرباط، 1984 ؛ ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، تح. إ. عباس، بيروت ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، الدار البيضاء، 1985.

محمد المغراوي

العراقي، عبد المجيد بن المهدي بن عبد المجيد العراقي الحسَيْني "الشيخ الجليل والعلامة المشارك، المطلع المؤرخ المعتني النسابة" (*سل النصال*). كانت ولادته عام خمسين ومائتين وألف. نشأ في بيت صلاح وتقوى وعلم .. وفي فاس أخذ عن الشيخ عبد السلام بن الطائع بوغالب الحسَني، والشيخ محمد ـ ضما ـ بن المدني كنون، والشيخ المهدي بن الطالب بن سودة، وشقيقه الشيخ أحمد بن سودة، والشيخ المدني بن علي بن جلون، والشيخ أحمد بن أحمد بناني كلا، وأضرابهم.

ذكر ابن سودة في *سل النصال*، أنه كان له اتصال بالمترجم لقرب محل سكناه منهم، إذ كان في آخر عمره سكن "بدار برأس الزاوية من حومة المخفية" وتبرك به، وكان يسأله عن الحوادث.

وكان له ولع "بعلم الآلة وحفظ أشعارها وموشحاتها"، وأظهر معرفة كبيرة حتى أنه يجلس وسط الجوق ويطلبون منه "أن يقترح عليهم النوبة التي يرتضيها" فيلاحظ عليهم الأوقات، إن وقت الصبح يصلح له كذا ووقت المساء يصلح له كذا .. "فإنه كان يحفظ هذه المناسبات ويعللها بعلل حلوة مستطابة ويذكر في ذلك حكايات مناسبة كلها مضحكة لا تمل مجالسته" (*سل النصال*).

وللمترجم اعتناء بالتقييد والتأليف، وكان به ميل لتقييد الحوادث مما شاهده أو أُخْبِر به منها، ذيل على نشر المثاني للشيخ محمد بن الطيب القادري الحسني، وله ذيل على تأليف قريبه الوليد العراقي في الشعبة العراقية المسمى "*الدر النفيس فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس*" إلى غير ذلك...

توفي عام ثمانية وثلاثين وثلاثمائة وألف.

ع. السلام بن سودة، *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، ج 8 : 2910.

العراقي، علي زين العابدين المدعو زيان بن هاشم ابن عبد الرحمان بن محمد بن حمدون، من الأشراف العراقيين وهم حسَيْنيون بالياء بعد السين. والمترجم من مشاهير الفقهاء العلماء، كان مشاركاً في عدة فنون لا سيما النحو "فقد كان فيه لا يجارى ولا يُدرك شأوه ولا يبارى، بل كان أنحى أهل فاس على الإطلاق" (*سلوة*، 1 : 114)، مع ملكة في التدريس وفصاحة في اللسان وضبط وإتقان.

أخذ عن أبي العباس بن مبارك وأبي عبد الله جسوس، والكبير السرغيني وعبد المجيد الزبادي وابن عمه الهادي العراقي وغيرهم، وعمدته الإمام أبو حفص الفاسي. وأخذ عنه خلق كثير من أهل فاس وغيرهم منهم أولاده والعلامة عبد الواحد الفاسي (صاحب *غاية الأمنية*)، والفقيه محمد بن إبراهيم مفتي فاس سنة 1241 وأبو عبد الله الطيب بن كيران وأبو الفيض حمدون بن الحاج وأبو الربيع سليمان الحوات، ذكر في *ثمرة أنسي في التعريف بنفسي* وانتفعت به العلوم الأدبية نحواً وبياناً وتصريفاً وعروضاً ولغة وأنسابا وإفادات وإنشادات وغير ذلك مما تمس ضرورة الأدب إليه، وكذلك أخذت عنه جملة صالحة من الفقه والحديث والمنطق" (*ثمرة أنسي*، 251).

توفي يوم السبت 29 جمادى الأولى سنة 1194 وهو في سن الخمسين، ودفن داخل قبة أبي عبد الله التاودي (خارج باب الجيسة).

الحوات، *السر الظاهر*، خ. ع، الرباط، 2619 د ؛ *ثمرة أنسي في التعريف بنفسي*، ص. 215، مرقونة ؛ م. الزبادي، *سلوك الطريق الوارية في الشيخ والمريد والزاوية*، خ. ع، الرباط، 247 ك ؛ الوليد العراقي، *الدر النفيس فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس*، خ. ع، الرباط ؛ ع. الفاسي، *غاية الأمنية*، خ. ع، الرباط، 97.

العراقي، عمر بن عبد القادر بن قاسم بن عبد الرحمن بن إدريس بن عبد الرحمان بن إدريس الحسَيْني، "العلامة المطلع، المشارك الخير الصالح العامل المتواضع" .. أخذ عن الشيخ أحمد بن الخياط، وعن الشيخ محمد ـ فتحا ـ بن قاسم القادري الحسَني، وعن الشيخ عبد السلام الهواري، وعن الشيخ أحمد بن الطالب بن سودة، وأخذ علم الهيأة عن الشيخ صالح التادلي، وتبرك بالشيخ أحمد بن أحمد بناني كلا، وغيرهم من الأشياخ.

ذكر ابن سودة (*سل النصال*) أنه طلب منه قراءة المقنع فلبى طلبه بشرط أن يكون ذلك في جامع صغير، فكان يقرأه بجامع الشيخ إسحاق بحومة مصمودة. وكان قليل التدريس إلا في بعض الجوامع "قليل المخالطة مع الناس، ملازماً عبادة ربه".

توفي في جمادى الأولى عام ثمانية وخمسين وثلاثمائة وألف، ودفن بروضتهم الكائنة قرب السويقة داخل باب فتوح.

ع. السلام بن سودة، *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، ج 8 : 3067.

العراقي، عمر بن محمد بن رشيد الحسَيْني، القاضي بن القاضي، فأسرتهم مشهورة بالقضاء والفتيا، أجلة علماء فضلاء.

وزاوج سيدي عمر بين القضاء والتدريس، فدرس بالقرويين الحساب، ثم تولى القضاء بقبيلة شراكة بمكناس،

وأخيراً عضوية مجلس الاستيناف الأعلى بالرباط، ثم أحيل على التقاعد، وسكن الدار البيضاء.

توفي ونقل إلى فاس ودفن بروضة والده بحوانيت عبد الله قرب رأس القليعة داخل البيت مع والده، عام ثمانية وتسعين وثلاثمائة وألف.

ع. بن سودة، *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، ج 8 : 4374؛ م. الفاطمي، *إتحاف ذوي الرسوخ والتمكين*، ص. 104 ؛ ع. الله الجراري، شعراء *المغرب الأقصى وأدبائه*، تح. سعيد الفاضلي، مرقونة، كلية الآداب، الرباط، 1991 ـ 1992.

العراقي، محمد بن **إدريس** بن حمدون العراقي الحسيني، من بيت مشهور بالنسب إلى سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ نحوي علامة، عالم مشهور بالنباهة والتحصيل. أخذ عن جماعة منهم عبد السلام القادري وعبد القادر الفاسي وولده محمد وهو عمدته. وعنه أخذ أبو محمد بن أحمد الفاسي وعبد الهادي العراقي ومؤلف *الأنيس المطرب*، وأبو حفص عمر الفاسي. وبينه وبين عبد الله المسناوي خلة وأسئلة.

والمترجم هو أحد أئمة النحو والعروض بفاس، لغوي بياني، محقق مشارك نفاع. وولي تدريس النحو بالكرسي الذي عن يمين الداخل للقرويين من باب الكتبيين زمناً مديداً. وذكر له مترجموه تقاييد كثيرة في النحو (*سلوة*، 2 : 28). وله من المؤلفات شرح على أرجوزة عبد السلام القادري في السيرة، وسمى شرحه "*جمع ما انتشر من أخبار خير البشر*" ولم يصلنا كاملاً، وقسم منه بالخزانة العامة بالرباط رقم 43 ك.

توفي في 20 ربيع الثاني سنة 1142، قال في *المورد الهني* "ودفن بروضة ابن عبد الرزاق قرب ولي الله سيدي أبي غالب".

العلمي، *الأنيس المطرب*، ص. 292 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، 2 : 219 ؛ *التقاط الدرر*، 2 : 353، *الإكليل والتاج*، الرباط ؛ الوليد العراقي، *الدر النفيس*، خ. ع، الرباط، 97 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 2 : 28، م. مخلوف، شجرة *النور الزكي*.

العراقي، محمد بن **رشيد** بن محمد الحسيني، كانت ولادته عام 1275 / 1858، العلامة المشارك، المطلع النوازلي، المحقق المدقق، من بيت علم وشرف، مما هيأ له الجو المناسب للتبحر في العلم والنبوغ فيه، وهذا الجو بالذات هو الذي خلق منه عالماً بارعاً، وساعد على تكوين شخصيته العلمية والفكرية وفاس يومئذ معقل رجال العلم والأدب والفكر وموطن تفاعل ثقافي وحوار ومناظرة.

أخذ عن الشيخ محمد بن المدني كنون، وعن الشيخ محمد ـ فتحا ـ بن عبد الرحمان العلوي الحسني (قاضي فاس)، وعن الشيخ أحمد بن أحمد بناني كلا، وعن الشيخ محمد بن عبد الواحد بن سودة ... وعن الشيخ جعفر بن إدريس الكتاني، وعن الشيخ عبد الهادي بن أحمد الصقلي الحسيني (قاضي الجماعة بفاس)، وعن الشيخ المدني بن علي جلون، وعن الشيخ عبد المالك بن محمد العلوي الحسني الضرير، وعن الشيخ محمد بن العباس العراقي الحسيني(1295) وغيرهم من الأشياخ.

ذكر ابن سودة أنه قرأ عليه المختصر صباحا، وحضر عليه صحيح البخاري في رمضان بضريح أحمد الصقلي الكائن بباب النقبة (*سل النصال*)، وممن أخذ عنه الجيلاني بن الباشا حمو بن الجيلاني البخاري المكناسي (*إتحاف*، 2 : 155)، وأخذ عنه محمد بن عبد الرحمان العراقي (*سل النصال*).

تولى العراقي القضاء بطنجة عام 1303، ثم تولى النيابة عن شيخه عبد الهادي الصقلي بمقصورة السماط، ثم عين قاضياً بفاس الجديد إلى أن نقل لقضاء مقصورة السماط في عام 1326، واستمر عليها إلى أن أخر عنها في شعبان عام 1346، وله معرفة واطلاع واسع على النوازل والقضايا.

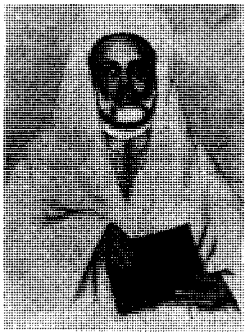

وتعرف للمترجم مؤلفات عديدة في فنون مختلفة من تاريخ وأنساب وتراجم وفقه وتفسير وفتوى وتقاييد مختلفة. ويذكر مترجموه بعض هذه المؤلفات مثل شرح على الهمزية، ورسالة في الإمامة، وتأليف في السدل، وتأليف في رؤية الهلال، وآخر في المقاصد الدينية، وتأليف في أضحية فاس القديم قبل فاس الجديد التي أفتى فيها الإمام القصار، وختمتان للمختصر : ختمه صغرى (طبع على الحجر وختمه كبرى (طبع على الحجر بفاس، 6 : 13)، وأحكام صدرت منه أيام قضائه، قال ابن سودة : "لو جمعت لكانت في عدة أسفار" (*سل النصال*) وله كذلك تأليف في المولى عبد العزيز سماه "*الذهب الإبريز في محاسن السلطان المولى عبد العزيز*" وتأليف في العائلة المقرية، هذا عدا تقاييد وفتاوى في بعض القضايا التي كانت تطرح في زمانه، سياسية واجتماعية واقتصادية ..

وقد عرف الرجل بمواقفه الوطنية وغيرته، كما ثبت من خلال تقاييده ومدوناته وفتاويه ورسائله، كغيره من العلماء والوجهاء في فاس وغيرها من بلاد المغرب، الذين كانوا يتفاعلون مع قضايا عصرهم، وقد أثمرت هذه المواقف النبيلة كتابات كثيرة، شعراً ونثراً، وأثرت الخزانة المغربية في هذا العهد، وعكست النقاش الفكري حول بعض القضايا والنوازل. ونذكر مثالاً واحد من هذه المواقف التي حركت

ضمير الأمة وألهبت حماس الوطنيين الغيورين على بلادهم.. وأقصد بذلك النبأ الذي نشرته جريدة "كوكب إفريقية" التي كانت ترتبط بالولاية العامة بالجزائر، فقد نشرت في عدد المؤرخ بـ 10 ذي القعدة 1327 / 1907، خبراً مفاده أن السلطان مولاي عبد العزيز استفتى علماء فاس في الاستعانة بدولة أجنبية على تنظيم البلاد وتهدئتها، فزعمت هذه الصحيفة أن هؤلاء أجمعوا على إفتاء السلطان بجواز هذه الاستعانة، فكتب العلماء تكذيباً قاطعا لما اختلقته الجريدة المذكورة مؤيدين ردهم بالحُجَج، ودونوا ذلك في شكل أجوبة متتابعة حررها زمرة من فقهاء فاس وقضاتها، كان من بينهم القاضي محمد بن رشيد العراقي، ومن بين الذين كتبوا هذه النازلة العباس التازي، أحمد بن الخياط، وعبد السلام الهواري، ومحمد المهدي بن رشيد العراقي، وغيرهم.

وقد ألف في ترجمة محمد بن رشيد العراقي الفقيه محمد بن إدريس بن فرتون السلمي (1346 / 1927) تأليفا سماه "*الجواهر اللؤلؤية في التعريف بواسطة الشعبة العراقية الحسينية*"، كما ألف فيه محمد بن أحمد أحمد بن الحاج السلمي (1364 / 1944) "*اليواقيت السنية المهداة للحضرة العراقية*".

توفي المترجم عام 1348 / 1929، ودفن بروضته التي أحدثها بحوانيت السيد عبد الله بن أحمد السوسي قرب باب الحمراء.

ع. ابن سودة، *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، ج 8 : 299 ؛ *إتحاف المطالع* : ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 2 : 115 - 391؛ الاعلام، 6 : 361 ؛ *الدرر البهية*، 2 : 244 ؛ *الدر المكنون*، 70 ، فهرس محمد بن إدريس القادري، معجم *الشيوخ*، 1 : 90 ؛ معجم *المؤلفين*، 9 : 312، *مختصر العروة الوثقى*، 5 ؛ القيطوني، معجم *المطبوعات المغربية*، ص. 237 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، ج 2 : 337، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، ج 2 : 141 ؛ ع. الله الجراري، *التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين*، ص. 153، مكتبة المعارف، ط 1 : 1406 - 1985 ؛ ع. الهادي التازي، جامع *القرويين*، 3 : 820.

العراقي، محمد بن **عبد الرحمان** بن العباس الحسيني، عالم من كبار علماء القرويين، وشيخ لطائفة من الشيوخ، ومجاهد صلب في عهد الاستعمار حيث وقف مواقف خالدة لنصرة دين الله والوطن.

أخذ عن الشيخ الشريف - اسما - بن علي التكناوي الحسني، وعن الشيخ علال بن الفاطمي الهرابلي، وعن الشيخ حماد الصنهاجي، وعن الشيخ عبد السلام بن محمد بناني الطبيب، وعن الشيخ محمد - فتحا - بن الشيخ قاسم القادري الحسني، وعن الشيخ عبد السلام بن عمر العلوي الحسني، وعن الشيخ خليل بن خالد الخالدي، وعن الشيخ محمد بن رشيد العراقي.. وعن الشيخ أبي شعيب الدكالي، وعن الشيخ محمد بن جعفر الكتاني، وعن الشيخ أحمد بن الجيلاني الامغاري، وعن الشيخ عباس بن أحمد التَّازي، وعن الشيخ عبد الله بن الهاشمي ابن خضرا السلاوي (قاضي فاس) .. وغيرهم من الأشياخ.

ولما دخل النظام إلى كلية القرويين كان من أول من أدرج به، وكانت له مشاركة في حلقات التدريس بها، وامتاز بتخصصه في علم قواعد اللغة العربية وما إليها من آلات "على ما كانت له من مشاركة عميقة في مختلف العلوم التي كانت تدرس في عهده بالقرويين" (بين ظلال الأصالة). وصفه الورطاسي بقوله "أشقر طويل القامة مهاباً على ما به من دعابة ونكت، يمشي في عزة وهو يمد بصره نحو الآفاق، يزور الطلبة في حجراتهم وفي أقاليمهم ويزورونه، لا يمل جليسه من أحاديثه الممتعة، علماً وأدباً وفكاهات ونوادر" (*بين ظلال الأصالة*).

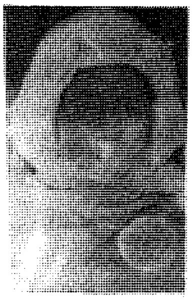

وأثبت بعلو همته وإخلاصه عزماً وصلابة ووطنية خالصة، وهي خصال كانت مطلوبة في أيامه لما كانت تجتازه البلاد من تحولات وتشوف إلى الرفع من قدر هذه المؤسسة كمنار للعلم ومعلمة للحفاظ على الهوية الوطنية .. والأمة يومئذ تمور وتغلي، فكانت القرويين معقل رجال الحركة الوطنية وخزانا هائلاً للطاقة الخلاقة المبدعة.

وفي حوادث 1944 / 1363، كان المترجم من الرجال الذين أظهروا تحمساً وشجاعة حول القضية الوطنية، فامتحن - رغم شيخوخته - ونفي إلى الصحراء وبقي في منفاه ما يزيد عن عام ونصف لم تؤثر على ثباته وقوة عزيمته، ووقع سراحه في شعبان 1364، ولما خلع السلطان محمد الخامس امتنع من التوقيع على عزله، فنهبت داره وأخذ ما بها من المتاع، واستمر في التدريس بالقرويين وأظهر الإخلاص والتفاني في خدمة وطنه.

توفي محمد بن عبد الرحمان العراقي في سابع صفر عام ثمانية وتسعين وثلاثمائة وألف ودفن بروضتهم بالقباب، وفي أربعينيته أقيم حفل تأبيني بمعرض فاس حضره جمع من العلماء بالقرويين وأعيان البلد، وألقيت فيه كلمات مؤثرة، وفيها ألقى قدور الورطاسي قصيدة في شيخه ضمنها آهاته وعدد فيها صفات الفقيد.

ع. ابن سودة، *سل النصال بالأشياخ وأهل الاكمال* / موسوعة *أعلام المغرب*، ج 9 : 3471 ؛ ابن زيدان، *الدرر الفاخرة* ؛ م. الفاطمي، *إتحاف ذوي العلم والرسوخ*، 145 ـ 157، الدار البيضاء، 1978 ؛ ع. الله الجراري، *شعراء المغرب الأقصى وأدبائه المعاصرين*، تح. ع. الفاضلي، مرقونة، كلية الآداب، الرباط، 1991 ـ 1192 ؛ قدور الورطاسي، *بين ظلال الأصالة*، 190 ـ 192 ؛ الأمنية 1409 ـ 1989 ؛ قدور الورطاسي، *فضيلة العلامة سيدي محمد بن عبد الرحمان العراقي الحسيني في ذكراه الأربعينية*، جريدة العلم، 108 / 10 / 25 ربيع الأول عام، 1398، الموافق 26 / 2 / 1978.

العراقي، محمد بن **محمد** بن رشيد بن محمد الحسْني، دعي سيدْهُم، علامة مشارك مطلع، يدرس مبادئ النحو، ويتنزل مع المبتدئين حتى يعرفوا درسه جيداً، مستظلا بشهرة والده وجاهه.

أخذ عن والده وهو عمدته، وعن عمه الشيخ المهدي العراقي، وعن عمه الشيخ المامون العراقي، وعن الشيخ علي بن عبد القادر بن سودة، وعن الشيخ أحمد بن الخياط، وعن الشيخ محمد ـ فتحا ـ القادري وغيرهم.

تخرج من جامع القرويين، واشتغل بالشهادة والإفتاء والتدريس ذكر ابن سودة أنه أخذ عنه بالقرويين خطبة الألفية. ولي العراقي قضاء قبائل سلاس وفشتالة والحياينة ناحية فاس ثم قضاء مزكلدة ناحية فاس أيضا.

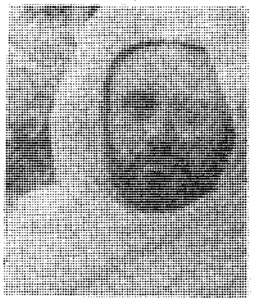

للمترجم مجال في التأليف نذكر منها : "*السعادة الأبدية في أحوال الأبوين وفروعها المرضية*" (طبع على الحجر بفاس) وله شرح على قصيدة بانت سعاد سماه "حديقة *أزهار زهير* في قصيدة كعب بن زهير (طبع على الحجر)، وله "*الصوارخ المنزلة في أحوال البسملة*" تكلم فيه مع عبد الحي الكتاني في كتابه "*الرحمة المنزلة*" حيث تعرض فيه للشيخ عبد الحافظ إدريس بن محمد العراقي (1183)، أطال فيه، وله ختمة على الألفية، وله "*إلهام المنزلة في طرق حديث البسملة*" وتقييد في ذم الحسد، والمورد الهني الأسعد في حديث كشف نبينا وآدم بين الروح والجسد". هذا عدا الأحكام النهائية التي صدرت عن والده القاضي محمد بن رشيد العراقي زمن قضائه في طنجة وفاس العليا الإسلامية، سماه "*التحفة المنشية في الأحكام العراقية النهائية* "الطنجية والفاسية" وصدره بترجمة للمنوه به، ذكر العلامة محمد المنوني أنه عند أسرة المؤلف بفاس ثلاثة أجزاء، حسب المؤرخ بن سودة (*المصادر العربية*، 2 : 141).

توفي المترجم منتصف ليلة الأربعاء فاتح شعبان 1359 ودفن بزاوية والده بسوق عبد الله حومة وادي الزيتون بفاس.

ع. ابن سودة، *سل النصال* / موسوعة *أعلام المغرب*، ج 8 : 3077 ؛ القيطوني، *معجم المطبوعات المغربية* : م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، ج 2 : 141.

العراقي، محمد الهادي ويدعى بسيدي عبد الهادي بن محمد بن عبد الرحمان بن حمدون، من العراقيين الحسْنيين، شهير في رجال العلم والعرفان بفاس، ومن بيت علم وجود، كثير الإحسان والرفق بالمساكين يبذل لهم المجهود ويميل بهم إلى التيسير، وهو بالصلاح والزهد والتقوى والعفاف مشهور، وليس بذي حرص على متاع الدنيا، وله محبة في الصالحين، زوار لأولياء الله تعالى. قرأ عل شيوخ فاس كأبي العباس الوجاري، وأبي عبد الله محمد بن قاسم جسوس وولد عم أبيه سيدي محمد العراقي وأبي عبد الله الجندوز وأبي العباس بن المبارك.

والمترجم من علماء القرويين البارزين في عصره "يقوم على مختصر خليل ويجيد تدريسه تحقيقا وفهما .. وقد طالت ممارسته له قراءة وإقراء، وله اعتناء بتدريس ألفية بن مالك" (*نشر المثاني*، 2 : 254)، وكان حسن التقييد في النحو، وله قلم بارع في النوازل وحل المشكلات، وهذا ليس بدعا فيهم. وكان له ـ رحمه الله ـ ثلاثة مجالس للتدريس : من الصباح للضحى ومن الزوال إلى صلاة الظهر وبعد صلاة العصر إلى غروب الشمس (*سلوك الطريق الوارية*، 185). وإلى جانب ذلك تقلد إمامة مسجد أبي الشتا من حارة قيس وفاس القرويين ثم ولي الإمامة والخطبة بمسجد باب الجيسة كما شغل الإمامة في جامع الأبارين من حارة قيس.

حج عام 1157 وكان ضمن ركب الحجاج الذي عاد في قعدة 1159 والذي تدخل مستشفعا للسلطان مولاي عبد الله أثناء حصار فاس للتوسط في شأن العفو والصفح.

ونجد تفاصيل كثيرة في رحلة عبد المجيد الزبادي الموسومة بـ "*بلوغ المرام في الرحلة إلى بيت الله الحرام*" عن أهمية هذه الشخصية في ركب الحجاج، وتلقي كثيراً من الضوء عن علاقة الرجلين : الزبادي والعراقي، فلا ينعته إلا بأجل الصفات. وخلال هذه الرحلة ـ كما هي العادة عند المغاربة ـ زار طائفة من العلماء والصالحين وأجازه بعضهم مثل الشيخ حجاري البيومي (*بلوغ المرام*، 582)، وعبد الدائم الأشموني الأحمدي والشيخ أحمد بن مصطفى بن أحمد الإسكندري (*بلوغ المرام*، 470) وآخرون مثل الشيخ علي بن أحمد الصنهاجي.

توفي المترجم هو وزوجه في ساعة واحدة بالوباء وأقبرا متجاورين في شهر ربيع الثاني عام 1163 عدوة الأندلس

بروضة بمسجد الأنوار وبباب المسافرين قرب الشيخ سيدي علي الحجام. وصلى عليه الشيخ سيدي عبد الكبير بن محمد السرغيني.

الحوات، *السر الظاهر*، 122، خ. ع، الرباط، 2619 د، ع. الزبادي، *بلوغ المرام في الرحلة إلى بيت الله الحرام* (في مواضيع متفرقة)، مرقونة ؛ القادري، *التقاط الدرر*، 2 : 411 / 414، نشر المثاني، 2 : 254، الوليد العراقي، *الدر النفيس فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس*، خ. ع، الرباط، 97 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 3 : 17.

عبد المجيد بوكاري

العراقي الوليد، عبد الله بن **العربي** بن الوليد الحسني الفاسي، الشهير بسيدي الوليد العراقي، ولد بفاس سنة 1209، أخذ عن الشيخ محمد بن أبي بكر اليازغي وأحمد بن الشيخ التاودي ابن سودة والطيب بنكيران، وحمدون ابن الحاج، وسيدي محمد بن عمرو الزروالي، وسيدي التهامي بن حمادي المكناسي، وغيرهم، وتلقى الورد والمصافحة من الولي العارف أبي عبد الله سيدي الحاج محمد المختار بن علي البقالي، وهو الذي لقبه بمولاي الوليد، كما لقي العارف بالله سيدي محمد بن القطب مولاي أحمد الصقلي الحسني وتبرك به وأخذ عنه.

ومن الذين أخذوا عن سيدي الوليد العراقي، جعفر بن إديس الكتاني، وقاسم القادري، وأحمد بن أحمد البناني، ومحمد بن المدني گنون، وأحمد ابن الحاج مؤلف الدر المنتخب، وأحمد الخياط وعلي بن أحمد بن عبد الصادق الرجراجي الصويري، المتوفى عام 1308، وغيرهم. وصفه مترجموه بنادرة وقته في الحديث وعلم المعقول والمنقول، وكان متميزاً بالحفظ والضبط، مشاركاً في الإقراء، شديد الزهد والورع، كثير العبادة والصمت لا يتكلم إلا فيما يعنيه، تولى الإمامة والخطابة بجامع ضريح مولاي إدريس، وكان في الوقت نفسه يدرس به فنونا من العلوم، وله عارضة قوية في التأليف والتدريس، وكانت له مجالس بالقرويين وغيرها من مساجد فاس التي يحضرها الجم الغفير من العلماء والطلبة، ومن جملة ما كان يدرس علوم الحديث والسنة إلى جانب البيان والأصول، وله مجالس مشهورة في شرح همزية البوصيري. ألف حواشي وتآليف نذكر منها :

- *الدر النفيس فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس*، عرف فيه بالنسب العراقي الحسيني، وترجم فيه لزمرة من علماء وصلحاء أسرته، ثم ختم بترجمة ذاتية، وهو يشير خلال حديث نسبه إلى مصادر كانت في عصره، يعتبر بعضها الآن من أندر النوادر، مخطوط الخزانة العامة رقم 1283 ك / 2. و2277 ك. والخزانة الحسنية رقم 1119.

- *التذييل المنتخب، فيما لفضلاء الشعبية العراقية من المآثر وجب*، مخطوط الخزانة العامة رقم 1283 / 3 ؛ وهو ذيل على الدر النفيس.

- تأليف في *التعريف* بالمحدث سيدي إدريس العراقي.

توفي في ليلة الأحد 8 ربيع الثاني عام 1265 / 3 مارس 1849، ودفن بروضة سيدي الهادي بنزيان خارج باب الفتوح.

الفضيلي، *الدرر البهية*، ج 2 ؛ الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج 3 ؛ مخلوف، *شجرة النور الزكية*، ص. 399 ؛ بروفنصال، *مؤرخو الشرفاء* ؛ الكتاني، *فهرس الفهارس*، ج 2 ؛ الحجوي، *الفكر السامي*، ج 2 ؛ المنوني، المصادر العربية، ج 2، ص. 23.

أحمد اشرخان

العرب، يرمز لفظ العرب حالياً بالمغرب الأقصى - ومنذ القرن الثامن (14 م) - إلى العنصر البشري الناطق سليقة بما يعرف باللغة العربية "العامية" أو الدارجة مع إضمار نوع من المقابلة الضمنية بين هذا العنصر نفسه وبين العنصر البشري الناطق فطريا بإحدى الفصائل اللسانية المتفرعة عن اللغة الأمازيغية. وبغض النظر عما يعكسه المعطى اللغوي قبل غيره من تداخل فعلي وامتزاج مؤكد بين العنصرين المعنيين، فالواقع أن ثنائية المرجع تحيل بالدرجة الأولى على الظاهرة التاريخية المتمثلة في قدوم العرب إلى المجال المغربي واستقرارهم به. ومعلوم أن هذا القدوم قد تقمص عدة أشكال تندرج كلها ضمن ظرفيات متميزة خاصة يتحتم استحضارها عند المقاربة والتصنيف.

تتقدم هذه الظرفيات إجمالا في شكل ثلاث صيغ كبرى. أما الظرفية المؤسسة الأولى فتعد امتداداً لظرفية دولية عامة مترتبة عن خروج الإسلام من موطنه الأصلي واتجاهه صوب الشمال ثم نحو الغرب وصوب الأراضي المصرية وما وراءها مع منتصف القرن الأول للهجرة أو السابع للميلاد. وانطلاقا من مصر كقاعدة جهوية، تم توجيه الحملات العسكرية تباعا في اتجاه إفريقية ثم نحو المغرب الأوسط إلى أن تقدمت نحو أقاصي المغرب على يد عقبة بن نافع فيما بين سنة 62 وسنة 64 للهجرة في محاولة أولى قبل أن تظهر محاولة ثانية أخرى على يد موسى بن نصير ابتداء من سنة 86 هجرية على الأرجح. ومعروف أن هذا التوجه قد أفضى إلى الجواز إلى الأندلس بقيادة طارق بن زياد و"من كان معه من العرب والبربر" سنة 92 هجرية. ومعروف من جهة أخرى أن الوحدات العربية القادمة من مصر وما وراءها لم تكن كثيرة العدد بحكم البعد وتنوع الجبهات بالمشرق وارتباط الخروج بمعطيات النسب والقرابة ولحمة الولاء. وعلاوة على هذا فإن امتداد الرقعة الإسلامية إلى ما وراء البوغاز قد حكم على أقصى المغرب وربما على مجمل الشمال الإفريقي بأن أضحى مَعْبَرا قبل أن يُتَّخذ مجالا للإقامة والاستيطان. والظاهر من جهة أخرى أن إقامة العرب في هذه الفترة بالمغرب الأقصى - ومنذ مقدم عقبة بن نافع - قد جاءت مرتبطة في جملتها بدافع الرغبة في تلقين القرآن ونشر الشرائع عبر نقط معدودة بشمال المغرب أساسا وبعض النقط المتباعدة بجنوبه.

وإذا كانت هذه الأفواج العربية الأولى قد توجهت صوب المغرب الأقصى ضمن إطار يختزل عادة فيما يعرف

بالفتوحات، فمما لاشك فيه أن أفواجا متناثرة أخرى قد التحقت بسابقتها عند انفجار أزمة الخلافة بالمشرق وظهور الفرق وانتشار الدعاة بغرب الرقعة الإسلامية فيما بين بداية القرن الثاني للهجرة ومنتصف القرن الثالث. والظاهر أن قيام كيانات عربية بهذه الرقعة خلال نفس هذه الحقبة قد مثل عامل استقطاب بالنسبة لبعض مكونات النخب العربية عند التحاقها بأموبي الأندلس وأدارسة المغرب الأقصى ثم بالأئمة الفاطميين بالمغرب الأوسط وإفريقية. وإذا كانت وتيرة القدوم إلى المغرب قد ظلت محدودة إجمالا حسبما يبدو، فالراجح أنها قد أصبحت الآن مرتبطة بمجموعة من الوظائف المتنوعة كالتجارة والتعمير والخدمة في الدواوين بالإضافة إلى الدعوة والتفقيه والتعليم. بمعنى أن الأمر يتعلق حتى الآن بساكنة نخبوية تميل إلى الدعة والاستقرار والكسب في الغالب. واعتباراً لمحدودية الكم بالنسبة لهذه الساكنة من حيث هي، فالأعداد المقدرة عادة بالنسبة إليها تقف عند مستوى الآلاف وإن تجاوزته فلا تعدو بضعة عشرات الآلاف على الأكثر، وذلك إلى أن انتهت هذه المرحلة الثانية لتفسح المجال لخريطة أخرى بعد استتباب الأمر للخلافة الموحدية في منتصف القرن السادس للهجرة أو الثاني عشر للميلاد.

ما هي الخريطة التي ترتبت عن مجموع المكونات الملتصقة بنزول هذه القبائل العربية بالمغرب الأقصى ؟ لنسجل في البداية أن الرقعة المجالية المعنية بهذه الخريطة قبل غيرها إنما هي أراضي السهول الأطلسية بالدرجة الأولى ثم بعدها المجال الخارجي المحيط بها كمنطلق لمجموع التحركات البشرية التواقة إلى التحكم في الأراضي الواطئة جريا وراء الخصب والرخاء وسعة النفوذ. واعتباراً لهذا الوضع الثابت الذي يميز السهول الغربية كمجال مستهدف من لدن القبائل المتطلعة النازلة بالهوامش، ربما كان من المفيد أن يتم التركيز هنا على القبائل العربية التي توزعت عبر الشريط الشرقي الواصل بين التل وبلاد ملوية شمالا وبين واحات كَرارة والتوات وما جاورها من بلاد درعة وبلاد السوس بالجنوب. يتعلق الأمر هنا بقبائل المعقل التي صنفت آنئذ "من عداد هلال" على حد تعبير ابن خلدون وإن كانت يمنية الأصل على الأرجح وهلال من نجد بالحجاز. والغالب أن "عدها" هذا إنما هو إشارة إلى دخول المعقل في ركاب القبائل الهلالية بحكم الغلبة واعتبار التبعية إبان فترة العبور. وإذا كانت القبائل المعقلية قد اكتفت بالرحلة عبر الشريط الشرقي الآنف الذكر إلى أن ظهر الوهن في جسم الدولة الموحدية مع بداية القرن السابع الهجري، فالملاحظ أنها سوف تحاول مزاحمة القبائل الزناتية المجاورة من بني عسكر وبني مرين طوال فترة التسرب الأولى نحو الغرب لولا أن تقدُّم بني مرين قد دفع بالرشيد الموحدي إلى استخدامهم فكلفوا بمدافعة بقية الغزاة عن التل وما جاوره من الأراضي الغربية الواطئة خلال العقد الرابع من نفس القرن. وبذلك تمَّ إقصاء المعقل عن السهول الأطلسية فاكتفت باعتماد القفر لتنتهي جولاتها الأولى بالهيمنة على الواحات الشرقية ثم باعتناق حركة الثوار من بني يدَّر ببلاد السوس قبل أن ينتهي المطاف بجملة منها إلى الصحراء المغربية في منتصف القرن المذكور. وهكذا تكون القبائل المعقلية قد انتشرت عبر مجموع المجال الخارجي الممتد في شكل هلال مكتمل محيط برقعة المغرب المريني خلال القرنين الثامن والتاسع للهجرة وحتى أواخر القرن الخامس عشر للميلاد. ولقد استقر توزيع هذا المجال بين بطونها الثلاثة المكونة من ذوي عبيد الله وذوي منصور وذوي حسان في منتصف هذه الحقبة بالذات حسبما أثبت ذلك ابن خلدون كمعاصر وشاهد عيان. أما ذوي عبيد الله "فمواطنهم ما بين تلمسان إلى وجدة إلى مصب وادي ملوية في البحر ومنبعث وادي صا من القبلة" أي من جهة الجنوب (*العبر*، ج 6، ص. 123) ؛ وأما ذوو منصور" فهم معظم هؤلاء المعقل وجمهورهم، ومواطنهم تخوم المغرب الأقصى من قبلته ما بين ملوية ودرعة (*العبر*، 6، ص. 131)، مما يعني تحكمهم في محطات تجارية أساسية بالتوات وتافيلالت كتمنطيط وسجلماسة على الأخص، وذلك بزعامة كل من قبيل أولاد حصين ومجموعة الأحلاف التي كانت تشمل قبائل العمارنة والمنبات ؛ وأما ذوو حسان وبنو عمومتهم من الشبانات والرقيطات - ويعرفون جميعا ببني مختار -، فيبدو أنهم بادروا إلى الالتحاق بثورة بني يدَّر بالجنوب ضد الخليفة المرتضى في منتصف القرن السابع "وحمدوا مواطن السوس لعدم المزاحم من الظواعن فأوطنوها وصارت مجالاتهم بقفرها وغلبوا كَزولة وأصاروهم في جملتهم ... وغلبوا على القصور التي بتلك المواطن في سوس ونول ..." (*العبر*، ج 6، ص. 138 - 137).

وهكذا فإن حصيلة المسار الذي سارت عليه القبائل الهلالية في جملتها قد أفضت إلى نوع من استنزاف المقومات العسكرية التي دعت إلى استقدامها أول الأمر فلم تلبث أن لبست لبوس بقية القبائل المغلَّبة الغارمة المحيطة بها. ومن أهم ما نتج عن هذا الوضع أن تقوت وتيرة الامتزاج بين مختلف هذه العناصر المتجاورة فترتب عن ذلك تعريب ساكنة السهل وبداية تعريب أهل التل مع تأثر عربية الجميع بلسان الأمازيغ نطقا وصياغة وقاموسا. وبما أن التفاعل اللغوي يقتضي الأستناد إلى تفاعل حضاري أوسع، فلقد كانت النتيجة النهائية أن تميز سكان السهول الغربية أساسا عن بقية الأهالي كعرب (أو عْرَبْ، عْروبيَّة) متميزين لغة وسلوكا عن ساكنة الجبل بالدرجة الأولى.

وموازاة مع هذا التطور، يلاحظ أن ذوي حسان بأقصى الجنوب قد استغلوا مهادنة الدولة المرينية وضعفها ابتداء من منتصف القرن الثامن فاكتسحوا السوس رغم صمود قبائل جزولة طوال القرن التاسع للهجرة وحتى أوائل القرن الموالي. ومن أبرز تجليات هذا الاكتساح أن بعض فصائل هذا القبيل قد أسهمت في الصراع القائم بين البرتغاليين والأهالي حول مرفإ "سانتا كروز" بموقع مدينة أكادير الحالية فلم تتردد في التعامل مع الغزاة والوقوف في وجه المقاومة المحلية إلى أن

حُسِم الأمر بقيام الحركة الجهادية والتفافها حول الأشراف السعديين. ولعل من بين نتائج هذا الوضع أن لجأت الدولة السعدية بعد قيامها إلى استخدام هذه الفصائل بزعامة "الشبانات" على الخصوص ضمن قبائل "الگيش" "مع ترسيم وضعها كما سبق أن رُسِّم وضع القبائل الهلالية على يد الموحدين من قبل. ومعلوم أن قبائل معقلية أخرى قد انطلقت من بلاد الواحات بالجنوب الشرقي لتتسلل نحو الشمال عبر ممرات الأطلس المتوسط مع نهاية القرن التاسع فلم يفلح في الاستقرار من بينها إلا قبيلة زعير بأكملها على الأرجح. ومعلوم من جهة أخرى أن معظم هذه القبائل من ذوي منصور كغيرها من القبائل النازلة بالتخوم الشمالية ـ الشرقية من ذوي عبيد الله لم يكن لها أن تنفذ نحو الجهات الغربية وتستقر بها إلا عندما دخلت في ركاب الدولة العلوية الناشئة كقبائل خادمة من قبائل "الگيش" كالأوداية على الأخص. مما أدى إلى نوع من إعادة تجربة القبائل الهلالية عبر العلاقة الهيكلية القائمة بين كل من التجربتين وبين مختلف الأطراف المكوِّنة من الدولة والمجال وساكنة المجال. خصوصا وأن هذه الموجة المعقلية قد عرفت نفس مآل الموجة الهلالية الأولى على المستوى الحضاري العام كما يتبين من خلال ما هو قائم من اندماجها في المحيط المستقبل على مستوى اللغة والتقاليد بينما ظلت القبائل المعقلية المقيمة بالصحراء محتفظة بلهجتها الخاصة وأعرافها المتميزة العريقة إلى اليوم.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، ليدن، 1948، ج 1، 23 ـ 28 و42 ـ 44 ؛ القسم الثالث، تطوان، 1960 ؛ ابن خلدون، *كتاب العبر*، بيروت، 1959، ج 6، 23 ـ 141 ـ 572 ـ 577 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الترجمة العربية، الرباط، 1400 / 1980، ج 1، 34 ـ 47 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، تطوان، د. ت. ج 2، 167 ـ 168 ؛ ج 3، 167 ـ 168 أيضا، ج 4، 98 ـ 105 ؛ *المعسول*، الدار البيضاء، 1960 ـ 1961، ج 19، 148 ؛ م. القبلي، "*حول التحركات البشرية بمجال المغرب الأقصى ...*"، ضمن الدولة والولاية والمجال بالمغرب الوسيط، توبقال، الدار البيضاء، 1997.

Encyclopédie de l'Islam (2ème éditionà, I, 548 - 550 ; III, 398 - 399 ; VI, 138 - 141 ; G. Marçais, *Les arabes en berbérie du XIe au XIVe siècle*, Constantine - Paris, 1913 ; Id., *La berbérie et l'Orient au Moyen-Age*, Paris 1946, 2ème partie ; R. Montagne, *Les berbères et le makhzen dans le sud du Maroc*, Paris 1930 ; Id., *La civilisation du désert*, Paris 1947 ; J. Le Coz, *Les tribus Guich au Maroc*, *R.G.M.*, 7, 1965 ; A. Laroui, *L'histoire du Maghreb*, Paris 1970 ; G. Camps, *Comment la berbérie est devenue le Maghreb arabe*, *R.O.M.M.*, 35, 1er semestre 1983 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du Moyen-Age*, Paris, 1986.

محمد القبلي

ابن **العَرْبي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : Arabe - Arabi - Alarbi - Arbe - Arbi.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 311.

العَرْبي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : - Arbi - Alarvi - Arabe - Arbe.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **العَرْبي** ـ بسكون الراء ـ أسرة سلوية، أهل دين ومروءة وحرفة الحضارة، أنجبت كثيراً من الناسكين والصالحين، وآخر من عرفناه منهم الشيخ مَحمد ابن العربي من أصحاب أبي المواهب سيدي العربي ابن السائح، كان ملازما له وملحوظاً لديه كثيراً. وقد مات السيد ابن السائح وهو متكئ على صدر ابن العربي. عرفته وأنا طفل صغير شيخاً طاعناً في السن معتكفاً بركن في مؤخر قبة الزاوية التجانية بسلا، ابيضّ شعره وعليه نورانية وهيبة، نظيف الثياب، كنت أزوره صحبة والدي كلما ذهبنا إلى الزاوية وكنا كثيري التردد عليها، فأصبح يعرفنا ويدعو لي بخير.

كان بعض التجانيين يلتفون حوله أو يستدعونه إلى بيوتهم مع فقراء الزاوية لإكرامهم، فكان كثير الانصات وإذا أراد أن يعلق على مجرى الحديث لا يتحدث إلاّ بما سمع من سيدي العربي ابن السائح، يبدأ كلامه هكذا : "سمعت مولانا السيد يقول ..." وربما ذكر الظروف والملابسات التي أحاطت بهذا الكلام. ولا أتحقق بتاريخ وفاة هذا الرجل الصالح إلاّ أنه أقدّره تقديراً حوالي سنة 1369 / 1950 بعد انتقالي إلى أزرو.

ابن **العربي، إبراهيم** بن أحمد السلوي، فقيه فلكي مشارك، أديب شاعر، جميل الصورة، رخيم الصوت، بارع الخط، أريحيّ كريم، درس بمسقط رأسه على شيوخ سلا أمثال أحمد بن خالد الناصري، وعبد الله ابن خضراء، وعلي بن محمد عواد، ونسخ عدة كتب بخطه الجميل.

عمل في العهد العزيزي كاتباً بمرسى الدار البيضاء، وفي العهد اليوسفي عدلاً لنظارة الأحباس بالدار البيضاء أيضاً، وأسند إليه في نفس الوقت التوقيت بمسجدها الأعظم، وكان على صلة بالأدباء الفاسيين في هذه المدينة، وله معهم مساجلات شعرية، مثل *القصيدة الدالية* التي ذيل بها همزية الأديب يحيى الصقلي المسماة : *الخريدة الغيداء في وصف الدار البيضاء*. وهي مطبوعة.

أصبح المترجم بعد أن رجع إلى مسقط رأسه قيماً على الأمداح النبوية بالزاوية التجانية، وكان ماهراً في طبوعها الموسيقية، مقدماً في تصريفها بدون منازع.

له *كناشة الأمداح النبوية* مشتملة على *البردة والهمزية وبانت سعاد*، وعلى مجموعة كبيرة من الصنائع والبراول وكلام القوم أمثال رباعيات عبد الرحمن المجذوب وغيره من شعراء الملحون، كل ذلك منظم حسب مقتضيات الطبوع

الموسيقية. وعند والدي نسخة من هذا الكناش كتبها ملونة بعناية بخطة الجميل إلا أني لا أدري إن كانت كاملة أو مختصرة فقد حفظ والدي المديح النبوي وأتقن صنعته على يد الشيخ إبراهيم ابن العربي لمدة سنين طويلة كان يحضر معه في حلقات الإنشاد بالزاوية وفي حفلات خاصة، بل وبباب دكانه المجاور له في القيسارية، إذ كانا معا تاجرين في القماش. وبعد وفاة المترجم خلفه والدي في تسيير حلقات الأمداح بالزاوية لنحو أربعين سنة.

يذكر له أيضاً *ديوان شعر*، لكن لم نطلع عليه. توفي بسلا يوم الأربعاء 14 ربيع الأول عام 1345 / 22 شتنبر 1926.

ع. الله الجراري، من *أعلام الفكر*، الرباط، 1971، ج 2، 262 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 : 2960 ؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة*، الدار البيضاء، ص. 306 ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 1996، ص. 191.

محمد حجي

ابن **العربي**، أبو **بكر** محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي المعافري - نسبة إلى معافر بن يعفو بن مالك، ينتهي نسبه إلى قحطان.

ولد بإشبيلية وبها نشأ وتعلم، حذق القرآن وهو ابن تسع سنين، ولم يبلغ 12 من عمره حتى أتقن القراءات العشر، وجمع فنونا من العربية، وتمرن على الأدب والشعر.

ومن شيوخه في هذه المرحلة أبو عبد الله السرقسطي، وخاله أبو القاسم الهوزني.

وزر والده للمعتمد بن عباد الذي ثل عرشه المرابطون عام (484 - 1091)، وفي السنة بعدها (485 - 1092) - رحل إلى المشرق هو وولده أبو بكر - وكان طريقهما على القيروان، فأبحرا من المهدية إلى الأسكندرية، ودخلا القاهرة وهي تحت حكم العبيديين، فلم تطل إقامتهما بها، وتابعا سيرهما إلى القدس، فوصلاها والحكم فيها للسلجوقيين، وكانت هناك مدارس لمختلف المذاهب، فكان أبو بكر يتردد عليها جميعا حيث أخذ عن الرميلي، والزوزني، والصافي، وابن مرزوق، والزنجاني، وابن الكازروني. ولازم أبا بكر الطرطوشي طويلا، فقرأ عليه الجدل، وعلم الكلام، ومسائل الخلاف - وهي علوم لم تكن تعرفها يلاد الأندلس. وتجول في ربوع القدس، وشرق الأردن، وزار عدة قرى، ودخل مدينتي نابلس وعسقلان، ومكث بهما بضعة أشهر.

وفي إطلالة سنة (489 - 1095)، ركبا البحر إلى عكا، ومنها إلى دمشق وهي بلد علم وأدب وحضارة، اتخذها السلجوقيون عاصمة لهم، نافسوا بها بغداد وخراسان ؛ وقد سمع بها أبو بكر من أبي الفتح المقدسي، وأبي محمد الاكفاني، وأبي الفضل بن الفرات، وأبي سعيد الهروي ؛ لكنه سرعان ما انتقل عنها إلى بغداد - صحبة والده - وهي أملهما المنشود، وكان وصولهما إليها في رمضان من نفس السنة (489).

وما إن استقر بهما المقام، حتى تحرك ركب الحجاج إلى البقاع المقدسة، فحرك فيهما كوامن الشرق لأداء فريضة الحج، فالتحقا بالركب، وبعد أداء مناسك الحج، زارا المدينة ؛ وقد سمع أبو بكر بالحرم الشريف من طراد الزينبي، والحسين الطبري، وثابت بن بندار الحمامي، وأبي محمد اليابري - شيخ الزمخشري.

ثم عادا إلى بغداد، وواصل أبو بكر مسيرته العلمية، فأخذ عن كبار المشايخ، كالشاشي، وأبي القاسم الطوسي، والمبارك بن عبد الجبار، وابن طرخان التركي، والتبريزي، وأبي الحسين بن الفراء، وأبي المطهر الاصبهاني ؛ واختص بأبي حامد الغزالي، وقرأ عليه مختلف كتبه، وتوثقت الصلة بينهما حتى صار من مريده السالكين. ولم يقتصر نشاط ابن العربي على الجانب العلمّي، بل تجاوز ذلك إلى الميدان السياسي، فقد قام هو ووالده باتصالات مع الوزير عميد الدولة بن جهير، وقدما إلى الخليفة العباسي المستظهر بالله - خطابا مطولا - يذكرون فيه ما يقوم به الأمير يوسف بن تاشفين من الدعوة للخلافة العباسية، وإشاعة العدل بين الرعية، وجهاد في أعداء الإسلام - وهو في معرض طلب التقليد له بذلك.

فاستقبلهما الخليفة، وبالغ في إكرامهما ؛ ثم أصدر مرسوما بالتقليد الرسمي للأمير ابن تاشفين منوها بأعماله الجليلة، ويوصيه بحاملي الخطاب : ابن العربي، وولده أبي بكر.

فغادر أبو بكر بن العربي ووالده عاصمة بغداد إلى الإسكندرية - في حدود أواخر سنة (492 - 1098)، وما إن نزلا بها، حتى ألم المرض بوالد أبي بكر في ضيافة أستاذه الطرطوشي، ولم يلبث أن توفي في محرم عام (493 - 1099) ؛ وكان لذلك أثره في حياة أبي بكر، فاعتزل الناس، وعاش حياة الزهاد في المحارس والربط، وربما ألقى بعض الدروس في أحد المحارس.

وفي سنة (495 - 1101)، عاد إلى المغرب، فالتحق بمراكش - عاصمة المرابطين، وقدم إلى الأمير يوسف بن تاشفين مراسيم التقليد من الخليفة العباسي، فنال أبو بكر حظوة كبرى لدى اللمتونيين ؛ فولوه الشورى، ثم قاضي القضاة ؛ لكن صرامته في الحق، وتشدده في تطبيق نواميس الشريعة ؛ مما ألب عليه كثيراً من خصومه، وأثار الغوغاء في وجهه ؛ فاستقال من كل وظيف، وتفرغ للتدريس والتأليف ؛ فأقرأ بقرطبة، وإشبيلية، وسبتة، وفاس، وتلمسان، وسواها.

ومن أولاده : أبو محمد عبد الله، وكان من أهل النباهة، معنيا بالرواية وسماع العلم ؛ قتل خطأ يوم أن دخلت إشبيلية على المرابطين، فثكله أبوه، واحتسب أجره. وأبو

الحسن عبد الرحمان، يروي عن جماعة من شيوخ الحديث ـ وفي مقدمتهم والده، توفي قبل أن يبلغ مبلغ التحديث.

وقد أخذ عن أبي بكر جمهرة كبيرة من تلاميذه، من أشهرهم :

أبو نصر الفتح بن خاقان، وأبو الفضل عياض السبتي، وأبو بكر بن خير صاحب *الفهرست*، وأبو زيد السهيلي، وأبو القاسم بن بشكوال، وأبو القاسم بن حبيش، وأبو بكر بن الجد، وأبو العباس بن مضاء، وآخر من حدث عنه بالسماع أبو بكر بن حسنون ؛ وقد استوفاهم ابن الأبار في كتابه *(معجم أصحاب ابن العربي)* لكن هذا الكتاب يعتبر مفقوداً الآن.

عاش أبو بكر أيام المرابطين وصدراً من دولة الموحدين، توفي منصرفه من بيعة عبد المومن بن علي، ودفن بفاس خارج باب المحروق.

خلف ابن العربي آثاراً علمية قيمة، من أهمها في علوم القرآن :

ـ *الأحكام (الكبرى)* ط.

ـ *الصغرى*، مخطوطة، الخزانة العامة بالرباط، خع (274 ـد).

ـ *أحكام الآخرة، والكشف عن أسرارها الباهرة*، خع (928 ـ ك).

ـ *أنوار الفجر* في ثمانين مجلداً، أقام في تأليفه عشرين سنة، ظل موجودا إلى حدود القرن الثامن الهجري (*الديباج*، ص. 283).

ـ خامس *الفنون* (جزء وسط)، فسر فيه الآيات التي تحدثت عن أمم سالفة أعرضت عن آيات الله، وتمردت على شرائعه، فحقت عليها كلمة العذاب، مخطوط انفردت به، فيما نعلم الخزانة الحمزاوية، وتوجد صورة منه بـ (خع) على شريط ميكوفيلم رقم (142).

ـ سراج *المريدين*، ذكر العباس بن إبراهيم أنه وقف على نسخة منه عليها خط المؤلف (*الإعلام*، 4 / 96). وبدار الكتب المصرية صورة عن نسخة أخرى (2348 ب).

ـ سراج *المهتدين*، حذا فيه حذو (الشهاب) للقضاعي، مخطوطة خاصة.

ـ *القانون في التفسير*، توجد أجزاء منه مخطوطة، الأول بالاسكوريال مبتور الورقة الأخيرة، صفحاته (140)، والرابع بالقرويين (926)، وبدار الكتب المصرية جزآن (مجلة معهد المخطوطات العربية، م 5، ج. 1 ص. 166).

ـ صنوة قانون *التاويل*، مخطوطة تامة بخزانة أحمد بن منصور، (بزو)، المغرب. وبخع نسخة أخرى مبتورة الأخير (251 ـ ك).

ومعلوم أن هناك فرقا بين التفسير والتأويل، فحاول ابن العربي أن بضع قوانين وأصولا لكل.

ـ *الناسخ والمنسوخ في القرآن*، خع (2024 ـ ك).

وفي الحديث :

ـ *ترتيب المسالك في شرح موطأ مالك* .

ـ *عارضة الأحوذي*، في شرح جامع الترمذي ـ 13 ـ جزءاً ط.

ـ *رسالة في حديث عقبة بن عامر*.

ـ *رسالة في أحاديث المصافحة*.

وفي التوحيد وعلم الكلام :

ـ *الأمد الأقصى*.

ـ *العواصم من القواصم*.

ـ *المتوسط في صحة الاعتقاد والرد على من خالف من ذوي الإلحاد* ـ خع (2963 ـ ك)

ـ وله عليه شرح أسماء (المقسط، في شرح المتوسط) لم أقف عليه.

ـ *الوصول، إلى معرفة الأصول*.

وفي الفقه :

ـ *الإنصاف، في مسائل الخلاف*.

ـ *التقريب والتبيين في شرح التلقين*.

ـ *الرسالة الحاكمة*.

ـ *المحصول في علم الأصول*.

ـ *كتاب النكاح : فرائضه، وسننه، وآدابه*، دار الكتب المصرية (97 ـ مجاميع).

وفي الأدب :

ـ *حواش على شرح ابن السيد البطليوسي*.

وفي السير والرحلات :

ـ *ترتيب الرحلة*.

ـ وجرد منه أوراقا اسماها (*شواهد الجلة والأعيان، في مشاهير الإسلام والبلدان*) ـ خع ـ ضمن مجموع (1000 د).

فابن العربي عالم موسوعي، فهو : مفسر، ومقرئ، ومحدث، وفقيه، وأصولي، ولغوي، وأديب، ورحالة ؛ وقد ألف في هذه المعارف جميعها ـ كما نجد ذلك في مصادر ترجمته.

ابن الأبار، *التكملة*، ط مجريط، 1887 ؛ ابن بشكوال، نشر *العطار*، 1955 ؛ ابن حزم، جمهرة *أنساب العرب*، ط. دار المعارف، 1962 ؛ ابن خاقان، *الفتح مطمح الأنفس*، مصر، 1908 ؛ ع الرحمان ابن خلدون، *المقدمة* ؛ *العبر*، بيروت، 1956 ؛ ابن خلكان، *الوفيات*، مصر، 1948 ؛ ابن العربي، *الأحكام الكبرى*، القاهرة، 1967 ؛ *قانون التأويل*، *مخطوطة خاصة* ؛ أعراب سعيد، مقالات نشرت بمجلة، دعوة *الحق*، 1979 ؛ م. الذهبي، *تذكرة الحفاظ*، بيروت، 1954 ؛ م. صغيري، *تحقيق قانون التأويل*، رسالة دبلوم، مرقونة ؛ عامر طالبي، *آراء أبي بكر بن العربي الكلامية*، بيروت، 1976 ؛ ي. عياض الغنية، فهرسة شيوخه، ليبيا ـ تونس، 1978 ؛ ح. الكتاني، سلوة *الأنفاس*، ط. حجرية بفاس، 1898 ؛ كواتشكو فسكي، *تاريخ الأدب الجغرافي العربي*، *النص العربي*، 1963 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض في أخبار عياض*، مصر، 1939 ؛ *نفح الطيب*، بيروت، 1968.

سعيد أحمد أعراب

ابن **عربي الحاتمي** محيي الدين، أبو بكر أو أبو عبد الله ويدعى عادة ابن عربي الحاتمي ـ بحذف أداة التعريف تمييزا له عن القاضي محمد بن عبد الله ابن العربي المعافري الإشبيلي. ولد سنة 560 / 1165 بمرسية بالأندلس من أسرة عربية من قبيلة حاتم الطائي.

وقد عرفت أسرته بالمجد العتيد والمكانة المرموقة، مع التدين ووفرة التقوى، مما أهل ابن عربي لتكوين روحي متميز اشتهر به وهو غلام ما بقل وجهه، وقد سمع ابن رشد الفيلسوف بشهرته تلك وهو بقرطبة فطلب من والد ابن عربي ـ وكان صديقه ـ أن يلتقي بابنه. وقد وصف لنا ابن عربي هذا اللقاء بتفصيل (*الفتوحات*، 1 : 153 ـ 154).

لقد كان ابن عربي مهتما غاية الاهتمام بتربيته الروحية ومجاهدة نفسه منذ طفولته المتأخرة ومرحلة شبابه، فعمل على الاجتماع بشيوخ التصوف رجالا ونساء والأخذ عنهم وقراءة كتبهم، فأخذ بإشبيلية عن أبي عمران موسى بن عمران الميرتلي وأبي الحجاج الشبربلي، وأبي يعقوب يوسف بن يخلف الكومي (تلميذ أبي مدين) وعبد الله المغاوري وأبي العباس العريني وفاطمة بنت ابن المثنى القرطبي وغيرهم. هذا إلى جانب شيوخه في القراءات كمحمد بن خلف اللخمي وأبي بكر محمد بن أحمد بن حمزة، وفي الحديث كابن زرقون الأنصاري، ودرس كتب ابن حزم على تلميذه أبي محمد عبد الحق الإشبيلي. وبعدما تمكن حاله واستوى في العلم نصابه، اتجه ابن عربي إلى حياة السياحة والتجوال باحثا ومستفسراً وملقنا ومناقشا ومؤلفا، وكانت قرى الأندلس ومدنه بداية تلك السياحة، وقد ألف خلالها بمدينة مورور كتابه "*التدبيرات الإلهية*"، إلا أن روحه التواقة دفعته لركوب البحر والتوجه إلى إفريقية سنة 590 / 1193 وكان هدفه الالتقاء بالشيخ الإشبيلي الكبير أبي مدين الغوث الذي أسس مدرسة صوفية بمدينة بجاية، وكثيراً ما ذكره ابن عربي على أنه من شيوخه. وفي تلك السنة التقى في تونس بولد الشيخ ابن قسي (تـ. 546 / 1151) الذي روى عنه كتاب أبيه "*خلع النعلين*" (قمنا بدراسة وتحقيق ونشر هذا الكتاب، ط 1، 1997، المغرب)، وفي نفس السنة يعود ابن عربي إلى الأندلس بعدما زار تلمسان. وفي سنة 591 / 1194 اجتاز العدوة للمرة الثانية متجها إلى فاس وكان حينها يعقوب المنصور الموحدي قد جهز الجيوش واتجه للأندلس لخوض غمار معركة "الأرك" التي انتصر فيها الموحدون بقيادة المنصور انتصاراً باهراً على ألفونسو الثامن، وكان ابن عربي مهتماً بمصير الجيوش الإسلامية ولعل انتصارها بالأندلس جعله يعود مرة أخرى إلى إشبيلية سنة 592 / 1195 ولم يطل به المقام هناك، حيث عاد سنة 593 / 1195 إلى فاس وسمع عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن قاسم التميمي الفاسي بقراءته كتابه : "*المستفاد في ذكر الصالحين من العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد*"، وبفاس كان يعتكف على العبادة والدراسة بجامع الأزهر ويختلي بنفسه مجاهدة في بستان ابن حيون، وفي هذا البستان كان يقصده المريدون للأخذ عنه وسلوك الطريق على يديه، ومن الذين كانوا يحضرون مجلسه الشيخ أبو عبد الله الدقاق وأبو العباس الحصار. وبفاس عانى ابن عربي بعض مواجده الصوفية من حالات التجلي.

ويبدو أن السلطات الموحدية كانت تتخوف من الحركات الصوفية فتنظر إليها بشيء من الحيطة والحذر لما صاحب تلك الحركات من انتفاضات سياسية في التاريخ الإسلامية، وربما كان هذا الأمر من بين الأسباب التي جعلت ابن عربي لم ينل حظوة عند الخليفة الموحدي خاصة وأنه يشير إلى ما كان له من موقف إزاء المعونات الغذائية التي قدمها أبو يعقوب المنصور الموحدي بسبتة لأتباع الشيخ أبي محمد عبد الله إبراهيم المالقي، وهو موقف أوقع الشيخ وأتباعه في حرج وترتب عنه كلام جرى بين يعقوب المنصور وابن عربي أفضى إلى كلام "يوجب وغر الصدور ويضع من القدر" (*الفتوحات*، مج 4 : 540، وقارن : ابن عربي : *الدرة الفاخرة عند حديثه عن الشيخ عبد الله بن إبراهيم المالقي*)، ولعل موقف يعقوب المنصور من أبي مدين الغوث وخوفه من أن يكون له مع الموحدين ما كان للمهدي مع المرابطين فعمل على حمل أبي مدين إليه ليمتحنه ولكنه توفي في الطريق بتلمسان سنة 594 / 1197، لعل هذا الموقف للسلطة من الصوفية عامة كان عاملا في ما نشأ من نفور بين ابن عربي والخليفة يعقوب المنصور، وكان ختامها أن جرح ابن عربي في كرامته. ويعود ابن عربي في أواخر سنة 594 / 1197 إلى الأندلس فيدخل غرناطة في أوائل 595 / 1198، ويدخل مرسية ثم ألمرية وكانت مركزاً صوفياً كبيراً يرأسه أبو عبد الله الغزال تلميذ ابن العريف (536 / 1141)، وفي ألمرية ألف ابن عربي كتاب "*مواقع النجوم*" وهي محاولة رمزية فلكية لمقاربة مراحل الطريق الصوفي، وفي نفس السنة حضر بقرطبة مراسيم دفن ابن رشد الفيلسوف (*الفتوحات*، مج 1 : 154) وفي سنة 597 / 1200 يركب ابن عربي البحر ويتوجه لمراكش عاصمة دولة الموحدين ويلتقي فيها بالصوفي الكبير أبي العباس السبتي، وبمراكش تظهر له تجليات صوفية يؤمر خلالها بالتوجه إلى فاس للالتقاء بمحمد الحصار والذهاب معا للشرق، وفي طريقه إلى الشرق ظهرت له مواهب روحانية فدخل بجاية سنة 597 / 1200 وفي سنة 598 / 1201 دخل تونس وأقام بها تسعة شهور حيث بدأ تأليف كتابه : "*إنشاء الدوائر والجداول*" ببيت الشيخ أبي محمد عبد العزيز والكتاب شرح لنظرية ابن عربي الكونية بأشكال هندسية، وفي نفس السنة بلغ مكة وهناك ذاع صيته، وألف ديوانه الشعري "*ترجمان الأشواق*"، ومن مكة زار ابن عربي بلاد العراق ثم عاد لمصر وكاد الفقهاء أن ينكلوا به ولكنه سلم من كيدهم وقصد مكة سنة 604 / 1207، ثم توجه نحو قونية في آسيا الصغرى فخرج الملك كيكاوس الأول لاستقباله بحفاوة ومنحه دارا فخمة ما لبث ابن عربي أن وهبها لفقير. وهنا بلغ ابن عربي أوجه الصوفي ومجده واشتهر بتجلياته

الصوفية، وبدأ المريدون يقصدونه، فكان من أشهرهم صدر الدين القونوي، ثم ساح في آسيا الوسطى وتوجه في سنة 608 / 1211 إلى التعرف على صوفي مشهور هو شهاب الدين عمر السهروردي (تـ. 632 / 1234) صاحب كتاب "*عوارف المعارف*" الذي قال عن ابن عربي "إنه بحر الحقائق"، وفي سنة 611 / 1214 شرح ابن عربي ديوانه "*ترجمان الأشواق*" بكتاب سماه "*الذخائر والأعلاق*" دفعا للشبهات التي أثارها بعض الفقهاء حول الديوان. ولقي ابن عربي حفاوة وتقديراً منقطعي النظير من سلاطين بني أيوب كالسلطان الظاهر صاحب حلب (تـ. 613 / 1216) وسلطان حمص أسد الدين شيراكوه (تـ. 637 / 1239) الذي أغدق مالا كثيراً على ابن عربي الذي كان يزهد فيه ويتصدق به جميعا. واستقر بابن عربي المقام في دمشق ابتداء من سنة 620 / 1223 وكان الحاكم آنذاك هو الملك المعظم ابن الملك العادل (تـ. 625 / 1227) وكانت صلته بابن عربي صلة المريد بشيخه. وفي تلك المرحلة الأخيرة من حياة ابن عربي اغتنت تجلياته الصوفية وكثرت خواطره في الطريق وفاض عليه الفتح بالإلقاء السبوحي والنفث الروحي فظهر له النبي (ص) في نهاية محرم سنة 627 / 1229 بدمشق وسلمه كتاب "*فصوص الحكم*" وأمره بنشره بين الناس : وهو أهم كتاب لابن عربي في الكشف الصوفي، وفي سنة 636 / 1238 أنهى ابن عربي كتابة النسخة الثانية من كتابه الضخم "*الفتوحات المكية*".

وسواء اعتبر ابن عربي فيلسوفا أو صوفياً أو حكيماً إلهيا أو وارثا محمدياً أو ولياً، فمما لاخلاف فيه أنه بمؤلفاته التي تفوق أربعمائة كتاب يعد من بين مفكري الإسلام الأكثر عطاءً ونتاجاً.

ولاشك أن الطابع الاصطلاحي لمؤلفات ابن عربي يمكن المتتبع لها من الارتواء من نبع روح دقيقة فياضة غنية باللوينات والإيحاءات المؤثرة، ولكنها في نظر معارضيه لا تعدو أن تكون مفاهيم غامضة وباطنية وهي بذلك علامات عشوائية.

لقد أثار مذهب ابن عربي الصوفي ردود أفعال متباينة مازالت أصداؤها تتردد إلى اليوم. فمن الرافضين له رفضا باتا شيخ الإسلام ابن تيمية (تـ. 728 / 1328) الذي رغم إعجابه به لم يجد حرجا في نقده وحشره في زمرة أهل الحلول والاتحاد (را : ابن تيمية *الرد الأقوم على ما في كتاب فصوص الحكم*. والقسم 1 و4 من رسائل ابن تيمية)، ويذهب ابن القيم الجوزية (تـ. 751 / 1350) إلى اتهام ابن عربي بالإلحاد لأن مذهبه يدعو إلى الاتحاد بين العبد والرب، ومن الصوفية المنتقدين لابن عربي المتهمين إياه بالقول "بوحدة الوجود" التفتزاني (تـ. 791 / 1389) والقاري الهروي (تـ. 1014 / 1605) ونضيف لهؤلاء ابن خلدون (تـ. 828 / 1406) (*المقدمة*). على أن مذهب ابن عربي أثار لدى آخرين إعجابا وتفهما واعتبروا أن المنتقدين أخذوا الآراء مأخذا خاطئا ولم يحسنوا فهمها. ومن هنا، نرى هذا الاتجاه يقوم مدافعا عن ابن عربي شارحا دلالة "مذهب وحدة الوجود". هذا المصطلح الذي استعمله أول مرة صدر الدين القونوي (تـ. 672 / 1273) في كتابه "*مفتاح الغيب*" وتابعه في الدفاع عنه الشيخ عبد الغني النابلسي (تـ. 1143 / 1730) ووجيه الدين العيدروس (تـ. 677 / 1278) في رسالته "*لطائف الجود في مسألة وحدة الوجود*" والشيخ أحمد بن عجيبة (تـ. 1225 / 1810)، يضاف لهؤلاء شراح *فصوص الحكم* وهم كثيرون استمروا منذ صدر الدين القونوي حتى بداية القرن السابع عشر الميلادي (الحادي عشر الهجري)، وكلهم ينزلون ابن عربي منزلة الولاية الكبرى ومقام الشيخ الأكبر ويفسرون أقواله ويوضحون الدلالات الخفية في مذهب "وحدة الوجود" من حيث إنه مذهب يقرر على لسان ابن عربي أن "الحق خلق وما الخلق حق" وليس في هذا اتحاد ولا حلول ولا نفي للذات العلية وصفاتها، وإنما هو معرفة ذوقية لا تفصل الخلق عن الخالق، كما لا توحد بين الخالق والمخلوق.

والحقيقة أن ابن عربي ترك آثاراً عميقة جداً في كثير من مدارس الحكمة الإلهية والطرق الصوفية، وشمل أثره الأدباء المسلمين من عرب وفرس وأتراك وغيرهم.

ويمكننا بهذا الصدد إلحاق آراء الشيخ عبد الكريم الجيلي (تـ. 820 / 1417) وأمثاله بالمدرسة الأكبرية (الشيخ الأكبر = ابن عربي)، ولا ننسى أثر الأكبرية في الفلاسفة الإشراقيين أمثال شهاب الدين السهروردي (تـ. 586 / 1190) وجميع شراحه وأتباعه، وكذا في مختلف فروع طريقة نعمة الله، وبوجه عام في التصوف الشيعي، كما أن الأكبرية استلهمتها الحركات الباطنية (العلوية والبكتاشية وأهل الحق). ومن المتأثرين بابن عربي والحاملين راية الأكبرية في القرن العشرين نذكر الأمير عبد القادر الجزائري في كتابه "*المواقف*". هذا عن أثره في العالم الإسلامي، أما في العالم المسيحي الأوروبي فيؤكد أسين بلاثيوس تأثير ابن عربي في كل من ريموندو لوليو ودانته (*ابن عربي حياته ومذهبه* : ترجمه عبد الرحمن بدوي، ص. 99).

توفي في سنة 638 / 1240. وافته المنية بدمشق في منزل ابن الزكي يحيط به أهله ومريدوه فدفن خارج دمشق في قرية الصالحية على سفح جبل قاسيون، وقد عظم مقامه العثمانيون فأمر سليم الثاني بن سليمان الكبير (986 / 1578) ببناء مسجد باسمه ومدرسة كبيرة على ضريحه ورتب الأوقاف عليهما.

ابن عربي الحاتمي، *فصوص الحكم*، تح. د. أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1980 ؛ *الفتوحات المكية*، دار الفكر، بيروت، د. ت ؛ ابن قسي، *خلع النعلين واقتباس النور من موضع القدمين*، تح. د. محمد الأمراني، ط 1، المغرب، 1997 ؛ أسين بلاثيوس، *ابن عربي حياته ومذهبه*، تر. د. عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، 1979 ؛ علي شودكيفيتش، *الولاية والنبوة عند محيي الدين بن العربي*، تر. د. أحمد الطيب، ط 1، دار القبة الزرقاء للنشر، مراكش، 1999.

C. Addas, *Ibn Arabi et le voyage sans retour*, Paris, 1996.

محمد الأمراني

ابن **العربي، الصديق** إنسان نبيل، وعالم جليل، ووطني صادق، همه من الحياة :

كفاف عيش كفاني ذل مسألــة　　　وخدمة العلم حتى ينقضي أجلي

إنه الأستاذ الصديق بن إبراهيم بن أحمد بن العربي السلاوي. ولد عام (1329 / 1911) من أب سلاوي يرجع أصله إلى منطقة الشاوية ومن المهتمين بالأدب وقرض الشعر. لما بلغ الطفل سن التلقي أدخله والده إلى كتاب قرآني بمدينة الدار البيضاء التي كان يعمل بها الأب موظفا بميناء المدينة أيام السلطان مولاي عبد العزيز وعدلا أيام السلطان مولاي يوسف، ومعدلا بالمسجد الأعظم. بعد حفظه القرآن الكريم التحق بمدرسة النجاح فدرس بعض المتون على يد الفقيه أبي بكر الزيراوي، وعلى يد محمد الزيراوي، والأديب محمد بليماني الناصري. كما حضر المجالس العلمية التي كانت تعقد بمساجد البيضاء.

وبعد وفاة والده سنة (1345 / 1926) رجع إلى مسقط رأسه سلا حيث واصل دراسته العلمية بمساجدها، فدرس على ثلة من علمائها مثل :

عبد النبي، وزين العابدين بنعبود، والشدادي، وغيرهم.

وفي سنة (1346 / 1927) التحق بالمدرسة الابتدائية، ومنها إلى الثانوي، وفي هذه الأثناء عكف مع زميله المرحوم سعيد حجي على التثقيف الذاتي من قراءة ومطالعة في المنزل، والمكتبات. وانهمكا معا على تعلم مبادئ اللغة الفرنسية والانجليزية.

لما أسس سعيد حجي جريدة *(الوداد)* التي كانت تصدر بخط اليد، اشتغل معه مدة طويلة إلى أن سافر حجي للمشرق لإتمام دراسته، فاشتغل كاتبا مع أحد التجار ثم موظفا بالمطبعة الرسمية مدة سنتين، وفي هذه الأثناء تعرف على بعض الوطنيين من سلا والرباط.

وفي سنة (1352 / 1933) اشتغل موظفاً بمصلحة المالية قسم الترتيب بالرباط أولا، ثم الدار البيضاء، ومراكش، وآسفي، والقنيطرة. ولما لاحظت السلطات الاستعمارية اتصالاته بالمنظمات الوطنية فصل من عمله.

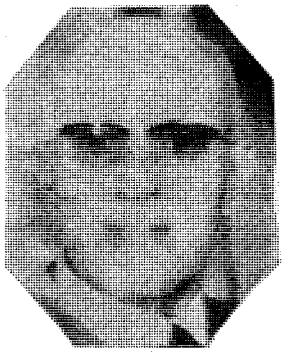

ولما عاد سعيد حجي من الشرق أسس مطبعة الأمنية بالرباط عام (1359 / 1940) اشتغل معه مشرفا على المطبعة إلى جانب إدارة جريدة *(المغرب)*، إلى جانب مساهمته في التصحيح والتحرير.

وفي سنة (1361 / 1942) انخرط في الحزب الوطني، وكان من السباقين للتوقيع على وثيقة الاستقلال يوم 11 يناير 1944، فأدى ضريبة هذا التوقيع بين السجن، والتعذيب، والتشريد.

وعندما صدرت مجلة *(رسالة المغرب)* برئاسة الفقيه محمد غازي عمل بجانبه في الإشراف والكتابة. وتأتي سنة (1366 / 1946) لتحمل ميلاد جريدة (العلم) التي عمل فيها من أول عدد لها إلى أن أوقفها المستعمر سنة (1372 / 1952). كان عمله في هذه الجريدة موزعا بين المطبعة والتصحيح والإدارة والكتابة، كما أضيفت له مهام أخرى كقيم وأمين على الشؤون المالية للجريدة.

وفي أعقاب الأحداث الخطيرة التي وقعت سنة (1373 / 1953) اتجه إلى ميدان التعليم، فاشتغل أستاذاً لمادة التاريخ بمدرسة النهضة السلاوية إلى أن نال المغرب استقلاله، فانتقل إلى مدارس محمد الخامس بالرباط، ومنها عين في حكومة الاستقلال الأولى كاتبا في أول سفارة مغربية بتونس. وبعد مضي سنة على هذا التعيين قرر العودة إلى المغرب، فعمل بوزارة الخارجية، ثم استقال من عمله، ورجع إلى الصحافة والتعليم، فاشتغل مدة في جريدة *(العلم)*، ثم أستاذاً في مدارس محمد الخامس لعدة شهور.

وفي سنة (1378 / 1958) عين محافظا لخزانة ابن يوسف العتيقة فأعطى لهذه الخزانة من صحته ووقته وعلمه ما لم يعطه أي محافظ آخر. ووضع فهارس مختلفة، للمخطوطات والمطبوعات، وأنشأ قسما خاصا بالفتيات، وقسما خاصا بالأطفال، كما سعى إلى استرداد ما ضاع من الكتب المعارة.

أما إنتاجه فمتنوع، فالمطبوع منه هو :

1) كتاب *المغرب* : طبع ثلاث مرات : 1952 ـ 1956 ـ 1984.

2) *فهرس مخطوطات خزانة ابن يوسف* عام 1994.

3) *نصوص*

أما مقالاته فكثيرة ومتنوعة بين التاريخ والترجمة، وتاريخ المكتبات والأدب ... وقد قمت بجمعها وستصدر في كتاب من 280 صفحة.

توفي رحمه الله يوم الثلاثاء 15 جمادى الأولى 1416 الموافق 10 أكتوبر 1995 بعد مرض ألزمه الفراش مدة (14) سنة. وأقبر بمقبرة أبي العباس السبتي. وفي ذكراه الأربعينية أقيم له حفل تأبيني برياض الثقافة (دار الباشا) شارك فيه نخبة من الأساتذة من مراكش والرباط وسلا، وجمعت هذه الكلمات والقصائد الشعرية في كتاب صدر عام (1417 / 1996).

أ. متفكر، *ذيل الاعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

ابن **العربي، عمر** ولد سنة 1929 بدوار الرباط أدا اموزك فرقة متوكة قبيلة اشمرارن بمراكش.

انخرط في صفوف المنظمة السرية للمقاومة، تشكيلة علي بركاتو التي كان يرأسها الشهيد حمان الفطواكي.

وقد عرف الشهيد منذ شبابه بالاستقامة ونقاوة الضمير ورباطة الجأش، حيث قام أيام كفاحه بعدة أعمال كحمل السلاح ونقله، كما كان يقوم بتوزيع المناشير على الفرقة ويقوم بجمع الإعانات النقدية من لدن المواطنين وبقي يواصل عمله بكل نشاط إلى أن وشي به فألقي عليه القبض في غشت 1955 حيث استشهد في أكتوبر 1955 من جراء التعذيب الذي تعرض له في زنزانة المستعمر.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 512915.

بنت **العربي، فاطنة** ولدت سنة 1929 بدوار البراهمة إقليم خريبگة.

عندما مدت يد الطغيان والظلم يدها على بطل الحرية والاستقلال محمد الخامس قدس الله روحه، هو وأسرته المالكة ونفته إلى جزيرة كورسيكا ثم إلى جزيرة مدغشقر، خرجت الشهيدة فاطنة بنت العربي إلى الشارع وهي تحمل العلم الوطني منددة بالعمل الوحشي اللامسؤول الذي قامت به سلطات الظلم والاستبداد محرضة جماهير مدينة وادي زم للجهاد، من أجل الخلاص من أغلال الحجر والاستعمار البغيض والضغط بكل الوسائل المتاحة لإرجاع الأسرة المالكة وعلى رأسها رائد الوحدة والاستقلال محمد بن يوسف إلى عرشها الشرعي واستمرت في عملها البطولي تزغرد وترشق بالحجارة عناصر الاحتلال وتوقد النار إلى أن استشهدت تحت رصاص رشاشات اللفيف الأجنبي وكان ذلك يوم 20 غشت 1955 في مدينة وادي زم.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاومة رقم 524149.

ابن **العربي، محمد** بن محمد ولد سنة 1931 بوادي زم شارك في الانتفاضة الشعبية التي شهدتها مدينة وادي زم يوم 20 غشت 1955 والتي خرج فيها المواطنون للتعبير عن استيائهم من الأعمال القمعية التي تنهجها الإدارة الاستعمارية.

وفي هذه الانتفاضة قام ابن العربي بأعمال فدائية استهدفت منشآت المستعمر، واستمر في كفاحه إلى أن استشهد برصاص العدو في نفس اليوم.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520840.

ابن **العربي، الهاشمي** ولد بناحية أبي الجعد إقليم خريبگة سنة 1907 وعندما اشتد عودة التحق بصفوف المقاومة السرية حيث عمل تحت مسؤولية الزين عبد السلام باسم مستعار وهو "العبار" طيلة فترة كفاحه أي منذ سنة 53 إلى غاية 1955. ومن أبرز أعماله نذكر، أنه قام برفقة إخوانه - المجاهدين بإضرام النار في مزرعة القائد دحو وكذا مزرعة ابنه، كما شاركوا في الهجوم على العميل المدعو ولد الحاج العربي وأحروقوا منزله كذلك تمكنوا من إضرام النار في متجر هو في ملكية أحد اليهود، وعند مشاركته الفعلية في مظاهرة 20 غشت 1955 سقط متأثراً بالإصابة التي نتجت عن طلقة نارية من سلاح العدو. وقد توفي على إثرها في نفس اليوم.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 523711.

ابن **عِرْس** أو السرعوب كما هو في المعاجم وتازلدمان وتازگاگة وتازگطا في المناطق الجنوبية المغربية وفأرة الخيل في المغرب العربي، حيوان من أصغر الثدييات الوحشية اللاحمة، يكثر نشاطه ليلا وفي مطلع النهار وعند الغروب. يصنف إلى فصيلة السرعوبيات أو السموريات (العرسيات) Mustelidae ويسمى علميا Mustela nivalis 1855 numidica Pucheran، وبالفرنسية Numidie وبالإنجليزية Numidian weasel وبالإسبانية Comadreja، وهو ضرب موطنه أفريقيا الشمالية (المغرب والجزائر) ويعيش نظيره السرعوب الأوروبي Mustela nivalis (Belette d'Europe) في أوروبا وآسيا الشمالية باستثناء المناطق الشديدة البرودة.

قوائمه قصيرة تنتهي بمخالب قوية تساعده على حفر الجحور جسمه ممدد ونحيل، مسطح الرأس طويل العنق، ذيله أسمر ينتهي بخصلة من الشعر الطويل. شعره قصير، أسمر داكن على الظهر وأبيض مصفر على البطن وأسفل العنق وعلى الواجهة الداخلية للقوائم. صيغة أسنانه كالتالي : 3 / 3 أسنان، 1 / 1 أنياب، 3 / 3 أضراس أمامية، 2 / 1 أضراس = 34 سنا.

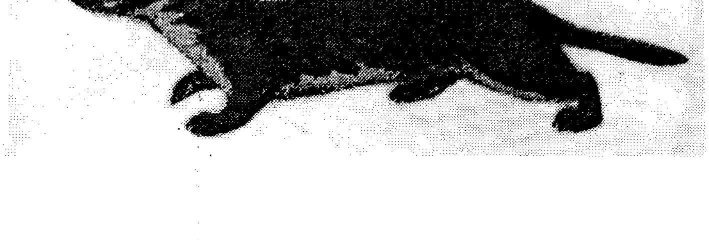

يتراوح وزن الكبار بين 75 و130 غرام ويبلغ الطول جمعا بين الرأس والجسم 20 ـ 27 سم وطول الذيل 3 ـ 6،5 سم ؛ علوه عند الغارب 3،5 ـ 5 سم. الذكور أكبر حجما من الإناث.

يعيش مزدوجا أو في مجموعات عائلية تشمل الصغار والأبوين ويتكون غذاؤه من الضفادع وفراخ الدجاج وصغار الأرانب والحشرات والقواضم وبالأخص منها فئران الحقول يبحث عنها ليلا وخلال الأيام الغائمة. تساعده نحالة جسمه وصغرها على اقتحام الجحور ليزعج طريدته ويفترسها. يحسن السباحة ويصعب عليه تسلق الأشجار. يفضل العيش في المناطق الغابوية وخواصر الجبال ذات الكسور والحقول المزروعة والمنازل المهجورة في الأرياف. شائع في سهول وهضاب وجبال معظم المناطق المغربية والجزائرية باستثناء الأوساط الصحراوية الحارة. يخشى الكواسر الليلية والإنسان.

يتوالد مرتين في السنة : في مارس ـ أبريل وفي يوليوز ـ غشت ؛ تدوم مدة الحمل حوالي 35 يوما وتلد الإناث 4 ـ 7 صغار تفتح عيونها بعد 21 ـ 25 يوما وتدوم مدة الرضاعة 4 ـ 5 أسابيع. تصير بالغة بعد سنة وتعمر حوالي 7 سنوات.

محمد رمضاني، باقع، *معلمة المغرب*، جزء، 3 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان ـ الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

A. Lakhdar Ghazal, J.P. Fartouat et M. Thevenot, *Faune du Maroc*, les mammifères, Albums didactiques, Rabat, 73 p. ; S. Aulanier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc. Trav. Inst. Sci. Série Zoologie*, n° 41, Rabat, 1986.

محمد رمضاني

العرش (عيد ـ) لم يشرع في المغرب إلا في سنة 1934 على عهد جلالة المغفور له محمد الخامس. لم يكن معروفاً لا في نشأة الدولة العلوية (1050 / 1640) ولا في ما سبقها منذ عهد الدولة الإدريسية (172 / 788) وإنما كانت تعقد البيعة عند وفاة سلطان من سلاطين المغرب للابن البكر من أنجاله من لدن كبار العلماء ونقباء الأشراف ويشارك في عقد البيعة كبار أعيان الدولة.

عند تنازل السلطان عبد الحفيظ بن الحسن عن العرش سنة 1912 بعد بسط الحماية على المغرب تولى شقيقه مولاي يوسف، فلما توفي سنة 1927 خلّف ثلاثة أبناء : إدريس النجل الأكبر، والحسن يليه، والأصغر محمد. كان من المتوقع أن يلي العرش إدريس خصوصاً وقد كان مرشحاً من لدن الحاجب السلطاني آنذاك التهامي عبابو الذي كان له نفوذ كبير على المولى يوسف. لكن أصحاب الحل والعقد اجتمعوا وعقدوا البيعة لسيدي محمد (محمد الخامس). تمت البيعة أيام المقيم العام الفرنسي طيودور سطيگ بالمغرب. وشاع أن إدارة الحماية الفرنسية كان لها ضلع في هذه البيعة، وفند هذا الزعم الفقيه محمد المعمري مؤدب محمد الخامس ورئيس تشريفاته فيما بعد مؤكداً أن ما كان يتصف به المغفور له من فطنة وحيوية وخلق متميز هو الذي أهله لتبوإ الأمانة الكبرى.

وفعلاً منذ اعتلائه العرش وخاصة بعد تحرره من الوصاية، ومحمد الخامس يبرهن عن كريم الأفضال وسمو الشمائل زيادة عما كان يتحلى به من عناية بالصالح العام. اقترن عهده بنشوء الحركة الوطنية في أعقاب استصدار الحماية للظهير البربري الذي أرادت الحماية من ورائه كسر الوحدة المغربية. وبعد نهاية المقاومة المسلحة منذ الاحتلال الفرنسي ونهاية حرب الريف بقيادة ابن عبد الكريم ضد الحماية الاسبانية، حمي وطيس المقاومة السياسية على يد فئة من الشباب انتظموا في "كتلة العمل الوطني" فأيقظوا الوعي في الداخل وشهَّروا بالاستعمار في الخارج، هذه الفئة هي التي قادت الكفاح تحت اسم "الحزب الوطني" ثم "حزب الاستقلال" بعد ذلك إلى أن تحرر المغرب سنة 1956 بعد نضال طويل التحم فيه العرش ممثلاً بمحمد الخامس والشعب مؤطراً من لدن حزب الاستقلال.

هذا الالتحام تم منذ نشأة الحركة الوطنية التي قررت تعزيز مركزها بالانضواء تحت المشروعية المتجلية في صاحب العرش ضد السيطرة الأجنبية للنضال في سبيل استرجاع السيادة المغتصبة. وهو ما جعلها تقيم عيد العرش ابتداءً من سنة 1933. احتفلت به لأول مرة يوم 18 نونبر ذكرى اعتلاء محمد الخامس العرش. أول من فكر في ذلك أحد أبناء سلا المناضلين المرحوم محمد حصار، وكان من ألمع شباب جيله تفكيراً وثقافة وتحريراً باللغتين العربية والفرنسية : دعا إلى الاحتفال بعيد تتويج محمد الخامس في مقال نشر بمجلة "*المغرب*" لصاحبها محمد صالح ميسة، وكان عنوان المقال : "الأعياد الإسلامية". تلقف الدعوة أبناء سلا والرباط وفاس، فأقاموا أول عيد للعرش سنة 1933 بعد ما تألفت لجان لهذا الغرض ونشطت في تنظيم الحفلات والدعوة لإقفال الإدارات والمدارس والمتاجر وتزيين الشوارع والتحلي بأحسن الملبوس وتبادل الزيارات والتهاني وتوجيه برقيات التهاني لجلالة محمد الخامس.

تنبهت إدارة الحماية الفرنسية لمغزى هذا العيد وما يرمي إليها من صحوة وتشبث بالمشروعية وما يستهدفه من استرجاع السيادة الوطنية فوقفت ضده محاولة أن تقضي عليه في المهد باعتقال بعض دعاته. لكن الشعب احتضنه فلم تمر سنة حتى عم الاحتفال به المغرب بأسره، فاضطرت الإدارة أمام الأمر الواقع لأن تعترف به ومالبث أن صدر قرار وزاري فأصبح عيداً وطنياً رسمياً إلى يومنا هذا.

بالإضافة إلى ما أصبح يتسم به هذا العيد من أفراح، فقد اغتنمه جلالة المغفور له محمد الخامس مناسبة لإلقاء خطاب جامع يستعرض فيه إنجازاته السنوية في جل المجالات ويبين برنامج أعماله في المستقبل. منذ 1944 أي منذ إعلان وثيقة المطالبة بالاستقلال أصبح خطاب العرش خطابا سياسياً يوضح فيه العاهل آراءه في القضايا الوطنية المطروحة والحلول التي يرتئيها : ما انجز منها، وما فاتح به الدوائر الفرنسية سواء في رحلاته إلى فرنسا أو في مذكراته لحكومة

باريس وينتظر الإجابة عنها. هذه الخطب اكتسبت أهمية كبرى فأصبحت بمثابة ميزان الحرارة يقاس بها تطور العلاقات المغربية ـ الفرنسية خاصة بعد رحلة محمد الخامس إلى طنجة سنة 1947، وآخر خطاب له في عهد الحماية سنة 1951 طرح فيه الحالة بكل صراحة قبل أن يتم خلعه ونفيه.

وبعد الاستقلال استأنف الشعب المغربي الاحتفال بعيد العرش في عهد محمد الخامس وخلفه جلالة المغفور له الحسن الثاني ونجله من بعده جلالة محمد السادس نصره الله.

قاسم الزهيري

ابن **عرضون الزجلي أحمد** بن الحسن بن يوسف، من أسرة عربية قرشية الأصول، أقامت بقبيلة بني زجل الغمارية. ولد بمدشر أدلدال شرقي مدينة شفشاون سنة 948 / 1541، ونشأ في وسط علمي، بقرية تلنبوط من نفس القبيلة، حيث كان أبوه خطيباً ومدرساً بمسجدها، ومن أعيان القبيلة.

حفظ المترجم القرآن الكريم، وكثيراً من الشعر، وكان له اهتمام بالأخبار وهو مازال حدثا، كما أخذ عن عمه عمر بن عرضون ؛ ثم تابع مسيرته التعليمية فتلقى مبادئ العلم على يد بعض فقهاء منطقته التي كانت في القرن العاشر (16 م) تعرف نهضة علمية ملموسة، فدرس على أبي محمد عبد الله الهبطي وسليمان بن أبي هلال الملولي الزجلي وابنه أبي الحسن علي الملولي ومحمد بن عيسى بن عبد الوهاب ومحمد بن عبد الجبار وأبي حفص عمر بن عبد الوهاب الحسني.

ورحل بعد ذلك إلى فاس لإتمام مشواره العلمي بجامع القرويين، وسكن بمدرسة الحلفاويين بها، فأخذ عن المحدث النسابة محمد بن قاسم القصار وأبي زكريا يحيى بن محمد السراج الرندي خطيب القرويين، ومحمد ابن مجبر المساري أحمد بن قاسم القدومي والفقيه الورع رضوان بن عبد الله الجنوي وأبي راشد يعقوب بن يحيى اليدري وحامل لواء المذهب المالكي العلامة الحميدي وأبي العباس المنجور. وعدد آخر ممن ذكرهم أو أشار إليهم في كتبه حتى بلغ شيوخه بفاس عشرين شيخاً. وظل بعد تخرجه يتردد على فاس بين الحين والآخر، كما ظل على اتصال مع عدد من علمائها كتابة، وكان بعضهم شديد الإعجاب به، مما يدل على تميزه العلمي ونباهته.

تولى ابن عرضون مهام مختلفة ومجتمعة في آن واحد، منها القضاء بمدينة شفشاون، وزاول الخطابة في جامعها الكبير، وتقلد إلى جانب ذلك مهمة التدريس والإفتاء. وعرف أيضاً بالفضل والصلاح والاهتمام بمصالح الناس وقضاء حوائجهم، مستغلاً منصبه وجاهه.

وكانت له معرفة جيدة بالتفسير والحديث واللغة والمنطق، واشتهر بنبوغه في علم الفرائض والحساب، وبرع في التوثيق وعلم الأنساب، وتميز عن باقي فقهاء عصره بعدم التقليد في الفتاوى المعروضة عليه، التي سلك فيها مسلك الاجتهاد بحسب ما بلغه من الدرجة العلمية والفطنة والنباهة، كما هو الشأن بالنسبة لاستنكاره لبعض بدع عصره، ودعوته إلى ضرورة تعليم المرأة، وفتواه في قضية المرأة البدوية التي تشتغل مع زوجها، وهي الفتوى التي اشتهر بها وعرف من خلالها بدفاعه عن المرأة عن طريق إقرار حق الكد والسعاية، والتي لاقت معارضة من الفقهاء المقلدة.

خلف المترجم كتباً متنوعة، لم يعرف منها إلا القليل، وقد أحصى له الأستاذ عمر الجيدي حوالي 29 عنواناً ما بين كتاب وتقييد ومنظومة وشرح، في الفقه والنبويات وآداب السلوك والتاريخ وغير ذلك، وما هو معروف منها : كتاب *اللائق لمعلم الوثائق*، وهو أشهر تآليفه، وقد طبع مراراً على الحجر، ثم صدر في طبعة عصرية بتطوان سنة 1355 / 1936، *وشرح أسماء الله الحسنى*، وكتاب *حدائق الأنوار وجلاء القلوب والأبصار في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الأخيار* (مخطوط)، ومسائل ملقوطة من *نوازل مازونة* (مخطوط)، وأجوبة في الفقه (مخطوط)، وكتاب *فيما لابد للعبادة من اعتقاده* (مخطوط)، و*مقنع المحتاج في آداب الأزواج* (مخطوط)، و*رسالة التودد والتحابب*، وهي في آداب الصحبة (مخطوط)، وله منظومة *في آداب الجماع* (مخطوط). كما كان له اهتمام بالتاريخ، ولا ندري هل ألف فيه أم لا.

توفي بفاس أو ببلده يوم 10 رجب سنة 992 / 1584.

أ. بن القاضي المكناسي، *جذوة الاقتباس*، نشر عبد الوهاب بنمنصور، الرباط، دار المنصور، 1973، ص. 160 ؛ ع. الوهاب بنمنصور، *أعلام المغرب العربي*، الرباط، المطبعة الملكية، 1990، ج 5، ص. 196 ؛ ع. الجيدي، *ابن عرضون الكبير حياته وآثاره وفقهه*، الرباط، منشورات عكاظ، ط 1، 1987.

محمد المغراوي

ابن **عرضون، محمد** بن **الحسن** بن يوسف ابن عرضون الزجلي الصالحي، ولد على الأرجح سنة 945 بمدشر أدلدال قرب قرية تلمبوط في بني زجل الغمارية على ضفاف وادي لاو جنوبي بني زيات.

وأخذ عن والده العلامة النوازلي الحسن ابن عرضون ـ المتوفى بعد عام 950 ـ المبادئ الأولى للنحو والفقه، ونشأ في أسرة تشتغل بالعلم ولها شهرة في الفقه والوثائق والأدب والتاريخ والشعر، فأخذ عن عمه عمر بن يوسف ابن عرضون اللغة والأدب والعروض، وعن الشيخ أبي محمد عبد الله الهبطي العقائد والأصول والتصوف، وكانت له شهرة مع أخيه القاضي أحمد المتوفى عام 992 في جبال غمارة ومدينة شفشاون، ثم انتقل إلى فاس وأخذ عن شيوخها، منهم شيخ الجماعة أبي العباس أحمد المنجور، والعلامة النوازلي أبي راشد يعقوب بن يحيى اليدري، والعلامة أبي عبد الله بن أحمد بن مجبر المستاري، وفي طريق القوم لزم صحبة الشيخ الورع الصالح أبو النعيم سيدي رضوان الجنوي لمدة تربو عن عشرين سنة. وكان قبله ملازما لسيدي موسى بن علي بزرهون، ثم لصحبة الشيخ سيدي محمد بن علي بن ريسون.

وفي مدينة فاس ظهرت نجابته وتصدر بعض مجالس التدريس فكان كما وصفه معاصروه فقيها نحويا يقوم على ألفية ابن مالك أحسن قيام، وله معرفة بالعروض والأصلين والمنطق والبيان، ثم رجع لشفشاون وتصدر للتدريس والإفتاء، وبرز في عدة علوم وبخاصة الفقه والأصول والمنطق والبيان والفرائض والحساب.

ومن أشهر الذين أخذوا عنه ولده أحمد شارح التحفة، والقاضي محمد بن أخيه أحمد ابن عرضون، والشيخ قاسم ابن القاضي، وإبراهيم الكلالي الورياكلي مؤلف تنبيه الولدان، والقاضي أحمد بن علي الشفشاوني، والقاضي مخشان الشفشاوني، والعربي الفاسي مؤلف مرآة المحاسن، والقاضي الحسن الخالدي، وغيرهم ...

تولى قضاء شفشاون بعد وفاة أخيه أحمد عام 992، واستمر قاضياً عشرين سنة إلى وفاته، ووصف في بعض المصادر بقاضي القضاة.

اشتهر محمد بن الحسن ابن عرضون بمجالسه العلمية التي كان يعقدها في مدينة شفشاون، وكانت مقصداً لطلاب العلم من جميع أنحاء المغرب، كما اشتهر بمواثقه كقاض من قضاة العدل والإنصاف التي نقف على نماذج منها في نوازله وحواشيه وشروحه، ومن أبرز مؤلفاته :

1) شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني

2) شرح عقيدة السنوسي المسماة بالحفيدة، مخطوط الخزانة العامة رقم 1002.

3) شرح مثلث قطرب، مخطوط الخزانة العامة بتطوان، رقم 830.

4) ممتع المحتاج في آداب الأزواج، طبع على الحجر بفاس سنة 1319 في 120 صفحة.

5) منظومة في التصوف في 137 بيتا، توجد في فتح التأييد في مناقب الجد وأخيه والوالد للحسن ابن محمد بن ريسون.

6) مجموعة من الفتاوي والنوازل، مبثوثة في كتب الفقه والنوازل، كفتواه في إحراق التبغ وإهراق الخمر التي أصدرها في مجلس السلطان أحمد المنصور الذهبي، بالإضافة إلى العديد من المقطعات، نقف على نماذج منها عند ابن القاضي في درة الحجال.

انتقل في آخر حياته إلى مدينة فاس، وتوفي بها - رحمه الله - عصر يوم الثلاثاء 11 شعبان عام 1012 / 11 يناير 1604، ودفن بروضة الأنوار بأرض أولاد بن بكار خارج باب الفتوح.

ابن القاضي، *درة الحجال*، ج 2، ص. 137 ؛ علي بن عيسى العلمي، *نوازل العلمي*، صفحات متفرقة ؛ الفاسي، *مرآة المحاسن*، ص. 169 ؛ الإفراني، *صفوة من انتشر*، ص. 136 ؛ القادري، *نشر المثاني*، ج 1، ص. 94 ؛ ابن ريسون، *فتح التأييد في مناقب الجدوانية والوالد*، تطوان، 1405 - 1985، ص. 85 - 93 ؛ الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج 2، ص. 267 ؛ الحجوي، *الفكر السامي*، ج 2، ص. 325 ؛ مخلوف، *شجرة النور*، ص. 295 ؛ حجي، *الحركة الفكرية*، ج 2، ص. 424 ؛ الجيدي، *ابن عرضون الكبير*، ص. 76 ؛ عبد القادر العافية، *الحياة السياسية*، ص. 426.

أحمد ايشرخان

العرعر أو العرعار، اسم يطلق في المغرب على العديد من الأنواع الشجرية، أهمها : العرعر المغاربي والعرعر الأحمر والعرعر الفواح والعرعر الكادي وسورو الأطلس ... غير أن هذه الأنواع تتوزع، على مستوى الحقيقة العلمية، بين جنسين نباتيين اثنين، هما Juniperus وTetraclinis ؛ لكنها تنتمي في مجموعها لفصيلة السرويات Cupressaceae. للتذكير، فإن الأنواع الأربعة الأولى هي التي سيشملها المقال ؛ أما النوع الأخير - سرو الأطلس - فالأجدر أن يفرد له باب خاص، بالنظر إلى الأهمية التي يكتسيها من حيث ندرته وقيمته الإيكولوجية.

1 - العرعر المغاربي Tetraclinis articulata : يعرف كذلك بالعرعر المفصلي أو العفصية، ويحمل أسماء محلية أخرى، منها أزوكا (تشلحيت) وأملزي (تريفيت) .. يعتبر من أهم الأنواع الشجرية بالمغرب، ليس على مستوى المساحة التي يحتلها فحسب، بل ومن حيث صلابته ومقاومته لقساوة الظروف البيئية كذلك. ثم لكونه ذا فائدة اقتصادية جمة، إذ يغطي نوعا من الأخشاب عالية الجودة، تستخدم في أغراض شتى.

نشير هنا، إلى أننا آثرنا تبني اسم العرعر المغاربي، عوضا عن تسميات أخرى سائدة، لاعتبارين اثنين : يتعلق أولهما، بأصالة هذا النوع واتساع رقعته في البلدان المغاربية. وثانيهما، لرفع اللبس الحاصل بفعل تداول المصطلح الفرنسي الذي أطلق على هذا النوع، عن قصد أو غير قصد، اسم العرعر البربري Thuya de bérbérie وأحيانا (Boudy, 1950) ...

يدخل العرعر المغاربي ضمن الأنواع الصمغية Résineux؛ ويتميز، من حيث مرفولوجيته، بقامة متوسطة

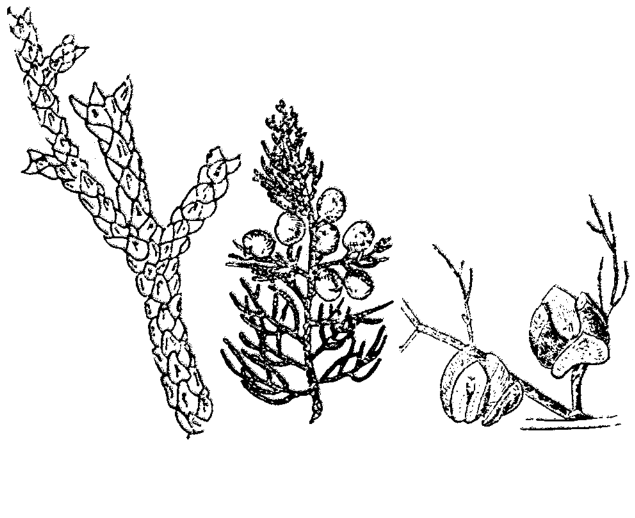

تتأرجح بين 10 و12 مترا، وبجذع يتراوح قطره بين 40 و 50 ستم. في بعض الظروف الإكولوجية الاستثنائية قد يصل علوه إلى 20 م، وقطره إلى متر واحد، وهي حالات نادرة لا تتأتى إلا في مواضع منيعة، لم تصل إليها يد الإنسان ؛ أو في مقابر مازالت تأوى نماذج من هذه الأشجار، لا يجرؤ السكان على استئصالها، بالنظر لطابع التقديس والاحترام الذي تحظى به هذه الأماكن. في فتوته، يتخذ أوراقا إبرية الشكل، يصل طولها إلى 1 ستم ؛ أما عند بلوغه سن الرشد، فتبدو هذه الأوراق على شكل حراشف متعارضة ومتراكبة، محمولة فوق أغصان ذات مفاصل ... يتوفر العرعر المغاربي على شبكة من الجذور الكثيفة والمتشعبة، التي تشده إلى الأرض بقوة، سواء في المنحدرات أو المجالات المستوية ... يصل مرحلة الإثمار مبكرا، وبداية من سنه الخامسة عشر، والثمرة عبارة عن مخروط صغير ذي شكل مكعب. كما يعمر طويلا، ليبلغ سنه أحيانا 500 سنة.

من خصائصه الأساسية، أيضاً، قدرته على مواصلة التوالد والتكاثر إلى سن متقدمة جدا. علاوة على أنه يبدو أكثر صمودا وتجلدا حيال الاستغلال الجائر الذي قد يتعرض إليه. إذ يفلح، وبوتيرة سريعة، في استعادة عافيته وحيوية، من خلال ترميم الأضرار التي تمسه، خاصة عندما تبتر فروعه وأغصانه أو يخدش لحائه ..

2 ـ العرعر الأحمر Juniperus phoenicea : يطلق عليه أيضاً العرعر الحر، كما يسمى آيفس بالأطلس الكبير وتاكا بالأطلس المتوسط ... وهو عبارة عن شجيرة شديدة التفرع ذات أوراق إبرية ؛ يصل طوله إلى 8 أمتار وقطر جذعه إلى 60 سنتم. يتسم بحيوية كبيرة مكنته من تكوين تشكيلات شبه غابوية شاسعة، خاصة في المجالات الهشة، التي يستعصى على غيره من الأنواع الأخرى الإستيطان بها. مما ينم عن طاقة فائقة على تحمل أقسى الظروف الإكولوجية.

ويعد من أكثر الأنواع تكيفا مع الجفاف، ويرتبط توزيعه الجغرافي أساسا بعامل المناخ. لا يبالي بنوعية التربة، ويتكيف مع معظمها باستثناء التربات المحتقنة. يبدأ بالظهور انطلاقا من مستوى سطح البحر، ليصل إلى حده العلوي عند 2000 متر، ويمثل ضمن أصناف المستوى النباتي المتوسطي الحار بامتياز، مع حضوره الملحوظ إلى حدود المتوسطي الجبلي.

يشغل العرعر الأحمر مساحات شاسعة بالمغرب، وتصنف تشكيلاته إلى نوعين مختلفين (Emberger, 1939) :

ـ التكشيلات الساحلية : تنتشر عند مستوى الشواطئ أو فوق الكثبان ذات التربات الرملية المثبتة أو الضعيفة الاستقرار. حيث يفلح العرعر الأحمر في إنشاء تكوينات نامية ومتطورة، تارة بمفرده وتارة بمعية العرعر الكادي، تماما كما هو الشأن بالساحل الطنجي أو في السعيدية .. على البحر المتوسط، أو في المهدية والصويرة .. على المحيط الأطلنتي. تتعايش التشكيلات الساحلية مع عديد من البيومناخات، خاصة منها شبه الجاف وشبه الرطب والرطب، ذات الشتاء الحار Chaud والمعتدل Tempéré والبارد Frais.

ـ التشكيلات الجبلية : تغطي مساحات أكبر من سابقتها، وتنتشر بخاصة في الجبال الأطلسية ... تخضع لنفس المستويات البيومناخية الثلاثة الآنفة الذكر : شبه الجاف وشبه الرطب والرطب، ولكن بمتغيرين اثنين فحسب، البارد Frais والقارس Froid (G.E.M., 1987). وتنمو فوق التربات الكلسية أو الصلصالية الحمراء المالحة العائدة لحقبة الترياس، كما هو الحال في واد سرو بالأطلس المتوسط مثلا...

ينتشر العرعر الأحمر، عموما، على هيئة تكوينات وطيئة Formations basses، غالبا ما تتبدى في شكل سحنات منسغية Faciès de taillis منثورة هنا وهناك عبر التراب المغربي. وتعكس هذه المنسغات الدينامية الكبيرة للعرعر الأحمر، التي تتجلى أساسا في قدرته على الإفتسال السريع كلما تعرض للقطع الجائر أو الاستغلال العشوائي، خاصة في فتوته. حيث يتمكن وبسرعة ملحوظة من إرسال بتائل Rejets جديدة ووفيرة، ما تفتأ أن تتحول إلى منسغات أجمية كثيفة، ضامنة تخليفه وتجدده.

تتميز الطبقة التحت ـ شجرية للعرعر الأحمر بكونها في الغالب هزيلة، خاصة عندما يكون مستقراً فوق نوع من التربات الصلصالية الحمراء الفقيرة. ومع ذلك يلاحظ في تشكيلاته حضور دائم لأنواع شجرية أخرى كالعرعر الكادي والعرعر المغاربي والبلوط الأخضر والأركان ...

وفي هذا الإطار، ينبغي تسجيل ملاحظة هامة، تتمثل في أن التدهور الشديد الذي مس تشكيلات العرعر الأحمر في كل أرجاء المغرب، قد حال دون التوصل لرصد تجمع نباتي متماسك مرتبط به، من شأنه أن يساعد على استخلاص رؤية دقيقة حول التركيبة النبيتية الأصلية لهذا النوع. إذ على مستوى تشكيلاته الساحلية، تبدو الحاشية النبيتية مماثلة لتلك التي ترافق العرعر المغاربي عادة ؛ بخلاف تشكيلات السفوح الجنوبية الجافة للأطالس، التي تسللت إليها أعداد لا يستهان بها من النباتات المتوطنة، مما جعل إمكانية الضبط العلمي المتكامل لنوع العرعر الأحمر وإكولوجيته أمراً عسيراً.

إن السفوح الجنوبية لسلاسل الأطلس التي تبدو عارية من أي غطاء نباتي في الوقت الحاضر، قد كانت فيما مضى موطنا للعرعر الأحمر. وقد اختفى نتيجة للتدخل البشري المفرط الذي لم يسبب في تدميره وانقراضه فحسب، بل وأدى كذلك إلى تدهور خطير للأتربة، سيما في هذه المجالات الهامشية الهشة. ولعل هذا المثال وحده كاف لإلقاء الضوء على الأهمية الإيكولوجية التي يكتسيها هذا النوع من حيث جانبه الوقائي Forêt de protection، لا الإنتاجي. إذ أن أهميته الاقتصادية تبقى محدودة نسبيا، باعتبار كونه لا يوفر سوى أنواع رديئة من خشب الوقود والتفحيم ... ولا

ينتج الأنواع الأخرى المرتبطة بخشب الإستعمال والصناعة ..

3 ـ العرعار الكادي : يطلق عليه كذلك العرعر المجنح، ويعرف في الأوساط الشعبية باسم تاقا أو تيقي. لا يكتسي سوى أهمية ثانوية، مقارنة بأنواع العرعر الأخرى السالفة الذكر. يصادف في المغرب انطلاقا من مستوى سطح البحر وإلى حدود غابات الأرز ... في بيئات شديدة التفاوت والتنوع، إن على مستوى المناخات التي يحتملها أو التربات التي يستقر فوقها ... مما يطرح إشكالا حقيقيا فيما يتعلق بتحديد حاجياته الضرورية، وكذا طبيعة تفاعله مع الأوساط الطبيعية التي يعيش فيها. وفي الحقيقة، فإن العرعر الكادي مازال لم ينل نصيبه من الأبحاث الكافية والدراسات الشافية، التي من شأنها أن تستجلي كوامن طبيعته وتعرف بأسلوب عيشه وديناميته، فثمة جوانب عديدة من إكولوجيته ما يزال يكتنفها الغموض على المستوى العلمي.

يعرف العرعر الكادي توزيعا جغرافيا شاسعا على مستوى التراب المغربي. ويكون إما في حالة شتيتة أو على شكل أشجار منفردة ومتناثرة، حيث يشترك في تنظيم بنية التشكيلات التي يرافقها، سواء كانت غابوية أو شبه غابوية أو شبه سهوبية :

ـ في التشكيلات الغابوية، يلاحظ حضوره بقوة في الجبال الوسطى بخاصة ؛ حيث يميز المستويين النباتيين : المتوسطي العلوي والجبلي المتوسطي. يتعايش هناك مع عديد من الأصناف الرئيسية، غالبا ما يمثل في حاشيتها النبيتية بكثافة. إذ نجده يلازم البلوط الأخضر، كما يرافق العرعر المغاربي والعرعر الأحمر وبعض أنواع الصنوبر، وكذا الأرز أحيانا ... وبالتالي، يمكن القول بأن هذا النوع ما فتئ يلعب دوراً متميزاً، من حيث إسهامه، بصورة عامة، في ملء الفراغات والهوامش الغابوية (Lemoine S.C., 1965).

ـ أما في المجالات شبه الغابوية، التي تهيمن في الجبال السفلى، على الخصوص، فنجد العرعر الكادي يتأقلم مع بيومناخ شبه رطب ذي شتاء معتدل أو بارد. كما يشغل المستوى النباتي المتوسطي الأوسط، حيث يمتزج بإيقاع شبه دائم مع البلوط الأخضر .. وقد يقترب في تلك المواطن من الظهور في صورة تشكيلة صرفة، ذات كثافة متوسطة إلى خفيفة.

ـ فيما يتعلق بالمناطق شبه السهوبية، المرتبطة أساسا بالمجالات الوطيئة، فإن العرعر الكادي يبدو فيها ماثلا ضمن المستوى النباتي المتوسطي الحار، مؤديا نفس الدور الذي يلعبه العرعر الأحمر في مثل هذه الأوساط، كما تمت الإشارة لذلك آنفا. غير أن ثمة تبايناً ملحوظاً في سلوك النوعين يجدر التلميح إليه، ويتمثل في أنه إذا كان العرعار الأحمر يشغل هوامش السهوب المحكومة بمؤشر يجنح نحو الجفاف، فإن العرعار الكادي يبقى مرتبطا بمؤشر حراري ينزع نحو البرودة. ويقع، عموما، ضمن المستوى البيومناخي شبه الجاف العلوي البارد أو القارس.

إن العرعار الكادي، بالرغم من سعة انتشاره ومرونته الإكولوجية، فإنه لم يبلغ قط حالة الذروة، كما لم يفلح البتة في إنشاء تشكيلات خالصة قائمة الذات. وإن بدا مهيمنا في بعض المحطات، فذلك ليس سوى تعبير عن تدهور مرحلي، شمل النوع الرئيسي : بلوط أخضر، صنوبر، أرز... واستثنى العرعر الكادي. ومن تم فإن سيطرته في مثل تلك الظروف تكون ظاهرية ليس إلا ؛ ولا تعني بحال من الأحوال، تكوين تشكيلات أصيلة. وتلك ملاحظة تكتسي طابع الشمول ليس على صعيد المغرب فحسب، بل وتشمل باقي البلدان المغاربية ... حيث تمتد رقعة النوع.

قصارى القول أن أنواع العرعر الثلاثة : المغربي والأحمر والفواح هي التي تتمكن من إنشاء تشكيلات شبه غابوية Peuplements préforestiers أو شبه سهوبية Présteppiques حقيقية. أما العرعار الكادي، الذي يعرف انتشارا واسعا في الجبال المغربية فيعتبر نوعا ثانويا ؛ ولا يوجد إلا بشكل متناثر هنا وهناك، أو مختلطا بأنواع أخرى رئيسية تمثل نظما بيئية قائمة الذات، كالبلوط الأخضر والأرز والعرعر المغربي ...

A Achhal [et al.], *A propos de la valeur bioclimatique et dynamique de quelques essences forestières au Maroc*, Ecol. mediter. 5, 219 - 249, 1980, Marseille ; A. Benabid et M. Fennane, *Connaissance sur la végétation du Maroc. Phytogéographie, phytosociologie et série de végétation*, Lazoroa, 14, p. 21 - 27, 1994 ; P. Boudy, *Economie nord-africaine*, t. I, II et III, Larose, Paris, 686, 678 et 363 p., 1958 ; L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Larose, Paris, 1938 ; *Aperçu général sur la végétation au Maroc*, Varoff. Geob. Inst. Rübel Zurich, 14, 40 - 157, 1939 ; *Grande Encyclopédie du Maroc*, G.E.M., 1987 ; C. Lemoine Sébastien, *Ecologie des genévriers au Maroc*, Bull. Soc. Sci. Nat. Phys. Maroc, t. 45, 49 - 111 ; C. Sébastian et F. Bagnouls, *Conditions climatiques du genévrier de Phénicie et du genévrier thurifère au Maroc*, Bull. Soc. Sci. Nat. Phys. du Maroc, t. 39, 2ème trimestre.

إدريس شحو

عرفة بن محمد بن السلطان محمد بن السلطان عبد الرحمان بن السلطان هشام، أمه السيدة غزالة أم ولد، تحمل المسؤوليات الكبرى في عهد أخيه السلطان المولى حسن الأول، إذ كان خليفة عنه على مدينة فاس خاصة وعلى الأقاليم الشمالية والشرقية بوجه أعم، فكان ينوب عنه في البعثات النائية وفي الحركات التي لا يتأتى للسلطان القيام بها بنفسه في تلك الجهات. وهكذا قاد سنة 1301 / 1884 البعثة التي تنقلت على طول الحدود مع الجزائر المحتلة لضبط خطوطها ومحاولة إيقاف العسكريين الفرنسيين عند منطوق معاهدة لالة مغنية المبرمة بين المغرب وفرنسا سنة 1261 / 1845، والتي كان أولئك الضباط يؤولونها ويتصرفون بمقتضياتها بحسب مصالح الاستعمار، مستفدين من عجز الجهاز المخزني عن فرض وجوده وسلطته في كل وقت وفي كل مكان هنالك، ومن مقاومة القبائل التي صارت أراضيها تضم ظلما وعدوانا إلى التراب الجزائري. ومع أن البعثة لم تفلح في إيقاف الزحف الاستعماري الفرنسي، إلا أن كاتبها

الفقيه علي السوسي قد سجل وقائعها على شكل ما كانت تدون الرحلات. وقد ذكر الأمير عرفة بكل خير، قائلا في مطلع تقييده : "ثم صرف (يعني السلطان المولى الحسن) عنان عنايته لتحويط مملكته وتحديدها من مجاورة لفرنصيص - كذا - في ناحية الصحراء. وبعث نصره الله صنوه الخير الدين الفاضل الناسك مولاي عرفة وبعثني معه معينا ورد ءا ومشورة". وكان من مهام البعثة أيضا تمهيد قبائل بني يزناسن وجاراتها من قبائل الأعراب، فقال السوسي : "فبعثنا لقضايا في بني يزناسن وسائر أعراب تلك الناحية لشقاق وقع بين كل قبيلة وجارتها شقاقا لا يرجى له زوال، كما بعثنا للحدادة بين فرنصيص وإيالته هناك من مبدأ الحدادة وهي عجرود إلى ثنية الساسي. وكما بعثنا لفجيج للحدادة بين الروم أيضا من فجيج إلى درميل، إلى أم الكرار الفوقانية والتحتية وتيوت، ونشرف على وادي الناموس وهو واد كبير ليس فيه ماء صار كذلك إلى توات، والحدادة معه كما ذكرنا ونصل إلى اليش - كذا -". وقد أفلح المولى عرفة في رب‌ء الصدع بين قبائل الشمال الشرقي، ويمكن الوقوف على ما أبرم من أوفاق التصالح والتآزر بينها بفضل وثيقة نقلها مؤرخ الدولة عبد الرحمان بن زيدان، جاء فيها : "الحمد لله عن إذن الشريف أخي سيدنا نصره الله الفقيه العلامة سيدي مولاي عرفة، حضر لدى شهيديه وعمال سيدنا الواضعين طوابعهم أسفله..." ولقد أوفد السلطان أخاه المولى عرفة سنة 1311 / 1893 للأخذ بخاطر قبائل قلعية وكبدانة عندما لم يعد أبناؤها يطيقون صبرا على تجاوزات الإسبان وتحرشاتهم ولينصح لهم بالاعتماد على المخزن المركزي في الدفاع عن حقوقهم بالوسائل السياسية، فإن المولى حسن، كما قال على السوسي في رحلته، صار "يلعب مع الرومي الشطرنج ببيادق الحيل". ولم يفلح الأمير المولى عرفة في مهمته. ومع ذلك ظل محتفظا بوظائفه الخلافية حتى بعد وفاة أخيه السلطان، إذ أورد ابن زيدان رسالة من السلطان المولى عبد العزيز إلى عمه المترجم مخاطبا إياه بعمنا الأرضى مولاي عرفة سددك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد..." وذلك بتاريخ 2 جمادى الأولى 1313 / 1895. وقد لبى داعي ربه سنة 1324 / 1906، مخلفا من الأولاد ولده محمد الذي سيلعب به الاستعمار الفرنسي لعبته الفاشلة في نهاية الحماية.

م. العماري، *مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر واستغلالها في المخطط الفرنسي للسيطرة على المغرب من حوالي 1830 إلى حوالي 1902، من خلال رحلة علي السوسي، منتهى النقول، القسم الخاص بالحدود*، مرقون.

إبراهيم بوطالب

عرق السوس أو عرق سوس أو السوس بالعربية، أو علميا كْليسيريزَا فيتيدَا Glycyrrhiza foetida وكْليسيريزَا كْلاَبْرَا Glycyrrhiza glabra نوعان نباتيان من فصيلة الفراشيات أو الفوليات Fabaceae.

إنهما نوعان عشبيان مخشوشبان ومُعَمِّرَان، يعرفان بعروقهما الطويلة. وهما بريان أصلا لكنهما يزرعان في كثير من بقاع آسيا وأوروبا الجنوبية. يصادف النوع الأول بريا في المنطقة المتوسطية، والثاني في أواسط وغرب آسيا.

وقد عرف عرق السوس منذ أقدم العصور. وسمي بهذا الاسم لأن كميات كبيرة من عروق هذين النوعين كانت في الماضي تنتج في سهل سوس بالإضافة إلى سهل الغرب. لكن المغرب يستورد حاليا هذه المادة من تركيا التي تنتج النوع الثاني الذي هو أحلى من النوع الأول المزروع في غرب المنطقة المتوسطية.

تهيّأ جذور عرق السوس على هيئة قطع اسطوانية بعد تجفيفها لاستعمالها في التطبيب التقليدي وفي صناعة الأدوية وكملينة للجلد، وكمادة مطيبة في تهييئ الأطباق والحلويات وكذلك في صناعة دهان الأحذية وبعض المشروبات، لكن مضغ عرق السوس يعتبر من العادات السائدة عند بعض الناس.

- ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، ترجمة زاهر عبد المجيد وآخرين، القاهرة، 1962.

J. Bellakhdar, *La pharmacopée marocaine traditionnelle, médecine arabe ancienne et savoirs populaires*, Ibis Press, Paris, 1997, 764 p.

عبد المالك بنعبيد

عروس (آيت -) من فروع قبيلة إيداوسملال بالأطلس الصغير الغربي، تستوطن الجزء الأوسط من القبيلة، في مجال جبلي متدرج الارتفاع، حيث يمر واد توغزيفت.

فحسب تقديرات Le Chatelier، فإن آيت عروس تتوفر على تكتل بشري مهم، ضمن وحدات إيداوسملال بـ 700 كانون و1500 بندقية. ويبدو في سياق الأحداث التي ميزت جبال جزولة، أنها كانت تتبوأ مكانة مهمة. ويذكر أن قرية "أيت مولاي" العروسية تعتبر مسقط رأس الشيخ مَحمد بن سليمان الجزولي. كما كانت أراضيها بمثابة النواة الأولى لنشأة الشيخ أحمد بن موسى قبل انتقاله إلى تازروالت.

وتفيد الإشارات الواردة بوثائق دار إيليغ، أن آيت عروس تشكل الدعامة الرئيسية لإيليغ داخل تراب إيداوسملال، وأن للعروسيين اتصالا مستمرا بزعمائها. وغالباً ما يكون تدخلها لفض النزاعات التي تنتاب علاقة أيت عروس مع جيرانها آيت أوليلي. كما أضحت جبالها ملجأ تتحصن فيها الأسرة الايليغية، عندما تكون إيليغ مستهدفة من قبل القوات المخزنية أو القبائل المعادية ... توجد بالقبيلة عدة مزارات ومشاهد أهمها مشهدا سيدي بوبكر بن سليمان وإبراهيم بن عبد الرحمان المعروف بـ "جندوز"، ويقال إنه أول من نزل من الأشراف بإيداوسملال. وقد أسهمت في تأمين الاستقرار والتعايش بين السكان، وبحرمها تعقد التحالفات وتعتبر مدرسة "بومروان" أبرز مركز علمي وروحي بالقبيلة منذ القرن العاشر الهجري، ومازالت تؤدي دورها الإشعاعي.

الاحسن البعقيلي، *تبيين الاشراف*، ص. 100 ؛ المختار السوسي، *المعسول*، 18 : 402.

L. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au XVI siècle*, A.M., 1933, p. 109 - 146 ; A. Le Chatelier, *Tribus du sud-ouest marocaines....*, Paris, 1891, p. 46 ; Cap. Meheut, Les Ida ou Semlal, Arch. S. H.A. 1948.

أحمد بومزگو

ابن **العْرُوسي**، أسرة من فرقة عامر الحوزية ومن قبيلة بني حسن تنتمي إلى العيايدة الهلاليين الذين يبدأ مجالهم الترابي ببلدية العيايدة التابعة لعمالة سلا الجديدة. كان منها قواد، منهم : ابن العروسي، أحمد بن محمد العيادي الهلالي العَمْري أحد ولاة عامر الحوزية بعد وفاة أبيه سنة 1285 / 1867، وكان مدة قصيرة قائداً لفرقتي السهول وحصين.

ومامرت سنتان على تنصيبه حتى انهالت على المخزن شكايات من العمامرة وأولاد عامر تذكر تعسفه عليهم حتى اضطروا إلى الالتجاء منه بضريح الشيخ الحاج أحمد بن عاشر بسلا. لكن القضية التي كانت سبباً في عزله هي مخالطته للأجانب وتبايعه معهم، مند سنة 1288 / 1872 مع أن ذلك كان ممنوعاً عليه وعلى غيره من المسؤولين.

وفي سنة 1290 / 1873 وضعت به مواجب عدلية تنتقده وتذكر مساوئه. فلم يلبث مولاي الحسن أن عزله سنة 1291 وثقف الدار التي له بسلا غرسة بخمسة آلاف ريال وذعَّره وفرض على عمه الحاج العربي ألف ريال. ثم أمر السلطان بتوجيهه إلى مراكش ليريح ويستريح، ولما تبين أن بظهره ألماً يمنعه من الركوب أعفاه. لكن في سنة 1294 / 1877 صدر أمر سلطاني لعامل الرباط عبد السلام السوسي بالقبض على ابن العروسي وإرساله مكبلا إلى سجن مراكش.

ولم أقف على تاريخ وفاته التي يحتمل أنها كانت قبل سنة 1302 / 1885.

م. بوشعراء، علاقة *المخزن*، 151 ـ 153 ؛ والعريف، ج 2 : 162.

Villes et tribus, Rabat, Tome III, p. 68.

مصطفى بوشعراء

ابن **العروسي، إبراهيم** ولد سنة 1927 بأيت باعمران إقليم تزنيت، التحق بصفوف المقاومة المسلحة وانضم إلى تشكيلة نجاجي بلال.

وقد شارك في عدة عمليات فدائية إلى جانب تزويد الفرقة بمجموعة من المسدسات والبنادق والرصاص.

وأثناء عمليات التمشيط التي قامت بها السلطات الاستعمارية وخشية تفشي أسرار الفرقة قام المسؤولون بنفيه إلى مدينة سيدي إفني حيث اتصل بمجموعة من الفدائيين المنفيين في انتظار صفاء جو العمل. وظل هناك إلى غاية انطلاق عمليات جيش التحرير فانخرط في صفوفه تحت قيادة أبكا الحسن وبقي يعمل ضمن صفوفه بكل نزاهة وإخلاص إلى أن قتلته قوات الاستعمار الإسباني بسيدي إفني سنة 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 514325.

العروسي، أحمد دفين الساقية الحمراء هو أحمد بن عمر العروسي، دفين الساقية الحمراء قرب مدينة السمارة، في "... بادية تسمى عريب" (*ملتقط الرحلة*، ص. 49)، وإليه يرجع نسب الشرفاء العروسيين، الذين يعيشون جنوب مدينة العيون في المكان الفاصل بين منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب، غير بعيد من ساحل المحيط الأطلسي في أرض السبخات الكبرى (*الساقية الحمراء*، 1 : 127).

ومرد شهرة هذا الرجل إلى أمرين اثنين : أولهما نسبه الرفيع، باعتباره من آل البيت، وثانيهما ولايته وصلاحه، باعتباره من رجال التصوف.

وبينما ينسب هذا الرجل إلى الفرع الحسيني في شجرة الأشراف (*الفواكه*، 2 أ)، تتعدد الآراء حول موقعه في المنظومة الصوفية. ومن الروايات المتداولة كثيراً في هذا الباب حكاية نقلها الشيخ ماء العينين عن السلف في شأن انتقال سيدي أحمد العروسي إلى الصحراء، مؤداها : "وسبب إتيانه إلى الصحاري، أنه كان صاحبا لعبد الرحمان المجذوب، دفين مكناس، وخرج من أول نشأته في العبادة، ولما كتب له معلمه (إذا زلزلت الأرض زلزالها) الآية وهو صبي، وبلغ : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)، قال لمعلمة : والأمر هكذا ؟ قال : نعم، قال : ففيم القراءة. فترك القراءة من ذلك اليوم، واشتغل بالعبادة، فظهر على يده من خوارق العادة ما لايوصف، فنمت به الوشاة عند أمير دهره، فحبسه، وكان إذ ذاك في مراكش في جمع "لَفُنَ" فحبس فيه، وكان في يديه حصيات يقلبها ويقول : ما طارت هذه ولانزلت هذه، حتى فرج الله، فضرب عبد الرحمان المجذوب بيده حائط الجامع، حتى انفرجت منه فرجة، ودخل عليه ونزع عنه الأغلال ... ونقله إلى الصحراء" (*الحركة الصوفية*، 189).

ويفهم من هذه الأخبار الشفوية أن أحمد بن عمر العروسي كان يطلب العلم شمال المغرب الأقصى، وأنه انخرط في سلك الصوفية برعاية الشيخ الشهير عبد الرحمن المجذوب (ت. 976 / 1569) دفين مكناس. كما تشير روايات شفوية أخرى شهيرة إلى اتصاله بالشيخ رحال الكوش البدالي (ت. 949 / 1543) في مراكش. وهذا يعني أن أحمد العروسي كان في بداية القرن العاشر الهجري (16 م) طالب علم ومريداً من مريدي التصوف.

وفضلاً عن أتباعه ومريديه، يفهم من الأخبار التي أوردها صاحب : *ملتقط الرحلة*، نفسه أن سيدي أحمد بن عمر العروسي كان يحظى بشعبية كبيرة في أوساط أهل التصوف في المغرب. وأشار في هذا الصدد إلى الشيخ محمد بن علي بن ريسون، دفين تازروت بجبل العلم، وذكر أنه نصحه بل حثه على زيارته في الصحراء، مخاطباً إياه

بقوله : "لا بد لك تلقاه، ولو بقي من عمرك إلا يوم واحد، لا بد لك تصافحه بيدك"، وكتب رسالة بعث بها إليه صحبته. بل لقد اعتبر بعض الفقراء سيدي أحمد العروسي صاحب الوقت في عهده. وكان الناس، وفيهم المشايخ، يزورونه فرادى وجماعات، رغم بعد المسافة وصعوبة الطريق، للأخذ عنه أو التبرك به. وكان الفقيه يوسف بن عابد الإدريسي، صاحب *ملتقط الرحلة*، ممن زاره وأقام عنده في زاويته سنة 990 / 1583، ومما كتبه في مؤلفه بمناسبة حديثه عن هذه الزيارة : "دخلت على الشيخ أحمد المذكور آخر النهار، وفرح بوصولي إليه كثيراً، وأردت أن أقبل قدمه فأبى، وقال : لو تركنا قدمنا يقبلها مثلك ما جاءت إلينا الأقدام، يشير بذلك إلى التواضع مع الله تعالى. وينزل الناس منازلهم، ولكل مقابلة من المشايخ الوافدين عليه على قدر أحوالهم وما تقتضيه المراتب، لقوله عليه السلام : أنزلوا الناس منازلهم. فأقمت عنده نحو خمسة عشر يوما في أطيب حال وأنعم بال. وناولته ورقة الشيخ محمد بن علي المذكور (ابن ريسون)، وكان ذكر له فيها كلاماً رجزاً، على صفة الخفر ... وكانت بيني وبينه منازلات ومطارحات، ومكاشفات منه على ما في ضميري، وأخذت اليد منه، كما أخذها عن مشائخه، وقال لي : حين استخلفت منه وسار معي ينفذني مع خطار : افتح فاك ففتحته، فقرأ : ونفخت فيه من روحي، ثم نفخ في فمي ثلاث نفخات، وقال لي : لا تفتح فاك إلا في المكان الفلاني، ودعا لي بالبركة".

وعلى كل حال، فقد كان سيدي أحمد العروسي من أنصار الإبداع والانفتاح في تاريخ الفكر الصوفي المغربي. كما كان من أنصار الحرية في إبداء الرأي. لكنه كان حريصا على أن يكون ذلك الانفتاح، وهذه الحرية في مغرب مستقل وموحد. إذ لا ننسى أنه ظهر في فترة كان المسيحيون الإبيريون يطوقون سواحل المغرب، والعثمانيون في الجزائر ما انفكوا يكيدون ويتربصون بالبلاد الدوائر. كما لا ننسى أن سيدي أحمد العروسي كان من المجاهدين (*الحركة الصوفية*، ص. 188).

ولا شك أن جهاده للخصوم والغزاة جاء منسجما مع جهاده ضد الانغلاق الفكري، وضد التمزق السياسي، ومن ثم لا نشك في انخراطه ضمن المشروع السياسي الذي تزعمه شيوخ الزوايا، والذي انبثق من جنوب البلاد، وتوج بوصول الأشراف السعديين إلى الحكم، وإعلان بداية عهد الأشراف في تاريخ المغرب. وكانت وفاة سيدي أحمد العروسي عام 1002، ودفن بزاويته في الساقية الحمراء، وقبره بها شهير مزار متبرك به.

م. الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، دار الكتاب، الدار البيضاء، دون تاريخ، ج 1 ؛ م. الظريف، *الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية*، 1800 ـ 1956، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، 2000 ؛ ف. يوسف بن عابد الإدريسي الحسني، *ملتقط الرحلة من المغرب إلى حضر موت*، تح. أمين توفيق الطيبي، نشر المدارس، الدار البيضاء، 1988.

أحمد الوارث

العروسي، أحمد بن **طلحة**، تسلم القيادة من والده طلحة العروسي وذلك يوم 28 يونيه 1510. وقد أصهر أحمد العروسي إلى مولاي إبراهيم بن علي بن راشد العلمي بأخته بط بنت طلحة، وهو الذي أعطى صورة أكثر استقرارا وقوة لشؤون مقاومة الوجود البرتغالي بأصيلا. ونظم بمعية المولى إبراهيم العلمي وقواد الهبط العديد من غزواته ضد أصيلا خاصة.

والمعروف أنه شارك المولى إبراهيم العلمي بالهبط تدبير عزل بوحسون عن العرش الوطاسي وتولية ابن أخيه أحمد الوطاسي، فلم يبق سوى مرحلة التنفيذ، وهي التي ستتم بنجاح إثر العودة إلى فاس خلال الأسبوع الأول من يونيه 1526، مما جعله يستحق منصب الوزارة. واستمر أحمد العروسي في قيادة القصر الكبير ووزارة أحمد الوطاسي إلى غاية الإعلان عن مقتله بتازا يوم 12 رمضان 936 / 10 مايو 1530، بعد أن كلفه أحمد الوطاسي بالتوجه إليها لتسوية مناعب ثورة قائد المدينة مولاي محمد.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المغربية المحتلة*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

Bernardo Rodrigues, *Anaes de Arzila*.

العروسي، حدو بن **أحمد**. أقدم العروسيين الذين عرفهم ميدان سبتة وهو مقدم المشاركين من بني عروس أثناء حصار سبتة الأول، حين ظهر بالميدان يوم 11 رجب 821 / 14 غشت 1418 وحاول برجاله اقتحام سور قصر أفراك المريني بما أعدوه من السلالم، إلى أن استشهد في المكان.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المغربية المحتلة*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

Gomez Eanes de Azurara, *Cronica do D. Pedro de Meneses*.

حسن الفكيكي

العروسي، زيان شيخ بني زكار وحاكمها، من شخصيات الهبط المجاهدة، وابن عم حاكم القصر الكبير أحمد العروسي سابق الترجمة. التجأ في شتاء سنة 919 / 1514 إلى جبل حبيب بستين محاربا بنية الانصراف لشؤون الجهاد بعد أن حدث خلاف بينه وبين الناصر بن محمد الشيخ الوطاسي، أخي محمد البرتغالي. أغار الشيخ زيان على طنجة مرتين، ربما كان ذلك خلال شهر يناير السنة. وفي الوقت الذي كان مستعدا للزحف نحو أصيلا فضل حاكم المدينة الهجوم عليه بجبل حبيب فتمكنوا من أسره جريحا، غير أنه صدر الأمر بقتله وترك جثته غرب الجبل بالمكان المعروف بواد المسوس، يوم 22 فبراير 1514 / 29 حجة 919.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المغربية المحتلة*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

Bernardo Rodrigues, *Anaes de Arzila*.

ابن **العروسي، سعيد** بن محمد، أسندت إليه القيادة على عامر الحوزية سنة 1302 / 1885 وكذلك على السَّاكْنية والعَبُّوبيين. وما كاد يبدأ عمله حتى وردت على السلطان شكاية طويلة تتهمه بالحيف والظلم. ولما عرضها مولاي الحسن على عامل سلا الحاج محمد بن سعيد تبين أنها غير صحيحة. ومكث في منصبه حتى توفي سنة 1325 / 1907 بعد ولاية استمرت اثنين وعشرين عاماً ولعل التجمع السكني المعروف بابن العروسي بضاحية سلا ينسب إليه.

م. بوشعراء، علاقة *المخزن*، 164 ـ 166.

العروسي طلحة، قائد القصر الكبير من قبل الوطاسيين. من أسرة بني عبد الحميد العروسيين. تسلم المنصب في بداية عهد محمد الشيخ الوطاسي، وإليه يعود فضل وضع أسس المقاومة ضد أصيلا المحتلة سنة 1471، إذ أنه قام بترتيب شؤون القبائل الهبطية وتعيين مقدميها الجهاديين.

وعلى الرغم من أنه تخلى عن الزحف ضد أصيلا منذ وقوعه في الأسر سنة 1488، مفضلا سيادة الهدنة بين القصر الكبير وأصيلا، إلا أن انتقاض الهدنة سنة 1500 وتوالي حدة الغارات البرتغالية كان مما أثار عودته إلى الميدان، ولذلك وجدناه يغير على أصيلا لصد البرتعايين عن حوز القصر الكبير وإبعادهم إلى وراء واد المخازن، الذي كان يمثل حدود شمال القصر وجنوب حوز أصيلا. كانت لطلحة العروسي غزوات في نطاق التضامن مع باقي قواد الهبط وأثناء حملات محمد البرتغالي على كل من أصيلا وطنجة. واستمر في منصبه إلى أن أعلن عن تنازله لابنه أحمد بعد أن أثقلته عوارض الشيوخة، وذلك في يوم 28 يونيه 1510.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المغربية المحتلة*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

Damiao Gois, *Chronica do D. Manuel* ; Bernardo Rodrigues, *Anaes de Arzila*.

العروسي، عبد الله شيخ قبيلة بني عروس في آخر عهد بني مرين، كان في منتصف القرن التاسع الهجري (15 م). من أشهر قواد المنطقة الهبطية. ففي سنة 863 / 1458 شارك في الحصار الأول للقصر الصغير إلى جانب قائد القصر الكبير بيد المسمى إبراهيم بن عمر. وأصبح إثر ذلك بإمكان شيخ بني عروس التمرد على السلطان عبد الحق المريني وعدم الاستجابة لدعوة الحصار الثاني سنة 1459 بسبب عدم اهتمام السلطان عبد الحق المريني بافتداء ابنه الأسير بالقصر الصغير بعد أن فقد آخر بالميدان. ويبدو أن هذا التنافر استمر إلى انتزاء محمد الشيخ الوطاسي بأصيلا سنة 868 / 1463.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المغربية المحتلة*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

Gomez Eanes de Azuerara, *Cronica do D. Duarte de Meneses*.

العروسي، عبد الواحد بن طلحة، شارك في الحملات الجهادية المنظمة ضد أصيلا وطنجة. وحكم القصر الكبير بالنيابة عن أحمد الوزير سابق الترجمة ما بين 1527 و1530 ثم استقل بحكمها إثر وفاته ما بين 1530 و1557. وأضيفت إليه مدينة أصيلا سنة 1550 إثر الجلاء البرتغالي عنها. إلى أن ولي عليها خلفه عبد الرحمن (رحو) بن تودة العمراني، سابق الترجمة قائداً على المدينة وعلى أختها العرائش. وربما كان ذلك سنة 1554، ونعلم أن عبد الواحد العروسي بقي بالقصر الكبير إلى سنة 1557، حيث تم تعيين موسى بن مخلوف الجزولي.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المغربية المحتلة*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

S.I.H.M., France, I / 528 ; Angleterre, I / 392 ; Bernardo Rodrigues, *Annaes de Arzila*.

حسن الفكيكي

العروسي، عمر بن الحاج محمد بن العروسي الهلالي المصباحي الدكالي ثم الرباطي ذكره سليمان الحوات في فهرسته التي ألفها في التعريف بشيخه بناني محشي الزرقاني وعدّه من تلامذة الشيخ المذكور. ويقول بوجندار إنه وقف بخط حفيده العلامة الصوفي الحاج عمر عاشور على ما كتبه في التعريف به، ومُلخص ذلك أن المترجم أصله من دكالة انتقل منها بعد وفاة والديه إلى الرباط فاستوطنها وتزوج بها، قال وكان عالماً متفنناً مفتياً فريد عصره ووحيد دهره، انتهت إليه الرياسة في وقته، قرأ على شيوخ فاس مدة عشر سنين كاملة وارتحل إلى طنجة فأخذ عن شيوخها ثم على مشايخ الرباط كالعلامة الغربي ومعاصريه وتصدر للتدريس، فكان من جملة تلاميذه القاضي بَسِّيرْ والقاضي صالح الحكموي والقاضي عاشور وأخوه أبو العباس والفقيه الرفاعي والمفتي المكي أبو عبد الله بناني وغيرهم.

كانت وفاته في رجب الفرد عام خمسة عشر ومائتين وألف ودُفن بظاهر العلويين قصْبة الرشيد المعروفة بالقشلة وبين ضريح سيدي إدريس.

م. بوجندار، *تعطير البِساط بذكر تراجم قضاة الرباط*.

محمد الشياظمي

العروسي محمد بن **العربي** ولد سنة 1930 بإقليم سطات دفعته غيرته الوطنية إلى الانضمان إلى صفوف المقاومة المسلحة بمجرد انتقاله إلى مدينة الدار البيضاء حيث التحق بفرقة فدائية سرية يتزعمها عبد الرحمن الازهاري وذلك سنة 1954.

وقد كان مثالا للمواطن المجاهد في سبيل الله والوطن حيث قام بإيصال رسائل تهديد لبعض المتعاونين مع الاستعمار كما شارك في محاولات اغتيالهم وقد استشهد سنة 1955 في إحدى المواجهات مع الشرطة الاستعمارية.

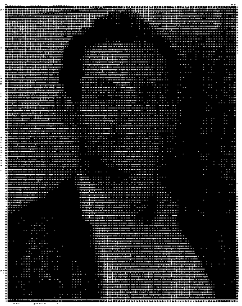

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 522822.

ابن **العروسي، محمد العيادي** العمْري، أسندت إليه قيادة عامر سنة 1283 / 1865 بعد عزل عبد الرحمان بن المعطي الهلالي. غير أنه مات سنة 1285 / 1867 مغتالا، وتقدم ذكر ولديه أحمد وسعيد.

م. بوشعراء، *التعريف*، 2 : 117 ؛ وعلاقة *المخزن*.

مصطفى بوشعراء

العروسي، الناصر بن طلحة سابق الترجمة، قائد القصر الكبير والعرائش بعد وفاة أخيه أحمد العروسي سابق الترجمة أيضا، وذلك في ربيع سنة 1530. نظم غزواته ضد أصيلا وطنجة بمعية القائد بنخديجة حاكم إزاجن وعلي بنشقرون، قائد العرائش السابق، وبمعيته أيضا الشيخ قرواش الخلطي. فمن ذلك غزوة يوم الجمعة 12 شتمبر 1532. وغزوة يوم 30 نوفمبر 1532. وكانت الغارة الأخيرة التي نظمها سنة 1534.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المغربية المحتلة*، أطروحة مرقونة، الرباط، 1991.

Bernardo Rodrigues, *Anaes de Arzila*.

حسن الفكيكي

عروض البلد صنف من أصناف الشعر العربي غير المعرب، اشتغل بنظمه بعض شعراء المغرب منذ العهد الموحدي مثلما اشتغلوا بنظم التوشيح والزجل، وكان في طليعتهم مبتكره بالمغرب، وهو ابن عمير.

وقد نوه بذكره المؤرخ ابن خلدون في المقدمة فقال : استحدث أهل الأمصار بالمغرب فنا آخر من الشعر في أعاريض مزدوجة كالموشح، نظموا فيه بلغتهم الحضرية وسموه "عروض البلد". وكان أول من استحدثه فيهم رجل من أهل الأندلس نزل بفاس يعرف بابن عمير، فنظم قطعة على طريقة الموشح لم يخرج فيها عن مذاهب الإعراب إلا قليلا، فاستحسنه أهل فاس وولعوا به ونظموا على طريقته وتركوا الإعراب الذي ليس من شأنهم، وكثر سماعه بينهم، واستفحل فيه كثير منهم، ونوعوه أصنافا إلى المزدوج والكاوي والمُلَعَّبة والغزل، واختلفت اسماؤه باختلاف ازدواجها وملاحظاتهم فيها.

وقد ساق ابن خلدون نموذجين من عروض البلد في صنف المزدوج من نظم ابن شجاع، كما ساق قطعة على نمط الموشح نظمها ابن عمير أولها :

ابكاني بشاطئ النهر نوح الحمـــام
على الغصن في البستان قريب الصباح
وكف السحر تمحو مداد الظـــلام
وماء الندى يجري بثغر الأقـــاح
باكرت الرياض والظل فيه افتـــراق
سر الجواهر في نحور الجـــوار
ودمع النواعـــر ينهـرق انهـــراق
يحاكي ثعابين حلقت بالثمـــار
لَوَوا بالغصون خلخـال كـل ســاق
ودار الجميع بالـروض دور الســوار

وقد أورد في ثنايا الفصل الثالث والخمسين من الباب الثالث عند الكلام على الملاحم ببتين من مُلَعِّبة منسوبة إلى الهَوْتنى على لغة العامة في عروض البلد، وعقب عليهما بقوله : هي طويلة ومحفوظة بين عامة المغرب الأقصى. والغالب عليها الوضعُ لأنه لم يصح منها قول إلا على تأويل تحرفه العامة أو الحارف فيه من ينتحلها من الخاصة. أما البيتان فهما :

دعني بدمعي الهتـــان — فترت الأمطار ولم تفتـر
واستقت كلها الويـدان — وانى تملـى وتنغـــدر

وقد أقل المؤرخون في نقل هذا الشعر وأعرضوا عن ذكره في كتبهم على نحو ما فعل المراكشي في *المعجب* والمقري في *النفح*، وكانوا يسمونه هزلا في مقابل الجاد من الشعر وهو الفصيح، ولذلك ضاع جل ما نظم فيه. ومن القلائل الذين نسب إليهم عروض البلد ابن عمير، وابن شجاع، وابن خبازة.

ويبدو أن هذا الشعر ارتبط بالغناء مثلما ارتبط به الموشح والزجل. ومما يدل على ذلك أن ابن عبد الملك ذكر في كتابة في ترجمة محمد بن حسن الفهري السبتي المتوفى عام 583 أن والده كان قوالاً يغني في المحافل والأسواق.

ع. الرحمن ابن خلدون، *المقدمة*، ط. بولاق، ص. 553 ـ 555 و529 ـ 530، المكتبة التجارية، ص. 340 ؛ ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

غْريبْ، تطلق في عرف سكان وادي درعة عامة، وسكان واحتي محاميد الغزلان ولكتاوة خاصة، على مجموعة من قبائل الرحل من رعاة الإبل والمعز التي طرأت على الواحات الجنوبية بدرعة خلال نهاية القرن 19 ومطلع القرن 20 م.

وتختص هذه الكلمة في مدلولها المحلي، بكل العناصر الأعرابية من شذاذ الآفاق، وشذاذ القبائل الصحراوية المنحلة. وقد طوحت الأحداث السياسية التي عرفتها مناطق الأطراف الجنوبية والشرقية ـ الجنوبية بعد الاحتلال الفرنسي لهذه الجهات في نهاية القرن 19 م ومطلع القرن 20 م، بهذه البقايا الأعرابية إلى واحات درعة. وقد ظلت قبائل عْريبْ بعد وصولها إلى درعة تزاوج ما بين الترحل والانتجاع وراء القطيع وممارسة حراسة المنتوجات الزراعية لسكان القصور، وتعرف هذه العملية محليا باسم "الرّعْية".

وبالرغم من أن عددا من الباحثين في تاريخ القبائل بالجنوب المغربي، يعتقدون أن قبائل عريب تنحدر من أصول معقلية، على اعتبار أنهم لا يختلفون عن القبائل الصحراوية من الحسانيين المعاقلة وغيرها في نمط العيش وأسلوب الحياة اليومية ناهيك عن اللهجة ونوعية اللباس التي تصنفهم ضمن لابسي الخنث (لباس من القطن الملون بالنيلج)، فإن هذه القبائل تتكون في الواقع من عناصر متباينة الأعراق والأصول لا شيء يجمع بينها إلا المصالح المشتركة المرتبطة أساسا بالتكتل والتحالف لتحقيق نوع من الحماية من القبائل الصحراوية الأخرى.

إذن فلا غرو والحالة هذه أن نجد من بين قبائل عريب بعض العناصر الزناتية أو الصنهاجية، وبعض المرابطين من أمثال حفدة مولاي عمر من ذرية أبي بكر بن عمر اللمتوني حسب ما يزعمون، أو فرقة النواجي، التي تنتسب إلى سيدي أحمد الناجي الوافد من تونس.

ويرى جورج سبلمان أن قبائل عريب، قبل نزوحها إلى وادي درعة، كانت تعيش في الصحراء المغربية، وينحصر مجال تحركهم ما بين تينبكتو جنوبا وهوامش بلاد درعة شمالا بل إنهم كانوا في زمن ما يهيمنون على الساورة وتيندوف وقد أدرك الفرنسيون بعض البقايا لقبائل عريب بعد احتلالهم لهذه الجهات. وكانت منطقة إيگيدي جنوب غرب محاميد الغزلان هي مركز التجمع لهذه القبائل قبل أن يتحركوا نحو بلاد درعة في نهاية القرن 19، وفي العقدين الأولين من القرن 20 م، كانت قبائل عريب تنتجع المناطق الممتدة ما بين الداورة السفلى شرقا وفم زگيد بإقليم طاطا الحالية غربا مروراً بواحة محاميد الغزلان.

وبعدما أحكمت قوات الاحتلال الفرنسي والإسباني قبضتها على الصحاري الجنوبية (بلاد أدرار، والصحراء المغربية) تدفقت أمواج بشرية من قبائل أولاد دليم، أولاد بوسبع والرگيبات على الواحات الجنوبية بدرعة، ونظراً للتشابه الكبير بين سلوك ونمط عيش هذه الأمواج البشرية الطارئة وقبائل عريب، فإن الطارئين لم يجدوا أدنى صعوبة في الاندماج والانصهار في القبائل العربية، فتضخمت أعدادها، وأصبحت أكثر استعدادا، لتدخل حلبة المنافسة والصراع من أجل الهيمنة والسيطرة مع بعض القبائل العلوانية التي كانت لها الكلمة العليا على سكان قصور دراوة بواحة المحاميد، وهكذا نجحت قبائل عريب بقيادة شيخها في حينه، سيدي محمد ولد سيدي خليل، من انتزاع قصر أولاد محيا من هيمنة قبائل آيت علوان، وحتى يتمكن ولد سيدي خليل من البقاء بالقوة في قصر أولاد محيا فقد استنجد بقبائل آيت خباش. إلا أن العلاقة قد توترت لأسباب غيرمعروفة بين آيت خباش والشيخ ولد سيدي خليل فقتلوه سنة 1349 / 1929 ولو لا تدخل القوات الفرنسية بعد احتلالها لوادي درعة مع بداية سنة 1350 / 1930، لاستولت قبائل آيت خباش على كل القصور التي هيمنت عليها قبائل عريب بواحة المحاميد.

تتشكل قبائل عريب من فرقتين كبيرتين هما النعامنة، وتتكون من النواجي والگواسم وأولاد رزگ ثم البْوادين.

وفرقة الكرادبة وتتكون من أولاد بوودن والزيود وأولاد رزوگ والدوابات وأولاد يوسف والورات ثم أولاد رحو. وبعد الاستقلال، انتقلت بعض القبائل العربية بشكل جماعي إلى أهم المراكز الحضرية بواحات درعة خاصة تاگونيت وزاگورة.

م. بن لحبيب التمنوگالي، العقود الجوهرية، مخطوط، خاص ؛ وثائق محلية في حوزة السيد بقاس صالح من محاميد الغزلان.

Spillmann, *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Dra* ; *Districts et tribus de la haute vallée du Dra* ; P. Azam, *Structure politique et sociale de l'oued Dra* ; *Sédentaires et nomades dans le sud marocain le coude de Dra.* (C.H.E.A.M.), Paris ; Dj. J. Meunier, *Les oasis des Lektaoua et des M'hamid*, *Hespéris*, n° 27, 1947 ; Inconnu, *Monographie de oued Dra.*

أحمد البوزيدي

عريضة 11 يناير 1944 جاءت كنقطة تحول هامة في تاريخ الحركة الوطنية المغربية لأنها مثلت القطيعة مع مرحلة الإصلاحات ودخول مرحلة جديدة تميزت بالنضال من أجل إلغاء نظام الحماية المفروض على البلاد في سنة 1912. وخلقت الحرب العالمية الثانية ظروفاً جديدة ساعدت الوطنيين على الانتقال بمطالبهم من مستوى ترميم نظام الحماية إلى القطيعة النهائية مع هذا النظام. فهزيمة فرنسا على يد الجيوش الألمانية في سنة 1940 بعثت الأمل في نفوس المغاربة بعدما أظهرت لهم أن فرنسا ليست بالقوة التي لا تُقهر. كما أن اعتماد ميثاق الأطلسي من دول الحلف المناهض لألمانيا في سنة 1941 جعل الوطنيين يتطلعون إلى مبادرات عملية من أجل ترجمة مبادئ هذا الميثاق إلى واقع ملموس يتجلى في تمتيع الشعوب المستعمرة (بفتح الميم) بحقها في تقرير مصيرها.

ثم جاء إنزال القوات الأمريكية في نونبر 1942 ومؤتمر أنفا بالدار البيضاء في سنة 1943، وخاصة ما جرى على هامشه من لقاء بين السلطان محمد بن يوسف والرئيس الأمريكي فرانكلن روزفيلت ؛ وهذه تطورات أكدت أهمية الدور الذي أصبحت أمريكا تلعبه على المستوى الدولي بعد تراجع القوى الاستعمارية التقليدية كبريطانيا وفرنسا. ولا يمكن كذلك إغفال التطورات التي شهدها المشرق العربي

والتي تمخضت في سنة 1943 عن استقلال كل من سوريا ولبنان، وهي أحداث كان لها وقع عميق في المغرب وفي سائر البلدان العربية. فهذه العوامل المرتبطة بالحرب العالمية الثانية أو الناتجة عنها فتحت آفاقاً جديدة أمام الحركة الوطنية المغربية وأذكت حماس الوطنيين للانتقال إلى مرحلة جديدة من النضال.

إن العريضة التي حررت بمنزل أحمد مكوار بفاس وقُدمت صبيحة يوم 11 يناير 1944 إلى السلطان والمقيم العام تستدعي بعض الملاحظات بخصوص محتواها وطبيعتها. فهي، أولا، لا تعكس التوجه السلمي الذي حاول علال الفاسي ومن ماثله من خريجي القرويين إضفاءه على الحركة الوطنية.

وقد يُفسر ذلك بالدور القيادي الذي لعبه خريجو المدارس العصرية، كأحمد بلافريج، في تحضير الوثيقة. كما قد يُفسر برغبة حزب الاستقلال في استدراج قيادة "الحركة القومية" وكسب تأييدها للعريضة. ثم إن الوطنيين من خلال هذه العريضة كانوا يتوجهون بالدرجة الأولى إلى القوى الغربية، وخاصة الحلفاء، لاقناعهم بحقوق المغرب المشروعة، فخاطبوهم بلغة "تقرير المصير" و"الديموقراطية" متحاشين إضفاء الطابع الديني على مطالبهم، وهو ما قد تستعمله فرنسا لتُظهر الوطنيين بمظهر المتعصبين للدين والمناهضين لقيم التقدم والتحرر بمعناها الليبرالي الغربي. والواقع أن المرجعية الدينية للوثيقة ضعيفة جداً إذ انحصرت في الإشارة إلى انتماء المغرب إلى مجموعة الدول الإسلامية، وفي أن الحريات الديموقراطية التي يطالب بها المغاربة لا تتعارض مع "مبادئ ديننا الحنيف".

ثانياً، إن الوطنيين بتقديمهم لعريضة الاستقلال لم يقطعوا الصلة تماماً مع النهج الإصلاحي. فالاصلاحات التي طالب بها الوطنيون من قبل مازالت موجودة في صلب الوثيقة، لكن الوطنيين أصبحوا يعتقدون الآن أن هذه الاصلاحات لن تتحقق إلا عبر الاستقلال وليس تحت رعاية الدولة الحامية. ثالثاً، لقد اختار الوطنيون للوصول إلى هدفهم، الذي هو الاستقلال، طريق الحوار والإقناع، متجنبين نهج التطرف أو الدعوة إلى العُنف. فالعريضة مثلا تُطالب بالاستقلال ولم تُعلن الاستقلال كأمر واقع. وهكذا صرحت الوثيقة بأن الحزب "يطالب باستقلال المغرب" ويلتمس من السلطان أن يدخل في حوار مع المجموعة الدولية كي تعترف بهذا الاستقلال. رابعاً، لقد أعلنت العريضة بوضوح عن طبيعة النظام السياسي الذي يطمح الوطنيون إلى تحقيقه، وهو نظام ملكي وديموقراطي، ولكنها تركت للملك رعاية الاصلاحات الداخلية وتحديد مضمونها.

موقف السلطان من عريضة الاستقلال وردود الفعل

عندما قدم الوطنيون عريضة الاستقلال يوم 11 يناير 1944 إلى السلطان سيدي محمد بن يوسف قرر هذا أن يُعين لجنة مخزنية لمتابعة الحوار مع الوطنيين وفوض لوزيرين من وزرائه مهمة الإشراف على هذه اللجنة. ويظهر أن الضغوط القوية التي تعرض لها السلطان من الإقامة العامة قد أدت إلى ظهور تباين في المواقف بين سيدي محمد بن يوسف وقيادة حزب الاستقلال. وهكذا فشلت لقاءات الوطنيين باللجنة الملكية يومي 15 و18 يناير من الوصول إلى نتيجة ملموسة، وهو ما جعل حزب الاستقلال يوضح موقفه في مذكرة رفعها إلى السلطان يوم 18 يناير 1944. ويظهر من هذه المذكرة أن سيدي محمد بن يوسف كان لا يزال يُعلّق الأمل على أسلوب الإصلاحات في إطار سيادة مشتركة مع فرنسا، بدل اختيار الاستقلال الذي كان الوطنيون يُلحون عليه. وتقول المذكرة بهذا الخصوص : "لقد درسنا بإمعان مجموع الإصلاحات التي تم التطرق إليها خلال اجتماعاتنا، إصلاح جوهري ودائم على أساس سيادة مقتسمة بين المغرب وفرنسا ... وبالإضافة إلى ذلك فنحن لا نتوفر على أية ضمانات لتحقيق الإصلاحات المقترحة ... وفي الواقع، تقول المذكرة، فإن أي إصلاح حقيقي لا يمكن أن يتم إلا في إطار سيادة واحدة، ولايمكن أن تكون هذه السيادة إلا في يد جلالة السلطان الذي هو منبع السلطتين التشريعية والتنفيذية".

كما حرص الوطنيون في هذه المذكرة أن يُطمئنوا الفرنسيين وأن يؤكدوا لهم أن المغاربة لن يقطعوا حبل التعاون مع فرنسا، وأن مصالح الفرنسيين والأجانب بالمغرب سوف تبقى محفوظة، وأن الاستقلال المنشود لا يتنافى مع هذه المصالح.

لكن هذه التطمينات لم تمنع سلطات الإقامة العامة من اللجوء إلى أسلوب الاستفزاز والقمع لإخماد صوت الحركة الوطنية. وهكذا عمدت الشرطة العسكرية يوم 29 يناير إلى اعتقال أحمد بلافريج ومحمد اليزيدي وأعضاء آخرين من حزب الاستقلال، متهمة البعض منهم بالتواطؤ مع العدو وربط اتصالات مع ألمانيا النازية. وقد أسفرت هذه الاعتقالات عن موجة من المظاهرات الشعبية في كل من الرباط وسلا ومراكش وفاس حيث استمرت المواجهات مع قوات الاحتلال أكثر من عشرة أيام. وخلال هذه الأحداث الدامية سقط العشرات من الضحايا. ثم بعد ذلك عمدت سلطات الحماية إلى إبعاد أحمد بلافريج إلى جزيرة كورسيكا بينما منعت أحمد مكوار من الإقامة بفاس واعتقلت عشرات الوطنيين.

عريضة الاستقلال وعريضة ما بعد الاستقلال

بين عريضة 11 يناير 1944 كما قدمها الوطنيون إلى السلطان والمقيم العام وممثلي الدول الحليفة والعريضة التي أصبحت متداولة بعد استقلال المغرب في سنة 1956 توجد اختلافات واضحة، خاصة فيما يتعلق بقائمة الموقعين على الوثيقة. فالنسخة التي تحتفظ بها الأرشيفات الفرنسية والبريطانية والأمريكية تحتوي على ثمانية وخمسين موقعاً (58)، وليس على خمسة وستين (65) كما نجد في العريضة "المنقحة" التي تنشرها الصحف كل سنة عند حلول ذكرى 11

يناير. وبوسعنا أن نطمئن إلى العدد الأول لأنه هو العدد الذي أكده الحسن الثاني في كتابه التحدي (ص. 35)، والمؤرخون الذين عاشوا الأحداث عن قرب مثل شارل أندري جوليان. ويظهر إذن أن الوثيقة التي تُنعت بالأصلية، والتي تحتفظ بها الوثائق الملكية بالرباط، قد أدخلت عليها زيادات (وانتقاصات) ربما لتلبية رغبات وطنيين لم يتمكنوا من توقيع الوثيقة في حينها. ومن الغريب أن حتى حزب لاستقلال، الذي كان وراء العريضة تفكيراً وإنجازاً، قد تبنى هذه الصيغة "المنقحة" فأصدر في سنة 1988 "قائمة شرف" تتضمن ستة وستين موقعاً (66) بدل الثمانية والخمسين المثبتة أسماؤهم في عريضة 11 يناير 1944. ومما يسترعي الانتباه بخصوص قائمة الموقعين أن "عريضة ما بعد الاستقلال" لم تلحقها الزيادة فقط، بل انتقص منها أحد الموقعين وهو محمد القرسيوي، عالم من وزان، والذي كان من جملة من وقع عريضة 11 يناير 1944.

أما نص الوثيقة فلم يطله تغيير، لكن المتمعن في النص الذي أثبته علال الفاسي في الحركات الاستقلالية يلاحظ غياب الجملة الأخيرة من العريضة والتي تتعلق بتصور النظام السياسي الداخلي. وتقول هذه الجملة : "ويكل [حزب الاستقلال] لنظره [السلطان] السديد إحداث نظام سياسي شوري شبيه بنظام الحكم في البلاد العربية الإسلامية في الشرق، تُحفظ فيه حقوق سائر عناصر الشعب المغربي وسائر طبقاته، وتحدد فيه واجبات الجميع".

وتشير في الختام إلى أن هذه العريضة همت منطقة الحماية الفرنسية فقط، أما الوطنيون بالمنطقة الخليفية بالشمال فقد سبق لهم أن اعتمدوا "ميثاقاً وطنياً" في دجنبر من سنة 1942 يطالبون فيه باستقلال المغرب واستعادة وحدته الترابية في ظل النظام الملكي. وقد أبلغوا محتوى هذا الميثاق إلى خليفة السلطان بتطوان وكذلك إلى ممثلي بريطانيا والولايات المتحدة بطنجة. ومما لاشك فيه أن أحمد بلافريج الذي كان على صلة وثيقة بالوطنيين بالمنطقة الشمالية قد استلهم من هؤلاء الكثير من الأفكار التي يظهر أثرها واضحاً سواء في مضمون عريضة الاستقلال أو في الاستراتيجية المتبعة لتقديم المطالب الوطنية.

الموقعون (58)

(حسب الترتيب الوارد في النسخ المسلمة
إلى الإقامة العامة وممثلي الخلفاء)

محمد اليزيدي ـ الحاج أحمد الشرقاوي ـ الحاج أحمد بلافريج ـ محمد غازي ـ عبد الكريم بن جلون التويمي ـ عبد الكبير بن عبد الحفيظ القاسي الفهري ـ عبد الجليل القباج ـ عبد الله الركراكي ـ مسعود الشيگر ـ المهدي بن بركة ـ محمد الجزولي ـ الحاج محمد الرفاعي ـ أبو بكر القادري ـ محمد البقالي ـ الصديق بن العربي ـ عبد الرحيم بوعبيد ـ أبو بكر الصبيحي ـ الطاهر زنيبر ـ محمد الديوري ـ محمد الفرسيوي ـ إدريس المحمدي ـ أحمد بن شقرون ـ محمد بن عزو ـ محمد العيساوي المسطاسي ـ عمر بن شمسي ـ عبد الهادي الصقلي ـ أحمد مكوار ـ الحاج عمر بن عبد الجليل ـ الهاشمي الفيلالي ـ عبد العزيز بن إدريس العمراني ـ الحاج الحسن بوعياد ـ مَحمد الزغاري ـ أحمد باحنيني ـ أحمد ختات الحمياني ـ أحمد بن بوشتى ـ محمد السودي ـ عبد الكبير بن المهدي الفاسي ـ عبد الوهاب الفاسي ـ محمد عبد الرحمان السعداني ـ قاسم بن عبد الجليل ـ الفاطمي الفاسي ـ بناصر بن الحاج العربي ـ عبد الحميد بن مولاي أحمد ـ عبد الله بن عمر ـ عمرو بناصر ـ بوشتى الجامعي ـ مَحمد بن الجيلالي بناني ـ أحمد بن عثمان بن دلة ـ الحسن بن جلون ـ محمد الحمداوي ـ محمد العربي العلمي ـ محمد بن الخضير ـ عبد السلام المسناوي ـ عبد الله بن إبراهيم ـ عبد القادر حسن ـ الحسين بن عبد الله الورزازي ـ امبارك بن أحمد ـ أحمد المنجرة.

لجنة الإعلام لحزب الاستقلال، *قائمة الشرف*، 1988 ؛ مذكرة إلى جلالة الملك بشأن محادثات لجنة حزب الاستقلال مع اللجنة المخزنية (الترجمة الفرنسية) ؛ عريضة حزب الاستقلال (الترجمة الفرنسية)، *وثائق وزارة الخارجية البريطانية*، *F0371 / 42170* . نفس العريضة أثبتها جون هولسطيد (John Halstead) في كتابه المذكور أسفله.

Hassan II, *Le Défi*, Albin Michel, Paris, 1976 ; Charles-André Julien, *L'Afrique du Nord en Marche*, René Julliard, Paris, 1972 ; *Le Maroc face aux impérialismes*, 1415 - 1956, Editions Jeune Afrique, Paris, 1978 ; John Halstead, *Rebirth of a Nation*, Center for Middle Eastern Studies of Harvard University, Cambridge, Mass., 1969 ; Robert Rezette, *Les partis politiques marocains*.

محمد المنصور

عريضة 13 يناير 1944 (للمطالبة بالاستقلال والديموقراطية). ظلت عريضة 11 يناير 1944 تُذكر وحدها في مجال المطالبة بالاستقلال وتدرج عريضة 13 يناير المعززة لها المقدَّمة من طرف الحركة القومية من ضمن رسائل التأييد العديدة التي كانت تحملها الوفود إلى القصر الملكي من مختلف الجهات طوال أسبوع التضامن والتأييد لمطلب الاستقلال.

وقد قدم المرحوم محمد حسن الوزاني بعد رجوعه من المنفى بيانات عن ظروف تأخر أنصاره القوميين عن توقيع عريضة 11 يناير، ودواعي قيامهم بتحرير عريضة 13 يناير 1944، فأدرك الناس حينئذ أهمية مذكرة 13 يناير 1944 وتغيرت نظرة المنصفين إليها، ومنهم الحاج بوبكر الصبيحي العضو البارز في حزب الاستقلال الذي كان يؤلِّف كتاباً في تراجم الموقعين على عريضة 11 يناير، فراسل محمد حسن الوزاني وتلقى منه جواباً مفصلاً ونسخة من عريضة 13 يناير، فأعاد الصبيحي النظر في تصميم كتابه ليضم تراجم الموقعين على عريضتي 11 و13 يناير 1944 معاً. وكان من بين الذين اتصل بهم من الموقعين على عريضة 13 يناير وطلب منهم عناصر ترجمتهم محمد بن عبد الهادي المنوني وتوجد صورة من مسودة هذا الكتاب وضمنها عريضة 13 يناير في

الخزانة الحسنية بالرباط، كما توجد المسودة الأصلية للكتاب في الخزانة العلمية الصبيحية بسلا.

وقد نشرت جريدة الاتحاد الاشتراكي بمناسبة الذكرى الخمسينية للمطالبة بالاستقلال يوم 11 يناير 1994 نص عريضة الحركة القومية مع تقديم تناول ظروف انقسام الحركة الوطنية سنة 1937 إلى فرعين، أحدهما الحركة القومية التي أصبحت تدعى حزب الشورى والاستقلال سنة 1946 بعد أن استعاد الزعيم الوزاني حريته.

ثم تحدث محمد حسن الوزاني بإسهاب في الجزء السادس من *مذكرات حياة وجهاد* عن أسباب تأخر القوميين في توقيع عريضة 11 يناير. ذلك أنها عُرضت عليهم في المرحلة الأخيرة قبيل تقديمها للجهات الرسمية، ولم تُعطَ لهم الإيضاحات التي طلبوها ليكونوا على بصيرة منها. بالإضافة إلى أن العرض الذي قُدم إليهم اشتمل على شقين، الأول الدخول في الحزب الجديد (الاستقلال) الذي كان الاعلان عنه وشيكاً لتحقيق الوحدة الوطنية مثلما فعل قدماء التلاميذ، والثاني التوقيع على عريضة المطالبة بالاستقلال التي قُدمت يوم 11 يناير.

رفض القوميون الشق الأول من العرض لأنهم لا يؤمنون بالحزب الوحيد، ويرون إمكانية تحقيق الوحدة الوطنية عن طريق تأليف "جبهة وطنية، وكتلة سياسية ووحدة ائتلافية". ورحَّبُوا بالشق الثاني الذي هو المطالبة بالاستقلال ورغبوا في مهلة قصيرة لأخذ رأي فروع الحركة في مختلف أنحاء البلاد عملاً بمبدئهم الديموقراطي. فأعطوا المهلة وشرعوا في اتصالاتهم، لكنهم فوجؤوا بعد قليل بتقديم العريضة دون مشاركتهم. وقد زاد عبد الهادي بوطالب مسألة تأخر القوميين في توقيع عريضة 11 يناير 1944 توضيحاً وتدقيقاً في كتابه *نصف قرن في السياسة* المنشور سنة 2001، إذ كان هو المخاطب الرئيسي لأصحاب العريضة بسبب وجود الزعيم الوزاني في المنفى وغياب قيادة الحركة القومية كلها. جاءه أولاً مَحمد ابا حنيني ومحمد الزغاري في 21 أو 22 دجنبر 1943 من جمعية قدماء تلاميذ مولاي إدريس فأخبراه بأن هناك اتجاهاً إلى تأسيس حزب وطني جديد يخرج بالمغرب من مرحلة المطالبة بالإصلاحات في إطار الحماية إلى المطالبة بالاستقلال ويرغبان في أن تكون الحركة القومية من بين الفصائل التي يتألف منها الحزب الجديد، ثم اتصل به المهدي ابن بركة في الموضوع، وبعد اتصالات عديدة برديف القيادة القومية بفاس لم يجرؤا على اتخاذ موقف حاسم لا سيما حل الحركة القومية واندماجها في الحزب الجديد، وظلوا ينتظرون جواب الوزاني الذي بعث إليه بلافريج وابن عبد الجليل مبعوثاً سرياً يحمل نسخة من العريضة لاستشارته، لكن تأخر الاتصال بالوزاني بسبب الحراسة المشددة حوله، وأخيراً تم الاتصال به فرفض فكرة الحزب الوحيد وأيد المطالبة بالاستقلال مبدياً ملاحظات حول تحرير الوثيقة وحيثياتها. واعتبر بلافريج ومن معه ملاحظات الوزاني حول العريضة رفضاً وتخلوا عن محاولة جلب الحركة القومية إلى جانبهم.

ظل بوطالب على اتصال بابن بركة آملاً أن يشارك القوميون في توقيع العريضة بطريقة مَّا حتى صباح الجمعة 10 يناير حين تهامس الناس في الرباط بأن العريضة تم التوقيع عليها وستقدم قريباً إلى السلطان والاقامة العامة. حاول بوطالب دون جدوى أن يوقع هو والأستاذ الجناتي المحامي بالرباط هذه العريضة باسم الحركة القومية.

وعن اهتمام محمد الخامس بموقف القوميين في المطالبة بالاستقلال بقول بوطالب : "وفي نفس اليوم - 11 يناير 44 - نودي عليّ للتوجه من المعهد المولوي إلى القصر فاستقبلني السلطان وقد بدا على محياه الاهتمام بالموضوع الخطير. وبادرني بسؤاله : "لماذا لم توقع "الحركة القومية" على العريضة ؟" وأضاف : "عندما قدمتُ عريضة حزب الاستقلال إلى المقيم العام اعترض عليّ قائلاً : هذه العريضة لا تمثل إلا فصيلة من فصائل الرأي العام المغربي، ولم يُمض عليها جزب وطني آخر هو الحركة القومية فلا يوجد عليها إجماع". فرويت للسلطان قصة عدم توقيعنا عليها. وقال : "وماذا ستفعلون الآن ؟" قلت : سأتصل حالا بأصدقائي بفاس ليُعدّوا عريضة خاصة بنا، فأعطنا بعض الوقت". سألني : "كم يلزم من الوقت ؟" فكان جوابي : "العريضة ستكون جاهزة في أقرب وقت ممكن، سأتصل برفقائي وآمل أن تصل عريضتنا إلى جلالتكم قريبا".

وفي صباح يوم 13 يناير حضر وفد من حزب "الحركة القومية إلى القصر حاملا عريضة موقعة من فووع الحركة بالمغرب. وهي تواقيع تم جمعها في أقل من 48 ساعة، وتقدمنا بها إلى جلالة السلطان الذي قال لنا : "هذه العريضة لها أهمية كبيرة عندي. سأستدعي المقيم العام الفرنسي لأقول له : ها هي عريضة الجماعة الوطنية التي قلت لي إنها غير موافقة على المطالبة بالاستقلال. وما أن اطلع المقيم العام على عريضة 13 يناير 1944 حتى سُقط في يده، وفي نفس اليوم انعقد المجلس الوزاري الموسع وحضره كبار القواد والباشوات والقضاة والأعيان وأفراد الأسرة المالكة، وبعد أن عرض عليهم جلالة الملك مضمون العريضتين أيدوه بالإجماع.

تتجلى أهمية عريضة 13 يناير، علاوة على أنها حققت الإجماع السياسي، في أنها صيغت بكيفية متقنة لا تترك للعدوّ أيّ ثغرة للطعن فيها. فهي تعلن في الطليعة موقف أصحابها إجمالاً بالتضامن التام مع حزب الاستقلال، وتستعمل في التفصيل عبارات عريضة 11 يناير المتعلقة بالسياسة العامة والسياسة الداخلية حتى يكون مطلب العريضتين واحداً موحداً. وتحمل عريضة القوميين توقيعات شخصيات بارزة، إن نقص عددها عن توقيعات العريضة الأولى، فإنها لاتقل عنها أهمية وتمثيلية ونضالاً. إذ فيهم علماء وكتاب وأساتذة في القرويين وفي الثانويات العصرية الكبرى، وقدماء تلاميذ وعدد وافر من علماء الشباب خريجي جامعة القرويين بالإضافة إلى تجار وفلاحين وملاكين عرفوا المنافي والسجون.

لقد كانت بحق عريضة 11 يناير 44 فتحاً مبيناً في التفكير الوطني وتوجيهاً سليماً للكفاح السياسي نحو الطريق اللاحب الأقوم للتحرر من نير الاستعمار، كما برهنت عريضة 13 يناير 44 عن وطنية مثالية صادقة وعزيمة ثابتة لأصحابها على متابعة العمل المشترك من أجل تحقيق الاستقلال والديموقراطية.

وهذه أسماء الموقعين كما أثبتها محمد بن الحسن الوزاني :

عبد الهادي الشرايبي - عمر بن محمد العراقي - علي العراقي - عبد القادر بن شقرون - محمد بردلة - محمد بن الغالي الكتاني - حماد العراقي - عبد الهادي بن المأمون العراقي - إدريس بن الماحي الإدريسي - عبد العزيز بوطالب - الحاج عبد القادر العلج - محمد بوطالب - محمد بن المكي بن زاكور - محمد الصميلي - محمد بن عبد الله - العابد الخرشفي - عبد الرحمان بن محمد الوزاني - الحبيب بن عمور - إدريس بن محمد الوزاني - محمد بن عبد السلام المنوني - محمد الطاهري - محمد بن عبد الهادي المنوني - إبراهيم الهلالي - محمد بن أحمد برادة - عبد القادر بن جعفر العلوي - العلمي بن محمد الزهراوي.

نص عريضة 13 يناير 1944 ؛ م. حسن الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد*، مؤسسة م حسن الوزاني، بيروت، ج 6 ؛ ع. الهادي بوطالب، *نصف قرن في السياسة*، الدا البيضاء، 2001 ؛ م. حجي، جولات تاريخية، الدار البيضاء، 198، ج 2.

محمد حجي

العريف يعني لفظ العريف والعريفة في اللغة العربية العالم بالشيء والخبير بأمره. ويطلق مصطلح العريف أيضاً على الشخص القيم على أمر كعريف المطبخ والفراش واللباس والزينة وتربية الأطفال. كما أن لفظ العريف في الميدان العسكري يدل على أقل رتبة في التسلسل الهرمي للجندية وهو قائد عشرة جنود وهي مجموعة أصغر عدد من القوة العسكرية. وقد كان هذا المصطلح بالضبط ومازال مستعملاً بشكل قليل في اللسان الدارج المغربي على نفس الطريقة التي كان يتداوله بها الجنود الفرنسيون الذين كانوا يطلقون على العريف "الكابران" وهي في أصلها كابورال Caporal. كما كان نفس اللفظ سائداً في ميدان التربية والتعليم في عهد الاستعمار وفي بداية الاستقلال حيث كان العريف رتبة إدارية تربوية تطلق على المدرس المبتدئ الذي كان يفوض إليه أمر رعاية الأطفال وحراستهم وتلقينهم المبادئ الأولية والكتابة، فكان المعلمون إلى أجل قريب يتحدثون عن العريف والعرضي والمتدرب والرسمي.

إلا أن الاستعمال السائد لكلمة العريف والعريفة في اللسان الدارج المغربي يرتبط أساسا بجهاز القضاء. فقد كان الشخص المكلف بالبحث والاستقصاء وتتبع تنفيذ الأحكام الشرعية - والإشراف على عمليات التفتيش داخل البيوت عن المسروقات أو غيرها والسهر على الحجز الكلي أو الجزئي للأمتعة والممتلكات والوقوف على العيوب الجنسية وعلاقات التوتر والإخلال بالقيام بالواجبات الزوجية وإلحاق الأضرار بالأطفال يسمى عريفاً. وبما أن هذه المهمة كانت ترتبط بالأسرار الداخلية للأسر وتنظر في أمور يصعب على الذكور ممارستها. فقد كان شأنها يوكل بأمر من القاضي نفسه إلى الإناث فكان الناس لذلك في المحاكم الشرعية المغربية يعرفون العريفة أكثر من العريف.

وكانت العريفات من النساء تتوفرن على سلطة معترف بها لدى الخاص والعام، وكان القاضي ومازال إلى اليوم، يستعين بهن قبل إصدار أحكامه أو بعدها أو الإشراف على تنفيذها. من أجل ذلك كانت العريفات تخترن من بين أكثر النساء خبرة ومعرفة واتزانا وكفاءة وعدلا وصرامة، فكان يؤخذ برأيها ويعتد بتقويمها للأمور ويستنار باقتراحاتها واستقصاءاتها في النوازل والدعاوي والشكاوي.

Joseph Bourilly, *Eléments d'éthnographie marocaine*, Paris, 1932 ; Louis Brunot, *Textes en arabe du dialecte de Rabat*, Fès 1918 ; R. Dozy, *Supplément aux dictionnaires arabes*, tome 2, s. d. ni lieu ; Joseph Chelhod, *Introduction à la sociologie de l'Islam*, Paris, 1958 ; G. S. Colin, *La vie marocaine*, Paris, 1953 ; Un document sur l'arabe dialectal, in *Hespéris*, tome 12, fasc. unique, 1931 ; Albert Depreaux, *Les uniformes des troupes de la marine et des troupes coloniales et nord-africaines*, Paris, 1931 ; A. Dialmy, *Sexualité et discours au Maroc*, Casablanca, 1988 ; Tarik Faizi, *La situation de la femme en Islam*, in *La Pensée* n° 1, novembre 1962.

محمد بوسلام

عريف، علي بن حسن من مواليد الدار البيضاء سنة 1935 عرف منذ شبابه بالوطنية والاستقامة ونقاوة الضمير والشجاعة فانضم إلى الحركة الوطنية وشارك في الكفاح المسلح بروح حماسية منذ التحاقه سنة 1954 بمنطقة الهلال الأسود وشبان الفداء بالدار البيضاء تحت اسم عليوات المستعار.

وأعماله في المقاومة كثيرة ومتنوعة حيث كان يقوم بكل ما من شأنه أن يقلق راحة المستعمر، كإحراق أحد الأوربيين داخل سيارته بطريق مديونة واغتيال أحد المتعاونين مع المستعمر بمشاركة عبد الرحمن الغويري، كما قام بوضع قنبلة في إحدى الحافلات وأخرى بمركز للشرطة بالإضافة إلى إحراق حافلة نقل بابن مسيك ومحل للدخان بدرب الإسبان ومتجر لبيع الراديو بنفس الحي، وبقي نشيطا في عمله هذا دون خوف أو تعب مؤمنا بأن السلاح هو طريق الخلاص إلى أن لقي حتفه سنة 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 525669.

العزابة، ويقصد بهم من جهة، الرعاة الظعن الذين ينتقلون رفقة قطعان الماشية بحثاً عن الماء والكلأ في رحلات رعوية دورية دائمة أحيانا وظرفية محدودة لا تتجاوز سوى

أشهر معدودة أحيانا أخرى. إذ يقيمون، في هذه الحالة، عزائب في مواضع محصنة طبيعيا يأوون إليها ليلا رفقة ماشيتهم ولا يبرحونها إلا مع إشراقة الصبح. وغالبا ما تبنى هذه العزائب على مقربة من الكهوف والأجراف على هيئة سياجات دائرية بواسطة قطع مصفوفة من الحجارة مدعمة بالحلفاء والنباتات الشوكية. وتلعب هذه العزائب في المجال الطبيعي دورا لا يستهان به سواء في حماية القطيع من قساوة أحوال الطبيعة وتقلباتها الجوية أو في حراسته من أي اعتداء من الاعتداءات المحتملة (اللصوصية أو هجومات الحيوانات). وكلما غادر العزابة مجالات رعوية معينة ـ بعد استنفاذ ما بها من إمكانات عشبية ونباتية وحلوا بمجالات جديدة أكثر خصبا ووفرة ماء ـ إلا وأقاموا فيها عزائب بديلة. وتستمر هذه الحركة وفق هذا النسق في تساوق تام مع تقاليد وأعراف رعوية مرعية، تستجيب، من جهة لخصوصية التنظيمات القبلية للمراعي الجماعية، وتتوافق، من جهة أخرى، مع المؤهلات الرعوية التي توفرها الأوساط الطبيعية المتفاوتة جداً وخصوبة من منطقة إلى أخرى.

ومن جهة أخرى، يقصد بهم العزاب غير المتزوجين الذين كانوا يتولون، أول الأمر، عملية الإشراف على استغلال وتسيير العزائب التي كانت في حوزة إما بعض وجهاء المخزن وأعيان المدن أو بعض الشرفاء وشيوخ الزوايا. غير أن هذا المعنى اتسع فيما بعد، حيث أصبح يدل في مغرب القرن الثالث عشر (19 م) على كل سكان القرى والمستغلات الزراعية والأراضي الرعوية التابعة لسادة العزائب إما بموجب علاقات الاستغلال الخاضعة حصرا لاقتسام المنتجات وتوزيع أعبائها، وإما بموجب صلات التبعية الإقطاعية التامة سواء من جهة التصرف القانوني في الأرض أو من جهة التحكم الفعلي والكامل في رقاب العزابة ذاتهم وحرياتهم وحقوقهم الاجتماعية. والملاحظ في هذا السياق، أن الأوضاع العامة التي عاشتها فئات العزابة في مختلف المناطق المغربية لم تكن على قدر واحد من حيث درجة الاستغلال أو هامش الحرية، بل اختلفت اختلافا متفاوتا من عزيب إلى آخر. ويرجع ذلك، كما هو معلوم، إلى أن ظهائر إقطاعات العزائب لم تكن تخول للحائزين عليها من الشرفاء وأرباب الزوايا، في آن واحد، الحاصلات الزراعية وموارد الجباية الشرعية فضلا عن حرية التصرف في سكان القرى والأراضي المقطعة، بل كانت تمنح لهم أحيانا كل هذه الامتيازات مجتمعة وأحيانا أخرى منقوصة بهذا القدر أو ذاك.

وقد اتسمت علاقات العزابة بمتبوعيهم من الشرفاء ومشايخ الزوايا، في بنيتها العامة، بالقهر والإكراه على أكثر من مستوى، حيث لم يكن بإمكانهم التحرك أو الانتقال بحرية من عزيب إلى آخر إلا إذا حصلوا على موافقة سادتهم لأنهم هم الذين كانوا يملكون وحدهم دون سواهم حق التصرف في رقابهم إلى حين انقطاع ذريتهم، كما كانوا ملزمين بتقديم مختلف أصناف الخدمات والتسخيرات التي تقتضيها روابط التبعية والحماية الواجبة، علاوة على الأعشار والزكوات والهبات الموسمية. وفي مقابل هذا وذاك، كان الشرفاء وأقطاب الزوايا يوفرون للعزابة الأمن والإعفاء من أي تكليف أو مطلب جبائي فضلا عن حمايتهم من الخضوع للقضاء المخزني. وإذا كانت مؤسسات العزائب قد انتشرت بدرجات متفاوتة تنظيما ومساحة في جهات مختلفة من المغرب خلال القرن الثالث عشر (19 م)، فإن أكبر العزائب شساعة وأقواها نفوذا وتمكنا قد تركزت على وجه الخصوص في جهتي الغرب وجبالة. ويكفي للدلالة على خصوصية هذا الواقع الإشارة هنا، تمثيلا لا حصرا، إلى أن الشريفين الوزانيين مولاي علي ومولاي ابنا الشيخ الحاج عبد السلام الوزاني كان بحوزتهما في مطلع القرن العشرين 18 عزيبا في منطقة الغرب تحتوي على 130 خيمة تسع 2.255 فردا من السكان وتتوفر على 204 من البنادق و22 من الخيالة و194 زوجة حرث و5650 رأس من الأبقار و200 فرسا.

م. الهراس، *القبيلة والسلطة*، 95 ـ 96 ؛ د. إيلكمان، *الإسلام في المغرب*، 66 ـ 70 ؛ هـ. الهروي، *مسألة الإقطاع بالمغرب من خلال البنيات القبلية*، رسالة مرقونة، كلية الآداب، الرباط، 1996 ـ 1997، 142 ـ 145.

A. Halim, *L'iqta et l'appropriation de la terre au Maroc* (le cas du Gharb), mémoire de 3ème cycle en sociologie, Université Mohammed V, Rabat, 1977, p. 160 - 166.

الفقيه الإدريسي

العزّ، أسرة تطوانية أصلها من قرية العز الواقعة بمقاطعة ألمريا Almeria بجنوب الأندلس حيث مازالت القرية المذكورة تعرف بـCariatiz (قرية العز) ؛ ويتعلق الأمر بالأسرة التي غادرت قريتها وانتقلت إلى غرناطة أمام الزحف المسيحي على مقاطعة المريا سنة 895 (1490).

وعند سقوط غرناطة سنة 897 (1492) نَزحت إلى قبيلة بقوية الريفية حيث استقرت بقرية بوغمبوب وأصبحت تعرف باسم ابن عزوز (انظر ابن عزوز).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية:

محمد ابن عزوز حكيم

العزّ ضياء الدولة البرغواطي هو ضياء الدولة يحيى بن سكوت بن محمد البرغواطي. ثاني وآخر أمير برغواطي يتولى السلطة في سبتة بعد موت سكوت 471 / 1079 (*المعلمة*، 1170). وقد رشحه أبوه للسلطة عندما اختاره حاجبا لدولته، وعينه خليفة له في ولاية العرش. جسد ذلك في العملة التي ضربها والتي حملت بالإضافة إلى اسم سكوت ولقبه واسم الخليفة العباسي عبد الله القائم بالله، اسم ولقب ابنه الحاجب بهاء الدولة العز. كما انتدب لحكم طنجة باسم أبيه. وتفيد المصادر أنه كان للعز ضياء الدولة تأثير مباشر على والده في إبعاده عن المرابطين وعدم

الاستجابة لهم عندما عرضوا عليه التحالف ضد الزناتيين المغراويين الفارين من وجه المرابطين والمعتصمين بحصن الدمنة بالقرب من طنجة. إلا أن سقوط الحصن بيد المرابطين والقضاء على الامارة المغاوية وضعت الإمارة البرغواطية وجها إلى وجه مع الزعماء المرابطين. فكانت المعركة التي وقعت بالقرب من وادي منى بضواحي طنجة سنة 70 ـ 471 / 78 ـ 1079 والتي انتهت بمقتل سكوت ودخول المرابطين طنجة. فأفضى الملك إلى العز ضياء الدولة الذي تحصن بسبتة التي أقام بها دولة امتدت زهاء خمسة سنوات، ذاع خلالها صيته، وجاءه الشعراء من كل صوب. فوجدوا في رحابه الجود والكرم. "فأعرض به الشعراء وأطالوا ووجدوا به السبيل إلى المقال فقالوا". فكان من أهم الشعراء الذين نالهم الحظ الجسيم من دنياه، الشاعر الحصري الضرير الذي نظم فيه "ما أذهل الناظر عن الرقاد وأغنى المسافر عن الزاد". ويبدو أن العز ضياء الدولة انشغل باللهو وزينة الدنيا عما يجري حوله وما يدبر في شأنه. فكان التحالف والتعاون العسكري الذي حصل بين المعتمد ابن عباد حاكم إشبيلية ويوسف بن تاشفين زعيم المرابطين الذي كان قد استتب له الأمر في المغربين الأقصى والأوسط. وفي يوم خميس من صفر سنة 476 / 83 ـ 1084 اقتحم أسطول كبير مياه سبتة، وخرج العز بأسطوله للدفاع عن ملكه. وكادت الدائرة ان تدور على المرابطين لولا تدخل سفينة محاربة قوية حديثة الصنع لابن عباد. فحاول العز الفرار بحرا ثم بعد ذلك برا في نفر من جاله، لكنه فشل عندما كشف العز بن يوسف بن تاشفين أمره. فكانت بذلك نهايته في فجر اليوم الثاني من دخول المرابطين سبتة. وقد عثر من بين ما عثر عليه من مجموع الذخائر التي كان قد عهد بها لدى أحد الأوفياء له، جوهر كثير ونشب وخاتم يقال إنها خاتم يحيى بن علي بن حمود.

ابن بسام، *الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة*، تح. إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، 1398 / 1978، القسم الثاني المجلد الثاني، ص. 657 ـ 664 ؛ *معلمة المغرب*، المجلد الرابع، ص. 1170 ـ 1171.

زليخة بنرمضان

عزّة (أولاد ابن –) أو العزاويون طائفة مشهورة بشمال شرق المغرب من وجدة إلي تاوريرت غربا وإلى السعيدية شمالا مع وجود فرق منهم في جهات أخرى من المغرب، كما توجد فرق منهم في غرب الجزائر ؛ وذُكر أنّ ضريح جد إحدى هذه الفرق المعروفة بالسنوسية يوجد بمقبرة الولي أبي مدين الغوث بتلمسان وهو سيدي مَحمد السنوسي ابن سيدي عبد الله بن عزة. ينتسب العزاويون إلى جدهم الولي الصالح سيدي عبد الله بن عزة دفين جبل بني يزناسن في الجهة الجنوبية المقابلة لسهل أنگاد ومدينة وجدة، وينتهي نسب هذا الولي إلى أحمد بن إدريس بن إدريس مؤسس الدولة الإدريسية بالمغرب.

تمتّع هؤلاء الشرفاء كغيرهم بالاحترام والتوقير من عامة الناس ومن السلطة المخزنية حيث توصلوا بظهائر التكريم والتوقير منذ عهد السلطان العلوي مولاي رشيد على الأقل ـ حسب ما بيدنا من ظهائر لحد الآن ـ فمن المحتمل أنهم توصلوا بمثل ذلك من السلاطين السعديين.

يمثل الشرفاء عادة نقيب منهم ينظر في مشاكلهم ويكون واسطة بينهم وبين السلطة المخزنية، ومن المؤسف أننا لا نملك رسائل تتعلق بالنقباء قبل أواخر القرن التاسع عشر، وأشهر من تولّوا النقابة منذ هذه الفترة : محمد بن الحاج عبد المومن ومحمد بن عبد الله.

اشتهرت كرامات الولي الصالح سيدي عبد الله بن عزة بمقره الجديد بجبل بني يزناسن بعد رحلة علمية صوفية بدأها من قبيلة بني زروال ـ التي لجأ إليها أبوه أو جدّه من فاس بسبب الضغط على الشرفاء بها في بعض فترات الفتن ربما في نهاية العصر المريني ـ فوصل الولي المذكور إلى فجيج حيث تتلمذ على بعض علمائها وصوفيتها، ثم غادرها بعد أن آنس منه شيخه المقدرة على التربية الصوفية فاتجه إلى جبل بني يزناسن. وبعدما اشتهرت كراماته بين الناس أسس زاوية للتربية الدينية والصوفية (ومقرّها لا يبعد الآن كثيراً عن ضريحه)، وأهدت إليه القبائل المجاورة مجموعة من الأراضي بالجبل وبسهل أنجاد. غير أننا لا نعلم تطوّر هذه الزاوية خلال الفترات اللاحقة حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث اشتهرت هذه الزاوية في عهد الشيخ سيدي محمد الحاج الهبري (راجع في *المعلمة* مادة : *الزاوية الهبرية*). ومن الضروري التأكيد على اختلاف دور كل من الشيخ والنقيب، فهذا كما رأينا وسيط بين السلطة والشرفاء ويعالج مشاكلهم، أما الشيخ فهو المربّي للشرفاء من المريدين. ومن أشهر الشيوخ الذين نعرف أسماءهم الشيخ سيدي محمد الهبري المتوفى حوالي سنة 1900 وابنه الشيخ سيدي محمد الهبري المتوفى آخر سنة 1939 (وهو دفين الزاوية التي أنشأها قرب السعيدية في حياة أبيه وبتفويض منه).

أهم فروع أولاد سيدي عبد الله بن عزة تعود إلى ولديه محمد السنوسي وأبي عزة، فمن ذرية السنوسي : فرقة الجلايلة (ومنهم الهبارة من أحفاد الفضيل بن الجيلالي الذين منهم شيوخ الزاوية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ـ على الأقل ـ حتى الآن، ومنهم القادريون نسبة إلى جدهم عبد القادربن الجيلالي المذكور، وعبد القادر هو جد جد كاتب هذه المادة)، ومن ذرية السنوسي أيضاً فرقة العزايزة (نسبة إلى عزة بن محمد السنوسي) ... ومن ذرية أبي عزة ابن سيدي عبد الله المذكور فرقة أولاد بن دحمان، وفرقة أولاد العابد، وفرقة أولاد يوسف الحاج، وفرقة أولاد الحسين ...
أما الابن الثالث للولي المذكور واسمه أحمد المجيديب فقد قيل إن من ذريته فرقة المجادبة بأنكاد وتاوريرت وزايو

(إقليم الناظور)، وفي رواية أخرى أن المجادبة المذكورين هم من ذرية أبي عزة وأن المجيديب لم يخلف ولدا.

ومن الملاحظ أن أكثرية العزاويين اتخذوا أسماء أجدادهم المتأخرين لقباً لهم مثل الهبري، الدحماني، السليماني، التاج، المومني ...

وثائق وظهائر خاصة ؛ روايات شفوية.

أحمد عزاوي

ابن **عزّة** الرايس علي من بين الرياس الأندلسيين العاملين في أسطول الجهاد في سلا الجديدة في مطلع فترة الديوان، ويبدو أنه كان فضلا عن ذلك من بين كبار شخصيات المدينة ومن ذوي النفوذ، إذ ذكر اسمه من بين الموقعين على الشكاية المبعوثة إلى الملك الانجليزي شارل الأول في غشت 1628 بخصوص تعسف القبطان نيستون على الرايس بيرم.

S.I.H.M. - les - Angleterre - T. III, p. 77 note.

حسن أميلي

عَزُّوز، عائلة جَبَلية غُمارية من قبيلة (بني زيَّات) إحدى قبائل غُمارة التِّسع، مازالت موجودةً بتطوان، وبعضهم ينتسبُ إلى الأندلس. ولا ينبغي المصير إلى هذا دون توثيق بل لمجرد تشابُه في بعض الأسماء كما يقال عن أولاد (غُطِّيس) بتطوان، بأن اسمَهم مُحرف عن (كُرطيسْ) وعن اسم عائلة (الرَّبَّاجْ) بأنه محرف عن (الرِّبَّاسْ) مع أنهم ينتسبون إلى الشَّرَف !

أجَلُّ مَن عَرفنا من هذه العائلة بتطوان : الفقيه المذَرِّر الصالح الحاج محمد عَزُّور (بدون ابن) مقدَّم الطريقة التجانية وإمام زاويتها. وكان يقرئ القرآن بالمدرسة الخيرية بتطوان عقوداً من السنين وبها توفي. كما نَعرف من أفراد هذه العائلة : الطالب عبد الله المأمور بالمكتبة العامة بتطوان أيامَ الحماية، وكان تزوجَ بنت (حَكَّام) الغماري وأنجب منها أولاداً على رأسهم الأستاذ الباحث محمد بن عبد الله عَزوز.

معلومات شخصية.

محمد بوخبزة

ابن **عزوز**، أسرة مكناسية عريقة في الاشتغال بالثقافة الإسلامية، وقد جاءت التكنية بابن عزوز من اسم الجد الأعلى : عبد العزيز الذي يدعى بعزوز، ويضيف المصدر ذاته إلى نسب الأسرة : فقرة "الركلاوي ثم الصنهاجي"، وواضح أن نسبة الركلاوي تشير إلى ركلاوة، وهذه معدودة بين فروع قبيلة بني مْگيلد، حيث لايزال اسمها معروفا ضمن قيادة أزْرو جنوب مكناس.

على أن النسبة إلى ركلاوة قديمة بهذه المدينة، فكان بين أعلامها - خلال العصر الموحدي - محمد بن عبدالله بن مصالة الفازازي ثم الركلاوي، المعروف بابن عبّو، وكان حيا عام 611، وهو اسم تعدد ذكره في كتب التراجم.

وقد تنوسي في القبيل نسب الركلاوي، واشتهر - بدله - بالتكنية بابن عزوز، وأقدم اسم معروف بهذه الحلية هو الذي يقدمه عبد الله الفاسي عند وفيات 1066 هكذا :

محمد بن عمر بن أحمد ابن عزوز المكناسي، شديد الطلب، بارع في الأدب، من أصحاب الشيخ أبي محمد عبد القادر الفاسي، حضر مجالسه المختلفة الفنون، واقتنى من مقتناها العيون، وكانت وفاته بتونس رحمه الله.

على عزوز، قال عند القادري : أصله من أولاد ابن عزوز، وهم رهط بفاس، وعند حسين خوجة : أنه تزايد بمدينة فاس، على أن أحمد الفاسي يقول عنه : أصله من المغرب من مكناسة الزيتون، واستوطن الحضرة الإدريسية.

فحسب هذا المصدر يرجع أصل المترجم إلى مكناس، بينما ينسبه المصدران الأولان إلى فاس، فيمكن أن استيطان المترجم بفاس، جعل القادري يلحقه برهط ابن عزوز الفاسيين.

ومما يقرب مكناسية المنوه به أن أحد علماء الأسرة : محمد المفضل ابن عزوز آتي الذكر عند رقم 18 يرفع عمود نسبه إلى علي عزوز هذا، ويحيل على الأفراني قائلاً : وقد عرف به في الصفوة (صفوة من انتشر).

وهذا المصدر - بدوره - يؤكد انتسابه لمكناس ويذكره هكذا : أبو الحسن علي بن عزوز المكناسي نزيل زيوان (زعوان) ... ص. 224 ط. ف.

ونشير - الآن - إلى قولة القادري في التعريف به : ومنهم السيد المبارك، الولي الصالح : سيدي علي أعزوز ... رحل عن فاس بإخراج عاملها، واستقر بجبل زغوان من أعمال تونس، فاتخذ هنالك زاوية ودفن بها بعد وفاته، وله هناك صيت وأصحاب وأتباع، وظهرت له كرامات ومكاشفات وخوارق.

نلتقي - الآن - مع عالم من الأسرة أغفله المترجمون، ولولا أنه بقي من آثاره أحد مؤلفاته لكانت درجته العلمية تضيع ضحية الهمال، والقصد إلى الذي يسمي نفسه ويسلسل آباءه كالتالي : عبد السلام بن عبد الواحد بن محمد بن الحاج أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن عبد العزيز المدعو عزوز به يكنى، المكناسي دارا ومنشأ.

هكذا يذكر اسمه وآباءه آخر شرحه الذي وضعه على المقدمة التي رجز فيها "الورقات" لإمام الحرفين مع زيادات وترتيب : ورقة 144 / 1. فضلا عن إشارته لستة من مؤلفاته الأخرى : أ - شرح تحفة (المنافع في مقرإ الامام نافع) نظم (ميمون) مولى الفخار : ورقة 69 / 1.

ب - الشرح الكبير على الحفيدة للسنوسي باسم الفوائد المجيدة : ورقة 110 / 1 مع 140 / 1.

ج - ووصف هذا الشرح بالكبير، يسير إلى شرح صغير للمؤلف على الحفيدة.

د ـ شرح منظومة تاريخية للمؤلف تسمى بالتيسير : ورقة 116 / 1.

هـ ـ شرح السراج للشتوكي : ورقة 140 / 1.

و ـ شرح الجواهر المنطقية للقادري : 140 / 1.

وفي الشرح إشارة إلى ثلاثة من شيوخ المترجم : ففي مكناس أ ـ محمد البوعصامي : ورقة 118 / 1، واثنان من فاس : ب ـ الحريشي، ج ـ ومحمد بن حمدون بناني : ورقة 131 / 2.

هذا إلى نقل المترجم عن خط بعض أشياخ والده، مما يعني أن والده ـ بدوره كان من أهل العلم، وقد تبينا في صدر هذه الترجمة أن اسم والده عبد الواحد، فهل يكون هذا هو نفس الاسم الذي سبق ذكره عند رقم 5.

وبعد هذا : فإن صاحب الترجمة هو ناسخ المخطوط الذي استند إليه التعليق رقم 1.

وعن المخطوط المنوه به أولاً : تبينا ـ وشيكا ـ أن المؤلف شرح به منظومة التي رجز فيها الورقات لإمام الحرمين، وقد فرغ من المنظومة، يوم الأربعاء 15 رجب 1138 وهو مشغول البال وصغير السن وضيق الحال.

ثم فرغ من الشرح بين الظهرين من يوم الاثنين 13 ربيع النبوي 1141، وأكمله ناسخه ـ الذي لم يسم ـ يوم 25 من الشهر والعام : من خط مؤلفه، وخطه مغربي مجوهر مليح مختلف، ويتخلل مواضع منه خط المؤلف بالتشطيب والإلحاق.

يقع الشرح ثاني مجموع من ورقة 60 / 2 إلى ورقة 145 / 2، مسطرة 22، مقاس صغير.

تحتفظ به خزانة خاصة.

يوجد ضمن الجواب عن فصوله باسم حل الرموز بإيضاح سؤال العلامة ابن عزوز، تأليف المفتي المغربي الطائر الصيت، الشيخ مَحمد بن المبارك بن علي الهلالي المكناسي، المتوفى عام 1372 / 1953، حيث فرغ من تأليفه يوم 12 رمضان 1349.

خزانة خاصة : ضمن مجموع ص. 1 ـ 51، بخط مؤلفه.

ملاحظة : هذه المؤلفات العشر كلها غير منشورة، وباستثناء التأليف رقم ط، فباقيها في حجم متوسط.

أ ـ شرح الخلاصة لابن مالك، لم يكمل

ب ـ شرح أرجوزة الذكاة نظم أبي حامد العربي الفاسي، اختصر فيه من شرحها للزياتي.

ج ـ شرح منظومة أبي العباس الهلالي في الدعاء باسم اللطيف.

هذه المؤلفات الثلاثة ذكرها ابن زيدان، ولا يعرف الآن مكان وجودها.

د ـ شرح السلم المرونق للأحضري، ذكره القاضي عبد الحفيظ الفاسي في أحد كناشاته.

هـ ـ مجموعة خطب جمعية غير تامة، ورد ذكرها في تقييد متخلف بعض فقهاء مكناس، وهذه ـ أيضاً ـ مع سابقها لا يعرف ـ الآن ـ مكان وجودهما.

توفي المترجم عن زوجه هنية بنت الفقيه العدل سيدي صالح الشرقاوي، وعصبه أشقاؤه : الطالب السيد عبد الوهاب، والسيدة طاهرة، والسيدة السعدية، والهاشمية، لا غير، ومن هنا يتبين أن المنوه به لم يعقب.

ودار سكناه هي التي صارت على ملك أسرة بوطريقة في حي زقاق القرموني من مكناس.

نذيل بالإشارة إلى أن المترجم يسوق سلسلة آبائه كالتالي : محمد الفضل، بن الهادي، بن أحمد، بن المجذوب صنو العارف بالله سيدي الطيب، ابني علي، بن عبد الرحمن، بن علي بن عزوز دفين زغوان، حسب افتتاحية *كشف الران* ... غير أنه يؤخذ عليه إدراج علي بن عزوز ـ دفين زغوان ـ بين أجداده، اعتبارا بأن هذا لم يعقب، وذلك ما يصرح به أحمد الفاسي قائلا عنه : ولم يعقب، وله أقارب من أولاد عمه، وهذا هو المعروف بين فريق عزوز المشهورين بتونس على أنهم من أقاربه، وليسوا من ذريته.

إتحاف أعلام الناس، 4 : 303 ؛ *نزهة الأبصار*، خ. ع، ك 579 ؛ *عنوان السعادة والإسعاد لطالب الرواية بالإسناد*، خ. س ؛ *المصدر*، 4 : 327.

محمد المنوني

ابن **عزوز الحسن**، عرفت سنة 1955 تصعيدا كبيرا في أعمال المقاومة كما عرفت اندلاع ثورة 20 غشت بخنيفرة نظيرتها بخريبگة (وادي زم) ومظاهرات أخرى كانت جميع أنحاء المغرب مسرحا لها حيث سقط في ساحة الشرف العديد من المقاومين الذين استرخصوا دماءهم فداء للحرية والوطن.

والشهيد لحسن بن عزوز المولود سنة 1914 بدوار السيالغة إقليم خريبگة من والديه غزوز بالعربي وعائشة، وهو من الذين أسدوا لهذا الوطن خدمات جليلة.

حمل السلاح يوم المظاهرة من نوع "بوحبة" الذي كان يرمي به جنود الاستعمار ويدافع باستماتة عن مقدسات وطنه إلى يوم 21 غشت 1955 حيث استشهد إثر اصابته برصاص العدو رحمة الله عليه.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520890.

عزوز، بن رحال (سيدي –)، أحد الأولياء الصالحين بعبدة، وهو أخو الولي الصالح المشهور مولى البرگي. يقول عنه الفقيه الكانوني : "(هو) الولي البركة من مشاهير الرجال وأحد الفرسان. كان ممن ورد مع أخيه على هذه البلاد لقتال البرتغال في القرن العاشر الهجري، وعليه قبة مشهورة بالساحل قرب زاوية أخيه".

محمد بن أحمد الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، ج. 2 (مخطوط).

عبد الرحيم العطاوي

ابن **عزوز، عبد الله** المراكشي المعروف ببلة عزوز وعند العامة بسيدي بلّة. هو أبو محمد عبد الله بن عزوز القرشي العباسي نسباً الشاذلي طريقة المراكشي داراً السوسي أصلاً، و"بلة" تصغير لعبد الله عند البرابرة. وهو ولي صالح شهيد فتح الله عليه في علمي الظاهر والباطن كما تشهد له بذلك مؤلفاته الغزيرة. اختلف المؤرخون في التعريف به ما بين واصف له بالولاية والصلاح وبين واسم له بالحكمة وبين ناعت له بالبدعة والزندقة، حتى اختلط الأمر على العباس بن إبراهيم فقدم لنا ترجمتين مختلفتين ومستقلتين لبلة عزوز، إحداهما للولي البركة والطبيب الحكيم والثانية للبدعيّ الضال.

كان بلة عزوز فقيها زاهدا في الدنيا وشيخا متصوفا ورأسا من رؤوس علم الطب وسر الحرف في وقته رغم كونه لم يُعرف باجتهاد في طلب العلم أو بكثرة قراءة ومشايخ. ترك مؤلفات عديدة في كل هذه الميادين وهي متوفرة في الخزانات المغربية، منها في الفقه والتصوف :

1 ـ *الأسئلة والأجوبة* في الفقه والأصول والطب

2 ـ *رسالة الصوفي إلى الصوفي*

3 ـ *تنبيه التلميذ المحتاج*

4 ـ *إثمد البصائر*

5 ـ *المختصر الأزهر*

6 ـ *الأجوبة النورانية*

أما في الطب فله مؤلفان انتشرا في المغرب انتشاراً كبيرا هما :

1 ـ *ذهاب الكسوف* (في الطب)

2 ـ *وكشف الرموز* (في الأعشاب)

وفي علم الحرف ذكر له ابن المؤقت أربعة كتب وجد منها واحداً فقط هو *لباب الحكماء في علم الحروف والأسماء*. ولا غرو فإن كتب هذا الفن لا تنتشر عادة في الخزانات. وقد عرّف ابن المؤقت بمحتوى بعض هذه الكتب كما أورد عباس بن إبراهيم ومحمد الأخضر مقاطع منها في ترجمة هذا الشيخ.

أخذ بلة عزوز الطريقة الشاذلية ـ وكذا علوم الظاهر ـ عن أحمد بن محمد الحبيب البكري اللمطي (ت. 1765)، وهو خال وشيخ الشيخ أحمد بن مبارك اللمطي مجدد الطريقة ومؤلف الإبريز. وكان بلة عزوز ملازما لخدمة الشيخ أحمد الحبيب كما شهد له بذلك السلطان سيدي محمد ابن عبد الله. جاء في *الدر المنتخب* عن سيدي محمد أنه قال : "إني كنت صغيراً وكانت أمي ترسلني مع أخي مولاي أحمد لزيارة الولي الصالح سيدي أحمد الحبيب ... وكنت أجد سيدي بلة ابن عزوز جالسا مع سيدي الحبيب على هُويدرته، فلولا أنه كان من الصالحين ما أجلسه الشيخ معه".

كان سيدي بلة زاهداً في الدنيا متقشفاً يعيش من حرفته كخرّاز (صانع نعال) ويقصده مريدوه في حانوته فيبعثهم للخلوة في جبل گليز. اتهم بلة عزوز بالزندقة، ورغم مدافعة السلطان عنه والوقوف إلى جانبه فإنه مات مقتولا. ومن بين من شهد عليه بالزندقة الفقيه السوسي محمد الحضيكي الذي كتب تأليفاً في الموضوع. وقد وقف المختار السوسي وكذا عباس بن إبراهيم على هذا المؤلف وأورد مؤلف *الإعلام* مقاطع منه في الترجمة المخصصة "لبلة بن عزوز الرحماني" المبتدع.

وتمكننا الانتقادات الموجهة لبلة عزوز من لدن الحضيكي من التعرف على مدرسة المترجم الصوفية التي تعتمد التقشف والزهد والابتعاد عن الخلق ومجاهدة النفس من أجل تطهيرها. ولهذا يكون بلة عزوز شهيد الحركة التجديدية في التصوف التي تبلورت بعده في الطريقة الدرقاوية على الخصوص.

ومن الطبيعي أن يقف فقيه بدوي مثل محمد الحضيكي موقف المعادي لممارسات بلة عزوز وأتباعه الصوفية، وهو الذي كرّس حياته للدعوة الإسلامية البسيطة : الدعوة إلى التوحيد وإلى فرض الشريعة الإسلامية في وسط تغلب فيه العادات والاعتقادات ما قبل إسلامية.

تاريخ وفاة بلة عزوز مختلف فيه كذلك، والغالب أنه كان في أواخر القرن الثاني عشر (18 م). ودفن في حصن داره كما هي العادة في المغرب بالنسبة للصلحاء في درب الحمام من باب إيلان بمراكش، وقبره لازال مزارة كبيرة وكراماته مازالت متداولة إلى اليوم.

م. الأخضر، *الحياة الأدبية في المغرب*، الدار البيضاء، 1977، ص. 316 ـ 321 ؛ ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1977، ج 3، ص. 74 ـ 77، ج. 73، ص. 317 ـ 319 ؛ أ. ابن الحاج، *الدر المنتخب*، ج 10، مخطوط، خ. ح، عدد 1920، ص. 97 ـ 98 ؛ ع. السلام ابن سودة، *دليل*، 1960، ج 2، ص. 446 ـ 449 ؛ ابن المؤقت، *السعادة الأبدية*، الطبعة الحجرية، فاس، 1918، ج 1، ص. 92 ـ 96 ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، المحمدية، 1960، ص. 193 ؛ ع. الله گنون، *النبوغ المغربي*، بيروت، 1961، ج 1، 304 ـ 305.

فاطمة الحراق

عزوز، الغياثي، الفقيه السيد محمد بن الحاج عبد الرحمن، أصله من غياث بعبدة، وهو أحد مشاهير فقهاء مدينة أسفي التي تولى عمالتها في الربع الثالث من القرن الثالث عشر الهجري، وتُعرف ذريته الآن بأسرة ابن عزوز. ومعلوم أن هذه الأسرة أنجبت العديد من الأعيان والعلماء، وهي دون عائلة ابن عزوز الأندلسية الأسفية التي ربما تنحدر من أسرة العلامة سيدي مَحمد بن عبد العزيز الأندلسي البلنسي الأسفي المعروف بكَرْضيلو.

توفي الفقيه سيدي محمد بن الحاج عبد الرحمن عزوز الغياثي عام 1272.

م. بن أحمد الكانوني، *أسفي وما إليه قديما وحديثا*.

عبد الرحيم العطاوي

ابن **عزوز، محمد** بن **أحمد** السوسي، محمد (فتحا)

بن أحمد بن المكيس ابن عزوز السوسي المكناسي، العلامة المشارك والنحوي الأصولي والمدرس النفاعة، كانت ولادته عام 1285، أخذ العلم عن أخيه الشيخ محمد بن عزوز المتوفى سنة 1316، وعن عمه الشيخ فضول بن المكي ابن عزوز المتوفى سنة 1320 وعن التهامي بن عبد القادر الحداد المراكشي المتوفى سنة 1336 وعن الشيخ التهامي بن الطالب ابن سودة وعن الشيخ عبد الله البدراوي وعن الشيخ محمد (فتحا) القادري وغيرهم من الأشياخ. وتخرج على يده علماء أجلة منهم الشيخ عبد الرحمن بن زيدان وكان عبد السلام ابن سودة يتصل به ليملي عليه من حفظه كما في *سل النصال*، إذ يقول: "اتصلت به مراراً وأملى علي من حفظه رحمه الله"

توفي المترجم سنة 1369.

ابن سودة، *سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال*، موسوعة *أعلام المغرب*، 9 : 3250.

عبد القادر سعود

ابن **عزوز، محمد المفضل** بن عبد الهادي بن أحمد بن محمد المجذوب المكناسي، يرتفع إلى الولي الصالح سيدي الطيب ابن عزورز دفين زغوان بلاد قرب تونس. ولد بمكناس وتلقى عن شيوخها نذكر منهم الفقيه مبارك بن عبد الله الفيضي، والفقيه العربي بصري، والفقيه المهدي بادو والعالمين العباس بن كيران والمهدي بن سودة، أخذ عنهما لما توليا قضاء مكناس، ثم تصدر للتدريس بالمدينة نفسها خصوصاً علم التفسير والحديث والسير والفقه والأصول وعلوم البلاغة، تولى نيابة القضاء بمكناس وانتهت إليه رياسة النوازل والأحكام فيها.

1 - فتاوى اشتهرت بفتاوي ابن عزوز مخطوط في الخزانة الحسنية 10926 ومصورة على الورق عن شريط جائزة الحسن الثاني رقم 66 س. سنة 1975. جمعها تلميذه محمد بن الحسين بن عبد القادر العرائشي المكناسي، وأضاف لها فتاويه وفتاوي شيخه قاضي مكناس محمد بن أحمد بن الشريف العلوي الإسماعيلي الزرهوني نزيل مكناس ودفينها.

2 - قمع القامعة بالمقمعة، ذوي الجحد والبدع المبتدعة. ألفه عام 1292. تحدث فيه عن الخلافة وأصلها وحكمتها وعن حكم الشرع في الإختيار وعن مكانة ولاية القضاء، وحكم الحاكم الذي يرفع الخلاف. مخطوط بالخزانة الحسنية 12375 ضمن مجموع.

3 - كشف الران عن فؤاد مانع الزيارة ومدعي تفضيل الوظيفة على القرآن وإقامة الدليل والبرهان.

4 - وله النصيحة الشافية النافعة للطريقة الدرقاوية 515 د في كراستين اختصرها أبو مدين بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي.

5 - الموارد الصافية طبع على الحجر بفاس

6 - شرح خاتمة الشمائل المصطفوية للترمذي. مخ خع رقم 515 د ضمن مجموع صص 33 - 62 وبآخره قصائد تقريضية على شرح ابن عزوز وهي لعدة شعراء من تلامذة الشارح.

المنوني، *المصادر العربية*، ج 2، ص. 137 - 156.

أحمد ايشرخان

ابن **عزُّوز، محمد** بن **محمد** ابن عزُّوز المراكشي، الوزير الصدر في الحكومة الخليفية بمنطقة الحماية الإسبانية بتطوان بشمال المغرب سابقا.

الفقيه النبيه المطَّلع الحازم المحنَّك. كان والدُه من علماء الرباط، فاتخذه السلطان الحسن الأول إماماً له وأستاذاً لبعض أولاده، وأحد صُدور كُتابه، وكان ملازماً لركابه، وفي مراكش تزوج وَوُلد له المترجَم عام 1281 ثم أدخله الكُتاب فحفظ القرآن وبعضَ المتون العلمية ومنها مختصر خليل، ثم تَعاطى الأدب وعَمل كاتباً بدار المخزن، ولما توفي السلطان بقي بمراكش واشتغل بالفلاحة واتَّصل بالأمير يومئذ عبد الحفيظ أيام خلافته عن أخيه السلطان عبد العزيز، فكان من أكبر أنصاره وأعوانه حتى بعثه سفيراً عنه لبَرْلين عاصمة ألمانيا لإقناع الملك غَليوم بالاعتراف بسَلْطنةَ مَخدومه عبد الحفيظ، فَنَجَح في مُهمته، وبعد تعيين عبد الحفيظ ملكاً على المغرب ظَلَّ ملازماً له ومُؤنسه ووزيرَه الخاص في الحقيقة، ثم عَمل حاجباً له إلى أن تنازل عن الملك لأخيه السلطان يوسف فَقدم طنجة مع مخدومه عبد الحفيظ، ودَعتْه الدولةُ الإسبانية بعد فرض الحماية على المغرب لمشاورته فيمن يستحق الخلافة عن السلطان بمنطقة حمايتها، وبعد مفاوضات واستشارات وقَع الاختيارُ على الأمير المهدي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الرحمن خليفةً، فذَهَب المترجم له إلى فاس، وأقنع الأمير بقَبول الخلافة، وقَدم معه تطوان ودَخَلها في احتفال كبير، وبعد استقراره، أسَّس أولَ وزارة له وعَيّن أعضاءها وعلى رأسهم صدرهم المترجَم، وشَمر الوزيرُ عن ساق الجد، وقام بأعباء الوزارة إلى أن وقع بينه وبين الخليفة سوءُ تَفاهُم أفضَى إلى عزله بمساعدة الإسبان، ونُقل إلى شفشاون ليلةَ السبت فاتح محرم عام 1341 وبقي بها شبهَ مسجون إلى أن أُعيد إلى تطوان في ربيع الأول عام 1342. وبعد وفاة الوزير أحمد الركَيْنَة عام 1343 أعيد المترجم إلى الصدارة، وفَوضَّ إليه الخليفة جميعَ المهام، وَصَف الفقيه الرهوني الذي كان وزيرا للعدل في وزارة المترجم الصدر ابن عزوز خَلْقَه وخُلُقَه، ولَم يُشر إلى أنه كان (مراكشياجْوابُو في فمو) صاحب نكَت وجُرأة يُجابهُ بالمكروه، ويتدخل في كل شيء. وحكاياته في هذا مشهورة بتطوان، منهما محنة الفقيه المدرس العدل السيد محمد بن عبد النبي بناني على يده، فقد صدرت من الفقيه أبيات في الغَزَل نظمها تظَرُّفاً في بعض من يغشى مجلسَه، فشاعت تلك الأبيات إلى أن بلغت مسامعَ القاضي السيد التهامي أفيلال، وكان من الحزم والصرامة بمكان، فاستدعاه وأنَّبه

على ما صَدَر منه مما ينافي العدالة، فاعتذر الفقيهُ وتاب، فَعَفَا عنه القاضي ولَم يعزل، ولما علم الوزير المترجم له بالأمر، أمَر بالقَبض على الفقيه وأودَعه السجنَ بعد توبيخ وتهديد، ولولا شفاعات وتدخلات لَلَبث الفقيه في السجن مُدة. وحدثني الوزير الصدر الفقيه السيد أحمد بن عبد الكريم الحداد ـ وكان وقتَه كاتبا ثانيا للمترجم له ـ أن الشريف الشيخ إدريس بن الحُسين الحراق حفيد الشيخ محمد الحراق الصوفي الشهير اتصل بالمترجم له بمكتبه بالمشْوَر شافعاً في أحد مُريديه، وكان الوقتُ شهرَ رمضان. فَرد شفاعتَه بعُنف، وبالَغ في لَومة وتأنيبه، بل وشَتَمه بما لم يسمَع مثلَه في حياته ـ وهو الشيخ المحترم والوقت وقت صيام ـ فلم يزد على الصمت، وانفجر باكياً بشكل يُثير الحزُن والإشفاقَ، وخَرج كذلك. قال السيد أحمد الحداد رحمه الله : فَوقَع في قَلبي ساعتَه أن الرجل لَن يَسلَم من جزاء ما فَعل، ولم يلبث بعدَها إلا قليلاً حتى نُكب وسجن.

وهكذا ظل الوزيرُ الصدر إلى أن اخترمته المنية بمنزله بروض الخطيب بحي الجنوي من تطوان يوم الاثنين محرم فاتح 1350 (5 ماي 1931) ودُفن ببيت (المواگين) بالزاوية الريسونية. ولم يُخلف رحمه الله.

ابن سودة، *إتحاف المطالع*، ضمن موسوعة أعلام المغرب، تنسيق، د. محمد حجي، 8 : 3011، ط دار الغرب ؛ أ. الرهوني، عمدة *الراوين في تاريخ تطاوين*، 2 : 135، من منشورات جمعية تطاون أسْمير بتطوان، تـ د جعفر ابن الحاج السُّلَمي ؛ *مجلة الاتحاد التطاونية* سنة 5 عدد 48، وبها عدة صُور للمترجم وَحده، ومع أعضاء حكومته ؛ *معلومات شفوية*.

محمد بوخبزة

العزّوزي، محمد بن **أحمد**، قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته بني ورياغل، انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يرأسها الشريف سيدي امحمد أمزيان ضد التدخل العسكري الاسباني بناحية الناظور. وقد شارك في عدة معارك من بينها المعركة التي قتل فيها الجنرال سالفادور ديياث اوردونييث Salvador Diaz Ordonez والتي جرت بتيشكرا بقبيلة بني سيدال يوم 14 أكتوبر 1911.

أعمال ندوة الشريف امزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي، (1909 ـ 1912)، *تطاون*، 1996.

محمد ابن عزوز حكيم

العَزُّوزي، محمد بن **المكي** السلوي، ولد بمدينة بسلا عام 1336 / 1917، شاب متعلم متفتح، التحق بصفوف الحركة الوطنية مند نعومة أظفاره، وقاد بعض المظاهرات على صغر سنه ضد السياسة الاستعمارية. ودخل السجن لذلك. عمل في التعليم الحر مدة طويلة لا سيما تعليم البنات لمروءته وعفته.

طلبت منه أن يعمل معي معلماً في مدرسة الفتاة السلوية، فقبل وقدمت ملفه على الطريق الإداري المعتاد إلى مندوبية المعارف بالقصر الملكي المشرفة آنذاك على التعليم الحر. فلم تمض أيام حتى جاء الرد من المراقبة المدنية بسلا بأن طلب العزوزي غير مقبول لأنه سبق أن حكم عليه بالسجن. فأطلعته عليه وأنا في غاية الامتعاض، فلم يتأثر وقال لي ضاحكاً : "هذا السجن شرف !"

بقي محمد العزوزي يزاول عملية التدريس بدون رخصة إلى أنْ جاء الاستقلال فتابع عمله في هذا الميدان وظل على صدقه ووطنيته إلى أن توفي بسلا في 4 ذي القعدة عام 1397 / 17 أكتوبر 1977.

معرفة شخصية ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، طنجة، د. ت، ج 3 : 37 ـ 38.

محمد حجي

العزوزي، المعطي بن **إبراهيم** كان عدلا ومفتيا بالرباط ثم استدعاه المخزن للانخراط في سلك كتبته. وكان السلطان محمد بن عبد الرحمان يقدره لما كان له من المصاهرة معه. وفي كثير من الأحيان كان يسند إليه قضاء أمور سياسية ومهمات مخزنية. لما تولى السلطان مولاي الحسن الحكم أخره عن خطته.

توفي بمراكش في إحدى حركات السلطان، ودفن في ضريح أبي العباس.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 354.

عبد الإله الفاسي

العزوزي، المعطي بن **محمد** المفتي، المعطي بن محمد بن قاسم الشريف العزوزي، من جملة مشايخ الرباط ومفتي العدوتين بأمر السلطان مولاي عبد الرحمن، وصف بالشرف وحسن السيرة والسمت وكثرة الإنفاق والكرم، والمشاركة في العلوم، والباع في التدريس وامتلاء مجلسه بالتلامذة، وانتفاع الكل بتقريراته لسلاسة عبارته، إلى غير ذلك من صفاته.

وقد ذكر أبو عبد الله الأوراوي في مقالته المنشورة في *السعادة*، أن المترجم بعدما أسند له المخزن خطة الإفتاء بالعدوتين استدعاه للخدمة بحضرته، ثم عينه قائدا على عدد من قبيلة الزيايدة سنة 1254 / 1838، ثم عينه قاضيا على تارودانت وأحوازها سنة 1260 / 1844. وقد كانت له مصاهرة مع السلطان مولاي سليمان والسلطان مولاي عبد الرحمن. وكانت وفاته بالطاعون في حدود سنة 1273 / 1856 ـ 1857 تقريبا.

الاغتباط، ص. 353 ـ 54 ؛ و*مجالس الانبساط*، ص. 167.

حسن أميلي

ابن **عزّون** (أولاد –) أسرة مكناسية. في الديوان الاسماعيلي : "أولاد ابن عزون من جزناية منهم الفقيه أبو

عبد الله محمد بن أحمد ابن عزون المكناسي الجزنائي : هكذا أورده القادري في وفيات 1058 حسب المخطوطة السودية من *نشر المثاني*، ونقله في *إتحاف أعلام الناس*، 4 : 41.

الفقيه المشارك الهين اللين المبارك أبو زيد عبد الرحمن ابن أحمد بن عبد الرحمن ابن عزون المكناسي، صحب الشيخ أبا محمد عبد القادر الفاسي، ولازمه، كأخيه، واستفاد منه في كل فن ... هكذا ذكره عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ابن عبد القادر الفاسي في "*الإعلام بمن غبر*" مخطوط خ. س. 3637 ز.

محمد بن محمد ابن عزون : يوجد بخطه نسخه "خاصة" من المختصر الخليلي مبتورة الأول، وتبتدي أثناء باب التيمّم، في حجم صغير، بخط مغربي مليح مشكول مجدول ملون، وفي آخره : "وكان الفراغ منه يوم الجمعة في آخر جمادى الثاني عام أربعة وثلاثين ومائة وألف، على يد ... محمد بن محمد ابن عزون ـ بخط يده الفانية ـ بمكناسة الزيتون".

عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن عزون : يوجد اسمه أول العدلين الشاهدين في وثيقة مثبتة في "*حوالة الأحباس الصغرى*" بمكناس رقم 4 من قسم الحوالات بالخزانة العامة، ص. 79.

محمد بن عبد العزيز ابن عزون : يوجد اسمه ثاني العدلين الشاهدين في وثيقة عام 1137، حسب الحوالة الأحمدية بمكناس، ص. 253.

عبد العزيز بن أحمد ابن عزون : عدل ثان في وثيقة مؤرخة في 3 ذي القعدة عام 1152.

وفي وثيقة مؤرخة في 11 شوال 1154 جاء ذكر نائب المحاجير الفقيه العدل السيد عبد العزيز.

الفقيه الأجل، العدل الأرضي المرحوم سيدي بلقاسم ابن عزون، هكذا ورد اسمه في وثيقة عتيقة.

والآن انقرضت هذه العائلة من مكناس.

محمد المنوني

عزّونة بنت أبي بكر بن أبي زكريا الحفصي سلطان تونس : كان السلطان أبو الحسن المريني قد تزوج فاطمة ابنة السلطان أبي بكر بن أبي زكريا الحفصي، وبعد استشهادها في وقعة طريف سنة 741 / 1340، رغب في طلب يد إحدى أخواتها، فوجه سنة 746 / 1345 وفدا لخطبة أختها عزونة، مكونا من أمير عرب سويد أبي زيان عريف بن يحيى السويدي، وأبي الفضل بن محمد بن أبي مدين العثماني كاتب الجباية والعسكر، والفقيه المفتي أبي عبد الله محمد بن سليمان السطي، ومولاه عنبر الخصي. وتولى حاجب الحفصيين عبد الله بن تافراجين إقناع السلطان أبي بكر بإتمام المصاهرة تأكيداً للعهود والمواثيق بين الدولتين. وزفت الأميرة إلى السلطان أبي الحسن سنة 747 / 1346 في وفد من كبراء مشيخة الموحدين بتونس على رأسه الأمير أبو العباس الفضل بن أبي بكر الذي عينه السلطان أبو الحسن على بونة فيما بعد عند رحلته إلى إفريقية.

لم تهنأ الأميرة الحفصية بحياة ملكية هادئة، فقبل أن تصل إلى فاس بلغ الخبر بوفاة أبيها أبي بكر، وحصول تطورات سياسية خطيرة بتونس اضطرت السلطان أبا الحسن للتدخل فيها سنة 748 / 1347. ولم يلبث السلطان إلا سنوات قليلة وتوفي سنة 752 / 1351، فبقيت أرملة بعده 11 سنة، ثم تزوجها سنة 763 / 1361 أبو ثابت عامر بن محمد الهنتاتي كبير جبل درن والبلاد المراكشية الذي كان نفوذه قد تقوى بالمنطقة زمن استبداد الوزير عمر بن عبد الله الفودودي بعد وفاة السلطان أبي سالم المريني.

ابن مرزق، *المسند الصحيح الحسن*، باريز، لاروز، 1925، ص. 38 ـ 39 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الرباط، وزارة الثقافة، 2001، 4 : 146 ؛ ع. الهادي التازي، *المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي*، الدار البيضاء، 1992، ص. 240.

محمد المغراوي

عزّيمان، أسرة كريمة قديمة بتطوان أصلها من الريف من فرقة بني تعبان من قبيلة بني تُوزين الريفية من مجشر يُسمى حتى الآن آيت عَزيمان وفي عمدة الراوين للرهوني، 6 : 118 أن أصلهم من ربع أجْدير من قبيلة بني وَرْياغل انتقلوا لتطاون عام 1020 كما حدثني الأستاذ علال بن علال بن الفقيه القاضي محمد بن علي عزيمان نقلا عن كُنَّاش والده الذي بحوزته. وفي حوالة مسجد الرزيني بحومة الجنوي رسم كتب بتطاون عام 1091 وَرَدَ فيه اسم علي بن عبد الله عزيمان به عُرف الريفي الساكن بمجشر (القَلاَّلين) من قبيلة الحوز الآن و(مجكْسَة) قديماً التي بُنيت تطاون على ترابها، قال الأستاذ داود : ثم يظهر أنه سكن تطوان من هذه العائلة فرعان أو فروع ثلاثة، أشهرها فرعُ الفقيه القاضي محمد بن علي. وقد ذكر من أفراد هذا الفرع تجار وحرفيون، ومتصوفون وعدول وأبو المواريث خلال سنوات 1174 / 1212 . 1234 وهَلُم جرا إلى الآن، ومن أشهر هذا الفرع : القاضي المشار إليه وابناه الفقيهان العدلان : مَحمد فتحاً وعلال، ونجل هذا الأخير الأستاذ الكبير مَحمد وابنُه الدكتور عمر وزير العدل بالمغرب سابقا.

عائلات تطوان للأستاذ محمد داود (حرف العين) نسخة بخط المؤلف بخزانته الداودية بتطاون.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، 6 : 118، نسخة خاصة مصورة ؛ *معلومات شفوية*.

محمد بوخبزة

عَزّيمان، مَحمد بن **علال** بن مُحمد بن علي التطواني، وُلد بتطوان بدرب عَزيمان (باسم جَده القاضي) بحي الطَّرَنْكات عام 1330 / 1912 وأدخل كُتاب الفقيه

المدرر الشهير محمد بن عمر ابن تَاويت، وظَلَّ به إلى أن حفظ القرآن وبعضَ المتون على العادة الجارية يومئذ وأخذ عن بعض علماء المدينة دروساً في النحو والفقه بالمساجد، ولما أسست المدرسة الأهلية بتطوان عام 1344 / 1925 دَخَلها وتلقى عن أساتذتها المختارين وعلى رأسهم مؤسسها الأستاذ الكبير محمد داود.

وفي سنة 1928 سافر إلى مدينة فاس والْتحق بجامع القرويين، ومَكَث به سنتين، تلقَّى خلالَها عن علمائها العلومَ المعهودة بها، واتصل بالشبَاب الوطني لأول عَهد نضاله. وبعد عودته إلى مسقط رأسه أحسَّ بتعطشه إلى المزيدَ من العلم فَسَافَر إلى مصر سنة 1931 ضمن البعثة الطلابية الثانية. ودَخَل دار العلوم بالقاهرة، وَوَاصَل دراسته بها إلى سنة 1935 حيث حصل على الإجازة، وكان أولَ مغربي يحصل عليها هناك، ولم يكن خلال إقامته بمصر منطوياً على نفسه، بل حركةً دائمة، وشُعلةَ نشاط وتيقظ وذكاء، يتردد على أهل العلم والرأي، وزعماء السَياسة والتحرير في العالَم العربي، وكانت مصرُ حينئذ مثَابةً لهم، فاكتسب من توجيهاتهم وآرائهم استنارةَ فكر، وفلسفةً بناءة أنالَته قدرةً على حل مشاكل التربية والتعليم والاجتماع. ولعلو همته توجه إلى سْويسْرا سنة 1938 والتحق بمعهد جَانْ جَاكْ رُوسُو لعلوم التربية، واتصل هناك بالأمير شكيب أرسلان وانتفع بصحبته، وفي السنة التالية اندلعت الحرب العالمية الثانية، فَرَجَعَ إلى المغرب، ثم عُين مديراً للمدرسة الحسنية الابتدائية بتطوان التي جمع منها جهابذة التعليم الديني الإسلامي والعصري، وبعدها تقلَّب في عدة وظائف، فكان عضواً بالمجلس الأعلى للتعليم الإسلامي الذي كان يرأسه الفقيه الرهوني، ثم عُين سكرتيراً له، وقام - مع الأستاذ داود - بوضع مناهج التعليم الديني التي سارت عليه المعاهد الدينية بمُدن شمال المغرب، كما وَضَعَا معاً منهجَ التعليم المغربي العصري، وأشرفا على فتح المدارس الابتدائية والمعاهد الدينية، بمختلف جهات المنطقة الخليفية، واشتغل إلى جانب ذلك بالتدريس والتعليم الحر، فكان أستاذا بمعهد مولاي المهدي والمعهد الحُر. ولما عُين الأستاذ داود مديراً للتعليم العربي عَيَّن تلميذَه المترجم له مفتشاً عاماً له، وفي هذه الأثناء أسهم في تأسيس المعهد الديني العالي الذي كان بمثابة جامعة، واشتغل بالتدريس فيه، كما قام بنفس المهمة في مدرسة المعلمات الأولى بالمغرب.

وعندما أسس المعهد الرسمي للتعليم الثانوي بظهير خليفي سنة 1944 عُين المترجم له مديراً له سنة 1946 وبَذَلَ جهوداً عظيمة للحصول على معادلة للشهادة الثانوية به، فأثمرت جهودُه اعترافَ إسبانيا بها ومعادلتَها بشهادة (البْروبي) الأولى بلبنان، والثانوية العامة بمصر في عهد تولي الدكتور طه حسين وزارة المعارف المصرية، وفي سنة 1953 عُين كاتبا عاماً لوزارة المعارف بالمنطقة الخليفية، وفي فجر استقلال المغرب عُين عضواً في لجنة تسلّم السُّلَط من الإسبانيين، كما عُين نائبا عن وزارة التعليم في الشمال فقام بعملية الإدماج بين منطقتي المغرب في ميادين التعليم والثقافة والشبيبة والرياضة والسياحة والأنباء، وفي سنة 1959 عُين مفتشا أول بقسم التعليم العالي، ثم عُين رئيساً لديوان وزير التعليم، وشارك في عهد الاستقلال في اللجنة الملكية لإصلاح التعليم. وأرسلته منظمة اليونسكو سنة 1965 بصفة خبير لَدَى وزارة التعليم إلى أمريكا الوسطى، كما شَارَكَ في مؤتمر التعليم الإلزامي الذي نظمته اليونسكو في القاهرة سنة 1955.

عرفتُ المترجَم له قديماً، وزرتُه ببيته مراراً، واستفدتُ منه فوائد أذكر منها ما كنتُ سمعتُه من بعض علماء المغرب الذين أقاموا بمصر سنوات عن الشيخ طنطاوي جوهري صاحب تفسير (الجواهر) الشهير وغيره من المؤلفات الكثيرة في العلوم الكونية والروحية الحديثة، أنه كان يترجم عن دوائر المعارف الأنجليزية ما يُودعُه تفسيره من معارف علمية، لأنه يُحظَر ترجمتُها مباشرة. وقد أكد لي المترجم له أن هذا غير صحيح، وان الشيخ طنطاوي لم يكن يعرف لغة أجنبية، وأنه كان على اتصال دائم به لأنه من أساتذته في دار العلوم، وأنهما كانا يتباحثان ويتزاوران، وأن الذي كان يترجم له ما يكتب في العلوم الحديثة هو ابنُه، وربما ضَجر الإبن من كثرة الترجمة، فيرجُو الشيخ من المترجم له أن يُقنعَه بالعمل. ومن غريب ماسمعتُه منه عن الشيخ طنطاوي هذا أنه كان يصومُ الدهر، قال : وشكوتُ إليه مرةً ما يرتكبه الاستعمار الانجليزي من مظالم بمصر، وكان يومئذ في أوج طغيانه - فأخبرني أنه سينتهي قريباً، تتحرر مصر ويجلو الاستعمار، ولما رأى الشيخ استغرابي من كلامه واستبعادي لما يقول، قال لي : يابني، أنا لا أقول هذا من عندي وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبرني بقُرب ذلك وبشرني بالتحرير الوشيك مناما.

ومن إنصاف المترجم له أنه وقف على نسخة مصورة من كتاب عمدة *الراوين في تاريخ تطاوين* لشيخنا معاً الفقيه أحمد بن محمد الرهوني، كتبتها بخطي نقلاً عن أصلها الذي هو بخط المؤلف بخزانة تطوان العمومية، وكنتُ يومها محافظا للمخطوطات والوثائق، وعلَّقتُ عليها تصحيحات وانتقادات فقرأها واستطرف تلك التعليقات، وأملَى عليّ بعضَها من حفظه ضاحكاً مستطرفا، وهو من عائلة صوفية أباً عن جد.

وقبل وفاته بمدة أجريت له عملية جراحية، وبعدها سقط وأصيب بكسر تأذى منه غايةً، وهو الرجل القصير القامة، الضعيف البنية. ثم وافاه الأجل المحتوم بعد عُمر حافل بالنفع والعطَاء بمنزله بتطوان يوم الأحد 25 شعبان 1422 موافق 3 نوفمبر 2001 ودفن عصر ذلك اليوم بزاوية سيدي السعيدي، رحمه الله تعالى.

كتيب في *تأبينه وترجمته* أصدره تلاميذه، وطبع بتطوان، سنة 2002 ؛ *معلومات شخصية*.

محمد بوخبزة

عزّيمان، محمد بن **علي** التطواني، وُلد بتطوان عام 1225 ـ 1226. وحفظ القرآن والمتون العلمية ولاسيما الفقهية، فكان يستظهر مختصر خليل وتحفة الحكام وغيرهما ويستحضر غالبَ نصوص شُراحها وغالبَ نصوص أرباب النوازل والأحكام، قال الوزير أحمد الغنمية التطواني : أملى عليَّ فتوى من حفظه وأملى على الفقيه العمراني فتوى أطول منها دون الرجوع إلى كتاب، وأخبرني الفقيه أعْجُولُو الأندلسي ثم التطواني أنه كان يراه يكتب الفتاوى في صكوك الرعاوي واقفا أمام نافذة بمنزله، ولكثرة استحضاره وحفظه ما كان يحتاج إلى مراجعة في الغالب، وكانت فتاويه مُركَّزة محقَّقة قلما تَقبل معارضة حتى من فقهاء فاس ومفتيه.

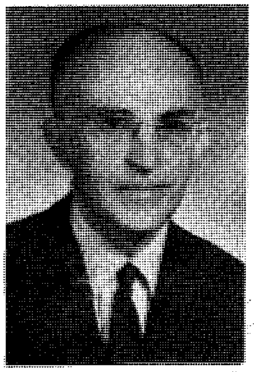

أخذ العلم بتطوان عن الفقيه النحوي علي بوخبزة، والفقيه عبد الكريم غَيلان، والشيخ محمد الحراق الصوفي الشهير والقاضي عبد الرحمن الحايك وغيرهم وبفاس عن الفقهاء : ابن عبد الرحمن الحجرتي والحاج الداودي والمرنيسي وقصارة وإدريس البدراوي وطبقتهم، ثم رحل إلى فاس ورَجَع لتطوان عام 1252 أو اشتغل بالتدريس والعدالة والإفتاء والإمامة بجامع العيون والخطابة به من عام 1267 ـ إلى أن أقعد عام 1310 ودَرَّس به صحيحَ البخاري، ومُوَطأ مالك، والشَمائل، وهمزية البوصيري بردتَه، ومختصر خليل ورسالة ابن أبي زيد والمرشد المُعين لابن عاشر، وألفيَّة ابن مالك وغيرها مراراً، قال الرهوني وهو من تلاميذه : كان يأتي جامعَ العيون قبل الفجر فيتهجد، ثم يقرأ حزباً من مختصر خليل، قلما يتخلف عن هذا صيْفاً وشتاءً عقوداً من السنين، لازمتُ الحزبَ معه نحو عشر سنوات.

أخذ عنه عامةُ فقهاء تطوان من الفقيَه أحمد السلاوي، والفقيه محمد النجَّار الكبير، والقاضي بَعدَه التهامي أفيلال، وأهرار، وابن الأبار، إلى الأخوين أحمد ومحمد الزواقيْين والرهوني وغيرهم كثير.

كان كثير الاعتناء بالتقييد والمطالعة والتحصيل ولا سيما للفقه والنوازل فكان فيهما لا يجارى، وأعلَن الرهوني أسفَه على عدم اطلاعه على شيء من أوضاعه وإن أورد له في (العمدة) خطبتين من إنشائه، كما لم يُتَح ذلك لخَلَفه الأستاذ داود، وقد علمتُ أن له رسالةً في أسماء الأعشاب والأدوية المفردة في تذكرة الأنطاكي وجامع ابن البيطار بلهجة أهل تطوان، وشرحاً على همزية البوصيري وآخر على بردته، وقد أطلعني عليها حفيدُه الأستاذ الكبير مَحمد المأسوف على وفاته أخيرا، وهي بخطه.

وبعد وفاة السلطان المولى عبد الرحمن بمكناس في 29 محرم 276 بويع وَلَدُه وخليفتُه سيدي محمد وبَلَغَ الخبر أهل تطوان يوم 12 صفر عامه فَبَايَعوا الخليفة المذكور. وكتب الفقيه الأديب المفضل أفيلال الحسني العلَمي بَيعتَهم بماء الذَّهَب (أورد نصها الأستاذ داود في تاريخه، 3 : 368) وشهد فيها الفقهاء السلاوي واليعقوبي والرايس، وأدَّى شهادتَهم القاضي المترجَم، وأرسلوا بَيعتَهم وشكَّلوا وفداً للتهنئة برئاسة القاضي عزيمان من علماء وأشراف وأعيان البلَد، وعددُهم ستة عَشَر، وهم : القاضي محمد بن علي عزيمان، والحاج أحمد السلاوي، والمفضل أفيلال، والمكي بن عبد الوهاب، وأحمد بن التهامي الوزاني وعبد السلام ابن ريسون الخراط، والحاج أحمد اليعقوبي، وعبد الله الدليرو، وعبد الله عزيمان، والمهدي الشَّرقي، ومحمد كرِّيش، والحاج محمد الطريس، والحاج محمد اللبادي، والعربي الشَوْدري، والحاج محمد الشُّربي، وأحمد أبري، ومحمد أجْناو وأربعة من الطبْجية وأربعة من البحرية، وخمسة من صُناع العُدَّة، وعشرة من المخزنية.

وفي يوم الأربعاء فاتح رجب الفرد الحرام عام 1313 توفي بمنزله بالدرب المسمى باسمه إلى الآن (درب عزيمان) بحي (الطرنكات) من تطوان، ودفن بزاوية العلامة الصالح سيدي علي بركة الأندلسي بالسوق الفوقي، وخلف ولَديْن فقيهين عدلين هما مَحمد (فتحا) وعلال رحم الله الجميع.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، 6 : 117، نسخة خاصة مصورة ؛ م. داود، تاريخ تطوان، 7 : 238، ط. تطوان، والمجلد الثاني عَشَر صفحة 152 من نفس التاريخ، بخط مؤلفه بخزانته بتطوان ؛ م. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، تنسيق، د. محمد حجي، 8، ص. 2804، ط. دار الغرب ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *العز والصولة في نظم الدولة*، 2 : 55، ط. الملكية بالرباط.

محمد بوخبزة

عزّماني، بن **محمد** الطيب، ولد سنة 1914 ببني عتيق إقليم وجدة من أبويه محمد بن عبد الكريم وحليمة بنت الحاج محمد.

كام من الوطنيين المخلصين الذين دفعتهم غيرتهم الوطنية واستكمال الوحدة الترابية إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير غداة تأسيسه في المنطقة الشمالية بمركز بني يزناسن ضمن الفرقة التي كانت تحت قيادة بلحاج بوبو.

وقد عرف الشهيد بين أفراد فرقته بالإخلاص والتفاني في العمل حيث شارك مشاركة فعالة في جميع المواجهات التي خاضها جيش التحرير ضد قوات الاحتلال إلى أن

استشهد رحمة الله عليه سنة 1956 واهبا روحه للحرية والاستقلال.

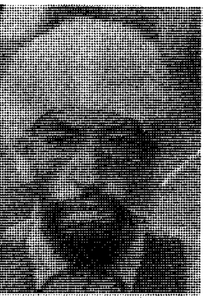

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520927.

العزفي، أحمد بن **أبي طالب** عبد الله، أحد أقطاب الشعر المغربي خلال العصر المريني، وأحد أمراء الأسرة العزفية التي حكمت مدينة سبتة ما يقارب القرن. اسمه الكامل هو : أحمد بن أبي طالب عبد الله بن أبي القاسم محمد بن أبي العباس أحمد العزفي. يكنى أبا العباس. ولد بسبتة وترعرع في أكناف احدى كبريات البيوتات السبتية رياسة ونبلا وكياسة وعلما. كان أبوه أبو طالب رئيسا لسبتة ورثها عن أخيه أبي حاتم، ثم عن الجد أبي القاسم، ثم عن الجد الأعلى أبي العباس محدث الاحتفال بالمولد النبوي في المغرب. وهو أخ ابني أبيه أبي القاسم صاحب (كتاب *الإشادة*) ويحيى أبي عمرو (أو أبي زكريا) الذي تولى إمارة سبتة بعد محنة التغريب ورحلة العودة إلى الوطن. ففي بيت الحسب والرياسة تربى شاعرنا وتشبع من علوم عصره التي كانت تعج بها المجالس العلمية في سبتة. يصفه ابن الخطيب بأنه كان "فذا في الأدب، طرفا في الإدراك، مهذب الشمائل، ذلق اللسان، ممتع المجالسة والمحاضرة، حلو الفكاهة، يرمي كل غرض بسهم". وقد قال في حقه أخوه القاسم في كتابه *الإشادة* : "هو أخي، الذي بإخائه أزهو وأنتخي، وكبيري، المعتمد بإجلالي وتقديري، ولولا خوفي من أن يلزمني ما لزم مادح نفسه، لأطنبت في وصف ماله من المحاسن التي فاق بها أبناء جنسه، مع أنها لم تزل على منصة البيان مجلوة، وبألسنة الأيام متلوة" (جذوة، 2 : 398). لم يكن أبو العباس رجل سياسة فلم يتول رئاسة سبتة، وما نعت ابن الخطيب له بالرئيس إلا من باب التشريف. عاش ظروف المحنة والتغريب التي مرت بها الأسرة العزفية في عهد أميرها والده أبي طالب وذلك عندما انتفض محمد الثالث ابن الأحمر على السلطان يوسف بن يعقوب المريني، وانتزع منه سبتة بعد أن غدر بأهلها، ونقل أسرة بني العزفي إلى الأندلس وذلك في شوال سنة 705 / 1306. فنزلوا أولا في مالقة لدى أميرها فرج بن إسماعيل ابن الأحمر ابن عم الملك محمد الثالث منفذ عملية احتلال سبتة. ثم نقلوا بعد ذلك إلى حضرة ملك ابن الأحمر صاحب غرناطة حيث وصلوا إليها في محرم 706 / 1307. وهناك نسجت وشائج الصداقة بين ذي الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم وأديبنا ساهمت في الحفاظ على كرامة أسرة بني العزفي التي عاشت في كنف ورعاية الوزير ابن الحكيم. يقول ابن الخطيب : "ودخلوهم على السلطان، [أن] الذي تنخل بمثله السخائم، وتذهب الإحن ؛ وخطب لنفسه، فاستمر حاله لطيف المنزلة، معروف المكانة، ملازما مجلس مدبر الدولة، مرسوما بصداقته مشتملا عليه ببره".

يؤكد الإنتاج الأدبي الذي خلفه أبو العباس والذي مازال متناثرا بين بطون بعض المؤلفات مثل كتب ابن الخطيب والمقري والشريف السبتي في شرحه مقصورة حازم وغيره على تنوع الانتاج الفكري المغربي خلال العصر الوسيط، ويمثل الشخص أحد الأعلام الأدبية بل من خواص أدباء المغرب وشعرائه المبدعين. تتميز قصائده بمواصفات قلما وجدت في انتاجات أدباء عصره من المحسنات اللفظية والبديعية، مع الحفاظ على المعنى وتناسق الأغراض والمعاني إضافة إلى الفصاحة وحسن السبك وسرعة البديهة والدقة في التعبير حتى في أكثر المواضيع حساسية كشعر الوجدان، مما يدل على اتساع مخيلة الرجل وحضور ملكته الأدبية.

ابن الخطيب، *اللمحة البدرية في الدولة النصرية*، بيروت، 1400 / 1980، ص. 66 - 67 ؛ المقري، *أزهار الرياض في أخبار عياض*، الرباط، 1978، الجزء الثاني، ص. 356 - 357 ؛ ابن القاضي، جذوة *الاقتباس*، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1974، القسم الثاني، 398 ؛ ابن القاضي، درة *الحجال*، تح. م. الأحمدي أبو النور، تونس - القاهرة، الجزء الأول، ص. 11.

العزفي، أحمد بن **أبي القاسم** محمد بن أبي العباس العزفي اللخمي، ويعرف بأبي حاتم. من الأمراء العزفيين. تولى إمارة سبتة بعد وفاة أبيه أبي القاسم العزفي سنة 677 / 78 - 1279 إلا أنه لم يمكث فيها إلا سنة واحدة بحيث خلع عنها (*أزهار*، 2 : 377). ويفسر ابن الخطيب أسباب الخلع بقوله : "بحكم الاستقلال في ذلك، والاستبداد التام، من غير مطالعة لأخيه ولا رجوع إليه في شيء من الأمور، ولا تشوف من أخيه إلى ذلك، لخروجه البتة عنه، وإيثاره العزلة. واشتغاله. بنفسه" (*الإحاطة*، 3 : 384). وقد حدث ذلك في سنة 678 / 1280. ويبدو من خلال احدى الرسائل التي كانت من تدوين كاتب ديوانهم خلف بن عبد العزيز القبتوري والمؤرخة في سنة 682 / 1283 والتي صدرت باسم أبي حاتم إلى أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني، أن أبا طالب الذي كان يمارس السلطة الفعلية، احتفظ لأخيه بشرف السلطة الاسمية بحيث ظلت الوثائق الرسمية تصدر باسمه (*رسائل*، 65). كما أن مما يدل على الأهمية التي ظلت للرجل حتى بعد عزله عن امارة سبتة القصيدة الشعرية التي

أنشدتها في حقه شاعرة وأديبة الأندلس سارة بنت أحمد بن عثمان ابن الصلاح الحلبية عند قدومها على سبتة في أواخر المائة السابعة، مطلعها (جذوة، 2 : 525) :

بشراك يا نفس نلت السؤال والأمــلا
وعاد دهرك بعد الجور قد عــــدلا
ونلت ما كنت طول الدهر تأملـــــه
وعنك أضحى العنا والبؤس مرتحلا
فروض بشراك لا تذوي أزاهــــــره
وورد نشرك طيب قد صفا وحـــلا
وقد وصلت إلى بحر الندى علم الهد
ـدى أبي حاتم ابن السادة الفضــلا

يصفه ابن الخطيب بالأمير الصالح. حدث بسبتة وقرأ على يديه جلة من العلماء نذكر من بينهم محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التلمساني الأنصاري السبتي (*الإحاطة*، 3 : 201) وعبد المهيمن الحضرمي (*الإحاطة*، 4 : 12) توفي بسبتة في سنة 716 / 1317 (وفيات *الونشريسي*، 102 ؛ *لقط الفرائد*، 174).

القبتوري، *رسائل ديوانية من سبتة في العهد العزفي*، تح. م. الحبيب الهيلة، المطبعة الملكية، الرباط، 1399 / 1979 ؛ المقري، *أزهار الرياض في أخبار عياض*، الرباط، 1978، الجزء الثاني ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. م. عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، الجزءان الثاني، والثالث ؛ الونشريسي، *وفيات الونشريسي*، تح. م. حجي، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1396 / 1976 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1974، القسم الثاني.

زوليخة بنرمضان

العزفي، أحمد بن **محمد** بن الحسين السبتي، ولد في 17 رمضان 557 / 16 ماي 1162 وتتلمذ على أبيه القاضي أبي عبد الله العزفي وعلى أشهر فقهاء ومحدثي الغرب الإسلامي أمثال الزاهد أبي محمد بن عبيد الله الحجري والقاضي أبي عبد الله ابن زرقون والخطيب أبي القاسم عبد الرحمان ابن حبيش وابن بشكوال وأبي بكر ابن خير وأبي القاسم السهيلي وأبي محمد بن الفرس وغيرهم، كما أجاز له جماعة من المشارقة. وقد عدد تلميذه الرعيني في برنامجه أهم المصنفات التي قرأها ورواها عن شيوخه.

تولى أبو العباس أحمد العزفي قضاء مدينة سبتة بعد أبيه، كما لزم التدريس بجامعها وتتلمذ عليه جمّ غفير من علماء الغرب الإسلامي. وقد أبرز مترجموه سعَة ثقافته الفقهية واطلاعه الواسع على التيارات المذهبيةَ وتبحُّره في علم الحديث خاصة. يقول الرعيني إنه كان "من خاتمة أهل العلم بالسنة والانتصار لها، نفعه الله، برز علماً وعملاً، ودراية، ورواية، وجمع خصالاً من الفضل جمة ولزم التدريس بجامع سبتة مدة عمره، ورحل الناس إلى الأخذ عنه والاستفادة منه، وكان على طريقة شريفة من التسنن واقتفاء السلف، والاكباب على سبل الخير كلها". بينما حلاه ابن أبي الربيع بـ "الشيخ الفقيه العالم العامل الأوحد الورع الفاضل الضابط الناقد المسند، بقية المحدثين". إن مؤلفات أحمد العزفي التي وصلتنا عاكسة ثقافته الواسعة هي التالية :

"*منهاج الرسوخ إلى علم الناسخ والمنسوخ*" (مخطوط) و"*دعامة اليقين في زعامة المتقين*" و"*الدر المنظم في مولد النبي المعظم*" (مخطوط) و"*إثبات مالا منه بُدَّ لمريد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمدّ*". أما تلك التي لم تصلنا فمنها برنامج مشيخته وكتابه "*الجمع بين معاني القرآن للفراء والزجاج*".

توفي بسبتة في 7 رمضان عام 633 / 30 غشت 1236.

أ. العزفي، *دعامة اليقين في زعامة المتقين*، تح. أحمد التوفيق، الرباط، 1989 ؛ أحمد العزفي (وولده أبو القاسم)، *الدر المنظم في مولد النبي المعظم*، تح. فاطمة اليازدي، د. د. ع. كلية الآداب، الرباط، 1987 ؛ *إثبات مالا منه بُدَّ لمريد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمدّ*، تح. محمد الشريف، ضمن منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1999 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، تح. مصطفى السقا وآخرين، القاهرة، 1949، ج 2، ص. 37 ؛ *نفح الطيب*، تح. احسان عباس، بيوت، 1988، ج 2، ص. 375 ؛ أ. بابا، *نيل الابتهاج*، تح. عبد الحميد عبد الله الهرامة، طرابلس، 1989، ص. 77، (حرّف اسم عزفة إلى عرفة) ؛ ابن الشاط، *برنامج ابن أبي الربيع*، تح. عبّد العزيز الأهواني، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الأول، 1955، ص. 252 - 270 ؛ ليثام، (ديريرك)، *بنو العزفي أصحاب سبتة*، تر. أمين توفيق الطيبي، في كتاب، *دراسات في تاريخ مدينة سبتة الإسلامية*، طرابلس، 1989، ص. 64 - 66 ؛ ابن رشيد السبتي، *إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح*، تح. محمد الحبيب بلخوجة، تونس، 1974، ص. 105.

M. Cherif, *Ceuta aux époques almohade et mérinide*, L'Harmattan, Paris, 1996 ; J. D. Latham, al-Azafi, *Encyclpédie de l'Islam*, 2ème éd., Supplément, Livraison 1 - 2, p. 110 - 112.

محمد الشريف

العزفي، أبو **طالب عبد الله** بن محمد أبو القاسم بن أحمد أبو العباس العزفي، ويلقب بأبي طالب. تولى إمارة سبتة خلفا لأخيه المخلوع أحمد أبي حاتم وذلك في سنة 687 / 1280، وقد حكم سبتة مدة 27 سنة. وخلع عنها ليلة الأربعاء 27 من شوال سنة 705 / 1306 على إثر المؤامرة التي دبرها محمد الثالث من بني الأحمر بتواطؤ مع أحد قادة البحر في المدينة، وكلف بتنفيذها ابن عمه فرج بن إسماعيل بن يوسف بن الأحمر حاكم مالقة الذي اقتحم ميناء المدينة في أسطول مكون من 520 مركبا (*الجذوة*، 2 : 433). فاستسلم دون أن يبدي أية مقاومة حقنا للدماء. فنقل مع جل أفراد أسرته إلى غرناطة حيث مكثوا في كنف ذي الوزارتين ابن الحكيم، وذلك إلى حدود قيام الثورة في غرناطة والتي كان من نتائجها عزل الملك محمد الثالث ومقتل وزيره ابن الحكيم. فسمح لأبي طالب وأسرته بالعودة إلى المغرب. فنزلوا في فاس، وبها كانت وفاته في شعبان من سنة 713 / 1341 (*أزهار*، 2 : 377 ؛ *الإحاطة*، 3 : 385 ؛ *جدوة*، 2 : 433).

خصه ابن الخطيب بمجموعة من الأوصاف توحي بالتربية الأرستقراطية التي تلقاها في أحضان أسرته العزفية العالمة. يقول : "كان من أهل الجلالة والصيانة وطهارة النشأة، عظيم الهيبة، كبير القدر والصيت، عالي الهمة، شديد البأو، معظما عند الملوك، جميل الشارة، ممتثل الاشارة لديهم". تفنن في الحديث وتلاوة القرآن والتاريخ. من أساتذته أبو الحسن بن أبي الربيع (*الإحاطة*، 3 : 384 ؛ جدوة، 2 : 433).

المقري، *أزهار الرياض في أخبار عياض*، الرباط، 1978، الجزء الثاني، ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، الجزء الثالث ؛ ابن القاضي، جذوة *الاقتباس*، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1974، القسم الثاني.

العزفي، عبد الرحمان بن **عبد الله** بن أبي طالب عبد الله بن أبي القاسم محمد بن أبي العباس أحمد العزفي. يكنى أبا القاسم. ولد سنة 685 / 1286 في بيت جمع بين شرف العلم والجاه والنبل والسياسة. سمع مع أبي جعفر بن الزبير، والقاضي ابن عبد الملك، وابن خميس وغيرهم وهو صاحب كتاب *"الإشادة، بذكر المشتهرين من المتأخرين بالافادة"* أو *"الإشادة بذكر المشهورين من المتأخرين بالإجادة"* (كما ورد عند المنوني في *المصادر*، 82). ألفه الفقيه عبد الرحمان خصيصا لدى الوزارتين أبي عبد الله بن الحكيم صاحب ديوان الإنشاء في دولة بني نصر في غرناطة. وكان قد أهداه إليه من باب المن بالفضل والاعتراف باليد الطولى التي مدت إلى أسرة بني العزفي بعد أن سلب منهم ملكهم وسيقوا غرباء إلى غرناطة أيام حكم محمد بن نصر الثالث منفد عملية احتلال سبتة. يصنف الكتاب حاليا ضمن الكتب المفقودة. والملاحظ أن المقري اعتمده كمرجعية أساسية في كتابه *أزهار الرياض* الذي يحوي بين طياته قطعا مهمة من هذا المؤلف، من بينها أشعار أخيه أبي العباس العزفي في مدح ابن الحكيم المذكور (*أزهار*، 2 : 357). كما خلف قصائد شعرية مطولة تناولت مواضيع مختلفة احتفظت بعض أمهات الكتب بقطع منها.

توفي قرب زوال يوم الأربعاء 13 من رجب الفرد من عام 717 / 17 ـ 1318 بالدرب الطويل من فاس (*أزهار*، 2 : 357؛ جدوة، 2 : 398).

م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، الرباط، 1404 / 1983، الجزء الأول ؛ المقري، *أزهار الرياض في أخبار عياض*، الرباط، 1978، الجزء الثاني، ابن القاضي، جذوة *الاقتباس*، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1974، القسم الثاني.

العزفي، أبو **القاسم محمد** بن أحمد أبو العباس العزفي. يكنى أبا القاسم. ولد بسبتة في منتصف شوال عام 607 / 1211 (*أزهار*، 2 : 374). تربى ونشأ في أحضان بيت علم وحسب. وقد تشبع من علوم عصره، فكان أبوه أول أحادثه، وجل قراءاته كانت عليه. لقد جمع بين الزعامة الروحية والسياسية، فقد كان يترأس مجلس شيوخ أهل سبتة، المجلس الذي لعب أدواراً مهمة على مستوى الأحداث التي عرفتها المدينة منذ بداية تاريخها الإسلامي. ويعتبر الزعيم الروحي للثورة التي قام بها أهالي سبتة بتحريض من قائد البحر أبي العباس حجبون الرنداحي بعدما ذاق أهالي المدينة درعا بالحكم الحفصي. فكان قيامه بسبتة ليلة 27 من رمضان عام 647 / 49 ـ 1250، انتهت بمقتل والي سبتة أبي عثمان بن خالد وكبار جنده وطرد الآخرين. اعترف بالسيادة الموحدية في شخص الخليفة المرتضى (*البيان*، 398 ؛ *العبر*، 7 : 383). وقد ظل يتبادل الرسائل مع الخليفة الموحدية على الأقل إلى حدود ذي القعدة من سنة 658 / أكتوبر 1260. كما حافظ في نفس الوقت على علاقات جيدة مع المرينيين الذين بدأوا يوسعون نفوذهم في اتجاه الشمال. وفي سنة 660 / 1262 استطاع أن يرد على محاولة محمد الأول النصري لاحتلال سبتة. كما استولى على بعض القطع من أسطوله. إلا أن تدهور الأمن في المضيق وغياب سلطة قادرة على حماية المنطقة، دفعت أبا القاسم إلى اتخاذ سياسة عسكرية حمائية أكثر صرامة، تمثلت في ضم طنجة إلى ملكه بعد مقتل حاكمها ابن الأمين، كما استولى على أصيلة التي كانت مهجورة، وهدم أسوارها (*العبر*، 7 : 384).

لقد نهج أبو القاسم العزفي سياسة المعادلة في علاقاته مع القوى الإسلامية المتنازعة في أقصى الغرب الإسلامي موحدين ومرينيين ونصريين. كما أبدى اهتماما كبيراً بقضية الجهاد في الأندلس، لذلك عمل على دعم الحركة الجهادية، وتيسير عملية مرور الغزاة من بني مرين عبر سبتة إلى الأندلس قصد الجهاد وإغاثة بني جلدتهم (*الذخيرة*، 68). كما أنه في عهده حدث تقارب من جديد بين سبتة وجنوة، وذلك في سنة 665 / 1267 بحيث عينت قنصلا عاما لها يقيم في سبتة، ويتولى مهمة الإشراف على جميع قناصلتها في بلاد البربر والأندلس. كما وقعت سبتة في عهده معاهدة صلح مع مملكة الأرغون في 4 أبريل 1269. وتعد أول معاهدة توقع بين سلطة مغربية ومملكة الأراغون (*L'Espagne*, 163).

إن الاستقرار الذي شهدته سبتة في عهد أبي القاسم العزفي، أفرز الازدهار الفكري الكبير الذي شهدته المدينة خلال هذه الفترة، كل ذلك برعاية من صاحبها وأميرها أبي القاسم. من أهم انجازاته بناؤه لمسجد مقبرة زجلو الذي يعتبر ثاني مسجد في سبتة بعد المسجد الأعظم من حيث الكبر وجمالية البناء (*اختصار*، 33) وقد اتخده مكانا للاقراء والتحديث به. كما درس بجامع سبتة الأعظم. يشير إليه المقري بالفقيه الاصولي النحوي اللغوي المحدث العارف بالرواية، الشاعر المجيد (*أزهار*، 2 : 377). تتلمذ عليه جملة من خيرة علماء بلده والأندلس من بينهم محمد بن علي بن يوسف بن قطران الأنصاري (*الإحاطة*، 3 : 203)، وأحمد بن عبد الله الأنصاري الرصافي (درة، 1 : 33)، ومحمد بن يوسف بن علي أثير الدين أبو حيان الغرناطي (*الإحاطة*، 2 :

43)، ومحمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى الكتامي، وأبي عبد الله بن مدراس الأشيري (*الذيل*، 1 : 356 ـ 357)، والخطيب أبي علي بن الخطيب أبي فارس بن غالب الجمحي (*أزهار*، 2 : 376). من الآثار الفكرية التي خلفها أبو القاسم العزفي أنه أكمل ما بدأه أبوه في تأليف "الدر المنظم، في مولد النبي المعظم". كما أنه خلف مجموعة من المراسلات كانت من تدوين كاتب ديوانه خلف بن عبد العزيز بن محمد الغافقي القبتوري (*رسائل*، 53). ويعد ما وصلنا منها قليل بالنظر إلى المدة الطويلة التي قضاها أبو القاسم في السلطة، وبالنظر أيضا إلى ما كانت تقتضيه علاقاته المعقدة مع القوى الإسلامية، بني زيان وبني نصر والموحدين والمرينيين والحركة الجهادية التي كان يعتبر أحد كبار دعاتها والمحرضين للقبائل عليها، من مراسلات وخطب وغيرها.

المقري، *أزهار الرياض في أخبار عياض*، الرباط، 1978، الجزء الثاني ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، الجزءان الثاني والثالث ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار*، تح. عبد الوهاب بن منصور، الرباط، 1403 / 1983 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، قسم الموحدين، تح. محمد إبراهيم الكتاني، محمد زنيبر، محمد بن تاويت، عبد القادر زمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406 / 1985 ؛ القبتوري، *رسائل ديوانية من سبتة في العهد العزفي*، تح. محمد الحبيب الهيلة، المطبعة الملكية، الرباط، 1399 / 1979 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. محمد بن شريفة، الرباط، 1984، القسم الأول ؛ ابن القاضي، درة *الحجال في أسماء الرجال*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، تونس ـ القاهرة، 1391 / 1971، الجزء الأول.

Z. Benramdane, *Ceuta aux XIIIème et XIVème siècles*. T. D de 3ème cycle, Aix -Marseille I, 1987 ; Ch. E. Dufourcq, *L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIIIème et XIVème siècles*, Paris, 1966.

العزفي، محمد بن **محمد** بن **أبي القاسم**، محمد ابن أبي زكريا (أو أبي عمرو) يحيى بن أبي طالب عبد الله ابن أبي القاسم محمد بن أبي العباس أحمد بن القاضي الخطيب محمد اللخمي العزفي. يكنى أبا يحيى. أحد الأدباء من أسرة بني العزفي السبتية وشعرائهم البارزين. التقى به أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر بفاس في حضرة بني مرين وكان من بين ما أنشده في مدح سلطان بني مرين أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن علي عند فتحه لتلمسان ودخولها وما نجم عن ذلك من فرار سلطانها من أسرة بني زيان المتوكل على الله أبي حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمان بن يحيى بن يغمراسن إلى الصحراء قصيدة مطلعها (نثير *الجمان*، 122 ؛ جذوة، 1 : 306).

أبو الوليد اسماعيل بن الأحمر، نثير *الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان*، تح. محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1976 ؛ ابن القاضي، جذوة *الاقتباس*، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1973، القسم الأول.

العزفي، محمد بن **يحيى** بن أبي طالب عبد الله بن أبي القاسم محمد بن أبي العباس أحمد بن القاضي الخطيب محمد اللخمي العزفي. يكنى أبا القاسم. ولد وترعرع أيام عنفوان الإمارة العزفية بسبتة في شوال من عام 699 / 1300. أمه عائشة بنت إبراهيم بنت عم أبيه. تولى حكم سبتة بعد موت أبيه أبي عمرو يحي في شعبان من عام 719/ 19 ـ 1320. وخلع في صفر عام 720 / 1321 عند قيام ابن عمه عليه. فكانت مدة رئاسته ستة أشهر (*أزهار*، 2 : 378 ؛ 2 : 242). ويعد آخر أمراء سبتة من أسرة بني العزفي التي حكمت المدينة انطلاقا من سنة 647 / 49 ـ 1250. فانتقل إلى غرناطة، وهناك عاش في كنه صاحبها الأمير النصري إسماعيل بن فرج الذي حكم غرناطة ما بين 713 / 1314 و725 / 1325. فجرت عليه جراية واسعة، ونال رعاية ذوي الأمر نظرا لنباهة مكانته وعلو مقداره. ثم عاد إلى فاس وتولى بها الكتابة لملوك بني مرين. كما اشتغل بها في الخطط الفقهية (جذوة، 300). ويذكر أن أبا عنان المريني رشحه لتولية حكم قسطنطينة عند فتحه لها، إلا أن محمدا رفض الابتعاد عن الولد والبلد، فتركه السلطان لحاله (المقري، 2 : 378).

يصفه العسقلاني بأهل البراعة والذكاء. وقد اشتهر بأدبه، وقام له سوق نافقة ؛ بحيث كانت له قدرة كبيرة على النظم مع قوة نفس في استخراج معميات الأدب، إضافة إلى معرفته بالتاريخ ومشاركته في فنون شتى مثل الطب الذي دون فيه كما يقول ابن الخطيب (*الإحاطة*، 3 : 11 ؛ نثير *الجمان*، 120 ؛ *الدرر*، 4 : 281).

استقر في حضرة ملوك بني مرين بفاس كاتبا لإيالتهم إلى أن توفي بها ليلة السبت 11 صفر عام 768 / 1367 (*لقط*، 213 ؛ جذوة، 300 ؛ درة، 2 : 242).

المقري، *أزهار الرياض في أخبار عياض*، الرباط، 1978، الجزء الثاني ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، الجزء الثالث ؛ ابن القاضي، جذوة *الاقتباس*، في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973 ؛ ابن القاضي، درة *الحجال في أسماء الرجال*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، تونس ـ القاهرة، 1391 / 1971، الجزء الثاني.

العزفي، يحيى بن **أبي طالب** عبد الله بن محمد أبي القاسم بن أحمد أبي العباس العزفي اللخمي. يكنى أبا عمرو (وأبا زكرية). ولد بسبتة في رمضان من سنة 677 / 78 ـ 1279. عاش محنة التغريب مع أبيه الأمير أبي طالب وباقي أسرته عندما غدر بهم الأمير فرج بن إسماعيل النصري. بعد خلع محمد الثالث النصري على إثر ثورة غرناطة، وعودة سبتة إلى الحكم المريني، سرح لهم بالعودة إلى الوطن فاستقروا بفاس، وهناك ارتبطت وشائج الصداقة بين الأمير العزفي أبي عمرو يحيى والأمير المريني أبي سعيد فارس بن عبد الحق (*العبر*، 7 : 515). وعندما اعتلى هذا

الأخير عرش بني مرين، ابتسم الحظ من جديد لبني العزفي، فعين أبا عمرو حاكما على سبتة، بينما عين أخويه أبا زيد عبد الرحمان قائداً للاسطول وأبا الحسن رئيسا على دار الصناعة، وذلك في سنة 710 / 1311. الا أن ثورة الأمير أبي علي على أبيه أبي سعيد كان من نتائجها نزع السلطة من يد يحيى بن أبي طالب وترحيله من جديد مع باقي أفراد أسرته إلى فاس. إلا أن الإسراع بالقضاء على ثورة الأمير المتمرد، واستتباب الأمر مجدداً لأبي سعيد، عجل من عودة أبي عمرو إلى سبتة وذلك في سنة 714 / 1315. إلا أن هذه العودة كانت مشروطة بترك رهينة من أبناء الأمير أبي عمرو يحيى في بلاط السلطان المريني، الشيء الذي سيؤدي إلى تعكر الجو بين الطرفين، وبالتالي ستتولد نزعة التمرد لدى الأمير العزفي يحيى، بحيث تملص من أداء المستحقات عليه من الإتاوات اتجاه السلطان المريني، وأعلن استقلاله مستعينا بمجلس الشيوخ في تسيير أمور المدينة. كما أحضر عبد الحق بن عثمان أحد أمراء بني عبد الحق، وشيخ الغزاة المتمردين عن السلطة المرينية واللاجئين بالأندلس، وعينه قائداً للجند (*Ceuta*, 109). والملاحظ أنه اعتبر أول من ركب بالرمح والسيف من بني العزفي، وجند الجنود (*أزهار*، 2 : 378). وقد برهن عن تفوقه في حماية المضيق بأن بث بحارته ضد القراصنة المسيحيين (*L'Espagne*, 466). كما واجه المرينيين عند حصارهم للمدينة، وكبدهم الهزيمة وسبب الارتباك في صفوف جيوشهم، الشيء الذي ساهم في اتجاح المكيدة التي كانت من تدبير القائد عبد الحق بن عثمان، من فك سراح الرهينة ابن الأمير يحيى العزفي (*الإحاطة*، 3 : 537). إلا أن يحيى بن أبي طالب بعد أن استرجع ابنه اختار المصالحة، فاعترف من جديد بالسلطة المرينية مقابل دفع الإتاوات المترتبة عليه، وبعث هدية ثمينة إلى السلطان على رأس كل سنة (*الإحاطة*، 4 : 341 ؛ *Ceuta*, 109).

الرعيني، *برنامج شيوخ الرعيني*، تح. إبراهيم شبوح، دمشق، 1381 / 1962، المقدمة ؛ المقري، *أزهار الرياض في أخبار عياض*، الرباط، 1978، الجزء الثاني ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، الجزء الثالث ؛ الونشريسي، *وفيات الونشريسي*، تح. محمد حجي، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1396 / 1976 ؛ ابن خلدون. *تاريخ العلامة ابن خلدون أو كتاب العبر*، دار الكتاب اللبناني، بيروت، المجلدان السادس والسابع.

Z. Benramdane, *Ceuta aux XIIIème et XIVème siècles*, T. D. de 3ème cycle, Aix-Marseille I, 1987 ; Ch. E. Dufourcq, *L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIIIème et XIVème siècles*, Paris, 1966.

زوليخة بنرمضان

العزفيون من الأسر العربية الشهيرة التي استقرّت بسبتة، ينتمون على أشهر الروايات إلى المناذرة اللخميين من عرب اليمن. عُرفت هذه الأسرة بالعلم أولاً حتى منتصف القرن السابع الهجري ثم بالعلم والسياسة معاً حتى أواخر العقد الثالث من القرن الثامن، ويظهر أن هذا المجال الأخير هو المقصود فيما ذكر عن العزفيين من أنّهم "كانت لهم الرئاسة بسبتة".

من أقدم من وصف منهم بالعلم ـ حسبما وقع بين أيدينا من مصادر ـ "الفقيه الإمام علي" بن محمد بن سليمان بن محمد (المعروف بابن أبي عزفة)، وهو من رجال القرن الرابع حيث ذُكر أنّه كان من معاصري الفقيه أبي زيد القيرواني (*أزهار الرياض*، 2 : 374 ؛ *ترتيب المدارك*، 6 : 215 ـ 222). ويختلف التجيبي عن المقّري وابن الخطيب في نسب المذكور فيجعله "علياً بن حسين بن سليمان اللخمي ثم العزفي"، كما يختلف معهما حول ذرية المذكور.

وورد عالم آخر هو أبو عبد الله محمد والد أبي العبّاس أشهر علماء الأسرة الآتي ذكره، وهو ممّن أخذوا عن القاضي عياض ؛ وقد وصف "بالشيخ الفقيه القاضي العالم المحدّث". ويظهر أنه اشتغل بالقضاء في بلده سبتة أيام المرابطين.

أما أشهر رجال الأسرة العزفية علماً فهو أبو العبّاس أحمد بن أبي عبد الله محمد المذكور قبله، وقد عاش في أواسط العصر الموحدي حيث توفّي سنة 633 ؛ وقد وصفه المقّري "بالشيخ الفقيه، الإمام، العارف، العالم، علم العلماء العاملين المتقنين، ونخبة الفضلاء الصالحين المتّقين".

ومن مؤلفاته :

ـ *منهاج الرسوخ إلى علم الناسخ والمنسوخ*.

ـ *إثبات ما لا منه بدّ، لمريد الوقوف على حقيقة الدّينار والدّرهم والصّاع والمدّ* (وهذا ما يدلّ على درايته بأمور الحسبة).

ـ *دعامة اليقين في زعامة المتّقين*.

ـ *الدّرّ المنظّم في مواد النّبيّ المعظّم*، بدأه أبو العبّاس وأكمله ابنه أبو القاسم ؛ وكان الغرض من تأليفه حثّ النّاس على إقامة عيد المولد النّبوي وترك ما كانوا يهتمّون به من أعياد النّصارى وعوائدهم.

أمّا أبو القاسم محمد ابن أبي العبّاس المذكور فقد اشتهر أيضاً في ميدان العلم، فوصف "بالشيخ الفقيه الفاضل، العلم الأوحد، السّنيّ، المبارك الأكمل". وما عُرف به من مؤلفات هو إكماله لكتاب أبيه (*الدّرّ المنظّم*). ونظراً لانشغاله بشؤون الإمارة التي أنشأها سنة 647 فقد غلب على تراجمه منذئذ الجانب السياسي على الجانب العلمي رغم اتّصال صفة الفقيه باسمه.

إن وضعية الإمارة العزفية اضطربت مع مطلع القرن الثامن (14 م) في ظلّ توتّر العلاقة بين المرينيين وأمراء تلمسان حلفاء النصريين ضد المرينيين. وتتحدّث إحدى رسائل السلطان يوسف عن تلكّؤ أمير سبتة في دفع ما تراكم عليه من خراج سنوي "إنّ الخنّاق صاحب سبتة ترتّب لنا عندده مائة ألف دينار من الذّهب في هذه السّنين السّالفة وهي الواجبة عليه المعتادة، فلمّا طُلب منه صار يعاملنا بالتّسويف .."، وقال ابن أبي زرع "وكان قد فسد حال أهلها عند أمير

المسلمين يوسف وقطع عنهم جميع المرافق" ؛ واتّفق هذا مع أطماع النّصريين في سبتة وتهييئ الجو لاحتلالها، وهذا ما يظهر من عقد صلح بين غرناطة وأركون، ومما ورد فيه "وإن اتّفق أن يرجع إلى طاعتنا بلد من بلاد العدوة [المغرب] أو ناس من أهلها فيكون حكمهم في ذلك [العقد] كحكم سائر بلادنا الأندلسية" ؛ وعندما عزم النصريون سنة 705 على احتلال سبتة تمّ التنسيق بين صاحب مالقة وابن مخلص قائد قصبة سبتة الذي كانت علاقته ـ فيما ذُكر ـ متوتّرة مع الأمير العزفي، فتمّ احتلال المدينة ونفي العزفيون إلى غرناطة. كانت هذه السياسة النصرية المعادية للمرينيين تدخل أيضاً في إطار الضغط عليهم لفك حصارهم الطويل على تلمسان الحليفة التقليدية، وهو حصار ابتدأ منذ سنة 698 ولم ينته إلا باغتيال السلطان يوسف سنة 706. وأضاف النصريون إلى احتلال سبتة إنزالهم بشمال المغرب أحد المنافسين على العرش من العائلة المرينية الحاكمة وهو عثمان ابن أبي العلاء فانتشرت عملياته في الريف من تازة إلى منطقة القصر الكبير إلى أن هزم سنة 608 فعاد أدراجه إلى الأندلس لينصب شيخاً "للغزاة" المغاربة بالأندلس ؛ وتمكّن المرينيون في السنة اللاحقة من استرجاع مدينة سبتة إلى نفوذهم المباشر.

أمّا بنو العزفي المنفيون بالأندلس فقد عادوا إلى فاس، ثم منحهم السلطان أبو سعيد إمارة سبتة مرّة أخرى سنة 714 في شخص الأمير أبي عمر يحيى، ذكر ابن أبي زرع أنّ السلطان أبا سعيد : "ولّى القائد يحيى بن الفقيه أبي طالب العزفي مدينة سبتة، وفوّض إليه في جميع أمورها، وعقد له على أسطولها". ثم خلفه ابنه أبو القاسم محمد عند وفاته سنة 719، قال ابن الخطيب "انتهت إليه رئاسة سلفه ... ثم كلح له الدّهر بعدما تبسّم ... [وذلك بسبب) ما كان من تغلّب ابن عمّه، واستقرّ بهذه البلاد [الأندلس] نائي الدّار.. وإن كان نبيه المكانة والمقدار..".

ويظهر ابن عمّه الذي خلعه من الإمارة هو أحمد بن أبي طالب الذي وردت ترجمته عند ابن الخطيب حيث أورد ضمنها عبارة "وخطب لنفسه"، فلا نجد في هذه الترجمة غير هذه العبارة الدّالة على نشاط سياسي معيّن، فقد يكون هذا آخر أمراء سبتة من العزفيين حيث ألغى السلطان أبو سعيد نظام الإمارة فيها سنة 728، وعيّن عليها ولاة من قبله كسائر ولايات المدن الأخرى.

وهكذا يمكن القول إن مكانة سبتة الجغرافية والاستراتيجية وأهميتها الاقتصادية ووجود طبقة هامّة من رجال العلم بها وبعض الأسر الشهيرة أعطتها مكانة متميّزة من بين المدن المغربية، فتمتّعت بنوع خاصّ من الحكم في ظل العزفيين استقرّ بشكل عام خلال النصف الثاني من القرن السابع خاصة في ظلّ أبي القاسم، ثم اضطربت أحوالها في العقود الثلاثة الأولى من القرن الثامن فانتهت بذلك تجربة للحكم "الذاتي". غير أن أهميّة المدينة استراتيجياً وتجارياً كما ذكرنا جعلتها عند تدهور السلطة المركزية المغربية وتزايد نفوذ القوى الأيبيرية عرضة للاحتلال ابتداء من سنة 818 / 1415 ومازالت تنتظر خلاصها من هذا الاحتلال.

أبو العباس أحمد (بن أبي عبد الله محمد)

1) أبو القاسم محمد (647 ـ 677)

2) أبو حاتم أحمد (677 ـ ...)   3) أبو طالب (... ـ 705)   أبو الوفاء

6) أحمد ؟ (... ـ 728)   4) أبو عمر يحيى (710 ـ 711) (714 ـ 719)   عبد الرحمن

5) أبو القاسم محمد (719 ـ 720)

شجرة نسب الأمراء العزفيين

ابن أبي زرع، *القرطاس*، 311 ـ 312 ـ 330 ـ 334، ط. 1973 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 7 : 383 ـ 385 ـ 389 ـ 418 ـ 419 ـ 473 ـ 474، ط. بيروت، 1968 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، 1 : 278 ـ 284، 2 : 11 ـ 17، ط. القاهرة، 1973 ـ 1974 ؛ المقري، *أزهار الرياض*، 2 : 374 ـ 378، ط. 1978 ؛ أ. عزاوي، *الغرب الإسلامي من خلال رسائله* ؛ أحمد التوفيق، مقدمة كتاب، *دعامة اليقين في زعامة المتّقين*، لأبي العباس العزفي، ط. الرباط، 1989 ؛ م. الحبيب الهيلة، مقدمة كتاب، *رسائل ديوانية من سبتة في العهد العزفي*، الرباط، 1979.

أحمد عزاوي

العزيب كلمة تعني السكنى الثانوية التي تُخصص لرعاة الدشور سواء بالمناطق المنخفضة المجاورة (الازغار) أو بالمناطق الجبلية المرتفعة، أي بالمراعي العليا أو المنتجعات الجبلية (ألْمُو ـ تيشكا). ذلك أنه يحدث أن عناصر أو أفراداً من الدوار أو الدشر "يعزبون" بقطعان مواشيهم أو لحراسة مزروعاتهم وتكوين عزبان، في حين يبقى كبار العائلات بالدواوير أو الدشور حيث توجد السكنى الرئيسية. ونجد عند سكان الدير بالمغرب نوعين من العزيب أحدهما بالجبل (أدرار) والآخر بالسهل (أزغار). وتكمن مهمة العزيبين في إيواء الرعاة والماشية خلال فترات الانتجاع الفصلي، بحيث تكون هناك في فصل الشتاء حركة نُجعة نازلة نحو العزيب السهلي، وخلال فصل الصيف تكون هناك حركة نجعة صاعدة نحو العزيب الجبلي. ويكون العزيب بالجبل كما هو الحال بالأطلس الكبير الأوسط أحياناً عبارة عن مغارة أو كهف طبيعيين أو يتم حفرهما تحت طبقة صخرية صلبة (انظر الصور). ويكون الحفر في الطبقات الصخرية الهشة السفلى وفي عدة مواضع لتكوين مجالات كافية لإيواء قطعان الماشية. ويتم إغلاق هذه المغارات والكهوف بجدران من الحجارة. وعند المخارج تُشيَّد أكواخ من حصائر القصب. أحسن مثال على ذلك عزيب إمَرْغَانْ ببلاد الخلا حيث يقضي الرعاة فصل الشتاء (انظر الصور).

وأحياناً أخرى يكون العزيب عبارة عن خيام كبيرة، حيث تُرسل الماشية إلى المراتع مصحوبة بالعَزَّابة إما نحو الجبل أو نحو السهل، لكن هذه الحركات الأخيرة توقفت مع الربع الثاني من القرن (20 م) لظروف اجتماعية واقتصادية جديدة، في حين استمرت عمليات التعزيب بالمجالات الجبلية العليا وفي مناطق مُحددة وتحت مراقبة الدولة (تملك الغابة من طرف الدولة والتكلف بحمايتها).

العزيب المعزل أو العزيب المنحى

هنا نميز بين العزيب من حيث شكله ووظيفته : فالعزيب في شكله ومدلوله المولوي قريب جدا من مفهوم القُصَيْر الريفي الذي كان سائداً في أروبا بالقرون الوسطى. وهو عبارة عن مبنى يُقام بالضيعات ويُخَصَّصُ للسكن. وهو يعكس التمايز الاجتماعي إذا ما قارنا بين سكنى السيد والمساكن التي يتجمع فيها المخابرون من خماسة وخدم وبيازرة. ونجد بالارياف المغربية أنواعاً كثيرة من العزبان - القصور التي يُمكن ارجاعها إلى ثلاثة أنواع رئيسية هي :

العزيب الدادسي، العزيب الشاوي ثم العزيب الحوزي ويعتبر كل من العزيب الحوزي والعزيب الشاوي أنموذجاً للعزيب المعزل.

العزيب الشاوي

كان هذا النوع من العزبان كثير الانتشار بالخصوص بالشاوية العليا إذ كان يشكل العنصر الرئيسي في المشهد الريفي. وكان يتكون من مبنى صلب من الحجارة يُطلق عليه اسم الدار التي تخصص لسكنى الملاك العقاري. وتتميز الدار من حيث شكلها وغناها عن مساكن البيازرة المزارعين الهزيلة المكونة من "نوالات" أو من أكواخ من القصب مُغطاة بالقش والطين ومتكدسة بالقرب من سكنى السيد.

العزيب الحوزي

هنا أيضاً نجد تناقضاً تاماً بين عزيب (سكنى) السيد الملاك ودوار البيازرة والخدم، بحيث سكنى الملاك عبارة عن قلعة مُحصنة بجوارها ثكنة للحراس. ثم هناك جناح مُخصص للترفيه يُدعى "المنزه". وسكنى السيد عبارة عن دارة أو قُصير ريفي، في حين سكنى البيازرة والخدم عبارة عن "نوالات" وبذلك يبدو العزيب عبارة عن مَنْحى شبيه بقيلات القرون الوسطى بأروبا. وهو سكن مدروس حسب أسلوب مُسبق. والعلاقة بين السيد والمزارعين والخماسة هي علاقة تبعية اقتصادية وليست علاقة دموية. ذلك أن عملية اقتناء الملاك للأرض غالباً ما كانت موضوع اعتراض ومنازعة لأنه يتم الاستحواذ عليها باستغلال النفوذ. وأحسن مثال على ذلك عزيب بويدة للقائد الگلاوي ببلاد زمران بالحوز الشرقي. لذلك يقوم الملاك بجلب اليد العاملة الأجنبية عن المنطقة التي تم الاستحواذ على أراضيها. وذلك بهدف التقليل من مخاطر الاصطدام والنزاع مع السكان المحليين.

ومن المحتمل أن أولى العزبان مُنحَتْ مع السعديين، ثم تطورت عمليات منحها مع السلاطينَ العلويين الأوائل، حيث وُزِّع العديد منها على الغلايين وعلى الشرفاء الأدارسة وغيرهم كالوزانيين بمقدمة تلال الريف والمصلوحيين بحوز مراكش. وقد مُنحَتْ عزبان زاوية تامصلوحت على شكل اقطاعات تمليك، حيث استغل المصلوحيون نفوذهم كزعماء دينيين فاستولوا على أراضي شاسعة بسهل الحوز، وكوَّنوا عزائب جلبوا إليها مياه الري بحفر الخطارات وشق السواقي، وحظيت برعاية السلاطين (انظر الوثيقتين 1 و2). وما زالت أسماء العزبان والجنان والعزابة تمثل شاهدةً. أما بمقدمة الريف فإن الوزانيين أصبح لهم في عهد المولى إسماعيل تأثير قوي بمدينة فاس ونواحيها خاصة ببلاد الحيانية شمال المدينة. وقد شكلت العزبان الممنوحة لهم بتلك المناطق حزاماً مقوماً ممتداً بين مدينتي وزان غرباً وفاس شرقاً، لكنها كانت أكثر تركزاً بالقرب من المدينتين. وكانت هذه العزائب تحتل مجالات مهمة بسهل العزب الأعلى (Le Coz, 1964). ويتوقف امتدادها المجالي جنوباً بسبب توسع الملكية الحضرية الفاسية ووجود أراضي الجيش وزاوية زرهون. كما لم تتمكن من التوسع شمالاً في بلاد جبالة أو شرقاً ببلاد زناتة.

وقد كشف Michaux-Bellaire عن خمسة أشكال من العزبان ببلاد الحياينة شمال مدينة فاس :

- يمنح السلطان الأرض ومن يستقر بها.
- يمنح السلطان الإنتاج دون الأرض.
- يمنح السلطان الضرائب دون الأرض.
- يمنح السلطان سكان الأرض التي هي مُسبقا في حوزة شريف.
- يشتري الشريف الأرض ويُسْكِنُ فيها مزارعين مأجورين.

والشكل الأول هو الأكثر مصادفة وشيوعاً، بحيث يُشير الظهير الذي يُعْطَى العزيب بمقتضاه إلى الأرض، والسكان، والمنتوجات والضرائب. ويُسمى سكان العزيب عَزَّابة ويُقال لهم المسلمون أو الأصحاب النازلون كما هو الحال بعزبان الشريف السيد الحاج محمد بن سعيد المصلوحي بحوز مراكش والسابقة الذكر. وعندما يموت أحد العزَّابة ترجع ممتلكاته للشريف ماعدا إذا كانت له ذرية وارثون مباشرون والذين يلزمهم العمل لصالح الشريف.

وقد عرفت عزائب الشرفاء هذه تحولات تمثلت في المرور من العزبان التقليدية إلى القرى الأبعدية ثم الانتقال من نظام العزَّابة المسلمين إلى نظام العزَّابة المأجورين. ذلك أن الظهائر التي مُنحت بموجبها العزائب لا تتضمن عقداً فردية مع الأشخاص المسلمين مع الأرض. لذا فضل الشرفاء تأجير الأجانب عن المنطقة والذين تقل متطلباتهم بالمقارنة مع العزابة المسلمين المحليين. وفي نفس الوقت الذي أدَّت فيه هذه التحولات إلى تغيير المفهوم الأول الأصلي للعزيب، فإن الشرفاء أنفسهم تدهور نفوذهم الديني. وقد أدى هذا التطور، وبكيفية واسعة، إلى تحويل العزيب إلى ملكية خاصة شبيهة بالملكية الحضرية، لأن الشرفاء يستقرون بالمدن ولا يشرفون مباشرة على استغلال أراضيهم، بل يعينون واحداً منهم لمراقبة البيازرة يُدعى "النائب".

ففي النصف الأول من القرن الرابع عشر (20 م)، تمكن التجار الحضريون بفاس من اقتناء أراضي شاسعة عديدة بمنطقة الحيانية شمال المدينة مستغلين فترات الجفاف والمجاعات من 1936 إلى 1946، ممَّا أدى إلى تكوين ملكيات كبيرة جديدة شبيهة بعزائب الشرفاء العلويين والوزانيين من حيث تنظيم البيزرة، حيث طُبِّقَ مفهوم العزيب توسعاً عليها وعلى العزبان التقليدية "التاريخية". وهكذا أصبحت عدة عزبان تحمل أسماء عائلات فاسية غنية كعُزبان الحجوي، الطاهر والسلماني ... ومن الدوافع التي دفعت الحضريين الفاسيين لاقتناء هذه العزائب، الترفيه والنزهة والتسلية بالبادية. ثم إن الأرض هي أحسن مجال لإيداع المال، لأن التجارة غير محمية من التأثيرات السياسية الحربية، ومن الأزمات السلطوية والنزاعات الأهلية. لهذه الأسباب أخذت الأرض مثل تلك الأهمية في الحياة الاقتصادية للمدينة.

يعطي الملاك صاحبُ العزيب الأرض ونصف البذور وتكاليف الانتاج، في حين يعطي العزّابُ "الزوجة" والنصف الثاني من البذور وتكاليف الإنتاج. أما العمل يحسب وحده، بحيث يأخذ العزّاب خمس الانتاج قبل قسمة هذا الأخير مناصفة. هذا إذا قام العزّاب بالعمل بنفسه. أما إذا استعان بالخماس أو الخماسة، فإن الخمس يعود إليهم. هذه الشراكة حسب الخدمات المنجزة لم تكن سوى أنموذج نظري، لأنه في معظم الحالات، كانت العقد الحقيقية تُثْقلُ العزّابة بدل أن يتم تقسيم الأعمال. ذلك أن تكاليف الانتاج والضريبة كل ذلك كان يتحمله العزابة وحدهم، لأنه في الحقيقة كانت لعُقَد العزَابَة بعض الخصوصيات التي لا تظهر في شكلها القانوني، والتي تميزها عن عقد الشركات الفلاحية العادية. فهي أولا عقد قارة تميز العزابة البيازرة، وتربط هؤلاء باستمرار بالملاكين، بحيث يظل العزّابة مستقرين بنفس العزبان عند نفس الملاكين. وهم عزّابة أبناء عزّابة ظلوا يخضعون لنفس تعاقدات العزابة. فالعزابة بالنصف هم أبناء عزّابة بالنصف، والعزّابة بالثلث هم أبناء أو حفدة عزّابة بالثلث. وبذلك كانت تعاقدات العزَابة تعاقدات تبعية وخضوع لا ترتكز على المساواة بين الأسياد أصحاب العزائب والعزّابة. ذلك أن عناصر التعاقد تُشير إلى امتيازات المالك ثم إلى الارتباط الفردي بينه وبين العزّاب المرتبط بالملاك ارتباطاً شبيهاً بارتباط الخماس بسيده.

وكانت العزائب بهذه المنطقة تختلف من حيث الأهمية حسب المساحة ومن حيث كتلة العمل.

وكان نظام الاستغلال بالعزبان الحوزية أكمل ما يكون، وبدون منازع، بالعزائب المولوية أو بعزائب الأسياد مثل عزيبي "بويدة" و "مرس البغال" ببلاد زمران بالحوز الشرقي واللذين كانا في حوزة باشا مراكش الگلاوي كما سبق الذكر. وذلك على الأقل على مستوى المساحة التي تميزت بالشساعة (حوالي 1200 هكتار). ونأخذ كأنموذج عزيب "بويدة". ذلك أن النظام الزراعي الذي كان معتمداً به وقتذاك هو الأسلوب الذي كان غالباً وسائداً بالعزبان الكبرى بسهل الحوز وحتى السبعينيات : مغارس زيتون على شكل صفوف متباعدة فيما بينها بعشرين متراً، زراعة حبوب أو قطاني متداخلة معها، ثم زراعات بقيلة أحيانا. كما تُمارس زراعة الحبوب حول المغروسات. وبتخوم العزيب تبقى الأرض بائرة وتُستعمل المراعي لقطعان الأغنام. وكان هذا النظام متلائما مع السلوك الاقتصادي للملاكين الأبعديين الذين كانوا يُفضلون توجيه الانتاج للاستهلاك الذاتي، لكن مستوى الرفاهية والترف المحتاج للنقود أدَّى بهم إلى تغطيته عن طريق تسويق المنتوجات بالعربان (زيُوت، أغنام، وعن طريق "الفريدة" والضريبة.

لكن هذا النظام تحول إلى نظام التأجير والمخابرة بالنصف بدل السخرة والخماسة سنة 1956. وابتداء من هذا التاريخ عرفت العزبان بصفة عامة تحولات عميقة، وأحياناً عنيفة أدت إلى تعثرها وضعفها. ومن أسباب ذلك : الصعوبات الاقتصادية الناتجة عن توسع الاقتصاد النقدي، وارتفاع تكاليف الحياة، والضغط الضريبي، والنمو الديمغرافي، مما أدى إلى تقسيم وتفتيت العزائب بفعل الإرث ماعدا العزبان التي تم حبسها مثل عزيب عرفة بضواحي فاس. أضف إلى ذلك مصادرة الدولة لبعض العزفان مثل عزفان القواد. وفي هذا الصدد نذكر عزيبي بويدة ومرس البغال اللذين اسْتُرْجِعَا إلى ملك الدولة وتم توزيعهما على صغار الفلاحين.

G. Couvreur, *La vie pastorale dans le Haut Atlans central, R.G.M., N° 13*, Rabat, 1968 ; G. Lazarev, *Structures agraires et grandes propriétés en pays Hayaïna (Prérif), R.G.M., N° 9*, Rabat, 1966 ; *Les concessions foncières au Maroc* ; J. Berque, *Etude d'histoire rurale maghrébine*, Edit. internationale, Tanger - Fès, 1938 ; J. Flouriot, *L'oléiculture dans la région de Marrakech, R.G.M., N° 9*, Rabat, 1966 ; J. Le Coz, *Fallahs et colons*, T. 1, 1964 ; N. Bouderbala, M. Chraïbi et P. Pascon, *La question agraire au Maroc, Bul. écon. et soci. du Maroc* ; M. Bellaire, *Les tribus arabes de la vallée de Lokkos, Arch. Maroc*, T.V., 1905 ; P. Pascon, *Types d'habitat et problèmes d'aménagement du territoire au Maroc, R.G.M., N° 13*, Rabat, 1968 ; *Théorie générale de la distribution des eaux et de l'occupation des terres dans le Haouz de Marrakech, R.G.M., N° 18*, Rabat, 1970 ; *Le Haouz de Marrakech*, Tome 1 et 2, CURS, CNRS et INAV, Rabat, 1983.

أحمد زروال

عزيب علال وقدور، قرية تقع بفرقة أجراوا من قبيلة بني سيدال إقليم الناظور جرت به يوم 28 جمادى الأولى 1330 (15 ماي 1912) آخر معركة ضد الجيش الاسباني الغازي خاضها البطل رئيس المقاومة المسلحة بالشمال الشرقي الشريف سيدي امحمد امزيان حيث استشهد رحمه الله بعد أن خاض 275 معركة ضد الجيش الغازي، كما استشهد في نفس المعركة 250 من المجاهدين ظلت جثثهم الطاهرة بيد الإسبان.

وجاء في البرقية التي وجهها الحاكم العام الاسباني بمدينة

مليلية السليبة الجنرال كارثيا الدافي إلى وزير دفاع بلاده في نفس اليوم : "في هذه اللحظة قدموا علي إلى هذا المركز (بتوريرت حامد) مصحوبين بجثة مغربي يشهد الجميع أنها جثة أمزيان وقد أمرت بنقلها إلى ازغانغان للتأكد من ذلك".

أعمال ندوة الشريف أمزيان في الشمال الشرقي (1919 ـ 1912) تطاون، 1996.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **عزيزة**، الشيخ أبو علي منصور، عُرف بابْن عَزِيزَةَ. أحد صلحاء مدينة فاس ـ أو نواحيها ـ خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلاد. لم نعثر له على ذكر فيما رجعنا إليه من مصادر، باستثناء ترجمة مقتضبة أوردها له محمد التميمي (المتوفى سنة 603 أو 604 / 1207 ـ 1208) في كتابه *المستفاد*، ويقول عنه إنه "كان شيخاً منزوياً في بيته لا يخرج منه ولا يتصرف، مشتغلاً بحاله، مقبلاً على ما يعنيه، غافلاً عما فيه الناس". إلا أن سكان فاس كانوا مختلفين حول حقيقته، فمنهم من كان يعتبره "ولياً" ومنهم من كان يقول إنه "أحمق". وعلى الرغم من غموض مكانته داخل الوسط الصوفي بفاس فإن الشيخ ابن عزيزة كان يُزار ويجتمع به الأصحاب في منزله، مما يؤشر على أهميته داخل ذلك الوسط.

وقد طرز التميمي ترجمة هذا الشيخ ببعض الحكايات التي تدل على أن الرجل كان "صاحب مكاشفات وفراسة حادة".

م. التميمي، *المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد*، مخطوط خاص، ورقه 44 ـ 45.

محمد الشريف

العزيزِي، أحمد بن علال قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة بني گرفط انظر إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يرأسها الشريف مولاي أحمد الريسوني وقد شارك في مؤتمرات الثورة المنعقدة.

- بسيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913
- عين الدالية يوم 11 من نفس الشهر
- ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913
- قرية الزوة بقبيلة جبل حبيب يوم 11 يناير 1915 وشارك في 17 معركة.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

العَسْرِي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Alaçari، ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Lasry. منهم : محمد بن عبد الله فقيه زاول خطة العدالة سنة 1293 (1876).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1202.

محمد ابن عزوز حكيم

العسرِي، أحمد قائد حدود سبتة المقيم بقلعة الدار البيضاء، أو سيرايو Serrallo مثلما يسميها الإسبان وقد عرفنا بها بهذه المعلمة. تم تعيينه بتلك المهمة قبل سنة 1844، عاصر القائد أحمد الضغوط الإسبانية على مخزن السلطان المولى عبد الرحمن الرامية إلى توسيع حدود سبتة. فكان من ذلك حضور عملية رسم الحدود في مرحلتها قبل النهائية، بدءا من المعاينة الأولى ووضع العلامات إلى التوثيق ورسم الحدود.

توصل أحمد العسري بخبر تنفيذ قرار تعيين الحدود على يد عامل طنجة بوسلهام بن علي في 9 شعبان 1260 / 24 غشت 1844. فكان من ذلك أن توجه الوفد للمعاينة ورسم الحدود بحضور قنصل بريطانيا دريموند هي (الصغير) وقنصل إسبانيا أنطونيو بيراميندي وحاكم سبتة ومتولي قبيلة أنجرة الشيخ محمد بن الطيب قنجاع وقائد الحدود أحمد العسري.

وقد حرص الإسبان هذه المرة على إثبات الحدود بالعلامات القارة، وتعيينها بالسوتري والأعمدة بحضور قنصل بريطانيا دريموند هي (الصغير) وقنصل إسبانيا أنطونيو بيراميندي وحاكم سبتة ومتولي قبيلة أنجرة الشيخ محمد بن الطيب قنجاع وقائد عسة سبتة المقيم بها أحمد العسري. وقد بين لنا صاحب العلائق السياسية أهم نقط الحدود التي وضعت بها العلامات المذكورة. ويلخص مضمون الاتفاق على الشكل التالي :

- لسبتة كل ما كان يعرف بالجزيرة المعرف بها سابقا. ويرسم الحدود امتداد واد فاس واتصاله بخندق العرائش المعروف عند الإسبان باسم تالانكيرا Talanquera.
- وللمغاربة كل ما في الجهة الغربية التي تبتدئ من الضفة اليسرى من مجرى واد فاس وخندق العرائش في اتجاه ظهر غمارة أو جبل بنيونش.

وقد وضع الوسيط الإنجليزي دريموند هاي مؤقتا علامات بين الحدين من النوع الذي وضع بين الخندقين من الحجر عند منبع عين علي. وقد وجد الحل المناسب لاستغلال مياد عين علي الواقعة على خط الحد بين الإسبان والمغاربة في إطلاق حرية انتفاع الطرفين المغربي والإسباني. ويتركز الانتفاع أساسا على توفير الماء للماشية.

وقد تابع أحمد العسري ما تلا ذلك من توثيق عملية التحديد بتاريخ 3 رمضان 1260 / 7 أكتوبر 1844، ويمكن الاطلاع على قائمة الحاضرين في رسم الحدود المسجل بقلم أربعة موثقين مغاربة وحضور كل من قام بالمعاينة.

وقد شارك أحمد العسري أيضاً حسب مراسلة 22 رمضان عام 1260 / 26 أكتوبر 1844 في اختيار موضع الحراسة الجديد المحول من موضعها بغرب قصبة أفراك بوضعها على طرفي الحدود الفاصلة بين الجانبين، الفاصل بينهما واد فاس. وبذلك وقع الاختيار على المكان المعروف سابقا برباط الجويمع المعرف به في هذه المعلمة. وتم هذا التحديد بحضور عبد القادر برناط مع عدل آخر.

ع. الرحمن بن زيدان، أرشيف مديرية الوثائق الملكية، *العلائق السياسية*، الرباط، 2002 ؛ ح. الفكيكي، *سبتة المحتلة*، ذروة وعينا الوطني، المطبعة الملكية، الرباط، 2003 ؛ خ. بنصغير، *المغرب في الأرشيف البريطاني*، الدار البيضاء، 1992.

حسن الفگيگي

العسرِي، حمّو بن يحيى (الوزير ـ القائد المريني) كنيته أبو معرف وسمي أحيانا محمد بن يحياتي العسري وأضاف صاحب روضة *النسرين* "الأوْربي" وجعله من وزراء أبي الحسن متفقا في ذلك مع ابن مرزوق. خدم السلطان أبا سعيد عثمان ثم أبا الحسن، وصفه أبو مرزوق بالوزير الأشهر الشهم، استعمل في الولاية فبان ظلمه وجوره، فأعيد إلى خدمة السلطان بالقصر، وسماه أبو الحسن وزيراً بعد نجاحه في القبض على الأمير الحفص أبي حفص وقتله عند فراره من تونس إلى نواحي قابس وذلك سنة 748 عندما كان أبو الحسن في طريقه من بجاية إلى مدينة تونس. وعندما حلت الكارثة البحرية بأسطول أبي الحسن كان الوزير القائد حمّو بمدينة الجزائر فلجأ إليه أبو الحسن ليدعمه ضد مناوئيه وهذا فيما بين أواخر سنة 750 وأواسط سنة 751. ويبدو أن هذا القائد ظل متمسكا بطاعَة أبي الحسن ضد ابنه أبي عنان وهذا ما يفسر موته في عهده فقيراً مهملاً.

ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، ص. 365 ـ 366 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 7 : 248 ـ 559 ـ 561 ؛ ابن الأحمر، روضة *النسرين*، ص. 26.

العسرِي، عبد الله بن يعقوب، من شخصيات سلا المرموقة، ومن كبار رياس أسطول سيدي محمد بن عبد الله، ولقب بأمير البحر، والقائد العام لجميع الثغور منذ سنة 1177 / 1763 قبل إسناد المنصب إلى الرايس الهاشمي عواد السلاوي. وقد انخرط في سلك البحرية تأثرا بوالده العياشي العسري، وكان في سنة 1185 / 1771 يقود سفينة جهادية مجهزة بثمانية عشر مدفعا وتحت إمرته طاقم مؤلف من ثمانين رجلا.

وقد كان في سنة 1198 / 1784، مكلفا بمهمة توزيع إنعام السلطان على الرياس السلاويين. وقد داوم على العمل في الأسطول المحمدي، قائما في شوال 1203 / 1789 بالتوجه إلى العرائش بأمر من السلطان، قصد حمل "القراريط" إلى الصويرة، قبل انتقاله في مهمة إلى جزر الخالدات. ويبدو أن مهمته هاته كانت قصيرة، حيث شارك بعد ذلك في الوفد الموجه إلى السلطان العثماني تحت إشراف السفير الحاج المكي بركاش، والذي عاد إلى سلا في ذي القعدة من السنة الموالية على متن إحدى السفن الأوروبية. واستمر في نشاطه البحري خلال عهد مولاي سليمان، الأمر الذي جعله يمتلك ثروة واسعة، ويدرج ضمن كبار أعيان سلا، حيث يذكره الضعيف ضمن وفدها الذي رافق القائد محمد بن العربي البخاري أواخر سنة 1210 / 1796 لزيارة مولاي سليمان بمكناس.

الضعيف، ص. 195 ـ 96 ـ 218 ـ 272 ؛ العسري، *كناش*، ص. 38 ؛ مجهول، الرئاسة، ص. 3 : 18 ـ 47 ؛ وابن زيدان، *إتحاف*، ج 3، ص. 306.

Chenier, Journal, p. 117 - 118.

حسن أميلي

العسرِي، علي بن أحمد، ولد الشهيد العسري علي ابن أحمد سنة 1909 بدوار سيدي عبد الرحمان، آفناسة، ظهر السوق، إقليم تاونات.

انخرط في صفوف جيش التحرير، وحمل السلاح ضمن الوحدة التي كانت تحت مسؤولية حمادي اغمير والعثماني. كان عنصراً نشيطاً في عمله الفدائي حيث ساعد أبناء الوطن للالتحاق بمراكز جيش التحرير ودعم صفوف المجاهدين، كما كان أيضاً ينفذ الأعمال التخريبية ضد مصالح المعمر بالمنطقة، كقطع الأسلاك الهاتفية، وتدمير القناطر بين ظهر السوق وبني وليد، بالإضافة إلى توزيع المناشير لتوعية الجماهير.

وظل في نضاله إلى أن ألقي عليه القبض ثم اعدم من سلطات الاستعمار يوم 14 دجنبر 1955 بسيدي عبد الرحمان.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524837.

العسرِي، العياشي بن الحاج محمد بن عباد، ينتمي إلى قرية أمكادي بقبيلة آل سريف شمال القصر الكبير حوالي عام 1290 / 1873. حفظ القرآن ثم أخذ مبادئ العلوم بالقبائل الجبلية، وتتلمذ لأشهر شيوخ المنطقة الفقيه ابن يرمق بقبيلة سماتة. ثم توجه نحو فاس لاستكمال دراسته فأخذ

عن عدد من جلة علمائها. وبعد عودته من فاس سكن بمدينة العرائش متعاطيا للعدالة والتدريس، وكان بجانب ذلك يفتي في المسائل الشرعية وعرف في كل ذلك بالإتقان والضبط، لذلك لم يلبث أن رشحته الحكومة الخليفية لمنصب القضاء بالعرائش فتولاه مدة، ثم انتقل إلى قضاء مدينة القصر الكبير لمدة أخرى، وعلى إثر تعيين الحاج محمد أفيلال التطواني وزيراً للعدل بالحكومة الخليفية استدعي الفقيه العياشي العسري إلى مدينة تطوان حيث عين مستشاراً أولاً بمجلس الاستئناف.

كان المترجم متضلعا في الفقه المالكي خاصة فقه المعاملات والقضاء، مع التدين والورع وحسن السمت ومراعاة جانب الشريعة وآدابها.

توفي عام 1361 / 1942.

أ. المرتجي السوسي، *تقييد حول أعلام القصر الكبير*، مخطوط خاص.

محمد المغراوي

العسرِي، محمد بن **أحمد**، ابن قائد عسة حدود سبتة سابق الترجمة. أمين بديوانة مليلة التي أنشئت حسب اتفاق 31 يوليو 1866، وعين بها محمد الغسال وعبد الكريم الرزيني أمينين بتاريخ 5 صفر 1284 / 8 يونيو 1867، ثم استبدلا بتاريخ 23 رمضان 1295 / 20 شتمبر 1878 بتعيين عبد السلام أحمد البنينو التطواني وعبد السلام بن عبد الكريم أحرضان. وفي هذه السنة ظهر محمد بن أحمد العسري لأول مرة بصفته أمينا بمرسى مليلة الذي يعني الديوانة، دون أن نعلم بمصير السابقين له.

ومنذ ذلك توالت المراسلات المتبادلة بينه وبين محمد بركاش بطنجة على عهد السلطانين محمد بن عبد الرحمن والمولى الحسن بعدد تخص المهام المنوطة بالأمين، فيما يتعلق بمراقبة مراسي الريف لمكافحة التهريب، والإخبار بمشاكل الحدود مع مليلة، وإرسال تقارير عن وفر الديوانة، مثلما كان مكلفا بتلقي وإرسال التموين لعسكر قصبة جنادة بفرخانة. كما أن السلطان المولى الحسن أمره بفسخ عقدة استغلال حديد جبل الحمام المبرمة بين بعض أهل الريف الغربي وتاجر فرنسي. بقي محمد بن أحمد العسري بنفس المهمة إلى أن أعلن عن وفاته يوم 3 ربيع الأول عام 1304 / 30 نوفمبر 1886.

أرشيف مديرية الوثائق الملكية والخزانة الحسنية، *كنانيش الخزانة الحسنية*، *معلمة المغرب*.

حسن الفكيكي

بن **عَسُّو، المولودي** من مواليد قبيلة السماعلة إقليم خريبكة سنة 1932 من أبويه عبد السلام بن المعطي وزهرة بنت بوعزة السليماني، عرف منذ شبابه بالاستقامة ونقاوة الضمير ورباطة الجأش، ولما قامت قوات الاستعمار الغاشم بالاعتداء على السيادة المغربية اختار الشهيد الكفاح المسلح صحبة مجموعة من المقاومين الشباب بعزيمة وإرادة ووطنية.

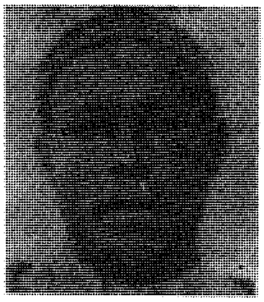

شارك في ثورة 20 غشت 1955 وأبلى البلاء الحسن أثناء هذه الانتفاضة التي استشهد خلالها برصاص المستعمر بأولاد فنان أسكنه الله فسيح جناته.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524502.

العسّولي (القائد الجيلالي بن عمر) (1874 ـ 1886)، من شرفاء أولاد سيدي رحال دفين زمران، أصبح قائدا على إخوانه هؤلاء في صدر عهد السلطان المولى الحسن الذي ضاعف عدد العمالات في البلاد لزيارة تكثيف الحضور المخزني بها، وهذا بعد أن كانت أمور هؤلاء موكولة إلى مزوار فقط ثم إلى نظر القائد عمر المصباحي الزمراني الذي استعصى عليه أمرهم لجسارتهم التي استغلوا فيها شرفهم وتوقير المخزن لهم؛ مما جعل السلطان يعين عليهم قائدا منهم هو العسولي هذا، الذي رفضه أعيان إيالته في مطلع تنصيبه، متبعين في ذلك إغراءات أحدهم وتحريضه هو العربي التباعي، لكن الجو ما لبث أن صفا لهذا القائد، فبنى لنفسه قصبة فخمة وسط إخوانه العساسلة جنوب القلعة، وهم ساكنو زرائب ونوالات أصلا، فجعل مرافقها متعددة من سكنى عيال وخدم، إضافة إلى مسجد ومدرسة ثم ملاح اليهود وفجر عينا مائية حملت اسمه، سقى منها جناته ومحارثه. واتسعت بذلك ثروة هذا القائد في الحرث والنسل، وعظم جاهه لدى المخزن بحسن الخدمة في توجيه عسكر الإيالة وضبط أمن الطريق بين مراكش وفاس، والإشراف على مزارع المخزن بالقلعة وتملالت ثم المشاركة في الحركات المخزنية، إلا أن استقامة الأحوال التي لم تدم طويلا حيث قام على هذا القائد أحد الناكثين يدعى عامر الرحالي، وذلك بتحريض من بعض قواد الجوار كأحمد بن الطيب بالقلعة، سنة 1301 / 1883 ولم تهدأ الأحوال إلا بشد أزر هذا القائد من طرف المخزن الذي بادر إلى تقسيم إيالته بينه وبين آل بن فائدة، وذلك بقصد التخفيف من أعبائه، وهو المعروف بصلاحه وثناء المخزن عليه، فلما توفي عام 1886، خلفه ابنه محمد في منصبه.

ح. شوقي، *قبيلة زمران خلال القرن التاسع عشر*، (1822 ـ 1912)، ج. 1، الرباط، 2001، ص. 271 ؛ كناش الخزانة الحسنية رقم 348.

J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe (1830 - 1894)*, Paris, 1961, t. IV, p. 132.

الحسن شوقي

عسكر، إذا بحثنا في المعاجم والقواميس عن تعريف مصطلح عسكر، فإننا نقف على شروح وبيانات مفيدة ومفصلة لمعانيه المختلفة. فصاحب لسان العرب، مثلا، يعتبر أن اللفظة فارسية الأصل، استُعملت للدلالة على الجمع والمفرد معا، كما تُجْمَع على عساكر. ثم يُضيف، مستشهداً بابن الأعرابي، أن العسكر هو الكثير من كل شيء، إذ يُقال عسكر من الرجال، كما يُقال عسكر من الخيل أو الكلاب مثلا. وبعد ذلك، يخلص إلى المعنى الذي يهمنا هنا وهو العسكر، فَيُقال عَسْكَر الرَّجل فهو معسكر، والموضع مُعَسْكَر ...

وبما أن اللفظة فارسية الأصل، فلاشك أنها دخلت القاموس العربي مُنْذُ وقت مُبَكِّر، بعد أن اكتملت معالم الدولة العربية الإسلامية ونُظُمُها، أيَّام دولة بني أُمَيَّة، علماً بأن مؤسسة الجيش كانت تُعَدُّ من الدعائم الأساسية في نَشْأة وتطور ومآل الدول بصفة عامة، وضمنها طبعا، الدولة العربية الإسلامية، والمغرب بصفة خاصة. ونَقْصدُ بهذا الدور الحاسم الذي كانت تضطلع به هذه القوات العسكرية في شان الدول التي تعاقبت على الحكم في المغرب، وضمان استمراريتها، واتساع رُقعة نُفوذها أو ضمورها واندراس معالمها. على أن طبيعة تكوين هذه القُوات، وأصُولها، ومَشَارِبَها الاجتماعية والثقافية، وكذا مُستوي تكوين وتدريب رجالها وتسليحهم، ونظام ضبط أمورهم والتحكم فيها، سَواءٌ وَقْتَ السِّلم، أو في ميادين الوَغَى، كُلُّها عناصر ومُؤشِّرات كانت تختلف، طبعا، من قُطر إلى آخر، وتَعْكسُ المُستوى الحربي والتقني والمادِّي والثقافي للمُجتمع والكيّان السياسي اللَّذَيْن تَنْتَمِي إليهما وتُؤْتَمَرُ بأوامرهما.

وفي هذا الصدد، كَتب الباحث البولوني دزيوبنسي، سياق الحديث عن بُنَى وخصائص الجيش في عهد الدولة السعدية، وبالخصوص عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي (980 ـ 1012 / 1578 ـ 1603)، ما يلي :

"... إن جميع الدول المتعاقبة على الحكم (بالمغرب)، قد ظَفرت بالسلطة عن طريق الغزو والاحتلال، وهو الأمر الذي بَوَّأَ المؤسسة العسكرية مكانة متميزة في جهاز الدولة، إلى حدّ صارت معه عنصراً أساسيا في تسيير شؤون البلاد. ثم إن التنظيمات الداخلية للبلاد، كانت لا تميّز الإدارة العسكرية والإدارة المدنية...".

وكانت هذه القُوات، في مرحلة النشأة والتأسيس على الخصوص، تتكون من زبناء عصيبتها ومجالها الجغرافي، ومن أبناء القبائل المُوالية لها أو التي تغلبت بالسيف والقوة، وأجبرتها على الخضوع والإذعان والسير في ركبها. وفي مرحلة موالية، أي في مرحلة المَدِّ والتوسع، يَتِمُّ تجنيد أبناء البلاد المفتوحة، وإدماجُهم في تنظيمات الجيش المختلفة، وبخاصة التنظيمات العسكرية المسؤولة عن أمن وخدمة العاهل وحاشيته. فكان منهم الصقالبة، والعلوج، والعبيد السود، والأغزاز... وهذا ما نستشف جانبا منه في كلام صاحب "الأنيس المُطرب بروض القرطاس..."، حول انتشار دعوة المرابطين بالمغرب، وهو يقول :

"... ولما كان في سنة سبعين وأربعمائة، شرع في تجديد العساكر ووفورها، وبعث إلى الصحراء : للمتونة، ومسّوفة، وجدالة وغيرهم، يعلمهم بما فتح الله عليه من ملك المغرب وطاعة أهله، ويؤكد عليهم في القدوم إليه، فوفد عليه منهم جموعُ كثيرة... وضمَّ من جزولة، ولمطة، ومصمودة، وقبائل زنّاتة جموعاً كثيرة، وسماهم بالحشم، وضم طائفة أخرى من أعلاجه، وأهل داخلته وحاشيته، فصاروا جموعاً كثيرة، وسمّاهم الدّاخليين...".

على أنّنا نعتقد أن القصد من استعمال لفظة عسكر، على الأقل في عدد من الحالات، هو هذه القوات الأكثر ضبطا وتنظيما وتكوينا من غيرها والتي كانت تختص بحماية وخدمة العاهل الحاكم، كما نلمس ذلك مّما كتبه صاحب "المعجب في تلخيص أخبار المغرب"، في سياق حديثه عن العناية الفائقة التي كان يوليها الخليفة الموحدي عبد المومن بن علي (524 ـ 558 / 1130 ـ 1163) للجيش بصفة عامة، حيث قال :

"... فلما كان بعد يومين أو ثلاثة، أمر بعرض العسكر آخذي أسلحتهم، وجلس في مكان مطلّ، وجعلت العسكر تمر عليه قبيلةً بعد قبيلة، وكتيبة إثر كتيبة، لا تمر كتيبة إلاّ والتي بعدها أحسن منها، جودة سلاح، وفراهة خيل، وظهور قوة...".

ونقرأ في أحد السجلات المحفوظة في الخزانة الحسنية ما يلي :

" ... الدول المغربية السعيدة كانت في القديم تسمّي القائمين بشؤونهم (هكذا) حضراً وسفراً بالجنود العسكرية، ذات القوة والعصبية، إلى أن ظهرت الدولة الحالية العلوية الحسنية ...".

وأشار إلى هذا الجانب السلطان العلوي مولاي الحسن (1290 ـ 1311 / 1873 ـ 1894)، في رسالة دورية ضمّنها أوامره إلى شيوخ وقواد القبائل بتعيين عدد من إخوانهم الصحاح للعمل في الجندية، مذكراً إياهم بأنه قد "بلغ العسكر البخاري على عهد الجد الأقعد مولانا إسماعيل طيّب الله ثراه مائة وخمسين ألفا، ثمانون ألفا مفرقة في قلع المغرب لأنها ست وسبعون قلعة، وسبعون ألفا بالمحلة، والعساكر كلها سوادها الأعظم ومتفرقها مُدونة في دفتره. وبلغ عسكر لمتونة إثنا عشر ألفا من الرجال، ولقوتهم على ذلك العهد، أوقع بهم اللمتوني وقعة الزلّاقة. وبلغ عسكر

الموحدين الذين دخلوا الأندلس خمسين ألفا من الخيل والرجال، أوقع بهم الموحدي وقعة الأرك...".

سيراً على مفهوم وتصور العسكريين بالمغرب للعملية الحربية برمّتها، كما كان الأمر عليه أيام العرب ومن شابههم من الأمم والشعوب، بمعنى أن طريقة المغاربة الحربية قد ظلت تعتمد على تاكتيك الكرّ والفرّ، وبالتالي ترجيح كفة سلاح الفروسية على باقي التنظيمات القتالية الأخرى. ولابن خلدون، كما هو معلوم، في هذا الشأن، آراء وملاحظات ساقها في عدّة مواضع من "مُقدمته". على أن ظهور السلاح الناري بالمغرب، في الربّع الأخير من القرن الثالث عشر الميلادي، وبالضبط أيام السلطان المريني يعقوب المنصور (656 ـ 685 / 1258 ـ 1286)، قد أدّي إلى تغيير نسبي في المعادلة التي ظلت تنبني عليها تركيبة الجيش المغربي وفرقه. وهكذا، صارت "جيوش النار"، و"عساكر النار"، و"عساكر الأسنة"، تتبوّأ مكانة خاصة ومتميّزة في مؤسسة الجيش، ويُعَوَّل عليها في اقتحام مواقع الخصم وجبره على الاستسلام.

بيد أن انتشار وتنوع استعمال السلاح الناري، من أنفاض، و"بوازات"، ومهاريس، وبنادق قصيرة ( )، إلى غيرها من أفواه النار، لم يتم على نطاق واسع في صفوف الجيش ومن كان ينضمُّ إليه من حُراك ومُتطوعة القبائل على عهد السعديين، وبالخصوص أيام السلطانيين عبد المالك السعدي (984 ـ 986 / 1576 ـ 1578) وأخيه وخلفه أحمد المنصور الذهبي. وذلك لأسباب متعددة ومختلفة، منها ما هو راجع إلى الجمود والشلل اللذين أصابا بُنى البلاد السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، بعد بارقة وادي المخازن سنة 1578، ومنها ما هو مرتبط بالتطورات والإنجازات التقنية والمادية التي عرفتها المجتمعات في أوربا الغربية على الخصوص.

ثم ماذا عن العناصر البشرية والتنظيمات العسكرية التي كان يتشكل منها الجيش المغربي في القرن التاسع عشر على الخصوص ؟

للإجابة عن هذا السؤال، لابُد من الإشارة، أولا، إلى أن لجوء المخزن إلى قبائل معينة، وإعفاءها من أداء الضرائب غير الشرعية، وماشابهها من الكلف والمغارم، ومنح رجالها أراضي فلاحية يستغلونها لحسابهم مقابل الخدمة في الجنُدية مدى الحياة، لتعدَّ ظاهرة متميّزة وعريقة في تاريخ المغرب، ترجع على الأقل إلى عهد الخليفة الموحدي يعقوب المنصور (580 ـ 599 / 1184 ـ 1199)، حين أقدم على ترحيل قبائل بني هلال العربية، وأسكنهم في منطقة الغرب، متخذاً منهم جيشا في خدمة الدولة.

بيد أن هذه المجموعات القبلية، وهي التي دُعيت فيما بعد بـ "قبائل الگيش"، لم تندمج نهائيا في مؤسسة الجيش، ولم تحتل مكانة مرموقة في دواليبها إلا مع السعديين، بالرغم من كون هؤلاء لم يعتمدوا عليها وحدها، حيث عملوا على تأسيس جيش نظامي تطعّم صفوفه بعناصر محلية وأجنبية.

ومع تولي الدولة العلوية مقاليد الحكم بالبلاد، ازدادت أهمية هذه المجموعات القبلية في قطاع الجيش وفي المجتمع، واستكملت عدد من فُرقه تشكيلتها التقليدية والنهائية، وذلك بعد أن تمّ إدماج أشراگة وأولاد جامع، والأوداية، والشّراردة في صفوفها، على امتداد قرنين من الزمن بالتقريب، بدءاً من عهد مولاي الرشيد (1075 ـ 1083/ 1664 ـ 1672)، وانتهاءً بعهد مولاي عبد الرحمن بن هشام (1238 ـ 1276 / 1866 ـ 1859).

إلى جانب قبائل الگيش هذه، تأسيس نواة عسكرية جديدة، على إثر وقعة إيسلي سنة 1844، دُعيَت بـ "جيش النظام"، أو "عسكر النظام"، يمتهن أفراده بكيفية دائمة الجندية ويتكون معظمهم في سلاَحَي المدفعية (تاطبجيت) أو الرّماية. ويبدو، أنه منذ هذا التاريخ، صارت لفضة عسكر تطلقَ على أفراد هذا التنظيم الجديد دون غيره من فُرق الجيش المغربي الأخرى.

وهذا ما نتبيّنُهُ مما كتبه المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان، مستعرضاً منجزات السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام السابق الذكر، حيث قال :

"... وفيها (أي سنة 1261 / 1845) اخترع العسكر على الهيئة المنظمة، وضمّه إلى جيوشه، وكلف بتنظيمه على نسق التنظيم التركي عامليه أشعاش وأزطوط، ولكن لم يتم بذلك أمر لأنفة الناس ممَّا لم يألفوه..."

بيد أنَّ أحوال هذا التنظيم لم تتحسن قط، وظل هدف انتظام وانضباط عناصره أمراً بعيد المنال وأمراً عسيراً، لأسباب اجتماعية و تنظيمية ومادية، بالرغم من مُحاولات ومجهودات خلَف مولاي عبد الرحمن بن هشام السلطان سيدي مُحمد (1276 ـ 1290 / 1859 ـ 1873)، وما كان يحذوه من رغبة أكيدة وعزم قوي، في النهوض بقطاع الجيش، وهُو الخبير بأموره والمطلع على عيوبه ونقائصه، إذ في عهده تم تعيين وزير خاص بالشؤون العسكرية دُعِي بالعلاف الكبير، في شخص الفقيه عبد الله بن أحمد، صنو الحاجب موسى بن أحمد.

وحاول السلطان مولاي الحسن بدوره تدارك الموقف، في بداية عهده، بعد أن "وجد القوة العسكرية المحمدية غير كافية، إذ كانت مجموعة من طوابير مختلطة ..."، على حَدِّ قول عبد الرحمن بن زيدان السابق الذكر. وهكذا، ألزم المدن والقبائل بإعطاء عدد معلوم من أبنائها للخدمة في العسكر النظامي.

وسواءٌ تعلق الأمر بالوسائل المادية والتقنية التي كان يسخرها الجنود في أداء مهامهم وإنجاز أعمالهم، أو نظرنا إلى المؤهلات العسكرية والثقافية لهؤلاء الجنود أنفسهم، فإننا ندرك، أننا أمام جيش بلد تقليدي، ذي بنيات اقتصادية، واجتماعية، وثقافية عتيقة. وهذا يعني أن جيشا

من هذا القبيل، رُبَّما يكون ذا فاعلية وفائدة عندما يكون خصمه في مستواه التقني والمادي والتنظيمي، أو عندما يكون رجاله يُؤمرون بالزحف ضد الأهالي الأعْزال، وقمع تمردات القبائل. وأما إذا اضطرته الظروف إلى منازلة جيش حديث، مُدَجَّجٍ بالعتاد الحربي المُتطور، ومُدرب على فنون الحرب الحديثة، ومؤطَّر بذوي الخبرة في التخطيط المحكم للمعارك والعمليات الحربية، وفي قيادة الرجال في ميادين القتال، فإنه لن يستطيعَ الصّمودَ في وجهه، ولو لبضع ساعات، وهو الأمر الذي حدث فعلا في وقعة إيسلي سنة 1844، أمام الجيش الفرنسي، وخلال حرب تطوان سنة 1859 ـ 1860، على يد الإسبانيين.

والحقُّ أن الجيش المغربي، كمؤسسة للدولة عبر العصور، قد ظل على حاله، لم تتغير قط صيغُ وأسس تنظيمه، ولا أساليب تجنيد، وتكوين، وتدريب عناصره، ولا طُرق قتالهم ومُحاربتهم للعدو، اللهم ما كان قد تحقق من تطور وتحول في هذه الميادين، ولا سيما إلا في بعضها، كالسلاح النّاري، والتّاكتيك الحربي على عهد دولة السعديين، أيام عِزّها وامتداد نفوذها في النصف الثاني من القرن السادس عشر على الخصوص.

ومن المُلفت للانتباه في هذا الصدد أنّ ما ذكره الباحث البولوني دزيوبنسكي السابق الذكر، في مقالته حول "الجيش والأسطول الحربي المغربيان على عهد سلاطين الدولة السعدية"، في شأن ترتيب الجنود وحُراك القبائل في ميادين القتال، وبالخصوص حين كانت تجري وقائع المعركة في منطقة سهلية، والذي كان يتم حسب الطريقة المتبعة وقتئذ من طرف الأتراك العثمانيين، على الطريقة التركية..."، نجد أن الجيش المغربي كان يُطبق نفس الخُطة التّاكْتيكية، على الأقل في بعض معاركه، في حدود العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر.

وهذا ما نفهمه ممّا ورد في رسالة الأمير مولاي مَحمد إلى والده السلطان مَولاي الحسن الذي كان قد عَهِدَ إليه بقيادة حركة جُهّزَت لتأديب فرقة بني عمرو من قبيلة زمور، بعد أن كان قد انّضَمَّ إلى ركابه قُواد كل من قبيلة عامر، وحْصين، والسهول، على أن يكون كبيرها القائد عبد الكبير الثوري، حيث نقرأ ما يلي :

"... نزول السهول من الناحية الجنوبية بالنسبة للمحلة السعيدة، ثم حصين برمتهم، ثم التزوطي، والقائد بوعزة السلامي في قبلة المحلة، ويليهما لناحية الشمال بالنسبة المذكورة ابن الشيحني، والقائد لحسن بن بوعزة معاً في محل واحد، ثم بن العروسي على حدته، ثم الثوري، فجاء تخْييمُهُم على نصف دائرة، وبينهم وبين المحلة قدر ما يمشي الراكب ثلث ساعة ...".

وإذا كان المخزن قد استطاع التحكم نسبيا في جهاز الجيش، وتدبير أموره، وتطويع فرقه ورجاله، واستعماله في تنفيذ أوامره وقضاء أغراضه، على الأقل حتى وفاة الوزير الصدر أحمد بن موسى في شهر مايو من سنة 1900، فإن الفترة المتراوحة ما بين سنة 1900 وسنة 1912، أي ما تبقى من عهد السلطان مولاي عبد العزيز (1311 ـ 1326 / 1894 ـ 1908)، وعهد أخيه المولى عبد الحفيظ (1326 ـ 1330 / 1903 ـ 1912)، أصبحت تختلف كل الاختلاف عن الفترة السابقة، لا من حيث السياق الداخلي، ولامن حيث تعامل، ونظرة، وأهداف الدول الأوربية، من أجل وضع اليد نهائيا على البلاد واستغلال خيراتها.

فمن جهة، لم يَعُد المخزن قادراً علي القبض على ناصيَّة الأمور وأزمّتها في البَلاد، ولم يعد قادراً على التحكم في أمور الجيش، ومن جهة أخرى، استغلت بعض الدول الأوربية، وفي مقدمتها فرنسا وإسبانيا، ضعف وشَلَلَ المخزن، لإثارة العديد من القلاقل والمشاكل المفتعلة، حيث كانت لا تتردد البتة في التدخل المباشر في شؤون البلاد بعرض اقتراحاتها، والتظاهر بإسداء النُّصح، في حين كانت في نفس الوقت تعمل جاهدة، بمُختلف الوسائل والحيَل، من أجل إشعال الفتن، وإثارة الحزازات هنا وهناكَ، قَصد إعجاز المخزن وإِحراجه، ونسف سلطته، وإثقال كاهله بالمبيعات والقروض. ومن المُؤكَّد أنه لو لم تكن لهذه الدول يد خفية في تمرد وفتنة الجيلالي الزرهوني، المدعو الروگي بوحمارة، وكذا في عصيان وطيش أحمد الريسوني، لما أمكن لهذين المُغامرين الخطيرين الاستمرار في الاستهانة بالمخزن، والعبث بمؤسساته، وفي مقدمتها، طبعا، مؤسسة الجيش، سنين طويلة.

وأمّا في الفترة المُوالية، أي بعد أن تمكنت كل من فرنسا وإسبانيا من فرض وصايتهما على المغرب سنة 1912، وحَلَّ جميع أجهزة وهياكل النظام العسكري القديم، بما في ذلك تسريح الجنود ورؤسائهم، اتخاذ الإجراءات والترتيبات الأولى بهدف تأسيس نظام عسكري جديد في البلاد، سُرعان ما سُخّر رجاله لخدمة أغراض الدولتين المُستعمرتين، والدفاع عن مصالحهما، في الداخل كما في الخارج. فتلك مسألة تختلف كلّ الاختلاف عمّا حاولنا معالجته في مقالتنا هذه، إذ تقتضي أن تُفرد ببحث خاص.

ابن أبي زرع، *الأنيس المُطرب*، الرباط، 1973 ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة*، الدار البيضاء، 1978 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 1929 ـ 1933 ؛ ع. الواحد، *المُعجب*، الدار البيضاء، 1978 ؛ م. بن محمد بن مصطفى المشرفي، *الحُلل البهية* ،مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم د 1463 ورقم ك 320.

(Cap. Fort) Delmas, Etudes sur les guichs marocains, B.G.R., 1948, dossier n° 1409 ; (Andzyej) Dziubinski, L'armée et la flotte de guerre à l'époque des sultans sa'adiens, Hesp.-Tam., vol. XIII, Fasc. unique, 1972, p. 61 et suiv.

مصطفى الشابي

عسكر (بنو –) المرينيون. تنقسم قبائل بني مرين إلى عدة مجموعات من أهمها : بنو حمامة الذين توارثوا السلطنة، وبنو عسكر نسبة إلى جدهم عسكر بن محمد الذي

كانت له رئاسة بني مرين قديما وورثها عنه ابنه المخضب "فتملك على جميع بوادي زناتة وبلاد الزاب" وفرض وجوده على كثير من جيوش صنهاجة المغرب الأوسط (بني حماد) والمرابطين في منطقة تلمسان ووهران إلى أن تغلب الموحدون على المنطقة، ثم قتل المخضب على يد حلفائهم بني عبد الوادي في جمادى الآخرة سنة 450.

في بداية العقد الثاني من القرن السابع بعد وصول المرينيين إلى نواحي فاس وقع خلاف بين بني حمامة وبني عسكر، فانحاز هؤلاء ضد بني عمهم إلى عرب رياح أنصار الموحدين وجرت المعركة بين الطرفين في قرية تافرطاست انتصرت فيها القبائل المرينية على رياح وبني عسكر رغم موت الأمير عبد الحق بن محيو في جمادى الثانية 614، وعلل ابن مرزوق سبب هذا الاصطدام بحسد بني عسكر على الانتصارات التي حققها عبد الحق.

ونجد دور بني عسكر في خدمة الدولة أيام السلطان يوسف بن يعقوب، كما حدث سنة 685 عندما ثار بقلعة فندلاوة بجبال بني يازغة الأمير عمر بن عثمان بن يوسف العسكري حيث أمر السلطان يوسف قبائل بني عسكر وقبائل البربر بالمنطقة بالخروج إليه لحصاره وقتاله فحاصوه، ثم خرج إليه الخليفة يوسف بنفسه بالجنود والآلات، فطلب الأمان فأمنه على شرط الخروج إلى تلمسان، فبايعه. كذلك عندما خطط السلطان يوسف لتنظيم حملات على تلمسان اهتم بتحصين الثغور الشرقية، فقام سنة 694 بطرد بني زيان من القسم الذي كانوا يحتلونه بتاوريرت، وبنى بها حصنا أسكن فيه بني عسكر تحت قيادة أخيه أبي يحيى ؛ وفي حركته المشرقية خلال سنتي 697 ـ 698 حصن مدينة وجدة وبنى بها قصبة نقل إليها بني عسكر مع أخيه الأمير أبي يحيى "كما كانوا بتاوريرت" وأمره بتكرار الغارات على تلمسان.

وعين على قيادة الجبل ومنطقة الثغر المريني بعد أبي مهدي ابن قبيلته سليمان بن داوود العسكري الذي كان على رأس المعارضين لحركة التمرد المذكورة.

ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، 350 ـ 353 ـ 370 ـ 371 ـ 373 ـ 377 ـ 385 ؛ مؤلف مجهول، *الذخيرة السنية* (منسوب لابن أبي زرع) ص. 12 ـ 20 ـ 33 ـ 34 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 7 : 437 ـ 454 ـ 456 ـ 501 ـ 502 ـ 612 ـ 615 ؛ ابن مرزوق، *المسند*، 111 ـ 371.

أحمد عزاوي

ابن **عسكر، محمد** بن علي الشفشاوني، الشريف الحسني، فقيه متصوف، وأديب مؤلف. ولد بشفشاون سنة 936 / 1529، ودرس بها وبالقصر الكبير وبادية جبال غمارة وبلاد الهبط. تكون تكويناً متيناً في الفقه والتصوف وبقيت بضاعته في اللغة وقواعدها مزجاة. ومع ذلك فإنه يمتلك قدرة فائقة على التعبير عن دقائق الاشياء.

نال ابن عسكر حظوة كبرى لدى الملوك السعديين فولوه قضاء شفشاون ثم القصر الكبير وما جاورهما فكان يعد كبير قضاة الشمال وإليه المرجع في القضايا الشرعية والتوثيقية. وأصبحت له شهرة واسعة بسبب زياراته المتكررة للبلاط السعدي في فاس ومراكش، وحيث أمكنته الاتصال بفطاحل العلماء ومناظراتهم فازدادت معارفه.

تأثر ابن عسكر كثيراً بشيخه الصوفي الصالح عبد الله الهبطي بعد أن أقام عنده مدة في زاوية بالجبل الأشهب وأخذ عنه الطريقة الشاذلية التي يرويها مباشرة عن الشيخ عبد الله العزواني أشهر مريدي الشيخ الجزولي. كما كان للأسرة الصالحة التي نشأ فيها أثرٌ بيّن في مسيرته الصوفية. إذ كان أبوه علي بن عمر مجاهداً تقياً، وأمه عائشة بنت أحمد الإدريسية قانتة عابدة على صلة وثيقة بالشيخ الهبطي والغزواني وغيرهما من صالحي الشمال. تخدم الفقراء وتكرم المريدين في زاويتها التي تحث عنها المترجم في كتابه دوحة *الناشر*. وهو عبارة عن فهرس ضمنه تراجم عدد وافر من شيوخه وما قرأ عليه من فنون أو سلك على يدهم طريق القوم. وتوسع في هذا الكتاب فذكر كل من عرف من شيوخ القرن العاشر الهجري لقيهم أو لم يلقهم بل حتى الدين لم يعاصرهم.

ويعد كتاب *دوحة الناشر* مرجعاً أساسياً لأعلام شمال المغرب وقرى الريف من الفقهاء وشيوخ التصوف على عهد السعديين.

أدرك ابنَ عسكر شؤمُ السياسية حين انحاز إلى محمد المتوكل (المخلوع) عند انقسام الدولة السعدية على نفسها للمرة الثانية، فهلك معه في معركة وادي المخازن يوم الاثنين 30 جمادى الأولى عام 986 / 4 غشت 1978.

م. ابن عسكر نفسه، دوحة، تح. م. حجي، الرباط، 1978 ؛ م. الهبطي، *المعرب الفصيح*، الأبيات، 1099 ـ 1103 ؛ م. الافراني، *نزهة*، تح. ع اللطيف الشادلي، الدار البيضاء، 1998 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ط 2، الدار البيضاء، 1956، ج 5 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط 2، الرباط، 1983 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس بعناية إحسان عباس*، بيروت، 1982 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1977، ج. 2.

محمد حجي

العسل نوعان، عسل ناتج عن نحل مربى وعسل ملتقط من أجباح نحل مصطادة تعيش في الطبيعة في جذوع الأشجار والجحور وشقوق الصخور وغيرها، ويعتبر هذا النوع الأخير الأجود، فغالباً ما تكون أجباحه في مناطق وعرة كونه النحل عبر سنين طويلة من رحيق الأعشاب البرية، وقد كان هذا النوع أكثر انتشاراً في المغرب خلال العصور الوسطى وما بعدها خاصة في فترات الأمطار والخصب ؛ أما العسل الناتج عن النحل المربى فقد كان محدوداً في بعض المناطق خاصة في الجنوب المغربي لكن انتشاره ارتبط أساساً بالتبادل التجاري ما بين المغرب وأروبا وارتفاع الطلب على مادة الشمع المستخلصة من الشهد بعد عصره وتقطيره لاستخراج العسل، وبقدر ما كان هذا الحافز إيجابياً بقدرما عاكس

إنتاج العسل في بعض الأحيان إذ عمد بعض الفلاحين وبعض صيادي النحل إلى قطف الشهد وجنيه حتى ولو كان خالياً من العسل قصد الحصول على الشمع مما أدى إلى إتلاف العديد من الخلايا والأجباح والحد من تفريخ النحل وتكاثره وبالتالي تراجع انتاج العسل.

تحدثت المصادر على اختلاف أصنافها عن العسل حتى إنه لا يكاد يخلو واحد منها من إشارة إليه. لكن كتب الرحلات والجغرافية اهتمت بالعسل أكثر من غيرها. ويمكننا بتتبعها أن نضع خارطة للتوزيع الجغرافي لمراكز إنتاج العسل ومناطق تربية النحل وحتى عن التقدير الكمي للإنتاج وتقلب أسعاره وتصديره وما إلى ذلك ؛ وتحدثت بعض المصادر عن أنواع العسل اعتماداً على لونه فأشارت إلى العسل الأبيض والعسل الأخضر (*بسط الأرض*، 70 ؛ *الاستبصار*، 213).

كما يصنف العسل حسب النباتات التي تربى عليها النحل واستخرج رحيقها. عسل أزهار الليمون، عسل السعتر، عسل الشيح، عسل تيكيوت (الفارابيون)، وعسل الأوكاليبتوس (حالياً)، وتعتبر الأنواع الأخيرة من أجود أنواع العسل. والعسل عرف منذ التاريخ القديم كمادة غذائية وكمادة استشفائية ومادة واقية ومادة للتصبير عند الحضارات القديمة تحظى بنوع من الاهتمام لدرجة التقديس عند بعض الشعوب، وقد أضيف إلى هذا التراكم المعرفي الحضاري عند المسلمين ما جاء به القرآن الكريم من أخبار عن النحل ومنافع العسل الغذائية والدوائية حتى سميت سورة من سور القرآن باسمه "سورة النحل" :

"وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون، ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذلك يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس" (آية 19).

تعتبر مادة العسل مادة ثمينة عند المغاربة يكرمون بها أعز ضيوفهم ولا يكاد يخلو منها منزل أو دار في البادية والمدينة، وقد كانت العادة في الولائم أن يُقدم للمدعوين السمن والعسل قبل الوجبات الرئيسية، ولتلازم المادتين السمن والعسل ضرب بها أكثر من مثل أشهرها المثل القائل عن التلاؤم بين شخصين أو أكثر "كالسمن مع العسل"، والعسل اليوم مادة استراتيجية اشتقت منه عدة مواد غذائية وتجميلية وطبية باهظة الثمن ولعل أغلاها ما يعرف بعسل ملكة النحل، ووجدت اليوم أنواع من العسل الاصطناعي والمربى بطريقة عصرية، وتعتبر منطقة الغرب من أهم مناطق إنتاجه على الصعيد الوطني. لكن العسل المذكور في المصادر والوارد في القرآن الكريم أصبح مادة نادرة من الصعب الحصول عليها.

ابن الفقيه، ضمن ملخصات حاج صادق، الجزائر، 1949 ؛ الاصطخري، *مسالك الممالك*، ليدن، 1927 ؛ البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، الجزائر، 1911 ؛ الادريسي، *نزهة المشتاق*، الطبعة الايطالية نابولي ؛ مجهول، *الاستبصار*، الإسكندرية، 1958 ؛ التادلي، *التشوف*، الرباط، 1958 و1984 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تطوان، بدون تاريخ ؛ ابن سعيد، *بسط الأرض*، تطوان، 1958 ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ العمري، *مسالك الأبصار*، مقتطفات فانيان، الجزائر، 1924، ورقات، محمد المنوني ؛ ابن بطوطة، *الرحلة*، السبتي، *اختصار الأخبار*، الوزان، *وصف إفريقيا*.

محمد حجاج الطويل

ابن عسل، (الحاج –) **قاسم** الرباطي، من الفنانين الموسيقيين الذين اشتهروا بالرباط في أواخر القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر.

ذكره العالم الرباطي إبراهيم التادلي إلى جانب من عرفهم من الماهرين في العزف على آلات الطرب بالرباط فقال : "وفي ضرب القانون برع الحاج قاسم بنعسل الرباطي". ويبدو أن المترجم كان من ممارسي الطرب الغرناطي بالرباط لما نعلمه من أن آلة القانون تأخر استخدامها في الموسيقى الأندلسية المغربية إلى القرن العشرين.

إ. التادلي، *أغاني السقا ومغاني الموسيقى*، الفصل الخامس من الباب السابع، ص. 76 ـ 77، ط. حجرية. خ. ع ؛ ص. الشرقي، *أضواء على الموسيقى المغربية*، ص. 122.

عبد العزيز بن عبد الجليل

العسلة، الحسين بن باري، مقاوم، ولد سنة 1907 ببومكاي إقليم طانطان من والديه باري بن العسلة ومحجوبة بنت سعيد.

انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1956 ضمن الفرقة السابعة بمركز أسا تحت مسؤولية امبارك منار وايدا ولد التامك. وقد كان الفقيد مثالا للرجل المجاهد في سبيل الله نشيطا في عمله متحمسا في ايمانه معروفا بغيرته الوطنية. شارك في عدة معارك ضد الجيش الفرنسي وأخرى ضد الجيش الاسباني وقد أبلى البلاء الحسن في صحراء المغرب وآيت باعمران. إلى أن تحقق النصر وتم طرد المستعمر الغاشم.

التحق بالرفيق الأعلى رحمة الله عليه يوم 10 فبراير 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 501831.

العسلوج عَسْلُوج أو كرْنينَة بالغربية أو غَدُّو أو تَغَدُّوتْ بالأمازيغية أسماء لنوع نباتي شكوي يسمى علميا سْكُوليمُوسْ هيسْبَانيكُومْ Scolymus hispanicum الذي ينتمي إلى فصيلَة المركبَات أو النحميات Asteraceae.

إنه نبات ثنائي الحول، من الممكن أن يتجاوز علوه 1م. سيقانه مجنحة على طولها. أوراقه مموجة ومفصصة ومشوكة. ازهراره رؤيسي الشكل ويحمل أزهارا صفراء اللون.

يصادف النوع في كل المناطق البيومناخية والطوابق النباتية :

تؤكل ساق العسلوج نيئا بعد تقشيرها أو تطبخ في تهييئ بعض الأطباق، كما تستعمل في التطبيب التقليدي.

يحتوي الجنس على نوع ثان يتميز بسيقانه وأوراقه ذات البقع البيضاء. وله نفس الاستعمالات المذكورة أعلاه.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc. évaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris, 2000, 360 p.

عبد المالك بنعبيد

العشارية، الجمع : عشاريات ؛ وهي من القوارب الكبيرة الملحقة بالسفن، أو المخصصة للشحن والتفريغ وللربط بين أحواض المراسي وعرض البحر، وهي عبارة عن زورق واسع مسطح خال من المقاعد يبحر بواسطة المجاذيف (اثنا عشر مجذافا)، يصل طوله إلى حوالي عشرة أمتار، ويصل عرضه مترين ونصف تقريبا، ويتسم بغاطسه شبه المسطح، وبارتفاع جؤجؤه نسبيا وكوثله شبه المربع، وقد كان يستعمل بالخصوص لنقل الدواب والبضائع.

Brunot, *La mer dans les traditions...*, p. 249.

حسن أميلي

عشاش، بلقاسم بن العربي من أصل جزائري، وكان كغيره من المواطنين الجزائريين الذين عملوا في الإدارة المغربية في عهد الحماية، فعمل ترجمانا للمراقب المدني الفرنسي جون كوستي Jean Coustè ببلدية مدينة سلا في فترة العشرينيات، 1920 / 1930، وقد ذكر بعض معاصريه من معمري مدينة سلا، ممن عاشوا في الفترة المذكورة أنه توفي بمدينة سلا في الأربعينيات.

قال عنه ابن سودة في دليل مؤرخ المغرب الأقصى : من *أهل العصر*، ويقصد النصف الأول من القرن العشرين.

وذكره الأستاذ محمد حجي في *فهرس مخطوطات الخزانة العلمية الصبيحية* الصادر ضمن منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت، سنة 1985، ص. 425 : "كان ترجمانا ببلدية سلا أيام الحماية، عندما تحدث عن تعريبه كتاب جون كوستي الفرنسي : عائلات أهل سلا".

اشتهر عشاش بلقاسم بن العربي بتعريب كتاب المراقب المدني الفرنسي جون كوستي Jean Coustè وعنوانه : Les grandes familles indigènes de Salé وذلك سنة 1925، وقد صدر عن المطبعة الرسمية بالرباط سنة 1931.

وقد ذكر بعض معمري مدينة سلا هذا المراقب المدني بأنه كان ذا فكر ثاقب، وثقافة موسوعية، مجتهدا في الدرس والتحصيل، متقصيا الأخبار الاجتماعية والتاريخية والأدبية للمدينة في ماضيها وحاضرها.

ويظهر من خلال قراءة النص الفرنسي وتتبع مروياته أن الكتاب كان تقريرا سياسيا واجتماعيا وأدبيا عن حياة أبناء مدينة سلا، أنجزه للإدارة الفرنسية فترة مزاولته مهمته بالمدينة.

ولعل ملازمة عشاش بلقاسم للمراقب المدني الفرنسي دعته إلى نقله إلى اللغة العربية دون إشارة إلى ذلك، وإهدائه إلى مجادة باشا مدينة سلا السيد محمد الصبيحي، كما أنه لم يضع لهذه الترجمة عنوانا.

وقد عرَّب الدكتور محمد حجي عنوانه : بـ "عائلات أهل سلا" غير أني لم ألتزم بهذا العنوان عندما عملت على تحقيقه والتعليق عليه، وقامت مشكورة الخزانة العلمية الصبيحية بنشره سنة 1989 بسلا، وهو "*بيوتات مدينة سلا*".

ومن خلال قراءة الكتاب والعمل على تحقيقه وتوثيق معلوماته اتضح أن ثقافة الترجمان عشاش ثقافة متوسطة، فإلمامه بتاريخ المغرب ومؤلفات المغاربة والأندلسيين التي اعتمدها المؤلف الفرنسي في التعريف بالرجال العلماء أو الملوك والأمراء في المغرب والأندلس لا ترقى إلى المستوى الأكاديمي الذي يمكن أن يطمئن إليه الباحث، ولعل ذلك راجع إلى عمله الإداري ببلدية سلا، مما لا يمكن معه التضلع في التقاط الأخبار أو تتبع الإصدارات.

نجاة المريني

العشرة من العربية الفصحى عاشر يعاشر معاشرة وعشرة وعشيرة ... والعَشْرة في الدارجة المغربية تنطق مخففة العين والشين، ولا تختلف في مضمونها عن المعنى العربي العام، وتعني نوعاً من العلاقات البشرية بين صحبة أو جماعة محددة العدد من الناس يتقاسمون أسباب العيش من أكل وشرب ومبيت، وهموم مشتركة لفترة محددة.

والعشرة أشكال عديدة : منها الدائمة والطويلة والقصيرة..، أما الدائمة فهي عشرة الأهل والأقارب وعشرة الأزواج التي لا تنتهي إلا بوفاة أحد أطرافها أو بالطلاق بالنسبة للزوجين (وتعني عشرة فاشلة)، أما الطويلة فهي التي كانت سائدة قبل زمننا هذا في الأسفار البعيدة المدى عن طريق القوافل والرفاق والركبان (*التشوف* ؛ *أنس*) تجمع بينهم مصلحة مشتركة هي التنقل في أمان والوصول إلى المكان المقصود بسلام، وأطول شكل للعشرة هو عشرة ركب الحج فقد كان الذهاب والإياب لأداء فريضة الحج يستغرق سنة فأكثر حسب فصل حلول موسم الحج (*التشوف*، *المنهاج*).

أما العشرة القصيرة فقد تجمع أطرافاً متعارفة أو أغراباً سواء في رحلة أو سفر قصير أو في مخيم أو محلة أو في منزل من المنازل (النزالة) أو بمناسبة زيارة للأولياء والصالحين أو في زاوية أو رباط أو للقيام بعمل معين (مثل الحصاد وأوراش البناء وغيرها من الأشغال) وهذا الشكل من أشكال العشرة هو المقصود في الدارجة المغربية ونجد عنه إشارات وحكايات متعددة في بعض المصادر وفي الأدب الشعبي والموروث الشفوي (أمثال العوام).

تعتبر العشرة بجميع أشكالها محكاً قوياً وامتحاناً حاسماً في اختبار العلاقات بين الناس، فيها تظهر الحقائق

والعيوب التي لم تكن بارزة في علاقات الصداقة أو الزمالة أو الجوار أو القرابة العائلية وما إلى ذلك من العلاقات والروابط ؛ ففي العشرة تطفوا المحاسن والمساوئ وتظهر أخلاق وسلوكات إيجابية أو سلبية من قبيل الأنانية أو الإيثار ونكران الذات، القناعة أو الجشع والطمع، الكرم أو البخل، الطيبوبة أو الخبث، المروءة أو الوقاحة ...

ولأهمية العشرة عند المغاربة بصفة خاصة وعند العرب بصفة عامة فإنها حظيت باهتمام وتقدير خاص لدرجة القدسية، وارتبطت بها مجموعة من العادات والتقاليد والأحكام والسلوكات، فالاشتراك في تناول الطعام (الملح) وتقاسم الأفرشة والأغطية (المبيت) والهموم المشتركة والمساهمة في الأفراح والأتراح وتقاسم المنافع وتداول الخدمات كل ذلك جعل لهذه العلاقة (العشرة) حرمة وقدسية (طابو) يعتبر المتنكر لها خائنا للعشرة لا تحمد عاقبته في الدارين.

ويكمن الوجه الآخر للعشرة في تمتين الروابط ما بين المتعاشرين لدرجة أنها في بعض المناطق والفترات تفوق روابط الدم والعائلة ونتج عنها أخوة وتزاور فاق صلة الرحم، والعكس صحيح، فكم من علاقة صداقة أو زمالة أو جوار بل وحتى علاقة قرابة عائلية تتفكك عندما تتعرض لمحك "العشرة".

وأحسن عشرة ما كان خالصاً لوجه الله تعالى خالياً من طمع أو حاجة خاصة (عشرة الحج أو ركب زيارة الأولياء) (أبو سالم العياشي)، وأقبح عشرة أشارت إليها المصادر وما تزال واردة على السنة أهل البادية اليوم هي عشرة "الحصادة" ولذلك قيل في الأمثال العامية : "ما تعرف صاحبك حتى تعاشرو".

التادلي، *التشوف*، الرباط، 1984 ؛ الزبيدي، *تاج العروس*، بيروت، بدون ؛ الزجالي، *أمثال العوام*، تح. بن شريفة ؛ أبو سالم العياشي، *الرحلة الصغرى*، مخطوط ؛ *ماء الموائد*، تح. م. حجي ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير*، الرباط، 1965 ؛ الماجري، *المنهاج الواضح* ؛ م. حجاج الطويل، *النقل والتنقل*، مرقون، الرباط، 1998 ؛ الونشريسي، *المعيار*.

محمد حجاج الطويل

العشّاب، أسرة أندلسية أخذت اسمها من مهنة العشابة التي كانت تزاولها، كما يعرف المكان الذي تعرض فيه الأعشاب وتباع بالعشابين، وهي أسواق معروفة في فاس وغيرها، وانتشر العشابون الأندلسيون في كل من درعة وفاس والقصر الكبير وشفشاون وطنجة وأحواز طنجة بجبل حبيب من قبيلة بني منصور، بل إنه يوجد في جبل حبيب بحوز طنجة مدشر يسمى العشاشبة.

ويرجع الأستاذ محمد الفاسي أصل أولاد العشاب بالمغرب إلى مدينة ألقنت الواقعة في شرق إسبانيا. وذكر الشيخ عبد الكبير بن هاشم الكتاني في كتابه *زهر الآس* أن بيت أولاد العشوبي بيت قديم بفاس كانت لهم ثروة ووجاهة ولهم أصول معروفة بهم إلى الآن.

ومن مدينة فاس انتقل الفقيهان محمد العشاب وأخوه عبد السلام. زمن السلطان مولاي سليمان 1206 / 1794، وكان مشهودا لهما بالفضل والعلم والصلاح فاستقر الأول بالقصر الكبير قاضيا عليها. والثاني بأصيلة قاضيا عليها كذلك. لم يترك الفقيه محمد خلفا من الذكور فانقطع نسله. والثاني الفقيه عبد السلام استوطن أصيلة وصار لأسرة العشاب بها قوة تعتمد على الجاه والمال وكثرة الرجال، وصارت هذه الأسرة بأصيلة من الأسر المعروفة، ولهم نسبة إلى آل البيت فهم أدارسة جدهم الأعلى محمد بن إدريس الثاني وبيدهم شجرة نسب وظهائر يرجع تاريخها إلى سنة 1245 / 1829 زمن السلطان مولاي عبد الرحمن ابن هشام. وفي نهاية القرن الثالث عشر (19 م) على عهد السلطان الحسن الأول انتقل فرع من هذه الأسرة من أصيلة إلى طنجة واستوطنوها وما يزال آل العشاب اليوم بكل من شفشاون وجبل حبيب وأصيلة وطنجة.

ومن أعلام أسرة العشاب :

العشاب، عبد الله بن أحمد بن محمد بن يوسف العشاب الغساني الأندلسي : نزيل درعة. ذكره أحمد بابا السوداني، وقال كان من أهل العلم. له عناية بجمع الكتب ونسخ منها بخطه الجميل بعضها. وفي رحلته للحج لقي أعلاما وأجازوه كابن عرفة وابن خلدون والعز بن جماعة. له تأليف :

- *تحفة الناسك في علم المناسك*. *والمقنع في مناسك المتمتع*.

العشاب، إبرهيم بن إبرهيم الأنصاري يكنى بأبي إسحاق المعروف بالعشاب : المتوفى عام 583 / 1187. أندلسي من بلدة أشونة سكن مدينة فاس. كان بارعا في النحو، وفي الأدب، وأتقن فن القراءات أخذه عن الشيخ أبي القاسم بن رضا. حدث وأقرأ وأخذ عنه وأجاز له أبو الحسن القطان جميع رواياته سنة 582 / 1196 ولعله مات بفاس في التاريخ أعلاه. قال عنه ابن فرتون : "كان يعلم ويقرئ النحو ويبيع العشب".

ابن الآبار، *التكملة لكتاب الصلة*، نشر، عزت العطار الحسني، القاهرة، 1375 / 1955، ج 1، 158 ؛ عبد الوهاب بنمنصور، *أعلام المغرب العربي*، ج 1، المطبعة الملكية بالرباط، 1399 / 1979.

عبد الصمد العشاب

العشاب، اسم أسرة علمية، طار لها صيت الاشتهار بوادي درعة، خلال القرنين التاسع والعاشر (15 ـ 16 م) وذلك بفضل ثلة من العلماء النابغين فيها، تجاوزت شهرتهم بلاد درعة إلى جهات أخرى من المغرب.

العشّاب، عبد الله بن محمد بن يوسف الدرعي مؤسس هذه الأسرة المجيدة، هاجر من الأندلس، ونزل ببلاد

درعة في زمن غير معروف من القرن التاسع الهجري (15 م)، استوطن فيما يبدو، قصر تيدسي القديم وسط واحة ترناتة. وقد كان هذا القصر يشرف على براح من الأرض تقام فيه سوق جهوية كبرى تلتقي فيه القوافل من كل الجهات (*المعلمة*، 8 : 2661) كان عبد الله العشاب واسع الاطلاع، وهذا ما جعل عدداً من العلماء يحلونه بالشيخ الأجل والعالم والعَلَم وله عناية خاصة بتجميع الكتب ونسخها وله خط حسن اشتهر به بين علماء عصره.

لا نكاد نعْرف أي شيء عن ممارسة عبد الله العشاب للتدريس إلا أننا لا نستبعد أن يكون قد قام بإلقاء دروس في الفقه واللغة على غرار ما كان سائدا في ذلك الوقت، ولولا حافز التدريس ما كان لعبد الله العشاب اهتمام بجلب الكتب واستنساخها.

رحل عبد الله العشاب إلى المشرق، فأدى فريضة الحج وأثناء عودته التقى بعدد من العلماء، فأخذ عنهم وأجازوه إجازات عامة، ولو لم يكن مبرزاً ما فاز بإجازات كل من ابن عرفة، وابن خلدون، وسعيد العقباني، والعز بن جماعة. وبعد عودة العشاب من الحج أصبح يعرف بين العامة والخاصة بالحاج عبد الله، وقد لزمته هذه الصفة حتى بعد وفاته إلى اليوم عند عامة الناس، الذين يقصدون ضريحه للزيارة وطلب الاستشفاء.

ومن مؤلفات الحاج عبد الله الفقهية التي خلد اسمه بين علماء درعة *المقنع في مناسك المتع*، و*تحفة الناسك في علم المناسك*، و*تعاليق عن المختصر الفقهي لابن الحاجب*.

توفي عبد الله بن محمد العشاب بوادي درعة، بعد حياة علمية سنة 852 / 1448، ودفن خارج قصر تيدسي القديم بالمكان الذي يعرف محليا بِحْدَبْ الحاج عبد الله، وقد أقامت فرقة أولاد بوزيد من قَبائل الرُّوحا، ضريحا بسيطا على قبره. وكانت قبائل الرُّوحَا بواحة ترناتة بفرقها الثلاث تجتمع عند ضريح الحاج عبد الله العشاب، لا تخاذ القرارات الكبرى التي تخصها، وتلح في ذكر اسم الحاج عبد الله في اتفاقياتها التحالفية والتنظيمية، ويعتبر اسم الحاج عبد الله ضامنا لنجاح كل القضايا التي نوقشت عند ضريحه، ولم تختف عادة الاجتماع عند ضريح العشاب إلا بعد الإعلان عن الاستقلال وتلاشي الأنظمة القبلية.

وما تزال عادة الاستقسام عند ضريح العشاب سائدة إلى اليوم عند بعض عامة الناس، الذين يعتقدون أن الحلف بالباطل عند قبره يسبب للحالف في مصيبة مستعجلة غير مؤجلة.

وبعد وفاة الحاج عبد الله وتخريب قصر تيدسِي القديم أقام حفدة الحاج عبد الله العشاب، قصرا بالقرب من الضريح ما يزال يعرف إلى اليوم بقصر أولاد العشاب وليس هناك ما يفيد في الوقت الحالي بأن سكان هذا القصر هم من حفدة وذرية الحاج عبد الله العشاب، بل إن جل سكان القصر لا يعرفون عن الحاج عبد الله أكثر من اسمه، وأنه وليٌّ من أولياء الله.

العشاب، محمد بن **محمد** بن **عبد الوهاب** الدرعي ثاني اثنين من حفدة الحاج عبد الله العشاب من الفرع الوهابي، لا نعرف شيئا عن ميلاده ولا تعليمه، حلاه الثمنوگالي بالفقيه الجليل والعالم المحقق (*العقود الجوهرية*، 65). ونعتقد أنه كان معاصراً لابن عمه السابق الذكر، وأن الشهرة العلمية للأول قد غطت على الثاني وجعلت أخباره تضيع تماما، بل إن الأمر التبس على بعض المتتبعين لأخبار آل العشاب فجعلوا من المحمدين من الفرع اليوسفي والفرع الوهابي شخصاً واحداً (*حضارة وادي درعة*، 136) ويظهر أن العلم قد تراجع عند آل العشاب بعد وفاة المحمدين ولم نصادف من بعض أسماء هذه الأسرة خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري (17 م) إلا اسمين : حمادي بن محمد العشاب وأحمد بن علي العشاب، ويظهر من خطيهما وعباراتهما في رسوم الأملاك العقارية أنهما يتمتعان بقدر لا بأس به من المعرفة. وقد انقرض اسم آل العشاب في وثائق وادي درعة منذ هذا التاريخ رغم أن اسم قصر أولاد العشاب ما يزال يذكرنا بما كان لهذه الأسرة من مكانة بين أهل العلم خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين (15 ـ 16 م).

العشاب، مُحمد بن **محمد** بن **يوسف** الدرعي واحد من اثنين كان لهم ذكر من بين أهل العلم، من حفدة الحاج عبد الله العشاب من ابنه يوسف، ولد على الأرجح سنة 930 / 1523، أخذ مبادئ القراءة والكتابة على يد بني قومه بقصر أولاد العشاب، فلما شب عوده، التحق بزاوية سيدي الناس بواحة فزواطة فلزم دوس الأستاذ أبي القاسم الشيخ (*الحركة الفكرية*، 2 : 535) فلما توفي الأستاذ سنة 953 / 1546، جال محمد العشاب في مدار تاگمادارت وزاوية الحنا وأغلان حتى اتم تعليمه فتخرج فقيهاً مشاركاً وعالماً جليلاً (*العقود الجوهرية*، 65) له باع طويل في علوم اللغة والفقه والحساب والنحو والفرائض. وقد توفي العلامة محمد العشاب سنة 999 / 1591 ودفن بمقبرة أهله خارج قصر أولاد العشاب.

محمد المكي بن موسى الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ محمد بن لحبيب التمنوگالي، *العقود الجوهرية في الأنباء الدرعية*، مخطوط ؛ محمد حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، ج 2 ؛ محمد المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية*، الرباط، 1991 ؛ الوراقة المغربية، مجلة البحث العلمي، ع 18 ـ 1971 ؛ حضارة وادي درعة من خلال النصوص والآثار ؛ دعوة *الحق*، ع 2، السنة 18 ـ 1973 ؛ أحمد البوزيدي، مادة تيدسي، *معلمة المغرب*، مجلد 8 ؛ *وثائق محلية*، زيارة ميدانية لضريح الحاج الحاج عبد الله العشاب.

أحمد البوزيدي

العُشّي، أسرة تطاونية أصلها من الأندلس حيث

مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Aluchi ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1205.

محمد ابن عزوز حكيم

العشور، كانت زكاة العشر من مداخيل بيت مال المسلمين، وقد استمر العمل بذلك في المغرب طيلة عهد الإمارات المستقلة عن المشرق : الأدارسة وبنو مدرار ومغراوة وبنو يفرن وغيرهم ؛ وفي عهد يوسف بن تاشفين ـ من دولة المرابطين ـ ألغيت كل الضرائب والمغارم والمكوس المستحدثة واكتفى المخزن المرابطي بما هو شرعي منها. الزكاة والأعشار وجزية أهل الذمة ؛ إلا أن مسألة تجاوز الشرعي كانت واردة طيلة التاريخ الإسلامي، فكلما كانت حاجة المخزن إلى الأموال متزايدة إلا واضطر إلى إحداث ضرائب ومغارم جديدة غير شرعية تحت أسماء وذرائع مختلفة كانت وبالا على الرعية، فأحدث ذلك خللا في التوازن وعدم الثقة ما بين الحاكم والمحكومين، كان مناسبة استغلها الخصوم والمعارضون للمخزن : أما الرعية فكانت تضطر لتقليص أنشطتها الفلاحية والتجارية وأحيانا تغادر مساكنها وتهجر أراضيها مكرهة.

كانت الدولة الموحدية أكثر من غيرها تشددا في جمع الزكاة سواء زكاة الفطر أو زكاة العشر حتى إن بعض خلفائها أصدروا ظهائر ورسائل تحث المكلفين بجمع الزكاة والعمل على معاقبة المتنع عن دفعها للمخزن إلى حد الإعدام : "وخذوا بأنباء الزكاة وبالكشف عن مانعيها وتشخيص ممسكيها أو النزر اليسير منها فالزكاة حق المال والجهاد وواجب على من منع منها قدر العقال فمن ثبت منعه للزكاة فهو لاحق بمن ثبت تركه للصلاة يقتل..." *(رسائل موحدية)*.

هذه زكاة العشر وقد أحاطت بها كتب الفقه والنوازل والدراسات التي تناولتها بالشرح والتفسير والتعليق، أما "لعشور" في الدارجة المغربية فرغم منطلقاته الشرعية والفقهية إلا أنه حاد عنها عبر التاريخ ليصبح ظاهرة اجتماعية تكافلية، فمنذ تحرير الزكاة (زكاة الفطر ثم زكاة العشر) أي أنها لم تعد من مستحقات المخزن على الرعية، خضعت لتطبيقات واجتهادات اختلفت في الزمان والمكان، ففي البادية المغربية مثلا :

يتم إخراج "العشور" بحسب ما تنتجه الأرض من محاصيل وغلال. ويختلف وقت أداء العشور باختلاف مواسم جني الغلال والمحاصيل فجنى محاصيل الزيتون والتمور والخضر والفواكه يختلف أوانها طيلة السنة ولذلك تدب حركة غير عادية في مناطق إنتاج هذه المواد إذ تقصدها جحافل الفقراء وغيرهم من طالبي "العشور" ؛ أما الحبوب والقطاني فموعد حصادها وجمعها هو فصل الصيف حيث تكثر حركة طالبي العشور من :فقراء وشرفاء وفقهاء ومتصوفة وغيرهم" يطوفون بالقبائل والدواوير جماعات وفرادى راجلين وعلى ظهور الدواب. ومنهم من ينزل بخيامه وقياطينه على قبيلة أو دوار معين حتى إذا أكمل تجواله هز رحاله إلى قبيلة أخرى وهكذا...، وبعد نهاية الموسم وأحيانا خلاله يبيع هؤلاء ما تحصل لديهم من حبوب في عين المكان أو في الأسواق الأسبوعية ؛ ومنه من يرسل أحمال الزرع إلى بلده الأصلي، ويتحصل لهؤلاء "العشارة" أحيانا ما لا يحصل عليه الفلاح الصغير والمتوسط من حبوب وقطاني بعد عمل شاق طيلة السنة.

ويتحدث بعض الفلاحين المسنين عن "العشور" قديما فيقولون أن تطبيقه كان أمرا عاديا عند جميع الفلاحين باعتبار الزكاة ركنا من أركان الإسلام الخمسة وكان إخراجها يتم فورا قبل إدخال المحاصيل إلى الدار وتشمل جميع المنتجات كيفما كانت قيمتها (بهائم وزيت وسمن وعسل وصوف وما إلى ذلك...). أما اليوم فلا يخرج الفلاحون في أحسن الأحوال إلا "عشور" الحبوب، وأحيانا يتحايلون فيخرجون نصيبا قليلا منها في البيدر والنصيب الأوفر يتم إرساله للمعوزين من ذويهم سواء في المنطقة أو خارجها، ومنهم من يرسلها إلى الزوايا والأضرحة والمدارس العتيقة. ومن الفلاحين من يؤدي منها أجرة فقيه الدوار "الشرط" وهكذا...

ما قلناه عن البادية ينطبق على المدينة خاصة عند فئة التجار الصغار والمتوسطين وبعض التجار الكبار، والاختلاف مع البادية يتجلى في زمن إخراج زكاة العشر فبداية السنة الهجرية "شهر محرم" في الغالب يكون موسم العشارة الذين يمرون على أبواب الدكاكين والمحلات التجارية يجمعون ما تيسر من نقود، وبما أن معظم التجار من منطقة سوس فإن مجمل أموال زكاة العشر ترسل إلى مستحقيها من مؤسسات خيرية ومدارس عتيقة وفقهاء وصلحاء ومعوزين ولا يوزع محليا أمام دكانه إلا القليل.

ابن حوقل، *صورة الأرض*، ليدن، 1938 ؛ ابن عذاري، *البيان المعرب*، بيروت، 1948، الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ الونشريسي، *المعيار المعرب*، طبعة وزارة الأوقاف ؛ التادلي، *التشوف*، الرباط، 1984 ؛ ليفي بروفنصال، *مجموعة رسائل موحدية*، الرباط، 1941 ؛ محمد الطويل، *الفلاحة المغربية في العصر الوسيط*، مرقون كلية الآداب بالرباط.

محمد حجاج الطويل

العصافير، مجموعة من أنواع الطيور المغردة تصنف إلى رتبة الجواثيم Passeriformes ومنها فصائل عديدة وتعتبر من أكبر رتب الطيور وأكثرها تعقيدا حيث تتكون من ثلاثة أخماس مجموعة الطيور كلها في العالم. تضم 130 نوعا من بين 370 من مجموع الطيور التي تشاهد بصفة منتظمة في المغرب. مقاييس الأنواع مختلفة : صغيرة جدا

كالصعو أو متوسطة كالدريس والجحموم ـ الشحرور ـ وأبي الحناء والسمنة والخطاف والجاوش والقوبع أو كبيرة كالغراب حيث يبلغ طول الجسم 60 سم. تتميز أنواع العصافير بقصر رسغ القدم الذي ينتهي بأربعة أصابع حرة، الرابع منها متوجه إلى الخلف. بعض الأنواع تعرف من خلال أصوات تغريدها. نذكر من بين الأنواع الشائعة والغريبة في المغرب :

ـ الصعو للذكر والصعوة للأنثى كما في المعاجم تجمع على صعاء وهو طائر بري من القواطع يعتبر من أصغر الطيور حجما إذ لا يزيد طوله على 9 سم ويزن 20 ـ 30 غراماً. يقال له في المغرب الدسيس لكثرة اختفائه وفي الشرق العربي وصع يجمع على وصعان في سوريا والعراق ولبنان سكسوكة ونمنمة ودعويقة وذكر في بعض المؤلفات العربية باسم سكسكة وأطرغلودس وأطرغلوس وصفراغون. يتميز بحركات دائمة وبقلة الطيران. يصنف إلى فصيلة سيتيدي Sittidae ويدعى علميا Troglodytes troglodytes وبالفرنسية Troglodyte mignon وبالإنجليزية Wren وبالإسبانية Chorchin وبالإيطالية Scricciolo. موطنه إفريقيا الشمالية وأوربا والشرق الأوسط. طائر مستقر في المغرب ويألف المناطق الغابوية والصخرية والحقول والبساتين. الذكور شبيهة بالإناث، لونه متوسط بين الرمادي والصفرة وعلى جناحيه ريش ذهبي أشقر بخطوط من الريش الأبيض على الجانبين والذيل، القوائم بنية حمراء داكنة، الذيل قصير ومتوجه إلى الأعلى في أغلب الأوقات منقاره دقيق وعلى ذيله نقط بيض. يتغذى من الحبوب والحشرات والديدان والعناكب. يتوالد في مختلف المناطق المغربية الغابوية والساحلية ابتداء من شهر أبريل وينصب العش على الأشجار وبين الصخور وفي المغاوير وهو كروي الشكل يقوم الذكر بإنشائه وتفرشه الأنثى بالريش لتضع فيه 5 ـ 8 بيضات ملساء بيضاء مزركشة بنقط حمراء وسوداء، يبلغ طول قطرها الكبير 17,5 ملم. تحضن الإناث البيض 14 ـ 17 يوما. تغادر الصغار العش بعد 18 يوما.

م. رمضاني، *السلوي*، *معلمة المغرب*، الجزء 15 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*. 1979, 320 p. ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Elsevier, 1977, 430 p. ; M. Thevenot, P. Beaubrun, R.E. Baouab, & P. Bergier, *Compte rendu d'ornithologie marocaine*, Documents Inst. Sci., Rabat, 1982, 118 p.

محمد رمضاني

عصور ما قبل التاريخ في المغرب، تنقسم عصور ما قبل التاريخ في المغرب إلى قسمين رئيسيين :

ـ العصر الحجري القديم القديم (Paléotique)

ـ العصر الحجري الحديث (Néolithique)

العصر الحجري القديم يقسم بدوره إلى ثلاثة أقسام :

1 ـ العصر الحجري القديم الأسفل أو الأدنى

2 ـ العصر الحجري القديم الأوسط

3 ـ العصر الحجري القديم الأعلى

1 ـ العصر الحجري القديم الأسفل بالمغرب : من الأصول إلى 120000 ق. م. يمثل هذا العصر أطول وأقدم مرحلة تطورية في حياة البشر. وقد قام العلماء بالبحث عن بقايا هذا البشر ومخلفاته في المواقع التي يظن أنه كان يقطنها أو يسكن بجوارها أو يلتجئ إليها كالعيون، والأودية، والمنخفضات، والكهوف القريبة من الينابيع والأنهار، لأن إنسان هذه المرحلة كان يبحث عن طعامه بوسائله المختلفة، في هذه المناطق التي تتجمع فيها المياه والنباتات البرية والحيوانات والطيور والأسماك التي يستطيع فيها تحقيق غرضه الأول وهو الصيد والقنص والالتقاط. وقد ترك بعض آثاره في الطبقات الأولى المطلة على هذه العيون والأودية والمنخفضات. ومن المواقع الأثرية المنتمية لهذه المرحلة في مغرب ما قبل التاريخ محجر سيدي عبد الرحمن، ومحجر مارتان، ومحجر طوما بالدار البيضاء وموقع تيط مليل قرب الدار البيضاء وموقع وادي الخميس بالخميسات، وموقع عين لفريطيسة في شمال المغرب. كما عثر على نماذج من أقدم الأدوات الحجرية التي يبدو أن إنسان هذه المرحلة استعملها والتي تعرف بثقافة النواة أو ثقافة الحصاة (Pebble - culture) في مواقع متعددة بالمغرب في الشمال والوسط والجنوب والصحراء كعرباوة والدار البيضاء والخميسات والرباط إلخ. وتعتبر هذه الثقافة أقدم تعبير لبداية مغامرة الذكاء لدى الإنسان. ويعيد العلماء تاريخ ظهور هذه الثقافة إلى حوالي 2.5 مليون حيث تم اكتشافها لأول مرة بشرق إفريقيا بجانب الاسترالوبيثيك (الإنسان القردي الجنوبي)، إلا أنه في المغرب لم يعثر لحد الآن على بقايا هذا النوع البشري، ولكن الأدوات الحجرية التي يبدو أنه كان يستعملها موجودة مما يوحي بأن هذا النوع البشري العتيق كان بدوره موجوداً إلا أن معاول المنقبين لم تصل إليه بعد.

وفي مرحلة تطورية ثانية ومع ظهور ما يسمى بالإنسان المنتصب القامة (Homo erectus) الذي وجدت بقاياه في المغرب في مواقع متعددة كالدار البيضاء وسلا والرباط ومن أهم هذه المواقع كهف ومحجر سيدي عبد الرحمن بالدار البيضاء، الذي ساهمت الأبحاث التي عرفها في دراسة الزمن الجيولوجي الرابع والتعريف بحضارات وصناعات ما قبل التاريخ، وبالإنسان الذي عاش خلاله، وكذا الحيوانات والنباتات التي كانت تعيش في نفس المجال. وتنتمي البقايا البشرية المستخرجة من هذا الموقع سواء التي استخرجت في بداية منتصف القرن العشرين أو التي عثر عليها سنة 1998 إلى نموذج الإنسان المنتصب القامة الذي يتراوح تاريخ وجوده بالمغرب ما بين مليون و165000 سنة ق. م. وقد عثر على أنواع منه كذلك بالرباط وبسلا. ويطلق العلماء على هذا الإنسان المغربي العتيق اسم أطلانثروب أي إنسان الأطلس. كما عثر على بقايا عظمية لحيوانات متحجرة منها

الفيل ووحيد القرن وفرس النهر والزرافة والحصان. وقد استعمل هذا الإنسان أدوات حجرية تسمى بالأشولية وهي فؤوس يدوية ذات وجهين وكانت منتشرة ومتوفرة في كل مناطق المغرب والصحراء. وقد استغرق العصر الحجري القديم الأسفل مرحلة طويلة من الزمن واجه فيها الإنسان البيئة وتفاعل معها. وهذا التفاعل أكسبه خبرة استعملها في تطوير أدواته الحجرية التي ساعدته على الانتقال إلى المرحلة التطورية التالية حوالي 120000 سنة قبل الميلاد وهو العصر الحجري القديم الأوسط.

2 ـ العصر الحجري القديم الأوسط : 120000 . 35000 ق.م.

اتجه الإنسان خلال هذه المرحلة إلى تطوير الأدوات الحجرية وصناعة آلات حجرية أكثر دقة تعرف بالشظايا. تتميز هذه الشظايا بصغر حجمها وتنوع أشكالها كالأزاميل والمكاشط ورؤوس الحراب والسهام ـ تصنع هذه الشظايا عن طريق فصلها عن النواة الأصلية لكي تؤدي وظيفة القطع التي يحتاج إليها. وتعرف هذه الصناعة عالمياً بالصناعة الموستيرية بينما في شمال إفريقيا والصحراء الكبرى فتسمى بالصناعة العاطرية نسبة إلى موقع بئر العاطر بالجزائر. وتتميز الادوات العاطرية عن باقي الصناعات بأنها أدوات مذنبة. ويعتبر ابتكار الذنب تقدماً كبيراً لأنه يعبر على وجود التصور والإمكانيات الفكرية لدى هؤلاء المبتكرين. فرأس الحربة المربوط بعصى مثلاً يصبح سلاحاً فعّالا بالإضافة إلى أنه يزيد من قوة مستعمليه. وقد عثر على الصناعة العاطرية في عدد من المواقع تمتد من المغرب الأقصى غرباً إلى مصر شرقاً بما فيها الصحراء الكبرى، وقد وجدت آثار هذه الصناعة في مواقع بالمغرب كمغارة العالية بطنجة، وكهف دار السلطان قرب الرباط، وكهف المهربين بتمارة وكهف الخنزيرة جنوب غرب الجديدة بالإضافة إلى مغارة الحمام بتافوغالت المستوى 16 و17 الخ ...

ومن البقايا البشرية المنتمية لهذا العصر إنسان جبل إيغود الذي عثر عليه في موقع يبعد بحوالي 30 كلم جنوب شرق مدينة آسفي، والذي عاش منذ حوالي 130000 سنة ق. م. في نفس الفترة التي عاش فيا إنسان نياندرطال بأوربا والشرق الأدنى القديم. وكان زمن اكتشاف إنسان جبل ايغود يعتقد أنه ينتمي إلى فصيلة إنسان مياندرطال، إلا أنه بعد الدراسات التي اجريت عليه، اتضح أنه يختلف عنه اختلافا كليا بعدد من السمات منها أن مظهر وجهه أقرب للإنسان العاقل منه للنياندرطال هذا فضلاً على أن أنفه أكثر اتساعا. كما يتميز بأن جمجمته لا تزال تتضمن بعض السمات القديمة التي تشير إلى وجود علاقة بينه وبين الانسان المنتصب القامة.

ويعتبر انسان جبل ايغود الشهادة الوحيدة على وجود مجموعة بشرية قديمة تجمع بين صفات الإنسان السابق، الإنسان المنتصب القامة، والإنسان اللاحق، الإنسان العاقل مما يعني أنه يمثل حلقة تطور بينهما. وهذه الظاهرة لا نجدها إلا في هذه المنطقة مما جعل العلماء المهتمين بالتطور البشري يميلون إلى القول بأن المغرب هو البلد الوحيد في العالم الذي يتوفر على هذه الخاصية الفريدة من نوعها، بعكس باقي المناطق. ويبدو أن إنسان جبل إيغود هو جد الإنسان العاطري المنتمي إلى الإنسان العاقل. وفي عهده تطورت حياة الإنسان المغربي في العصر الحجري القديم الأوسط بشقيها المادي والفكري مما دفعه نحو الانتقال إلى المرحلة الحضارية التالية المتمثلة في العصر الحجري القديم الأعلى.

3 ـ العصر الحجري القديم الأعلى : (Paléolithique supérieur)

تعتبر هذه المرحلة من مراحل العصر الحجري القديم أهم مرحلة في مجال التطور الحضاري لأنها تمثل خلاصة التجارب السابقة التي واجهت الإنسان خلال المراحل الطويلة من حياته، مما جعلها تمهد لمرحلة حاسمة أخرى في الحياة البشرية وهي مرحلة العصر الحجري الحديث أو مرحلة الثورة الإنتاجية الأولى.

وعلى الرغم من أن حدود العصر الحجري القديم الأعلى غير دقيقة وواضحة عما سبقها، إلا أن الملاحظ أنه كلما اقتربنا من الأزمنة الحالية إلا ووجدنا أن الحدود الزمنية بين مرحلة وأخرى تصبح أكثر دقة ووضوحا، هذا بالإضافة إلى أن التحقيق بواسطة الكربون المشع (14 C) أمدنا بسلم تاريخي ثمين وبالفعل فإنه ما بين 40000 و30000 قبل زمننا هذا، بدأت التقاليد المميزة للعصر الحجري القديم الأوسط تعرف تغيراً عميقاً في الشرق الأدنى القديم وغرب أوربا، مما يدل على الانتقال إلى العصر الحجري القديم الأعلى، الذي يتميز بتطور بنيات السكنى وازدياد أهمية المواد والأدوات والأسلحة المصنوعة من العظام، بجانب الأسلحة والأدوات الدقيقة المصنوعة من الحجر والمعروفة، بالميكروليثية، هذا فضلاً على استعمال المواد الملونة وظهور البدايات الأولى للتغيير الفني.

وتميز هذا العصر في المغرب بطغيان الصناعة العاطرية التي تحتل المكانة التي تحتلها الصناعة الموستيرية خارج شمال إفريقيا والصحراء الكبرى. وفيما يتعلق بالتسلسل الزمني للصناعة العاطرية فقد أثبتت التنقيبات الأثرية أنها تحتل مكانة الموستيرية وتتداخل معها وأحيانا تأتي بعدها مباشرة هذا علاوة على أن العاطرية بدأت في العصر الحجري القديم الأوسط واستمر وجودها في العصر الحجري القديم الأعلى.

ورغم الصعوبة في تحديد المركز الذي نشأت فيه هذه الحضارة لأول مرة ومنه انطلقت إلى باقي المراكز، إلا أن انتشار المواقع وتركزها على الساحل المغربي في المغرب، واستمرار انتشارها في ليبيا ومصر، وتوجهها توجها قويا نحو الجنوب في الصحراء إلى أن تتوقف بصفة عامة على

ضفاف ما تبقى من البحيرات في الصحراء الجنوبية كبحيرة تشاد، يجعل من هذا التركز في المغرب، وتدرج قلة المراكز كلما اتجهنا إلى الشرق إلى غاية مصر، تجعلنا نفترض أن مهد هذه الصناعة كان في المغرب الحالي، ومنه انتشرت في باقي شمال إفريقيا والصحراء. وهذا يعني أن هذه الصناعة فرضت وجودها في كل هذا المجال وأن العلاقات الحضارية هذه المرة كان اتجاهها غربياً ـ شرقياً جنوبياً وشرقياً، أي أن الصناعة العاطرية كانت المحرك الأساسي القوي التأثير في هذه المرحلة، مما يجعلنا نميل إلى القول بأن إرهاصات ما يمكن أن نسميه الوحدة الحضارية بين شمال إفريقيا من جهة والصحراء من جهة أخرى تعود إلى هذه المرحلة.

وقد عثر على إنسان صانع هذه الحضارة في مواقع متعددة في المغرب منها كهف دار السلطان سنة 1975 وكهف تمارة في نفس السنة كذلك ومغارة العالية بطنجة .. الخ ... ويبدو من خلال الدراسات الأثرية أن الحضارة العاطرية، بدأت منذ حوالي 45000 سنة ق. م. واستمر وجودها إلى حوالي 20000 سنة ق. م لتخلفها الحضارة الإيبيروموروسية.

هذه الحضارة التي غطت مرحلة زمنية من العصر الحجري القديم الأعلى تتراوح ما بين 20000 سنة و8000 سنة ق. م. ولقد كان إلى وقت قريب يعتقد أن هناك فراغاً حضارياً وهوة اركيولوجية تفصل بين الحضارة العاطرية والحضارة الايبروموروسية. ولكن التنقيبات الأثرية التي أجراها الباحث الفرنسي القس روش (L'Abbé Roche) في مغارة الحمام بتافوغالت بشرق المغرب، أثبتت أن المستويين الأثريين 17 و18، من مستويات المغارة والواقعين في أسفل الطبقات الأثرية يمثلان الحضارة العاطرية وبداية الحضارة الايبيروموروسية في المستويات العليا انطلاقا من المستوى 16. وهذا ما يعني عدم وجود أية هوة بين الحضارتين. وليس من المستبعد أن يكون للحضارة العاطرية أثر في الحضارة الايبروموروسية.

كانت الحضارة الايبروموروسية تتميز بأنها حضارة ساحلية، تنتشر في شمال إفريقيا من المغرب غرباً إلى ليبيا شرقا، عكس الحضارة القفصية التي هي حضارة داخلية أي قاربة. وأول من سماها بالاري (Pallary) الذي أطلق عليها اسم الحضارة الايبروموروسية معتقداً أنها صناعة قادمة من شبه جزيرة ايبيريا. ولكن اتضح فيما بعد أن هذه الحضارة لا علاقة لها إطلاقا بإيبيريا، وإنها حضارة محلية صرفة. وأعقب ذلك تحريات ودراسات وحفريات قام بها الباحث الفرنسي فوفري سنة 1932 في مواقع بالجزائر على الخصوص، جعله يطلق عليها اسم الحضارة الوهرانية.

وأهم سمات الحضارة الوهرانية صغر أدواتها الحجرية، ولا سيما النصال الصغيرة ذات الشكل الهلالي، والمكاشط المستديرة وبعض الأدوات المستعملة لسحق الألوان، بجانب أدوات من العظام المصقولة المهندمة.

ويحدد الباحث الفرنسي القس روش تاريخ هذه الحضارة باستعمال الكربون C14 ما بين 21900 + - 400 و10 800 + - 400 من الآن. بينما يحدد تاريخها ماگبرني في ليبيا ما بين 14000 ق. م و10000 ق. م. وهذا يعني أن الحضارة الوهرانية في غرب شمال إفريقيا أقدم منها في شرقها. فهل هذه التقديرات المقارنة تسمح لنا بافتراض الأصل في المغرب، ومنها اتجهت بالتدريج إلى الشرق، حتى وصلت إلى ليبيا ؟ هذا مع العلم أنه لحد الآن، تم العثور على أدوات هذه الصناعة في الصحراء المغربية فقط قرب اسمارة. فهل هي حضارة مغربية صرفة ولا وجود لها في الصحراء الكبرى، أم أنها توجد بها ولكن معول المنقبين لم تصل إليها بعد ؟ على كل، وحسب التحريات والتنقيبات التي أجريت لحد الآن في الصحراء فإنها تشير إلى وجود هذه الحضارة في الصحراء المغربية فقط عكس الحضارة السابقة العاطرية. فهل هي بداية انتقال العلاقات بين الصحراء وشمال أفريقيا، من علاقات عمومية إلى علاقات أفقية، أي من علاقات شمال ـ جنوب وجنوب ـ شمال إلى علاقات غرب ـ شرق وغرب جنوب شرق ؟ أي أن العلاقات التي كانت صحراوية شمال إفريقية في البداية انتقلت في عهد الحضارة العاطرية إلى علاقات شمال أفريقية صحراوية ثم أصبحت في عهد الحضارة الوهرانية علاقة بين مناطق شمال إفريقية فقط.

العصر الحجري الحديث Néolithique في المغرب.

أشرنا في التمهيد إلى أن العصور الحجرية تقسم عادة إلى ثلاثة عصور العصر الحجري القديم والعصر الحجري الأوسط والعصر الحجري الحديث. وأن العصر الحجري الأوسط لا يوجد في كل المناطق لكونه عصر قصير جداً، هذا فضلاً على أنه عبارة عن فترة انتقالية. واعتباراً لذلك فإنه غير موجود في المغرب الذي تنتقل فيه من العصر الحجري القديم الأعلى إلى العصر الحجري الحديث مروراً بعصر أطلق عليه القس روش الايبيبالويتسك (Epipaléolithique) أو العصر الحجري القديم الفوقاني الذي يتميز حسب رأيه بكونه عصراً يجمع بين سمات العصر الحجري القديم وسمات العصر الحجري الحديث.

ومن سمات هذا العصر ظهور الثورة الانتاجية الأولى المتمثلة في انتقال الإنسان من مجرد إنسان باحث عن الطعام ومستهلك له إلى إنسان منتج، إذ أنه توصل إلى استئناس الحيوان والزراعة.

وقد عرف إنسان شمال إفريقيا خلال هذه المرحلة الحضارة القفصية، من الناحية الكرونولوجية تلي الحضارة الوهرانية، الحضارة الفقصية وهذه الحضارة بدورها كان قد أطلق عليها في بداية اكتشافها سنة 1909 الحضارة والصناعة الجيتولية (Industrie gétule) لكون التشابه بين أدوات هذه الصناعة وأدوات الأدوار الأولى من العصر الحجري القديم الأعلى في أوروبا وخاصة الحضارة الأوريگنسية (Aurignacien)، دفع الباحثين إلى المزيد من التحري والتقصي، وإعادة النظر في المكتشفات الأثرية التي قام بها گوبير (Gobert) وفوفوي

(Vaufrey). وقد ألقيا أضواء جديدة على الموضوع، وخاصة بعد استخراجهم للأدوات الدقيقة باستعمال الغربال، مما يوضح أن الإنسان القفصي كان يستعمل أدوات دقيقة شبيهة بالأدوات الميكروليثية التي تميز العصر الحجري الوسيط (Mésolithique). مما دفع بگوربير وڤوفري إلى إرجاع هذه الصناعة إلى العصر الحجري الوسيط. ونضيف إلى هذا أن مواقعها سطحية، والكثير منها على هيئة تلال مكونة من تكديس الرماد وبقايا الطعام التي تركها الإنسان القفصي، والمتكونة أساساً من الحلزون، مما جعل الباحثين يطلقون عليها الرماديات أو الحلزونيات (Les escargotières).

ومن ميزات الحضارة القفصية أنها أقل انتشاراً في المكان والزمان، إذ لم تتجاوز المناطق الداخلية بتونس، وخاصة جهتي قفصة وتبسة، كما تمتد إلى شرق الجزائر وخاصة جهة سطيف وقسنطينة، ولا تتعدى في الغرب جهة تيارت. ولم يعثر على أي أثر لهذه الحضارة لحقد الآن في المغرب والصحراء، وجنوب مصر وشمال السودان. أما من الناحية الزمنية، فقد أثبتت التحاليل المخبرية باستعمال الكربون C14 أن الحضارة القفصية ظهرت بعد الحضارة الوهرانية، ولم تعمر إلا مدة قصيرة نسبيا تتراوح ما بين منتصف الألف السابع والألف الرابع قبل الميلاد (6450 ق. م + - 400 و3050 ق. م + - 100).

ومن خصائص العصر الحجري الحديث توصل الإنسان إلى تربية الماشية والزراعة فهل وصل سكان المغرب الأقدمين إليهما ؟

- تربية الماشية والزراعة :

كان قدوم الفينيقيين إلى وقت قريب يربط اكتشاف الزراعة ودخول المغرب العصور التاريخية ؛ إلا أن الأبحاث الأثرية الأخيرة والدراسات المنصبة على هذين الموضوعين أكدت أن ممارسة تربية الماشية والزراعة كان معروفا لدى سكان شمال إفريقيا، وربما لدى أبناء الصحراء كذلك، منذ فترات قديمة.

فهل يمكن تحديد تاريخ ظهور الزراعة في بلدان شمال إفريقيا والصحراء وما هي الدلائل أو المؤشرات التي تدل على وجودها ؟

إن أول صعوبة تعترضنا تتمثل في عدم توفرنا على مادة علمية كافية لمعالجة أصول الزراعة، هذا فضلاً عن أن أغلب ما هو متوفر كتبه أجانب انطلاقا من أفكار مسبقة، ترتكز على أن كل الإبداعات الحضارية التي عرفتها شمال إفريقيا جاءتها من الخارج ؛ بل وهناك من هؤلاء الباحثين من يرى أنه بما أن الزراعة مرتبطة بالعصر الحجري الحديث، وبما أننا لا نعرف جيداً متى بدأ هذا العصر ومتى انتهى، فإن هذا يطرح صعوبات كبيرة في التعرف على أصول الزراعة فيها ؟ ويذهب كامس (Camps) بعيداً إلى حد أنه يذكر بما أن ممارسة الزراعة تعتبر من أهم سمات العصر الحجري الحديث، التي عمت الشرق الأدنى وأوروبا، فإنه لا يمكن الأخذ بنفس الحكم كلية في أفريقيا. هذه بعض الأمثلة من مواقف الباحثين الأجانب من معرفة منطقة شمال إفريقيا بالزراعة، فهل يمكن اعتبارها أحكاما نهائية ؟ وكيف يعقل أن تعرف جهة في شمال إفريقيا، وهي مصر الزراعة ولا تعرفها جهات قريبة من نفس المنطقة ؟

لذلك ولفتح المزيد من الآفاق حول هذا الموضوع، يبدو أنه من الأفضل العودة إلى دراسة بعض المستخرجات الأثرية التي تم العثور عليها في بعض المواقع التي يبدو أن لها علاقة بالعصر الحجري الحديث وبإرهاصات الزراعة. ومن هذه المؤشرات مستخرجات مواقع الحضارة الوهرانية والحضارة القفصية والريف الشرقي.

ففيما يتعلق بالحضارة الوهرانية فقد تم العثور على الكرات الحجرية المثقوبة (Les boules de pierre perforées) الصغيرة الحجم التي تستعمل كثقالة (poids) للعصا الحفارة (Le baton à fouir) في موقعين وهرانيين بالجزائر تماحت ورأس سيكيلي ويتحدث كامبس عن هذه الأداة قائلاً : "إن هذه الأداة جد معروفة بإفريقيا وخصوصاً عند شعب البوشمن وأيضاً بإثيوبيا، وأنها تستعمل لغرض تهيئة الأرض وتنعيمها لدى مزاولي الزراعة الفقيرة".

أما بالنسبة للحضارة القفصية، فقد عثر في بعض طبقاتها الأثرية على نوع من المناجل والكرات الحجرية المثقوبة، (Les boules de pierre perforées) والمدقات (Les molettes) وأداة الحصاد (Le lustre des moissons). ومع كل هذا، فإن كامبس يتحفظ بخصوص الأدوات القفصية التي يبدو أن لها علاقة بالزراعة ويؤكد على عدم وجود زراعة لدى القفصيين، مشيراً في نفس الوقت إلى أن أول أداة ربطها بالزراعة هي الشفرة، التي عادة ما تعرف بأداة الحصاد (Le lustre des moissons)، والتي استخرجت من بعض الطبقات الأثرية القفصية. ومع ذلك فان كامبس، ورغم تأكيده بارتباط أداة الحصاد هذه بالزراعة، إلا أنه يقول بأنه لا يجب الاعتقاد بأن أداة الحصاد هذه قد استعملت في الزراعة. بل يمكن أن تكون قد استخدمت في قطع سيقان نباتات غير صالحة للأكل، ولكن لها منافع كثيرة، كالقصب الذي كان يستعمل كثيراً في صنع الفخاخ.

وكأني بكامبس يعمل ما في وسعه من أجل نفي وجود أي إسهام حضاري لأبناء هذه المنطقة، رغم وجود بعض المؤشرات الموحية بذلك. فوجود الأدوات الزراعية في بعض المواقع الأثرية ليس دليلا كافيا في نظر كامبس، بل يمكن اعتبار ذلك محاولة للتوجه نحو زراعة فعلية. وبما أن التحديد الزمني لرماديات الحضارة القفصية يتزامن والعصر الحجري الحديث في البحر الأبيض المتوسط، فإن كامبس، يرجح أن القفصيين يمكن أن يكونوا قد مارسوا القطف بطريقة انتقائية، مكنتهم من حفظ ما جمعوه ويمكن اعتبار هذه العملية، حسب كامبس دائما، أول خطوة نحو زراعة حقيقية.

والجدير بالإشارة هنا، أن الباحث ريگاس تحدث عن نوع

من المعاول (Pics) عثر عليها جنوب قسنطينة بالجزائر، أطلق عليها اسم المحروگاتي الذي يظهر أن لها ارتباطا وثيقا بالزراعة، هو نوع من المعاول الصوانية المنحوتة وغير المصقولة. ويفترض ريگاس أن هذه الصناعة ذات أصول إفريقية، وأن تأثيرها وصل إلى أوربا بطرق يجهلها. وقد وجدت هذه الأداة الزراعية أيضاً في جهة الحوز مما جعل الباحث رودريك (Rodrique) يرجع أن هذه الأداة استعملت كأداة للحرث ؛ وهذا يعني قيام الزراعة بالمغرب قبل ظهور المحراث.

ومن المؤشرات الأخرى التي ترجح كفة معرفة إنسان العصر الحجري الحديث في شمال إفريقيا للزراعة وممارسته لها، ما استخرجته البعثة الأثرية العلمية المغربية الألمانية، التي نقبت في شرق جبال الريف بالمغرب، وأقامت معرضا لمستخرجاتها الأثرية بالمتحف الأثري بالرباط ما بين 16 مايو ويونيو 1998، أثبتت من خلاله ظهور الفلاحين الأوائل بهذه الجهة منذ حوالي 9000 سنة بجانب مربي الماشية والصناع الأوائل للفخار. وفي حوار مع الباحثين المغاربة المشاركين في هذه البعثة العلمية أشار أحدهم إلى عثوره على حيوان يبدو أنه مستأنس في موقع إيفري ن الباورد قرب قرية صاكة بإقليم الناظور.

وإذا أضفنا إلى هذه المؤشرات الواضحة، النقوش والرسوم الصخرية الموجودة في جبال الأطلس وجنوب المغرب والجزائر وليبيا، وفي الصحراء الكبرى ؛ التي تجسد مشاهد من أنشطة سكان هذه المناطق، ومن ضمنها نقوش خاصة بعملية الحرث أشهرها نقش عزيب نائكيس الذي درسه مالوم (Malhomme) ونشره في مجلة "ليبيكا" سنة 1953. فكل هذه المؤشرات تؤكد معرفة إنسان شمال إفريقيا للزراعة انطلاقا من الألف التاسع قبل اليوم.

ويبدو أن الصحراء عرفت الزراعة منذ فترات قديمة، ومما يؤكد ذلك العثور على غبار الطلع في موقع منيات وأمكني بالصحراء الجزائرية. وقد تم التحديد التاريخي لزمن بعض الأدوات الحجرية بغبار الطلع لبعض المزروعات في موقع منيات بـ 3450 ق. م. أما موقع أمكني فقد تم العثور فيه على الفخار وقطعتي رحى وعشر مدقات (Molettes) بجانب غبار الطلع. وهذا ما جعل كامبس يغير موقفه ويؤيد إمكانية ممارسة الزراعة في أمكني بالألف الثامن ق. م.

وعليه، يبدو من خلال ما تقدم، أن الزراعة عرفتها المناطق الصحراوية ومناطق شمال إفريقيا في وقت متقارب، نظراً لعثور الباحثين على بعض أدوات الزراعة في هذه المناطق كلها، مما يؤكد تشابه التطور في كل من الصحراء وشمال إفريقيا مما يؤيد وجود عناصر ثقافية مشتركة بينهما.

ومع ذلك، فإن هذه الافتراضات ليست نهائية ؛ ونأمل أن تسمح الدراسات والأبحاث الأثرية الجارية حول هذا الموضوع في عدد من الجهات في شمال افريقيا والصحراء بكشف النقاب عن حقبة مهمة من حقب العلاقات بين شمال افريقيا والصحراء الكبرى ودورهما في التطور الحضاري للبشرية خلال عصور ما قبل التاريخ.

وبوصول الإنسان إلى اكتشاف تربية الماشية والزراعة انتقل إلى مرحلة الاستقرار التي صاحبتها تغيرات على مستوي المجتمع والعلاقات بين أفراده وظهور نوع من التخصص في بعض الحرف، كالفخار وصناعة الأدوات الزراعية والحجرية والمعدنية وتنظيم ديني معين.

وختم العصر الحجري الحديث تطوره بابتكار الإنسان الكتابة التي ظهرت لأول مرة في بلاد سومر ثم تلتها مصر.

وبابتكار الإنسان الكتابة انتقل من عصور ما قبل التاريخ إلى عصور التاريخ.

وفيما يتعلق بدخول المغرب للعصور التاريخية فقد قيل إنه دخلها في القرن الثاني عشر قبل الميلاد عن طريق اتصاله بالفينيقيين على أساس أنه لم يعرف الكتابة قبل هذا إلا أن الدراسات والأبحاث التي أجريت حول الكتابة الأمازيغية توحي بأنها ابتكرت قبل نزول الفينيقيين بسواحل المغرب. وهذا يعني أن المغرب دخل العصور التاريخية اعتمادا على ابتكاره الكتابة وليس انطلاقا من الاتصال بشعب يعرف الكتابة.

م. أعشي، *المدخل لتاريخ الحضارة*، الرباط، 1979 ـ 1980 ؛ *ما قبل التاريخ في المتحف الأثري المغربي*، مجلة الفنون، عدد 7 ـ 8، 1975 ؛ *إسهام النقوش الصخرية بالجنوب المغربي في التعريف ببداية استئناس الحيوانات*، المناهل، عدد 58، ص. 28 ـ 45 ؛ *نماذج من التأثيرات المتبادلة بين شمال إفريقيا والصحراء الكبرى خلال عصور ما قبل التاريخ*، عدد 7، سنة 2001، ص. 7 ـ 48 ؛ *جذور بعض مظاهر وحدة أرض المغارب خلال عصور ما قبل التاريخ أعمال الجامعة الشتوية في بناء المغربي العربي*، الكتاب الأول، *المحور التاريخي*، مكناس، 1988، ص. 69 ـ 81 ؛ م. عبد الجليل الجهراوي، *الحضارة الأشولية*، *معلمة المغرب*، ج 2، 1989، ص. 472 ـ 473 ؛ *الايبيروموروزية*، *معلمة المغرب*، ج 3، 1991، ص. 917 ـ 919 ؛ موقع تارديگت الراحلة، *معلمة المغرب*، ج 6، 1992، ص. 2014 ؛ ع. الرزاق قراقب وعلي مطيهط، *حضارات ما قبل التاريخ تونس والبلاد المغاربية*، تونس، دار اليف منشورات البحر الأبيض المتوسط، 1993.

L. Balout, *Préhistoire de l'Afrique du Nord*, Paris, 1955 ; Biberson, *Le paléolithique inférieur du Maroc atlantique*, Rabat, 1961, *(PSAM, 17)* ; Id., *Le cadre paléogéographique de la préhistoire du Maroc atlantique*, *P.S.A.M.*, n° 16, Rabat, 1960 ; G. Camps, *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, éd. Doin, Paris, 1976 ; J. Roche, *L'épipaléotothique marocain*, Lisbonne, 1958 ; A. Ruhlmann, *Le paléolithique marocain*, Nouvelle esquisse d'une étude d'ensemble, P.S.A.M., n° 7, 1947, Rabat ; R. Vaufrey, *Préhistoire de l'Afrique*, t. I, Le Maghreb, Librairie Masson et Cie, Paris, 1955 ; F. Z. Sbihi Alaoui, *La vie préhistorique*, *Mémorial du Maroc*, vol. n° 1, Nord Organisation, 1983 ; G. Souville, *Atlas préhistoire du Maroc* I, le Maroc atlantique, CNRS, Paris, 1973 ; M. Ouachi, *Origines des nord africains* in *Mémorial du Maroc*, vol. n° 1, Nord organisation, 1983, 83- 103 ; Id., *La vie préhistorique au Maroc* in *Civilisation marocaine*, éditions Oum-actes Sud/sindbad, Casablanca 1996, p. 16 - 21 ; A. Le Roi-Gourhan [et al.], *La préhistoire*, Nouvelle Clio, P.U.F., 3e édition ; *Le geste et la parole*, 2 volumes, Paris, 1964-1965 ; G. Childe, *What happened in history*, harmondsworth, 1952, Penguin Books ; H. Alimen, *Atlas de préhistoire*, 1965 ; D. de Sonneville Bordes, *L'âge de la pierre*, Paris, 1961, collection Que sais-je ? n° 948 ; M. R. Sauter, *Préhistoire de la Méditerranée paléolithique*,

Mésolithique, Paris, 1958 ; L.C. Briggs, *The stone age reces of North-Africa*, Americain School of préhitoric nesearch Harvard university, Bull. 8, 1955 ; O. Bates, *The Easterne Libyans*, an essay, Londers Cass, 1914 ; C.B.M. McBurney, *The stone age of northern Africa*, Harmondsworth 1960 (Penguin, Books) ; G. Beaudet, *Le quaternaire marocain : Etat des études*, *Revue de Géographie du Maroc*, 20, 1971, p. 3 - 56 ; M. Brezillon, *Dictionnaire de la préhistoire, Dictionnaire de l'homme du XXe siècle*, Librairie Larousse, 1969 ; L. Cottrell (sous la direction), *Dictionnaire encyclopédique d'archéologie*, Gouda Hallande, 1962 ; *L'encyclopédie berbère*.

مصطفى أعشي

العصيدة أو "تكّلا" بالأمازيغية، وهو طعام خشن كما وصفه الوزان يهيأ بالطريقة التالية : "يغلى الماء في قدر ثم يوضع فيها دقيق الشعير ويحرك بقضيب حتى ينضج. تصب هذه في طبق مجوف، وتجعل في وسطه حفرة تملأ بزيت الهرجان. وتجتمع الأسرة كلها حول هذا الطبق، فيأخذ كل واحد منه بيده دون ملعقة ما يستطيع حتى لا يبقى شيء في الطبق. وفي خلال الربيع والصيف كله يطبخ هذا الدقيق في اللبن ويدهن بالزبدة، ذلك هو العشاء العادي" (*وصف إفريقيا*، 1 : 96). وذكر ابن تجلات بأن أهل أغمات عرفوا هذه الوجبة الغذائية باسم "التلبينة" "وهو خليط عصيدة الشعير أو الذرة باللبن". وهي من الوجبات التي مازال أهل المنطقة يعدونها إلى اليوم. من ناحية أخرى نجد عند فئة عريضة من سكان البادية والمناطق الجبلية، عادة الاحتفاء بـ " الحكوز" الذي هو رأس السنة الشمسية الذي يوافق الحادي عشر من يناير الفلاحي. وظل المغاربة يحتفلون بهذه المناسبة في بيوتهم ويعدون العصيدة إلى عهد قريب. وقد كادت هذه العادة عند الأسرة القروية تنسى وتنقرض. إلا أن بعض الجمعيات المغربية المهتمة بالتراث الأمازيغي قد عملت على إحياء هذه العادة. فأقامت لها مهرجانا خاصا لأول مرة بأكادير مطلع سنة 2001. والمهرجان الثاني بداية سنة 2002. وبهذه المناسبة أعدت أطباق من العصيدة قدمت للمشاركين. وعند بعض الأسر المغربية التي لها ارتباط بهذه العادة غالبا ما تعد العصيدة من دقيق الذرة وتصب فوقها الزيت وتؤكل بالأيدي دون ملاعق. وتسمى عند البعض "ملاسة" والاسم مشتق من فعل تقوم به الأم في تلك الليلة بأن تأخذ لقمة كبيرة من العصيدة وتقوم بتمليسها على أحد جدران البيت. ومنهن من تضعها على إحدى أثافي الكانون بعد الانتهاء من استعماله في تلك الليلة. وحين ينتهي الآكلون من أكلهم ينظر إلى الإناء هل بقي به شيء من العصيدة أم لا ؟. ولهم في ذلك فأل حسن واعتقاد له صلة بالتفاؤل بموسم فلاحي جيد إن شبع أفراد الأسرة وفضل من العصيدة شيء. وإن حصل العكس ظنوا الظنون واعتقدوا بأن السنة ستكون غير ممطرة ويعني ذلك قلة وضعف في المحصول. ومن العادات غير المنسجمة مع الشرع في حال انحباس المطر، قيام سكان بعض المناطق في العديد من القبائل المغربية، كقبيلة كدموية - وغيرها من المناطق الجبلية بالأطلس - بعادة معلومة لديهم تدعى "تاغنجا". ومن جملة ما يرد في طقوسها طبخ العصيدة بغير ملح وتوزيعها على أكبر عدد ممكن من الحجارة بالواد القريب من القبيلة، آملين جريانه بعد أن تجف وتأكل منها الطير. وللعصيدة حضور قوي في طقوس الموسم السنوي الذي يقام للشيخ عبد الله بن حساين أمغار نزيل تامصلوحت. ذلك، أن خدام الزاوية يعملون على تقديم العصيدة للوافدين إلى الموسم ثلاثة أيام على التوالي. والعرف عندهم أن يأخذ الآكل من الإناء ثلاث لقيمات لا يتجاوزها، وفي ذلك استحضار لبركة الولي الصالح عبد الله بن احساين أمغار. وللعصيدة معانٍ أخرى نذكر منها الذي أورده صاحب الحلية "سمعت شعبةً يقول كم من عصيدة فاتتني قال : أبو عبد الرحمن سلمة يعني كم من حديث قد فاتني". ولما مات السلطان أبو حفص استقر في الملك بعده أبو عصيدة سنة أربع وتسعين وستمائة وجاء في سبب تسميته أن الشيخ محمد المجاني سماه محمدا وأطعم الفقراء يوم ولادته عصيدة فلقب الولد بأبي عصيدة. وفي عام الرمادة مر عمر بن الخطاب على امرأة وهي تعصد عصيدة لها فقال ليس هكذا تعصدين ثم أخذ المسوط فقال : هكذا فأراها. وتذكر بعض المصادر أن طبخ العصيدة كان يتم في الطنجير كما يقول الخطيب البغدادي : "وإذا برجل يبيع حلواء وبين يديه طنجير فيه عصيدة تغلي، فأخذ رقاقة وأدخل يده في الطنجير والعصيدة تغلي فأخذ منها بكفه وطرحها على الرقاقة". وكان الأقدمون يميزون بين الحريرة والعصيدة بالمواد التي تضاف لكل منهما. يقول ياقوت الحموي : "والحريرة أن تنصب القدر بلحم يقطع صغارا على ماء كثير فإذا نضج ذر عليه الدقيق فإن لم يكن لحم فهو عصيدة وقيل غير ذلك". قال الجوهري : والعصيدة التي تعصدها بالمسواط فتمرها به فتنقلب ولا يبقى في الإناء منها شيء إلا انقلب. والعصيدة دقيق يلت بالسمن ويطبخ. يقال : عصدت العصيدة وأعصدتها أي اتخذتها. واعتبرت العصيدة في كثير من المناطق مغذية ولها أثر حميد في الذات. رؤي عن ابن طولون أنه "كان يقوم بإصلاحها ويأتي منها بجام واسع فيأكل أكثره ويطيب نفساً ببلوغ شهوته منها". ومن جلسائه من كان يعتبرها ثقيلة على الأعضاء ويحتاج الأمير إلى التخفيف منها.

ومن وجهة نظر أخرى فالحريرة تؤخذ من اللحم الغاب الذي يقطع قطعا صغيرة فيلقى في القدر ثم يطبخ بالماء الكثير والملح. فإذا أميت طبخا ذر عليه الدقيق فعصد به ثم أدم بأي أدام. "ولا تكون الحريرة إلا وفيها لحم، فإذا لم يكن فيها لحم فهي عصيدة". والسخينة دقيق يلقى على ماء أو على لبن فيطبخ ثم يؤكل بتمر أو بحساً وهو الحساء. والهبيد هو أن ينقع الحنظل أياما ثم يغسل ويطرح قشره الأعلى فيطبخ ويجعل فيه دقيق وربما جعل منه عصيدة والسخينة يقال لها أيضا "النفيتة والحدرقة والحريرة أرق منها". وعليه، فإن اسم العصيدة يطلق على طبخ الدقيق بالماء حتى

يتماسك. ويعدها البعض اليوم من السميدة بإضافة الزبدة لها. كما تعد أيضا من "البلبولة" التي أصلها من الشعير. وتعد أيضا من الذرة وغير ذلك، في مناطق أخرى من دقيق الفول أو الحمص إن انعدمت أنواع الدقيق الأخرى حين الأزمة. إلا أن ابن بطوطة سمى هذه الأطعمة بالعصيدة تشبيها بالذي عندنا في المغرب والدليل على ذلك ما ذكره في التحفة حول حب الشاماخ "وحب الشاماخ صغير جدا، وإذا جمع جعل في الشمس ثم يدق في مهارس الخشب فيطير قشره ويبقى لبه أبيض ويصنعون منه عصيدة يطبخونها بحليب الجواميس وهي أطيب من خبزه وكنت آكلها كثيرا ببلاد الهند وتعجبني. ونوع آخر يعد مما أسماه بـ "القافي" "وأكلنا بعد وصولنا عصيدة تصنع من شيء يشبه القلقاس يسمى القافي وهي عندهم مفضلة على سائر الطعام. وقد تحدثت المعاجم العربية عن معاني كثيرة مشتقة من فعل عصد يراد بها التدليل على أشياء أخرى من مثل : الذي "يعصد العصيدة" أي يديرها ويقلبها بالمعصدة. والطعام الذي يعده يسمى عصيدة. ومنها "عصد فلان عصودا إذا مات". وكذا "عصد البعير عنقه لواه نحو حاركه للموت حين الذبح". ومنها أيضا "العصد وهو اللي". و"العصد والعزد النكاح". ومن معانيها الإكراه "عصدته على الأمر عصدا إذا أكرهته عليه". وإذا قيل "للرجل عصيد" فهو نعت سوء. و"رجل عصواد" أي عسير شديد.

ابن منيع الهاشمي، *الطبقات الكبرى*، المدينة المنورة، 1408 / 1888 ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت ؛ أبو نعيم الأصبهاني، *حلية الأولياء*، بيروت، 1405 / 1985 ؛ موفق الدين بن القاسم، عيون *الأنباء*، دار مكتبة الحياة، بيوت، (د. ت) ؛ ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، دار الفكر، بيروت، (د. ت) ؛ ابن منظور، *لسان العرب*، دار صادر، بيروت (د. ت) ؛ ابن تجلات، *إثمد العينين*، تح. م. رابطة الدين، (د. د. ع) الرباط، 1986 / 1406 ؛ أ. بن عبد الله القلقشندي، *مآثر الإنافة*، الكويت، 1985 ؛ ابن بطوطة، *تحفة النظار*، بيروت، 1979 / 1399 ؛ ح. بن محمد الوزان، *وصف إفريقيا*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983 ؛ ع. الرزاق ازريكم، *أغمات وما إليها*...، (د. د. ع)، الرباط، 1993.

عبد الرزاق ازريكم

عطا (آيت -)، يطلق هذا الاسم على اتحادية كبرى مكونة من مجموعة من القبائل الصنهاجية، أهل الطبقة الثانية والثالثة حسب ترتيب ابن خلدون. تقع مواطنها بالجنوب المغربي، بين مرتفعات الأطلس شمالا، والتخوم الصحراوية - إيكَيدي - جنوبا، وواحات تافيلالت والداورة شرقا، ووادي درعة الأعلى والأوسط غربا (Spillmann, 36). ويقع مركز هذا المجال الشاسع في سلاسل وكُنَاتْ وجبل صَاغْرُو (التقى العلوي، 117).

ظل اسم آيت عطا مجهولا في الحوليات وكتب التاريخ حتى بداية العصر الحديث (حسب التحقيب الأوربي). فابن خلدون الذي يعتبر موسوعة للقبائل لم يشر إليهم بالرغم من أنه يذكر أن قبائل صنهاجة : "أوفر عدداً وشدة وبأساً ومنعة، وأعزهم جانبا أهل الجبال المطلة على تادلا ... ولهم اعتزاز على الدولة ومنعة عن الهضيمة والانقياد للمعزم ... منهم ظواعن يسكنون الخص وينتجعون مواقع القطر في نواحي بلادهم ... ينطبق هذا التعريف - في جانب كبير منه - على آيت عطا. أما الحسن الوزان الذي تميز بقوة تحريه، وشدة فضوله، فإنه لم يشر إليهم بالرغم من أنه زار منطقة تافيلالت، المجاورة لمجال تنقلهم سنة 916 / 1511. ومكث بها طيلة شهور (*وصف إفريقيا*، 2 : 128).

إن أقدم مصدر تحدث عن آيت عطا، هو إفريقيا للكاتب الاسباني مارمول، حيث وردت على شكل "Yatata". ألف مارمول كتابه حوالي سنة 979 / 1571 ؛ وأشار إلى آيت عطا كإقليم شاسع يمتد على مشارف تافيلالت (Marmol, 3 : 23).

وتربط الرواية الشفوية تكوين حلف آيت عطا بالحاجة التي أبدتها بعض قبائل صاغرو - مثل آيت وَحْلِيمْ وآيت إسْفُولْ - إلى تشييد مستودع لخزن الحبوب، حمل منذئذ اسم إغْرَمْ أمَزْدَارْ. وتشير إلى أن معظم قبائل الأطلس الكبير الشرقي قد انضوت تحت لواء هذا الحلف. فبالإضافة إلى أيْت مَرْغَادْ وأيْتْ ازْدكَ، انضمت إليه بقايا القبائل الصحراوية المتفككة بسبب الغزو المعقلي للجنوب المغربي. ونشير في هذا السياق إلى أن أحمد بن يعقوب الولالي قد ادعى أن آيت عطّا هم من أخص العرب - وهم قريش - ؛ ويستند في ذلك إلى ما تقرر في شجرة أنساب القبائل الموجودة بأيدي الفقراء أهل الصومعة (*مباحث الأنوار*، 122)، كما تشتمل الاتحادية على عناصر من الجنس الأسود ؛ ترجع أصولهم إلى العبيد الذين استقدموا إلى المغرب في عهد المرابطين، أو إلى الحراطين المنتشرين بواحات تافيلالت ودرعة منذ القديم. وقد بارك الشيخ عبد الله بن حسين مؤسس زاوية تمصلوحت، هذا الحلف، حوالي 957 / 1550 (*التقى العلوي*، 115). وتدعي الرواية الشفوية المحلية أن أحد مريديه، ولعله أحد أقربائه، ويدعى دادًا عطا ؛ هو الذي صار أبا رمزيا لهذا الحلف. بل لقد استعار اسمه من اسم هذا الشخص تيمنابه.

وهكذا انصرف آيت عطا يتوسعون نحو الشمال، فتطلبوا دعماً معنوياً، تجلى في اتصالهم بمولاي عبد الله بن حسين وبمرابطي زاوية أحنصال. وإذا لم يكن بالإمكان تحديد تواريخ هذه الاتصالات بالضبط، فإنه لا ينبغي إنكار حدوثها ؛ خاصة وأن لأولئك المرابطين نفوذاً قوياً على القبائل المستوطنة بالممرات الجبلية. كما أن دور الصلحاء والمرابطين لم يقتصر على التحكيم في النزاعات التي تنشب بين القبائل، بل تعداه إلى تسهيل انتجاع آيت عطا في المراعي الجبلية، وربما الإشراف على إبرام عقود التعزيب بين هؤلاء الرعاة والمستقرين. ولعل النفوذ الذي اكتسبه مرابطو أحنصال داخل هذه الاتحادية راجع إلى هذه الوظائف. كما

يمكن أن تدل تلك الاتصالات على أن آيت عطا كانوا يريدون المحافظة على خصوصيتهم الاجتماعية والثقافية من أجل ضمان مشروعيتهم إزاء المخزن الذي أصبحت تتداوله أيدي أسر شريفة منذ القرن 10 (16 م).

وعلى الرغم مما بذلته السلطات الفرنسية في سبيل إخضاع آيت عطا، فإن مجهوداتها كانت تذهب سدى. فحتى سنة 1930 لم تخضع إلا بعض الفرق المنعزلة الموجودة في الأطراف.

وستظل أعمال المقاومة الباسلة التي خاضتها إلَمْشَانْ (إحدى قبائل آيت عطا) بقيادة حَسُّو أوبَاسْلاَمْ، في جبل صاغرو من بين ألمع صور المقاومة المغربية الخالدة (Spillmann, 110).

وفي النهاية نختم هذا التعريف بآيت عطا برأي واحد ممن شاركوا في عمليات إخضاع هذه الاتحادية ؛ يمكننا من خلاله أن نستشف تقييما لبسالة مقاومتها : "لقد أوضحت لنا المقاومة الضارية التي لاقيناها بجبل صاغرو، من طرف أواخر الأنوية الخارجة عن طاعتنا، الخطر الذي قد يشكله العمل العسكري الكثيف الذي قامت به اتحادية آيت عطا". وتعليقا على الكيفية التي تم بها إخضاع آيت عطا يضيف : "تحققت هذه النتيجة بالتدريج، وبفضل عمليات عسكرية متوالية، وجهناها بحذر على جهات متنوعة، غالباً ما كانت بعيدة بعضها عن بعض. وكان العمل العسكري مسبوقاً بالعمل السياسي الذي مهَّد له" (Spillmann, 110).

مجموعة *وثائق زاوية كرول* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، التقي العلوي، *أصول المغاربة*، القسم البربري، دور الاتحاديات الأطلسية، مجلة البحث العلمي، العدد 23، الرباط، 1394 ـ 1974، ص. 115 ـ 134.

M. Morsy, *La relation de Thomas Pellow* ; Ch. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* ; G. Spillmann, *Les Aït Atta du Sahara* ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc* ; J. Brignon [at al.], *L'histoire du Maroc* ; L. Mezzine, *Le Tafilalet.*

أحمد عمالك

العطار، أحمد قائد غرناطي بقلعية، ربما إبن علي بن إبراهيم الغرناطي آتي الترجمة. حل بقلعية يوم 14 جمادى الثانية عام 939 / 11 يناير 1533 بعد ثلاثة أيام من استرجاع مدينة غساسة المحتلة من طرف الإسبان منذ سنة 1506. تفقد أحمد العطار المدينة المسترجعة خلال أسبوع واحد وعاد إلى فاس بعد أن ترك بها حامية مؤلفة من ثمانين فارساً وخمسين من الرماة الأندلسيين.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ مارمول كاربخال، *إفريقيا* ؛ ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإسباني بمليلة المحتلة*، الدار البيضاء، 1997.

S.I.H.M., España, t. 1

حسن الفكيكي

العطار الشامي، محمد صادق بن العلامة سليم بن الولي ياسين بن القطب الشهير حامد العطار، الشامي أصلا، الدمشقي وطنا، المغربي هجرة. هكذا عرّف الشامي نفسه في رسالته التي طبعت في طنجة سنة 1901. لا يعلم على وجه الدقة تاريخ حلوله بالمغرب، ولكنه كان موجوداً على أرضه أواخر سنة 1311 / 1896 حسبما يظهر من خطاب بعثه في 11 ديسمبر من هذه السنة إلى محمد الطريس، النائب السلطاني، واصفا فيه مظاهر الحفاوة التي استقبل بها الشيخ ماء العينين في مدينة مراكش. ولم يوضح في رسالته المطبوعة تاريخ هجرته إلى المغرب ولا الظروف المحيطة بها، غير أنه سجل فيها أنه استوطن مراكش وكسب فيها مالاً وعقاراً، كما ربط صلات وطيدة مع أعيان مغاربة أبرزهم إبراهيم بن بوشعيب الهنتاتي من مدينة أزمور.

يبدو أن الشامي وفد إلى المغرب لتعقب نشاط بعض المناهضين للسلطان العثماني عبد الحميد الثاني، خاصة أعضاء من جمعية "تركيا الفتاة"، فحرر سنة 1319 / 1901 منشوراً، باعتباره وكيلا للسلطان العثماني ومديراً للطباعة العثمانية، وقد خاطب فيه المسؤولين في المخزن العزيزي وحذرهم من بعض العثمانيين الذين شقوا عصا الطاعة على الدولة وفروا إلى أوربا ومنها إلى المغرب، حاضا إياهم على طرد هؤلاء بل قتلهم. وطالب أعضاء المخزن وسماهم : المهدي المنبهي، ع. الكريم بن سليمان، محمد الطريس، فضول غزنيط، محمد التازي وعبد الله بن سعيد، بتنبيه السلطان مولاي عبد العزيز والرعايا المغاربة لشأن هؤلاء اللاجئين "حتى تجري المخابرات الرسمية في حقهم".

وفي السنة ذاتها، وبالضبط بتاريخ 17 ـ 8 ـ 1901 ورد في أحد خطاباته إلى المخزن أن حياته معرضة للخطر على يد علي بوطالب، وهو شخص كانت له صلات واتصالات بالأتراك، دون أن يبين علّة هذا الاتهام. ولعل ذلك حصل في إطار صراع مصالح بين رجلين لهما نفس الارتباطات بالسلطنة العثمانية.

ويظهر أن محمد العطار الشامي لم يلتزم بالمهمة التي جاء من أجلها إلى المغرب، أي مراقبة الأعضاء الهاربين إلى المغرب من المنتسبين إلى جمعية "تركيا الفتاة" فخاض في أمور جرَّتْ عليه نقمة السلطان مولاي عبد العزيز، الذي صادر أملاكه وبهائمه وأمواله، وذلك قبيل وفاة الصدر الأعظم أحمد بن موسى (باحماد) سنة 1318 / 1900، وحينما فشل في استرجاع أملاكه والمحافظة على صلاته مع كبار المسؤولين بعد وفاة باحماد، فرّ إلى جبل طارق وأخذ يتهجم بشدة على السلطان وكبار رجال المخزن، مما جعل المخزن يترصده للإيقاع به، وهو ما أفصحت عنه رسالة من وزير الخارجية آنذاك عبد الكريم بن سليمان إلى النائب السلطاني محمد الطريس مؤرخة في 20 أكتوبر 1904، إذ طلب منه الاجتماع مع بناصر غنان ومحمد المقري لأجل اتخاذ التدابير الضرورية لإسكات صوته أو القبض عليه بمساعدة ممثلي فرنسا وألمانيا وانجلترة، أو توظيف الحيلة

لاستقدامه إلى طنجة وإعلان العفو عنه إذا ما أشهر توبته وتخلى عن ادعاءاته في حق المخزن.

خلف الشامي "رسالة"، تدخل في باب الرسائل النصحية، وقد فرغ من تأليفها سنة 1901 حسبما تدل على ذلك التواريخ المثبتة في الصفحتين الأولى والخامسة منها. وتمتزج في أسلوبها العامية بالفصحى. وقد تعمد كتابتها بهذه الكيفية حتى يتمكن من تبليغ أفكاره إلى أكبر عدد من المتلقين حسب قوله.

عالج في هذا الكتيب أوضاع العالم السلامي ناقداً وناصحاً، ساعياً إلى ائتلاف الجامعة الإسلامية، مركزاً على أحوال الدولة العثمانية والمغرب في عهد السلطانين عبد الحميد الثاني ومولاي عبد العزيز، ومن بين ما تناوله في هذه الرسالة خط سكة الحديد الرابط بين الشام والحجاز، مثنيا على سياسة عبد الحميد بعبارات فيها الكثير من المداهنة والتملق. وتأرجح بين تمجيد مولاي عبد العزيز وانتقاده وإلقاء اللوم عليه، ولعل ذلك بسبب المصادر المذكورة سابقا. وقد خلّف ما كتبه بشأن السلطان مولاي عبد العزيز ردود فعل سلبية في أوساط المخزن المغربي، وهو ما يدل عليه خطاب منه إلى الطريس بتاريخ 17 . 8 . 1901، حاول فيه تبرئة نفسه من التهم الموجهة إليه، معتبراً أنه قام بدور الناصح.

ومن الأمور التي تناولها في رسالته "النصيحة" ظروف تولي مولاي عبد العزيز العرش وتمرد الرحامنة بزعامة مبارك بن الطاهر بن سليمان، وتقاطر مبعوثي الدول الأوربية على البلاط العزيزي للضغط والحصول على الامتيازات.

توجد في رسالته هاته، الكثير من صيغ التملق لأسرة آل موسى، وخاصة الحاجب باحماد الذي قارنه ببسمارك واللورد سالسبوري واللورد غلادستون، معتبراً موته "كرفد الفاتحة من القرآن" (*رسالة*، 98). وما يبرر ذلك أن هذه الأسرة أحاطته بالرعاية والعطاد. وأثنى على الوزراء فضول غرنيط، المهدي المنبهي، عبد لكريم بن سليمان، محمد التازي والنائب السلطاني محمد الطريس، وبناصر غنان وعبد الله بن سعيد، ناعتا إياهم بالحكمة والدهاء وحسن التدبير والخصال الحميدة ونعوت أخرى مليئة بالغلو والتملق. وقد ذكر أنه بصدد طبع كتاب في مصر لإظهار فضائلهم، وبالفعل تجسد ذلك في مؤلفه "الثغر البسام في مآثر الوزير سيدي أحمد بن موسى الهمام" حيث عرَّف فيه بهذا الحاجب معدداً مزاياه، مترجما لعدد من أعضاء المخزن وبعض العلماء من فاس والرباط.

م. العطار الشامي، *رسالة*، مطبعة الآباء الفرنسيسكانيين، طنجة، 1901 ؛ ع. الرحمان ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 1، ص. 455 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، ج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، منشورات كلية الآداب، الرباط، ج 2، 1987 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج 4، الرباط، 1989 ؛ أ. المكاوي، *أضواء على رسالة محمد العطار الشامي الصادرة في طنجة*، مجلة دار النيابة، العدد 26 . 27 . 1990.

أحمد المكاوي

ابن العطار، **عبود** بن سعيد التنوخي، أخذ عن جملة من علماء سبتة أمثال أبي عبد الله المسيلي وابن جماح ومروان بن عبد الملك، وسمع من ابن الأصبغ وحضر مجلسه.

كان من كبار علماء سبتة في عصر المرابطين، وكان يشتغل بالقراءة والتجارة. وعينه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين قاضياً على بلده سبتة فأحسن القيام بأمر القضاء، وكان جريئاً في قول الحق لا يهاب أحداً من الأمراء، وبقي قاضياً إلى أن توفي سنة 480 / 1087. وتولى ولده محمد خطة القضاء بسبتة أيضاً بإشارة الفقيه أبي عبد الله الأموي. وكان مثل أبيه ورعا وجرأة في الصدع بالحق، لكنه كان دونه علماً.

القاضي عياض، *مذاهب الحكام*، ص. 109 ؛ ابن حمادة، *اختصار المدارك*، ملحق *ترتيب المدارك*، ج 8، ص. 197 . 198 . 203 ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار*، ص. 38.

محمد المغراوي

العطار، **علي** بن إبراهيم الأندلسي من مدينة لوشة. رافق والده في أثناء هجرة السلطان المخلوع ابن الأحمر في 3 أكتوبر 1493 ونزل بغساسة في طريقه إلى فاس الوطاسية. اختاره محمد البرتغالي الوطاسي قائد قلعية لتنظيم ما اختل من شؤون مقاومة الوجود الإسباني بمليلة المحتلة منذ سنة 1497، وذلك ما بين سنة احتلال مليلة وقبل سقوط غساسة سنة 1506، مما يفهم أن دوره كان مقتصراً على تنظيم هيكل المقاومة.

اتخذ علي العطار مركز إقامته بقلعة تازوطا الجبلية ومدينة غساسة الساحلية، فاشتغل أولاً بإعادة بناء القلعة ثم بتنظيم أسس المقاومة. وتجسمت تلك الأسس في :

إحداث طريقة النوبة لتوزيع واجب مواجهة خطر الوجود الإسباني بمليلة، وبذلك وزعت الحراسة المرابطة بنقطة الحد الأمني على الأقسام القلعية الخمسة إلى أربعة أقساط، وهي : بني شكر ومزوجة وبني بويفرور وأخيراً الكعدة وبني بوكافر.

إحداث رباط مليلة للحراسة بكدية واقعة على آخر المنحدرات المتصلة بمنعرج واد المدور وانحرافه نحو الشرق. وقد سبق أن عرفنا بالرباط في هذه *المعلمة*.

وضبط إطار الحراسة ومهامها الحربية باختيار المقدم، وهو رئيس المجاهدين بالرباط خلال نوبة الخمس القلعي المشارك. ووجد تحت نظر المقدم عدد من الغزاة المختارين من نفس الخمس الذي ينتمي إليه.

والمهمة الأساسية المنوطة بهذا التنظيم هي الحيلولة بين الإسبان دون الخروج إلى فحص المدينة بحثا عن المياه

والأعشاب والحطب والاشتغال بالعمل الزراعي ورعي الأغنام. كان لهذا التنظيم دوره الفعال في محاصرة الإسبان داخل محيط الصخرة المحتلة إلى غاية منتصف القرن التاسع عشر.

ح. الوزان، وصف *إفريقيا* ، مارمول كاربخال، *إفريقيا* ؛ ح. الفكيكي، مقاومة *الوجود الإسباني بمليلة المحتلة*.

Lorenzo de Padia, *Cronica de D. Felipe I* ; Jeronimo de Zorita, *Anales de la Corona de Aragon.*

حسن الفكيكي

ابن العطّار، محمد بن عبود التنوخي، كان أبوه عبود بن سعيد قاضياً بسبتة إلى حدود وفاته سنة 480. وقد نشأ أبو عبد الله في مناخ علمي فقهي بمدينته، فأخذ عن بعض علمائها أمثال أبي عبد الله بن عيسى التميمي، وأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن يربوع، واختص بالفقيه أبي عبد الله بن عبد الله صاحب والده، وشيوخه هؤلاء كلهم قد تقلدوا القضاء بمدينتهم.

وقد غلب على شخصية ابن عبود الورع والنزاهة والانقباض عن الناس، مع حرص على تتبع آثار السلف الصالح، الشيء الذي دفع بشيخ سبتة في التدريس والفتيا القاضي أبي عبد الله الأموي لتقديمه لتولي القضاء. فعرف ابن عبود في قضائه بالغلظة على أهل الباطل وعدم الهيبة من الأمراء. وقد طلب إعفاءه من القضاء فتم له ذلك، ويؤكد ابن حمادة في مختصر المدارك أن حزمه وورعه كانا أكثر من علمه.

لا يشير مصدر ترجمة التنوخي إلى تاريخ ولايته للقضاء وتركه له، إلا أن بعض الشواهد من تراجم قضاء سبتة في العصر المرابطي ترجح أن تكون ولايته قد تمت بعد وفاة قاضيها ابن منصور اللخمي سنة 513، واستعفاؤه سنة 515، وهو تاريخ ولاية القاضي عياض.

ابن حمادة البرنسي، مختصر *ترتيب المدارك* ؛ ملحق بالجزء 8 من *ترتيب المدارك*، تح. س. أحمد أعراب، المحمدية، مطبعة فضالة، نشر، وزارة الأوقاف، 1983، ص. 203.

محمد المغراوي

العطارين (مدرسة -) بفاس، إزاء جامع القرويين، قبالة مدخل حومة العطارين. وتشرف أيضاً على الزقاق التجاري الهام المعروف باسم رحبة القيس، نسبة إلى قبيلة قيس العربية التي نزلت مع إدريس الثاني أيام تأسيسه لعدوة القيروانيين في نهاية القرن الثاني للهجرة الثامن الميلادي وتتكون من طابقين يتألفان من 34 غرفة أعدت خصيصا لإيواء الطلبة الأفاقيين الذين كانوا يقصدون مدينة فاس لطلب العلم، منذ أيام حكم بني مرين. وقد تم بناء هذه المدرسة تحت رعاية وإشراف السلطان المريني أبي سعيد عثمان سنة 723 / 1323، في إطار السياسة الدينية العامة التي نهجها ملوك بني جنسه لنشر وتثبيت تعاليم المذهب المالكي. وقد شرع في إنجاز أشغالها في مستهل شهر شعبان من نفس السنة، وتولى أمر تشييدها وزخرفتها الشيخ المبارك عبد الله بن قاسم المزوار، فجاءت آية في الدهر لم يبن مثلها ملك من قبل على حق تعبير صاحب روض القرطاس. وعندما أصبحت جاهزة، رتب فيها السلطان المذكور، الفقهاء لتدريس العلم، وأسكنها بالطلبة وقدم فيها إماماً ومؤذنين وخدمة يقومون بأمرها، وأجرى على الكل منهم المرتبات والمؤن. واشترى عدداً من الأملاك وأوقفها عليها. وكانت هذه الأوقاف تشمل حوانيت بباب السلسلة، وعين علُّون، والجوطية القديمة وغيرها. كما حبست أملاك أخرى على ستة طلبة كانوا يتولون قراءة الحزب في الصباح والمساء في نفس المدرسة. وقد تحولت هذه المؤسسة التعليمية فيما بعد إلى حُرْمٍ بحيث لا يدخلها إلا المطهرون التقاة، وتوصف أبوابها في وجه المشركين والكفار.

ابن أبي زرع علي الفاسي، *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المطرب* وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، والوراقة، الرباط، 1972 ؛ الحوالة الجديدة لأحباس فاس، ميكروفيلم الخزانة العامة بالرباط، رقم 157.

Larbi Kninah, *L'évolution des structures économiques, sociales et politiques de la ville de Fès au XIXème siècle (1820 - 1912) : L'ouverture au marché mondial et ses conséquences*, (Thèse de doctorat, Université Libre de Bruxelles, décembre 1998, 2 t.) ; H. Reretier, *Les medrasas de Fès. Archives Marocaines*, Tome XVIII, Paris, 1912, p. 257 - 372.

العربي اكنينح

العطاوي، إبراهيم بن علي الحطوشي، أصله من تافيلالت من قبيلة آيت عطا حيث ولد حوالي عام 1256 / 1840. صحب الشيخ محمد العربي بن عبد الرحمان المدغري من أتباع الشيخ أحمد بن أحمد البدوي زْويتن "وارث سر مولاي العربي الدرقاوي وخليفته من بعده". وهو صاحب طريقة صوفية حملت اسم "الطريقة البدوية" المقتبسة من الطريقة الدرقاوية وتعتبر فرعاً منها. وقد كلف أصحاب الطريقة الجديدة السيد إبراهيم العطاوي بتأسيس عدد من الزوايا الفرعية في بلاد عبدة. فانتقل إليها حوالي عام 1297/ 1880 صحبة أبيه علي واستقر بقبيلة أولاد سلمان حيث صارت له وجاهة كبيرة. وعن حاله يقول الفقيه الكانوني : "... كان رجلاً فاضلاً ذاكراً حيياً تالياً لكتاب الله، من خير عباد الله، ذا حشمة ووقار، مطبوعاً على الجود والكرم والإيثار، من الذاكرين الله كثيراً ..." وتصدى بعد ذلك لمظالم القائد عيسى ابن عمر علي القبائل العبدية وأصبح من أشدّ معارضيه. ولما تضرر نفسه من ظلم القائد المذكور اضطر إلى الاستيطان في مدينة أسفي بعد ما حصل على كتاب من السلطان المولى الحسن موجه إلى عامل أسفي عبد الخالق بن هيمة يستوصيه به خيراً. ومما جاء في هذا الكتاب المؤرخ بـ 27 رجب عام 1305 : "...وبعد، فحاملة الطالب إبراهيم بن علي الحطوشي (العطاوي) قد أخبر أنه نازل ببلاد عبده ويلزمونه الكلفة في وسطهم وتضرر من أجل

ذلك وطلب الإضافة إلى أهل أسفي، فساعدناه، فنامرك أن تكون منه على بال وتستوصي به خيراً وتدفع عنه كل يدٍ عادية حتى لا يلحقه أحد بمكروه ..." ورغم هذا فإن القائد عيسى بن عمر ظل يتربص به الدوائر إلى أن انْقضّ عليه رجاله وأودعوه السجن الذي بقي به إلى أن توفي عام 1314، ودفن بمقبرة أمام دار القائد المذكور شمال مدينة أسفي.

معلومات *ووثائق عائلية* ؛ م. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال* ؛ م. حجي، *أحمد بن أحمد البدوي*، معلمة المغرب، ج 4 ؛ الملكي المالكي، مادة *البدوية*، معلمة المغرب، ج 4.

عبد الرحيم العطاوي

العطاوية، مركز يقع بالنهاية الشرقية للحوز على الضفة اليسرى لمخروط تساوت الشاسع على ارتفاع يتراوح ما بين 565 و623.

ينحصر ما بين الحاشية الشمالية للأطلس الكبير من الجنوب وسلسلة الجبيلات من الشمال.

يقع عند محور طرقي مهم يتمثل في الطريق الثانوية 508 بين مراكش دمنات وأزيلال، يبعد عن مراكش بـ 75 كلم في اتجاه الشرق. ثم الطريق الثلاثية رقم 6202 ينتمي إدارياً إلى إقليم قلعة السراغنة حيث يبتعد عن مدينة القلعة بـ 28 كلم في اتجاه الشمال.

أصل التسمية :

تضاربت الآراء حول أصل تسمية العطاوية فهناك من يرجعها إلى ساقية تحمل هذا الاسم وهناك من يرى أنه كانت تستقر في المنطقة امرأة من دوار أولاد عطية، القريب من المركز ونظراً لشهرة هذه السيدة وعلاقتها سميت بها القرية وكل الدوار الذي أصبح مدينة.

ارتبطت مدينة العطاوية بضريح الولي الصالح سيدي أحمد بن عبد العزيز إذ حملت اسمه لمدة طويلة وأيضا اسم الخميس (خميس بويا أحمد) نسبة إلى السوق الأسبوعي.

من النقط التي تمركز فيها الاستعمار الفلاحي بكثافة. غير بعيد عن الولي الصالح سيدي أحمد بن عبد العزيز، مركز يتولى إدارة وتسير مصالح المعمرين في عين المكان دون اللجوء إلى القلعة أو سيدي رحال.

تعرف العطاوية ديناميكية ديمغرافية مهمة جداً، حيث ارتفع عدد سكانها من 79 نسمة سنة 1936 منهم 29 أوروبياً و50 مسلما، إلى 1486 سنة 1960 ثم 2098 سنة 1971 إلى 3200 سنة 1994.

ووصل إلى 11919 سنة 1994.

وتتميز في السنوات الأخيرة بسرعة نموها الديمغرافي والعمراني مستفيدة في ذلك من موقعها وسط القطاع السقوي لتساوت الوسطى" 52 ألف هكتار" ومن كونها محوراً طرقياً نشيطاً، إضافة إلى احتضانها لأكبر الأسواق الأسبوعية على صعيد الإقليم "خميس العطاوية" وهو ما قوى ديناميكيتها التجارية.

السنوات / السكان	عدد السكان	٪ النمو السنوي
1960	1486	
1971	2098	3,18
1982	3200	3,91
1994	11219	11,01

ف. العمرني، *الأنشطة الاقتصادية الدائمة ودورها في توسيع المراكز الحضرية الصغرى نموذج العطاوية*، بحث لنيل الإجازة، مراكش، 98 ـ 1999 ؛ ع. الله المعطرش، *الإشعاع الاقتصادي والاستقطاب المجالي للمراكز الحضرية الصغرى نموذج العطاوية*، بحث لنيل الإجازة، مراكش، 98 ـ 1999 ؛ ع. الكريم حفار، *قلعة السراغنة مدينة متوسطة وقطب تنمية محلي غير مكتمل*، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا، مراكش، 2000 ؛ م. الأكلع، *دراسة جيومورفلوجية للنهاية الشرقية للحوز*، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا، مراكش، 1989.

محمد الأكلع

عطوش (بنو –) فرع من قبيلة گومية التي ينتمي إليها بنو عبد المومن خلفاء الدولة الموحدية فأصبح بنو عطوش من أعوانها، وممن ورد ذكرهم :

أبو محمد بن عطوش الذي نجد له ذكرا في البيان المغرب بعد استيلاء بني غانية القادمين من ميورقة على مدينة بجاية وما حولها منافسين للسلطة الموحدية، حيث أرسل الخليفة يعقوب المنصور سنة 581 حملة برية بقيادة أبي زيد ابن أبي حفص بن عبد المومن وأخرى بحرية بقيادة أبي محمد ابن أبي إسحاق ابن جامع ومعه القائد أبو العباس الصقلي وأبو محمد بن عطوش، وتمكنت الحملة من استرجاع المدن التي وقعت بيد بني غانية.

ومنهم أيضاً : أبو موسى بن عطوش الذي ذكر من بين أصحاب شرطة الخليفة الرشيد الذي امتدت خلافته بين سنتي 630 و640، ومنها انتقل بعد وفاة أخيه إلى مهمة "الأشغال" (أي الشؤون المالية) لدى الخليفة الرشيد كما ذكر صاحب البيان المغرب دون أن يذكر اسمه، وهو بالتأكيد غير أخيه أبي زكرياء يحيى الآتي ذكره والذي خدم الرشيد ثم الخليفة السعيد. كما تكرر ذكر أبي موسى من جملة أعوان الرشيد دون تحديد وظيفته التي يبدو أنها كانت عسكرية، فقد وردت الإشارة إليه بمناسبة تدبير الرشيد لعملية استدراج مسعود بن حميدان شيخ الخلط وقتله داخل القصر بعد قتل أحد المتآمرين معه وهو أحد رجال الرشيد من هسكورة، وقد أمكن التخلص من هذا الأخير بواسطة الفرقة الگومية وعلى رأسها أبو موسى بن عطوش وذلك سنة 632. وتكرر ذكر أبي موسى ابن عطوش بعد استقرار الرشيد بفاس وتوجيه حملة عسكرية لجباية غمارة بقيادة الوزير السيد أبي محمد فاستخلف على الوزارة أثناء غيابه الشيخ أبا موسى ابن عطوش بينما رافقه في الحركة أبو زكرياء يحيى بن عطوش "مشتغلا" له أي مسؤولا ماليا، فتمت جباية المناطق الغمارية

وكذا الفازازية في هذه الفترة أي سنة 633 خاصة بعد مقتل منافسه المعتصم بن الناصر في هذه المدة.

ومنهم أبو زكرياء يحيى ابن عطوش أخو أبي موسى السابق الذكر، يشير ابن عذاري إلى وجوده بالقصر الكبير مسؤولا عند تولي الرشيد الخلافة وربما كان يتولى مهمة أشغال القصر الكبير، وقد ترك عنده أبو محمد سعد بن أبي سعيد بن المنصور عياله خوفا من الرشيد، إلا أن هذا رحب به واستوزره. وفي سنة 633 كلفه الرشيد بقيادة حملة إلى غمارة لجبايتها ورافقه في الحملة يحيى بن عطوش مشتغلا له أي مسؤولا ماليا. ثم عينه الرشيد "مشتغلا" على أزمور وهو الذي استقبل عمر بن وقاريط الهسكوري المرسل مكبلا من إشبيلية في زورق إلى أزمور. وكان ابن وقاريط هذا غدر بمدينة سلا فيها لابن هود، ثم فر إلى الأندلس فقبض عليه في إشبيلية بعد أن دخلت في بيعة الرشيد سنة 636 وأرسل مكبلا إلى أزمور ثم أرسله "المشتغل" بها ابن عطوش كذلك إلى مراكش حيث قتل ؛ وذكر ابن عذاري وجود ابن عطوش في مهمته هذه بأزمور في أوائل عهد الخليفة السعيد (640 ـ 646) وذلك عند حديثه عن قبض هذا الخليفة على أحد كبار رجال الدولة وهو ابن وانودين الهنتاتي واعتقاله بأزمور سنة 642، فدبر الحيلة في الفرار إلى جبال هنتاتة بين عصبيته مما أدى إلى اعتقال ابن عطوش مدة، ثم ظهرت للرشيد براءتهم فسرحه واستوزره.

خلال هذه المدة كان قاضي رباط الفتح هو أبو المطرّف ابن عميرة البلنسي منذ أواخر عهد الرشيد، فأقرّه السعيد (الملقّب أيضاً بالمعتضد) في مهمّته قبل نقله إلى مكناسة، وكان لابن عميرة اتّصالات بالوزير ابن عطّوش، فنجد له رسالة يمدح فيها الوزير تبدأ بقطعة نثرية أولها : "إلى الوزارة المعظّمة أنجدها الله ..." تتلوها قصيدة.

وخلال حركة السعيد إلى تامسنا والغرب سنة 643 كان وزيراه يومئذ أبا إسحاق بن الأمير أبي إبراهيم المعروف بالطاهر وأبا زكرياء يحيى بن عطوش، وقد فشل السعيد في مواجهته آنذاك مع المرينيين ؛ ثم حضر معه حركته إلى تلمسان سنة 646 وقتل معه هناك وكان قد نصح السعيد بعدم اقتحام جبل تلمسان خوف كمائن بني عبد الوادي فلم يعمل بنصيحته.

ومن بني عطوش أيضا من سماه صاحب الذخيرة السنية بابن عطوش دون توضيح وذلك بمناسبة توجيهه من عناصر مؤيدة لأبي دبوس فاستغلّ هذا الغياب واقتحم العاصمة بأنصاره مدعوماً بالهساكرة وفرقة مرينية أول سنة 665، فاضطر المرتضى للفرار عنها. ويظهر أن المقصود هو غير عبد العزيز والي أزمور الآتي ذكره.

ومن بني عطوش أبو فارس عبد العزيز الذي كان والياً على أزمور في عهد المرتضى وكان زوج ابنة هذا الخليفة، وقد افتكّه من الأسر لدى المرينيين قبل أن يولّيه أزمّور ؛ وعندما وقع انقلاب الواثق على المرتضى وهرب هذا إلى صهره والي أزمور أول سنة 665 قبض عليه وبعثه إلى الواثق الذي أمر بقتله في الطريق. وتكرر ذكر عبد العزيز ابن عطوش بمناسبة حركة الواثق إلى هسكورة لجبايتها فوجّهه الواثق إلى شيخها مسعود بن جلداسن الهسكوري "في مصالح ومهمات" ! فقنع الخليفة منه بالطاعة وارتحل بجيشه عن قبيلته، كان هذا في شعبان من نفس السنة التي تولّى فيها الخلافة وهي سنة 665 ؛ ويظهر أنه هو نفسه ابن عطّوش الذي أشار ابن خلدون إلى محاولة فاشلة لاستمرار الدولة الموحدية في مركزها الروحي بجبل تينملل ؛ حيث بويع أحد إخوة الخليفة المرتضى واسمه إسحاق "وكان المتولّي لكبر ذلك وزير دولتهم ابن عطّوش"، غير أنّ الجيش المريني تمكّن من القضاء على هذه المحاولة سنة 674 فقتل ابن عطّوش والخليفة المبايع مع جملة من الأعوان.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، ط. 1985، ص. 177 ـ 299 ـ 300 ـ 302 ـ 346 ـ 359 ـ 312 ـ 336 ـ 369 ـ 370 ـ 436 ـ 441 ـ 442 ـ 450 ـ 451 ؛ مؤلف مجهول، *الذخيرة السنية*، 81 ـ 82 ـ 110، نسب الناشر الكتاب لابن أبي زرع ؛ ابن خلدون، *العبر*، 7 : 400 ؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص. 163 ؛ أ. عزاوي، *الغرب الإسلامي من خلال رسائله*، ق 2، الرسالة رقم 62، أطروحة مرقونة.

أحمد عزاوي

عطيّة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Attia - Atea - Atia ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1175.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **عطيّة**، أسرة سلاوية أصلها من إشبيلية أواخر القرن التاسع الهجري (15 م) وسكنوا مدينة الرباط، وكان لهم بها صيت حسن وأسسوا مسجداً بحومة أبي القرون عام 1093 / 82 ـ 1683 ثم انتقلوا إلى مدينة سلا واستقروا بها، وكان لهم شفوف وحظوة بها خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 و19 م) وقد أنجبت عدداً من الفقهاء والمدرسين، وانتقل بعض علمائهم إلى مدينة فاس في النصف الثاني من القرن الحادي عشر (17 م).

ابن **عطية، أحمد** بن **جعفر** بن محمد بن عطية القضاعي المراكشي، يكنى أبو جعفر وينتسب لأسرة عربية حميرية دخلت إلى الأندلس أيام الفتح الإسلامي للأندلس وبعده واستقرت في الشرق ناحية طرطوشة لاندري متى انتقلت أسرته إلى مراكش التي ولد بها سنة سبع عشرة وخمسمائة حسب ابن الابار وعند ابن الخطيب أنه ولد سنة 527 ولا يتناسب هذا التاريخ مع ما قيل من تصدره

للكتابة في بلاط علي ابن يوسف. كان والده جعفر بن محمد بن عطية من أهل الحفظ للحديث والمعرفة بالتوثيق قيل أنه كان من كتاب علي وابنه تاشفين وأنه بقي مخلصا لهذه الدولة فتصحل في قبضة الموحدين وعفوا عنه إلا أنه عزم على الفرار أثناء محاصرتهم لفاس سنة 540 فالقى عليه القبض من جديد وقتله عبد المومن بعد ذلك. إلا أن اسمه لم يرد ضمن مجموعة كتاب الدولة المرابطية اللهم إلا إذا كان من كتابهم المغمورين الذين قال صاحب المعجب في حقهم بعد ذكر المشاهير "في جماعة يكثر ذكرهم".

نشأته ودراسته :

لم تتحدث المصادر عن هذه الفترة من حياة أبي جعفر واكتفى ابن الخطيب بالقول بأنه "أخذ عن أبيه وعن طائفة من أهل مراكش" دون ذكر أسمائهم.

وكانت حركة التعليم والتدريس نشيطة في مراكش خلال حكم علي بن يوسف إلا أن الفترة التي كان فيها، أبو جعفر في سن الدراسة (بعد سنة 530 على وجه التقريب) بدأت تتأثر بدعوة المهدي بن تومرت وقد دق أبوابها بخيوله قبل هذا التاريخ، واستمر خليفته عبد المومن في تهديد الاستقرار والهدوء ويحدث الخلل والاضطراب في سير الدروس ونشاط حلقات العلم.

وعلى كل حال فيمكن اعتبار هذا الوالد الفقيه الأديب أهم معلمي أبي جعفر فقد لقن ابنه أسرار صنعة الكتابة، وافاده بتجربته في هذا المجال فاختصر بذلك المراحل، وكان عاملا من عوامل نبوغه المبكر. ولايبعد أن يكون قد سعى له عند مخدوميه ليكون من زمرة كتابهم. وأعده لذلك أعداداً كاملا إذ عمله الفروسية والرماية، فكان من أحسن الرماة في شبابه وسلك نفس النهج مع ابنه الاصغر أبي عقيل.

اتصاله بالمرابطين :

تتفق المصادر على أن أبا جعفر كتب عن علي بن يوسف في آخر دولته، وعن تاشفين وابنه أبي إسحاق، وهذا يعني أنه تصدر للكتابة وعمره لم يبلغ بعد العشرين سنة، وفي بلاط كان يجمع مشاهير كتاب الأندلس كابن القبطرنة وأبي عبد الله بن أبي الخصال وأخيه أبي مروان وأبي محمد عبد المجيد بن عبدون ولا يمكن أن يصمد بين هؤلاء إلا من توفرت له موهبة خاصة بالكتابة وأساليبها. ورعاية خاصة تحميه من دسائس البلاطات واحقاد الكتاب. وقد تم له ذلك بفضل علاقة والده بالمرابطين مما مكنه من اكتساب مكانة بين جمهور الكتاب عبر عنها ابن الخطيب بقوله (وكان احظى كتابهم).

وزادت هذه المكانة على عهد تاشفين إذا أنه كان من رفقائه خلال مطاردته لجيش عبد المومن في المغرب الأوسط. ووجهه تاشفين قبل شهر من مقتله بوهران - ودون باقي أفراد حاشيته - مع ابنه الصبى وولى عهده أبي إسحاق إبراهيم إلى مراكش خوفا عليه.

وتمكن من النجاة بنفسه بعد إلقاء الموحدين القبض على الأمير المرابطي. فلم يجد أبو جعفر سبيلا للخلاص مما هو فيه إلا بالتنكر والانخراط في سلك الجندية وهو الذي شب على الرماية والفروسية وقد كان الموحدون - لكثرة حروبهم وما عرف عندهم بوقائع التمييز - بحاجة مستمرة للمحاربين يجندون الأفراد والقبائل. وقد تم ذلك في أواخر سنة واحد وأربعين وخمسمائة. والظاهر أن هذا الانخراط لم يكن لأجل المعاش، وإنما كان يعد نفسه للظهور من جديد وخدمة الدولة المنتصرة.

في البلاط الموحدي :

لم تطل فترة الانتظار إذ أن الفرحة قد سنَحت في السنة الموالية 542 وفيها عظم أمر محمد بن هود المسمى بالماسى الذي تشبه بالمهدي بن تومرت وادعى أنه الهادي فتبعه الناس. وتمكن من هزم الجيش الأول الذي رماه به عبد المومن بقيادة يحى بن الصحراوية القائد المرابطي السابق. فلم يجد الخليفة بدا من تعيين ساعده الأيمن القائد المحنك أبي حفص عمر الهنتاتي على رأسه جيش ثان لاخماد هذه الثورة بسوس وكان أبو جعفر من رماة هذا الجيش.

وبعدما هزم الماسي طلب أبو حفص كاتبا يكتب خبر النصر للخليفة فدل على أبي جعفر. فكتب الرسالة التي أثارت انتباه عبد المومن، فاستدعاه للالتحاق بركب كتاب دولته.

وكلف ابن عطية بمهام جليلة أثناء السلم والحرب، في المغرب والأندلس فقام بها أحسن قيام، وكان لا يفارق عبد المومن في حله وترحاله فالرسائل التي كتبها له صادرة من مدن ومناطق عديدة.

وتحدثت المصادر عن ابن عطية وسيرته في الناس فقالت، (واسند إليه الوزارة فنهض باعبائها، وتحبب إلى الناس باجمال السعي والاحسان فعمت صنائعه وفشا معروفه وكان محمود السيرة، ناجح المساعي، سعيد المآخذ ميسر ..).

فازدحم أصحاب الحاجات على بابه وحملت إليه قصائد المدح. ومن مشاهير الشعراء الذين مدحوه أبو حبوس الفاسي شاعر الخلافة.

اختلفت الآراء حول أسباب قتل عبد المومن لكاتبه ووزيره أبي جعفر بن عطية ذكر صاحب المعجب أن السبب الأكبر في ذلك عائد إلى افشائه لسر من أسرار الدولة. وقيل بل يعود السبب إلى تحيزه إلى شخصيات مرابطية، وسعيه إلى الرفع من شأنها واعلاء ذكرها. ولا يجب أن نغفل دور الوشاية والمنافسة التي كانت محتدة بين كتاب البلاط الموحدي عموما وبين المغاربة والأندلسيين منهم خاصة. وكان لنجاح ابن عطية ونبوغه، وعلو مقامه في وقت وجيز، مع صغر سنه، دور في تكاثر حساده وتالبهم ضدّه.

وقد استغلوا مناسبة خروجه إلى الأندلس مع أبي سعيد بن عبد المومن لاخماد ثورة على الوهيبي بالمرية واشبيلية فسعوا إلى الوشاية به وألقوا بين يدي الخليفة أبياتا تحرضه.

وتصف المصادر هذه النكبة بتفصيل : فقد انتهى الخبر

إلى ابن عطية وهو بالأندلس فقلق وعجل الانصراف إلى مراكش، إلا أنه حجب عند قدومه وقيد إلى المسجد خاسر الرأس. وتمت محاكمته أمام الملك وأدلى اعداؤه ووشاته برأيهم فيه فأمر بسجنه ولف معه أخوه أبو عقيل.

واعتذر ابن عطية للخليفة عما صدر عنه طالبا عطفه وصفحه وأرسل إليه رسالة نثرية بليغة اردفها بقصيدة.

إلا أن عبد المومن لم يزد على أن علق على الأبيات بقوله تعالى (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) وأمر بقتله هو وأخوه يوم 29 صفر سنة 553.

لم يصلنا كل ما كتبه ابن عطية من شعر ورسائل، بالنسبة للشعر : تنسب له النونية التي قالها في الاعتذار لعبد المومن واستعطافه. أما المساجلة الشعرية الغزلية التي يقال بأنها دارت بينه وبين الخليفة عبد المومن فالظاهر أنها منتحلة مصنوعة :

أ ـ كل الذين أوردوا خبرها لم يجزموا بذلك : فصاحب الأنيس المطرب أوردها بلفظ "قيل". وصاحب نفح الطيب أوردها بلفظ "وقد حكى". وصاحب الاستقصا صدرها بقوله "يروى".

ب ـ تسير هذه المساجلة الغزلية في اتجاه معاكس تماما للعقيدة الموحدية ومبادئها، خاصة في هذه الفترة التأسيسية. وقد كانت لعبد المومن مواقف واضحة وحاسمة من كل أنواع المجون والاستهتار.

رسائله :

وصلتنا عشرون رسالة لابن عطية :

ـ سبع عشرة منها وردت في مجموع بروفنصال، نسبت له احداهما خطا وهي الموجهة إلى الطلبة والموحدين بغرناطة في موضوع بناء مدينة جبل طارق لأنها مؤرخة في ذي القعدة سنة 554 أي بعد وفاة أبي جعفر.

ـ والثامنة عشرة في نظم الجمان. كتبها كلها لعبد المومن وأغلبها من مراكش (بعضها من بجاية وتلمسان)، موجهة إلى الطلبة والأشياخ والأعيان في مختلف مدن الامبراطورية الموحدية.

وابن عطية هو واضع خصائص الترسل الموحدي. وتشتمل رسائله على أربعة أقسام :

1) الافتتاح : يذكر فيه اسم المرسل إليه، كقوله :

(من أمير المومنين أيده الله بنصره، وأمده بمعونته، إلى الطلبة الذين بتلمسان، ادام الله كرامتهم بتقواه، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...).

2) المقدمة : وتشتمل على :

ـ البعدية

ـ التحميد

ـ الصلاة على الرسول : وقد تطول عباراتها أو تقصر.

ـ الترضية على الصحابة، وتقع الترضية أحيانا على الخلفاء الراشدين.

ـ الرضا على الإمام المعصوم المهدي المعلوم .. بعبارات متشابهة تسير على هذا المنوال (... والرضا عن الإمام المعصوم المهدي المعلوم وليه الذي تقبل سبل الهداية واقتفاها، واقام رسول الشريعة على رغم من جحدها ونفاها).

ـ تحميد الخليفة الحاكم.

وسار كتاب الدولة الموحدية على هذا النهج إلى أن وقع التنكر للمهدوية على عهد المامون.

3) العرض : وفيه يتناول الكاتب موضوع الرسالة، والغرض من كتابتها ويذكر الحادثة بتفصيل مع التعليق عليها بالاعتبار والنصح. لهذا جاءت أغلب رسائله طويلة.

ولا تخلو رسائل ابن عطية من السجع الذي يعد، من مستلزمات الكتابة الديوانية، إلا أنه لا يبلغ حد الزخرفة والتضع. وتاتي الاقتباسات والاستمدادات القرآنية للاستدلال وتدعم الموضوعات الدينية الأمر بالمعروف، النصيحة والاعتبار، أو الحربية (الآيات المنددة بالكفر، عقاب المرتدين، جزاء المجاهدين ...) التي تحمدها، الرسائل، مما يكون له تأثير على المرسل إليهم.

أما الاستشهادات الشعرية فقليلة بالرغم من أن ابن عطية كان شاعرا.

4) الخاتمة : بعد انتهاء العرض يختم الكاتب الرسالة بعبارة "السلام عليكم". مع ذكر التاريخ في بعض الأحيان. وقد ذكره في عشر رسائل فقط. بينما جاءت باقي الرسائل خالية من التاريخ. ولا تخفى أهمية ذكر تاريخ الرسائل قي توثيقها وفهم كثير من اشاراتها والملاحظ أن الكتاب الذين جاءوا بعد ابن عطية كانوا احرص على تحديد تواريخ كتابة رسائلهم ..

مع ذلك يبقى ابن عطية نموذجا يقتدى به في كتابة الرسائل من طرف كتاب هذه الدولة. ولعل عبد المومن قد اعترف بتقدمه صراحة في العبارة التي صدرت عنه في حقه (ذهب ابن عطية وذهب الأدب معه).

نفح الطيب ؛ *الإحاطة* ؛ الحلة السيراء ؛ *الإحاطة* ؛ ابن القاضي، *الجذوة*، 175 ط، دار المنصور، 1973 ؛ المعجب، ط 173، ط العريان ؛ العبر، 6 : 480 ؛ *الاستقصا*، 2 : 100 ؛ *المقدمة*، 1 : 190، دار العلم ؛ *العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين*، ص. 139 والدولة الموحدية، (أثر العقيدة في الأدب) 49 ـ 52، طبعة ثانية.

حسن جلاب

ابن **عطيَّة، أحمد** بن **محمد**، عالم تتلمذ على يد الشيخ عبد الله بن حسون بمدينة سلا، ثم رحل إلى فاس للأخذ عن علمائها. كان يتردد صحبة أخيه مَحمد (فتحا) ـ آتي الذكر ـ لزيارة أبي المحاسن يوسف الفاسي في كل جمعة واستفاد منه. تصدى المترجم للتدريس بمسقط رأسه، وأكثر ما أخذ عنه الطلبة الفقه والعقائد. توفي أحمد بن محمد ابن عطية عام 1016 / 1607.

ابن **عطيَّة، أحمد** بن **مَحمد الحارثي** بن محمد، فقيه متصوف، تتلمذ على يد جده محمد بن عطية واستفاد من علي بن عبد الرحمان الدرعي التادلي. حلاه مترجموه بصفات تبرز ملاحه ومعرفة بطريق التصوف. ألف المترجم التفكير والاعتبار، في تاريخ المصطفى وبعض أصحابه الأخيار، ومن اتبعهم من العلماء السادات الصوفية الأبرار، فرغ منه عشية يوم الجمعة 18 ربيع الثاني 1111. كما ألف سلسلة الأنوار، في ذكر طريقة السادات الصوفية الأخيار".

توفي يوم الجمعة 18 ربيع الثاني عام 1129 / 1717.

ابن **عطيَّة، التهامي**، فقيه، من عدول سلا كان خطيباً بمدينة سلا. توفي في 26 شعبان 1234 / 1819.

وكان بعض أبناء هذه الأسرة انتقلوا من طرطوشة إلى مراكش في القرن السادس (12 م) وأدركوا حظوة عظيمة عند الموحدين.

ابن **عطيَّة، محمد** بن **علي**، فقيه معاصر للشيخ عبد الله بن حسون، كان مقرئا مجوداً يلقن علوم القرآن. حرص على تكوين ولديه أحمد ومَحمد ـ المذكورين آنفا ـ سكت مترجموه عن سنة وفاته، ويبدو أنها كانت في العقد الأول من القرن السابع عشر.

ابن **عطيَّة، مَحمد** بن **محمد**، بن علي، شيخ متصوف، وعالم مشارك. قرأ في سلا على الشيخ عبد الله بن حسون وعلى أبيه وأخيه أحمد. رحل إلى مدينة فاس قصد تعميق معارفه فاستفاد من علماء بارزين أمثال الإمام القصار، وأحمد المقري والشيخ ابن عاشر. تصدى المترجم بتدريس العلم والقراءات بمدينة فاس فانتفع به كثير من الطلبة أمثال مولاي عبد الله بن إبراهيم دفين وزان، وعبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي. أخذ مَحمد ابن عطية الطريقة عن الشيخ أبي الحسن علي الحارثي، عن أحمد بن موسى عن الشيخ التباع. ذكر مترجموه أنواعاً من كراماته ورووا عنه أقوالاً في الطريقة، وأشاروا إلى أنه كان مواظبا على زيارة الصالحين الأحياء والأموات. ألف المترجم فهرسا، واختصر كتاب "مفتاح الجنة، بشرط العمل بالكتاب والسنة" للشطيبي. ظل مَحمد ابن عطية يدرس بفاس إلى أن توفي عن سن عالية يوم الجمعة 18 ذي القعدة عام 1052 / فاتح فبراير 1643، ودفن بالرميلة بزاويته الشهيرة بفاس.

م. الإفراني، صفوة، 80 ؛ م. القادري، نشر، 1 : 184 ؛ م. الكتاني، سلوة، 1 : 371 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تح م. بوشعراء، ط 2، 192 ؛ م. بن أبي بكر التطواني، *كناشة*، مخطوط، خ ص. رقم 454، ص. 36 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 445 ـ 446.

محمد السعديين

العظاءة كما في اللغة والمعاجم وزرمومية وزرزومية كما هو شائع عند العامة في المغرب العربي وسقاية في الشام وسحلية في مصر وتازرموميت بالأمازيغية وبالفرنسية Lézard وبالإنجليزية Lizard، حيوانات من الزواحف رباعيات القوائم Reptilia ومن رتبة متفوقات الألسن وفصيلة العظائيات Lacertidae. تم إحصاء 26 نوعا في المغرب يألف المناطق الجافة وشبه الجافة الإفريقية والآسيوية وأوروبا الجنوبية وتتحمل حرارة مرتفعة، نذكر من بينها :

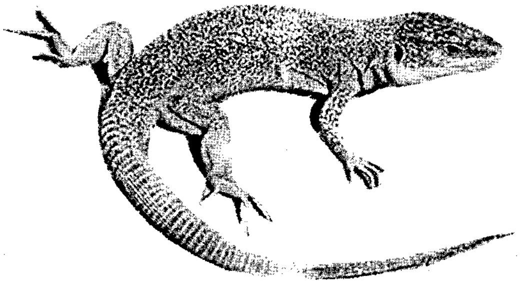

عظاءة غربية Ophisops occidentalis.

عظاءة ذات نظارات Lacerta perspicillata تسمى بالفرنسية Lézard à lunettes.

العظاءة العينية أو رضاعة البقر Lézard ocellé تسمى بالفرنسية Lacerta lepida pater.

عظاءة الجدران Lacerta hispanica vaucheri تسمى بالفرنسية Lézard des murailles.

عظاءة الأطلس Lacerta andreanskyi تسمى بالفرنسية Lézard de l'Atlas.

عظاءة ذهبية Acanthodactylus scutellatus aureus تسمى بالفرنسية Acanthodactyle doré.

عظاءة مدنوة Acanthodactylus scutellatus تسمى بالفرنسية Acanthodactyle pommelé.

عظاءة خشنة Acanthodactylus boskianus asper تسمى بالفرنسية Acanthodactyle rugeux.

عظاءة شائكة الذيل Acanthodactylus spinicauda تسمى بالفرنسية Acanthodactyle à queue épineuse.

العظاءة الفهد Acanthodactylus pardalis تسمى بالفرنسية Acanthodactyle panthère.

عظاءة العامية Acanthodactylus erythrurus تسمى بالفرنسية Acanthodactyle vulgaire.

عظاءة مخططة Psammodromus algirus تسمى بالفرنسية Psammodrome à six raies.

عظاءة صغيرة الأصابع Psammodromus microdactylus تسمى بالفرنسية Psammodrome de petits doigts.

عظاءة الجزائر Psammodromus d'Algérie تسمى بالفرنسية Psammodromus blanci.

عظاءة منقطة Eremias rubropunctata تسمى بالفرنسية Eremias à points rouges.

عظاءة صغيرة الفم Eremias guttulata تسمى بالفرنسية Eremias à goulettes.

عظاءة الصحراء Eremias pasteuri تسمى بالفرنسية Eremias du Sahara.

عظاءة ذات قطرات Eremias olivieri تسمى بالفرنسية Eremias à gouttelettes.

تتميز أنواع العظاءة بجسم رشيق وبقوائم أربع تنتهي بخمسة أصابع رقيقة وطويلة ذات مخالب وبرأس دائري ومسطح شيئا ما، كبيرة لدى الذكور وصغيرة عند الإناث، شديدة الحركة، الذيل طويل مستدق الرأس. اللسان طويل لزج يستعمل للذوق واللمس ولاصطياد الحشرات والديدان والحلزونات وغيرها من الحيوانات الصغيرة. تقع أعضاء الشم على المنخرين الموجودين بين العينين. الأذنان باطنيتان مسمعهما ضعيف وغير متطور بما فيه الكفاية. العينان مغلفتان بغشاءين يضاف إليهما غشاء مختلج. يبلغ الطول الأقصى للكبيرة جمعا بين الجذع والذنب 30 ـ 60 سم. الحراشف البطنية صغيرة مرتبة على صفوف طولية. المنطقة الشرجية محاطة بحراشف شبه دائرية.

من خصائص العظائيات أيضا القدرة على استعادة نمو الذيل بعد بتر جزء منه وهي ظاهرة دفاعية يستعملها الحيوان ليفلت من الخطر في حالة القبض عليه. يتغير الجلد دوريا عن طريق الانسلاخ لتتخلص العظاءة من جلد القحف المتقادم. تتوفر عدة أنواع على كمية كبيرة من الخلايا الصبغية أو الملونة تستعمل لتغيير اللون وفق البيئة المحاطة بها. تعيش العظاءة منعزلة أو مزدوجة ويكثر نشاطها في فصلي الربيع والصيف وهي فترة التناسل ووضع البيض وتختفي في فصل الشتاء في الجحور وبين شقوق الصخور والجدران لتشتي طيلة أيام البرودة.

أنواع العظائيات في المغرب بيوضة تتغذى من الخنافس والعناكب والعقارب وأم الأربع والأربعين والحشرات والديدان والحلزونات وغيرها من الحيوانات الصغيرة. شائعة في مختلف المناطق الوسطى والجنوبية والشرقية والشمالية بالمغرب. تضع الإناث بداخل الجحور 6 ـ 20 بيضة وتظهر الصغيرة في غشت ـ شتنبر وتتغذى من النمل والحشرات الصغيرة.

م. رمضاني، بوبريص، *معلمة المغرب*، الجزء 5، ص. 1627 ـ 1628 ؛ م. رمضاني، *الزواحف*، *معلمة المغرب*، الجزء 14، ص. 4743 ـ 4744 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ المعلوف أمين، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

Salvador, *Guia de los anfibios y reptiles españoles*, Inst. Nacion. Conserv. Natur. Madrid, 1974, 274 p. ; J. Bons, *Les Lacertiens du sud-ouest marocain : systématique, répartition géographique, ethologie, écologie*, Trav. Inst. Sci. Chérif., Zoologie; 18, 130 p., 1959.

محمد غربوعة ومحمد رمضاني

عفيف، أحمد بن علي الباعمراني، "هو الأستاذ الكبير. القليل النظير. في الجد والعزوف وعلو الهمة". وهو من أساتذتي اللامعين تنطبق عليه شهادة المختار السوسي هذه تمام الانطباق، بما له من علم وافر وسعة في الأخلاق، ونشاط دائب في سلوك حضاري حازم.

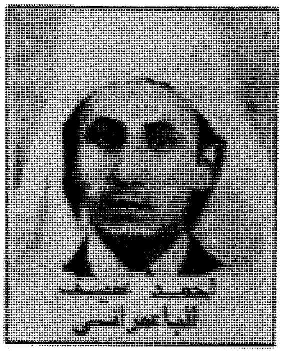

ولد سنة 1922 في إحدى قبائل أيت باعمران، وحفظ القرآن هناك وأخذ العلم في مدارسها ويذكر بالخصوص أستاذه الشهير أبا العباس أحمد اليزيدي الذي أخذ عنه الكثير، وعلى عادة أهل سوس انتقل إلى إحدى الحواضر ليستكمل تكوينه العلمي فحط بمدينة مراكش ولازم العلامة محمد المختار السوسي في مدرسة الرميلة بباب دكالة بمراكش في الأربعينيات من القرن العشرين كما لازمه عندما انتقل إلى الدار البيضاء في بداية الخمسينيات فاستفاد من حلقات دروسه حتى نال شفوفا في تكوينه، خاصة في اللغة العربية والمواد الإسلامية، ثم التحق بالتدريس سنة 1952 في مدرسة حرة تدعى المحمدية بالرباط إلى أن جاء الاستقلال سنة 1956. فتقدم في زمرة من أقرانه إلى امتحان شهادة العالمية النهائية بالقرويين، التي فتحت في وجه العلماء قصد قبولهم في الوظائف الرسمية، فنجحوا جميعا، وكان من ضمن المجموعة الأولى من الأساتذة الذين أقبلوا للعمل في معهد محمد الخامس بتارودانت في أكتوبر سنة 1956 وقد كان له إشعاع هناك بين الطلبة لوفرة علمه وطهارة سريرته، فتخرج على يده الكثيرون. وفي سنة 1962 عين مراقبا عاما لطلبة المعهد وكان عددهم يناهز ألف طالب داخلي فظهر تأثيره في سيرتهم المثلى، وكان قد تزوج في الرباط وله أربعة أبناء. وكان في فجر حياته العلمية لما أصيب في حادثة سير كانت وفاته بعدها بزمن يسير في 12 يناير 1969، وقد برت جمعية علماء سوس بأبنائه فمنهم اليوم أساتذة جامعيون وهم ثمرة يانعة من سيرته.

م. المختار السوسي، *المعسول*، مطبعة النجاح، 1962، ج. 12، ص. 174 ؛ ع. الساحلي المتوكل، *المعهد الإسلامي بتارودانت والمدارس العلمية العتيقة بسوس*، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1986، ج. 1، ص. 151، 168، 441 ؛ *مذكرات شخصية* ؛ ملف الإداري بمعهد محمد الخامس بتارودانت.

عمر أفا

العقاب للذكر والأنثى كما هو شائع عند العامة في كل الأقطار العربية وكما في اللسان العربي وفي المعاجم، تجمع على أعقب وعقبان وعقابين، جنس طير من الكواسر النهارية الضخمة آكلات الصيد الحي، كبيرة القد تسمى أيضا في البوادي العگاب. لها منسر أي منقار قصير أعقف يعرف بالشعواء واللقواء لتعقفه ولزيادة أعلاه على أسفله. تعد أنواع العقبان من أنبل الجوارح وأشدها بأسا تصيد فرائسها بدقة وتحملها بمخالبها المقوسة السوداء ؛ تأكل الجيف من الماعز والغنم في حالة الجوع الشديد. الإناث أكبر حجما ووزنا من الذكور عند كل الأنواع. تصنف العقبان إلى رتبة الجوارح Rapaces falconiformes وفصيلة الصقريات Accipitridae. منها سبعة أنواع تعيش في المغرب يصعب التمييز بينها لدى الإنسان العادي وهي طيور محمية صيدها محرم في المغرب طبقا للقانون الصادر في حقها من إدارة المياه والغابات.

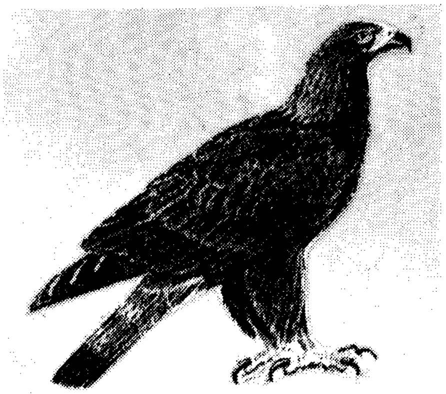

- عقاب بونيلي Hieraaetus fasciatus يسمى بالفرنسية Aigle de Bonelli وبالإنجليزية Bonelli's eagle وبالإسبانية Aguila perdicera وبالإيطالية Aquila del Bonelli. ريشه أسود داكن على الظهر وفاتح على الصدر والبطن. يبلغ طول الجسم 65 ـ 75 سم ويزن 1500 ـ 2500 غرام. يتميز بذيل طويل جدا وبجناحين كبيرين تبلغ بسطتهما 150 ـ 180 سم.

المجموعات المغربية مستقرة وأفرادها موزعة على مختلف المناطق الجبلية الريفية والأطلسية وسهول الغرب والشاوية وبني يزناسن والهضاب العليا الوسطى والشرقية والحوز وتنغير وورزازات وسوس ووادي درعة وفگيگ. عرف عدد هذا العقاب تقلصا ملحوظا خلال العقود الأخيرة على الصعيد العالمي ويتراوح في المغرب بين 500 ـ 1000 زوجة. يألف الأجراف والصخور الصعبة المنال والغابات. يتوالد في مختلف المناطق المغربية الوسطى والشمالية والشرقية منذ فبراير إلى أبريل وينصب الزوجان العش على أشجار الأرز والصنوبر وهو عش ضخم يتعدى قطره أحيانا مترين. تبيض الإناث عادة 3 ـ 4 بيضات عليها نقط بنية بنفسجية، يبلغ طول قطرها الكبير 7 سم. يحضن البيض بالتناوب من الزوجين مدة 42 ـ 44 يوما وتبقى الصغار بداخل العش حوالي 65 يوما قبل أن تأخذ حريتها تدريجيا بين شهر يونيو وشهر يوليوز. يقتصر التوزيع الجغرافي لهذا الضرب من عقاب بونيلي على المناطق الجبلية المحاطة بحوض البحر المتوسط وأسيا الجنوبية، وهناك ضرب آخر من نفس النوع يعيش في إفريقيا الوسطى والجنوبية. أغلبية المجموعات المغربية مستقرة وتتنقل أحيانا دون أن تبتعد من أماكن التوالد. يفترس بمهارة شديدة الأرانب والقنية والسناجب والفئران والحمام واليمام والحجل والبط والنورس وطائر البقر والمالك الحزين وغيرها من الطيور المتوسطة الحجم.

- العقاب المسرول Hieraaetus pennatus يسمى بالفرنسية Aigle botté وبالإنجليزية Booted eagle وبالإسبانية Aguila colgada وبالإيطالية Aguila minore. عقاب صغير الحجم لون ريشه شاحب بني إلى بني داكن ويختلف من فرد لآخر. يبلغ طول الجسم 45 ـ 55 سم ويزن 500 ـ 1000 غرام. ذيله طويل نسبيا وجناحاه طويلان تبلغ بسطتهما 100 ـ 120 سم. يعيش في أوربا الجنوبية وآسيا الوسطى والغربية ومعظم مجموعات أوربا الغربية من القواطع تهاجر شتاء إلى جنوب إفريقيا الشمالية. ويتراوح عدد هذا العقاب في المغرب بين 500 ـ 1000 زوجة. يألف الأجراف والغابات ويتوالد في مختلف المناطق الأطلسية والريفية بين مارس وأبريل وينصب الزوجان العش على أشجار العرعار والأرز على الصخور. تبيض الإناث بيضتين عليهما نقط بنية رمادية، يبلغ طول قطرها الكبير 5,5 سم. يحضن الزوجان البيض بالتناوب وتغادر الصغار العش بعد 8 أسابيع.

- عقاب الحيات أو عقاب الأفاعي Circaetus gallicus تسمى بالفرنسية Circaète Jean-le-Blanc وبالإنجليزية Short toed eagle وSerpent eagle وبالإسبانية Aguila culebrara وبالإيطالية Biancone. يسمى في المعاجم الصرارة وأبو صواي في الشام وفي الشرق العربي ويسمى في المغرب عقاب لحناش. طائر ضخم في حجم السقاوة والسرنوف، ريشه أسمر داكن على الرأس والعنق وكدر شاحب موحد على الظهر والجناحين. أسفله أبيض ناصع ضارب إلى التوشيم ببقع مسودة غير واضحة والأخيرة منها عريضة جدا. المنقار رمادي مسود معقوف وقصير، المخالب مقوسة رمادية سوداء ؛ يبلغ طول الجسم 60 ـ 70 سم ويزن الذكور 1200 ـ 2000 غرام والإناث 1300 ـ 2300 غرام تبلغ بسطة الجناحين 125 ـ 150 سم.

معظم المجموعات المغربية من القواطع منها حوالي 1000 زوجة تتوالد في الغابات القليلة الكثافة. يكثر عدده في المناطق الجافة وشبه الجافة والرطبة بجبال الأطلس المتوسط والكبير والريف والهضاب العليا الوسطى وغابة المعمورة وبنسليمان وشائع أيضا في ضواحي دبدو وجرادة وفگيگ وتافيلالت وعلى الساحل الصخري المتوسطي منذ السعيدية إلى طنجة.

يتوالد ابتداء من أبريل وينصب العش على أشجار الأرز

والبطم والعرعار الحر والفلين، وهو عش ضخم يتجاوز قطره مترا، يتكون من الأغصان اليابسة ومن الطين ويفرش بقطع الأعشاب. تبيض الإناث بيضة واحدة كل سنة، بيضاء ملساء يبلغ قطرها الكبير 74 ملم تحضنها الأنثى 47 يوما ويبقى الصغير تحت الحضانة بداخل العش مدة شهرين ونصف قبل أن يأخذ حريته تدريجيا. يعيش أيضا في إفريقيا الشمالية والشرق الأوسط وآسيا الوسطى وأوربا. يقتات من الثعابين والضب والأفاعي والعظاء وبوبريص والعصافير والخنافس والجراد والطيور الداجنة.

ـ عقاب ذهبية أو عقاب لماعة Aquila chrysaetos يلقب في المغرب بالعقاب الحر وبالفرنسية Aigle royal وبالإنجليزية Golden eagle وبالإسبانية Aguila real وبالإيطالية Aquila reale. ريش العنق مذهب شاحب وبني على الرأس والظهر الجناحين وفاتح على الصدر والبطن. الذيل طويل ومحفوف بريش أسمر داكن ؛ يبلغ طول الجسم 75 ـ 90 سم ويزن الذكور 1300 ـ 4500 غرام وتزن الإناث 3800 ـ 6500 غرام وتبلغ بسطة الجناحين 205 ـ 220 سم.

طائر شائع في المناطق الجبلية الغابوية بحوض البحر المتوسط وأوربا الشمالية وآسيا الوسطى والشرق الأوسط وأمريكا الشمالية. المجموعات المغربية مستقرة تتوالد في المناطق الأطلسية والريفية والصحراوية وأفرادها موزعة على مختلف المناطق الجبلية الريفية والأطلسية وسهول الغرب والشاوية وبني يزناسن والهضاب العليا الوسطى والشرقية والحوز والمناطق الصحراوية الجنوبية. يتراوح عدد هذا العقاب في المغرب بين 200 ـ 500 زوجة. يتوالد في مختلف المناطق المغربية منذ فبراير إلى أبريل. ينصب الزوجان العش عادة على صخور الأجراف الصعبة المنال وهو عش ضخم يفرش بأوراق الأشجار وقطع الأعشاب ومن الأغصان اليابسة يصنعه الزوجان كل سنة. تبيض الإناث 1 ـ 3 بيضات عليها بقع بنية رمادية، يبلغ طول قطرها الكبير 7,7 سم. يحضن الزوجان البيض بالتناوب مدة 43 ـ 45 يوما وتغادر الصغار العش بعد 80 يوما.

ـ ملك العقاب Aquila heliaca adalberti يسمى بالفرنسية Aigle impérial وبالإنجليزية Imperial eagle وبالإسبانية Aguila imperial وبالإيطالية Aquila imperiale. ريشه شاحب بني فاتح، جناحاه طويلان تبلغ بسطتهما 180 ـ 210 سم. الذيل طويل ومحفوف بريش أسمر ؛ يبلغ طول الجسم 78 ـ 85 سم ويزن 2400 ـ 4500 غرام. لم يعد يتوالد في المغرب منذ أزيد من ثلاثين سنة نظرا لتقلص عدده بصفة ملحوظة في جنوب أوربا الغربية ومعظم المجموعات الأوربية مستقرة في جنوب إسبانيا ويأتي بعض أفرادها شتاء إلى ضواحي شفشاون وطنجة والعرائش. يتوالد منذ فبراير إلى أبريل وينصب الزوجان العش على الأشجار العالية وهو عش ضخم يصنع كل سنة ويفرش بأوراق الأشجار وبقطع الأعشاب. تبيض الإناث 2 ـ 3 بيضات عليها نقط بنية رمادية محمرة، يبلغ طول قطرها الكبير 7,4 سم. يحضن البيض من الزوجين مدة 43 يوما وتغادر الصغار العش بعد 60 يوما.

ـ عقاب سقعاء الكبرى أو صقر الأرنب Aquila clanga يسمى بالفرنسية Aigle criard وبالإنجليزية Spotted eagle وبالإسبانية Aguila maculada وبالإيطالية Aquila anatraia maggiore. ريشه أسود داكن موشوم بالبياض. الذيل طويل تتوسطه بقعة بيضاء على شكل حرف V ؛ يبلغ طول الجسم 66 ـ 74 سم وتبلغ بسطة الجناحين 140 ـ 180 سم.

يتوالد في أوربا الوسطى وآسيا وكل مجموعات أوربا الغربية من القواطع تهاجر شتاء إلى الجنوب ويقطع عدد قليل جدا منها مضيق جبل طارق ليشتو في غابات جبال الريف بضواحي شفشاون وطنجة. يعد هذا الطائر من الأنواع النادرة جدا في المغرب.

ـ عقاب الصحاري Aquila rapax belisarius يسمى بالفرنسية Aigle ravisseur وبالإنجليزية Tawny eagle وبالإسبانية Aguila rapaz وبالإيطالية Aquila rapace. يختلف هذا الضرب الإفريقي عن نظيره الآسيوي Aquila rapax orientalis الذي يعيش في آسيا الوسطى والشرق الأوسط بلون ريشه الشاحب المكدر الضارب إلى البياض ؛ الجناحان كبيران ودائريان تبلغ بسطتهما 110 ـ 130 سم. الذيل طويل ومحفوف بريش أسمر داكن ؛ يبلغ طول الجسم 66 ـ 79 سم ويزن 500 ـ 1400 غرام. تقلص عدد هذا النوع بشكل ملحوظ خلال العقود الأخيرة حيث كان شائعا في معظم المناطق الغابوية المغربية بجبال الريف والأطلس المتوسط والكبير والهضاب العليا بالمغرب الشرقي. منه مجموعات ضعيفة العدد مستقرة في المناطق الجبلية بالأطلس الكبير الغربي والأطلس الصغير ومناطق حوض سوس ماسة. يتوالد منذ فبراير إلى أبريل وينصب الزوجان العش على أشجار الأرز والصنوبر والأركان وهو عش ضخم يتكون من الأغصان اليابسة يصنعه الزوجان كل سنة ويفرشانه بأوراق الأشجار وبقطع الأعشاب. تبيض الإناث بيضتين منقطتين بالأسمر الأشقر، يبلغ طول القطر الكبير 7 سم. تحضن الأم البيض 45 يوما. تبقى الصغار بداخل العش حوالي 55 يوما. يألف لأجراف والصخور العالية ويعيش منعزلا أو مزدوجا. تسهل مشاهدته في ضواحي تارودانت والصويرة وماسة وكوليمين. يفترس الطيور المائية والحبارى والحجل ويأكل أحيانا الجيف من الماعز والغنم والأرانب.

م. رمضاني، بولحية، *معلمة المغرب*، الجزء 6، ص. 1845، 1998 ؛ *الرخمة*، *معلمة المغرب*، الجزء 13 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

P. Bergier, *Les falcoiformes marocains. Statut, Répartition et écologie. Annales CEEP (ex. CROP) n° 3, 1987*, 160 p. ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*. Elsevier, 1977, 430 p.

محمد رمضاني

العقاب، اسم لمعركة جرت ما بين الجيوش الإسلامية بقيادة الموحدين والجيوش المسيحية بقيادة مملكة قشتالة، وذلك في 15 صفر 609 / 14 يونيو 1212 محص الله فيها المسلمين، والعقاب مكان جرت فيه المعركة في جبل الشارات (سييرامورينا) بالأندلس.

وتعود الأسباب غير المباشرة للمعركة إلى أن المسيحيين لما استفاقوا من هزيمة معركة الأرك التي جرت في عهد يعقوب المنصور أدركوا مدى التغيير الذي حصل في هرم السلطة الموحدية بعد وفاته وتوقعوا الضعف والهوان بعده، فقاموا مستبقين الأحداث بالدعوة لحرب صليبية جديدة في الغرب الإسلامي تستهدف إخراج المسلمين من شبه الجزيرة الإيبيرية. وقد تزعم هذه الدعوة أسقف مدينة طليطلة، فأرسل إلى بلاد فرنسا وإيطاليا وإسبانيا حاشدين، وعمل على توحيد الممالك الإيبيرية المسيحية وحصل على دعم البابا إينوصان الثاني ومباركته، فعبأ نبلاء أروبا الغربية وعامتها وأعلنها حربا "مقدسة" ضد المسلمين.

في الجانب الإسلامي لم يكن الخليفة الناصر 595 ـ 613 / 1199 ـ 1213 على علم بما كان يجري في العالم المسيحي الغربي من استعداد، حتى إنه اعتبر هجمات ملك قشتالة وأرگون على الثغور الإسلامية الشمالية في الأندلس مجرد خرق لمعاهدة الصلح والهدنة التي أبرمها والده مع المسيحيين إثر هزيمة الأرك، في حين أنها كانت تدخل ضمن تاكتيك ألفونسو الثامن ملك قشتالة والرامي إلى التحرش بالمسلمين وجس نبض الموحدين واختبار ردود أفعال قيادتهم الجديدة وعلى المستوى الداخلي سواء داخل المغرب أوفي الأندلس. فالجبهة الإسلامية كانت متضعضعة، وذلك بسبب تلاعب كبار الموظفين، وسياسة الإهمال التي اتبعوها عقب وفاة يعقوب المنصور، وقد لعب الوزير ابن جامع دورا كبيرا في فقد الثقة والتباعد ما بين الأندلسيين والمغاربة بسبب دسائسه وهيمنته.

تفاوتت أسباب الهزيمة في المصادر العربية والأجنبية واختلفت حول بعض التفاصيل والجزئيات، لكن الأسباب القوية تبقى في التفاوت الكبير في العدة والعدد وفي التعبئة والاستعداد ما بين المسيحيين الصليبيين والمسلمين (مغاربة وأندلسيين) : تمت المواجهة بين طرفين غير متكافئين (التفوق للمسيحيين) على أرض متضرسة احتل فيها المعسكر المسيحي المرتفعات بينما خيم المسلمون على المنحدرات والسفوح، وتقدم المسلمون نحو المواجهة على عادتهم في المعارك السابقة كالآتي : في المقدمة المصامدة بقيادة الخليفة في القلب والأندلسيون في الميمنة والعرب والأغزاز في الميسرة والبرابرة والحشود في الخلف، لكن هذا التاكتيك لم ينفع هذه المرة إذ اندفع المسيحيون نحو المسلمين في ثلاث دفعات ردت الأولى بقوة ثم أخذت مقاومة الموحدين تضعف في الثانية لتنهار في الثالثة وكانت جيوش الأندلس أول المنسحبين ثم تبعتها جيوش القبائل العربية.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت 1948، تطوان 1960، الدار البيضاء 1985 ؛ ابن خلدون، *العبر*، دار البيان، بيروت، بدون تاريخ ؛ الحميري، *الروض المعطار*، بيروت، 1957 ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ابن بسام، *الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة*، بيروت، 1980 ؛ ليفي بروفنصال، الإسلام في المغرب والأندلس، تر. عبد العزيز سالم ومحمد حلمي، القاهرة، بدون تاريخ ؛ م. عنان، *عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس*، القاهرة، 1962 ؛ خالد الناصري، *الاستقصا*، الجزء الثاني، الدار البيضاء، 1954.

J. Brignon [et *al.*], *Histoire du Maroc*, Paris, 1967 ; J. Descola, *Histoire d'Espagne*, Paris, 1959 ; Huici Miranda, *Historia politica del imperio Almohad*, 2 tomes, Tetouan, 1956 - 1957.

محمد حجاج الطويل

عقبة بن نافع، هو عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط القرشي الفهري. ولد على عهد الرسول (ص). ويعتبر من رواد الفاتحين المسلمين ببلاد المغرب، وأول من دخل منهم المغرب الأقصى. إذ قدم برقة منذ حداثة سنه، ومنها شارك في عدة حملات عسكرية على إفريقية، أبدى خلالها ضروبا من الإقدام الحربي والحماسة الدينية. وهي مزايا عبر عنها بجلاء إبان تعيينه من قبل عمرو بن العاص سنة 46 / 666 على رأس جيش لمتابعة فتح إفريقية. فقد اغتنم عقبة هذه المناسبة ليقود فرقة من الفرسان نحو الجنوب، حيث فتح مجموعة من الواحات والقصور إلى أن وصل إلى شمال شرقي دولة النيجر اليوم.

ولاشك أن خصال عقبة الشخصية لعبت لصالحه عندما عينه معاوية بن أبي سفيان واليا على أفريقيا سنة 50 / 670. وهي ولاية استغرقت خمس سنوات تفرغ عقبة خلالها إلى متابعة القضاء على الوجود البيزنطي بإفريقية، وإلى بناء القيروان لاتخاذها قاعدة عسكرية وسياسية. وسرعان ما أصبحت القيروان أول مدينة إسلامية ببلاد المغرب، ومركزاً للإشعاع الديني والفكري بالمنطقة.

ولكن في سنة 55 / 675 عزل معاوية عقبة من منصبه لأسباب مجهولة وعوضه بأبي المهاجر دينار. وخلافا لعقبة، سلك أبو المهاجر سياسة في الفتح قوامها ترغيب البربر في الإسلام واستمالتهم للتحالف مع العرب ضد البيزنطيين. وتسجل المصادر أن سياسة اللين هذه أدت إلى إسلام كسيلة ـ زعيم أوربة وصنهاجة ـ وانضمامه وقومه إلى جيش أبي المهاجر. وهذا ما سهل على الفاتحين اجتياح المغرب الأوسط.

وعندما تولى يزيد بن معاوية الخلافة أعاد الاعتبار لعقبة، فرده إلى ولاية أفريقيا سنة 62 / 682. فخرج على التو على رأس حوالي خمسة آلاف رجل لغزو المغرب الأقصى. ولئن كانت هذه الحملة هي أبرز حدث ميز ولاية عقبة الثانية (62 / 682 ـ 63 / 683)، فإن ما يتوفر لدينا من معلومات عنها لا يرقى إلى أهمية الحدث من حيث الامتداد والظروف والعواقب. ذلك أن أقدم وأحسن رواية وصلتنا عن الموضوع هي التي وردت عند ابن عبد الحكم، مع أنه لم

يدونها إلا في منتصف القرن الثالث أي بعد الحملة بما يقرب من قرنين. وبما أن هذه الرواية من صنف المغازي، فإن ابن عبد الحكم لم يقتصر على مصدر واحد في جمعها، فجاءت متنافرة ومتناقضة في كثير من الأحيان، هذا فضلا عن إفراطها في التلخيص.

ورغم عيوب رواية ابن عبد الحكم، انتشرت بالمشرق والمغرب بين الإخباريين اللاحقين الذين أغنوا ما نقلوه عنه بتفاصيل ربما اعتمدت على مصادر مفقودة، الشيء الذي زاد في تشويش صورة حملة عقبة على المغرب الأقصى. وانعكس هذا الأمر على كتابات المؤرخين المحدثين الذين تضاربت آراؤهم حول خط سير الحملة والمدى الذي وصلت إليه والنتائج التي أسفرت عنها. ومن هنا صعوبة الوصول إلى تصور واضح حول هذه القضايا الغامضة التي لا يمكن مقاربتها بما يكفي من الوضوح إلا بالعثور على ما فقد من مصادر عربية أصلية، وبالاستعانة بالنصوص البيزنطية. غير أن مصادرنا - على علاتها - تسمح بتقصي السير لحملة عقبة على المغرب الأقصى وبتقدير ظروفها وانعكاساتها.

وفي هذا الإطار تشير المصنفات التاريخية إلى أن عقبة سار سنة 62 / 682 على رأس جيش كثيف من القيروان إلى شمال الأوراس حيث اصطدم مع جموع من البربر والبيزنطيين في بغاية - وكانت معقلا مسيحيا كبيرا - فانتصر عليهم. ثم اتجه الفاتحون المسلمون بقيادة عقبة إلى حصن بليش الوماني. وبعد مدة من الحصار والمعارك، غادره إلى تيهرت. وفيها خاض المسلمون معركة طاحنة ضد جيش من البربر والبيزنطيين الذين لم ينجحوا في مقاومة عقبة وأصحابه.

تابع المسلمون زحفهم نحو المغرب الأقصى - ربما عبر تلمسان وملوية وممر تازة - إلى أن أدركوا طنجة. وكانت هذه المدينة خاضعة لحاكم يعرف باسم يليان. ويبدو أنه كان يسيطر أيضاً على الجهات المطلة على المضيق بما في ذلك سبتة. غير أن المصادر تختلف حول حقيقة هويته. والراجح أنه كان زعيما بربريا نصرانيا يحكم المنطقة باسم قوط إسبانيا. ومصداق هذا الطرح أن يليان لم يأل جهدا لثني عقبة عن العبور إلى إسبانيا. ولتحقيق هذا الهدف قبل الخضوع لحكم المسلمين دون مقاومة، وفي نفس الوقت أقنع عقبة بالبقاء في المغرب الأقصى وبتوجيه حملته نحو الجنوب.

وبالفعل فإن ابن عذاري يذكر أن عقبة قصد السوس الأدنى - أي بلاد تامسنا والمصامدة - حيث تصدى للمقاومة المحلية وقضى عليها. وكذلك فعل في سهل الحوز واستولى فيه على نفيس وأغمات. بعد ذلك "أجاز إلى بلاد السوس - يقول ابن خلدون - لقتال من بها من صنهاجة أهل اللثام. وهو يومئذ على دين المجوسية. ولم يدينوا بالنصرانية. فأثخن فيهم، وانتهى إلى تارودانت وهزم جموع البربر. وقاتل مسوفة من وراء السوس، وسبى منهم وقفل راجعا" (تاريخ ابن خلدون، 6 : 127).

هذا إذن هو المسار العام لحملة عقبة على المغرب الأقصى، كما تقدمه المصادر. ولئن كان المؤرخون - قدامى ومحدثون - لا يجمعون على محطات الحملة ومراحلها، فإن معظمهم يقبلون بوصولها إلى مشارف الصحراء الأطلسية. بيد أن أحد الباحثين يرى أن عقبة غزا بالفعل تلمسان، وبما نظم حملات على شمال المغرب الأقصى دون أن يتعداه (*Histoire du Maghreb*, 1 : 75). حقيقة أن مثل هذه الشكوك تنبني على نص ابن عبد الحكم الذي اقتصر على استعمال لفظة "السوس" بدون تحديد، للدلالة على النقطة القصوى التي بلغها عقبة. ولكن تفحص النص يثير الانتباه إلى تسمية لها دلالة تاريخية معبرة. إذ يقول ابن عبد الحكم "وأهل السوس بطن من البربر يقال لهم أنبية" (فتوح، 58). وتجزم المصادر المعاصرة لابن عبد الحكم أن أنبية فرع من صنهاجة اللثام الذين كانوا يحيون بالصحراء الأطلسية. وإلى هذا الطرح تذهب المصادر المتأخرة التي تؤكد بوضوح أن عقبة توغل جنوبا حتى السوس الأقصى.

ولم يلبث عقبة أن قرر العودة إلى القيروان. غير أن المصادر لا تحدد تصريحا طريق العودة. ولكن قد يكون اتبع سلسلة واحات سفوح الأطلس الجنوبية، وإن كانت الكتابات الحديثة - في مجملها - تميل إلى القول بأنه عاد عبر ممر تازة. وما يزكي وجهة النظر الثانية أن ابن عبد الحكم علل في إحدى رواياته مقتل عقبة بكون كسيلة كان يتعقبه أثناء غزواته بالمغرب الأقصى، ويعمد إلى هدم الآبار - وكان الموسم صيفا - بعد مرور جيش المسلمين ليقطع عليهم طريق العودة ؛ الشيء الذي يعني أن خط سير حملة عقبة كان واحدا في الذهاب والإياب.

وعندما وصل إلى تهوذة - جنوب شرقي بسكرة غير بعيد من جبال الأوراس - فاجأه كسيلة على رأس جيش من البربر والروم. وبالنظر إلى أن عقبة كان في قلة من جنده (زهاء ثلاثمائة من كبار الصحابة) وبعيداً عن مراكز إمداده، لم يكن أمامه وصحبه سوى مواجهة الوضع بمحاولة التصدي لحصار العدو. وبالفعل "قاتلوا قتالا شديداً، حتى بلغ منهم الجهد وكثر فيهم الجراح. وتكاثر عليهم العدو، فقتل عقبة وأبو المهاجر ومن كان معهما من المسلمين. ولم يفلت منهم أحد إلا بعض وجوههم أسروا" (*البيان*، 6 : 29).

ويعرف اليوم المكان لذي لقي فيه عقبة حتفه باسم سيدي عقبة. وهو عبارة عن واحة على بعد خمسة كلم جنوبي تهوذة، حيث يوجد مسجد وضريح متواضع، أضحى مزارا لأحفاد الذين قتلوا الفاتح العربي.

لم يتردد المؤرخون العرب المحدثون في اعتبار هزيمة تهوذة (ذو الحجة 63 / غشت 683) كارثة ومأساة لا نظير لهما في تاريخ الفتوحات الإسلامية. إذ أنها أدت إلى تخلي المسلمين عما استولوا عليه ببلاد المغرب كلها، وإلى ظهور مقاومة بربرية عنيفة استمرت زهاء ربع قرن. وهذا ما جعل البحث التاريخي الحديث يحاول استقصاء أسباب هذه

الانتكاسة. ولعل أكثر ما سجل من مآخذ على عقبة سياسته القائمة على العنف والاندفاع، خلافا لمن سبقوه على ولاية إفريقيا ولا سيما أبي المهاجر دينار. وظهرت هذه السياسة بجلاء فيما كان يلحقه من أذى معنوي وجسدي بسكان الجهات المفتوحة، وخصوصا بالزعماء والحكام. وخير مثال على ذلك أن عقبة بدأ ولايته الثانية بأسر أبي المهاجر دينار وكسيلة وأخذهما معه - وهما في حديد - في حملته على المغرب الأقصى. وتستفيض المصادر في ذكر ما ألحقه عقبة بالزعيم البربري من ذلال وإهانة، مع أنه كان قد أسلم وتحالف مع الفاتحين. وزاد عقبة على ذلك بأن غزا منطقة تلمسان معقل أوربة وزعيمها كسيلة. فكان من الطبيعي أن يغير هذا الأخير موقفه من المسلمين. إذ فر من معسكر عقبة في ظروف غامضة، وعقد التحالف مع البيزنطيين للوقوف في وجه عقبة ولإجهاض سياسته.

ومما زاد في خطورة هذا التحالف أن كسيلة كان عارفا بعورات جيش عقبة. ولعل أكبرها إقدام عقبة - لأسباب نجهلها - على الاحتفاظ بقلة من الجند وصرف معظمهم إلى القيروان وهو في طريقه إليها، متجاهلا بذلك تأمين خط رجعته. وهذا الخطأ العسكري هو الذي سهل على كسيلة نصب كمين لعقبة، ودفع ببعض الباحثين إلى اعتبار هذا الأخير مجرد مسلم متحمس لنشر عقيدته وولي من أولياء الله الصالحين. والحق أن الخطأ المذكور لا ينفي عن عقبة كونه رجل حرب بارع ومقدام، نجح في مدة وجيزة في اجتياح المغرب الأقصى من الشمال إلى الجنوب. مع العلم أنه كان أول فاتح وصل إلى هذه البلاد، مع ما يعنيه ذلك من صعوبات ومخاطر كان عقبة نفسه أول ضحاياه.

أدرك كسيلة في تهوذة ثقل الفاجعة التي حلت بالمسلمين، وتفطن إلى ضرورة استغلالها للزيادة في تأزيم وضعهم. لهذا زحف إلى القيروان، بينما اضطر من كان بها من الفاتحين إلى الانكفاء إلى برقة ومصر، ولم يبق سوى من عجز عن الرحيل.

وباستيلاء كسيلة على القيروان (64 - 683) أمن من تخلف فيها من المسلمين، وسيطر على معظم بلاد المغرب لمدة خمس سنوات. وكان يتعين انتظار خلافة عبد الملك بن مروان لمعاودة الفتوح بقيادة زهير بن قيس البلوي ابتداء من سنة 69 / 688.

وإذا كانت حملة عقبة على المغرب الأقصى قد آلت إلى فشل عسكري مؤقت، فلا ينبغي غض الطرف عن انعكاساتها الإيجابية، وخصوصا في المجال الديني. فقد نبهت السكان المحليين إلى عقيدة الفاتحين، وهيأتهم لقبولها فيما بعد، لا سيما وأن عقبة عمد إلى بناء المساجد ببعض جهات البلاد (درعة والسوس الأقصى والحوز). بل إن بعض المصادر تدفع إلى الاعتقاد بوجود جماعات بربرية أخلصت للإسلام منذ هذا الوقت - وبالأخص بين مصمودة وزناتة - وقاتلت بجانب عقبة في بعض المناسبات. كما مهد عقبة الطريق لأسلافه من الفاتحين، وسهل عليهم مأمورية إدخال المغرب الأقصى إلى "دار الإسلام".

ع. الرحمان، ابن عبد الحكم، *فتوح إفريقيا والأندلس*، 1964، ص. 58 - 61 ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، 1980، ج 1، ص. 23 - 31 ؛ أ. النويري، *تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب*، 1984، ص. 190 - 194 ؛ ع. الرحمان، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 1992، م. 6، ص. 127 - 128 ؛ ابن عبد الحليم، *كتاب الأنساب*، 1996، ص. 87 - 90 ؛ مجهول، *كتاب مفاخر البربر*، 1996، ص. 252 - 254 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، 1954، ج 1، ص. 81 - 84 ؛ أ. العبادي، *في تاريخ المغرب والأندلس*، 1978، ص. 38 - 42 ؛ ش. فيصل. *حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول*، 1980، ص. 167 - 170 ؛ ح. مؤنس، *فتح العرب للمغرب*، د. ت. ص. 178 - 207.

H. Terrasse, *Histoire du Maroc des origines à l'établissement du protectorat français*, s.d., p. 80 - 82 ; Ch. A. Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord des origines à 1830*, 1994, p. 347 - 350 ; A. Laroui, *L'histoire de Maghreb*, 1976, t. 1, p. 74 - 75.

عبد العزيز العلوي

ابن **العقدة، موسى** الأغصاوي من أبرز علماء المغرب خلال الفترة التي عاشتها البلاد خلال الهجمة المسيحية (ما بين سقوط سبتة 1415 وسقوط طنجة 1471 في يد البرتغاليين). أخذ عن القوري (المتوفى عام 872 / 1467) والعبدوسي (المتوفى عام 849 / 1445) والمواسي (المتوفى عام 896 / 1491) أشهر أعلام عصره. تابع دراسته بفاس والتقى فيها بالشيخ الورياجلي وبالشيخ ابن برطال. وعاصر ابن غازي (المتوفى عام 919 / 1514) وأحمد زروق البرنسي (المتوفى عام 899 / 1494).

كان يدعى بفحل المدونة، واشتهر بتدريس علم الكلام، وكان معتمده هو محمد بن يوسف السنوسي.

ينتمي أبو عمران إلى أسرة مشهورة بجبال غمارة سيشتهر أبناؤها بالعلم والولاية.

ذكر ابن عسكر أنه توفي "في أوائل المائة" أي العاشرة، (911 للهجرة)، لا تذكر المصادر أين، لكننا نعرف أن بفاس درباً يحمل اسمه "درب بوعقدة" بعدوة القرويين، ومن أشهر تلامذته الشيخ أبي القاسم ابن حجو.

ابن عسكر الشفشاوني، *دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر*، تح. د. حجي، الرباط، 1976 ؛ العلمي، *نوازل العلمي*، ج 2، طبعة حجر ؛ الكتاني، *سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس*، طبعة حجر، فاس، 1318 / 1900، في ثلاثة أجزاء.

محمد مزين

عقرب جنس حيوانات برية مضرة من المفصليات ورتبة العقربيات لها أربعة أزواج من الأرجل وزوجة من المجسات المفصلية الفوهية تحولت إلى ملاقط قوية ومخيفة. الجسم مفصص ويشتمل على سبع سيات في البطن وستة في الجهة الخلفية التي تنتهي بتحدب متميز يحمل الغدد السامة.

يرتبط بهذه الغدد منخس مستدق الرأس يحقن السم عند اللدغ. يستعمل العقرب الملاقط لاصطياد الحشرات يفتك بها ويطحنها بفكيه القويين. والعقارب من الحيوانات الولودة، يتوالد في فصل الربيع وبداية الصيف بعد رقصات متميزة يقوم بها الزوجان وتنمو الأجنة بداخل جسم الإناث، وبعد انتهاء مرحلة النمو الأولى تخرج وتلتصق بظهر الأم التي تحملها خلال الأسابيع الأولى وتحيطها بالرعاية والصيانة. الصغيرة شبيهة بالكبيرة منذ الولادة وتبقى في هذه الحضانة حوالي أسبوعين أو ثلاثة تتعرض أثناءها إلى الانسلاخ الأول وبعد ذلك تأخذ حريتها لمواجهة حياة مستقلة. يتحمل العقرب تغيرات حرارية قوية ولا يخشى الإشعاعات النووية. يختفي في فصل الشتاء بين شقوق الصخور وتحت الأحجار ويقل نشاطه طيلة الأيام الباردة.

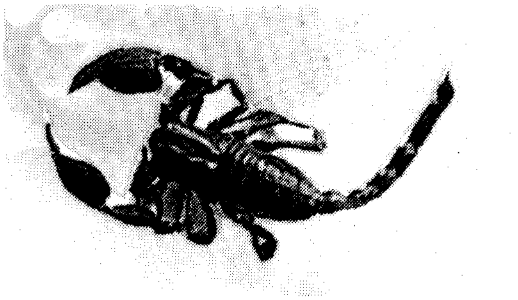

تعيش العقارب في المناطق الحارة والجافة مثل الصحاري وتختفي نهارا في المغاوير وتحت الأحجار وبين شقوق الصخور ثم تستأنف نشاطها بعد الغروب إلى غاية غسق الليل. يبلغ عدد أنواع العقارب 700 في العالم منهم 18 نوعا و21 صنفا يعيش في المغرب. تتكون فصيلة بوثيدي Buthidae من 5 أجناس ومن 28 ضربا موزعة على مختلف المناطق المغربية منذ السواحل إلى أماكن جبلية يفوق ارتفاعها 3500 متر. وتضم فصيلة العقربيات Scorpionidae جنس Scorpio الذي يشتمل على 9 ضروب من نوع maurus. يمكن تمييز مجموعتين من العقارب في المغرب من خلال اللون : العقارب الصفر والعقارب السود. ليست كل الأنواع قاتلة بالنسبة للإنسان فبعض أنواع العقارب الصفر تحدث بلسعاتها آلاما تُعالج دون مضاعفات خطيرة بينما يمثل بعض أنواع العقارب السود خطورة على الإنسان ما لم يعجل بإنقاذه. من بين العقارب الخطيرة على الإنسان والحيوانات الداجنة في المغرب :

العقرب المغربي باثوس ماروكانوس Bathus maroccanus لونه أسمر داكن ويبلغ طوله 5 ـ 6 سم ويعيش في ضواحي الرباط، وعقرب ليوفيلي Androctonus aeneas liouvillei أسود داكن يبلغ طوله 7 ـ 9 سم ويعد من أخطر الأنواع ؛ شائع في ضواحي أگادير وبوذنيب وورزازات وطاطا وزاگورة وفگيگ ووجدة. وعقرب موريتانيا A. mauritanicus mauretanicus وورزازات بوردوني Androctonus mauretanicus bourdoni اللذان تسببا في عدة ضحايا من الأطفال في ناحية الصويرة وفي مناطق أخرى : يعيشان بجوار المنازل ولا يحفران المغاوير ؛ شائعان في المناطق الساحلية من طنجة إلى تيزنيت وفي حوض سوس.

نوعان يعيشان في المناطق الصحراوية والمناطق الجافة وشبه الجافة المجاورة : Buthacus leptochelys ونوع Microbuthus fagei وهو أصغر العقارب في المغرب إذ لا يتعدى طوله 3 سم.

تؤثر سموم العقارب على الجهاز العصبي وتودي في أغلب الأحيان إلى سكتة قلبية وهناك مصل خاص لعلاج سموم العقارب بالمراكز الصحية.

A. Charnot et L. Faure, *Les scorpions du Maroc, leur venin, leur danger pour l'homme et les animaux*. Bull. Inst. Hygiène Maroc. IV, 1 - 72 p., 1934.

محمد رمضاني

عقرب البحر والعگرب وأرينيا كما في الأسواق السمكية المغربية وبلم في تونس، سمك بحري من فصيلة تراكينيدي Trachinidae. منه أربعة أنواع تعيش في البحار المحيطة بالمغرب .يصعب التمييز بينها لكثرة الشبه وتعرف عند الصيادين وبائعي الأسماك بالعقرب لوجود أشواك سامة على غشاء الخياشيم والزعانف الظهرية تستعمل للدفاع عن النفس كما هو الشأن عند العقارب. سمك موجود بانتظام في كل أسواق الأسماك المغربية ويستهلك طريا ومبردا. صيده تقليدي ورياضي على طول السواحل المغربية ويصاد بالشباك الحلقية الشاطئية والجيبيات والشباك المستقيمة العمقية وحبال الصنانير العمقية وصنارة اليد.

ـ العقرب العنكبوتي Trachinus areneus يسمى بالفرنسية Vive araignée وبالإنجليزية Spotted weever وبالإسبانية Arania. يبلغ الطول الأقصى للكبيرة 50 سم وشائع في الأسواق السمكية بين 20 ـ 30 سم، يتعدى الوزن أحيانا 1000 غرام. جسمه طويل ومضغوط جانبيا. العينان صغيرتان ؛ الفم كبير ومائل، الأسنان مصففة على أشرطة بالفكين وعلى سقف الفم كلها قصيرة ومائلة ؛ الظهر رمادي أسمر مخضر مع بقع داكنة على الرأس ؛ الجوانب بيضاء مصفرة عليها خطوط سمراء وزرقاء وصفراء حسب صفوف الحراشف المائلة. الظهرية الثانية مصفرة والشرجية بنفسجية. يحمل الرأس شوكة سامة قوية على غشاء الخياشيم وشوكتين على الجانب الأمامي الظهري لمحجر العين وشوكة أخرى فوق الشفة العلوية أمام العين. يحمل الظهر زعنفتين، الأولى قصيرة، لها 5 ـ 7 أشواك والثانية طويلة، لها 29 ـ 32 شعاعا لينا ؛ للشرجية شوكتان و29 ـ 32 شعاعا لينا. الحراشف صغيرة ودائرية منها 80 ـ 83 على الخط الجانبي.

يألف الأعماق الرملية والوحلية حيث يختفي الأفراد بداخلها في أغلب الحالات ليتربصوا فريستهم من القشريات

واللافقريات والأسماك الصغيرة. شائع في المناطق الساحلية الأطلسية والمتوسطية في أعماق لا تتعدى 300 م. تقترب الأفراد من الشواطئ في الصيف فتكثر كثافتها بين 5 ـ 10 م من العمق وتهاجر إلى المياه العميقة في الشتاء. يتوالد في الربيع والصيف ويصير بالغا بعد ثلاث سنوات.

ـ العقرب الكبير Trachinus draco يسمى بالفرنسية Grande vive وبالإنجليزية Weever وبالإسبانية Arania. الطول الأقصى 45 سم وشائع بين 10 ـ 30 سم ولا يتعدى وزن الكبيرة 600 غرام.

ـ العقرب الصغير Trachinus vipera يسمى بالفرنسية Petite vive وبالإنجليزية Lesser weever وبالإسبانية Salvariego. الطول الأقصى 15 سم وشائع بين 8 ـ 10 سم ولا يتعدى وزن الكبيرة 200 غرام. يحمل غشاء الخياشيم شوكة واحدة.

ـ العقرب نجمية الرأس Trachinus radiatus يسمى بالفرنسية Vive à tête rayonnante وبالإنجليزية Starry weever وبالإسبانية Vibora. يبلغ الطول الأقصى للكبار 50 سم وشائع في الأسواق بين 15 ـ 30 سم. الوزن 900 غرام. الجانبان منقطان ببقع بنية دائرية أو خيطية. يعيش في السواحل الإفريقية وفي البحر المتوسط باستثناء البحر الأسود. يألف الأعماق الرملية والوحلية الممتدة بين 30 ـ 60. تخلف لدغات شوكات غشاء الخياشيم وشوكات الزعانف الظهرية جروحا خطيرة وألما شديدا.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ المعلوف أمين، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932 ؛ *دليل تعريف الموارد البحرية الحية في المغرب*، المنظمة العالمية للتغذية، روما، 1998.

محمد رمضاني

العُقْلي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث لازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Acula وهو الاسم الذي أطلقه الإسبان على قرية عقلة التي كانت بأحواز غرناطة المسلمة ؛ وإلى هذه الأسرة التي انقرضت بتطوان سنة 1198 (1784) تنسب احدى أبواب تطوان وهي باب العقلة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1200.

محمد ابن عزوز حكيم

العقوبات في العصر الوسيط عرف المجتمع المغربي نوعين من العقوبات : عقوبات شرعية وعقوبات مخزنية. فالشرعية منصوص علينا في الشريعة الإسلامية، وهي عبارة عن عقوبات توقيفية رادعة، تخص جرائم القتل والسرقة والحرابة والقذف وشرب الخمر والزنا ؛ وينص الفقه على تنفيذها علينا بحضور عامة المسلمين لأخذ العبرة. وإلى جانب ذلك كان القضاة يحكمون في بعض المواد بما يعرف عند الفقهاء بالتعزير، وهو نوع من العقوبات أخف في المخالفات التي لم يرد بشأنها نص محدد، ويترك تقديرها للقاضي الذي قد يكتفي في بعض الحالات بالتوبيخ الشفوي، وقد يتجاوزه إلى الضرب والسجن والتغريم.

أما العقوبات المخزنية، فهي عقوبات بدنية ومالية لا تستند إلى إطار قانوني، تمارسه السلطة الحاكمة بطريقة غير شرعية مستندة في ذلك إلى قوتها فقط، وتهدف من وراء ذلك إلى زرع الخوف في المجتمع لتأمين جانبها، وكانت تصدر عن جميع ممثلي السلطة، سواء تعلق الأمر بالسلاطين أو بمن هم دونهم كالولاة والعمال والقواد وجباة الضرائب، وتنفذ تلك العقوبات دون محاكمة، وغالباً ما تختلط في إنزالها عواطف الانتقام باللامبالاة، كما قد تتحكم فيها مجرد أهواء ممثلي السلطة. وكانت العقوبات المخزنية في كثير من الأحيان ما تخرج عن إطارها المرتبط بالمخالفات إلى نوع من العدوان، ولمحاصرة هذا السلوك غير القانوني وجدت في الدول الغربية خطة قضاء المظالم لكنها لم تكن فعالة إلا في حدود معينة.

وبالنسبة للدول التي تعاقبت على حكم المغرب في العصر الوسيط، يلاحظ مثلاً أن المرابطين كانوا أكثر التزاماً بالعقوبات والضرائب الشرعية. فكانت سلطة القضاء أقوى، وفي هذا العصر حكم القاضي بجلد الأديب المؤلف الفتح بن خاقان على شرب الخمر، ونفذ فيه.

أما في العصر الموحدي فرغم أن الدولة حملت شعار العودة إلى أصول الإسلام فقد ظهرت تجاوزات كثيرة في مجال العقوبات منذ عهد محمد المهدي ابن تومرت الذي وضع نظاماً خاصاً للعقوبات لتنظيم شؤون حركة الموحدين تجاوز به كثيراً العقوبات الشرعية. فبعد أن قسم الموحدين إلى طبقات محددة بتسمياتها ووظائفها، جعل "لكل صنف من هذه الأصناف رتبة لا يتعداها إلى غيرها لا في السفر ولا في الحضر" (ابن القطان، *نظم*، 83)، وألزمهم بمجموعة من العقوبات الصارمة إذا صدر عنهم تجاوز للنظم والقواعد الموضوعة، وتتدرج هذه العقوبات من التأديب، أي الضرب بالسياط، إلى القتل. ولسحب رداء الشرعية على هذه الممارسات أخذ مبايعة أبتاعه على ذلك، وتنص العقوبات حسب ابن القطان على ما يلي :

ـ جعل القتل على ثمان عشرة مخالفة أخلاقية كالكذب والمداهنة وأمور أخرى كثيرة.

ـ يقتل أيضاً كل من تساهل أو تهاون في أمر الطاعة، سواء للمهدي أو لأي مسؤول آخر.

ـ من لم يلتزم الحضور في مواعظ ابن تومرت وحصص تذكيره يؤدب، فإن تمادى في التغيب قتل.

ـ يعزر بالسياط المتهاونون في حفظ الحزب.

ـ و"من داهن على أخيه أو أبيه أو ابنه أو من يكرم عليه قتل".

ـ يضرب بالسوط المرة والمرتين من لم يلتزم هذه الآداب،

"فإن ظهر منه عناد وترك امتثال الأوامرقتل" (*نظم*، 81 ـ 83).

وبناء على هذه التجاوزات اتهم الإمام الشاطبي في *الاعتصام* ابن تومرت بأنه "وضع القتل شرعاً معمولاً به على غير سنة الله وسنة رسوله". وبجانب ذلك كان يضرب شاربي الخمر بالنعال وسعف النخل تشبها بالصحابة.

ويبدو أن توجه ابن تومرت نحو شرعنة العنف جعل الموحدين بعده يتجاوزون أيضاً في مجال العقوبات، وبشكل مبالغ فيه. وأسسوا نظاماً عقابياً يميل أكثر إلى القتل هدفوا منه بهدف تحقيق قدر أعلى من الردع. ومن هذه التجاوزات أن الخليفة المؤمن كان يقتل على السرقة. ويبدو أن التمادي في عقوبة القتل جعل هذا الخليفة يراجع الأمر، فأرسل رسالة رسمية إلى قضاة دولته يأمرهم فيها بالتوقف عن تنفيذ حدود القتل والقطع، وكل ما يترتب عليه نتائج حاسمة، حتى تحال عليهم ملفاتها مشفوعة بجميع الحجج والبينات على الخليفة، ولاشك أنه كان يكلف قاضي الجماعة بإعادة النظر فيها.

واستمر التجاوز في عهود الخلفاء اللاحقين، ونلاحظ أن المنصور أمر بقتل شاربي الخمر في بعض الأحيان. ولكنه اكتفى بنصف العقوبة الشرعية أحيانا، ويتعلق بإقامة الحد على أحد جلسائه وهو العالم الأندلسي يحيى بن سعود العبدري معلم أبنائه، لما تأكد من تناوله للنبيذ، ثم عزله عن تعليم أبنائه وصرفه عن مجلسه.

وظل الموحدون لمدة لا بأس بها يقتلون على ترك الصلاة، وكانت تشريعات الموحدين تنص على أن من يرفع صنوته بالليل بمراكش يقتل حفاظاً على هدوء المدينة. وفي سنة 607 / 1210 قتل مجموعة من اللصوص قاموا بعمليات نهب في حريق مراكش أيضاً. أما العمال الذين تشكو الرعايا منهم، أو الذين كانوا يتهاونون في القيام بواجباتهم، أو يستغلون منصبهم للاغتناء فكانوا يلقون نفس المصير في مرحلة قوة الدولة. وكان الخلفاء والأمراء أنفسهم ينفدون القتل لهذا السبب أو لذاك.

وكان جزاء الاغتصاب أو الاعتداء على النساء هو القتل أيضاً، فقد نفذ يعقوب المنصور القتل في ابن أخته عقاباً له على اختطاف امرأة أحد التجار بمراكش، ولم تنفع توسلات أخته في إنقاذ ابنها. وكان لفئة الحفاظ أيضاً سلطة يستطيعون بموجبها قتل من يرون بتقديرهم أنه يستحق ذلك، إلى جانب إنزال العقوبات الأخرى. فقد قتل حافظ فاس أبو موسى بن رمانة شاباً رمى يده في امرأة وغصبها على الدخول لمنزله، وكان هذا الشاب ابن أخ قاضي فاس حينئذ أبي حفص عمر بن عبد الله السلمي الذي لم يتحرك لتلافي قتل ابن أخيه.

وكان الموحدون قد وضعوا بعض الطرق في معاملة الجناة كالتطويف والتشهير، وقد تبنت الدولة المرينية هذه العقوبات واستمرت إلى عصر الونشريسي الذي عاينها واستنكرها في *المعيار* من خلفية شرعية قائلاً : "الشائع الذائع من فعل أمراء المغرب أيدهم الله، جعل السلاسل في أعناق الجناة في المحلة، وحالة سوقهم للنظر في جرائمهم بين يدي الأمراء والفقهاء. وهو منكر عظيم ويجب تغييره. وقد أشرت بذلك مرة فاحتج علي باتصال العمل بذلك، مع شهادة العلماء الأكابر الجلة لذلك ولا نكير فأمسكت. فأنت ترى هذا الاحتجاج الركيك الساقط". ويؤكد هذا النص بوضوح أن هذه المعاملة أصحبت عرفاً بطول الممارسة لا سبيل إلى تغييره. واستمر وضع السلاسل في أعناق الجناة وتطويفهم إلى عصر الحسن الوزان.

ابن خلكان، *وفيات الأعيان* ؛ ابن الزيات، *التشوف* ؛ ابن سعيد المغربي، *الغصون اليانعة* ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ابن صعد التلمساني، *النجم الثاقب*، مخطوط، خ. ع، ص. 239، الرباط، رقم ك 1292 ؛ ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، ج 1 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ، تر. م. حجي وم. الأخضر، 1، 1983 ؛ الشاطبي، الاعتصام ؛ الونشريسي، *المعيار*.

محمد المغراوي

العقوبات، يمكن تقسيم نظام العقوبات في المغرب الأقصى خلال العصر الوسيط وبداية الحديث إلى ثلاثة أصناف : عقوبات السلطة أو ما يمكن أن نطلق عليه العقوبات الشرعية مع نوع من التحفظ. وعقوبات المجتمع التي يمكن نعتها بالعقوبات العرفية وإن كان بعضها ينهل من الشرع. ثم عقوبات متخيلة "فرضها" الأولياء على اللصوص.

أولاً :

المقصود بالعقوبات الشرعية تلك العقوبات التي نص عليها الفقهاء في فتاويهم وأحكامهم استناداً إلى الشرع. فمن غير الخفي أن المشرع أقر عقوبة قطع يد السارق بنص الآية 38 من سورة المائدة (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله، والله عزيز حكيم). غير أن النصوص التي كتبت في مغرب أواخر العصر الوسيط وبداية العصر الحديث ـ والتي تم الاطلاع عليها ـ لم تشر بشكل مباشر إلى تطبيق هذه العقوبات على السارق. فقد ذكر ابن يوسف الحكيم (من أهل القرن الثامن، 14 م) أن نصاب قطع يد السارق من الدراهم الصغار اليعقوبية "ثمانية عشر درهما وستة أعشار عشر درهم". غير أنه لم يشر أبداً إلى واقعة تاريخية في هذا الموضوع، وإن كان ذلك التحديد الدقيق لوجوب القطع يوحي بتطبيقه فعلاً. وبعده أفتى ابن أبي البركات (من أهل القرن التاسع (15 م) بالقطع لمن "سرق بيت المال أو من الغنيمة بعد حوزها (...) ويقطع من سرق من المطامير في أي وقت". ثم رأى ابن غازي (من أهل النصف الثاني من القرن التاسع 15 م وبداية القرن العاشر 16 م) أن "كل جماعة سرقت من حرز فلا قطع على كل واحد منهم حتى تبلغ قيمة ما أخرج المخرج منهم ربع دينار أو ثلاثة

دراهم ولو كان مجموع المخرج ألف دينار إلا أن يكون شيئاً حملوه بأجمعهم فيقطعون ولو كانوا عبيداً ومن أهل الذمة أو سرقوا لمثلهم".

وإذا كانت النصوص المشار إليها تبدو أقرب إلى الصيغة الفقهية ـ النظرية منهما إلى الواقع التاريخي، فإن العلامة محمد المنوني أشار في إطار حديثه عن خطط السلطة المرينية إلى صاحب الشرطة الذي يعرف بالقائد، "وظيفته النهمة على الجرائم وإقامة حدودها، ومباشرة القطع والقصاص حيث يتعين، وهو يحكم في هذه بموجب السياسة دون مراجعة الأحكام الشرعية".

والظاهر أن عقوبة قطع يد السارق لن تطبق في مغرب أواخر العصر الوسيط على نطاق واسع اعتبارا للفاقة والحاجة التي رافقت غالبية أفعال السرقة، وكذا توالي القحوط والمجاعات التي كانت تضاعف من عوز الكثيرين. ولعل الفقهاء غضوا الطرف عن إصدار أحكام خاصة بالقطع استناداً إلى اجتهاد فقهي سابق أعفي خلاله المضطر من تنفيذ عقوبة القطع إذا تزامن فعل السرقة مع المجاعة، بل إن اجتهاداً فقهياً آخر أجاز للجائع عموماً أخذ ما يسد به رمقه من لبن الماشية وثمار البساتين وزرع الحقول. وفي مثل هذه الحالات أفتى بعض فقهاء ذلك العصر بعقوبة الضمان فقط فـ "كل سارق سرق شيئا فلا يضمن المسروق حتى يكون موسرا يوم السرقة ويتمادى به اليسر إلى يوم القطع إلا أن يكون المسروق طعاما وأكله السارق قبل خروجه من بيت ربه فلا يقطع وإنما عليه القيمة خاصة". ومن الفقهاء من عمم، عقوبة الضمان على اللصوص الذين كانوا يسرقون أموالا أو سلعا، أما إذا قتلوا للمسروق له "دابة أو أحرقوا له ثوبا أو نحوه لا يسعه أن يضمنهم قيمة ذلك".

وفيما يخص عقوبة السجن، فقد اختلف الفقهاء فيما بينهم حولها. فمنهم من رأى أنه يجب على القاضي التشديد على السارق المعروف عليه تكرار أفعال السرقة بالسجن لعله "يظهر ما اتهم به" خاصة في البلاد التي لا يطبق فيها حكم قطع يد السارق. وأفتى فقهاء آخرون بسجن اللص إلى حين إعلان توبته. بينما لم يكتف فريق آخر منهم بعقوبة سجن السارق ولو لمدة طويلة، بل أفتوا بسجنه "أبدا حتى يموت في السجن" إذا ما اشتهر بالسرقة وعرف بها. إلا أن الإشارات التاريخية تتحدث عن مدة السجن الفعلية التي كان اللصوص يعاقبون بها كل العقوبات "الشرعية" السابق ذكرها، التي طبقت على أفعال السرقة واللصوصية يمكن وضعها في كفة، وعقوبة القتل التي نفذت على قَطع الطريق المُصاحب بالقتل في كفة أخرى لشدة هذه العقوبة التي تنتهي بموت الجاني. إذ لم تتوان السلطة المركزية التي كان يحركها هاجس ضبط الأمن باعتباره أولى أولويات السلطة، عن الضرب بقوة على يد قطاع الطرق الذين كانوا يغيرون على المسافرين والقوافل فينهبون ويقتلون. وعد هذا الشكل من أشكال اللصوصية بحق الأخطر والأكثر عنفا لأنه مورس من قبل مجموعات كبيرة.

ولم يكن حال السلطة المرينية أقل من حال سابقتها الموحدية في تنفيذ عقوبة القتل على اللصوص. ففي الوقت الذي كانت هذه السلطة لا تزال في بداية توطيد حكمها في المغرب الأقصى، قام السلطان أبو سعيد عثمان بن عبد الحق (614 ـ 638 / 1217 ـ 1239) بقتل العديد من قطاع الطرق، فأمنت فاس ومكناسة، وارتفع الخوف والالتباس، وعم الأمان، فتيسرت للناس أمورهم. وحاول أبو ثابت عامر (706 ـ 707 / 1307 ـ 1308) من جهته الحد من ظاهرة قطع الطريق، وهكذا توجه إلى مدينة أنفا عام 707 / 1307) وثقف بها ستين شيخا من أشياخ العرب من الخلط والعاصم وبني جابر وغيرهم بسجن المدينة، ثم "ضرب أعناق عشرين رجلا من أشرارهم الذين كانوا يقطعون الطريق بتلك الجهات وصلبهم على أسوار أنفا". ثم رحل إلى رباط الفتح "وقتل به ثلاثين رجلا من أشرار العرب وفتاكهم وصلبهم على أسوار العدوتين".

وعلى عهد أبي عنان فارس (749 ـ 759 / 1348 ـ 1358) شهد ابن بطوطة أوائل عام 757 / 1356 أن هذا السلطان كان ينفذ عقوبة القتل الشرعية ضد عمل الحرابة. وبعده قام أبو فارس عبد العزيز بن أحمد بن أبي القاسم (796 / 1393 ـ 1396) بقتل "رجلين وجب عليهما القتل بالحكم الشرعي لفسادهما، وقطع السبل وهما : علي بن زكرياء المصمودي ويوسف بن عمر العربي الجابري".

لم تقف السلطة المرينية عند عقوبة القتل في حق اللصوص وقطاع الطرق، بل لجأت إلى العقاب الجماعي في حقه سكان "مدينة" الجمعة الواقعة بين فاس ومكناسة الذين اشتهروا بممارسة اللصوصية حتى اعتبروا من قطاع الطريق الكبار، حيث أمر السلطان أبو سعيد عثمان بن أحمد بن أبي سالم (800 ـ 823 / 1398 ـ 1420) بتدمير هذه "المدينة" عن آخرها.

ثانياً :

إلى جانب العقوبات الشرعية التي سلطت على فعل اللصوصية والحرابة، سن المجتمع من جهته عقوبات أخرى، وهي عقوبات عديدة ومتنوعة وتصنف غالباً في باب الأعراف. فخلال القرن الخامس (11 م) كان أهل الصحراء في المغرب يعاقبون المتهمين بالسرقة بما يمكن أن نطلق عليه "طريقة العود".

وخلال أواخر القرن التاسع (15 م) وبداية القرن العاشر (16 م) كان سكان جبل الحديد في إقليم حاحا يعاقبون اللصوص بنفيهم لمدة معينة يقومون بتحديدها فيما بينهم للحفاظ على ما اتصفوا به من أمانة، وعلى حياة السلم التي كانوا يعيشون فيها.

وبالانتقال إلى النصف الأول من القرن الحادي عشر أواخر (16 م)، يلاحظ أن العقوبات التي سلطت على اللصوص من

قبل المجتمع تجاوزت الحدود السابقة، حيث وصلت إلى حد القتل حرقا. فقد قام أهل فاس بإحراق أحد اليهود عام 1001 / 1593 بعد أن ضبطوه متلبسا بالسرقة. أما المشاركون في السوق الذي كان يقام في إقليم جزولة، لمدة شهرين في السنة، فإنهم كانوا إذا ما ضبطوا لصا متلبسا بجريمة السرقة بقتله على الفور بواسطة طعنه برمح قصير، وترك أشلائه للكلاب.

وكان بديهيا أن يثير تطبيق مثل هذه العقوبات العرفية على اللصوص اشمئزاز واستنكار العديد من الفقهاء لا سيما أن المذهب المالكي لا يبيح العقوبة بالمال. لهذا ألف التنبكتي في صفر 1012 / 11 يوليوز 1603، إبان إقامته في المغرب، مؤلفه "جواب عن القوانين العرفية التي تعارف عليها بعض سكان الجبال"، الذي هو عبارة عن فتوى مطولة نددت بالعقوبات الصارمة التي كان يعاقب بها بعض سكان الجبال المغربية أهل الحرابة واللصوص، والَتي لا تستند إلى أي نص من نصوص الشريعة. وقد عرضت القضية على الفقهاء ليقولوا رأيهم في تلك الوسائل الزجرية، وأفتى في هذا الشأن طائفة من علماء المغرب بالإضافة إلى أحمد بابا التنبكتي كالفقيه عيسى السكتاني (تـ. 1062 / 1652).

ابن أبي البركات عبيد الله يحيى بن عبد الله، *كتاب بشائر الفتوحات في أحكام التعزيرات والحدود*، خ ح، الرباط، رقم 103 ؛ ابن غازي محمد العثماني المكناسي، *الكليات في المسائل الجارية عليها الأحكام*، خ ع، الرباط، رقم 1729 د ضمن مجموع، ص. 107 ـ 148 ؛ التنبكتي أحمد بابا السوداني، *أجوبة في شأن القوانين العرفية*، خ ح، رقم 5813 ؛ الريفي، محمد بن عبد الله، *جواهر السماط في ذكر مناقب الشريف الرفاعي سيدنا ومولانا الخياط*، مخطوط، خ ع، الرباط، رقم 1185 د ؛ مجهول، *مناقب الشيخ الولي الصالح الإمام الغوث سيدي أحمد بن جعفر السبتي*، خ ع، الرباط، رقم 896 د ؛ زروق، أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، *كناشة*، خ ع، الرباط، رقم 1385 د، ضمن مجموع، ص. 57 ـ 103.

محمد ياسر الهلالي

ابن **العقول**، صالح بن محمد ولد سنة 1913 بأولاد احريز ناحية الدار البيضاء عرف منذ شبابه بالاستقامة ونقاوة الضمير انضم إلى الحركة الوطنية بالمقاومة السرية عند تأسيسها وبدأ عمله بها بكل نشاط وجدية وغيرة وطنية.

ومن أعماله إبان فترة كفاحه مشاركته في إطلاق الرصاص على متعاونين مع الاستعمار، كما قام بوضع قنبلة بملعب الاسبان وأخرى بمقهى على مقربة من المسبح البلدي وأخرى بسيارة عامل بالجمارك، وكان يوزع السلاح على الخلايا السرية والأقراص السامة على المقاومين. وقد اغتيل من مجهولين يوم 5 يونيو 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524097.

العقيدة، كانت العقائد المنتشرة في المغرب قبل الإسلام هي الوثنية واليهودية والنصرانية بشيء من الاختلاف المجالي وفي درجة التعايش. وتعتبر الوثنية عقيدة أمازيغية محلية تعود إلى أصول قديمة ارتبطت طقوسها بالخصوص بالكهانة وبتعاطي السحر الذي أخذه الأمازيغ فيما بعد عن اليهود، فكان للكهان والكاهنات في المجتمع الأمازيغي بشمال إفريقيا مكانة اجتماعية متميزة.

ـ اليهودية : أما اليهودية فلم تكن ديانة أمازيغية بل كانت ديانة وافدة حافظت على تميزها وانحسارها العرقي، وكان انتشارها محدوداً بين بعض القبائل الأمازيغية. وقد اعتبرت الدول الإسلامية المتعاقبة على حكم المغرب اليهود أهل ذمة فعاملتهم بمقتضى عهد الذمة الذي منحهم وضعية قانونية واضحة وحافظ عليهم كأقلية احتفظت بعقيدتها وشرائعها.

ـ النصرانية : كانت النصرانية أقل انتشارا وتأثير في البربر قبل الإسلام، رغم أن بعض الأخبار تؤكد توغلها إلى داخل البلاد، مثل أغمات التي ذكر أن بعض حواريي النبي عيسى عليه السلام قد بنوا بها كنيسة. ولازال اندثار النصرانية ببلاد المغرب كلها أمراً غامضا. وفي العصر الإسلامي لم يبد المغاربة أي تأثر بالنصرانية رغم احتكاكهم الطويل بها سواء بالأندلس أو بالمغرب عندما أصبحت البلاد تتعرض لهجمات الإيبيرين، ولا في المرحلة الاستعمارية وما سبقها وحصل خلالها من حملات تبشيرية قوية ومنظمة.

ـ العقيدة الإسلامية : كان الفتح الإسلامي للمغرب سنة 62 / 682 بداية تحول عقدي عميق للمجتمع الأمازيغي لم يتوقف خلال المراحل الأساسية التي عرفها انتشار الإسلام بالمغرب والتي استمرت إلى عصر المرابطين. وشكلت العقيدة الإسلامية بوضوحها وبساطتها حافزا قويا للبربر للدخول في الإسلام. وقد أدت استجابتهم القوية للإسلام إلى انقراض كل من الوثنية والنصرانية.

ترسخت عند المغاربة في البداية عقيدة بسيطة قائمة على مذهب التفويض الذي كان عليه الصحابة وجمهور السلف. ثم توالت على المغرب تأثيرات عقدية مشرقية ارتبطت سواء بظهور الفرق والنحل المختلفة في المشرق أو بتطور البحث الكلامي. وكان المغرب باعتباره من مناطق الأطراف في الدولة الإسلامية في العصرين الأموي والعباسي مستهدفا لمخططات فرق الخوارج والشيعة لنشر دعواتها. وفي هذا السياق دخلت إلى المغرب عقائد إسلامية متعددة، مثل الخارجية والشيعية والاعتزال والحشوية والأشعرية والسلفية، واستطاع بعضها أن يرسخ قدمه مثل الأشعرية، بينما مرت الأخرى مروراً سريعاً.

ـ آثار الوثنية : خلال العصر الوسيط كانت النزوعات الوثنية، أو المجوسية كما تسميها المصادر العربية، تظهر من حين لآخر في بعض مناطق المغرب، فعندما انحسر مشروع الأدارسة لاستكمال نشر الإسلام بتفتت الدولة وإنهاكها، لم تتمكن الإمارات الزناتية التي خلفتها من متابعة المشروع،

واكتفت بالوقوف في وجه البرغواطيين، لذلك ظلت عند بعض قبائل الجنوب المنعزلة بقايا وثنية تمثلت في استمرار عبادة الكبش إلى القرن الرابع (10م) حيث أشار ابن حوقل إلى وجودها عند قبائل الجنوب. وفي غمارة ظهر رجل يدعى حاميم بن منّ الله من أسرة كان فيها عدد من الكهان فادعى النبوة وأظهر نحلة وثنية تبعتها بعض القبائل، إلى أن تم القضاء عليه سنة 315 / 927. وبعد حاميم ادعى النبوة صالح بن طريف البرغواطي الذي زعم أنه أنزل عليه كتاب باللغة الأمازيغية ودعا إلى نحلته البرغواطية التي جمعت بين مؤثرات وثنية ويهودية وخارجية، وظلت معزولة في المجتمع المغربي لم تتجاوز المجال الجغرافي لتامسنا، وبسبب عقائدها التلفيقية الغريبة لم يكن فقهاء المغرب آنئذ يرون جدوى في استخدام الحجج العقلية لمواجهتها، وفضلوا عزلها ومواجهتها بالتعبئة والجهاد، حتى تمكن المرابطون من القضاء عليها في أول عهدهم. وادعى النبوة أيضا ابن أبي الطواجين الكتامي الذي تعاطى للسحر والكيمياء وادعى النبوة وشرع الشرائع بمنطقة سبتة وتم قتله سنة 625 / 1228. وكانت قبائل صنهاجة الشمال تعرف مظاهر وثنية أخرى مثل ظاهرة الرقادة التي كانت معروفة بمنطقة غمارة حيث كان بعض السحرة ينامون يومين أو ثلاثة متتابعة، ثم يستيقظون بعدها فيخبرون بما يكون خلال ذلك العام من خصب أو جدب أو حرب، وكان السكان يؤمنون بتلك التوقعات وينتظرون وقوعها.

- العقائد الخارجية : دخل المذهب الخارجي إلى المغرب ممثلا في عدد من التأثيرات، وكان أول ظهور لتأثير خارجي قوي هو في ثورة البربر العارمة التي حصلت سنة 122 / 740 في كافة أنحاء بلاد المغرب، والتي فجر فيها خوارج الأمازيغ غضبهم من تجاوزات ولاة الأمويين انطلاقا مما كانت تدعو إليه عقائد الخوارج من عدل ومساواة. ثم استطاعت فرقة الصفرية التي كان من زعمائها الأول سمكو ابن واسول المكناسي أن تنتشر في زناتة إلى أن تمكن أحفاده من إقامة إمارة بني مدرار بسجلماسة، لكن بعد تدهور الإمارة المدرارية أخذت العقيدة الخارجية في التراجع إلى أن اختفت تماما.

- الاعتزال : تسربت إلى المغرب أيضا تأثيرات اعتزالية، حيث أشار البكري إلى وجود فرقة الواصلية أتباع واصل بن عطاء (80 - 141) بين أمازيغ قبيلة أوربة في القرن الثاني الهجري (8 م)، دخلت هذه التأثيرات عن طريق رحلات المغاربة إلى المشرق، ومن بين من مثلوا هذا الاتجاه زعيم قبيلة أوربة إسحاق بن عبد الحميد الأوربي الذي تلقى مبادئ المعتزلة والولاء لآل البيت في رحلته المشرقية. ولا شك أن الاعتزال كان منتشرا في قبيلة أوربة وأنه استمر مدة من الزمن خلال الدولة الإدريسية قبل أن يختفي في ظروف غامضة بغلبة العقيدة السنية.

- العقائد الشيعية : لم تترك الدعوة الفاطمية بالمغرب الأقصى أثرا يذكر بسبب المدة القصيرة التي قضاها عبيد الله المهدي بسجلماسة، لكن التأثير الفاطمي فيما بعد كان تأثيرا سياسيا بالأساس. في حين أن العقيدة الشيعية التي ظلت بالمغرب إلى حدود أواسط القرن الخامس هي عقيدة الشيعة البجلية التي تعود إلى علي بن ورصند البجلي (ت. 296 / 909) الذي جاء من نفطة بجنوب إفريقية واستقر بالسوس الأقصى في رعاية الأمير الإدريسي أبي القاسم بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن إدريس الثاني صاحب إيجلي، وأشاع بنواحي تارودانت مذهبه الخاص الذي كان يختلف عن التشيع الإسماعيلي، وسمت المصادر فرقة البجليين بالموسوية لاعتقادهم في إمامة موسى الكاظم (ت. 183 / 799)، وامتد وجود هذه الفرقة إلى منطقة درعة، لكن تأثيرها العقدي ظل ضعيفا بسبب محاصرة مالكية السوس لها. وقد قضى المرابطون عليها بقسوة سنة 451 / 1059.

- الحشوية : وصف ابن حوقل المالكيين من أهل السوس الأقصى في القرن الرابع الهجري (10 م) بأنهم من فظاظ الحشوية ؛ وأصحاب هذا الاتجاه هم الذين يطلق عليهم أيضا اسم المشبهة أو المجسمة، لأنهم يأخذون نصوص العقيدة على وجهها الظاهر دون تأويل، ورأى ابن رشد الحفيد أن الحشوية يعتقدون "أن طريق معرفة وجود الله تعالى هو السمع لا العقل"، ولا شك أن أغلب فقهاء المرابطين كانوا من الحشوية لأنهم كانوا يأخذون الآيات المتعلقة بالعقيدة على ظاهرها دون تأويل، لذلك وصفهم ابن تومرت بالتجسيم.

- الأشعرية : يعود اتصال علماء المغرب بالأشعرية إلى مرحلة مبكرة حيث تنسب إلى العالم أبي ميمونة دراس بن إسماعيل الجراوي الفاسي (ت. 357 / 968) رسالة في الدفاع عن الأشعرية، وكان قد رحل إلى المشرق واتصل هناك بأئمة الأشعرية. وفي بداية القرن الخامس كتب عالم إفريقي هو أبو الطيب الصفاقصي (ت. 501 / 1107) نزيل أغمات عقيدة أشعرية سماها العقيدة السنجة البرهانية وأهداها للشيخ إسحاق بن إسماعيل أمغار حوالي سنة 412 / 1020. وعبر هذه المسالك المختلفة بدأت مؤثرات المذهب الأشعري تصل إلى المغرب الأقصى. ومن علماء الأشاعرة الذين ظهروا بالمغرب في عصر المرابطين أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الضرير (ت. 520 / 1126)، سكن بفاس وبمراكش وألف منظومة في 1345 بيت سماها التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد.

كانت ملامح المذهب الأشعري واضحة في العصر المرابطي، لكن رفض الحكم المرابطي لهذا المذهب جعله يظل رهين حلقات الدرس، ولم يجرؤ العلماء على نشره في أوساط العامة، رغم أن بعض العلماء المقربين من المرابطين كانوا من علماء الكلام المعروفين مثل الإمام أبي بكر المرادي الحضرمي صاحب كتاب التجريد في علم الكلام، كان "له نهوض في علم الاعتقادات والأصول"، وبسبب تبريزه فيها اعتبره ابن الزيات التادلي "أول من أدخل علوم الاعتقادات إلى المغرب الأقصى". لكن المرابطين تعاملوا في الجانب المذهبي بمحافظة

شديدة وكانوا رافضين لأي تطور يمس ما ورثوه عن أسلافهم سواء في الجانب الفقهي أو العقدي، حتى "دان أهل ذلك الزمان بتكفير من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام، وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام وكراهة السلف له، وهجرهم من ظهر منه، وأنه بدعة في الدين، وربما أدى أكثره إلى اختلاف في العقائد، في أشباه لهذه الأقوال، حتى استحكم في نفسه بغض النظر في علم الكلام وأهله، فكان يُكتب عنه في كل وقت إلى البلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء منه، وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه".

في هذا الوقت كان العالم الإسلامي يشهد تحولات كبيرة على المستوى العقدي، حيث ظهرت حاجة ماسة لدى المذاهب السنية للمذهب الأشعري لمواجهة عقيدة الاعتزال التي كانت هي المذهب الرسمي للدولة الفاطمية. وقد أحس علماء بغداد وعلماء الغرب الإسلامي بهذه الحاجة، فبدأت الأشعرية تزحف شيئا فشيئا على الأوساط العلمية وأثيرت نقاشات في أوساط عديدة حولها، بما فيها أوساط السلطة المرابطية نفسها، وذلك ما تظهره بعض الفتاوى التي وجهها بعض الأمراء المرابطين إلى قاضي الجماعة بقرطبة أبي الوليد بن رشد الجد يسألونه فيها عن حقيقة المذهب الأشعري، وعن علاقته بالمذهب المالكي وبفقهائه.

وفي هذه الظروف أحس محمد بن تومرت بأهمية توظيف المذهب الأشعري في حركته الإصلاحية فاستطاع أن يحاصر المرابطين ببعض التهم مثل المجسمين والمشبهة، بل إنه تمادى إلى حد تكفيرهم واستحلال دمائهم لانحرافهم العقدي بزعمه. وبذلك جعل المسألة العقدية في صلب صراعه ضد المرابطين، فكتب بعض الرسائل في العقيدة باللسانين العربي والأمازيغي بطريقة مبسطة، جعلها في سبعة أحزاب بعدد أيام الأسبوع، ليسهل تعلمها، ووضع عقيدة مختصرة سماها المرشدة خلقت استجابة قوية للأشعرية رغم أنها تلائم كل من الأشعرية والسلفية.

وقام تلميذه عبد المؤمن بن علي الكومي بدور هام في نشر تراثه العقدي المشبع بالأشعرية، فكان يدرس رسائل ابن تومرت بنفسه ويلقيها في مجالسه. وحرص على نشر عقيدة المرشدة باللغتين العربية والأمازيغية لتعميمها، فساهمت هذه الجهود في انتشار تراث المهدي العقدي بين المصامدة على نطاق واسع على عهد عبد المؤمن وابنه يوسف الذي كان هو الآخر يعقد مجالس لدراسة عقائد ابن تومرت، وأمر بجمع رسائله وخطبه في كتاب *"أعز ما يطلب"* حتى صار المذهب مذهبا رسميا لدولة الموحدين.

من بين الوسائل التي اعتمدها الموحدون لنشر عقائد المهدي تحفيظها للطلبة وترديدها في المناسبات المختلفة ترديدا جماعيا جهريا بالعربية والأمازيغية، فكان من رسوم الخلفاء "إذا ركبوا وقف [الخليفة] وبسط يديه ودعا، فإذا فرغ الدعاء افتتح القراءة طلبة الموحدين خلفه، فيقرأون حزبا من القرآن في نهاية الترتيل، وهم سائرون سيرا رقيقا، ثم شيئا من الحديث، ثم يقرأون تآليف ابن تومرت في العقائد بلسانهم وباللسان العربي".

وفي سبيل التقرب للموحدين تكونت مدرسة كلامية انكبت على تراث ابن تومرت كان على رأسها علماء مغاربة وأندلسيون مثل أبي العباس أحمد بن عبد الرحمان بن الصقر الأنصاري الخزرجي (ت. 559 / 1163)، وأبي الحسن علي بن محمد بن حُلَيْد اللخمي المعروف بابن الإشبيلي (ت. 567 / 1171)، وفي المقابل أحس علماء المغرب من جهتهم بأهمية نشر العقيدة الأشعرية في صيغتها الأصلية فاجتهدوا في ذلك اعتمادا على مصادر أخرى خاصة كتاب *الإرشاد* لإمام الحرمين الجويني الذي تناول أهم القضايا العقدية التي تناقشها الأشعرية، ونال اهتماما كبيرا من لدن علماء المغرب، بينما حال طول كتابه الآخر الشامل في أصول الدين وتفصيلاته دون الاهتمام الموسع به. ويظهر أن الإقبال الواسع الذي لقيه كتاب الإرشاد قد جاء كبديل لتوحيد ابن تومرت الذي تم تجاهله بشكل واضح. وحظي كتاب الإرشاد بشروح عدة منها شرح أبي بكر ابن ميمون العبدري أحد طلبة الحضر بمراكش.

ساعد التطور العام للمذاهب السنية بعمق في انتشار الأشعرية، وأدى إلى انخراط فقهاء المذهب المالكي بالمغرب فيها بشكل تلقائي بعد تفهمهم لمضمونها ومنهجها، لذلك فإن الانتماء لها قد حسم بشكل شبه نهائي بعد العصر المرابطي، واستجاب فقاء المذهب المالكي للمنهجية التأويلية للأشعرية بشكل متحرر من انغلاق العصر السابق.

أصبحت مدينة فاس خلال العصر الموحدي من أنشط المراكز العلمية بالمغرب والأندلس اهتماما بعلم الكلام، بفضل جهود أبي الحسن بن الإشبيلي، وبفضل من جاء بعده كتلميذه أبي عمرو عثمان بن عبد الله السلالجي القيسي الأصولي (ت. 574 / 1178)، درس عليه كتاب *الإرشاد* للجويني بمراكش، بعد أن كان قرأه بفاس على أبي الحسن بن حرزهم، ونبغ في المذهب الأشعري حتى اعتبره ابن الزيات "إمام أهل المغرب في علم الاعتقاد"، وكان يحضر مجالس عبد المؤمن، ثم رجع إلى مدينة فاس وانقطع لتعليم أصول الفقه والدين خاصة كتاب *الإرشاد*، حتى غلب عليه لقب الأصولي. ولكثرة من أخذ عنه الأشعرية لقب "بمنقذ أهل فاس من التجسيم". وكان طلبة العلم يرحلون إليه بفاس لأخذ الأصلين عنه، وألف عقيدة مختصرة سماها العقيدة البرهانية وهي اختصار للإرشادو عرفت انتشاراً واسعاً.

وكان شيخ المتكلمين بفاس بعد السلالجي تلميذه أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الكريم الفندلاوي المعروف بابن الكتاني (ت. 597 / 1201)، وقد اعتبره ابن الزيات آخر أئمة المغرب في علوم الاعتقاد، وضع شرحا للبرهانية. وكان الموحديون يحترمونه رغم أنه لم يكن له بهم اتصال. واشتهر

أيضا بالتضلع في العقيدة عدد من علماء فاس أشهرهم يوسف بن محمد المكلاتي.

إضافة إلى من سبق الإشارة إليهم تصدى للتأليف في علم الكلام عدد من علماء المغرب، فشرح البرهانية محمد بن أحمد الخفاف الرعيني الإشبيلي كان مقيما بمراكش. وشرح أبو بكر بن ميمون العبدري كتاب *الإرشاد* لأبي المعالي الجويني، ونظم أبو الحسن علي بن عتيق بن مؤمن (تـ. بفاس، 598 / 1202) "في العقائد قصيدة جامعة كبيرة". وألف علي بن محمد الحصار الخزرجي الفاسي (تـ. 610 / 1213) كتاب *البيان في تنقيح البرهان* للجويني إلى جانب عقيدة في أصول الدين شرحها في أربعة أسفار. وألف يوسف بن محمد بن مصامد الصنهاجي كتابي *المنتقى مما هو المرتضى للمتكلمين في أصول الدين*، *والمقام الأعلى بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى*. ووضع عالم في الأصلين هو محمد بن يوسف المزدغي الفاسي (تـ. 655 / 1257) أرجوزة في أصول الدين. أما أبو عبد الله محمد بن علي بن العابد الأنصاري الفاسي (تـ. 662 / 1264) فقد اختصر الكشاف للزمخشري، وحذف منه ما يتعلق بمسائل الاعتزال.

وبجانب المتحمسين للأشعرية ظهر تيار معارض كان على رأسه الفيلسوف أبو الوليد بن رشد الذي انبرى للرد عليها في كتابه الكشف عن مناهج الأدلة مبينا "أن الطرق المشهورة للأشعرية في السلوك إلى معرفة الله سبحانه ليست طرقا نظرية يقينية". وحكم عليها بالإفلاس المنهجي والنظري، وانتهى به التحليل أن حشرها ضمن الفرق الضالة إلى جانب المعتزلة والباطنية والحشوية، معتبرا أن منهجها في الاستدلال ضعيف، لأن طريقها "ليست برهانية صناعية، ولا شرعية".

وفيما يتعلق بمواقف الصوفية من الأشعرية في العصر الموحدي يظهر عليها تنوع ملحوظ، فكان ميل أغلبهم إلى المذهب الأشعري واضحا تماما، بل إن أئمة هذا العلم كانوا من أهل الزهد والتصوف كأبي الحسن ابن الإشبيلي وأبي عمرو السلالجي وأبي عبد الله بن الكتاني. وقدساير المتصوفة التوجه العام القوي نحو المذهب الأشعري خلال هذا العصر بمستويات مختلفة، فالشيخ أبو الحسن بن حرزهم لم يكن ير بأسا بدراسة *الإرشاد* للجويني، وقد درس عليه بفاس أبو عمرو عثمان السلالجي شيئا منه. وكان أبو العباس أحمد بن عبد الرحمان بن الجباب الصنهاجي (تـ. 592 / 1196) من أهل مراكش كبير الشأن في التصوف و "من أهل المعرفة بعلوم الاعتقادات". ومن أهل التصوف ذوي الكرامات أبو علي عمر بن النجار الفاسي (تـ. 620 / 1223) كان عالماً بعلم الكلام وأصول الفقه.

وكان من الصوفية أيضا من يكره النظر في كتب الكلام، فقد منع أحد صوفية فاس أحد طلبة العلم من دراسة *الإرشاد* للجويني، ووجهه إلى قراءة الفقه والحديث دون أن يحدد سببا لذلك.

وعلى العموم كان من نتائج هذه التطورات أن وقع تحول شامل نحو الأشعرية وأصبح التلازم بينها وبين الفقه المالكي سمة من سمات الهوية الدينية للمغاربة منذ العصر الموحدي، والملاحظ أنه قد غلب على الممارسة الدينية طابع البساطة والرتابة، فظلت تدور في فلك الفقه مبتعدة ما أمكن عن المناقشات النظرية والجدل العقدي. وقد عبر عن ذلك بوضوح الفقيه المالكي عبد الواحد بن عاشر منظومته الشهيرة المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، بقوله :

في عقد الأشعري وفقه مالك   وفي طريقة الجنيد السالك

تابع المذهب الأشعري انتشاره بصورة طبيعية في المغرب بعد عصر الموحدين، وظلت البرهانية للسلالجي هي المتن العقدي الأساس في تدريس العقيدة، ومن شراحها في القرن التاسع الهجري (15 م) عبد الرحمن الكرامي السملالي السوسي. كما استمر تداول النص الأمازيغي لعقائد ابن تومرت إلى جانب نصها العربي خلال عصر المرينيين. ولقيت عقيدة المرشدة لابن تومرت إقبالا واسعا عليها لوضوحها وتركيزها وسلامتها، فحظيت بشروح كثيرة ابتداء من العصر المريني، وممن شرحها عالم فاسي أقام بالمشرق مدة طويلة هو شرف الدين الكركي الفاسي (ق 7 : 13)، وخصص لها ابن عباد النفزي الرندي شرحا بعنوان الدرة المشيدة في شرح المرشدة، وشرحها أيضا محمد بن يوسف السنوسي وغيرهم. وعرفت المرشدة بالمشرق على نطاق واسع، ودرست بالمسجد الأقصى بالقدس لسنين عديدة.

وفي أواخر القرن التاسع الهجري ألف العلامة محمد بن يوسف السنوسي دفين تلمسان (895 / 1490) عدة نصوص في العقيدة منها أم البراهين (العقيدة الصغرى)، ومختصرها المعروف بصغرى الصغرى، وشرح المرشدة لابن تومرت وغيرها، لكن كتب لأم البراهين أن تصبح الأكثر انتشارا حتى غطت على ما سواها، وحظيت بشروح عديدة، وصارت تدرس بحلقات العلم في أنحاء المغرب. وهي عقيدة مختصرة في ثمان صفحات تتضمن المحاور الآتية :

- أقسام الحكم العقلي : الوجوب، الاستحالة، الجواز
- ما يجب في حق الخالق سبحانه من صفات، وما يستحيل وما يجوز
- ما يجب في حق الرسل من صفات، وما يستحيل وما يجوز
- معاني العقائد المذكورة تجتمع في الشهادتين (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)

شاعت هذه العقيدة بسبب أسلوبها المختصر، واقتصار مؤلفها على أهم مباحث علم التوحيد، وميله نحو التبسيط. ومع السنوسي لم يعد علم التوحيد يكرر جزئيات علم الكلام وتفاصيله بنفس الطريقة التي غلبت على المؤلفات الأولى. وظلت صغرى السنوسي وشروحها معتمدة في علم التوحيد في جميع معاهد العلم بما فيها القرويين إلى القرون الأخيرة.

وقد ظهرت عند علماء سوس بالخصوص تآليف عديدة في العقيدة باللسان الأمازيغي منها عقيدة للشيخ سعيد بن

عبد المنعم الحاحي (ت.953 / 1546) ظلت هي أساس التكوين العقدي والأخلاقي في زاويته بإيداوزداغ. ولغيره منظومات في العقيدة بالأمازيغية أيضا مثل الفقيه محمد ابن سعيد السيلي والفقيه أحمد بن محمد الأودشتي من فقهاء القرن الثالث عشر الهجري (19 م).

أما الجدل الكلامي فإن المغرب الأقصى لم يعرفه كما عرفته إفريقية والأندلس اللذان ظهرت فيهما كتب كثيرة في هذا الصدد منذ القرنين الثالث والرابع الهجريين (9 ـ 10 م)، ولا نعلم من كتب المغاربة في هذا الشأن سوى كتاب المناظرة والمعارضة في الرد على الرافضة لعبد الله بن فارس البرنوسي التازي (ت. 894 / 1489).

ـ السلفية : حصلت منذ القرن السادس الهجري (12 م) وحدة عقدية بالمغرب على أساس المذهب الأشعري، ومع ذلك كان بعض العلماء يعتنقون العقيدة السلفية في شكلها الحنبلي لكن على نطاق محدود جدا. إلى أن جاءت رسالة محمد بن عبد الوهاب إلى أهل المغرب في القرن (18 م) والتي أثارت نقاشا واسعا بين الفقهاء حول محتواها، وانبرى للرد عليها عدد منهم مثل الشيخ الطيب بنكيران وغيره. ومع ذلك فقد تبنى السلفية انسلطان مولاي سليمان واكتفى باستعمالها لمحاربة التصوف الطرقي، ووجد نفس التأثير لدى السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي كان يصف نفسه "بالمالكي مذهبا الحنبلي اعتقادا".

وقد ظل تأثير هذه العقيدة محصوراً جداً في أوساط العلماء إلى أن كان عهد الحماية فظهر تأثير سلفي جديد، يرجع إلى السلفية المصرية التي مثلها رواد النهضة خاصة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا، وقد التف زعماء الحركة الوطنية بالمغرب حول هذه العقيدة لمناهضة فكر بعض الطرق الصوفية، سواء منها التي كانت تروج لبعض الخرافات أو التي لم تتحمس لمقاومة الاستعمار، وأبرز رموز الفكر السلفي في هذه المرحلة أبو شعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي وعلال الفاسي. الذين راهنوا بالأساس في هذه المرحلة على توظيف أفكار السلفية توظيفا سياسيا في مقاومة المشروع الاستعماري.

وبعد الاستقلال بدأت موجة جديدة من التأثير السلفي، تمثل في استيراد أفكار الوهابية عن طرق متعددة : منها بعض الشيوخ الذين درّسوا بالجامعات السعودية مثل تقي الدين الهلالي أو بعض تلاميذ هذه الجامعات، وكان اعتمادهم في نشرها على التلقين المباشر أو عن طريق أدبيات وهابية معاصرة ؛ أما الطريق الثاني فهو جماعة التبليغ والدعوة، التي وإن كانت في الأصل جماعة صوفية حنفية المذهب إلا أن فروعها في العالم العربي تبنت العقيدة السلفية الوهابية. ثم هناك وسائل أخرى متنوعة كالتأثير عن طريق الحج والكتب وغيرها. ومنذ السبعينيات أصبحت السلفية الوهابية تتخذ بالمغرب شكل مد شعبي، وأصبحت مظاهرها أكثر بروزاً في المجتمع المغربي، بل إنها طرحت نقاشات عقدية عقيمة في هذه الأوساط تذكر بالنقاشات التي كان الحنابلة يخوضونها ضد الجهمية والمعطلة والرافضة وغيرها. وتمحورت نقاشات السلفيين حول ما يعتبرونه من البدع وهو ما جرى عليه العمل في المغرب مثل قراءة الحزب جماعة، وتعدد الأذان يوم الجمعة والدعاء عقب الصلوات والاحتفال بالمولد النبوي الشريف. كما أن هذه العقيدة تدعو إلى عدم التقيد بمذهب فقهي معين، وتعادي التصوف ومظاهره المختلفة عداء مطلقا.

ورغم أن السلفية في صيغتها الوهابية تزعم أنها على منهج السلف فإن طريقتها في الدرس العقدي تؤكد أنها فرقة كلامية تجمع بين مؤثرات المذاهب العقدية القديمة، مثل المذهب الخارجي، لكن أساسها هو الحشوية، وتستعمل التأويل بطريقة انتقائية، لذلك فإنها لا تخلو من تناقض، ومن ذلك أنها تعتبر أن معرفة دقائق العقيدة فرض عيني على كل مسلم.

أبو صالح الأيلاني، *كتاب القبلة*، مخطوط خاص ؛ ابن خزم، *الفصل في الملل والأهواء والنحل*، بيروت، ج 2، ص. 113 ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*، تح. كرامرز وآخرون، ليدن، 1939 ؛ ابن رشد الحفيد أبو الوليد، *الكشف عن مناهج الأدلة*، بيروت، 1998 ؛ البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، باريز، ص. 118 ؛ م. الطالبي، البرغواطيون في المغرب، الدار البيضاء، 1999 ؛ القاضي وداد، الشيعة البجلية في المغرب الأقصى، *أعمال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته*، تونس، ج 1، ص. 167 ـ 194 ؛ ع. كنون، عقيدة المرشدة للمهدي بن تومرت، *البحث العلمي*، العدد 9 : 1966، ص. 175 ـ 185 ؛ ع. الواحد المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، الدار البيضاء، ص. 485 ؛ م. المغراوي، *تطور المذهب الأشعري بالمغرب الأقصى إلى حدود العصر المرابطي*، التاريخ والفقه، الرباط، تنسيق محمد حجي، 2002 ؛ س. يفوت، الأشعرية، *معلمة المغرب*، ج 3، ص. 465.

Wilfred Madelung, Some notes on non-isma'ili shiism in th Maghrib, Studia Islamica, Vol. XLIII, 1976, p. 87-97.

محمد المغراوي

العقيق : في القاموس، نوع من الحجر الكريم من مركبات المرو الممزوج ببعض أكسيد الحديد الذي يصبغها بألوانها القائمة بين الأصفر والأحمر.

وتوفرت مناجم الحجر الكريم المنتج للعقيق بالهند واليمن، كما لا يستبعد وجود المناجم ذاتها بالمغرب، لوجود قرائن دالة على ذلك تشير إلى تصديره من ميناءي أسفي وأزمور في اتجاه مركزي أركين ولامينا. وقدرت صفقة واحدة منه بقنطار. والعقيق المغربي نوعان : رقيق وخشن (*S.I.H.M., Portugal* 1, p. 146, 147, 653).

ويصنع العقيق بعد وضع الحجر المعدني المنتج له في النار لفترة محددة، يراقب خلالها بدقة فائقة، وبعد إخراجه من النار، يوضع على قطعة حديدية مثبتة في الأرض ثم يطرق بلطف إلى أن ينكسر القدر المراد منه، ولا يعاد الحجر الذي تم تسخينه مرة أخرى إلى النار حتى لا يفسد. ويحبذ في العقيق، البراق الخالي من العيوب. والعقيق أنواع فهناك :

- الامع كالبلور والموشي بالسواد والبياض ويسمى : عسيم.

- والمذهب وهو العقيق اليمني المتميز بصفائه وصفرته الذهبية المشرقة.

- والأحمر ويتميز بصلابته وغلاء ثمنه.

والجزع البقراني وأصله من معادن الهند وفيه سواد وبياض.

والرومي وهو ما تشوب صفرته حمرة. كما يتميز بسلاسته ورطوبته وسمي بالرومي، لاستحسان الروم له.

- المشمشي وهو المفضل لدى أهل العراق.

- والتمري والكبدي وهما المستحسنان عند أهل خراسان.

ولقد دخل العقيق منذ العصور القديمة في حركة تجارية عالمية انطلقت من الهند واليمن والمغرب - باعتبارها بلدانا تنتج هذا المعدن - ومتجها نحو أسواق البحر الأبيض المتوسط أولا ثم من بعده إلى أسواق المحيط الأطلنطي والهادي.

واستعمل العقيق لأغراض عدة لطبع الخواتم وقلائد للنساء، كما استعمل في الزخرفة الدقيقة الراقية، كما هو الحال في محراب جامع دمشق.

ودخل العقيق الميدان الطبي، حيث عولجت به آلام الأسنان كما استعمل لإيقاف النزيف.

واعتقد الناس أن للعقيق قدرات خارقة بحيث يجعل من الرجل المحارب فارسا مغوارا، كما أن وجوده في البيوت يبعد عنها آفة الفقر.

وفي تطوره التاريخي أخذ العقيق منحى أبعده عن أصله النبيل، فلقد أصبح جزء كبير منه يصنع من الزجاج. وفي شكله هذا انتشر عند عامة الناس خاصة منهم نساء البادية المغربية اللواتي اتخذنه كحلي وكذا لتزيين جل ما يلبسنه، فلقد رصعت به الخلاخل والكتفيات والسفيفة والفستان الوجدي.

كتاب الجماهر في معرفة الجواهر - البيروني، المتوفى في القرن الخامس الهجري، ص. 172 - 174.

Encyclopédie du Maroc, nouvelle édition, t. 1, troisième impression, p. 346 - 347 ; *S.I.H.M., Portugal* 1, p. 146, 147, 653.

حليمة بنگرعي

العكاكزة، طائفة صوفية نشأت بالمغرب خلال الربع الأول من القرن (10 - 16) في إطار التيار الزروقي - الراشدي الذي تدفق على البلاد من المغرب الأوسط، وتفرع إلى اتجاهات متعددة، وعرف انتشاراً واسعاً، وصادف متعاطفين ومنتصرين، وواجه منكرين ومعترضين، وهذا في حياة الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (ت. 931 / 1524) صدر الطبقة الزروقية الأولى، ومؤسس الطريقة الراشدية. وقد تزعم الطائفة التي تهمنا الاتجاه الذي عمل على نشر طريقة هذا الشيخ، والمتأثر بالبسطامية، والقائل بالإحسان بلا علل، والمحبة الخالصة، والتساهل في تحقيق الخشية والرجاء. وقد بالغ في التأسي بها إلى درجة القناعة بإحدى تسمياتها وهي "اليوسفية"، والتعفف عن اتخاذ اسم يخصها ويميزها عنها. فاليوسفية هي التسمية التاريخية التي عرفت بها هذه الطائفة غداة تأسيسها، وبها اشتهرت طوال هذا القرن، ولم تعرف بأية تسمية أخرى خلاله.

واتخذ اليوسفيون لأنفسهم اسماً آخر هو "الأحمدية"، وسموا أنفسهم أصحاب أحمد وسموا غيرهم أصحاب محمد (ص). ولاشك في تأخر هذه التسمية لورودها في المصادر المصنفة خلال القرن (11 - 17). وقد استخدموها استخداماً محدوداً، واستعملوها في ظروف خاصة، فكان إذا غشيهم أحد ممن لا يعرفونه يسألونه ويقولون أحمدي أم محمدي ؟ وكان ولدانهم وقت العراك مع أقرانهم من المجاورين، إذا قال هؤلاء يا آل محمد (ص) قالوا يا آل أحمد. وتسميتا اليوسفية والأحمدية مشتقتان من اسم أحمد بن يوسف، ومتعلقتان به، وتعبران عن تأكيد الانتساب إليه.

وهناك تسمية ثالثة لا تظهر إلا بمصادر القرن (13 - 19)، وهي "الملاينة" نسبة إلى مدينة مليانة حيث يقوم ضريح الشيخ الراشدي. وتتصل بالمرحلة الأخيرة من تاريخ الطريقة الراشدية بصفة عامة وتاريخ الطائفة اليوسفية بصفة خاصة، والتي خبا فيها الجانب الفكري خبواً يكاد يكون تامّاً، وطغت شهرة ضريح مليانة على الشخصية التاريخية والمذهبية لدفينه، والذي سلخ من نسبه الزناتي الصريح وألبس جلدة الشرفاء الأدارسة. فارتبطت هذه التسمية بالجانب الاجتماعي المتعلق بالنسب الشريف المنتحل، أكثر من ارتباطها بالجانب التاريخي والمذهبي الذي تعبر عنه التسميتان السابقتان.

واشتهر اليوسفيون بتسميات أطلقها خصومهم عليهم، وهي "البضاضوة" نسبة إلى إباضية مزاب، و"الشراقة" نسبة إلى القبائل التي طرأت على البلاد من جهة الشرق في مطلع المائة العاشرة الهجرية. وتؤكد هاتان التسميتان انتماء اليوسفية، في أصولها المذهبية وعناصرها البشرية، إلى تاريخ ومجتمع المغرب الأوسط المجاور.

وتبقى تسمية العكاكزة التسمية الوحيدة التي تقطع عرى هذه الطائفة بالطريقة الراشدية، وتخرجها من سلك التصوف بالمرة، وتنحو إلى إيجاد سبب لها بتاريخ ومجتمع المغرب الأقصى. وتحتمل أن تكون من ابتداع اليوسفيين، وأن لها صلة بالعكاز الذي اتخذوه شعاراً. وتحتمل أن تكون من ابتكار خصومهم، وأن وراءها محاولة إيصال حبلهم بالعكازين أتباع المهدي بن تومرت (524 / 1129).

وقد اشتهرت الطائفة اليوسفية بتسمية العكاكزة أواخر الدولة السعدية وصدر الدولة العلوية، وطغت هذه التسمية على كافة تسمياتها السابقة، سواء تلك التي ارتضاها أتباعها لأنفسهم، أو التي ميزهم بها خصومهم. وتتصل هذه التسمية بتعلق بعض أهل التصوف باتخاذ الشعارات وإيثار الزي من المرقعات والسبحات والسجادات والعكاكيز وغير ذلك.

وقد ذكر العكاز مرة واحدة في السيرة المفردة في الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي، والمصنفة من قبل محمد الصباغ القلعي، والمؤلفة ما بين 952 و962 / 1545 و1555، والموسومة *"بستان العارفين الأزهار"*، وكان صاحب هذا العكاز أحد صحب الراشدي من أهل المغرب الأقصى بالذات ! كما تردد العكاز بكثرة في سيرة أحد أعلام الطبقة الراشدية الأولى، وهو الشيخ عبد الله الخياط (ت. 939 / 1532)، واتصلت به العديد من كراماته، مثلما اتصلت معجزة النبي موسى بعصاه. فكان أن نبع الماء من ضرب الشيخ الخياط الأرض بعكازه في تساوت من بلاد تادلا، وفي زرهون حيث لازالت إحدى العيون به، والتي توعز سيرة الخياط انبجاس مائها إلى كراماته، تسمى "عين العكاز". واشتهر عن اليوسفيين تعبيرهم عن بعض طقوسهم بالجعبة وهي كالعكاز، واحتفظت فرقة منهم، وهم بنو محسن من قبيلة غياثة، إلى مطلع القرن (14 ـ 20)، بعكاز يعتقدون فيه خرق العادة، ويقولون إنهم توارثوه عن مؤسس الطائفة اليوسفية، ويسمونه "الزرواطة".

وتسوغ هذه المعطيات القول باتخاذ الراشديين المغاربة العكاز شعاراً، وغلو اليوسفيين في الاعتناء والظهور به، وبالأخص خلال الثلث الأخير من القرن (11 ـ 17)، حتى اشتهروا ولقبوا به. فأصبحوا بلقب العكاكزة يسمون، وإليه ينتمون، وبه يدعون فيجيبون. ودعوا في المصادر بهذه النسبة العامية لروجانها بين عامة وخاصة مغاربة هذا العهد، ودعوا فيها أحيانا بالنسبة الفصيحة العكازية والعكازين. وقد بربرت احدى فرقهم، وهم أهل زمور، هذا الاسم ولقبوا أنفسهم إعكازين.

ويواطئ هذا اللقب لقب طائفة بدعية مغربية جانبت السنة على عهد بني مرين، وهي طائفة العكازين أتباع المهدي بن تومرت. وأوقعت هذه المواطأة في اللقب أرباب الإفتاء في مشكل تعدد الطائفتين أو عدم تعددهما، ووجود أو خلو الجامع الذي أوجب إطلاق لقب أولئك على هؤلاء، واتفاق أو اختلاف الحكم في نازلتهم.

وترتب عن النكبة التي حلت بالطائفة اليوسفية، على يد المولى إسماعيل عام 1102 / 1691، والتي لم تنهض من عثرتها أبد الدهر، أن عفا الزمان على معظم التسميات التي عرفت بها طوال القرنين (10 و11 / 16 و17)، وانمحت حتى من ذاكرة القبائل التي حافظت على هذه النحلة إلى مطلع القرن (14 / 20). وهذه القبائل هم الزكراويون القاطنون في جبال الزكارة الواقعة في ناحية وجدة، والمحسانيون المنتمون إلى قبيلة غياثة في ناحية تازة، والغنانميون النازلون في الطريق بين مراكش وتامصلوحت، والمليانيون المستقرون بسهل الغرب.

وأوقع هذا التعدد في تسميات الطائفة اليوسفية بعض الباحثين في وهم قوامه تعدد فرقها واستقلال بعضها عن بعض، الأمر الذي ضخم صورة هذه البدعة، وحرف تاريخ الطريقة الراشدية التي تسللت منها، وكان لاختفاء تسميات القرنين (10 و 11 / 16 ـ 17) عاقبة عند بعض الباحثين الذين أرخوا بعام 1102 / 1691 لنهاية هذه الطائفة وانقراضها. أما الباحثون الذين لم يقفوا إلا على المجموعات القبلية الأربع المذكورة في مطلع القرن (14 / 20)، فقد تجاوزوا القرن (10 ـ 16) كإطار تاريخي لنشأة هذه الطائفة، وعادوا بمنطلقها إلى عهود سحيقة.

وينتمي مؤسس الطائفة اليوسفية إلى الطبقة الراشدية الأولى، وتذكره المصادر باسمين مختلفين هما أحمد بن عبد الله المنزول أو المنزولي وعمر بن سليمان العلوفي. ونرجح أن اسمه الحقيقي هو الثاني، وأنه الاسم الأول منتحل، وأن هذا الانتحال له صلة بالمهدوية التي ادعاها. وله في دعواه هاته مناجاة سطرت في كتاب تذكره المصادر باسم ابن رباش وابن نحاس. وقد يكون موضع تغاسروت المسمى اليوم تزغين من بني عتيق الزناتيين اليزناسيين مسقط رأسه، وموطن عشيرته، وموقع تأسيس الزاوية اليوسفية الأم.

وإذا كانت طريقته الصوفية شاذلية زروقية راشدية، ووافقت في نظرتها إلى الله والوجود والإنسان رؤية طيفورية بسطامية، وقصدت إلى علاج أدواء الألفية العصيبة. وجاءت كرد فعل ضد الخوف من النار، والذي أصبح سمة التعبد الذي دعت إليه غالبية الطوائف الصوفية في بداية المائة العاشرة الهجرية. فإن الدراسات التي اهتمت بها حارت في تحديد منطلقها ومصدرها، وقدرت عمرها بنحو ثلاثين قرناً، وأوصلت حبلها بنحل شتى ممتدة من الوثنية المتوسطية القديمة إلى الماسونية الحديثة. فأوصلت النحلة اليوسفية بمذهب عبد الله بن إباض (ت. 86 / 705)، وأوجدت لها أوصولاً في فرق التشيع الغالية، وبالأخص الإسماعيلية والقرمطية والدرزية. ونسبتها إلى طائف مغربية معلومة كالعكازين أتباع المهدي بن تومرت أو إلى طوائف غير معروفة كالسليماني. وذهبت بعض الأبحاث إلى كون شيخ اليوسفيين من أصحاب الإباحة الخاصة من غلاة الصوفية، أو أصحاب الإباحة العامة من الزنادقة. وقطعت أخرى كل صلة لطائفته بالمذاهب الإسلامية والطوائف المغربية، وأوجدت لها أصلا في عهود الوثنية القديمة أو الماسونية الحديثة، مروراً بالفلسفة الوضعية والأفكار الفولتيرية، وغير ذلك من الأصول.

والواقع أن تاريخ هذه الطائفة يتلخص في تعلق طائفة من المغاربة من أهل القرنين (10 و11 / 16 و17) بمذهب الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي، والمتصل بمذهب أبي يزيد البسطامي (ت. 261 / 874). وهو مذهب شكل أحد الاتجاهات الفكرية المتميزة في تاريخ التصوف المغربي خلال هذا العصر، واتسم بقدر من الجرأة في تناول المشكلات والقضايا المتعلقة برسم أبعاد العلاقة بين الله والوجود والإنسان. ووافق في ظهوره فجر القرن العاشر الهجري، الذي اعتقد خاصة وعامة أهله عدم مجاوزة عامه الألف، فأقبلوا عليه يزفون.

وذاعت أخبار اليوسفيين منذ أولية ظهورهم بالمغرب على عهد الدولة الوطاسية في مختلف أصقاع البلاد، وتمكنت محبتهم من القلوب، واعتقدالناس في مذهبهم، في البوادي والحواضر. ومن مواضعهم المشهورة خلال القرن (11 / 17) بني يعلى من بني يزناسن، وقبيلة بني عمير من بسيط تادلا وتسمت بعض فرقهم بالبضاضوة والشراقة، وقبيلة زمور بفزاز الذين بربروا اسم العكاكزة ولقبوا أنفسهم إعكازين، وفي جبل تازة، وفي فاس، وفي زعير، وفي الغنانمة بصحاري سجلماسة وتوات وما قرب إليهما.

ومن الحق أن التصوف الذي دعا اليوسفيون إلى الكروع من حياضه يعد من المشارب الصوفية غير المرغوب فيها من قبل غالبية مشاريخ التصوف المغربي على هذا العهد، والذين كانوا يرون فيه أصل شبوب الفتن، والطريق المباشر إلى الانحراف. فكانوا يحذرون الناس من مشايخه، ويصرفونهم عن مصنفاته، ويقولون إنها تسد باب الفتح. فاتهمت الطائفة اليوسفية منذ نشوئها بالبدعة، وصنفت خارج دائرة السنة. وبادر العلماء المصلحون إلى معارضتها، وحذروا الناس من انطلاء ناموسها عليهم، وأغروا ولاة الأمر بمكافحتها.

وامتحن الجيل اليوسفي الأول من قبل السلطان محمد بن محمد الشيخ الوطاسي المعروف بالبرتغالي، والذي تسنم عرش مملكة فاس ما بين 911 - 931 / 1505 - 1524. وأشار الفقهاء على السلطان عبد الله الغالب بالله السعدي (965 - 982 / 1557 - 1574) بحسم مادة الطائفة اليوسفية، فقاد جماعة منهم إلى السجن وقتل آخرين. وأفاد اليوسفيون من زمان الفترة الذي امتد من وفاة السلطان أحمد المنصور (ت. 1012 / 1603) إلى قيام الدولة العلوية، وجرأهم تهاون الحكام في شأنهم على استحكام بدعتهم، وظهورهم ظهوراً خطيراً. وبادر السلطان المولى رشيد عام 1080 / 9 - 1670 إلى استفتاء العلماء في قضيتهم. فأفتاه ثلاثة من أعيان علماء العصر، وهم قاضي الجماعة بالحضرة الفاسية محمد بن الحسن المجاصي (ت. 1103 / 1691) الذي حرر ثلاثة أجوبة في نازلتهم، والفقيه عبد المالك التجموعتي (ت. 1118 / 6 - 1707)، والإمام الحسن بن مسعود اليوسي (ت. 1102 / 1690) الذي صنف فيهم فتواه الشهيرة *"برسالة العكاكزة"*.

وأدى اختلاف هؤلاء العلماء في نازلة العكاكزة إلى تشعب مسألتهم، وطول مرحلة التفاوض والتشاور في شأنهم. وعلى الرغم من اتفاق اليوسي والتجموعتي في القول بزندقتهم، فقد عمل السلطان برأي المجاصي قاضي الجماعة، ونفذ فيهم حكم الردة والاستتابة، وسجن جماعة من مشايخهم في فاس شهوراً، ثم أطلقهم بعد تحقق توبتهم. ثم نكبهم المولى إسماعيل بعد مضي عقدين من حكمه عام 1102 / 1691، فخرب أنشط مراكزهم الواقعة في تادلا وزمور، ونفذ حكم الزندقة في مشايخهم ولم يستتبهم، وقتل ثلاثة وستين منهم. وبدد تراثهم، وفرق شمل عوامهم، وأجلاهم عن مظاعنهم إلى حيث لاشيعة لهم، ونفاهم خلال القبائل التي لا تدين بنحلتهم.

وخبا ذكر اليوسفيين في المصادر المغربية خبوا يكاد يكون تاما، بعد خضد شوكتهم في مطلع القرن (12 / 18)، وظلت بعض المجموعات الناجية من فرقهم تحافظ على ذبالة نحلتهم. واهتدى إليهم الرعيل الأول من الإتنوغرافيين الفرنسيين في مطلع القرن (14 / 20)، ولم يعرفوهم إلا بأسمائهم من زكراويين ومحسانيين وغنانميين ومليانيين. ولم يأبهوا بصلتهم بضريح مليانة، ومحبتهم في دفينه، وأركابهم التي تشد إلى مواسمه، وخدمتهم لحفدته، وانتظام "أولاد سيدي أحمد بن يوسف" في المجموعات المشكلة لبعض قبائلهم. فلم يخلصوا من ذلك إلى انتسابهم إلى الطريقة الراشدية، أو اتصال أمرهم بتاريخ التصوف المغربي. وعدوا ذلك من ضمن عناصر الحياة الدينية لهذه القبائل، وهو عنصر تبجيل الصلحاء. بل إن معظمهم كان يشك في تغلغل الإسلام خلال هذه القبائل، ولا يخامره ريب في قدم نحلتهم، واتصالها بالمعتقدات البدائية والشعائر الوثنية الطبيعية.

م. الصباغ القلعي، بستان *العارفين الأزهار*، مخ. خ. ع، 234 ك، 113 ؛ م. بن عسكر، دوحة *الناشر*، تح. م. حجي، 125 ؛ أ. ابن القاضي، درة *الحجال*، تح. م. أ. أبي النور، 2 : 35 ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. حجرية، 224 ؛ م. القادري، *نشر المثاني الكبير*، مخ، خ. ع، 2253 ك، و33 ظ ؛ م. الريفي، *جواهر السماط*، و26 و - و و29 ظ ؛ ع. الكبير بن هاشم الكتاني، *زهر الآس في بيوتات فاس*، مخ. خ. ع، 1281 ك، 328 ؛ م. المجاصي، *نوازل*، ط. حجرية، 89 - 95 - 105 - 124 ؛ ح. اليوسي، *رسالة العكاكزة*، مخ. خ. ع، 1224 ك، 167 - 187 ؛ أ. بن محمد الهشتوكي، هداية *الملك العلام إلى حج بيت الله الحرام والوقوف بالمشاعر العظام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام*، مخ. خ. ع، 190 ق، 71 - 75، 82 - 86 ؛ ع. الوارث الياصلوتي، *المسلك القريب الموصل إلى حضرة الحبيب*، مخ. خ. ع، 5723 ؛ مجهول، *تبصرة الرئيس الأمين في ذكر شروط أمام المسلمين*، مخ. خاص ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، معلمة المدن والقبائل، ملحق 2 - 8 - 100 - 108 - 316 ؛ ع. الجراري، *وحدة المغرب المذهبية عبر التاريخ*، دار الثقافة، الدر البيضاء، 1976 - 27 ؛ المؤلف نفسه، *أسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب*، سلسلة الدروس الحسنية، 53 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 237 - 240 ؛ ع. نجمي، *التصوف والبدعة بالمغرب طائفة العكاكزة*، 281 - 423.

F. Benoit, Survivances des civilisations méditerranéennes chez les berbères, *Revue anthropologique, juillet-sept., 1930*, 1 - 16 ; J. Berque, *L'intérieur du Maghreb*, 100 n 1, 101 n 2 ; *Ulémas, fondateurs, insurgés du Maghreb*, 60, 64, 92, 276 n 28, 279 n 25 ; E. Doutté, *Marrakech*, 365 - 368 ; *Missions au Maroc*, 330 - 335 ; Id., *Magie et religion*, 43 - 48 ; L. Gognalons, *Une fraction des Ghenânema de la banlieue de Fès : les Ouled Aîssa, Bull. soc.* Oran, t. 27, 1906, 354 - 359 ; Mensempes, *Contribution à la connaissance d'une tribu : les Zkara* ; A. Moulieras, *Une tribu zénète anti-musulmane : les Zkara* ; Georges Salmon, *Les Bdadoua. Archives Marocaines*, vol. 2, n 2, 1904, 358 - 363 ; M. De Segonzac, *Voyages au Maroc (1899 - 1901)*, Paris, 1903, 215 ; L. Voinot, *Taza et les Riata, Bull. soc. géo. archéo.*, d'Oran, t. XL, 1920, 47 - 53.

عبد الله نجمي

عكراش (واد وسوق ومقالع). يطلق عكراش على

مجرى آخر رافد يتلقاه نهر أبي رقراق من الجنوب الغربي، قبل وصوله إلى مصبه بالمحيط الأطلنتي. كما يطلق على سوق أسبوعي، يقع عند منطقة اقترانه بأبي رقراق، يعرف بسوق أحد عكراش، سمح بنشأة دوار القهاوي. يطلق هذا الاسم أيضاً على مقالع الحجارة المنتشرة بالمنطقة، بالإضافة إلى أكبر مزبلة بضاحية ولاية الرباط، تشغل المقالع المهجورة.

وهو عبارة عن وادي بسيط. يعبره آخر مجرى موسمي، يرفد نهر أبي رقراق من الجنوب، على بعد 13 كلم من مصبه بالمحيط الأطلنتي.

تشكل هذا الوادي في صخور سفلى متحولة. بنيتها التوائية. تنتمي للقاعدة الباليوزوية. قوامها طبقات شيستية تتخللها دكات كوارتزيتية، إلى جانب دكات سميكة مكونة من الكلس المتحول لعكراش. يتوضع فوق هذه القاعدة غلاف رسوبي ميو ـ بليوسيني. يبدأ بدكة حثية مرجانية تعرف بالمولاص القاعدي. يتم المرور منها إلى طبقة صلصالية رملية، تنتمي للميسيني (البليوسين الأسفل). ليتوج الكل بدكتين حثيتين تنتميان للمغربي (البليوسين الأوسط) والفواراتي (البليوسين الأعلى). يشكل هذا الغلاف الرسوبي، سطوح الهضاب المشرفة على الوادي.

سمحت نتائج هذه الأبحاث، بتدقيق انتساب السحنات الصخرية المكونة لتلك المتوالية الرسوبية، وضبط ظروف ترسيبها، والتي تبين أن عمرها يتراوح ما بين 12 و2 مليون سنة قبل الآن، بحيث تمتد من الميوسين الأعلى حتى البليوسين الأعلى.

وسوق عكراش ضعيفة الرواج. لكونها تعقد في منطقة منخفضة وخلفية، محجوبة عن مدينة الرباط، إذ كان ممكنا أن تكون سوقا ضخمة لساكنتها. لذلك ينحصر دورها في تزويد السكان المحليين بحاجياتهم التي بدأت تصلهم يوميا بعد ربط هذه المنطقة بأحياء الرباط الشرقية بالحافلات العمومية والخاصة وسيارات الأجرة.

ويقع دوار القهاوي عند منطقة المقرن، ببلدية الحوزية، بالقرب من مقر السوق. بدأت انطلاقته مع تجديد استغلال مقالع عكراش في بداية القرن العشرين عبارة عن قرية سكنها متخلف من الصفيح. يضم ساكنة ضعيفة، تعيش الآن على عائدات، مقتنياتهم من المزبلة المجاورة لدوارهم. توجد به مدرسة ابتدائية، ومستوصف إلى جانب بعض الحوانيت.

أما مقالع عكراش فتقع ببلاد الحوزية المجاورة للمجرى. وهي مقالع قديمة يرجع تاريخ استغلالها منذ الدولة الموحدية. إذ تم الاعتماد على صخورها الكلسية والكرانيتية في بناء مسجد حسان. وقد تجدد نشاط هذه المقلع خلال مرحلة الحماية الفرنسية، عندما شرع في بناء ميناء الرباط، الذي انطلق تشييده ابتداء من 16 يونيو 1913، ولاسيما بين سنتي 1921 ـ 1925. حيث تقرر بناء الأرصفة، التي مازالت تحمي مصب وادي أبي رقراق لحد الآن (R. Chastel, 1997).

تستغل المقالع هنا على الخصوص، بروزات الكلس المتحول المنتمي للديفوني (حقب ما قبل الأخير للزمن الجيولوجي الأول).

وفي عكراش مزبلة على الضفة اليسرى لمجرى أبي رقراق، على بعد 12 كلم جنوب شرق مدينة الرباط، تشرف مباشرة على دوار القهاوي. حيث تم استغلال المقالع المهجورة بمنطقة عكراش، التي لم يتم استصلاحها كما ينص عليه ظهير 5 ماي 1914 الموافق لـ 9 جمادى 1372، المتعلق باستغلال المقالع ومراقبتها، والملزم بدفتر التحملات.

بدأ استغلال هذه المقالع كمزبلة سنة 1985 للتخلص من معظم أزبال ولاية الرباط، والتي تقدر بـ 257 ألف طن سنويا. تساهم فيها الأزبال بـ 175.000 طن، والنفايات الخضراء بـ 15٪. إضافة إلى 3240 م3 في اليوم من النفايات الصناعية. أزبال تزيد يوميا بنسبة 3٪. تصرف من 65 وحدة صناعية، إلى جانب النفايات المرتبطة بالسيارات وآليات ومستهلكاتها التي تعادل 25.000 طن سنويا. كما تصل إلى مزبلة عكراش نفايات المجازر، التي يتم فيها ذبح 200.000 رأس من الماشية سنويا. إضافة إلى نفايات المستشفيات، خصوصا مستشفى ابن سيناء، الذي يبلغ نصيبه 20٪ مما تستوعبه هذه المزبلة.

أشير في الأخير إلى أن هذه المزبلة، تنتج تبعا لنتائج أبحاث المختبر العمومي للأبحاث والدراسات ومركز الأبحاث والدراسات البيئية والتلوث عصارة سائلة، تحمل معها إلى المياه الجوفية في الصخور الراشحة بالمنطقة، وللمياه السطحية لمجرى سافلة أبي رقراق، 25 مليارا من المكروبات في الغرام الواحد.

G. Beaudet, *Le plateau central marocain et ses bordures. étude géomorphologique*, Thèse de doctorat es-lettres, 478 p., 28 fig., 4 cartes, 1969.

محمد الطيلسان

عكرمة، محمد وهو من مواليد سنة 1925 بالرباط من والده عبد الله بن البشير وفضيلة بنت محمد.

انخرط في صفوف المقاومة المسلحة السرية منذ انطلاقتها ضمن تشكيلة العكاري والتي كان مسؤولا عنها حيث عمل على تنفيذ مجموعة من العمليات الفدائية مع أفراد التشكيلة التي كان يرأسها ومن ضمن هذه الأعمال اغتيال شرطي فرنسي كما نظم مجموعة من المظاهرات التي كانت تندد بالاستعمار الغاشم وتطالب بجلائه على الوطن إلى أن عاد رمز الوحدة والاستقلال جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه حاملا وثيقة الاستقلال.

التحق بالرفيق الأعلى بمدينة الرباط يوم فاتح محرم 1416 الموافق لـ 31 ماي 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 511492.

العكّار العَكَر بفتح العين والكاف في اللغة العربية هو الراسب من كل شيء وخاثره كعكر الزيت مثلا. ويطلق العَكَر على مرهم دهني كانت المرأة المغربية تستعمله كأداة من أدوات الزينة والتجميل من عدة قرون إلى جانب الكحل والسواك فالكحل لإبراز رموش العينين وتنصيحها والسواك لتنظيف اللثة وتبيض الأسنان والعَكَر لتسطير الشفاه وإبراز ملامحها وتوريد الخدود. ويسمى العَكَر في فاس وتطوان وطنجة وسائر مدن الشمال "العَكَّار" وفي باقي مدن المغرب وبواديه "لَعْكر" بتسكين العين وفتح الكاف لونه أحمر أرجواني يميل إلى البنفسجي، ولفصل هذا اللون عن الأحمر كان المغاربة يسمونه "العكري". وبما أنه كان يستخرج من المغرب ويصنع بداخله فقد دعاه السكان "العكر البلدي".

وينقسم العكر البلدي المغربي إلى نوعين : العكر الفاسي والعكر الفيلالي فالعكر الفاسي من أصل حيواني يستخرج من سحق بيض حشرة تدعى القشينية تعيش على شجر السنديان (البلوط الأخضر). وبعد تجفيفه ومعالجته يعطي دقيقاً قرمزي اللون يستعمل لأغراض التجميل والتزيين. وهو يهيأ على يد عطارين متخصصين ويباع إما على شكل مسحوق أو طلاء. وإذا كان طلاء فإنه يوضع في وعاء من خزف صغير مبلج مستدير الشكل لا يتعدى حجمه كف اليد يسمى "العكار" في فاس ومدن الشمال و"المطلية" في حواضر وبوادي السهول الأطلنتيكية و"المعيكرة" في المناطق الصحراوية والرحامنة والسراغنة والسهول الداخلية بشكل عام. ويعتبر العكر الفاسي في نظر الحرفيين من العطارين أكثر وفرة في الأسواق وأقل ثمنا وجود من العكر الفيلالي.

ويختلف العكر الفيلالي عن الفاسي في أنه يستخرج من باطن الأرض. فهو معدن رخو لزج شديد اللمعان يستنبط طبقات الأرض على شكل حبيبات ذات لون بني تميل إلى الأحمر من الصحراء من منطقة تافيلالت خاصة التي يسمى باسمها. ويتم الحصول عليه من خلال عمليات حفر على مسافات عميقة فبعد استخراج الكحل من طبقة أولى يعمق الحفر بحوالي ثلاثين مترا للوصول إلى طبقة ثانية تحتضن العكر وبعد هذه الطبقة يستمر الحفر إلى أن يتم الوصول إلى طبقة الزئبق (الزَّواق).

ويستعمل العكر بنوعيه الفاسي والفيلالي للتزيين وعلاج الشعر وصيانته ولتصفية بشرة الوجه وتلميعها. وهو يندرج كمادة من المواد الأساسية التي تتكون منها مختلف المراهم والأدهان واللطوخات المتداولة في التطبيب والعلاج وتمديد التشنجات العضلية.

وكانت النساء تقتنيه للتزيين من أسواق البوادي من عطارين متنقلين. وكان العكر يعتبر أداة تجميل رئيسية لا يكاد يخلو منها شوار فتاة ولا خزين امرأة. وكانت النساء التقليديات فيما مضى تحتفظن به في صندوق خاص بها يحتوي على الأمشاط والمكاحل والمراود وقشور السواك والمناديل والسبنيات والاقراط والأساور والدمالج وغيرها.

إلا أن استعمال العكر البلدي تراجع اليوم بشكل منقطع النظير في سائر أرجاء البلاد ولم يستطع الوقوف أمام قوة منافسة مستحضرات التجميل الكيماوية من مساحيق ودهون ومراهم وأقلام تسطير شفاه وتوريد خدود وإبراز حواجب ورموش وغيرها، وبذلك نسيت بنات اليوم عكر أمهات الأمس.

م. العجلاني، *تأليف في الأشربة والمعاجين والأدهان والسفوفات والمراهيم والأكحال والمربيات واللطوخات*، مخ خع رقم د. 761 ؛ ج. الكتاني، *كتاب في الخضاب*، مخ خع رقم ك، 3208 ؛ م. بن الخوجة، *اللباب في أحكام الزينة واللباس*، الجزائر، 1907 ؛ م. جسوس، *النصيحة*، مخ خع رقم د 7 : 1755 ؛ م. حنيني، *نزعة إلى التطور*، المرأة المغربية، مجلة *أمل*، العدد 9، السنة الثالثة، 1997 ؛ مهدية الزميلي، *لباس المرأة وزينتها في الفقه الإسلامي*، عمان، 1982 مؤلف مجهول، *كتاب في التدابير والأغسال واستخراج الأدهان*، مخ خع رقم 7204 ؛ نادية بلحاج، *التطبيب والسحر في المغرب*، الرباط، 1986.

M. Alahyane [et al.], *Portraits de femmes*, Casablanca, 1987 ; F. Bonjeon, *Esquisse d'un portrait de la marocaine*, Casablanca s. date ; A. Lens, *Pratiques des harems marocains*, in *Hespéris*, tome 5, 1er trim., 1925 ; Jean Muzi, *Le corps orné, le corps marqué*, Paris, 1978.

محمد بوسلام

العكّاري، أسرة مراكشية كانت على صلة مظاهرة بآل الشيخ التركي صاحب التربة (المقبرة) المعروفة هناك ولعل آل التركي هم المعروفون كذلك بالتريكي الموجودين حتى اليوم بمراكش وأسفي. وقد توارثوا العلم أجيالاً متعاقبة، وهم ينتسبون إلى الشرف الحسني. واشتهر هؤلاء العكاريون بعد أن هاجر طالبان منهم إلى الزاوية الدلائية لطلب العلم وقد أنجح الله مسعاهما وأصبحا من العلماء المرموقين في عصرهما حسبما ياتي في ترجمتهما.

وذكر مؤلف *إزالة الالتباس* أن العكاريين كانوا مستوطنين مدينة فاس في أواخر القرن الثاني عشر (18 م) ووقف على رسم مؤرخ في عام 1198 فيه أن دوراً ثلاثة أسفل عقبة برج الذهب من حُومة القلقليين كانت على ملك الحاج التاودي العكاري الذي توفي بفاس وترك زوجة وثلاث بنات وعصَّبه بيت مال المسلمني. وكانت إحدى البنات زوجاً لأحد الفاسيين الفهريين، ثم اطلع نفس المؤلف في رسم مكتوب على رق الغزال مؤرخ بعام 1087 ذكر أحد العكاريين وان له نصيبا في جنان بالزريقة في فاس. وسنرى كيف انتقلوا إلى الرباط وأصبحوا يكونون أسرة نبيلة توارث أبناؤها العلم والثورة. حتى أصبح ينسب إليهم حي العكاري من أكبر أحياء الرباط.

ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، ج 2 : 121 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط 2، الدار البيضاء، 1987.

العكّاري، علي بن **محمد** بن **علي الجد**، المراكشي ثم الرباطي. أكبر شخصية علمية أنجبتها هذه

الأسرة في القرن الحادي عشر (17 م). وكان من أسباب شهرته تعرفه على عدد من العلماء المؤلفين في مختلف مراحل حياته، أعجبوا بجده واجتهاده وزهده واستقامته فتحدثوا عنه في كتبهم بما شهدوا وعلموا. أولهم أحمد ابن يعقوب الولآلي رفيقه في الطلب بالزاوية الدلائية نكتب عنه في *مباحث الأنوار* (ورقة 7) : "فكان على العكاري مع أخيه في البيت فإذا هو بحالة أخرى من التحري ومجاهدة النفس والوقوف على الحدود، فكان لايعتاب أحد بين يديه، ومع ذلك فهو يشاركنا في أخذ العلوم الآلية عن الشيخ ابن مسعود (يعني اليوسي) مثل البيان والمنطق وأصول الفقه وغيرها كالفقه وأصول الدين".

وكان ذكيا حسن الإدراك لا يحفظ القرآن الكريم ولا المتون. خلافاً لما كان شائعاً من تغلب الحفظ على الفهم، فكان رفاقه الطلبة يتعجبون من تحصيله بالرغم عن عدم إمعانه النظر في الشروح والحواشي، وقد كان يدرس معهم كتباً صعبة كجمع *الجوامع* في الأصول للسبكي، فيطالع شرح الجلال المحلي مرة واحدة قبل حضور المجلس ويكفيه ذلك لفهم الموضوع. وقد أجازه مع أخيه محمد آتي الترجمة الامام الحسن اليوسي إجازة عامة، كما أجازهما بعد ذلك شيخ الجماعة عبد القادر بن يوسف الفاسي.

وبعد تخريب الزاوية الدلائية قصد المترجم مدينة فاس مع معظم الدلائيين وهناك لقي مؤلفاً آخر هو القاضي سعيد العميري الذي خصه بفقرة طويلة في أحد كتبه، وبتر العلماء إذاك متوافرون بها عامة، وكتب حينئذ بالحضرة المذكورة بصدد مما جاء فيها : "لما تحصيل العلم شرع يدرس كبرى *الإمام السوسي* بجامع مع القرويين، فسمع بذلك فقهاء الحضرة، وكان هذا الكتاب من أجل مايتنافس فيه المتنافسون، فاجتمعنا جماعة من الفقهاء وجئنا قاصدين مجلسه لننظر قراءته ونختبر حاله ... فألفيناه جالساً وقد غص عليه المجلس بالطلبه وضربوا عليه حلقة عظيمة وهو يدرس بصوت فصيح جهير ... ".

بعد ذلك توجه علي العكاري إلى مدينة سلا، فلقي حفاوة من أعلامها وصلحائها ، وأخذ يعقد حلقات التدريس بالجامع الأعظم، ووقع عليه إقبال كبير من طلبة العدوتين وفقهائهما حتى القضاة والعدول. وهنا لقي مؤلفاً آخر هو أحمد ابن عاشر الحافي الذي كان من جملة الآخذين عنه فنوه به كثيراً في فهرسه. وكان الأمير عبد الواحد ابن السلطان المولى إسماعيل مقيماً بالرباط فلما سمع بالشيخ العكاري قصده بسلا للأخذ عنه، ثم طلب منه الأمير أن ينتقل إلى الرباط فلبى الشيخ طلبه ونزل معه بداوه وأخذ يلقي دروسه في ضريح الشيخ أحمد العايدي بالسويقة تارة وفي المسجد الأعظم تارة. وحضر المولى إسماعيل يوماً لسماع درس الشيخ العكاري. وتختلف الرويات في مكان اللقاء، يذكر ابن زيدان أن ذلك تم بالمسجد الأعظم بالرباط، ويذكر غيره أن ذلك في مكناس بالقرب من مسجد الأنوار، ومهما يكن فإن السلطان كرّم الشيخ وعظّمه وأغدق عليه أموالاً كثيرة اشترى له بها بعض طلبته داراً كبرى بدرب البروزي من حومة السويقة بالرباط بحوار الدار الصغرى التي كان يسكنها ودفن بها بعد موته.

ولما استرجع السلطان إسماعيل ثغر المهدية من يد الاسبان عام 1092 / 1681 وكان قد شارك في هذا الفتح عدد من المجاهدين السلويين، منهم الشيخ أحمد حجي رفيق المترجم، طلب السلويون من السلطان أن يأذن برجوع الشيخ العكاري إلى مدينتهم فوافقهم على ذلك وعاد العكاري من جديد إلى سلا يدرس بمسجدها الأعظم إلا أن مقامه لم يطل إذ كانت له تعلقات بالعدوة الأخرى فرجع إلى الرباط حيث توفي عام 1118 / 1706 ودفن بداره الصغرى بالسويقة.

أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، مخطوط ؛ أ. ابن عاشر الحافي، *الفهرس*، تح. م. السعديين ؛ ع. العكاري الحفيد، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ أبو يعزى المسطاسي، *رسالة في مناقب الشيخ علي العكاري*، مخطوط ؛ مجهول، *مطلع الدراري في أخبار سيدي علي العكاري*، مخطوط ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1929، ج 4 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، الرباط، 1986 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، مصور بالأوفسيط، الرباط، 1987 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط 2، الدار البيضاء، 1988.

العكّاري، علي بن **محمد** بن **علي الحفيد**. قال في حقه بلديه بوجندار "كان من العلماء الأفاضل، والجهابذة الأماثل" اشتهر بفهرسه *البدور الضاوية* في ترجمة جده علي العكاري سابق الترجمة وسيرته ومناقبه وكراماته، وشيوخه وتلامذته. وقد احتفظ الفهرس بعدد وافر من أسماء هؤلاء التلاميذ من العدوتين، وكذلك العلماء الذين كانوا شادين ويحضرون مع ذلك مجالسه العالية وفيهم قضاة وعمال وشخصيات سامية. وبالرغم عن كون النسخ الخطية الموجودة من هذا *الفهرس* كلها مبتورة من الأول والأخير والأثناء، فقد وقع عليها إقبال عظيم، وقعت في يد الفقيه الخطيب محمد ابن الغازي الرباطي فلفقها ووضع لها خطبة وخرجها بعد التنبيه على ما فيها من بتر. وللمترجم مؤلفات أخرى إذ كان مشاركاً في كثير من العلوم لا سيما العقائد والتصوف. منها *الدرر المفصلة في شرح البسملة والحمدلة* ؛ *والمقصد الأسنى في الدعاء بالأسماء الحسنى* ؛ وأرجوزة سماها *جوهر القلائد في ذكر نبذة من العقائد*، وغير ذلك.

كان شاعراً دقيق الاحساس سليم الطبع، قال الأديب بوجندار : له "موشحات وأزجال على القانون الموسيقي في الملحون، وقصائد ومقطعات على القانون الشعري في الموزون" وأورد نماذج جيدة من شعره.

توفي بالرباط عام 1159 / 1748.

م. بوجندار، *الاغتباط*، مصور بالأوسيط، الرباط، 1987 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، الرباط، 1929، ج 1 و4 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط 2، الدار البيضاء، 1988.

العكّاري، محمد بن علي الرباطي، درس على والده الشيخ علي العكاري الجد سابق الترجمة ولم يدرس على غيره. ترجم له ولده علي العكاري الحفيد في *البدور الضاوية* وقال إنه "قيد عن والده تقاييد وطرراً على *المختصر* الخليلي و*الخلاصة*، و*الكبرى*، و*السلّم*، وغير ذلك. وتصدى بعد وفاة والده الشيخ للتدريس والفتيا، وتمهّر وبرع في كل فن، وارتفع ذكره وعظم صيته".

وقد كان متصوفاً خليفة مأذوناً به بتلقين أوراد الشيخ علي بن عبد الرحمن الدرعي. ثم استخلفه الحسن الشرحبيلي ليلقن الأذكار على الطريقة الناصرية، قال : "فقام بالأمرين وحاز شرف الخلافتين، ولم يزل كذلك إلى أن توفي ولم يذكر تاريخ وفاته، كما لم يبين سبب هذه الازدواجية في التلقين، وهي لاشك ذات صلة بالخصومة الطارئة بين الناصريين والحسن ابن شرحبيل (انظر هذا الأخير في *المعلمة*).

ع. العكاري الحفيد، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، مصور بالأوسيط، الرباط، 1987.

العكّاري، محمد بن محمد بن علي المراكشي، أول من خرج من العكاريين من مراكش إلى زاوية الدلاء لطلب العلم، ثم التحق به أخوه علي سابق الترجمة. استقر بالزاوية الدلائية طالباً للعلم مدة طويلة ساكناً مع رفيقه محمد بن عبد الرحمن الصومعي في بيت واحد من بيوت مدارسها، ولما لحق به أخوه علي العكاري أقام معهما في نفس البيت كما رأينا.

حضر محمد العكاري مجالس الدلائيين في مختلف العلوم اللغوية والشرعية، ولازم دروس الشيخ الحسن اليوسي آخذاً عنه النحو والبيان والمنطق والفقه والأصول والتوحيد إلى أن نال منه إجازة عامة. ولما حصل على ملكة علمية كافية أخذ يدرّس بدوره للمبتدئين في الزاوية الدلائية، وكان من بين الآخذين عنه رفيقه محمد بن عبد الرحمن الصومعي.

وبعد تخريب الزاوية الدلائية سنة 1079 / 1669 توجه المترجم إلى فاس - في جملة علماء الدلاء - وأقام بها مدة يحضر مجالس كبار العلماء أمثال شيخ الجماعة عبد القادر بن يوسف الفاسي الذي أجازه إجازة عامة قبل أن يرجع إلى مسقط رأسه مراكش، لكن لم يطل به المقام حتى استقدمه السلطان المولى إسماعيل إلى حاضرته مكناس ليكون إمامه في الصلوات وخطيب الجمعة والأعياد في مسجد القصبة السلطانية، فكان محمد العكاري علاوة على ذلك يلقي دروساً على الطلبة فانتفعوا به كثيراً. وقد ابتلي في آخر حياته بمرض "الضيقة" فطلب من السلطان أن يأذن له في الرجوع إلى مراكش "فأعفاه وتركه بعد أن كتب له عهداً كبيراً بليغاً باحترام جميع من هو في جواره، وتوقيرهم ومحاشاتهم" (*البدور الضاوية*)

توفي محمد العكاري بمراكش عام 1092 / 81 - 1682 ودفن بتربة جده الإمام الشيخ التركي. وقد اختلطت ترجمة محمد العكاري مع ترجمة أخيه على العكاري الجد عند ابن زيدان في الإتحاف (انظر كتابنا *الزاوية الدلائية*).

أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، مخطوط ؛ ع. العكاري الحفيد، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ م. اليحمدي، *كناشة اليحمدي*، مخطوطة ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1929، ج 1 و4 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط 2، الرباط ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ط 2، الدار البيضاء، 1988.

محمد حجي

العُكّاز مضموم مشدد عصا ذات زُجٍّ والجمع عكاكيز قال الأصمعي : المِحْجَنُ : العصا المعوجة، كما جاء في باب العصا عند الجاَحظ. والعُكّازة إذا لم يكن في أسفلها زُجٌّ فهي عصاً، والعكاز مثل الخرقة من شعارات الصوفية بالمغرب يطالع الزائر لضريح مولاي إبراهيم بن أحمد بن عبد الله بن حسون، المعروف عند العامة بطير الجبال، ظاهرة بيع "العكاكيز" المأخوذة من شجيرة "الدفلة" لسهولة لي أغصانها. فيقوم معدو هذه العكاكيز بصباغتها بالأصفر ووضع دوائر حول المقبض بالأخضر والأحمر. وحين تسأل لماذا هذه الألوان ؟ لا تجد إجابة عند الباعة. وحين تسأل أيضاً عن الغاية من بيع هذه "العكاكيز" ؟ فإنك لا تسمع إلا عبارة واحدة متفق عليها بين الباعة وهي : "ليأخذها الزائر عربونا على سند الولي الصالح مولاي إبراهيم طير الجبال لزواره". وهذا محض افتراء وكلام غير مقنع فمن الناس من يقنعه هذا الكلام ومنهم من لا يعيره أي اهتمام. وقد لخص بعض الباعة الإجابة عن سؤال بيع هذه "العكاكيز" في موسم مولاي إبراهيم بشيء من الواقعية بقولهم : إن الناس يعتمدون عليها أثناء صعودهم إلى "الخلوة". وهو مكان في مرتفع معروف عند الزوار "بالخلوة" التي كان يختلي فيها "مولاي إبراهيم" لتصفو نفسه وتزكو. فهي عندهم "عكاكيز" وانتهى الأمر، من غير أن يوضع في أسفلها زجٌّ لتصير عكازا. والعامة يسمونها هكذا "عكاز"، على الرغم من أن "العكاز" له زُجٌّ كما في المعاجم العربية، نذكر منها على سبيل المثال ما جاء في لسان العرب. والجانب المهم في المسألة، هو سكوت بائعي هذه "العكاكيز" دون التصريح للناس بالدافع الحقيقي من وراء بيعها. والراجح لدينا في ذلك هو (التكسب فقط، ولا وجود لشيء من ورائه أية غاية أخرى مرتبطة بطقوس وأدب الزيارة للضريح. وعليه، يتأكد إلى حد بعيد غياب أي صلة لهذا الذي ذكرنا بـ "طائفة العكاكزة" المشار إليهم من قبل الونشريسي. ولا بمن أشار إليهم ابن القاضي. ولا بمن تكلم عنهم ابن عسكر بأنهم الطائفة اليوسفية. ولا بمن أدرجهم الفقيه محمد المنوني ضمن الجماعات المتطرفة، حين الحديث عن التيارات الفكرية في المغرب المريني. فهل وجود هذه الظاهرة بهذه المنطقة من جبل درن قد يشير إلى صلة بما كان يحمله ابن تومرت معه من متاع الدنيا المتمثل في "عكاز وركوة" في سياحته الكبرى، واعتقد قومه وأتباعه عصمته ؟

ومن الصعب نفي أو إثبات أي إشارة لها صلة أو علاقة بهذه الطائفة وظاهره بيع "العكاكيز" بضريح مولاي إبراهيم. لهذا كان من الضروري فتح واجهة أخرى ومناقشة الموضوع بما تختزنه الذاكرة الشعبية التي يتداخل فيها الحدث بالخرافة، وتنسج حوله هالة ضخمة تضفي عليه نوعا من القدسية لكي لا يبحث عن السبب ويقبلوا بالنتيجة ويسلموا بها تسليما. ومن جملة ما سجلته من خلال الرواية الشفوية بعد الاتصال ببعض من ينتسبون للزاوية أو هم معتكفون بها، أن "العكاز" يميز حامله عن باقي الناس بباب الضريح أو بفنائه ليستقبل الزوار ويرشدهم إلى ما يفعلون من طقوس أدب الزيارة وتقديم القرابين، وتعيين من يساعدهم على ذلك وخصوصا أيام الموسم السنوي، حيث يكثر الازدحام بفناء الضريح. والرجل الذي كان يقوم بهذا، عذره أن كان الداعي إلى ذلك الكبر والعجز في الخلقة وقلة الفاعلية. وفي *تحفة النظار* إشارة لطيفة لها معنى مشابه لما تضمنته بعض معطيات الرواية الشفوية ـ رغم ما يعاب عليها من عدم الضبط والخلط في المعلومات أن ابن بطوطة يحكي ماراَه عند بعض الطرق الصوفية بمصر لما في ذلك من تشابه في مغزى استعمال العكاز في التميز والإرشاد لمعرفة المريدين وأتباع الطريقة، من الزوار العابرين (ومن عوائدهم مع القادم، أنه يأتي باب الزاوية فيقف به مشدود الوسط وعلى كاهله سجادة وبيمناه العكاز وبيسراه الإبريق. فيعلم البواب خديم الزاوية بمكانه فيخرج إليه ويسأله من أي البلاد أتى وبأي زاوية نزل في طريقه ومن شيخه. فإذا عرف صحة قوله أدخله الزاوية وفرش له سجادته في موضع يليق به وأراه موضع الطهارة فيجدد الوضوء ويأتي إلى سجادته فيحل وسطه ويصلي ركعتين ويصافح الشيخ ومن حضر ويقعد معهم. جاء في هذه الإشارة الإبريق، وما كان يحمله ابن تومرت أثناء سياحته الكبرى هو "الركوة" وفي الحالتين حضور عنصر الماء رمز الطهارة وفي ذلك تشابه بين الروايتين. وللزيادة في التحري، ذهبت إلى تامصلوحت حيث يوجد ضريح عبد الله بن حسون أمغار الذي هو جد مولاي إبراهيم بن أحمد بن عبد الله بن حسون. لعلي أجد شيئا أستنير به في الموضوع. فكان لقائي برجل يدعى مولاي أحمد بالضريح فأكد ما يلي :

ـ يحكى لنا أن عكاز عبد الله بن حسون أمغار يوجد بإحدى الزوايا بالريصاني دون أن يحدد الاسم، لأنه اعترف بأنه أمِّي "ما قريش وما فاهم والو". وظاهرة بيع العكاز في مولاي إبراهيم ما هي إلا وسيلة من وسائل "سدْ الْمَخْفِي" ـ وهي عبارة دالة على التدليس والاحتيال ـ أي وسيلة للتكسب والعيش ليس إلا.

ـ ما يقال عن بيع العكاز هناك، (يقصد مولاي إبراهيم) يقال على بيع التراب به وكذا الملح والتمر والحناء، والناس يعتقدون في ذلك ما يشاؤون. كما ينطبق هذا على الذي نقوم به هنا، (ويقصد ضريح عبد الله بن حسون) حيث نبيع الناس الخميرة والملح والتمر، ونرغب الناس في شراء ما نعرض وهم أحرار في ما يعتقدون بعد ذلك.

ـ ويضيف : "إنني أصنع الخميرة "البَلْدِيَة" وأبيعها مقابل ثمن غير محدد"، يرمز له "بالفتوح" من أجل حلول البركة، ليعم الخير صاحبها أو صاحبتها ويفيض كما تفيض العجين عن الإناء الذي تجعل فيه إن أصابته الخميرة. كما يباع التمر والملح، وفي ذلك دلالة رمزية إلى تحقيق القبول. أي أن يكون كلام الشخص وفعله مقبولا عند الناس.

وختاما نقول، بأن ظاهرة بيع العكاز بمولاي إبراهيم ـ وخصوصا أيام موسمه السنوي ـ ما هي إلا وسيلة للتكسب والعيش. وليس لها علاقة بطائفة العكاكزة. وقد تكون لهذا صلة بما خلفه ابن تومرت "صاحب العكاز" من أثر في قبيل المصامدة بجبل درن. وقد لا تكون له به صلة البتة. كما أن الطواف بالناقة التي تنسب إلى مولاي إبراهيم يتم تجهيزها بمدينة مراكش قبل أن تستقر بمولاي إبراهيم ويصحبها الضرب بالطبول والمزامير. وهي وسيلة لجلب الصدقات من الناس، والعامة يعتقدون في ذلك ما يعتقدون. وهذا تقليد تخلد به بعض الطرق الصوفية مواسمها السنوية، أو حين الدخول في غمرة الأذكار أو الحضرة. كما كان العكاكزة يخللون أذكارهم بالضرب على الدفوف والبكاء والرقص مجتمعين رجالا ونساء. وقد تظهر معطيات أخرى جديدة مستقبلا قد تفيد وتغير ما تم تسجيله حتى الآن. وإلا فاجتهاد الناس في تطوير أسلوب بيع الأشياء التي لها علاقة بزيارة الأضرحة، تبقى هي المسيطرة على واقع الاهتمام بثقافة الاعتقاد في الضريح وصاحبه، وتوليد سلوكات للفت انتباه الزوار ونسج هالة من القدسية حولها يرجى احترامها لتحقيق الغايات وما ترجوه الأنفس، أمام ما يعانيه الناس من أزمة وضيق في الأفق.

ابن بطوطة، *تحفة النظار*، مطبعة الرسالة ؛ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، *البيان والتبيين*، تح. عبد السلام هارون، القاهرة، 1975 ؛ محمد حجي، *الحياة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، مطبعة فضالة ؛ محمد بن أبي بكر الرازي، *مختار الصحاح*، بيروت، 1995 ؛ محمد بن عسكر، *دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر*، تح. محمد حجي، الرباط، 1976 ؛ أحمد ابن القاضي، *درة الحجال في أسماء الرجال*، تح. محمد الأحمدي أبي النور، القاهرة، 1971 ؛ ابن منظور، *لسان العرب*، دار صادر، بيروت، د. ت ؛ محمد المنوني، ورقات عن *حضارة المرينيين*، الدار البيضاء، 1996 ؛ عبد الله نجمي، *العكاكزة*، مجلة كلية الآداب، الرباط، العدد 5 ـ 6، مزدوج، 1979 ؛ أحمد الونشريسي، *المعيار المعرب عن فتاوى أهل أفريقية والأندلس والمغرب*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

عبد الرزاق ازريكم

العكّازون شيعة المهدي بن تومرت (ت، 524 / 1129) على عهد المرينيين، وسموا بذلك نسبة إلى العكاز الذي اتخذه مؤسس دولة الموحدين في سياحته الكبرى. وتؤرخ لطائفتهم جملة من الفتاوى أصدرها كل من الفقيه يوسف بن

موسى المحساني السبتي (كان حيّاً عام 686 / 1287)، والفقيه عبد الرحمان بن عنان الجزولي (تـ. 741 / 1340)، والفقيه يوسف بن عمر الأنفاسي الفاسي (تـ. 761 / 1359)، والفقيه محمد بن عبد المومن وهو من أهل القرن (8 ـ 14) أيضاً، والفقيه محمد بن إبراهيم التتائي (تـ. 942 / 1535).

وقد سجل الفقيهان أبو يعقوب المحساني ومحمد بن الحاج العبدري (تـ. 737 / 1336)، في كتابه "المدخل" قلة ظهور الطوائف البدعية بالمغرب المريني، وردا ذلك إلى وجود العلماء العاملين وتصرفهم بالسنة، وفضلهم في ارتداع كثير من أهل البدع. ولم يذكرا من هذه الطوائف الموجودة على عهدهما سوى الفاطمية والعكازين والسليمانيين. وذكر المحساني نحلة العكازين في شرحه على رسالة ابن أبي زيد القيرواني والموسوم "بالإفادة"، وفسر بدعتهم بأنهم "الذين يكفرون من لا يؤمن بالمهدي الذي تقدم في زعمهم، وهو محمد بن تومرت"، وأفتى فيهم بأن يتقدم إليهم فإن تابوا وإلا قتلوا.

وقال باستتابتهم أيضاً، وأنهم في حكم المرتدين، شيخ "الرسالة" في وقته الفقيه عبد الرحمان الجزولي، وذلك في شرحه على الرسالة، ونصه : "وكذلك الحكم في الطوائف البدعية الخارجين عن السنة بغير تأويل مثل العكازين وأشباههم، أنهم يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا". وأيد حكمه تليمذه يوسف الأنفاسي، إمام جامع القرويين، وذلك في تقييده على الرسالة. ونقل نازلتهم عن المحساني قاضي قضاة مصر الفقيه محمد التتائي، وذلك في شرحه على الرسالة والموسوم "بتنوير المقالة".

واشتمل جمع العكازين خلال القرن (8 / 14) على طائفة متنطعة وموغلة في بدعتهم، وهي طائفة جزناية من أخماس تازة. وقد رفع سؤال في شأنهم إلى فقيه تازة ومفتيها محمد ابن عبد المومن، وفيه جملة مسائل ينبني عليها مذهبهم، وهي : أنهم قوم فارقوا الجماعة، ويكفرون المسلمين، ولا يأكلون ذبائحهم، ولا يصلون خلفهم، ويقلبون الأحاديث الواردة في المهدي حتى تنطبق على محمد بن تومرت، ويقولون من لم يؤمن به فهو كافر، ويفضلونه على أبي بكر وعمر، ويقولون من لم يعلم اثني عشر بابا من التوحيد فهو كافر، وينكرون الصفات، وينقضون الوضوء بلمس ذوات المحارم، ويقولون من حلق ما تحت اللحية فهو مجوسي.

ولم يكن أهل جزناية كلهم على نحلة العكازين، ووجد بينهم رجل يقال له داوود بن الحسن اشتهر بمناهضتهم، وتزعم حركة إصلاحية ضاق بها غيرهم. ورفع أمره إلى مفتي فاس أحمد بن قاسم القباب (تـ. 778 / 1376)، فأجاب بنصره وأنه على المحجة البيضاء. وأيد حكمه في هذا المصلح الجزنائي النسب الفقيهان محمد بن عبد المومن وموسى بن محمد العبدوسي (تـ. 776 / 1374).

ولم تقف مكافحة العكازين عند حدود العلماء المصلحين والمجاورين لهم ممن لهم تهمم بالدين، بل اهتم بأمرهم أرباب الدولة أيضاً، فورد فيهم سؤال من السلطان المريني في مدة القاضي محمد بن فتح القيسي الترجالي التازي (تـ. 720 / 1320) للبحث عن أمرهم. وحضر الفقيه المفتي محمد بن عبد المومن محاكمتهم بمسجد السيتاني. واجتمع الناس عليهم به، وبحثوا فلم يوجد عندهم شيء من العلم. فاتفق الناس حينئذ على أنهم قوم جهلة، وأنهم يستتابون فإن تابوا والإقتلوا. فتابوا على يد الفقيه محمد بن عبد الرحمان بن عطية التنوخي (ولد عام 650 / 1252)، وأفلتوا من القتل.

ولم يكن جمع العكازين مشتملاً على غوغاء مكثرين السواد مثل هؤلاء الذين حشروا واختبرت عقائدهم، بل وجد بينهم علماء ورؤساء متبوعون دعاة، وكان منهم الشيخ عبد الرحمان بن سليمان اللجائي (تـ. 773 / 1371) الذي احتج لدعواهم في كتابه *المقصد الأسنى في المهدي الأقنى*.

ولاشك أن محاكمة العكازين التي وقعت في مدة القاضي الترجالي لم تضع نهاية لبدعتهم، وأنها إنما أفضت بهم إلى التقية والمبالغة في كتمان أمرهم، حتى لا يظهر حالهم ويظهر أنهم لا يزالون على نحلتهم، ويصيرون بمنزلة الزنديق الذي لا تقبل له توبة، ويقتلون من غير استتابة. وهذا ما قصده الفقيه محمد بن عبد المومن في فتواه، حيث أكد على من والاهم في النصيحة أن ينصحهم في الرجوع عما هم عليه، لأنهم إن ظهر عليهم رجوع إلى حالهم يخاف أن يؤمر عليهم بالقتل.

ولم يختص العكازون وحدهم بالظهور بالعقيدة المهدوية خلال المائة الثامنة للهجرة، إذا شاركهم فيها المنتحلون للفاطمية الذين تفرعوا بالمغرب إلى أكثر من فرقة، وذكرهم العلامة عبد الرحمان بن خلدون (تـ. 808 / 1405) في *المقدمة والعبر*. ومنهم المتصوفة الذين يشيرون إلى ظهور المهدي، ويتحينون ذلك وبعضهم يقول من ولد فاطمة وبعضهم يطلق القول فيه. ومنهم قبيل تينمل القائمون على قبر المهدي بن تومرت، مع التصميم مع كافة المصامدة على أن الأمر سيعود، وأن الدولة ستظهر على أهل المشرق والمغرب، وتملأ الأرض كما وعدهم المهدي، لا يشكون في ذلك ولا يستريبون منه.

وروجت الطائفة الجزولية للفاطمية بين أهل القرن (9 / 15) الذين فشا بينهم التعلق برجال الغيب، وحفلت مناجاة وأقوال الشيخ محمد بن سليمان الجزولي (تـ. 870 / 5 ـ 1466) بالتعزز بالشرفية والسبطية والفاطمية. وتحدث الشيخ أحمد زروق (تـ. 899 / 1493) عن مهدويين ظهرا في وقته، ونعت أحدهم بأهل الخير، وسجل وفاته التي حدثت عام 883 / 8 ـ 1479.

واستعمل السعديون المهدوية في بداية أمرهم مع محمد الشيخ المهدي (تـ. 965 / 1557)، وتفاقمت دعواها بعد وفاة السلطان أحمد المنصور (تـ. 1012 / 1603) واختلال نظام المغرب. واشتهر من المتمهدين خلال المائة الحادية عشر للهجرة الفقيه الثائر أحمد بن أبي محلي (تـ. 1022 /

1613)، ومحمد بن عبد القادر التاهرتي الذي ظهر أمره قريباً من رباط ماسة ما بين سنتي 1035 و1039 / 1626 . 1630، ومحمد بن إسماعيل المسناوي الكوراري (تـ. 1064 / 1654).

وقبل وفاة السلطان المنصور عدد المؤرخ أحمد بن القاضي (تـ. 1025 / 1616) الطوائف البدعية بالمغرب السعدي، وذلك في الترجمة التي عقدها للفقيه محمد الأندلسي (تـ. 984 / 1576) من كتابه درة *الحجال* الذي فرغ منه عام 999 / 1591، وهذا نصه :

"وزيدت هذه الطائفة (الأندلسية) على من كان به (المغرب) من اليوسفية والعكازية، فليحذرهم المسلم ولا يغتر بخز عبلاتهم وما أحدثوه في الدين، أخلى الله منهم الأرض". وهذه الطوائف البدعية ثلاث : الأندلسية أتباع الفقيه محمد الأندلسي الذي انتحل مذهب الظاهرية في الفقه، وقد تلقبوا بالمحمدية نسبة إليه، وسموا من خالفهم بالمالكية نسبة إلى الإمام مالك. واليوسفية أشياع الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (تـ. 931 / 1524)، وهم دعاة المحبة الخالصة بالمغرب خلال القرن (10 / 16). وذكرهم ابن القاضي بنفس الاسم في كتابه *لقط الفرائد* الذي ألفه بعد درة *الحجال* بمدة، وعدهم من الطوائف المعدودة بالمغرب التي خرجت من الحق إلى الزيغ. والعكازية هم شيعة المهدي بن تومرت قطعاً.

وإذ يفيد قول ابن القاضي تعدد الطائفتين اليوسفية والعكازية، واختلافهما في التسمية والنحلة ؛ فإن الطائفة اليوسفية ستشتهر في المصادر المصنفة أواخر الدولة السعدية وصدر الدولة العلوية بتسمية العكاكزة والعكازين والعكازية. وستطرح هذه المواطأة في التسمية مشكل تعدد الطائفتين أو عدم تعددهما، وذلك بالنسبة للفقهاء الذين أفتوا في نازلة العكاكزة عام 1080 / 1669 : وقد ذهب قاضي الجماعة بفاس محمد بن الحسن المجاصي (تـ. 1103 / 1691) إلى القول بعدم التعدد، ولم يسلم بالخلو من جامع أوجب إطلاق لقب أولئك على هؤلاء. ونقل الفتاوى التي صدرت خلال القرن (8 . 14) في العكازين شيعة المهدي بن تومرت من قبل كل من المحساني والجزولي والأنفاسي ومحمد بن عبد المومن والتتائي، وساقها من جملة الشواهد الفقهية للدلالة على صحة حكمه على العكاكزة بالردة والاستتابة. وخالفه الإمام الحسن بن مسعود اليوسي (تـ. 1102 / 1690)، ولم يعتمد على وجود اللقب على الطائفتين، وقال بالمباينة الصرفة بينهما، وأن حال هؤلاء غير حال أولئك. وقرر اختلاف الفتاوى باختلاف الأحوال، ونقض فتاوى طائفة العكازين، وأفتى في نازلة العكاكزة بالزندقة وعدم الاستتابة.

ولعل قول اليوسي بتعدد الطائفتين هو الذي دفعه إلى ابتداع اسم جديد لشيعة المهدي بن تومرت وتسميتهم "بالطائفة التومرتية"، وهذا بعد مرور ما ينيف عن العقد عن محاكمة العكاكزة. ذلك أنه أثناء تجواله بشمال البلاد يمم إلى جبل لجاية تشوفاً إلى زيارة ضريح الشيخ عبد الرحمان اللجائي مؤلف *قطب العارفين* وشمائل *الخصوص*، ونجل الشيخ أبي الربيع سليمان اللجائي أول من أدخل مختصر ابن الحاجب الأصلي إلى المغرب وعنه أخذ. فأطلعه حفدته على كتابه *الأسنى في المهدي الأقنى*، فتصفحه وحصل له العلم بأن جدهم هذا من العكازين، فأنف من أكل طعامهم، وفر منهم فراراً.

أ. الونشريسي، *المعيار*، تح. م. حجي وجماعة من العلماء، 2 : 453 . 461 . 511 . 513 . 535 . 540 ؛ أ. ابن القاضي، درة *الحجال*، تح. م. أبي النور، 2 : 35 ؛ أ. بابا التنبكتي، *كفاية المحتاج*، تح. م. مطيع، التراجم رقم 35 . 243 . 441 . 486 . 632 . 675 . 676 ؛ م. المجاطي، *نوازل*، ط. حجرية، 91 . 93 . 95 . 107 . 110 . 112 . 114 . 125 ؛ ح. اليوسي، *المحاضرات*، تح. م. حجي وأ. ش. إقبال، 267 . 269 ؛ م. المنوني، ورقات، 245 . 247 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 227 . 245 ؛ ع. النجار، المهدي بن تومرت، 401 . 430 ؛ ع. نجمي، *التصوف والبدعة*، 314 . 319 . 381 . 383.

عبد الله نجمي

عكّي بن **حمو** بن علي ولد سنة 1904 بدوار أمهروق بإقليم خنيفرة وسط عائلة محافظة على التقاليد الإسلامية العريقة، وبعد قيام السلطات الاستعمارية بفعلتها الشنعاء ضد رمز الأمة المغربية ثارت ثائرته فقام بعدة عمليات تخريبية وإتلافات ضد المصالح الاستعمارية، كما شارك في المظاهرة الشعبية التي نظمت بمدينة خنيفرة يوم 20 غشت 1955 حيث أصيب برصاص المستعمر وهو يحمل قطعة خشبية وينادي بأعلى صوته من أجل مواصلة الجهاد.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 511212.

العُكّيْزْ من "التَّعْجِيزْ" الفصيح، ويعرف كذلك بالأحاجي، فكثيراً ما يتخذ العكيز من "حَاجَيْتَكْ وْمَا جَيْتَكْ" مقدمة له. وهو شكل من أشكال الأدب الشعبي المرتبط بالأرياف وبالليل وبالمسنين وخصوصاً الجدّات. ويتخذ العكّيز من الرموز والألغاز عوالم له. يقدم على شكل تساؤل موزون ومقفى. قد يبدأ بالحرف الأول من الكلمة المقصودة. فيقال : "حَاجَيْتَكْ وْمَا جَيْتَكْ" عْلَى الرَّا والرَّا ..." أو ينسج ضاربا في الرمزية ومنفتحا على أشكال مختلفة من التأويل. قد يتوصل إليها المجيب بسرعة إذا كان على علم مسبق بالموضوع لانتشاره، وقد يتوصل إليها بعد اقتراح أكثر من جواب وبعد أن يكون قد حاول التقرب من الجواب. أما في حالة العجز، فعليه إن أراد الحل أن يصرح للسّائل بـ : "أعْطَيْتْ حْمَارِي".

ويمس العكّيز أو الحُجَّاي مختلف مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية ...

وتجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من الأدب الشعبي في

طريقه للانقراض شكلاً، أما مضموناً فمازالت الألغاز والتعجيز تطرح في مواضيع عدة وبصيغ مختلفة.

تحريات ميدانية.

Colin, Georges, *La vie marocaine*, Paris, 1953 ; Loubignac Victorien, *Textes arabes des Zaër*, Paris, 1952.

صالح شگاگ

العلاء (بنو –) المرينيون بنو أبي العلاء إدريس بن عبد الله بن عبد الحق بن محيو هم أقرباء السلاطين المرينيين، فكانوا منافسين لهم على العرش، وكان انتقالهم أو نفيُهم إلى الأندلس يخفف من المنافسة على السلطة داخل المغرب منذ تولّي يعقوب الإمارة سنة 656 وخصوصاً بعد تحويله نظام الحكم القبلي القائم على الشورى إلى حكم وراثي في سلالته سنة 669 بعد فتحه مراكش الموحدية وتسميّه بالسلطان وأمير المسلمين ؛ وكان انتقال المعارضين إلى الأندلس يخدم مصلحة الجهاد ضدّ الإسبان ضمن فرق من المغربين خاصة الأقصى وبالأخص من زناتة تحت توجيه السلطة النصرية، وأصبحت العادة أن يرأس هذه الفرق شيوخ مرينيون من قرابة سلطان المغرب سمّوا بشيوخ الغزاة.

ابتدأت مشيخة الغزاة ببني رحّو بن عبد الله بن عبد الحق الذين دخلوا الأندلس في عهد السلطان المريني يعقوب المنصور، ثم تولاّها بعدهم عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق لفترة قصيرة (خلال العقد الثاني من القرن 7)، ثم انتقلت إلى بني أبي العلاء إدريس بن عبد الله بن عبد الحق فيما بين سنتي 714 و741 وأولهم عثمان (714 ـ 724)، وكان قبل هذا شيخاً لغزاة منطقة مالقة والثغور الغربية، غير أنه كان من أهم أسباب التوتر بين سلاطين غرناطة والمرينيين إضافة إلى تذمّر غرناطة من الحصار المريني الطويل لتلمسان "الحليفة" بين 698 و706 فساعدت على تمرد سبتة ثم استولت عليها سنة 705 ودعّمت عثمان بن أبي العلاء للانتقال إلى شمال المغرب منافساً على العرش خلال الفترة الأخيرة من عصر السلطان يوسف (685 ـ 706) ثم أيام السلطان أبي ثابت عامر (706 ـ 708) إلى أن انهزم سنة 708 وتراجع إلى الأندلس. وكان المباشر لهذه الأعمال ضد المغرب هو أبو الوليد إسماعيل قريب الأمير النصري الذي كان مسؤولاً عن جنوب الأندلس.

بعد عودة ابن أبي العلاء وجماعته إلى الأندلس تواجه مع القشتاليين الذين احتلّوا جبل الفتح وحاصروا مدينة إصطبونة فأبعدهم عنها، وكلّفه أمير غرناطة بدعم حامية مالقة في وجه الحصار الأركوني لها في نفس السنة ؛ وقد أورد ابن القاضي وصفاً مفصلاً للمواجهات بين المسلمين والنصارى خارج المدينة، فذكر هزيمة الشيخ أبي سعيد عثمان ابن أبي العلاء للنصارى المحاصرين في ربيع الأول سنة 709، قال ابن خلدون "وعقد ابن الأحمر لعثمان ابن أبي العلاء زعيم الأعياص [أي العصبية المرينية] على عسكر بعثه مدداً لأهل المرية، فلقيهم جمع من النصارى كان الطاغية [الأركوني] بعثهم لحصار مرشانة فهزمهم عثمان، ونزل قريباً من معسكر الطاغية، وألحّ بمغاداتهم ومراوحتهم إلى أن رغبوا إليه في السلم".

وفي الوقت الذي ظهرت بوادر التصالح بين السلطان الجديد في المغرب أبي سعيد عثمان وأمير غرناطة الجديد أبي الجيوش نصر قاد الرئيس أبو الوليد المذكور حركة انفصالية في جنوب الإمارة انتهت باستيلائه على منصب الإمارة في غرناطة بدعم عثمان بن أبي العلاء، فجعله في منصب مشيخة الغزاة منذ سنة 714. واستمر عنصراً من عناصر التوتر بين الضفتين وسبباً من أسباب ضعف الدعم المريني الرسمي للأندلس خلال فترة مشيخته، وإن كان قد أبلى البلاء الحسن في الدفاع عن الإمارة بل ومهاجمة الثغور القشتالية بواسطة المجاهدين المغاربة من زناتة المرينية خاصة، إضافة (إلى مجموعة من بني عبد الوادي). إلا أن نفوذ الشيخ كان يتجاوز مهمته بل إنه متهم بتدبير اغتيال أميره أبي الوليد سنة 725 أثناء عودته من بعض الغزوات. وكاد يتسبب في فتنة داخلية في عهد الأمير الجديد محمد بن أبي الوليد لولا أن هذا لبّى رغبته في قتل وزيره المنافس للشيخ عثمان.

وعندما مات عثمان سنة 729 خلفه في المشيخة ابنه أبو ثابت عامر مستعيناً بإخوته خاصة منهم سلطان وإبراهيم إلى أن نُكبوا سنة 741، ويبدو أن هناك عاملين أساسين في نكبتهم مرتبطيْن ببعضهما : الأول، ضلوعهم في مقتل الأمير محمد بن أبي الوليد سنة 733، والتخوف مما يمكن أن يفعلوه بالسلطان الجديد أبي الحجاج يوسف ؛ والثاني، سوء علاقة بني أبي العلاء بسلاطين المغرب وسعي السلطان أبي الحسن في إبعاد هؤلاء من المشيخة حتى يمكن استمرار التنسيق مع السلطان النصري ضد الإسبان، وصادفت هذه الرغبة المرينية من ابن الأحمر "إسعافاً وقبولاً وحرصاً على ذلك ... حيث كان حذراً منهم لفعلتهم التي فعلوا" مع زبيه أبي الوليد وأخيه محمد (*العبر*، 7 : 774 ـ 775). ومما يدل على تخوّف بني أبي العلاء من تحسن العلاقة بين غرناطة وفاس وجود اتصالات بين بعضهم وملك أركون تتضمن الرغبة في الانتقال إليه وخدمته، هذه المراسلات ـ التي بين أيدينا ـ وقعت بين سنتي 734 و737 وربما استمرت بعد ذلك ؛ وعندما تمكن أمير غرناطة يوسف من القبض على أبي ثابت وإخوته أفلت منهم سليمان من الاعتقال، ولجأ إلى ملك قشتالة، ثم قاتل معه ضد الجيشين المريني والنصري في معركة طريف سنة 741 ؛ أما بقية الإخوة فقد تم نفيهم إلى إفريقية إلى أن شفع فيهم أميرها لدى السلطان أبي الحسن فعادوا إلى المغرب، ثم ظهر منهم ما يريب فاعتقلوا بمكناسة، ولما ظهر أبو عنان مستبدا على أبيه أبي الحسن أطلق سراحهم للاستعانة بهم، فجعل كبيرهم أبا ثابت في مجلس شوراه، ثم ولاه سبتة وبلاد الريف، ثم هلك بالطاعون في نفس العام أي سنة 749 بينما بقي إخوانه مدة في كنف أبي عنان (*العبر*، 7 : 776 ـ 777).

عـاد إدريس أحـد أبناء عـثـمـان إلى الأندلس ثم لجأ إلى برشلونة، وبعد الانقلاب على ابن الأحمر محمد الغني بالله (الذي سبق لأبيه أن نكبهم) تولى مشيخة الغزاة سنة 760. وأصبح وجوده في هذه المشيخة من أسباب التوتر مع المغرب مرة أخرى بل واستفزاز قشتالة، مما دفع الطرفين إلى دعم الغني بالله لاستعادة عرشه سنة 763 وإعادة المشيخة إلى يحيى بن عمر بن رحو (763 ـ 764) الذي كان يتولاها منذ نكبة بني أبي العلاء إلى الانقلاب على الغني بالله (741 ـ 761).

نخلص من هذا إلى أن دور بني أبي العـلاء كـان في أغلب الحالات سلبيا تجاه الدولة المرينية خاصة عندما كانوا شيوخا للغزاة في الأندلس حيث ساهموا في توتر العلاقات النصرية المرينية، وظهر الدور السلبي لهم على المستوى الداخلي لإمارة غرناطة في بعض الأحيان. غير أن دورهم الإيجابي تجلى في العمل الجهادي في الأندلس لرد الهجمات الإسبانية خاصة عندما لا تسمح الظروف بجواز الجيوش المغربية النظامية، هذه الرسالة ظل المغاربة يقومون بأدائها طيلة قرون، وعندما أصبحت الظروف معاكسة للدور المغربي في الأندلس أسرعت نحو النهاية.

ابن أبي زرع، *القرطاس*، 308 ـ 309 ـ 393 ؛ *الذخيرة السنية*، 125 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 7 : 497 ـ 494 ـ 766 ـ 777 ؛ ابن الخطيب، *اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية*، 80 ـ 105 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، 4: 365 ـ 371، تح. عنان ؛ *الإحاطة*، 202، نصوص لم تنشر، تح. ع السلام شقور ؛ ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، 3 : 122 ؛ المقري، *نفح الطيب*، 6 : 386 ـ 387، دار صادر، 1968 ؛ ابن القاضي، درة *الحجال*، 1 : 138 ـ 148، ضمن تر. أحمد الجذامي الإسكندراني ؛ مارمول، *إفريقيا*، 1 : 398، تر. حجي ؛ أ. عزاوي، *الغرب الإسلامي من خلال رسائله*، رقم 173 ـ 174 ـ 251 ـ 258 ـ 261 ـ 262 ـ 265 ـ 266 ـ 272 ـ 273 ـ 367 ـ 441 ـ 442 ـ 464، والدراسة التاريخية لهذه الرسالة في الصفحات، 157 ـ 159، أطروحة مرقونة بكليتي الآداب بالرباط والقنيطرة.

أحمد عزاوي

العلالي (إيقاع) يرتبط إيقاع العلالي بفرقة العلايين التابعة لطائفة احمادشة المنتسبين إلى سيدي أحمد بن حمدوش دفين الجهة الجنوبية من جبل زرهون.

تحيي هذه الفرقة فرجاتها بمناسبة موسم سيدي علي بن حمدوش في موازاة الفرجات التي يقيمها الدغوغيون في الموقع المعروف اليوم بـ "سيدي علي"، وكثيراً ما تلتقي الفرقتان في مشاهد احتفالية متلاحقة تتعاقبان فيها بالتناوب على الساحة ومن حولهما جمهور عريض من المشاهدين قبل أن يتوجه الجميع في موكب كبير يخترق أحياء وأزقة مدينة مولاي إدريس نحو ضريحي بني راشد وبني وراد.

وتتميز الممارسات الفنية لفرقة العلاليين بارتكازها المفرط على إيقاعات معقدة الاوزان، حتى أصبح لفظ "العلالي" بمثابة المصطلح الموسيقي الذي يعني إيقاعات معينة أكثر مما يعني الفرجة الاحتفالية ذاتها.

وتشترك في تشكيل الايقاع "العلالي" مجموعة من آلات النقر هي : التعريجة، والطبل، والهراز، وهو عبارة عن أگوال كبير الحجم مصنوع من الفخار شدت إلى طرفة قطعة من الجلد، يُحمل على الكتف ويضرب باليد، إضافة إلى الغيطة التي يساهم النفخ العنيف فيها على النغمات الحادة في إذكاء المشاعر وتأجيج العرض.

وتخضع إيقاعات العلالي لأوزان متعددة تتنقل بين الوزن خماسي الضربات (5 / 4) بما يشبه نسق "الگباحي" في سرابة الملحون، وبين ثماني الضربات (8 / 4)، وثلاثيها (3 / 8) بما يحاكي انصراف القائم ونصف، وانصراف القدّام من أوزان الموسيقي الأندلسية.

يشرف على تسيير الرقصة قائد مبتدئا بتحية الجمهور. ويشارك في أحيائها ـ إلى جانب الراقصين ـ نافخ الغيطة، وضارب البندير.

أما الأول ـ ويدعى الگصاب ـ فهو ينفخ في آلته على الطريقة المألوفة بين "الغياطة"، فيحدث صوتا ممتدا بدفع الهواء المخزون في فمه مع التنفس خلال ذلك عبر خياشيمه.

وأما الثاني فهو يستخدم بنديراً ضخماً عليه جلد ماعز.

وتسهم نقرات البندير، وهزات الاكتاف، وضربات الأقدام على الأرض في خلق منظومة إيقاعية متكاملة يضبطها "حساب" دقيق.

ويعتبر "الحساب" العنصر المتحكم في الرقصة فبواسطة تحدد الايقاعات ويضبط الانتقال بين صنوفها المتنوعة. وأهم هذه الايقاعات في رقصة "لعلاوي" :

ـ الخَوْية : نقرة قوية تعلن عن بداية الرقصة.

ـ السبايسية : ثلاث دقات (نقرات قوية) تحدث وسط البندير في حركة سريعة.

ـ لعرايشية : دقة بطيئة تتلوها تَكّتَان بطيئتان (نقرتان خافتتان)، وتتخللها هزات الأكتاف وضربات الأقدام على الأرض.

ـ الجدة : تكة خفيفة تُنقر على جانب البنديرة تتلوها دقة في وسطه.

ـ الصّقلة : تكة خفيفة متكررة على جانب الآلة وللقائد الذي يجهر بالحساب أن يتصرف في أنواعه بما يرضي الجمهور.

ص. الشرقي، *أضواء على الموسيقى المغربية*، المحمدية، 1977.

عبد العزيز بن عبد الجليل

العلامة السلطانية عرفت بأسماء متعددة، منها العلامة والخاتم والتوقيع، على خلاف في الاصطلاحات بين المشارقة والمغاربة. وهي عبارة عن تأشيرة أو ختم كان الخلفاء والسلاطين يضعونها بأيديهم أو ينقشونها على الرسائل والظهائر.

يعتبر وضع العلامة تقليداً إسلامياً قديماً يعود إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد نقل ابن خلدون عن الصحيحين "أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب إلى قيصر، فقيل له إن العجم لا يقبلون كتاباً إلا أن يكون مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضة ونقش فيه محمد رسول الله. قال البخاري : "جعل ثلاث كلمات في ثلاثة أسطر وختم به، وقال : لا ينقش أحد مثله". وقد اختلفت نصوص العلامة ومواضعها على الرسائل وطريقة كتابتها حسب تقاليد ومراسيم كل دولة إسلامية أو كل سلطان أحياناً. وأنشأت بعض الدول إدارة خاصة بها عرفت بديوان الخاتم أو ديوان العلامة.

وقد عرفت المراسيم السلطانية بالمغرب استعمال العلامة في المراسلات الرسمية منذ القديم لكن المعلومات عن ذلك غير متوفرة بدقة، ويعتبر ابن الأحمر أهم من أرخ للعلامة السلطانية لملوك المغرب وغيرهم في كتابه مستودع *العلامة* ومستبدع *العلامة*. وأشار إلى أن "العلامة تكتب بقلم غليظ القطة، وهي شارة في الكتب كالشهادة الشرعية في العقود، وقد اختلفت آراء الملوك فيها ؛ فبعضهم يضعها بيده في الصك بحبر ولم يتخذ لها كاتباً كملوك الموحدين من بني عبد المؤمن بن علي، فإنهم كانوا يكتبون العلامة بأيديهم، ولم يكتبها لهم سواهم، وذلك من أولهم أمير المؤمنين عبد المؤمن إلى آخرهم أبي دبوس". وكان بنو الأحمر بالأندلس يضعون العلامة بأيديهم أيضاً، أما المرينيون فمنهم من كان يضعها بيده، ومنهم من كان يسند وضعها إلى رئيس كتبته أو كاتب علامته، لذلك اتخذ المرينيون منصب كاتب علامة السلطان أو صاحب العلامة، وقد ترجم ابن الأحمر في مستودع *العلامة* لبعض من تولى هذا المنصب.

لقد اختلفت نصوص العلامات كثيراً في الدول المغربية، ورغم عدم وجود أية رسالة أصلية من العصر المرابطي والعصور السابقة له تسمح بالتعرف على طبيعة علامات أمراء تلك الدول، فقد ذُكر أن علامة يوسف بن تاشفين كانت هي "صح ذلك بحول اللهَ". وذكر مؤلف *الحلل الموشية* أن علامته كانت أيضاً هي "الملك والعظمة لله". أما بنو غانية خلفاء المرابطين بالأندلس فكانت علامة محمد بن إسحاق بن غانية منهم هي "وثقت بالله".

تبنى الموحدون من بداية دولتهم إلى نهايتها علامتهم المشهورة والتي نصها "والحمد لله وحده"، ومستندهم في ذلك حديث نبوي وردت فيه هذه الصيغة، أما أول استعمال للحمدلة في العلامة فكان على يد الفاطميين الذين كانت علامة الخليفة الظاهر منهم "الحمد لله شكراً لنعمته". وقد خلد بعض الشعراء علامة الموحدين في أشعارهم، مثل الشاعرة الأندلسية حفصة بنت الحاج الركوني التي خاطبت الخليفة يعقوب المنصور الموحدي بقولها :

يا سيد الناس يا من — يؤمل الناس رفده
امنن علي بصك — يكون للدهر عدة
تخط يمناك فيه — والحمد لله وحده

وخاطب الكاتب الشاعر محمد بن مرج كحل الخليفة محمد الناصر بن يعقوب المنصور عند قفوله من فتح إفريقية بقوله :

ولما توالى الفتح من كل وجهة — ولم تبلغ الأوهام في الوصف حده
تركنا أمير المؤمنين لشكره — بما أودع السر الإلهي عنده
فلا نعمة إلا يؤدي حقوقها — علامته والحمد لله وحده

ظهرت صيغ متعددة للعلامات لدى الدول التي أعقبت الموحدين، فالحفصيون الذين شكلوا استمراراً للموحدين في جميع تقاليدهم ورسومهم أصبحت علامتهم "الحمد لله والشكر لله". أما محمد ابن يوسف بن هود الثائر على الموحدين بالأندلس فكتب في علامته "توكلت على الله".

وبالنسبة للمرينيين ميز ابن الأحمر بين العلامة التي كان السلاطين المرينيون يكتبونها بأيديهم ونصها "وكتب في التاريخ المؤرخ به"، وبين العلامة التي بخط يد صاحب العلامة ونصها "وكتب في التاريخ". واتخذ ملوك بين الأحمر أيضاً جملة "ولا غالب إلا الله" علامة لهم، ثم استعملوا علامة "وكتب في التاريخ" تقليداً للمرينيين، وأيضاً علامة "صح هذا".

وكما اختلفت نصوص العلامة، اختلفت التقاليد السلطانية في مكان وضعها، فبالنسبة للختم النبوي فكان يوضع بأسفل الرسائل النبوية جهة اليسار، كما توضح ذلك الرسائل التي وصلتنا، لكن الدول السلطانية المغربية المتتابعة لم تحافظ كلها على هذا التقليد، ففي بعض الوثائق كانت تكتب في الأعلى بعد البسملة كما فعل الموحدون الذين خالفوا التقاليد السلطانية في كثير من رسومهم وقلدهم المرينيون في ذلك مدة، لكنهم رجعوا إلى كتابة علاماتهم أسفل الرسائل بعد الفراغ من الكتابة كما فعل المرابطون من قبل.

ومنذ العصر السعدي عرفت المراسيم السلطانية ظهور نوع جديد من العلامات هي عبارة عن توقيعات بأسماء السلاطين بطريقة مستوحاة من الطغراء التركية لكن بخصوصيات مغربية واضحة، ووجد في بعض الرسائل توقيع السلطان عبد الملك السعدي بالخط اللاتيني، ثم ما فتئ أن نقشت توقيعات السلاطين على أختام بيضاوية الشكل شديدة الزخرفة، أصبحت توضع بأعلى الرسائل بعد البسملة.

ومنذ العصر العلوي اختفى التوقيع من الطابع وحل محله اسم السلطان مع بعض الشعارات الدينية، وكان يوضع دائماً بأعلى الرسائل بعد الحمدلة.

وظلت العلامة في التقاليد المغربية إلى اليوم في توقيعات العدول أو الموثقين، وتعرف في بعض المناطق بالبخوشة، وهي عبارة عن توقيع معقد يختص به كل عدل يوقع به الوثائق التي شهد عليها، تلافيا لتزويره من طرف عدل آخر.

ابن خلدون، *المقدمة*، بيروت، دار الفكر، 1981 ؛ أبو الوليد بن الأحمر، *مستودع العلامة ومستبدع العلامة*، تح. م. بن تاويت التطواني وم. التركي التونسي، تطوان، د. ت. ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، تح. زمامة وزكار، الدار البيضاء، 1979.

محمد المغراوي

العلج، أسرة فاسية عريقة ولو أنه لا يعرف أصل تسميتها إن كان جدهم من علوج المغرب أو الأندلس ممن اعتنقوا الإسلام في فترة معينة. وهم أهل مروءة وديانة وحرفة وثروة وفي القرن الثالث عشر (19 م) سُمي بعضهم "العلج" لكونه كان رومياً مسيحياً فهداه الله إلى الإسلام. منهم :

العلج، البشير محمّد العلج المعروف اختصاراً باسم "البشير العلج"، فنّان ممثّل مسرحيّ، وإذاعيّ وسينمائيّ، وتلفزيونيّ، ذاعت شهرتُه بالخصوص في مدينة الدار البيضاء بالمغرب قُبَيْلَ اندلاع الحرب العالميَّة الثانية، وارتفع صيته طيلة الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين الميلاديّ. كان ممثّلاً مقتدراً ومسيّراً موفقاً لأفراد مجموعته التي تجلّى نشاطها في تمثيليّات ترفيهيَّة عبر المحطات الجهويَّة للإذاعة المغربيَّة بالدار البيضاء اسبوعيّاً رفقة الكفاءات المسرحيَّة الشعبيَّة التي كان على رأسها الثّنائيّ المغربيّ الممتع : بوشعيب البيضاويّ والحبيب القدميري، وكان هذا النشاط الذي استمرَّ أعواماً قبل استقلال المغرب وذلك بعد نشاطه الفنيّ الآخر للمسرح والموسيقى والغناء ضمْنَ فرقة "كواكب المغرب" مشاركة مع الملحّن المغني المميَّز المعطي المرجاني البيضاوي. وللبشير العلج فضلٌ كبير في ترسيخ فَنّان الكمان وزعيم فن موسيقي العيطة محمّد قيبّو - المعروف باسم "الماريشال قيبّو" - فكثيراً ما يُشْركه في هزليَّاته المسرحيَّة على خشبة المسارِح وفي الإذاعة عازفاً مبدعاً إلى جانب الفنَّان المبدع البارز بوشعيب البيضاوي المذكور.

وأوّل ما عُرِفَ البشير العلج ممثّلاً ماهراً كان في فرقة مسرحيَّة تحمل اسم : "فرقة الهلال التمثيليَّة" التي أنشأها محمّد الهرابلي في مدينة فاس وسرعان ما انتقل باسمها إلى الدار البيضاء، التي ظلَّت من أواخر العشرينات حتّى مطلع الأربعينيات تستقبل في أُبَّهة وترحاب الفرَقَ المسرحيَّة المتعدّدة القادمة إليها من مدن فاس والرباط وسلا. وسواها، وكذا من البلاد المصريَّة.

وكان البشير العلج، في مطلع تعاطيه المسرح، متخصّصاً في الأدوار النسوية نظرا إلى خلُوِّ المسرح المغربيّ عند قيامه من العناصر النسويَّة.

ولعلْ أوَّلَ "تصوير" كتابيّ عن الفنّان الصاعد البشير العلج هو الذي سَجَّله عنه عمر برّادة - أحد مؤيّدي الحركة المسرحيَّة قديماً فقد كَتَبَ في جريدة كانت تصدر في مدينة سلا باسم "الوداد" في عددها 121 المؤَّرخ بيوم الثلاثاء 28 شوال 1360 موافق 18 نوفمبر 1941 (عيد العرش) فقال :

"وما قولنا في صاحب علبة السجاير ؟ - ذلك هو البشير العلج، الذي أُوتيَ الموهبة من بابي درب "الجبَّاص" وهو شابّ يتوقَّد حماساً، وما سبق له أن درس في مسجد أو قَبَضَ على كرّاس، ومع ذلك نجده يحسن الكتابة ويتوفّق في وضع أسلوبها، إلاَّ أنَّه مولع بمشاهدة الأفلام، ولذا تراه يعرف أسماء الممثلين والممثّلات ورجال المسرح في الشرق والغرب، وميزته الوحيدة أنه يحسن كلّ دور عهد به إليه. يجيد تقليد المرأة في الحركات والسكنات. وإن فاتكم شيءٌ فلا يفوتكم أنّ البشير، أو صوت البشير، كم سَبَّبَ من السهرات".

واستطراداً نقول إنَّ مصطلح "التمثيل" هو الذي كان منذ العشرينيات وحتَّى أواسط الخميسنيات يطلق على فنّ "المسرح" في المغرب اقتداءً بما كان رائجاً بالمشرق فيما قبل. وكان هذا الفنّان متواضعاً بالرغم من الشهرة التي أدركها. وعندما فُتِحَ مركز التمثيل العربيّ في الدار البيضاء خلال شهر يناير 1952 كمدرسة لتلقين قواعد الإلقاء العربيّ والتشخيص المسرحيّ كان البشير العلج مبادراً إلى الالتحاق به إلى جانب العديد من التلاميذ والتلميذات. وفكان لحضوره لبضعة أسابيع صدى التقدير والإعجاب. وعندما أنشأت مصلحة الشبيبة والرياضة فرقة مسرحيَّة سنة 1954 التحق بها فنَّاناً في الرباط مُقَابِلَ أجرة شهريَّة بالقطعة وكُلّف بتدوين مجموعة من الحكايات والخرافات الصالحة لأنْ تُحَوَّلَ سكيتشات، وكان في الوقت نفسه قد أمْسَى مُقدّماً لسهرات تمثيليّة في بعض القاعات السينمائيّة بالدار البيضاء مع مجموعته الشعبية ويحصل مقابلها على مداخيل ماليَّة جيّدة، وهذا ما حمله، بعد بضعة شهور، على الانقطاع عن العمل مع الشبيبة والرياضة.

وفي سنة 1955 اختير، إلى جانب عدد من الفنَّانين المصريّين والجزائريّين والتونسيّين والمغاربة للمشاركة في تصوير الفيلم المغربيّ المصريّ المُمَوّل فرنسيّاً "طبيب بالعافية"، وذلك بعد ما سبق له - قديماً - الإسهام في أفلام سينمائيّة بين مطوّلة وقصيرة.

وعند قيام التلفزة المغربيَّة التجاريَّة "لا طلما" في الدار البيضاء خلال موسم سنتي 1954 - 1955 كان البشير العلج من بين الفنّانيم المغاربة المشاركين في إحياء البرامج المسرحيَّة لهذه التلفزة مع مجموعته التمثيليّة، كما أنّه، من جهة أخري، شارك على مدى شهور متوالية من سنتي 1957 و1958 في سلسلة الجولات التمثيليّة الموسيقيّة الغنائيّة

المتنوّعة التي نَظَّمتها الإذاعة المغربيّة احتفاءً بزمن الحريَّة والاستقلال للمغرب، في برنامجين عموميّين : "اضحك وغنّ" "وسهرة معكم" وكان نجاحه كمنشّط نجاحاً كبيراً.

وكما كان البشير العلج ممثّلاً ومسيّراً ومنشّطاً، كان مؤلّفاً لتمثيليات مجموعته الفنيّة، وكان ينظم كلمات الأغاني لبعض الملحّنين والمغنين.

والبشير العلج متأصِّل عن عائلة العلج الفاسيَّة، وكان والده قدْ هَاجر إلى بلاد السينغال تاجراً، وعندما انتهت حركته التجاريّة هناك، عاد إلى المغرب حيث استقرَّ بالدار البيضاء.

توفي الفنّان البشير العلج فجأة، خلال شهر يونيو 1962، وقد أبَّنه كاتب هذه السطور في ذكراه الأربعين التي أقيمت بإحدى القاعات السينمائية في الدار البيضاء، ونشرت صحيفة "صوت المغرب" الصادرة عن دار الإذاعة والتلفزيون للمملكة المغربيّة نصَّ ذلك التأبين في عددها ليوم 27 يوليوز 1962، كما أبَّنه آخرون في نفس تلك المناسبة.

ع. شقرون، *فجر المشرح العربيّ بالمغرب*، تونس، 1988 ؛ حياة في *في المسرح*، الدار البيضاء، 1997.

عبد الله شقرون

العلج، الحسين قائد من العلوج يقول الناصري إن أصله من جنوة، ويقول اوخيدا Ojeda أنه كان من مقدونة، في حين يقول فرانشي Franchi إنه من رغوسة ؛ كان قائد خيالة الشراگة وقد قاد الجناح الايمن في معركة وادي المخازن بجانب السلطان، مولاي عبد الملك.

أ. بن خالد الناصري، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، 1954، ج 5، ص. 83.

Luis de Ojeda, *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian* (*S.I.H.M. France* I, p. 575-627), p. 548 ; J. Franchi Consetaggio, *L'union du royaume de Portugal a la couronne de Castille. (S.I.H.M.) France* t, p. 506-574) ; José Marie de Murga, *Recuerdos marroquies del moro vizcaino, Bilbao 1868*, Madrid 1906, Barcelona, 1907

العلج، رضوان من العلوج البرتغاليين كان مع السلطان مولاي عبد الملك قائداً مكلفاً بتموين الجيش حسب فرانشي Franchi أو بصفته حاجباً كما يؤكد كل من الافراني والناصري ؛ في حين يقول كروث Cruz إنه كان يقوم مقام السلطان مولاي عبد الملك بمراكش بدليل أنه هو الذي دافع عن قصبة المدينة المذكورة وحال دون احتلالها من طرف المتوكل عندما سقطت المدينة بيده في شهر ذي الحجة 984 / مارس 1577 ؛ وفي هذا العدد نتوفر على الرسالة التي وجهها القائد المذكور من مراكش إلى گارتيبا گاثپارو Garcia Gazparo يوم 18 جمادى الثانية 985 / 2 سبتمبر 1577.

وقد شارك هذا القائد في معركة وادي المخازن حيث يقول كل من الافراني والناصري أنه هو الذي كان يصدر الأوامر وكأنها صادرة عن الملك عبد الملك بعد وفاته.

ومما يدل على شهرته الكبيرة أن الكاتب الروائي الاسباني لوپي ذي فيگا Lope de Vega يذكره في روايته التي تحمل عنوان : Tragedia del Rey Don Sebastian (مأساة الملك ضوت سيباسطيان).

م. الصغير بن محمد الإفراني، *نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي*، الطبعة الثانية، الرباط، بدون تاريخ ؛ أ. بن خالد الناصري، *الاستقصا لأخبار دول الأقصى الأقصى*، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، 1954، ج 5، ص. 80 ـ 87.

Luis de Ojeda, *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian*, (*S.I.H.M.* France I, p. 575-627), p. 590 ; J. Franchi Consetaggio, *L'union du royaume de Portugal a la couronne de Castille. (S.I.H.M.) France* t, p. 506-574), p. 535 ; Cruz (Fr. Bernanrdo da), *Chronica de El Rei don Sebastian*, Lisboa 1837 y 1903 ; Queiroz Velloso, I. M. de, *Don Sebastian* (Traduccion Española por Ramon de Garcia sol), Madrid 1943, p. 289.

محمد ابن عزوز حكيم

العلج، السلاوي علج هولندي الأصل اسمه الحقيقي (Salay Mijner)، التحق بصفوف الأسطول الجهادي السلاوي خلال العهد الدلائي. وقد تعرض في سنة 1064 / 1654 لهجوم مفاجئ من السفن الهولندية أثناء عودته من موسمه بمحتويات غنائمه ؛ ورغم العلاقات الجيدة الهولندية ـ الدلائية استولت إحدى القطع على خمسة أسرى مسيحيين من سفينته، قدرت قيمتهم بخمسمائة ريال.

S.I.H.M., 1e s, Pays-Bas, t. v, p. 501.

حسن أميلي

العلج، سليمان اسم اتخذه الإسباني القرطبي فيرناندو ذيل پُوثُو Fernando del Pozo. الذي سقط اسيرا بيد قراصنة مغاربة فاعتنق الإسلام وأصبح من القواد العلوج الذين كانوا يحرسون باب السلطان عبد الملك السعدي، وقد رافقه في معركة وادي المخازن.

Luis de Ojeda, *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian*, (*S.I.H.M. France* I, p. 575-627) ; José de la Torre, El *renegado Cordobes SOliman del Pozo y la batalla de Alca zarquivir, Bol. Real Academia Ciencias de Cordoba*, Año XVI, n 52, Enero / Marzo 1945, p. 47 - 65.

العلج، شعبان قائد شارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان المتوكل ثم فر إلى مدينة أصيلا التي كانت آنذاك بيد البرتغال، ومنها التحق بالأمير مولاي الشيخ ابن السلطان المذكور بلشبونة. ظل بجانبه إلى أن اعتنق هذا الأخير دين الضلال.

Archivo General de Simancas (España) ; *Colección de documentos inéditos para la historia de España* (Codoin), Madrid 1842 - 1895.

العلج، الطّبيبي، قائد من العلوج البرتغاليين كان بجيش السلطان عبد الملك السعدي يقوم بمهمة الترجمة وشارك في معركة وادي المخازن.

Luis de Ojeda, *Comentario que trata de la infelice*

jornada del Rey Don Sebastian, (*S.I.H.M. France* I, p. 575-627), p. 619.

محمد ابن عزوز حكيم

العلج، عبد الرحمن، فرنسي الأصل، من أسرة نبيلة تدعى دوستلى، كان سنة 1849 ضابطاً مهندساً بالجزائر، ففشل في مغامرة غرامية اضطر بعدها إلى الخروج إلى تونس ثم إلى المغرب، أسلم وحسن إسلامه وسمى نفسه عبد الرحمن، نزل بمدينة العرائش وعاش بها خفي الحال، وفتح معملاً لصنع الصابون ومواد أخرى وكان يذهب إلى طنجة للتجارة، فأخبر به السلطان المولى عبد الرحمن فاستدعاه إلى مكناس وعهد إليه بترصيف طريق فاس وأغدق عليه العطايا وألزمه بمصاحبة، ثم ازدادت مكانة المترجم وحظوته عند السلطان محمد بن عبد الرحمن، فكان يطلعه على دواخله، وزوجه بامرأة من دار المخزن فولدت له ولدين.

كان المترجم ماهراً في الرياضيات فانتفع به فيها المهتمون بذلك ومنهم الرياضي إدريس بن الطايع العلوي (تـ. 1322).

قام المترجم بخدمات جلّى، منها بناء مشور فاس، وباب بوجات، وحوّل مجرى وادي فاس الذي كان يمر تحت حيطان المنزه السلطاني، وبني قناطر الطريق الموصلة من فاس إلى مكناس، وقنطرة واد مكّس. وكان أيضاً خبيراً بصنع الساعات الشمسية، يسطر الرخامات ـ حسب القوانين الفلكية، لمعرفة الأوقات بظل الشاخص فيها، وهي من أقدم الآلات التي استخدمت في تقسيم الوقت، من اختراع البابليين أو اليونانيين، فصنع وركب عدداً من هذه الساعات داخل القصور الملكية.

وفي عهد الحسن الأول أسندت إلى المترجم أمور المدفعية، وكلفه السلطان بمراقبة حساباته، وأنعم عليه بسكنى المامونية بمراكش.

توفي بفاس سنة 1296 / 1879 ودفن بمقبرة باب المحروق بين المسلمين.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2665 ؛ ع. ابن إبراهيم، الإعلام، ط 2، الرباط، 1977، ج 8 : 144 ـ 146 ؛ نقلا عن *رحلة الوزير* المفوض الفرنسي بالمغرب هـ. دولامارتنيير.

محمد حجي

العلج، عبد القادر (الحاج -) بن محمد الفاسي، من آل العلج المعروفين بفاس، ومن رواد الحركة الوطنية، عمل في صفوف كتلة العمل الوطني، وبعد انتشقاق الكتلة انحاز إلى فريق الأستاذ محمد حسن الوزاني، فكان في طليعة السياسيين القوميين الذين لا تلين قناتهم، صديقاً حميماً للزعيم الوزاني لا يكاد يفارقه وشارك في الأحداث الوطنية الكبرى فدخل السجن أكثر من مرة، وعذب على كبر سنه لصلابته في الحق.

توفي بفاس صباح الخميس 22 رجب عام 1379 / 21 يناير 1960.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3346 ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، طنجة، د. ن، ج 4 : 119.

محمد حجي

العلج، عبد القادر المدعو قدور. ايطالي الأصل، هداه الله للإسلام فدخل مدينة فاس "وأخذ يبيع شراب القهوة بأحد حوانيت السبيطريين، ثم أراد الانتقال من فاس لطلب المعاش لكنه رجع عن فكرته بأمر من بعض الأولياء في وقته، فاشتهر أمره في الطب ووقع عليه إقبال عظيم.

أصابه العمى فعالج نفسه نحو ستة أشهر، وازداد الإقبال عليه فكان المريض لا يمكنه الاتصال به إلا بعد مدة لكثرة الازدحام عليه.

توفي بفاس عام 1280 / 63 ـ 1864.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 : 2624.

محمد ابن عزوز حكيم

العلج، عبد الله الألماني، اسمه الأصلي شنايتمادل (ريشارد -) R. Schneitmadel . كان سنة 1871 مستخدماً بالقصر السلطاني بعد هروبه من اللفيف الأجنبي والتحاقه بالمغرب واعتناقه أو تظاهره باعتناق الدين الإسلامي. وكان قبلها سنة 1868 مكلفاً بعصر السكر بمراكش وكذلك بمعمل القطن. وكان عميلا لدولته التي لم ترد الدخول في مذاكرات معه سنة 1877 لأنه كان مأموراً بتتبع نشاط الأروبيين ولاسيما الفرنسيين. ويروى أنه اخترع كيراً كبيراً "عجيب الصنع، غريب الشكل" وكان يدعى "معلم الفابريكة" الذي أراد قبل سنة 1871 مغادرة مراكش حتى "عيل صبره، واستبطأ الجواب وطلب الإذن للتوجه لثغر الصويرة بقصد المقام بها"، ولم يتأن ففر في السنة المذكورة تاركاً المعمل و "كل مسألة يخصها حاجة قد أخفاها العلج المذكور لما تشاجر مع القائد إبراهيم الگراوي عامل القصبة بمراكش على المؤونة التي انقطعت عنه حتى وقع في الفابريكة تفريط" فأمر مولاي الحسن بالاحتيال عليه حتى يظفر به ويؤمر برد ما أخفاه".

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1458 ـ 1458 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 3 : 556 ـ 560.

Pierre Guillen, *L'Allemagne et le Maroc, 1870 - 1905*, p. 26, Paris, 1967.

مصطفى بوشعراء

العلج، علي قائد بجيش السلطان المتوكل كان بجانبه عند ما لجأ إلى قصبة أسنادة بقبيلة بني يطّفت الريفية في شهر رمضان 985 / نوفمبر 1577، وقد شارك بجانب السلطان المذكور في معركة وادي المخازن.

San Roma, Fr. Antonio de, *Jornada y muerte del Rey Don Sebastian*, Valladolid, 1603 ; Fr. Bernardo da Cruz. *Chronica de El Rei Don Sebastian*, Lisboa 1837 y 1903.

محمد ابن عزوز حكيم

العلج، عمر من رياس البحر الأوائل البارزين في عهد سيدي محمد بن عبد الله، وهو علج برتغالي الأصل سافر قبل إسلامه إلى البرازيل وهو ما جعله خبيراً في الميدان الملاحي حيث نال الحظوة لدى السلطان بفضل ذلك. وكان متصفا بالشجاعة والإقدام، وإتقانه للغات متعددة.

كان في سنة 1180 / 1766 يقود سنبكا مجهزا ببطارية من ستة عشر مدفعا وبطاقم مؤلف من مائة وأربعة وعشرين رجلا. وقد تمكن في أبريل من السنة اللاحقة من السيطرة على السفينة الفرنسية "La Thérése" وقادها إلى تطوان، وأردف ذلك باستيلائه في أقل من أسبوع على سفينتين فرنسيتين أخريين "La Mutine" وL'Ulysse، وقاد غنائمه إلى المعمورة.

وقد أدت هذه التجاوزات إلى تدخل السفير الفرنسي الكونت دو برونيون (C. de Breugnon) الذي كان أنذاك بالمغرب للتوقيع على معاهدة السلم، دافعا السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى التبرؤ من سلوك الرايس عمر، وإلى إيفاد أمير البحر المغربي الرايس صالح والقائد علي رفقة الدبلوماسي الفرنسي بوطونييه (Pothonier) إلى المعمورة من أجل إيقاف الرايس عمر العلج ومعاقبته وإقالته من منصبه. ويشير القنصل شونييه إلى أن الرايس عمر قد أسر له حين التقائه به في الصويرة أن صنيعه إنما كان تنفيذاً لما أمر به ؛ ورغم ذلك اختفى اسم هذا الرايس من لائحة الرياس منذ سنة 1182 / 1768.

الرئاسة، ص. 1 ـ 2 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 3، ص. 259 ـ 260.

Chenier, *Journal*, op. cit., p. 58 - 60, 96-97 ; Jacques Caillé, *Les prises du Raïs Omar*, *Hespéris-Tamuda*, vol. I, 1960, p. 273 - 274, 276 - 277, 283.

حسن أميلي

العلج، مامي قائد من العلوج الاسبانيين كان بجيش السلطان مولاي عبد الملك وقد فر من معسكره إلى معسكر الملك البرتغالي ضون سيباسطيان Don Sebastian ليلة معركة وادي المخازن صحبة الأمير مولاي الناصر بن عبد الله الغالب والقائد الريوسو El Rapozo.

Bautista Morales, *Jornada de Africa del Rey Don Sebastian de Portugal*, Sevilla 1622 y Madrid 1889.

محمد ابن عزوز حكيم

العلج، محمد بن عبد الرحمان المراكشي، (سولتي الابن) لأنه ولد بمراكش سنة 1862، وكان ممن اختيروا للتعلم بالخارج، فكان عضواً في البعثة الثانية إلى فرنسا، بمدرسة الهندسة بمونبوليي من سنة 1885 إلى سنة 1888. ولما تخرج منها رجع مدة إلى المغرب، وكان من أنجب الطلاب.

غير أنه أصبح مخبراً للمفوضية الفرنسية، وكانت مراسلاته معها موجودة بقصر ڤانسين حتى اختفت منه فجأة.

ولما كان يتعلم هنالك سنة 1888 طلب اكتساب الجنسية الفرنسية التي أباها عليه شارل فيرو Ch. Feraud وزير فرنسا بطنجة، لأن ذلك كان مضراً بالبعثة كلها وتنشأ عنه تحرشات وأقاويل. ولكنه مع ذلك نالها بالفعل قبل سنة 1896، حسب رسالة سلطانية إلى الطريس ففي فقرة لا نجد أبلغ منها تعبيراً عن حالته : فهو قد تفرنس، وبدنُه تعرض للتهديد بالقتل ورفيقه قُتِل، فنتج عن ذلك قبض تعويض مالي.

قالت الرسالة إن نائب فرنسا "أجيب عن دعوى رعيتهم محمد دو سلطي (بما وقع له من التهديد بالقتل بوادي سالم من بلاد الغربية، إيالة عامل طنجة، ونجا بنفسه بعد قتل رفيقه سلام بالبارود) بتنفيذ العدة التي قيدوها في معارضة ذلك، وقدرها خمسة آلاف ريال (16 جمادى الأولى 1314 / 23 أكتوبر 1896، تطوان 20 / 30) ومن هذا يظهر أنه كان منغمراً في خدمة المصالح الفرنسية، فكان قبل ذلك مقيماً بمدينة مغنية بالجزائر بوصفه تاجراً وبها ولد له طفل أسماه جوزيف هنري بن محمد بن عبد الرحمان العلج المراكشي J. Henri de Saulty. ولم تنقطع صلته بالمغب الذي رجع إليه سنة 1912، ولما وصل إلى مراكش أسره أحمد الهبة وأسر معه جماعة من الفرنسيين.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1376 و1456 ؛ العباس بن إبراهيم، الإعلام، 2 : 454، حيث تر. عبد الرحمن العلج بقلم هنري دي لا مارتنيير ؛ *وثائق مخزنية*.

H. de La Martinière, *Souvenirs du Maroc*, 196 ; J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 26, 4 : 96 ; Jacques Caille, *Les marocains à l'école du génie de Monpellier : 1885 - 1888*, in *Hespéris*, vol. XLI, 1954, p. 131 et suivantes.

مصطفى بوشعراء

علاً (آيت -) عمر ولد سنة 1920 بقصر كوان ملحقة ميدلت إقليم خنيفرة.

انضم لصفوف المقاومة السرية عندما تم إبعاد محمد الخامس وأسرته المالكة إلى جزيرة مدغشقر حيث شارك في عدة عمليات تخريبية لمصالح المستعمر وذلك بحكم عمله بمناجم أحولي ميبلادن، حيث تخصص مع مجموعة من رفاقه في صنع المتفجرات إلا أنه تعرض للاعتقال وحكم عليه بالسجن لمدة سنتين إلى أن جاء عهد الاستقلال.

توفي يوم 15 ـ 11 ـ 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520441.

العَلاّف، ترد لفظة عَلاَّف، في المعاجم والقواميس العربية التي رجعنا إليها، قديمها وحديثها، بمعنى بائع أو صاحب العَلَف، أي كل ما تطعم به البهائم والدواب من نبات وحبوب. وعند ابن منظور أن جمع عَلَف هو عِلاَف،

مثل جَبَل وجبال. والكلمة طبعا مُشتقه من عَلَف يَعْلِفُ، ولها ارتباط وَثيق بالدواب، وبخاصة تلك التي تستعملَ في الحروب، إما في خلال العمليات القتالية والمعارك كالأفراس والجياد، أو في نقل المؤن والعتادُ الحربي والدخيرة كالإبل والبغال ... وقد اتسع مدلولها ليعني الشخص الذي يَتَوَلَّى توزيع الرواتب والمؤن، ومن ضمنها قيمة مقادير علف دواب الفرسان اليومية، على فرقة أو أكثر من فرق الجيش. ثم فيما بعد، صارت تُطلق على وزير الحرب، إذ تسميه الوثائق المخزنية بالعلاف الكبير.

ويبدو أن هذه التسمية حديثة العهد في الاصطلاح العسكري المغربي، إذ لا أثر لها في عدد من مصادرنا العربية كالمعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي، أو البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي، أو مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء لعبد العزيز بن محمد الفشتالي، أو نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحدي لمحمد الصغير الإفراني ... فكل ما هناك، أن صاحب "البيان المعرب ..." قد أورد لفظة علف، في سياق حديثه عن الحملة العسكرية التي قادها الخليفة الموحدي يعقوب المنصور (580 ـ 595 / 1184 ـ 1199)، في مستهل شهر ربيع الأول من سنة 588 لمنتصف شهر مارس من سنة 1193 ضد مدينة شنْتَرين الأندلسية، حيث قال :

"... وحدث في هذا اليوم (21 ربيع الأول 558)، على عسكر أهل مرسية حدث مُروعٍ، وذلك أنهم خرجوا للإغارة في بسائط النصارى، فخرجوا عليهم وهزموهم بعد حروب شديدة، ووصلوا للمحلة مهزومين مفلولين. وأخذت من دواب المسلمين خمسون ذابة خرجت برسم العَلَف ..."

وأورد الإفراني، من جهته، في مُؤَلَّفه "نزهة الحادي ..." فقرة من رسالة للسلطان عبد المالك السعدي (984 ـ 986 / 1576 ـ 1578) إلى صنوه أبي العباس أحمد، يأمره فيها بفرض مئونة المحلة التي كانت معه على قبائل المنطقة التي حطت الرِّحَالَ بها، نَصَّت على ما يلي : "... وهذا وأنه ساعة وصوله إليكم، تُخْرِجوا (هكذا) من الخُدَّام لعمالة مكْنَاسَة وَزَمُّور وأولاد جَلُّول، مَن يفرض عليهم علف مَحلتنا المنصورة ومئونتها، وتأمرهم برفعه وإبلاغه لمدينة سلا..."

وأيّاً كان الأمر، فإن اهتمام المخزن بقطاع الجيش قد ازداد وتوطَّد العزم على ضبط وترتيب أموره، بعد أن عاين الخليفةُ سيدي محمد بن عبد الرحمن الذي كان حاضراً في وقعة إيسلي في صيف سنة 1844 بضاحية مدينة وجدة، الحالة المزرية التي بَرَزت بها مختلف فصائل وتنظيمات الجيش المغربي في ميادين الوغى والقتال، إذ لا نظام ولا انضباط في القتال. ولهذا، اتجهت عناية المخزن، منذ هذا التاريخ، إلى تأسيس نواة جيش نظامي، يكون معظم عناصره من الرماة ويُكَوَّنون ويُدَربوه على طرق الحرب الحديثة. فكان من جملة الترتيبات والتدابير التي اتخذت في هذا الصدد، إسناد مهام توزيع الرواتب والمؤن على عناصر كل طابور من طوابير الگيش والعسكر إلى شخص أو شخصين، اصطلح على تسميتهما بالعَلاَّفَين، في حين ظَلّ رؤساؤهم العسكريون يختصون فقط بمهام تكوينهم وتدريبهم وتأطيرهم في ميادين الحرب والقتال. وهذا كله بهدف عدم إتاحة الفرصة لهؤلاء الرؤساء للتدليس على المخزن أو التلاعب والعبث بحقوق ومصالح جنودهم على حَدٍّ سواء، وذلك إمَّا باللجوء إلى حيلة "المنفوخ"، أي استئجار خدمات أشخاص لا علاقة لهم البَتَّةَ بالجندية، وإظهارهم يوم الاستعراض، ثم الاحتفاظ برواتبهم ولوازمهم العسكرية، بعد الانتهاء من عملية العَدِّ والمُراقبة، أو باقتراف بعضهم العسف والتجاوز ضد الجنود بشَتَّى وجوهه، كالاقتطاع من رواتبهم، أو الاحتفاظ بقسطَ من المئونة أو العلف الخاص بالدواب. واتَّضَحَ جَلِيّاً توجُّه المخزن هذا وَتَوَسَّخَت حَتْمِيَّتُه في الأذهان، بعد هزيمة تطوان سنة 1859 ـ 1860، أمام الجيش الإسباني، وذلك بإعادة النظر في تركيبة الجيش وطُرق تنظيمه وأساليب تكوين عناصره وتدريبهم. ووصولا إلى هذه الغاية، أحدث السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن (1276 ـ 1290 / 1859 ـ 1873) وزارة خاصة بقطاع الجيش دُعِي المكلف بها "العلاف الكبير".

ونظراً لحساسية المنصب وخطورته، فقد تولاه، أول الأمر، الفقيه عبد الله بن أحمد، أخوا الحاجب موسى بن أحمد ولمُدة فاقت العشر سنوات. ثم تعاقب على رأسه، في عهد السلطان مولاي الحسن (1290 ـ 1311 / 1873 ـ 1894)، الوزير الصدر وصهر العاهل محمد بن العربي الجامعي، وبعده أخوه محمد الصغير. وأُسندت مهام "العلاف الكبير" أو وزير الحرب، أيام السلطان مولاي عبد العزيز (1311 ـ 1326 / 1894 ـ 1908) إلى كل من سعيد بن موسى، صنْو الوزير الصدر أحمد بن موسى، ثم إلى رجل المخزن الجديد في وقته المهدي بن العربي المنبهي، وبعده إلى مَحمد بن مُحمد الجَبَّاص. وأما في العهد الحفيظي، فقد أسندت هذه المهام، على الخصوص، إلى القائد المدني بن مُحمد الگلاوي.

غَنِيٌّ عن البيان أنَّ واحداً فقط من بين هؤلاء المسؤولين المخزنيين الكبار، ونَعني به الطالب مَحمد بن مُحمد الجَبَّاص هو وحده الذي تلقى تكوينا وتعليماً خَارج المغرب وله علاقة بالمهام التي أسندت إليه وأمَّا بَاقي المَذكُورين، وبالخصوص الفقيه عبد الله بن أحمد والجامعيين، فلا صِلَة لهم البتة بقطاع الجيش وشؤونه.

وإليك نماذج من الكتابات المخزنية التي يرد فيها ذكر لبعض علافة الگيش والعسكر، أو للعلاف الكبير والتي نَستشف منها المكانة المرموقة التي كان يتمتع بها هؤلاء الأعوان المخزنيون لدى السلطان وكذلك في الجهاز المخزني بصفة عامة. ومن ذلك مثلا، حضور علاَّفة تنظيم گيش عبيد البُخاري بمكناس، وهم بوعزة بن العربي الفشار البُهاري، ومحمد بناصر، ومحمد بن عبد الله، وصالح بن يوسف،

وقاسم الشَّبَّار، في مراسيم عقد بيعة أهل المدينة المذكورة للسلطان مولاي الحسن، وذلك أواخر شهر رجب 1290، الموافق للعشر الأواخر من شهر سبتمبر 1873. وأمَّا المثال الثاني، فنستقيه مما خاطب به الحاجب موسى بن أحمد أخاه الفقيه عبد الله السالف الذكر، ولكن هذه المرة بصفته باشا فاس العتيق، إذ كتب ما يلي :

"... فقد اقتضى نظر مولانا أيده الله (السلطان مولاي الحسن)، أن يُوَجَّهَ على العَّلاَّفَيْنِ العَسْكَرِيَّيْنِ من طبور الحاج مُبارك الحاحي، وهما المصطفى الجزيري وعبد القادر العَمَّالي، وأخْبِرْنا بأنهما بفاس، فإن كانا به، فَوَجِّهْهُما عن الأمر الشريف عزماً، وإن لم يكونا به، فإن خال مولانا السيد محمد بن العربي (وزير الحرب) كتب لقائدهما بتوجيههما ...".

وكما هو الشأن بالنسبة لعدد من المهام والوظائف في الجهاز المخزني، وكذلك في باقي القطاعات الاجتماعية والثقافية الأخرى، فإن مصادرنا تفيد أن مجموعة من الأسر، ظل أبناؤها يتوارثون، على مدى جيلين أو أكثر، منصب علاف الگيش والعسكر. فعلاوة على آل الفشار الذي أومأنا أعلاه إلى واحد منهم، هناك آل ابن هَطَّال الفاسيين والذين كانت تربطهم وآل المقرى أواصر المصاهرة، وآل إگيدر...

ابن عذاري، *البيان المعرب*، بيروت، 1985 ؛ ع. العزيز الفشتالي، *مناهل الصفا*، تطوان، 1964 ؛ الإفراني، *نزهة الحادي*، الدار البيضاء، 1998 ؛ ابن منظور، *لسان العرب*، بيروت، 1994.

مصطفى الشابي

ابن **علال، الحسن** بن العربي قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته بني توزين انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف سيدي امحمد أمزيان ضد التدخل العسكري الاسباني بناحية الناظور ؛ وقد شارك في عدة معارك إلى أن لقي الشهادة في المعركة التي جرت بقرية عزيب علال وقدور يوم 28 جمادى الأولى 1330 (15 ماي 1912) والتي استشهد فيها زعيم المقاومة الشريف سيدي امحمد أمزيان.

أعمال ندوة الشريف امزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي (1909 - 1912)، تطاون، 1996.

ابن **علال، عبد السلام** بن العربي قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلته تافرسيت انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي تزعمها الشريف سيدي امحمد أمزيان ضد التدخل العسكري الاسباني بناحية الناظور ؛ وقد شارك في كثير من المعارك إلى أن كتبت له الشهادة مع زعيم المقاومة سيدي امحمد أمزيان في المعركة عزيب علال وقدور التي جرت يوم 28 جمادى الأولى 1330 (15 ماي 1912).

أعمال ندوة الشريف أمزيان والمقاومة المسلحة في الشمال الشرقي (1909 - 1912)، تطاون، 1996.

محمد ابن عزوز حكيم

علال بن عبد الله ولد سنة 1916 في بيت متواضع الحال تشبع منذ صباه بروح العزة والكرامة فرغم فقره المادي كان من ذوي النفس الأبية والحمية الوطنية. لم يكن منخرطا في أية منظمة أو هيأة من الهيئات السياسية الموجودة بالمغرب آنذاك.

احترف مهنه الصباعة التي استهوته كعمل قار في ورشة صغيرة بحي الكعاري بمدينة الرباط حيث كان يقيم مع أسرته الصغيرة المتكونة من زوجته وولديه يعيش معهم عيشة بسيطة.

وفي خضم الأحداث التي عرفها المغرب عقب نفي محمد الخامس تحرك إيمانه القوي وحبه لوطنه وشعبه وملكه. فأقدم يوم فاتح محرم 1373 على عمل بطولي إذ هاجم السلطان محمد بن عرفة عندما كان خارجا لأداء صلاة الجمعة في مسجد أهل فاس بحي تواركَة بالرباط، مخترقا الصفوف بسيارته البسيطة ومحاولا طعن ابن عرفة فتصدى له الحرس الفرنسي وأردوه قتيلا رميا بالرصاص، وكان سنه سبعا وثلاثين سنة ودفن في مقبرة الشهداء بحي لعلو بالرباط.

ابن **العلام، إدريس** بن محمد، خادم سامي، أصله عبد معتوق من عبيد البخاري. تولى قيادة المشور في عهد السلطان مولاي الحسن بعد وفاة رئيس المشور القائد محمد بن يعيش أواخر رجب 1298 / 1881، واستقر يمارس مهمته تلك في عهد مولاي عبد العزيز وكان ضليعا في المؤامرة التي حاكها الصدر الأعظم الحاجب "باحماد" ضد الجامعيين الذين كانوا مقربين من مولاي الحسن. فهو الذي قام بإبلاغ المعطي بن العربي الجامعي الصدر الأعظم إعفاءه وأخيه محمد الصغير وزير الحربية من مهامهما، وأمرهما بلزوم دارهما لأنهما طغيا في البلاد وشقا عصا الطاعة. كما وجه ابن العلام الأمر بعد ذلك لباشا مكناس حم بن الجيلالي البخاري لإلقاء القبض عليهما وصهرهما العربي الزيدي، واستئصال أموالهم ومخلفاتهم من الأثاث وبيعها.

وتقديراً لخدماته أضاف إليه باحماد عمالة مدينة فاس سنة 1318 / 1895.

وعند وفاته سنة 1317 / 1899، صودرت أملاكه وصفيت في ظروف الضائقة المالية التي انتهى إليها المخزن العزيزي،

وعومل كما لو كانت أمواله من حق سيده باعتباره كان عبدا معتوقا.

ابن زيدان، *الإتحاف*، 1، ص. 378 ؛ *الإتحاف*، 2، ص. 125 ـ 196 ؛ *العز والصولة*، ج 1، ص. 32 ؛ م. الشابي، *النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر*، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1995، ص. 66 ـ 116 ـ 132.

رقية بلمقدم

العلاوي، محمد ولد سنة 1910 بدوار أولاد أليو بتافو غالت.

يعتبر الفقيد من الرعيل الأول لرواد الحركة الوطنية الذين شاركوا في الكفاح الوطني ضد الاحتلال حيث انخرط في حزب الاستقلال واكتسب وطنية صادقة أهلته لتحمل عدة مسؤوليات داخل الخلايا التي انخرط فيها كما شارك في انتفاضة 17 غشت 1953 التي شهدتها مدينة تافوغالت حيث تم اعتقاله من طرف السلطات الاستعمارية ليقضي مدة سنتين بالسجن.

توفي يوم 13 دجنبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 523227.

عَلُّوشْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Alux.

علوش، (الحاج) أحمد بن أحمد كان من بين أعيان تطوان وتجارها الذين بايعوا الأمير مولاي سعيد بن مولاي اليزيد سلطانا بتطوان يوم 12 جمادى الثانية 1236 (17 مارس 1821).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1181.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **علوش، أحمد** ولد سنة 1925 بتالمست اهروشن إقليم تازة وكان يسكن قبل الوفاة بدوار تالمست.

انضم إلى صفوف جيش التحرير في أكتوبر 1955 وعمل ضمن التشكيلة التي كان يرأسها محمد بن علال بمركز بوزينب إلى أن استشهد رحمه الله يوم 15 أكتوبر 1955 بعدما اصيب بطلقات مدفعية من العدو الاستعماري ببوزينب بتازة رحمة الله عليه.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 504546.

علوش، محمد عيسى، ولد سنة 1925 بأسفين نواحي الحسيمة انضم لصفوف جيش التحرير بالشمال سنة 1955 وشارك في عدة عمليات فدائية إلى جانب رفاقه في تشكيلة الكفاح في سبيل الوطن إلى سنة 1956، وقد عرف الشهيد بقوة عزيمته وصموده في وجه المستعمر إلى أن ظفر بالشهادة في بني ونجل وذلك سنة 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 406134.

علوش، محوش بن عبد القادر، ولد سنة 1920 بدوار تيناست فرقة أولاد احساين قيادة بني عمارت إقليم الحسيمة، كان متزوجا وأبا لثلاثة أبناء، عاش في مسقط رأسه، وكان فلاحا متواضعا لينضم بعدها إلى الجيش الاسباني ثم تخلى عنه بعدما اكتسب خبرة واسعة في صفوفه وتدرب على ألوان الحرب والنزال وعلم بنوايا الاعداء ثم عاد إلى مسقط رأسه وإلى مهنته الأولى.

انضم إلى صفوف جيش التحرير بمركز "الماعلي" يوم 2 أكتوبر من سنة 1955 وعمل بالوحدة التي كان يرأسها العباس ضمن تشكيلة الغرب تحت قيادة محمادي امعيز، وبحكم عمله في صفوف الجيش الاسباني اطلع على تقنية استعمال السلاح الحديث مما سمح له بأن يدرب رفاقه في جيش التحرير على حرب العصابات وأفادتهم من الخبرة التي اكتسبها.

خاض الشهيد معارك متعددة في صفوف تشكيلته مسلحا برشاشة وعرف بالبسالة والشجاعة إلى أن استشهد بمعركة البربر يوم 17 أكتوبر من سنة 1955 واهباً روحه في سبيل الحرية والاستقلال رحمة الله عليه.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520845.

ابن **علوش، مسعود** ولد سنة 1900 بدوار الماعلي.

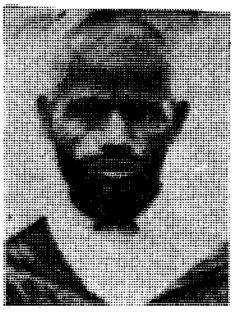

انضم الشهيد يوم فاتح أكتوبر 1955 إلى صفوف جيش التحرير ضمن التشكيلة التي كان يرأسها محمد بن علال بمركز بوزنيب حيث شارك في عدة هجومات إلى أن استشهد يوم 17 أكتوبر من نفس السنة التي التحق فيها بجيش التحرير وذلك إثر اصابته برصاص جنود العدو في معركة وقعت بجبل عونا بإقليم تازة رحمة الله عليه.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 504519.

علّوش، مفتوح ولد سنة 1912 بجزناية إقليم تازة.

انخرط في صفوف جيش التحرير منذ انطلاقته سنة 1955 ضمن فرقة مركز اسويل وبورد تحت قيادة عبد القادر اقوضاض شارك في عدة هجومات إلى جانب المجاهدين منها هجوم بورد يوم ثاني أكتوبر 1955 وهجوم اهرا شن.

وقد وافته المنية رحمه الله بتاريخ 14 / 3 / 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 504652.

العلّوفي، عمر بن **سليمان** مؤسس الطائفة اليوسفية بالمغرب خلال الربع الأول من القرن 10 / 16، وهي طائفة صوفية تسللت من الطريقة الراشدية، واشتهرت فيما بعد بطائفة العكاكزة. تذكره السيرة المفردة في الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (ت. 931 / 1524)، والمصنفة من قبل محمد الصباغ القلعي ما بين 952 و962 / 1545 و1555، والموسومة "*بستان العارفين الأزهار*". وتقرن ذكره بوالد المؤلف الشيخ محمد بن معزة، وتجعله من أعيان الطبقة الراشدية الأولى، ومن المقربين من الشيخ الراشدي، ومن صحبه الذين كانوا يقضون الليل في بيته، وذلك في قرية مصراتة المجاورة للقلعة من البلاد الراشدية بالمغرب الأوسط.

وتتفق هذه الإشارة الواردة بهذه السيرة المبكرة مع الروايات الشفوية المتأخرة والمتواترة بالقبائل المغربية التي ظلت على النحلة اليوسفية إلى مطلع القرن 14 / 20، والتي يجمع أهلها على تباعد ديارهم على أن اسم متبوعهم هو عمر بن سليمان، ويتعارفون فيما بينهم بكونهم خدامه، ويجعلون اسمه كلمة السر التي بها يتعارفون، للتقية التي دأبوا عليها منذ نكبتهم في مطلع القرن 12 / 18. ويتفرد فريق منهم بتلقيبه بالعلوفي، وهو اللقب الذي يذكره به المؤلف المجهول لكتاب "تبصرة الرئيس الأمين في ذكر شروط إمام المسلمين"، والذي عاش في المغرب أواخر دولة السعديين.

وباستثناء كتاب "التبصرة" فإن بقية المصادر المغربية التي اهتمت بالطائفة اليوسفية خلال القرنين 10 و 11/ 16 و17 تذهب إلى القول إن اسم شيخها هو أحمد بن عبد الله، وتلقبه بالمنزول أو المنزولي. فهل نحن بصدد اسمين لشخصين مختلفين، أم نحن بصدد شخص واحد أضاف اسما منتحلا إلى اسمه الحقيقي ؟

تعرف الطوائف المغربية في الغالب بأسماء مشايخها ومؤسسيها، ولو سلك شيخ اليوسفية نفس المسلك، ونسب شيعته إلى اسمه، لأفادنا في ترجيح كفة أحد الاسمين. لكنه لم يرض لطائفته باسم غير اسم الطريقة الراشدية التي ينتسب إليها، والتي تعرف أيضاً باسم الطريقة اليوسفية نسبة إلى سلف شيخه أحمد بن يوسف الراشدي. ومادام استبدال الأسماء والألقاب الحقيقية، والانسلاخ عن الأنساب الأصلية، مسألة مشهورة في سير منتحلي المهدوية. ومادام شيخ اليوسفية قد ظهر في معاصريه بهاته الدعوى، فيمكننا الافتراض بأنه قد انتحل اسم أحمد بن عبد الله ليصدق عليه الحديث "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي". كما أن لقب المنزول أو المنزولي الذي اتخذه ليس غريباً عن المهدوية القائمة على فكرة الظهور بعد ترقب وانتظار، ذلك أن هذا اللقب يقصد به النزول الذي له معنى قريب من الظهور.

وتعد قبيلة الزكارة القاطنة بنجود المغرب الشرقي، وهي أكبر المراكز اليوسفية المتأخرة، مصدر الروايات الشفوية المتعلقة بسيرة عمر بن سليمان. وتتوارث هذه الروايات طائفتان متنافستان على الرئاسة الروحية بهذا القبيل، وهما طائفة "أولاد سيدي أحمد بن يوسف" حفدة مؤسس الطريقة الراشدية، وطائفة "الرسمة" أحفاد مؤسس الطائفة اليوسفية. وتتباين هذه الروايات وتتناقض تبعا لتنازعهما وتنافرهما : وينسب حفدة الشيخ الراشدي تلميذه عمر بن سليمان إلى وطن بني راشد من المغرب الأوسط، ويقولون بنشأته على دين اليهودية، ويفخرون بإسلامه على يد جدهم، ويحملونه مسؤولية الانحراف الذي حاق بالطريقة الراشدية، والمتمثل في البدعة اليوسفية التي جاء بها. أما الرسميون فيقولون إنه جدهم الأعلى، وأنه من شرفاء المغرب الأقصى، ويحرصون على رق غزال يرفع نسبه إلى إدريس الأكبر، ويذكرون بأنه قد بنى بإحدى بنات أو حفيدات شيخه أحمد بن يوسف، ويجعلون ضريحه بقصبة شراعة من قبيلة تريفة.

وقبيلة زكارة ليست الوطن الأصلي لعشيرة الرسميين، الذين يزعمون أنهم خلف طائفة صوفية أندلسية. ولا يعلم متى طرأوا على بني عتيق في بني يزناسن، واستقروا بالموضع المسمى تغاسروت، وهو المحل المسمى اليوم تزغين قرب أبركان. وبنو عتيق لم ينظروا بعين الرضى إلى هؤلاء الطارئين المنتحلين لعقائد أنكروها، وقد كافحوهم وراموا استئصال شأفتهم. ولم تنج منهم إلا فئة قليلة فرت إلى فرقة أولاد محمد من قبيلة الزكارة، الذين ينتسبون إلى الطائفة اليوسفية، فاستضافوهم وأكرموهم واتخذوهم متبوعين، لاتصال نسبهم بمؤسس الطائفة اليوسفية الشيخ عمر بن سليمان. وقد تم هذا النزوح إما في القرن 12 / 18، وإما في مطلع القرن 13 / 19.

وتفيد رواية الرسميين في بناء جملة من الفرضيات المتعلقة بسيرة جدهم صاحب الترجمة : فإذا سلمنا بكونهم حفدته وخلفه، وهو الأمر المقطوع به من لدن بعض خدام الشيخ عمر بن سليمان، وهم الغنانميون القاطنون بين مراكش وتامصلوحت، فهذا يساعدنا على تحديد موطن استقراره بعد خروجه عن الشيخ أحمد بن يوسف، ويدفعنا إلى التساؤل إذا

ما كان هذا الموطن مسقط رأسه ووطن عشيرته ؟ وهل شكل المجال الجغرافي الممتد من قصبة شراعة من قبيلة تريفة شمالا إلى فرقة أولاد محمد من قبيلة الزكارة جنوبا، مرورا بموضع تزغين من بني عتيق، موقع تأسيس الزاوية اليوسفية الأم، ومجال نفوذها في حياة مؤسسها الشيخ عمر بن سليمان.

وينازع بعض أتباع الشيخ عمر بن سليمان طائفة الرسميين في اختصاصهم وامتيازهم بصلة الدم له، ويقولون بانتهاء نسبهم إليه أيضاً، وبانحدارهم من صلبه، وهؤلاء هم قبيلة بني مسحن الواقعة ببلاد غياثة. وتؤكد روايتهم المكانة الرفيعة والخطوة الكبرى التي كانت لجدهم عمر بن سليمان لدى شيخ الطريقة الراشدية، وتذهب إلى القول بملازمته له طيلة حياته، وانه لم يغادر المغرب الأوسط إلا بعد وفاته، وتنسب إليه فكرة شد نعش شيخه الراشدي إلى ظهر بغلة، ودفنه حيثما تقف.

م. الصباغ، *بستان العارفين الأزهار*، 59 ؛ مجهول، *تبصرة الرئيس الأمين*، مخ خاص ؛ ق. الورطاسي، *بنو يزناسن*، 93 ؛ ع. نجمي، *التصوف والبدعة بالمغرب*، 285 ـ 299.

A. Mouliéras, *Le Maroc inconnu*, t. I, 174 ; Monsempes, *Contribution à la connaissance d'une tribu*, 27 - 28 ; E. Doutté, *Merrâkech*, 368, n 1 ; *Magie et religion*, 46 - 48 ; Id, En tribu, 331 ; E. Dermenghem, *Le culte des saints*, 238 ; L. Voinot, *Oujda et l'Amalat*, 187.

عبد الله نجمي

العُلَّيق، يطلق اسم العلّيق بالعربية أو سَرْمُو بالأمازيغية على عدة أنواع من النباتات المتسلقة كالتوت الشوكي أو السَّتِّيف (انظر سَتِّيف) واللبلاب أو اللواية (انظر لواية).

أما في هذه المادة فسنتطرق إلى سْمِيلاكْسْ أسْبِيرَا Smilax aspera الذي ينتمي إلى فصيلة الزنبقيات Liliaceae.

إنه نبات متسلق شوكي ذو سيقان متعرجة ومضلعة وحاملة لأشواك. أوراقه صلبة، لامعة، جرداء. قلبية الشكل، ذات أعناق تحمل في قاعدتها مِحْلاَقا واحداً أو محلاقين يمكنان النبات من التسلق. ازهراراته عنقودية. أزهاره ضاربة إلى الاخضرار. ثماره عنبية حمراء.

يصادف النوع في كل المناطق المغربية ذات البيومناخات شبه الرطبة والرطبة وشديدة الرطوبة، الموجودة في الطابق المتوسطي الدافئ. وهو يحبذ الأتربة الغنية والسميكة.

من حيث الاستعمال لا تعرف للعليق استخدامات غير تلك التي تخص التطبيب التقليدي.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité*, Ibis Press, Paris, 2000, 360 p. ; A. Metro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora*, Soc. Sci. Nat. Phys. Mar., 1955.

عبد المالك بنعبيد

العلماء بالمغرب ← المجالس العلمية

العلم (جبل -) في الناحية الشمالية الغربية وسط قبيلة بني عروس، بين مدينتي تطوان وشفشاون. وهو أحد جبال الريف الغربي، يبلغ ارتفاعه 1368 م. كان في القديم يعد من جبال غمارة، ضمن تراب قبيلة بني ليث قبل تكوين قبيلة بني عروس. أصل سكانه برير مصامدة، ينتمون إلى الحلف القبلي الغماري الكبير بالشمال، انضافت إليهم عناصر عربية، تصدرها الشرفاء الأدارسة الذين استوطنوا الجبل بعد سقوط قلعة حجر النسر بسماتة على يد المروانيين سنة 375 / 985).

وأقدم ما بلغنا عن تداول اسم العلم في المصادر ما أورده أبو الحسن الشاذلي في أواخر العهد الموحدي في سرد مناقب شيخه عبد السلام بن مشيش، وبعد هذا التاريخ عثرنا في الجرد المريني للأشراف الأدارسة على يد أبي سعيد سنة 709 ـ 1310 على اسم "العلام" الواقع في بلاد غمارة، وأشار إليه ابن خلدون في سياق تناول مقتل الشيخ عبد السلام بن مشيش على يد محمد بن أبي الطواجن الكتامي. وأطلق عليه الوزان في مطلع القرن السادس عشر اسم جبل بني عروس وعده من جبال الهبط الثمانية في إطار التقسيم الإداري الوطاسي، ووضع له الوزان قياسا، يمتد على مسافة ثمانية أميال شمالا، وعشرين ميلا غربا، وعرضة ستة أميال، وأطلعنا مارمول على اسمه القديم وهو أبطا ـ ديلفي.

كان الجبل خلال الفترة الوطاسية تابعا لدائرة قائد القصر الكبير، وكانت به قصبة تعرف بقصبة بني محرز بمثابة عاصمة حسب مارمول، وكان كثيف السكان كثير الإنتاج الفلاحي، غير أنه تراجع بسبب الصراع بين السكان الأصليين وفئة الشرفاء واحتلال البرتغاليين لأصيلا سنة 876 / 1471، ومنه ينحدر العروسيون قواد القصر الكبير وإزاجن والقصر الكبير الذين ساعدوا الشرفاء السعديين على فتح مملكة فاس.

إن شهرة جبل العلم بين جبال الهبط بدأت مع بداية القرن العاشر الهجري (16 م)، واقترنت بوجود ضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش ت. حوالي 622 / 1225 وتمت في إطار حركة تجديد الشرف الإدريسي في الشمال، إثر المد الصوفي الشاذلي الجزولي في المنطقة، حينما تم التأكيد على قطبانية الشيخ عبد السلام بن مشيش صاحب الجبل، ونجح الشيخ عبد الله الغزواني في الكشف عن قبره في قمة جبل العلم انبنت عليه باقي الرموز المتصلة بالولي المعلومة في قمة الجبل وهي الضريح المشيشي ومغارة الخلوة وجامع الملائكة وعين البركة والحجارة المباركة، كما عمل الشيخ الغزواني على ترسيم زيارة التبرك بالشيخ ورموزه في جبل العلم وتشكيل هالة المقدس بالجبل.

وسيتوسع مجال القداسة في الجبل بعد صدور ظهير السلطان أحمد المنصور الذهبي الذي تم بمقتضاه ترسيم حدود الحرم العلمي. وتعززت رموز ابن مشيش في الجبل باستثمار فتوى العلماء حول زيارة أضرحة الصالحين، وكذا تردد كبار علماء فاس على الضريح المشيشي كما هو حال علماء البيت الفاسي والقادري وشيخ الجماعة التاودي بن سودة، مما أدى

إلى ترسيخ ما اصطلح عليه في باب الزيارة بطريقة العلماء، ومن أركانها التمسك بالطهارة.

وأصبحت الزيارة في الذاكرة الجماعية الشعبية تعرف بحج المسكين، يبدو فيها التماثل بين العلم ومكة في توقيت الزيارة ومشهد طقوسها، وأصبح جبل العلم بفعل الإشعاع الكبير الذي تحقق للشيخ عبد السلام بن مشيش في مماته وتزايد سلطة ضريحه، باعثا على تشكيل هوية نسبية ضمت كل المنحدرين من سلالة الجد الجامع أبي بكر بن علي بن أبي حرمة بن عيسى بن سلام بن أحمد المزوار، ومركزاً للشرف العلمي.

ظل جبل العلم وما أحاط به من مداشر الشرفاء العلميين مركزاً نشيطا للتصوف والعلم، وكان له حضور متميز على الصعيد السياسي حيث كان مسرحا لأحداث بالغة الأهمية في تاريخ الدولتين السعدية والعلوية بحكم المكانة الاجتماعية التي احتلها الشرفاء العلميون في قبائل ومدن الشمال الغربي وحرمة الجبل، نذكر هنا بالبيعات التي تمت في جبل العلم الضريح المشيشي كبيعة محمد بن الشيخ السعدي المعروف بزغودة سنة 1619 وبيعة مولاي اليزيد سنة 1790 ومولاي مسلمة 1792 ابني سيدي محمد بن عبد الله على يد أعيان الشرفاء العلميين.

الجرد المريني، مخطوط، خ. ع، ص. 36 - 39، الرباط، 36 - 39 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الجزء الأول، تح. م. حجي وآخرون، ص. 249، الرباط، 1980 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، الجزء 2، تح. م. حجي، ص. 256، الرباط، 1984 ؛ م. عمراني، *الشرف والمجتمع والسلطة السياسية*، الشمال الغربي نموذجا، من القرن 10 إلى 13 / 16 - 19، ص. 247 - 251، مرقونة، أطروحة د. د كلية الآداب، الرباط، 2000 - 2001.

محمد عمراني

عَلَمُ الجِهَاد (المعروف بعلم سيدي يسّف التليدي).
من المعلوم أن جل الزوايا والأضرحة وبعض الطرق الصوفية بالمغرب لها "علم" خاص يكون أحيانا أخرى مكتوب عليه شهادة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" أو كلمة "الله أكبر".

وكانت هذه الأعلام ومازالت تستعرض في مقدمة المهرجانات والتظاهرات الدينية أو عند زيارة بعض الأضرحة مثل ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش.

إلا أنه كان هناك علم يمتاز على غيره ويعرف بـ "علم سيدي يسف التليدي" وهو العلم الخاص بضريح المولى الصالح سيدي يوسف بن الحسن التليدي الكائن بالمدشر الذي يحمل اسمه بفرقة بني تليد، من قبيلة الأخماس السفلى.

يتعلق الأمر بما كان يعرف عند المجاهدين بـ "علم الجهاد" الذي كان يوضع بالزاوية المذكورة ولا يخرج منها إلا عندما تتفق القبائل على تنظيم حملة جهادية ضد الغزاة الأجانب لنواحي الهبط وجبالة وغمارة انطلاقا من أحد الجيوب المحتلة من البرتغال أو إسبانيا مثل مدينة سبتة والقصر الصغير وطنجة وأصيلا والعرائش.

وكانت العادة تقضي عند إخراجه من الزاوية إقامة حفل ديني تشترك فيه الوفود من جميع القبائل وتقرأ فيه "سلكة" القرآن الكريم، ثم تكون حفلة شعبية يشترك فيها الغياطة والطبالة والبواردية بباب الزاوية وبعد ذلك تنتظم قافلة المجاهدين يتقدمها العلم الذي يحمله مقدم الزاوية طيلة المدة التي يظل فيها العلم خارج الزاوية.

وعند الانتهاء من أمر الجهاد يعاد العلم إلى مكانه بعد إقامة حفلة شعبية مماثلة لحفلة إخراجه.

والجدير بالذكر أن عادة التبرك بعلم سيدي يسف بدأ العمل بها بعد وفاة صاحب الضريح الولي الصالح سيدي يوسف التليد الذي وافته المنية سنة 950 موافق عام 1543.

وقد أشارت المصادر البرتغالية والإسبانية إلى وجود العلم المذكور بأنه كان يحمله المجاهدون في عدة هجومات أو حصارات يقوم بها المغاربة على الجيوب المحتلة خلال القرن السادس عشر والسابع عشر.

ويقول الكولونيل كتاص عن هذا العلم في تقرير له بتاريخ 16 يناير 1929 ما يلي : "كان الثوار يتبركون بصفة خاصة بعلم زاوية سيدي يسف التليدي الكائنة بقبيلة الأخماس السفلى نظراً للمكانة التي يتمتع بها وليهم المدفون هناك حيث ينسبون إليه عدة كرامات خارقة للعادة، وهذا ما جعلهم يعقدون في الزاوية المذكورة أول مؤتمر تمهيدي للثورة ضدنا يوم 7 ماي 1913 وكان ذلك بإيعاز من الريسوني.

"ومن أجل القضاء على خرافتهم هذه قامت طائراتنا بقصف الزاوية المذكورة يوم 4 أكتوبر 1920 ثم تمكنت قواتنا من احتلالها يوم 19 يونيو 1922 وكانت قد أعطيت للكولونيل ليناريس التعليمات لكي يستولي على العلم "المقدس" وقد حصل عليه وبعثه إلى تطاون فأمر المقيم العام بإرساله إلى المتحف العسكري بمدريد حيث يوجد الآن كما توجد في ملفات نيابة الأمور الوطنية صورته".

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

العلمي، أسرة شريفة تنحدر من ذرية الشيخ عبد السلام بن مشيش ومن ذرية أخويه موسى ويملح وأعمامه يونس وعلي وأحمد ومحمد الملهى. ويتبين من أنساب العلميين أن أبا بكر بن علي بن بوحرمة بن عيسى بن سلام بن أحمد المزوار هو الجد الجامع للشرفاء العلميين والمؤسس الفعلي للأسرة العلمية الواسعة. والظاهر أنه عاصر فترة الصراع على السلطة بين الحموديين والمرابطين وفترة حكم يوسف بن تاشفين. وهو يعد في ذاكرة الشرفاء العلميين أول من استوطن من الشرفاء الأدارسة جبل العلم بقرية الحصن. غير أننا لم نقف على ما يؤشر لشهرته في زمانه. ويوجد قبره في قرية عين الحديد شمال وادي المخازن، وهو مزارة مشهورة في هذه البلدة.

وما من شك في أن الأدارسة أسلاف العلميين، حافظوا رغم انغمارهم وضياع ملكهم على نفوذهم الروحي في قبائل غمارة. فقد تجمع هؤلاء إلى نهاية العهد الموحدي على ما يبدو في قرية الحصن، أسفل قمة جبل العلم مهد الأسرة المشيشية ومسقط رأس الشيخ عبد السلام بن مشيش، وظلوا في طي النسيان إلى غاية أواخر العهد الموحدي، حينما ظهر علم بارز من أعلام الأدارسة في جبل العلم الشيخ عبد السلام بن مشيش، الذي مهد لظهور الشرف الإدريسي على الصعيد الديني، وعوض الشرف الإدريسي عن الملك بما هو أفضل حسب تقدير كتاب *المناقب والأنساب* ألا وهو الخلافة القطبانية.

والواقع أن دور الشيخ عبد السلام بن مشيش في تجديد الشرف الإدريسي في الشمال الغربي يتجاوز حدود حياته، فالولي لم تكتب له الشهرة كقطب صوفي إلا بعد وفاته. ولعل أهم ما أنتجه هو تليمذه أبو الحسن الشاذلي الذي ضمن له الاستمرار في سنده الصوفي الشاذلي الجزولي، وعرف به في بلاد المشرق قبل أن يعرف في المغرب.

وأقدم خبر رسمي مدون بلغنا عن الشرفاء العلميين في جبل العلم يندرج ضمن الجرد الذي قام به السلطان أبو الربيع سنة 709 / 1310 (وثيقة ضمن مجموع، خ. ع، الرباط. د. 723، ص. 36 ـ 39)، والملاحظ أن هذا الجرد اقتصر على فرع الجوطيين بفاس وفرع غمارة من أولاد الشيخ عبد السلام بن مشيش، وهو محمد وأحمد وعبد الصمد دون ذكر علال الذي كان استوطن قرية غيروزيم في الأخماس، مما يدل على أن شهرة العلميين في النسب في ذلك الوقت اقتصرت على البيت المشيشي ممثلاً في أبناء الشيخ عبد السلام الثلاثة، دون باقي الفروع المنحدرة من أخويه موسى ويملاح وأعمامه يونس وعلي وأحمد ومحمد الملهى.

ويظهر أن الشرفاء العلميين بعد وفاة الشيخ عبد السلام ابن مشيش في الربيع الأول من القرن السابع الهجري (13 م)، انصهروا في الهياكل القبلية، وبرزت في صفوفهم قوة محاربة، تألفت من فرسان تزعمهم علي بن راشد، دخلوا في صراع مع سكان بني عروس وبني حسان، وتفرقوا عليهم عسكرياً وهيمنوا على جبل العلم وعلى طرف من بني حسان كما جاء في شهادة الوزان، ثم آلت الغلبة إلى العروسيين والحسانيين، مما أدى إلى هجرة جماعية للشرفاء العلميين إلى غيروزيم بالأخماس السلفى وغيرها من القبائل المجاورة لجبل العلم.

ويقترن ظهور الشرفاء العلميين في جبال الهبط على الصعيد الديني في بداية القرن الخامس عشر بعاملين رئيسيين متكاملين هما : التصوف والجهاد. وساعد على هذا الظهور الأوضاع العامة في المغرب أواخر العهد المريني، نجملها في توفر أسباب الغزو في شبه الجزيرة الإيبرية وأسباب الهزيمة في المغرب، وعجز الدولة المرينية عن القيام بواجب فريضة الجهاد، مما أحدث هزة عنيفة في نفوس المغاربة وسمح لقيام حركة جهادية شعبية بقيادة شيوخ الطريقة الشاذلية الجزولية انطلاقاً من جنوب المغرب.

وما من شك في أن تأثير الطريقة الشاذلية الجزولية بلغ جبال غمارة والهبط من جراء الاحتكاك الإيجابي بين المجاهدين المحليين والوافدين من مختلف أنحاء المغرب، أثناء محاولات استرجاع سبتة المحتلة سنة 1415، دون أن يؤدي ذلك إلى تأسيس زوايا في المنطقة، فلا علم لنا بتأسيس زاوية شاذلية جزولية في جبال الهبط قبل قدوم الشيخ عبد الله الغزواني إلى هذه الناحية واستقراره في بني زگار زمن السلطان الوطاسي محمد الشيخ 1471 ـ 1504، وتأسيسه لزاويته بقرية تزروت.

ومن الطبيعي أن نترقب النتائج الإيجابية لهذا الحضور الصوفي في المنطقة على الشرف العلمي، فالملاحظ أن الشرفاء العلميين انخرطوا في الطائفة الغزوانية، ونكتفي بالإشارة إلى من تخرج على يده من أولياء الأسرة العلمية والريسونية، يتصدرهم الولي عمر بن عبد الوهاب ت. 956 ـ 1549 وعبد الرحمان الشريف وأخوه علي بن ريسون ت. 963 ـ 1556. غير أن دور الشيخ لم يتوقف عند تنظيم الزوايا في الهبط وإنتاج الأولياء، بل علينا أن نعطي الأهمية أيضاً للتعاليم الجديدة التي أصبحت قاعدة لترسيخ الاتجاه الصوفي السني في المنطقة وممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لقد أدرك الشرفاء العلميون دور استرجاع الولاية إلى جبل العلم، وأسهموا بدورهم في نشر الفكر الصوفي السني داخل أسرهم على النهج الذي رسمه شيخهم، لكن دون أن يتمكنوا من تأسيس زاوية خاصة بهم ينتظمون فيها، ويتخذونها وسيلة في تحقيق إشعاعهم الصوفي، بينما نجح تلاميذ آخرون في ذلك، كالشيخ يوسف التليدي ومحمد الهبطي وعائشة الإدريسية.

ويمكن اعتبار الفترة الممتدة من رحيل الشيخ الغزواني عن الهبط سنة 919 ـ 1513 إلى مستهل عهد عبد الله الغالب السعدي (1557 ـ 1574) فترة هامة في تاريخ الشرف العلمي، حيث انضافت إليه قيمة تجلت في انتشار الصلاح في جبال الهبط وتكوين رصيد صوفي داخل الأسرة العلمية والريسونية. وتميزت الفترة اللاحقة بتأسيس زاويتين كان لهما الصدى العميق في الشمال الغربي هما الريسونية بقرية تازروت جنوب غرب جبل العلم والوزانية في قبيلة مصمودة بقرية وزان خارج مركز الشرف العلمي، وستلعب هاتين الزاويتان بشكل متفاوت أدواراً دينية واجتماعية وسياسية طلائعية وفي تاريخ المغرب الحديث، وساهمتا في بروز الأسرتين الريسونية والوزانية.

وإذا كنا لا حظنا في تتبع مسار الشرف العلمي اقترانه بالتصوف، فإننا نؤكد على قوة الترابط بين الشرف العلمي والجهاد، وهو حتمية تاريخية بحكم الموقع الجغرافي المتقدم في خط المواجهة مع شبه الجزيرة الإيبيرية، ولكونه كذلك يعد من أعلى مراتب التمسك الديني، والشرفاء العلميون بالنظر

إلى مكانتهم الاجتماعية والدينية في المنطقة كانوا مؤهلين أكثر من غيرهم لقيادة الحركة الجهادية على الصعيد المحلي.

ويتجلى دور الشرفاء العلميين في الجهاد على مستويات التأطير الديني والتعبئة والقيادة. ومثال كل من بني راشد العلميين بشفشاون والريسونيين بتازروت يجمع هذه الخصائص، ويؤكدان على ترأس الشرفاء الأولين للحركة الجهادية في الهبط منذ نهاية الدولة المرينية وقيام الدولة الوطاسية، واستمروا كذلك إلى غاية سقوط إمارتهم على يد عبد الله الغالب السعدي سنة 1562، ثم انتقلت القيادة إلى أبناء عمهم الريسونيين في تازروت، وبذلك استمرت رئاسة الشرفاء للجهاد في بلاد الهبط من 1471 إلى 1578، أي ما يزيد عن قرن من الزمن.

وترتب عن قيادة بني راشد للحركة الجهادية، تأسيس أول حاضرة في قلب جبال الهبط هي شفشاون، وانتقال الشرفاء العلميين من طور البداوة إلى التمدن، وتحولهم إلى فئة أرستقراطية حققت تراكماً مادياً عظيماً من احتكارها لخيرات جبال الهبط والغنائم والتجارة إلى أن قرر السلطان عبد الله الغالب القضاء على إمارة بني راشد. ونتج عن مساهمة الزاوية الريسونية في معركة وادي المخازن تعزيز الشرف العلمي بصفة عامة، بترسيم حدود الحرم العلمي وحرم المزوار بسماتة والاعتراف بالعلميين رسمياً من طرف لسان أحمد المنصور الذهبي وبروز الأسرة الريسونية على الصعيد الجهوي.

ورغم هيمنة الشرفاء العلميين على الحياة الدينية في الناحية الشمالية الغربية ظل النسب الشريف أقوى عنصر في حياتهم الاجتماعية، وظلت ظاهرة الاعتزاز بالأنساب إلى العلم والدفاع على شهرة النسب العلمي السمة الغالبة في أوساط الشرفاء العلميين بمختلف فروعهم. وتعود أولى خطوات إشهار النسب العلمي والدفاع على المرتبة الأولى ضمن شرفاء الحاضرة الإدريسية إلى الرعيل الأول من علمائهم الشفشاونيين.

فالمبادرة الأولى قام بها الشريف أحمد بن يحيى ت. 1001 / 1593 بفاس، إذ أنه نسخ شجرة العلميين الموسويين قبل سنة 980 / 1573، وحظيت بمصادقة شيخه عبد الواحد الحميدي قاضي فاس سنة 986 / 1578. وهذا كان كافياً لإشهار العلمي في حاضرة فاس، بعد الدعم الذي تلقاه من طرف شيخين نافذي الكلمة في الحاضرة الإدريسية هما محمد القصار ويوسف الفاسي.

غير أن طريق العلميين إلى الشهرة كان ما يزال صعباً أمام الشريف أحمد العلمي، إذ كان عليه التصدي لمصنف ابن السكاك الذي حصر المرتبة الأولى في وضوح النسب في البيت الجوطي والصقلي، وكانت نتيجة حركته إدراج العلميين ضمن أهل المرتبة الأولى من شرفاء فاس، ليتقاسموا الشهرة مع الجوطيين والصقليين. وأسفرت المحاولة عن اعتراف نقيب الشرفاء الجوطيين بشهرة شرفاء جبل العلم وبنصيبهم في فتوحات مولاي إدريس الثاني.

ولاريب أن لهذا الاعتراف الجوطي بشرفاء جبل العلم عواقبه الإيجابية على الشرف العلمي بفاس، فقد توجت العلاقة الجديدة بين الشرفاء الجوطيين والعلميين بزيارة نقيب أشراف الأدارسة إدريس بن أحمد العمراني الجوطي لضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش رفقة الشريف العلمي المذكور، ولم يلبث أن تعزز ذلك الاعتراف بالمصاهرة بين الشريفين، حيث زف النقيب بنته للشريف العلمي، مكسراً بذلك الحاجز الاجتماعي بين البيت الجوطي بفاس والبيت العلمي بجبل العلم.

وكان من نتائج هذا التحول في موقف الجوطيين من العلميين وفود شرفاء جبل العلم على فاس برسم زيارة جدهم إدريس الأزهر في كل موسم، أو لأجل طلب العلم، كما شجع بعضهم على الاستقرار في المدينة بصفة نهائية. وقد كان الاعتراف الرسمي بالعلميين من طرف السلطة السعدية بعد الدور التاريخي البارز الذي لعبه الريسونيون في معركة وادي المخازن، سبباً قوياً في حمل الجوطيين على ذلك، ولا نستبعد أن تكون السلطة السعدية ضغطت على أعيان الجوطيين العائدين من تونس في قبول أبناء عمهم الجبليين في الحاضرة الإدريسية.

وتمثلت المحاولة الثانية في توثيق النسب العلمي على يد عالم آخر هو الفقيه أحمد بن علي العلمي ت. 1027 / 1618 قاضي شفشاون، الذي استفاد من رصيد ابن عمه بفاس، ووضع شجر نسب خاصة بفرع عبد السلام بن مشيش، نسخها على رق الغزال في حدود سنة 1000 / 1592. وهي شجرة غير تامة علق عليها ونشرها العربي الفاسي في *مرآة المحاسن*. ونتيجة لذلك أصبح جبل العلم المعزز برمزية دينية قوية، مصدر اعتزاز الشرفاء العلميين بمختلف فروعهم بهويتهم النسبية الجديدة، مع إقصاء لباقي الفروع الإدريسية، وإن تقاسمت معهم نفس الموطن منذ القديم كالشرفاء العمرانيين مثلاً.

ولم يتوقف الأمر عند هذا التاريخ، بل واصل الشرفاء العلميون حركة تأكيد تفوقهم خارج جبل العلم خلال العهد العلوي الأول، وحظوا باهتمام النسابين المغاربة كمحمد المسناوي الدلائي وعبد السلام القادري وعبد القادر الشبيهي، وبرز في صفوفهم نسابون انكبوا على تدوين النسب العلمي والدفاع على شهرته، كالتهامي بن رحمون والنقيب أحمد بن عبد الوهاب.

وكان من نتائج حركة تدوين الأنساب في صفوف العلميين أن برزوا من منظور النسابين كأرستقراطية سلالية متفوقة على البيوتات الإدريسية الشهيرة القديمة، وتقاسموا المرتبة الأولى في وضوح النسب مع الأسرة العلوية الحاكمة، كما ورد عند صاحب *الدر السني*. ومن المؤكد أن تفوق النسب العلمي كا مستمداً من السلطة الرمزية للشيخ عبد السلام بن مشيش التي لم يزدها الزمان إلا رسوخاً وتجدراً في المجتمع الجبلي. ويمكن اعتبار الشريف العلمي سليمان

الحوات تـ. 1231 / 1816 خير معبر عن نزعة تفوق الشرف العلمي على غيره خارج حدود دائرة جبل العلم، إذ سار على نهج أسلافه في إعلاء شأن أبناء جلدته.

وإذا نظرنا بكيفية مجهرية إلى تطور كل أسرة علمية على حدة، نلاحظ تباينا في الأدوار التاريخية والوظائف الدينية والاجتماعية وطبيعة علاقاتها مع المخزن. وقد تحكم في علاقات الشرفاء العلميين الداخلية عاملان رئيسيان هما : التراتب الخاضع لتسلسل هرم السلطة والرمزية الأبوية من جهة، والقرابة من الشيخ المؤسس عبد السلام بن مشيش من جهة ثانية، فقد اختص نسب أولاد مولاي عبد السلام من بين شرفاء جبل العلم برأي النسابين بكونه الأكثر وضوحاً، بناء على شهرة نسب جدهم في المغرب والمشرق، فهم ليسوا في حاجة إلى البحث في أصولهم كما يرى صاحب *مرآة المحاسن*، ويؤكد هذا الاتجاه فيما بعد سليمان الحوات. وإذا كان أدب الأنساب لا يعبر عن حقيقة قوة تشبث العلميين بهويتهم النسبية والدفاع على شرفهم ضد الدخلاء، فيمكن تفسير ذلك بحماية المصالح المشتركة المتمثلة في الامتيازات المادية المنعم بها عليهم من طرف المخزن وصيانة الحرم العلمي، وإضفاء صبغة المشروعية على تمييزهم عن فئة العامة في محيطهم الاجتماعي.

والملاحظ أن معظم الشرفاء أولاد عبد السلام بن مشيش تشبثوا بموطنهم الأصلي داخل مساحة الحرم العلمي في قبيلة بني عروس قرب الضريح المشيشي في قرية الحصن وأفرنو وأدياز ودار الحيط وتاجزة وتاجزرت وطاردان وتازروت، حيث شكلوا أقوى تجمع بشري شريفي في القبيلة، ومعظم الذين غادروا القبيلة الأم، استوطنوا قبائل مجاورة كالأخماس وسماتة وبني يدر وآل سريف وجبل حبيب وبني مصور وبني حسان. ويتبين من مدونات الأنساب أن السمة الغالبة عليهم إلى غاية النصف الثاني من القرن الثامن عشر هي البداوة، وأن جل الشرفاء العلميين الذي استقروا في المدن اختاروا مدن الشمال الغربي القريبة من جبل العلم.

وقد مثل الضريح المشيشي رباطاً أزلياً ولحمة ظاهرية بين الشرفاء المنحدرين من الشيخ عبد السلام بن مشيش، بدافع الاستفادة من الرصيد الرمزي والحصول على نصيب في الفتوحات، وظل معظم هؤلاء خارج التنظيم الصوفي رغم أهمية دور التصوف في نمو الشرف، ويمكن اعتبار هذا العنصر نقطة ضعف في مسار الشرف العلمي. وإذا كان الاعتزاز بالانتماء إلى العلم قد لازم مختلف الفروع العلمية، فإن بعض الأسر شكلت لنفسها هوية خاصة، وبنت كيانها المستقل خارج دائرة مركز الشرف العلمي، كما هو حال الريسونيون بتازروت بعد تأسيس زاويتهم وحصولهم على الدعم السعدي نتيجة لدورهم البارز في معركة وادي المخازن، إذ نجح هؤلاء على عكس أبناء عمهم العلميين في الملائمة بين النسب الشريف والتصوف والجهاد، وأصبحوا بعد رحيل الشيخ المؤسس محمد بن ريسون يعرفون بأولاد ابن ريسون، ويحملون لقب ريسوني نسبة إلى الجدة ريسون. لكن رغم مكانة الشيخ محمد بن ريسون في ميدان الصلاح والجهاد وشخصيته المؤثرة وفضله على الشرف العلمي بصفة عامة، ظل إشعاع الشيخ عبد السلام بن مشيش المتزايد في قبائل جبالة يغمر شهرة الشرفاء الريسونيين، ومثلت تازروت على الدوام محطة رئيسية في زيارة الضريح المشيشي.

وكذلك شأن الشرفاء العلميين المنحدرين من يملاح أخ الشيخ عبد السلام بن مشيش الذين أصبحوا يعرفون بالوزانيين، نسبة إلى مكان تأسيس زاويتهم على يد الشيخ عبد الله بن إبراهيم العلمي، وبها اشتهروا وزالت عنهم نسبة شريف علمي، وكونوا أكبر قوة في الشمال الغربي استفادت من الدعم المخزني المتواصل. وهذا لا يعني أن الانتماء إلى الأسرة العلمية الواسعة كان منعدماً في تجربة الوزانيين، فقد كانت الزاوية الوزانية في طور نشأتها محطة رئيسية في طريق الزائرين من أهل فاس للضريح المشيشي، كما استعمل هؤلاء النسب العلمي في دعم نسبهم الطيني، وإلى غاية حدود تاريخ تشكيل الهويات النسبية المستقلة داخل الأسرة العلمية الواسعة وجب التمييز التاريخي بين الفروع العلمية، فالعلميون في الوثائق الرسمية هم ذرية الشيخ عبد السلام بن مشيش.

ظل هؤلاء زمن المرينيين بعيدين عن الأجواء السياسية في العاصمة فاس، ورغم بروز بني راشد العلميين في عهد الوطاسيين ومحاولة انفصال الأمير علي بن راشد عن السلطة الوطاسية في أمر الجهاد، فإن ذلك لم يكن تعبيراً عن طموح سياسي واضح، إذ سرعان ما سيطر السلطان الوطاسي على إمارة بني راشد، ليستأنف الأمير على الجهاد في إطار رسمي باسم السلطان. وشكل بنو راشد بعد ذلك سنداً قوياً للسلطة الوطاسية، وشغل الأمير إبراهيم بن راشد منصب الوزير الأعظم في الدولة، وسخر قوة إمارة شفشاون الجهادية للدفاع عن السلطة الوطاسية ضد زحف السعديين، وشارك بجنوده من جبال الهبط في معركة أبي عقبة سنة 1516.

وحينما غير خلفه محمد بن راشد موقفه من السعديين وبارك انتصاراتهم في سانتا كروز وآسفي وآزمور سنة 1471، بادر السلطان أحمد الوساطي سنة 1542 إلى تنظيم زيارة إلى الشمال الغربي توجت بزواجه من أخته الست الحرة اعتبره البعض بمثابة صفقة سياسية. ورغم ذلك أسر الشريف العلمي على تأييده السلطة السعدية. وذهب على رأس وفد من الشرفاء وأعيان القبائل لتهنئة محمد الشيخ حينما دخل إلى فاس سنة 1547، فتوطدت العلاقة بين الطرفين وتوجت بتعيين الشريف العلمي قائداً على فاس، فذابت إمارة بني راشد الجهادية في نظام الدولة السعدية الجديدة. غير أن عبد الله الغالب السعدي في إطار مواصلة امتحان الزوايا الشاذلية الجزولية قرر القضاء على إمارة بني راشد سنة 1562، وأدى تنفيذ القرار على يد وزيره محمد بن عبد القادر السعدي إلى نزوح محمد بن راشد مع أفراد أسرته إلى بلاد

المشرق، وتم ترحيل ما تبقى من آل بني راشد إلى مدينة مراكش حيث انغمروا وزالت عنهم شهرة النسب والإمارة.

وفرض دور شيوخ الزوايا الشاذلية الجزولية وشرفاء جبل العلم في التعبئة للجهاد خلال فترة الاستعداد لمعركة وادي المخازن على السلطان السعدي عبد الملك (1576 ـ 1578) تغيير موقفه من شيوخ الزوايا الشاذلية الجزولية وشرفاء جبل العلم، ووقع تلاحم بين القيادة الرسمية وهؤلاء في المعركة الحاسمة في 4 غشت 1578، وكان الشرفاء العلميون من جملة المستفيدين من إنعامات السلطان أحمد المنصور الذهبي المبايع بوادي المخازن.

ويمكن اعتبار الظهير الصادر عن نفس السلطان مباشرة بعد وقوع هذا الحدث، الذي رسم بموجبه حدود الحرم العلمي وحرم أحمد المزوار بسماتة، من أجلى مظاهر الروابط الودية التي توثقت بين شرفاء جبل العلم والسلطة السعدية، وبالمقابل قدم الشرفاء العلميون خدمات للسلطان، نذكر منها على سبيل المثال أن شريفاً علمياً يدعى عبد الله بن عبد الرحمان ألقى القبض على المتنبئ الثائر ابن الحاج قرقوش سنة 969 ـ 1588 بعد أن استعصى أمره على القائد محمد بن إبراهيم بجة (الفشتالي، *مناهل*، 94 ـ 95).

لقد تجنب العلميون خلال فترة ضعف السلطة السعدية الدخول في أية مغامرة سياسية على غرار باقي الكيانات المستقلة التي ظهرت في الجنوب والوسط، وظلوا متشبثين بالمشروعية رغم وهن الدولة السعدية، بدليل أن بيعة محمد الشيخ المعروف بزغودة تمت على يد أعيان العلميين في الضريح المشيشي سنة 1028 / 1619. وإذا كنا لاحظنا غياب أي طموح سياسي واضح لدى العلميين أواخر العهد السعدي، فإن العلويين الأوائل تعاملوا مع الشرفاء العلميين بحذر، لعدة أسباب منها الإشعاع المتزايد للزاوية الوزانية في الشمال الغربي، وبروزها كقوة جهوية كبرى، واستفحال ظاهرة المتشرفة في جبل العلم كوسيلة للارتقاء الاجتماعي، مما أدى إلى ارتفاع عدد المنتسبين للشرف العلمي والعمراني، ترتبت عنه انعكاسات سلبية على بيت المال بسبب الإعفاءات الضريبية المرتبطة بالوقار والاحترام.

ولأجل ذلك، فرض السلطان المولى إسماعيل رقابة صارمة على الشرف العلمي من خلال تجديد هيكلة نقابة الأشراف، وتنظيم حملة تنقيب واسعة النطاق في منطقة جبالة لضبط أنساب الشرفاء. كلف بهذه المهمة في بداية الأمر الفقيه التهامي بن رحمون الذي أسفر مجهوده عن وضع أول ديوان شامل في النسب الإدريسي بالشمال الغربي سنة 1105 / 1693، والنسب العلمي على وجه الخصوص. ونظم السلطان حملة أخرى في حدود عام 1121 / 1709 في جبال غمارة والهبط ومنطقة الفحص، وكلف بعملية التنقيب في الأنساب الشريفان العلميان إدريس بن عبد الوهاب وأحمد بن عمر بن الوهاب، بمساعدة الكاتب عبد السلام بن زاكور، ودعم القائد عمر بن حدو الريفي، كان من أهم نتائجها جمع الديوان الإسماعيلي. غير أن الإجراء الإسماعيلي كان حلا مؤقتا لمعضلة الأنساب، فسرعان ما عادت ظاهرة المتشرفة إلى البروز برحيل السلطان سنة 1727، ولسحب الزعامة من شيوخ الزوايا وتقليص نفوذ الشرفاء أسند السلطان قيادة الجهاد للجيش الريفي المؤلف من أولاد حمامة، مما تسبب من جهة في تقليص نفوذ العلميين الديني، وساهم من جهة أخرى في بروز فئة أرستقراطية عسكرية حققت تراكماً مادياً ووجاهة، وظهرت كقوة منافسة للشرفاء العلميين، وهذا ما أدى إلى خلق نوع من التوازن بين القوى المتحكمة داخل المنظومة القبيلة.

ويبدو من الوثائق المخزنية أن نجم شرفاء جبل العلم المنحدرين من نسل الشيخ عبد السلام بن مشيش مال إلى الأفول خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لفائدة الريسونيين والوزانيين بسبب ضعف التنظيم وتوظيف الحرم المشيشي سياسياً ضد السلطان الشرعي. وتجدر الإشارة هنا إلى مثال مولاي اليزيد الذي استحرم قرب الضريح المشيشي بقرية الحصن إثر تمرده على والده السلطان سيدي محمد بن عبد الله وتمنعه داخل الحرم العلمي إلى وفاة والده سنة 1790، وانطلاقه من جبل العلم في الصعود إلى الحكم، وكان هذا الحدث الذي احتضنه جبل العلم سبباً في فتح باب اقتحام الشرف العلمي من جديد، حيث تقاطر المتشرفة على الجبل من كل حدب وصوب، وتمكنوا من تجديد عقود الشرف، كما استخدم الأمير المولى مسلمة الحرم العلمي في التمنع ضد أخيه مولاي سليمان وخلق أمامه متاعب.

وتم توظيف الحرم العلمي كذلك من طرف القبيلة الأم بني عروس في تجاوز الأحكام المخزنية، وتحول الضريح المشيشي إلى معطى سلبي، كدر على ما يبدو صفو علاقات الشرفاء العلميين بالمخزن. والملاحظ أن الأحداث المتصلة بعلاقات الشرفاء العلميين بالسلطة المركزية تركزت حول هذا الضريح الذي ظل يمثل رباطاً آسياسياً بين الشرفاء المنتسبين إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش، ومصدر رزق لغالبيتهم عن طريق تلقي الصلات المخزنية والفترحات.

م. عمراني، *الشرف والمجتمع والسلطة السياسية*، الشمال الغربي المغربي نموذجا، من القرن 10 إلى 13 هـ / 16 ـ 19 م، د. د. كلية الآداب، الرباط، 2000 ـ 2001، مرقونة.

محمد عمراني

العلمي، إبراهيم ولد المطرب المغربي إبراهيم العلمي بمدينة الدار البيضاء وعام 1930. وكان من رعيل الفنانين الأوائل الذين أسهموا في تأسيس وضع الأغنية المغربية العصرية.

بدأ خطواته الأولى في مجال الموسيقى، والأغنية الشرقيةُ يومئذ في أوج انتشارها وذيوعها بالمغرب، فأشربت نفسه مقاماتها وإيقاعاتها. ثم أقبل على التعلم، مستفيداً من معاشرة بعض الفنانين أمثال عازف القانون ومؤسس جوق

"أحلام الشباب" الحاج بوبكر الطالبي، وعازف الكمال مصطفى الحريري، وعازف العود الفنان عمرو الطنطاوي، والملحن المطرب المعطي البيضاوي، والفنان عبد السلام الحداوي.

مارس العلمي في بدء حياته الفنية النفخ في الناي، ثم تحول إلى العود، فاتخذه آلته المفضلة، تسعفه في استلهام الألحان، وترافقه في أداء أغانيه، وكان من وراء هذا التحول رئيس جوق الميتم البيضاوي المرحوم محمد زنيبر.

التحق العلمي بجوق الإذاعة الجهوية لمدينة الدار البيضاء وعمره دون الثلاثين، فاشتغل عازفا على العود، ثم تصدى للتلحين والغناء. وفي سنة 1966 أسندت إليه رئاسة جوق الاذاعة، فكان ثالث شخص يضطلع بهذه المهمة بعد المرحومين محمد زنيبر والمعطي البيضاوي. وقد استمر علي رأس الجوق إلى أن أحيل على المعاش في نهاية عام 1990.

وعلى امتداد أكثر من ثلاثين عاما استطاع العلمي أن يلحن عشرات الأغاني، أغلبها مما نظم كلماتها بنفسه، وقليل منها مما نظمه غيره، كأغنية "ما أحلى إفران وما أحلى جماله" التي وضع كلماتها الإذاعي والصحفي أحمد زكي بوخريص، وأغنية "المسيرة امشات" التي نظمها الزجال عمر التلباني بمناسبة انطلاقة المسيرة الخضراء عام 1975. ومطلعها :

كتبنا اسمك يا الحسن — على رمال الصحر الذهبية
على نسايم سلم وحرية — على النصر وأجيال ثورة
على مبادئ بلادنا الحرة

غنى العلمي معظم أغانيه بنفسه، ومما غنى له غيره : أغنية "ياشاغل بالي" من أداء المرحوم المعطي البيضاوي، وأغنية "ديما نخمم فيك" من أداء المطربة سعاد محمد، وأغنية "الأسمر" من أداء المطرب إسماعيل أحمد، كما غنت من ألحانه نعيمة سميح، وعتيقة عمار.

تتوزع أغاني العلمي موضوعات عاطفية ووطنية. فمن أغانيه العاطفية الناجحة : هذا الشمال ماسولت فيا - امساك امساك ياللي عقلي ما ينساك - الليل والليالي وأنا سهران - ياللي صورتك بين عينيا - يالساخي بيا - يا البيضا حرام عليك - يا خالي الباب وناسيني - خليني بعيد - يا الناسي العاهد.

ومن أغانيه في المناسبات الوطنية : عودة الناصرين - أنشودة ولي العهد نشيد العرش - في كل بيت فرقة كبيرة - فرحة الشباب - تحية الملك حسين - شموع الفرح - نشيد الجلاء - ملك القلوب - بشرى وانهار سعيد رائد الجيل - المسيرة امشات ...

ومن أغانيه الدينية : أغنية رمضان - هذي ليلة عظيمة - ليالي العيد. وللعلمي معزوفان نادرة أهمها : تقسيم على العود، وموسيقى كريمة.

يعتبر إبراهيم العلمي من رواد الأغنية الشعبية بالمغرب، فهو بالرغم من معايشة لظروف كاتب فيها الأغنية المغربية مرتبطة بالدفق القادم من المشرق العربي - لم ينقطع أبدا عن البحث في مشروع الهوية الوطنية للاغنية المغربية، ومن ثم تحاشى تقليدَ الأغنية المصرية، وتجَنّبَ مُحاكاتها سَواء على مستوى الأداء، أو ركوب القوالب، أو استهلال الأغاني بالتقاسيم والمواويل، أو شحنها بالفواصل الآلية المطوّلة. وهو في صياغته لألحانه الموسيقية يساوق الكلمات دونما تقيّد بأيّ قالب لحني كالمُوشّح أو القصيدة، ودونما إفراط في التطريب وتوليد الأنغام.

وفيما يأتي أسلوبه في التلحين بعيداً عن أسلوب أقطاب الأغنية العصرية كأحمد البيضاوي، والمعطي البيضاوي، وعبد الوهاب آكومي، فإنه يبدو وأقرب إلى نهج المطرب محمد فويتح، وهو نهج متميز يمتح من ألوان التراث الغنائية الشعبية ويجعل أغانيهما أحق بأن تحمل صفة الأغاني الشعبية.

وإمعانا من العلمي في ركوب هذا النهج فقد حصر تعامله مع النصوص الشعرية الزجلية، وبذلك نظم جلها بنفسه، فجاءت عباراتها بسيطة، تستدعي ألحانا بسيطة التركيب، بعيدة عن الصناعة الموسيقية المعقدة، كما جاءت متسمة بالصدق، تحمل في كثير من الأحيان سمات بينة من الحزن، تتجلى على مستوى الصياغة، ثم على مستوى إدائه لها بصوته الهادئ، بعيداً عن التشنج والانفعال.

أجريت مع العلمي عدةُ حوارات إذاعية وصحافية، كانت مناسبة للوقوف على بعض آرائه حول الأغنية المغربية وسبل النهوض بها. وفي هذا الصدد فهو يرى أن من أهم عوامل الحفاظ على أصالة الأغنية المغربية واستمرار تجددها أن تكون نابعة من حب الفنان لفنه وتعلقه به، وأن تستفيد من التقنيات التي توفرها الوسائل الحديثة في مجالات التسجيل والإنتاج.

أما الفنان الأصيل فهو - في رأي العلمي - ذلك الذي يملك الشجاعة لمواجهة الجماهير، ويملك القدرة علي تحويل هذه المواجهة إلى لحظات لتحقيق التواصل الروحي معها.

مثل المرحومُ العلمي بلاده في عدة تظاهرات فنية، ومن ذلك مشاركته في ربيع 1981 - وهو على رأس جوق موسيقى من الدار البيضاء - في الأسبوع الثقافي الذي نظمته وزارة الشؤون الثقافية في الكويت.

وقد وافاه الأجل المحتوم بالدار البيضاء عصر يوم الأربعاء 11 صفر 1423 / 24 أبريل 2002.

أبرام نادية، *أغاني العلمي رسل حب*، جريدة *العلم*، الصفحة الفنية، ع 18974 الأحد 15 صفر 1423 / 28 أبريل 2002 ؛ م. بلفتوح، إبراهيم العلمي، *نجم لن ينطفئ شدوه من سماء الذاكرة*، جريدة *العلم*، الصفحة الفنية، ع 18974، الأحد 15 صفر 1423 / 28 أبريل 2002 ؛ م. بهجاجي، حوار مع الفنان إبراهيم العلمي، جريدة *الاتحاد الاشتراكي*، 3 . 12 . 1995، ص. 9 ؛ مجلة *الفنون*، ع 1 ربيع الثاني، 1401 ؛ مارس 1981، ص. 25 ؛ مجهول بتوقيع م ب : *الراحل إبراهيم العلمي سيرة التعلم بامتياز*، *الاتحاد الأسبوعي*، ع 4 . 5 . 11 . ماي 2002، ص فنون، عبد الله، *الاتحاد الأسبوعي*، ع 07 . 26 ماي . 1 يونيو، 2002 ؛ صالح الشرقي، *أضواء الموسيقى المغربية*، مط فضالة، المغرب، 1997، ص. 196 ؛ جل تر المعاني، مط. النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1418 / 1997، ص. 199 . 201.

العلمي، أحمد بن **الحسن** ولد بفاس عام 1296 / 1876 وكان من مشهوري فني السماع والمديح بهذه المدينة، أخذ تقاليد الفنين عن محمد بوقاع وعبد السلام الدمناتي.

اشتهر بين أقرانه بحفظ كلام القوم وجودة الإنشاد، وكان إلى ذلك واسع الإلمام بميازين الموسيقى الأندلسية.

عبد اللطيف بنمنصور، *مجموع أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية المعروف بالحايك*، 1397 / 1977، ص. 460.

عبد العزيز بن عبد الجليل

العلمي، أحمد بن **عبد السلام** بن طاهر السريفي الصفصافي، أبو العباس علامة أهل السريف بالمغرب الأقصى، أستاذ مشارك ومقرئ مجيد، له "*تحفة الأبرار في التعريف بالشيوخ والسادات الأخيار*" في نحو أربعة كراريس ذكرها له الكتاني في فهرس الفهارس، وابن سودة في دليل مؤرخ المغرب الأقصى، وأضاف له صاحب *معجم المؤلفين* رسالة فقال "له رسالة تشتمل على أسانيده في القراءات" (ج 1 : 274).

في وفاة المترجم اختلاف في الزمان والمكان، حيث أشار الزركلي إلى أنه قتل في الحرب الريفية نحو 1344 وفي موسوعة *أعلام المغرب*.

توفي في طريقه إلى الحج سنة 1343، مما يدل على عدم التأكد من خبر وفاته وهو ما جعل مترجميه لم يضبطوا التاريخ.

الكتاني، *فهرس الفهارس*، 1 : 285 . 286، بيروت، 1986 ؛ ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 2 : 294، الدار البيضاء، 1965 ؛ الزركلي، *الأعلام*، 1 : 150 ؛ كحالة، *معجم المؤلفين*، 1 : 274، دمشق، 1957 ؛ موسوعة *أعلام المغرب*، 9 : 2945 ؛ ع. الجراري *التأليف ونهضته بالمغرب*، 41، الرباط، 1985.

العلمي، أحمد بن **عبد الله** الحسني، كان فقيهاً عالماً، وخطيباً بليغاً تولى النيابة عن قاضي مدينة الصويرة وخطب في جامع البواخر بعد وفاة سيدي مولود الشريف أحمد بن عبد الله العلمي وبقي على ذلك.

توفي رحمه الله في رجب عام سبعة وعشرين وثلاثمائة وألف.

م. بن سعيد الصديقي، *إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة*، 1 : 129 ؛ موسوعة *أعلام المغرب*، 8 : 2857.

عبد القادر سعود

العلمي، أحمد بن **عبد الوهاب** بن أحمد بن عمر بن عبد الوهاب، كان من أعيان الشرفاء العلميين المنحدرين من سلالة الشيخ عبد السلام بن مشيش، وهو فضلاً عن ذلك فقيه ونسابة مرموق، عينه السلطان مولاي إسماعيل نقيباً عاماً على الشرفاء، وكلفه بمهمة تحقيق أنساب الشرفاء في الناحية الشمالية الغربية وخصوصاً أنساب الشرفاء العلميين والعمرانيين في إطار حملة محاربة ظاهرة المتشرفة سنة 1112 / 1709. وقد تقاسم هذه المهمة مع ابن عمه إدريس بن عبد الوهاب، وتلقيا دعماً مخزنياً من طرف حاكم الناحية القائد عمر بن حدو الريفي.

وأسفرت مهمة النقيب في تحقيق الأنساب عن جمع ديوان عرف بالديوان الإسماعيلي، اشتمل على اثنين وأربعين عقدا مزوراً، خمسة غير مقروءة. وتبين من هذه العقود أن جل المتشرفة انتحلوا الشرف العلمي والعمراني، وأن ظاهرة المتشرفة كادت أن تكون بدوية صرفة. ولتأكيد مصداقية نتيجة التحقيق ألغى النقيبان الرسوم المزورة، وبعثا بسجلين إلى العاصمة مكناس واحد تضمن قائمة أسماء الشرفاء وآخر قائمة أصحاب الدعاوي الباطلة، وحسما لداء انتشار اختلاط الأنساب في قبائل الشمال الغربي بإحراق الرسوم المزورة، أعاد السلطان هيكلة نقابة الأشراف وجدد النقابة العامة والخاصة للشريف العلمي أحمد بن عبد الوهاب سنة 1127 / 1715، ومن ضمن الأعمال المنسوبة إليه رسم حدد فيه مجال الحرم العلمي ووطن قراه، نسخه ابن زاكور الفاسي في الاستشفاء من الألم في التلذذ بصاحب جبل العلم.

ع. السلام بن زاكور، *الاستشفا من الألم في التلذذ بصاحب العلم*، ص. 19، مخطوط ؛ ع. الرحمان بن زيدان، *العز والصولة* ؛ مجهول، كناش النسب الاسماعيلي، نسخة من محمد الأمين بوخبزة.

العلمي، أحمد بن **علي** ينتسب إلى الشرفاء العلميين

بشفشاون، ويعد من علماء القرن الحادي الهجري السابع عشر الميلادي، وهو من بين الشرفاء العلميين الذين شدوا الرحال إلى فاس طلباً للعلم واعتكفوا على الدراسة والتحصيل، فأخذ عن كبار علمائها من طبقة الشيخ محمد القصار الذي كان ملازماً له.

وحينما عاد إلى مسقط رأسه مارس التدريس والخطابة مدة في الجامع الأعظم بشفشاون، ثم تولى خطة القضاء بعد الفقيه محمد بن الحسن بن عرضون، لكنه سرعان ما تنصل منها، وتفرغ للتدريس والتأليف في الفقه والأصول والتاريخ والطب واللغة، وبرع في علم الوثائق والأحكام.

ظل أحمد العلمي على صلة بالوسط العلمي بفاس، وخاصة بشيخه القصار، وهو واضع أول مشجر العلميين العبد السلاميين في حدود سنة 1000 . 1592 ، ولعب دوراً مهماً في زيادة التعريف بهذا الفرع في الحاضرة الإدريسية.

توفي سنة 1027 / 1618.

ع. الفاسي، *مرآة المحاسن*، ص. 167 . 178، طبعة حجرية، فاس، 1314.

العلمي، أحمد بن **يحيى** الموسوي جد الشرفاء الشفشاونيين بفاس، وهو من علماء الشرفاء العلميين. درس بشفشاون ثم شد الرحال إلى فاس طلبا للعلم، فأخذ عن كبار علمائها أمثال يحيى السراج والقاضي عبد الواحد الحميدي. وبعد تخرجه عالما، استقر بفاس وانقطع لمطالعة الكتب والتدريس، وهو أيضاً فقيه ومؤرخ وأديب، وكان أول من شهر النسب العلمي بالحاضرة الإدريسية فاس، وناسخ أقدم شجرة للعلميين قبل سنة 980 / 1573 التي صادق عليها القاضي عبد الواحد الحميدي.

وأسفرت حركته بفاس بفضل المساندة المعنوية من قبل شيخه القصار والشيخ يوسف الفاسي أن أصبح الشرفاء العلميون من أهل المرتبة الأولى في وضوح النسب إسوة بالجوطيين والصقليين، والاعتراف بهم من طرف الجوطيين وإقرار نصيبهم في فتوحات الضريح الإدريسي. وما من شك في أن الدعم السياسي القوي الذي تلقاه العلميون من طرف السلطان السعدي أحمد المنصور والاعتراف بشهرتهم رسمياً قد دعم حركة الشريف العلمي.

توفي العلمي أحمد سنة 1001 / 1593.

ع. السلام القادري، *الدرر السني*، ص. 40 - 44، طبعة حجرية، فاس، 1308.

محمد عمراني

العلمي، التغزوتي أحمد بن اليزيد من مواليد سنة 1619 بدوار بني يخلف من أبويه ابن اليزيد واحليمة.

ولما قامت قوات المستعمر الغاشم بالاعتداء على السيادة المغربية اختار الشهيد العمل المسلح صحبة مجموعة من المكافحين، فانضم إلى المقاومة السرية بفاس حيث جعل منزله مخبأ للفدائيين. وفي سنة 1954 ألقي عليه القبض من قبل السلطة الفرنسية. وبعد مرور أربعة أيام استشهد من جراء التعذيب بمقر شرطة الاستعمار الفرنسي، تغمده الله برحمته الواسعة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 512758.

العلمي الشريف، عبد السلام بن محمد فقيه من رؤساء البحر السلاويين العاملين في عهد مولاي سليمان إلى حين وفاته في مطلع سنة 1249 / 1833 في عهد مولاي عبد الرحمان. وقد كان السلطان أسند إليه الإشراف على رياس وبحارة الرباط وسلا، وأنعم عليه بوسام الياتاغان المخصص لكبار رجال البحر. وأوكل إليه رفقة الرايس عبد الرحمان بريطل الرباطي مهمة حماية المياه الإقليمية، وملاحقة السفن الألمانية في سنة 1825 ، وكلفه أيضاً بقيادة السفينة السلطانية "أزيلة" للاتجار بها، مانحا إياه ترخيصا خاص، جاء فيه :

".. كتابنا هذا .. بيد خديمنا الرايس عبد السلام بن محمد بن الفقيه الشريف السلوي، يعلم منه بحول الله وقوته .. أذنناه بالسفر قصد التجارة في مركبنا السعيدة البارز كان المشتملة على صاري واحد، المسماة أزيلة، عدد بحريتها عشرة بالرايس المذكور، ويخوض إن شاء الله في البحر الصغير والكبير، مشترطا عليه أن يشتغل في جميع أموره كلها بما يعينه، متحريا للأمور الذميمة المخلة بالدين، وأن لا يتعدى القانون المتعارف بيننا وبين أجناس النصارى، وأن لا يحمل في مركبه مثل الخمر والخنزير، فإن حام حول ذلك فقد تعرض لغضب الله ونكالنا بحول الله. وبعد قضاء إربه من المحل الذي حل به يأوب إلى أي مرسى من مراسينا السعيدة بالله .. كما نؤكد على من يقف عليه من حكام المدن من مدائن النصارى والقراصين .. وخدامنا وكمانضاضس مراكب الحرب المصالحين معنا أن يوقره ويحترمه، وأن لا يحدوا عما أبرمه أمنا الشريف ولا يتعداه. وعلى الرايس وبحريته بتقوى الله سرا وعلانية، والصلاة في أوقاتها .. بهذا صدر أمرنا المعتز بالله في 14 ربيع النبوي الأنور 1241.

ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 4، ص. 133 . 134 . 151 . 152 ؛ وابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، وملحقه، ص. 47 و178.

حسن أميلي

العلمي الشفشاوني، عبد السلام الأمين من مشهوري شيوخ الموسيقى الأندلسية. ولد بمدينة شفشاون في منتصف القرن التاسع عشر، وبها أخذ عن شيوخ الفن. وفي بداية الثلاثينيات انتقل إلى مدينة تطوان حيث عين مديراً للقسم العربي بالمعهد الموسيقي ؛ وكانت هيئة التعليم يومئذ مكونة في معظمها من عناصر شفشاونية منهم : عازف الكمان أحمد البردعي، وعازف العود محمد بن عياد، والعياشي الورياغلي رئيس الجوق العربي بالمعهد وعازف الرباب في نفس الوقت، والمنشد أحمد احرازم.

وقد كان عبد السلام العلمي وإلى جانبه البردعي والوياغلي المذكوران - من بين الفنانين الذين ساعدوا المستشرق الاسباني أركاديو دي لاريابالاثين على تدوين نوبة الإصبهان.

توفي عام 1956.

Arcadio De Larréa Palacin, *Nawba Isbahan Introduccion*, p. XXIII - XLI, Editora Marroqui, Tetuan 1956.

العلمي، عبد السلام بن **الأمين** ولد في أواسط القرن التاسع عشر. وقد تعلم أصول الموسيقى الأندلسية وحفظ مستعملاتها على شيوخ شفشاون. وبعد تمكنه من قواعد هذا الفن استقدم إلى تطوان حيث تقلد إدارة القسم العربي بالمعهد الموسيقي في بداية التلاثينيات، وكانت هيئة التعليم يومئذ تتكون في معظمها من عناصر شاونية كأحمد البردعي عازف الكمان، ومحمد بن عياد عازف العود، والعياشي الورياغلي رئيس الجوق الأندلسي وعازف الرباب، والمنشد أحمد احرازم.

وقد كان العلمي - وإلى جانبه الورياغلي والبردعي - من بين الذين ساعدوا المستشرق الإسباني أركاديودي لاريا بالاثين على تدوين نوبة الأصبهان.

توفي العلمي بتطوان عام 1959. ويعتبر مؤسس الجوق التطواني الحديث.

دي لاريا اركاديو بالاثين، مدونة *الاصبهان*، المقدمة بقلم الفريد البستاني ؛ ع. العزيز ابن عبد الجليل، مدخل *إلى تاريخ الموسيقى المغربية*، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2000، ص. 277.

عبد العزيز ابن عبد الجليل

العلمي، عبد السلام بن **محمد** بن أحمد بن العربي العلمي الوهابي نسبة إلى الجد عبد الوهاب الأصغر جد الشرفاء العلميين الوهابيين أهل أفرنو بقبيلة بني عروس، المنحدرين من سلالة الشيخ عبد السلام بن مشيش. رحل والده إلى فاس قصد استكمال الدراسة بجامع القرويين وتخرج منها عالماً واستوطن المدينة. وهكذا نشأ عبد السلام العلمي المزداد بفاس حوالي 1250 / 1834، في بيت جمع بين الشرف والعلم. حفظ القرآن الكريم وأخذ مبادئ العلوم على والده ثم التحق بالقرويين وتخرج منها عالماً على الطريقة التقليدية، غير أن تكوينه لم يقتصر على ما كان متداولاً في رحاب هذه المؤسسة من علوم، بل درس علوماً أخرى كالفلك والرياضيات والطب في فضاءات علمية أخرى. ومال إلى التخصص في علم الفلك الذي برع فيه، بشكل أثار انتباه السلطان محمد الرابع، فانتدبه لتدريسه بالقرويين. وقام باختراع آلتين شمسيتين الأولى سماها جعبة العالم واسطوانة العالم، أما الثانية فسماها ربع الشعاع والظل، سنة 1283 - 1866، وأهداهما لنفس السلطان سنة 1284 - 1867، وبذلك احتل مكانة متميزة في الوسط العلمي بفاس ونال إعجاب السلطان محمد الرابع. بعثه السلطان مولاي الحسن إلى مصر في حدود عام 1291 - 1874 لدراسة الطب والتوقيت والتعديل والتنجيم والإرصاد وتخطيط الساعات الشمسية بأحدث الطرق العلمية، فالتحق بالمدرسة الطبية بالقصر العيني بالقاهرة التي كان يديرها الدكتور علي باشا على عهد الخديوي إسماعيل، وبدأ رحلته الدراسية التي لا نعرف مدتها بالضبط. حصل العلمي في نفس السنة على إجازة في الطب من شيخه حسين بن مصطفى عودة الدمشقي السوري أحد أساتذة المدرسة المذكورة، شهد فيها على مواظبته واجتهاده وتفوقه على زملائه. وقد ألصق العلمي على يمينها رسم ربع الشعاع والظل الذي ابتكره بفاس قبل رحيله إلى مصر على سبيل التحلية والشغف بنبوعه في هذا الميدان.

دون العلمي في كتابه النبراس في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس ما تلقاه في مصر من علوم، وذيله بلائحة لأشياخه من عرب وعجم، وما أخذ عن هؤلاء من علوم بحثة، يستفاد منها مقاربة نوع التكوين الذي تلقاه في مصر على المستوى النظري والتجريبي، وكفاءته كطبيب متعدد التخصص، وذلك بالمدرسة الطبية المذكورة والمستشفيات والمعمل الكيماوي، وهي كما يلي :

العلم	الأستاذ	المكان
الجراحة	محمد علي باشا البقلي	الاسبطار
العملية الجراحية	محمد به البقلي	
الجراحة باليد	محمد هورزي	
الأمراض الباطنية	سالم به سالم	
الأمراض الباطنية	الحكيم القطاري	
الأمراض الباطنية	إبراهيم أفندي	
الأمراض الباطنية	موسى عيسى	
الأمراض الباطنية	محمد أفندي شكري	
التشريح الهيكلي العظمي والمفصلي	محمود أفندي مصطفى	
التشريح العظمي والعروق	محمد أفندي درى	
التاريخ الطبيعي	محمد أفندي ندا المصري	
علم الكيمياء الطبية	كنستيل الفرنسي بواسطة الطبيب المترجم محمود أفندي ندا	المعمل الكيماوي
علم الأقرباذيني	علي أفندي رياض	

العلم	الأستاذ	المكان
علم الرمد أمراض الجلد الزهري	حسين بك عوف علي أفندي رياض عبد الرحمان الهراوي	الاسباطلية المذكورة
مشاهدة الحيوان وأحجار المعادن	زهران أفندي	
أمراض النساء والأطفال	الحكيم الجرائحي	اسبطالية أمراض النساء

عاد عبد السلام العلمي بعد انتهاء مدة البعثة إلى فاس، وعينه السلطان مولاي الحسن طبيبه الخاص وطبيب أسرته، بدل الطبيب ليناريس، وربما أراد السلطان بهذا الاختيار تقديم الدليل للأجانب على نجاح البعثات العلمية. لازم العلمي السلطان مولاي الحسن لمدة تجاوزت خمس سنوات، وصار معدوداً من خاصة حاشيته. وبعد انتهاء مهمته الرسمية، فتح دكانا بحي النجارين بفاس، كان في ذلك الوقت بمثابة عيادة طبية لعلاج مختلف الأمراض. غير أن تجربة العلمي في الواقع كانت فريدة من نوعها، ولم تسفر عن تأسيس نواة طبية عصرية. ولعل أهم ما أنتجه في هذا الميدان الطبي كتابه البدر المنير في علاج البواسير، ومفتاح التشريح.

تجدر الإشارة إلى أن العلمي كان عالماً موسوعياً جمع بين الثقافة العربية الإسلامية التقليدية التي تلقاها في القرويين والثقافة الحديثة في مجال العلوم الحقة، كما ساهم في نشر الأفكار والمعارف الجديدة في أوساط المثقفين بفاس عن طريق الكتاب التي جلبها معه من مصر في شتى أصناف المعرفة، وأنجب فضلاً عن ذلك عدداً من التلاميذ، وخصوصاً في الرياضيات التوقيتية أمثال محمد بن علي الغزاوي عبد الكريم بنيس. أصيب عبد السلام العلمي بفالج في نصفه الأسفل، ومع ذلك ظل يزاول مهنته كطبيب يقدم الوصفات العلاجية للمرضى.

توفي سنة 1322 / 1904 ودفن بمقبرة الشرفاء العلميين بفاس.

ع. السلام العلمي، *ضياء النبراس في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس*، فاس، 1318، ص. 123 ـ 126 ؛ ع. بن إبراهيم، *الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام*، ج 8، ص. 490 ـ 491، الرباط، 1977 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، الجزء الأول، ص. 117 ـ 123، الرباط، 1973 ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية*، ص. 421 ـ 426، الدار البيضاء، 1977.

محمد عمراني

العلمي، عبد القادر (سيدي قدور) بن محمد بن أحمد بن بلقاسم الإدريسي العلمي الحمدوني، أشهر شعراء الملحون بمكناس وشيخ متصوفة هذا الفن بمغرب القرنين (12 و13 م / 18 و19 م). ولد بمكناسة الزيتون سنة 1154 / 1741.

احتفى المؤرخون والإخباريون بذكره فنعته الناصري بولي الله البركة الشهير صاحب الأزجال الملحونة، وعني بأخباره الكتاني في السلوة، وابن زيدان في *الإتحاف*، كما نوه بذكره تلميذه امحمد بن عبد الهادي غريط في أرجوزة له بعنوان *رياض أنس الفكر والقلب*، ومحمد التاودي السقاط في رسالة له بعنوان *خرق العوائد واستجلاب الفوائد*. استعرض ابن زيدان أسماء شيوخه في التصوف، فذكر منهم سيدي علي بن عبد الرحمن المعروف بالجمل الفاسي المتوفى عام 1194، ومولاي الطيب الوزاني المتوفى عام 1181، كما أشار إلى بعض من كانوا يترددون عليه بزاويته لأخذ الأسرار والمعارف مثل سيدي العربي بن السايح الشرقي دفين الرباط عام 1309، وسيدي منصور حفيد سعيد بن أبي بكر المنشنزائي المتوفى بمكناس عام 1344، وغيرهما.

وقد غادر العلمي مسقط رأسه بعد أن استكمل رجولته، وقصد مدينة مراكش، فكانت محطته الأثيرة، مكث فيها بضعا وعشرين سنة، يؤم فيها مجالس العارفين، ويطلع على أحوال الناس، فخبر النفوس، حتى إذا رجع إلى مكناس وجد شهرته قد سبقته، فاحتفل به خواصها وعامتها، ورحُبت له مجالس السلطان العلوي المولى عبد الرحمن، ونال فيها من الحظوة والتقدير ما عز على كثير من شعراء العربية الفصيحة بله شعراء الملحون.

وبالرغم من أميته، فقد أسعفته قريحته وسعة خبرته بأحوال الناس وأسرار الحياة ليكون غزير الإنتاج حتى إنه لم يترك غرضا من أغراض الشعر إلا طرقه، فنظم في التغزل والخمريات، وأفاض في وصف مباهج الحياة ومجالس الأنس وزينة الدنيا، كما نظم في القصص والحكم، وأخبار الأولياء والأنبياء، وفي الموعظة والتوسل إلى الخالق والتصلية على النبي الكريم والتشوف إلى زيارة قبره الشريف حتى لكأن ديوانه رحلةٌ في عالم اللذة والمتعة، أو سجل للتاريخ واستلهام العبر والذكرى.

وقد تضافرت عدة عوامل لتستقطب اهتمام الناس منذ القديم بالعلمي وبأشعاره حتى أوشكت شهرته أن تغطي على سائر الذين سبقوه إلى نظم الملحون في الحاضرة الإسماعيلية، ومن هذه العوامل أن أشعاره أصبحت تشكل مصدراً لاستلهام النصيحة. وفي ذلك يقول محمد عريط مخاطبا أتباع العلمي :

واقبلوا النصح من أهل الخير   واستيْقظوا من ورطات الضيْر
كالقاضي الحجة في موزونه   والعلمي القدوة في ملحونة

ومنها أيضاً أن العلمي كان يُملي بنفسه قصائده على ثلة من الكتبة والرواة، وهو أمر ساعد على حفظها وذيوع نُسخها بين الناس وتشجيع الأشياخ على إنشادها بالنغمات.

وإلى هذين العاملين يضاف صنيع بعض تلامذته وملازميه، خاصة منهم الشيخ العربي المكناسي الذي نقل أشعاره إلى الحضرة التلمسانية بالجزائر مما زاد في سعة انتشارها والإقبال عليها.

وأمام غزارة إنتاجه فقد اتجهت عناية الناس إلى جمعه في كنانيش خاصة ما يزال بعضها مما تحتفي بامتلاكه بعض الأسر المكناسية، كما اتجه بعض المستشرقين إلى نقل بعض قصائده إلى لغات أجنبية. ومن هؤلاء المستعرب بوريت (Bwret) الذي أنجز عن العلمي بحثا بيوغرافيا، وسونيك (Sonnech) الذي نقل إلى الفرنسية إحدى قصائده، وفيشير (Fischer) الذي نقل إلى الألمانية بعض قصائده.

وقد أحصى المهتمون ما حفظ من شعر العلمي فبلغ ذلك سبعين قصيدة وعشرين سرابة، وهذا أمر حمل على الاعتقاد بأن يد الضياع لم تصب إلا النادر من منظوماته. ولعل من هذا النادر القصائد التي أثر عنه أنه أحرقها بنفسه في أخريات حياته.

ومن روائع ما نظمه العلمي قصيدة الدار، والتوسلية، والجمهور، وذابل لعيان، وطالت سيدي هذا الغيبة، وطامويا بهيج الخدادة، وظل نهاري سعيد، وما ازين أو صولك، والمحبوب، والمزيان، والساقي، وورقة مول الحب، وكلها مما يتنافس في إنشاده أشياخ الگريحة، وأكثرها مما سجلته الإذاعة الوطنية بأصوات كبار هؤلاء كالحاج محمد بنغائم، والحاج الحسين التولالي، وعبد الكريم گنون.

ويبدو أن الإقبال على إنشاد قصائد العلمي على الطبوع والنغمات كان مما ولع به الناس حتى في حياته. ويدل على ذلك ما ذكره المشرفي في "الحسام" وهو بصدد الحديث عن زاوية العلمي إذ قال : "له قصائد عديدة في محلون الشعر تلقى في حضرة الملوك وتنشد في مجالس السرور، وتشرق بها الأسماع، ويطيب بذكرها وإنشادها السماع". كما يدل على ذلك ما حكاه المستعرب (بوريت) نقلا عن شخص بفاس الجديد في موضوع رغبة بعض المدعوين إلى أحد الأعراس في الاستماع إلى قصيدة العلمي "طامويا بهيج الخدادا".

وقد وقف النقاد والدارسون من خمريات وغزليات العلمي مواقف متباينة، فرأى البعض أنها تعكس المرحلة الأولى من حياته، وهي مرحلة مارس فيها سلوك الإنسان العادي من حب وإقبال على متع الحياة، فيما ذهب آخرون إلى تأويل أقواله وحمل مضامينها على غير ما يبوح به منطوقها وتعلن عنه كلماتها.

أما أشعاره الحكمية ففيها نفحات من التصوف، غير أنه تصوف "وظيفي"، يتجافى الإغراق في التجريد، ويتجاوز الوقوف عند خلجات النفس وخطرات الفلسفة وشطحات الفكر، ليحرك في المرء دواعي التأمل في الحياة، أو ليثير التساؤل عن المسَلّمَات التي اطمأن إليها الناس، أو ليفضح ما جبل عليه بعض هؤلاء من نفاق وتحايل وخداع، أو ليدلهم على نهج السعادة في الحياة.

توفي العلمي عام 1266 / 1850 عن مائة واثني عشر عاماً ودفن بزاويته بمكناس.

ع. الجراري، *القصيدة*، ص. 629 ـ 639 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 5، ص. 336 ـ 352 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 9، ص. 61 ؛ ع. العزيز ابن عبد الجليل، سيدي عبد القادر *العلمي شيخ متصوفة المحلون* ؛ *ندوة الملحون والتصوف*، ملتقى سجلماسة الثالث لفن الملحون، 8 ـ 10 يونيو، 1990، ص. 43 ـ 48 ؛ محمد بن عبد الهادي غريط، أرجوزة، *رياض أنس الفكر والقلب*، مخطوط، الخزانة العامة، الرباط، رقم د 512 ؛ م. التاودي السقاط، *خرق العوائد واستجلاب الفوائد*، مخ. خ. ع. الرباط، رقم 524.

Sonnech, *Chants arabes du Maghreb.*

عبد العزيز ابن عبد الجليل

العلمي، علال ولد المقاوم العلمي علال سنة 1923 بدوار حضرية ملحقة تيزي وسلي دائرة اكنول إقليم تازة من والديه عمر بن علي ورقية بنت عمر.

انخرط الفقيد في صفوف جيش التحرير بدافع الغيرة الوطنية والتشبث بمبدأ استقلال المغرب حيث انضم إلى وحدات الجيش بالشمال تحت قيادة محمد العجوري شارك في عدة معارك وهجومات مع اخوانه في الجهاد إلى أن تحقق الاستقلال على يد بطل العروبة والإسلام جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه.

وقد وافته المنية رحمة الله عليه يوم 6 / 2 / 1996.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 503989.

العلمي، علي بن **عيسى**، لا تسعفنا المصادر في الإلمام بسيرته، وكل ما نعرفه عنه أنه ينتسب إلى فئة الشرفاء العلميين الذين استوطنوا شفشاون منذ تأسيسها على يد بني راشد سنة 1471، وقد عرفوا تارة بشرفاء القوس وأخرى بأولاد الشريف. اشتهرت أسرته بالعلم، وتسلسلت فيها خطة القضاء منذ جده الثاني علي بن أحمد العلمي المتوفى. ولد علي بن عيسى العلمي بشفشاون وتلقى بها المعارف الأساسية في العلوم الشرعية واللغة العربية، وانتقل إلى تطوان حيث تتلمذ على علمائها أمثال القاضي عبد الرحمان الزلال ومحمد قريش كما يستفاد من نوازله، ثم شد الرحال إلى مدينة فاس لاستكمال تكوينه العلمي، وتلقى مختلف علوم العصر على يد كبار العلماء أمثال عبد القادر الفاسي ومحمد العربي بردلة.

ولعل أسلاف علي بن عيسى العلمي لعبوا دوراً في تحديد مساره العلمي من خلال بروزهم في ميدان الفقه والتوثيق، مما أهلهم لاحتكار خطة القضاء والفتوى في مدينة شفشاون لفترة زمنية طويلة. وهكذا عين بعد تخرجه من القرويين قاضياً لشفشاون من عامل تطوان ونواحيها علي بن عبد الله الريفي في تاريخ غير معلوم، ويظهر من خلال رسالة الاستقالة التي قدمها إلى نفس العامل، أن الفقيه عاش محنة حقيقية إثر نازلة تمليك الحراطين على يد السلطان المولى إسماعيل والتي امتد تأثيرها إلى قبائل ومدن الشمال الغربي، إذ كان ثمن امتناعه عن المصادقة على عقود التمليك على ما يبدو من نص نفس الوثيقة، اعتزال القضاء والهروب إلى مكان مجهول.

توفي عام 1127 / 1715، تاركا عمله الهام في النوازل مصدر شهرته، جمع فيها فتاوى متنوعة في بابي العبادات والمعاملات.

ع. بن عيسى العلمي، *كتاب النوازل*، ثلاثة أجزاء، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، تح. المجلس العلمي بفاس، 1983.

العلمي، عمر بن **عبد الوهاب** تـ 956 ـ 1459 ينتسب عمر بن عبد الوهاب إلى الشرفاء العمليين المنحدرين من نسل الشيخ عبد السلام بن مشيش من فرع بني عبد الوهاب، سكان قرية أفرنوا في قبيلة بني عروس. وهو يعتبر من أوائل الشرفاء العلميين الذين انخرطوا في الطريقة الشاذلية الجزولية على يد الشيخ عبد الله الغزواني وحققوا شهرة في ميدان الصلاح، وهو فضلاً عن ذلك فقيه سني مشارك، اشتهر بمناظرته للفقيه محمد بن علي الشطيبي التزغردي في مسألة "من زعم أن النبي محمد (ص) قد مات فقد كفر"، وله أيضاً إلمام بالأنساب، فهو واضع أول شجرة للشرفاء العلميين الموسويين، ولا نستعبد أن يكون مارس نقابة الشرفاء العلميين.

م. بن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. م. حجي، ص. 17، الرباط، 1977؛ ع. السلام القادري، *الدرر السني*، ص.42 ـ 43، طبعة حجرية، فاس، 1308.

العلمي، محمد بن **الحسن** أبو جمعة لم يرد في المصادر الغربية ما يكفي لكتابة سيرة هذا العلم، وكل ما نعرفه عنه من خلال الإشارات الواردة في المصادر نسبه ومشاركته في الجهاد وشروعه في اختطاط رباط شفشاون، فهو بدون شك من مشاهير رجال جبال الهبط في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي. وأقدم ما بلغنا عنه، ما ذكره صاحب مرآة المحاسن في سياق حديثه عن اختطاط مدينة شفشاون في العدوة الأخرى لوادي شفشاون في حدود سنة 876 ـ 1471، بجوار قرية غير وزيم في قبيلة الأخماس السفلى، وهو حسب عمود نسب أورده العربي الفاسي في نفس المصدر ينحدر من سلالة الشيخ عبد السلام بن مشيش من نسل ولده علال.

والمؤكد أن الشريف اكتسب شهرته وتبوء مكانة دينية واجتماعية من خلال بروزه في ميدان الصلاح والجهاد، حيث شارك في الجهاد الشعبي لتحرير مدينة سبتة ابتداء من سنة 1415 بقيادة شيوخ الطريقة الشاذلية الجزولية، إلى جانب عب بن محمد المجكسي وصالح بن صالح الياباني حاكم طنجة الذي عينه مقدما للمجاهدين في رباط جبل حبيب ابتداء من سنة 1418.

وإذا كانت المصادر لا تضفي على هذا الشخص صفات القيادة في ميدان الجهاد إلى غاية شروعه في اختطاط شفشاون، وتقتصر على ذكر خبر وفاته في نفس السنة في مركز الخروب في جبل حبيب بتدبير من البرتغاليين، فإننا لا نشك في أن هذا الشريف أبلى البلاء الحسن في خلال ما زاد على نصف قرن من الزمن من الممارسة الجهادية في ظرف عصيب، وعزم على بناء رباط جديد بقلب قبيلة الأخماس. ومن جملة الصفات التي حملها أبو جمعة العلمي فضلاً عن الجهاد حسب صاحب *مرآة المحاسن*، الصلاح والتفقه في الدين، مما جعله مؤهلا لقيادة الحركة الجهادية على المستوى الإقليمي.

ع. الفاسي، *مرآة المحاسن*، ص. 168، فاس، 1324؛ أ. بن القاضي، *لقط الفرائد*، تح. م. حجي، ضمن *ألف سنة من الوفيات*، ص. 265، الرباط، 1976؛ ح. الفكيكي، سبتة المغربية، ع 14، ص. 136، أبريل، 2000.

محمد عمراني

العلمي، محمد بن **الطيب** المتوفى سنة 1134 هو محمد بن الطيب بن أحمد العلمي، كنيته أبو العباس أحد الشعراء المجيدين، والوشاحين المتألقين في العصر العلوي الأول.

لم تشر المصادر إلى تاريخ ميلاده بالتحديد، وإنما يستخلص ذلك من بعض الإشارات، فهي سنة 1082، بناء على قولة الأديب مصباح الزرويلي في كتابه *سنا المهتدي إلى مفاخر الوزير اليحمدي* : "وكان أسن مني وأعلم بالأدب، وكنت أراعي منزلته"، والزرويلي من مواليد سنة 1098، كما يؤكد هذا الافتراض ابن الحاج في *الدر المنتخب*)، عندما ذكر أن للعلمي قصيدة في مدح المولى إسماعيل وتهنئته بفتح مدينة العرائش سنة 1101، كما أورد العلمي لنفسه قصيدة في *الأنيس المطرب* في مدح المولى إسماعيل بعد فتح مدينة طنجة سنة 1095، قدم لها بقوله : "وقلت في أولية اشتغالي بهذا الفن قصيدة، رأيت أن أثبت منها شيئا على ما فيه من المسامحة"، مطلعها :

لك العز والتأييد والفتح والنصر   أيا ملكا يصبو له البر والبحر

التحق العلمي بالكتاب القرآني ثم بجامع القرويين، حيث شغفه علما التاريخ والأدب، ومن شيوخه بفاس أحمد المسناوي وعبد الرحمن الفشتالي والشاعر محمد بن زاكور وغيرهم، وقد حلاهم أثناء الترجمة لهم في كتابه *الأنيس المطرب* بنعوت وأوصاف منها : "الفقيه المشارك، الفقيه النزيه الورع، من أهل الفضل وأحد قضاة العدل" إلى غيرها.

وبعد مرحلة التلقي والدرس، تصدر العلمي للإقراء، فكانت له حلقات دروس في النحو والبلاغة والأدب.

ورحل إلى المشرق بقصد الحج، فمات بالقاهرة عام 1134، وقيل سنة 1135، بعد أن طال تشوقه للحرمين، لكن لم يقدر له الوصول إليهما.

مؤلفاته :

ـ *الأنيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب*، انتهى من تأليفه سنة 1121، وطبع على الحجر بفاس مرتين، الأولى سنة 1305 والثانية سنة 1315، وهو يتضمن مختارات

أدبية لاثني عشر شاعراً مع نوادر وحكايات، "ومسائل علمية اقتضتها الصنعة القلمية" كما ذكر في مقدمة الأنيس المطرب.

- *كناشة* مخطوطة تحتوي على أشعاره توجد بالخزانة العامة بالرباط.

- مجموعة رسائل أدبية وإخوانية أرسلها الشاعر إلى عدد من كتاب الدولة وأدباء العصر، وتوجد ضمن مجموع بالخزانة العامة بالرباط.

- *رسالة في معرفة النغمات الثمان*، وهي في فن الموسيقى، أوردها في الأنيس المطرب.

- رسائل في فضائل الخيل، وهي في *الأنيس المطرب*.

- *القصائد المعشرة في التشوق إلى البقاع المطهرة*، منظومة رتب رويها على حروف المعجم، كل قصيدة بعشرة أبيات، وهي مجهولة المظان.

شعره :

يقول الأستاذ محمد الأخضر : "العلمي من أكبر رجال الأدب والشعر في المغرب، وكثيراً ما يضرب المثل بشعره، ونثره غني ومليء بالصور، شيق القراءة على ما فيه من تكلف، موفق التصوير".

تناول العلمي في شعره جميع الأغراض الشعرية من مدح ووصف وغزل ورثاء وحكم، كما برع في فن التوشيخ.

غزله موزع بين الجنسين، فكما تغزل في فاطمة وليلى وسعاد تغزل في ابن عباد ومسعود وأحمد وغيرهم في موشحات رقيقة شيقة، وله خمريات أبدع في وصف مجالسها وذكر ندمائه وسقاته وعذاله، وقد تميز في قصائده الوصفية للطبيعة الحية والجامدة، فوصف الرياض والأزهار والوديان، والأبهاء والقصور، متمثلا ما يراه بوجدانه ومشاعره في صور أنيقة رشيقة.

أما المدح، فلا يخلو ديوان شعره من قصائد في مدح السلطان المولى إسماعيل وفي مدح بعض الرؤساء والأعيان ممن كانوا يعينونه على غوائل الدهر وذل السؤال.

وله قصائد في مدح الرسول عليه السلام، وفي التشوق إلى زيارة قبره، والتماس شفاعته في نفس صوفي صادق.

يتميز أسلوب ابن الطيب العلمي بالسلاسة والوضوح، مع ما كان يتسم به أحيانا من زخرفة لفظية ومعنوية في غير تكلف، كما كان يتميز بحسن تصويره ودقة تخييله مع عناية بموسيقى شعره، إذ كان يختار البحور ذات الجرس الموسيقي النافذ، معتمداً تارة على نهج القصيدة العمودية وأخرى على فن الموشحات.

وقد اهتم بشعره فجمعه وحققه الباحث عبد الرحيم الراجي في رسالة جامعية غير منشورة. حلاه القادري في نشر المثاني بقوله : "الأديب النجيب أبو عبد الله سيد محمد بن الطيب العلمي، فاسي الدار والمنشإ والقرار، وكانت له ملكة في نظم الشعر، فنظم كثيراً منه"، وقال عنه اليفرني في المسلك السهل : تاج الأدباء، وسراج البلغاء، وصاحب القلم الرفيع" كما يشبهه بعض معاصريه في فصاحته وبلاغته بسحبان وائل وقس بن ساعدة، أما الأستاذ عبد الله كنون فقال عنه : "له الشعر طبع متدفق رقيق، وفي الكتابة أسلوب راق منسجم، وألفاظه فصيحة، ومعانيه واضحة".

وقد قرظ كتاب *الأنيس المطرب* ناسخه ومصححه السيد محمد بن محمد الرئيس سنة 1305 ص. 360، فقال : "جاء اسمه يغني عن الجليس، ويلهو عن محاسن بلقيس، فكم فيه من يواقيت وجواهر، لا يقدر على الإتيان بها شاعر ولا مرصع ماهر، ومع غاية الإيجاز فقد بلغ فيه حد الإعجاز، ولم يغادر من الأدب صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، واستجلب دانيها وأقصاها، فلله دره من أديب ومجتهد في فن البلاغة مصيب".

ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 5 : 283 - 220، *البدائع* (معجم أدبي خصص للعلمي) ؛ ع. الوهاب بن منصور، *الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية*، لمحمد الأخضر، ص. 177 - 198، ع. الله گنون، *سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب*، الحلقة 14 ؛ گنون، *النبوغ المغربي*، ج 1 : 314 ؛ القادري، *نشر المثاني*، ج 3 : 263 ؛ ع. الرحيم الراجي، *شعر ابن الطيب العلمي*، رسالة جامعية في جزأين ؛ زركلي، *الأعلام*، ج 6 : 171، ط 4، *شجرة النور الزكية*، ص. 336.

نجاة المريني

العلمي، محمد بن **عبد الله** الرباطي تلميذ الشيخ أبي بكر البناني. تعلم بفاس على الفقيه المرنيسي الذي لازمه مدة إلى أن صاهره. انتدبه الجيلالي بن حمو كاتبا معه. سافر معه إلى طنجة عندما كان والياً عليها ثم انتدبه السلطان مولاي الحسن كاتبا معه أيام الوزير السي موسى.

توفي بالرباط مسقط رأسه سنة 1318 / 1900 ودفن بجوار شيخه بالزاوية البنانية.

بوجندار، *الاغتباط*، ص. 200 - 221.

عبد الإله الفاسي

العلمي، محمد بن **العربي** ولد يوم 22 غشت 1914 بمدينة فاس، وتلقى تعليمه بمدرسة السلام (مدرسة لالة تاجة حاليا) التي أسسها أحمد مكوار وأدارها محمد اليمني الناصري.

انخرط في الحركة الوطنية على يد الفقيه محمد غازي في سن مبكرة من عمره، حيث حكم عليه بالسجن مدة شهر واحد بعد صدور ظهير 16 ماي 1930. وقد تحدثت وثيقة رسمية عن "ماضيه الوطني الثقيل" وعن "دسائسه الوطنية" التي أدت إلى اعتقاله وسجنه مدة شهر واحد وإبعاده إلى مدينة خريبكة إثر احتجاجه على السياسة الفرنسية. التحق بجامع القرويين سنة 1933، ثم رحل، على نفقة أسرته الموسرة، إلى القاهرة سنة 1935 ليتابع الدراسة بجامعة الأزهر ويحصل على شهادة العالمية منها في السنة الموالية. ثم التحق بكلية دار العلوم المعروفة بقيمتها العلمية ووزن أساتذتها المتخصصين في العلوم العربية، فتخرج منها سنة 1940.

وأثناء إقامته في مصر، عمل على التعريف بالحركة الوطنية المغربية، حيث ساهم في تأسيس لجنة الدفاع عن المغرب الأقصى بالقاهرة سنة 1936، ونشر عدداً من المقالات في الصحف الجزائرية والمجلات المصرية (الجهاد والبلاغ والأهرام)، وخص مجلة النذير لسان حال جمعية الإخوان المسلمين بملف عن المغرب، يحتوي على وثيقة تاريخية لعبد العزيز بن إدريس العمراوي عن أساليب القمع في منافي كلميمة وسجونها.

وبعد عودته إلى المغرب في سنة 1941، أسس مدرسة الأمير مولاي الحسن المشهورة في مدينة الدار البيضاء باسم المدرسة العلمية، وكانت أول مدرسة وطنية دشنها الأمير مولاي الحسن يوم 16 أكتوبر 1944، قبل أن يفتتح السلطان سيدي محمد بن يوسف قسمها الداخلي. وقد ساهم في تمويل مشروع هذه المدرسة آل العلمي وآل بنجلون.

وقع محمد العلمي على وثيقة المطالبة بالاستقلال، بصفته "شخصية حرة"، إلى جانب الأعضاء الذين كانوا منتمين إلى الحزب الوطني. يكشف أبو بكر القادري عن سياق مشاركة العلمي في التوقيع على الوثيقة، فيقول : "وعندما كنا نتهيأ لتحضير وثيقة المطالبة بالاستقلال، كان السيد محمد العلمي حسب ما يبلغني من أعضاء الحركة القومية التابعة للسيد محمد بن الحسن الوزاني، وأنه في بعض الفترات كان موضع ثقته الأولى، ولربما كان يكلفه ببعض المهام، ونظرا لعلاقة الحاج عمر بن عبد الجليل مع السيد عبد العزيز العلمي (شقيق صاحب الترجمة) الذي كان اتجاهه مع الحزب الوطني ثم مع حزب الاستقلال، فإن الحاج عمر كان يلتقي مع سي محمد العلمي في بيت سي عبد العزيز، وهكذا حصل كثير من التجاوب بينه وبين الحاج عمر لدرجة كبيرة الأمر الذي جعله يطمئن إليه كثير الاطمئنان، ولربما كان هذا هو الدافع الأساسي ليقترحه على الحزب من أجل التوقيع على وثيقة المطالبة بالاستقلال وهو ما جعل اسم السيد محمد بن العربي العلمي من الموقعين الأولين على الوثيقة. ولست أدري أنه لدى توقيعه على الوثيقة استأذن أصحابه في الحركة القومية أم لا ؟"

نعتقد أن صلة العلمي بحزب الاستقلال لم تدم طويلا، إن نقل إنها لم تتعد المشاركة في وثيقة 11 يناير 1944، وقد أشارت إحدى الوثائق الرسمية إلى أنه كان مسؤولا عن قطاع التعليم داخل الحزب سنة 1946. والمؤكد أنه شارك في تأسيس حزب الشورى والاستقلال الذي حل محل الحركة القومية، بل وكان حاضرا في مكتبه السياسي المؤلف في المؤتمر التأسيسي المنعقد أيام 27 و29 يوليوز 1946. وهناك تطرح تساؤلات عن أسباب هذا الانتقال، منها : هل يتعلق الأمر بعدم تلبية طموحه السياسي الشخصي وعدم حضوره في الأجهزة القيادية لحزب الاستقلال ؟ أم هل وراء ذلك اختلاف مبدئي مع أفكار هذا الحزب واقتناع برؤى محمد حسن الوزاني، حسب ما ذهبت إليه إحدى الوثائق الرسمية ؟ لم يطل ارتباطه بحزبه الجديد، إذ تم طرده وآخرين منه في المؤتمر الثاني سنة 1950، بعد اتهامهم بعدم الانضباط وباستعمال الحرية بشكل يتنافى مع النظام. ويظهر أن نشاطه الحزبي انتهى بعد ذلك، دون أن يقطع علاقاته الشخصية والتجارية مع رفاقه الشوريين السابقين، وذلك من خلال مؤسستين اثنتين محسوبتين على الحزب على الأقل، وهما شركة "دار الكتاب" التي كان العلمي من بين المساهمين فيها والمدرسة العلمية التي توصف بأنها "مدرسة شورية الاتجاه" ويعمل فيها عدد من وجوه الحزب المعروفة من أمثال أحمد بنجلون ومصطفى القصري.

تقلب محمد العلمي في عدة مناصب دبلوماسية بعد الاستقلال، فقد عين سفيرا بتونس (1956 ـ 1960) ثم بلبنان فكاتبا للدولة في الخارجية ثم سفيرا بإيران وأفغانستان ومصر والسعودية واليمن. وأخيراً، تعاطى للتجارة الكبرى فكان مع أخيه من التجار اللامعين إلى أن وافته المنية يوم 23 يناير سنة 1990.

تراجم الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال 11 يناير 1944 / 1996، نشر، *المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير*، ط. 2، 1996، ص. 99 : محمد معروف الدفالي، حزب *الشورى والاستقلال من التأسيس إلى الانهيار*، أمل، عدد مزدوج، 10 ـ 11، ص. 65 ـ 94 : جون جيمس ديمس، حركة *المدارس الحرة بالمغرب*، 1919 ـ 1970، تر. السعيد المعتصم عن الإنجليزية، نشر تانسيفت، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط. 1، 1991، وخاصة ص. 62 و65 و94 ؛ عبد الهادي الشرايبي، *ثمن الحرية*، مطبعة دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، 1398 / 1978، ص. 183 ـ 188 و208 ـ 209 ؛ أبو بكر القادري، *رجال عرفتهم الموقعون على وثيقة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944*، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ج 12، ط. 1422 / 2001، مطبعة دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، 1398 / 1978، ص. 101 ـ 103 ؛ *الزيارة الميدانية*.

نجيب تقي

العلمي، مَحمد بن **محمد** بن إبراهيم الحسني الفاسي. كبير الفلكيين والموقتين المغاربة المعاصرين. ولد بفاس عام 1292 / 1875 حلاه تلميذه ابن سودة في سل

النصال بقوله : "العلامة المشارك المطلع المدرس النفاعة، شيخ الجماعة في علم التوقيت والتنجيم والحساب والهيئة وغير ذلك من علوم الرياضيات. آخر من أتقن هذه العلوم اتقاناً نظرياً وعلمياً."

درس بمسقط رأسه على كبار شيوخ القرويين المتوافرين، منهم أحمد بن الطالب ابن سودة، وعبد الله الكامل الأمراني، وعبد السلام الهواري، وعبد السلام بناني الطبيب، وشيخ الفلكيين محمد بن علي الأغزاوي وغيرهم كثير.

اشتغل بالتدريس والتأليف طوال حياته وانتفع به من الطلبة الفاسيين والطارنين علي المدينة من لايحصى عدداً. ويذكر طلبته أنه كان عند شرح المواقع الجغرافية والخطوط الفلكية يرسم لهم بأصبعه في الهواء أو على الحصير لعدم وجود سبورات في القرويين، وكان كثير التقييد، حريصاً على نفع الآخرين بتحقيقاته واكتشافاته. لذلك كثرت تآليفه الكبري والصغرى التي تُعدُّ بالعشرات، طبع الكثير منها على الحجر، وقام بتدريسها وتلقينها، وكانت مرجع هذه العلوم العقلية في التعليم الأصيل خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر (20 م).

درستُ بسلا على الشيخ الباشا الحاج محمد الصبيحي - وكان من أخص أحباء المترجم وأصفيائه - كثيراً من هذه التآليف المتعلقة بالتوقيت والتعديل *كتقريب البعيد من الجامع المفيد عن أصول الراصد الجديد* ؛ وحاشية عل *شرح الفشتالي على رسالة الماردينى في العمل بالربع المجيب*، وجداول *الظل الأثني عشر*، وجدول *النسبة الستينية* إلى غير ذلك من تآليفه المطبوعة. ولما انتقلت إلى الجامعة استفدت كثيراً من كتابه القيم *إنهاض الهمم العالية، في التوقيت والتعديل والهيئة والجغرافية*، ترجم فيه لأعلام هذه العلوم من بدايتها إلى الوقت الحاضر، وهو ما يزال مخطوطاً عندي نسخة مصورة منه بتقديم المؤلف بخطه للشيخ الحاج محمد الصبيحي.

فقد المترجم بصره في آخر عمره، وظل مع ذلك يدرس كعادته، بل ويرسم في الهواء لتحديد المواقع وشرح المطالع الفلكية. إلى أن لقى ربه بعد زوال يوم الثلاثاء 29 مضان عام 1373 / فاتح يونيه 1954. ودفن بروضة العبدلاويين بالقباب خارج باب الفتوح.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* / سل النصال / موسوعة *أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3289 - 3290.

محمد حجي

العلمي، محمود ولد محمد بن محمد بن إدريس العلمي بفاس عام 1923. وفيها نشأ ببيت علم وتدين، فتلقى عن والده أولى معارفه في اللغة والدين، ثم التحق بالكتاب حيث حفظ القرآن واستظهره. ولما بلغ سن التدريس التحق بالتعليم الابتدائي، فحصل على الشهادة الابتدائية عام 1937، ثم التحق بكوليج مولاي إدريس لمتابعة دراسة الثانوية.

ومنذ يفاعته أحس الفتى بالحاجة إلى العمل الجماعي فانخرط في أوراش التمثيل التي شكلها تلاميذ الثانوية، وكان يشارك في العروض المسرحية التي ينظمونها. وما عتم أن أقبل - وبمعيته بعض زملائه التلاميذ - على تأسيس فرقة كشفية، وبذلك تحقق أمل ظل يراوده منذ أن كان طفلا يشاهد "الفتيان ... يسيرون مثنى مثنى في أزقة المدينة، وامتلأت نفسه إعجابا بمشهدهم... تؤلف بينهم وحدة كسوتهم ويقولون النشيد".

وقد زاد من حماسه وتعلقه بالنشاط الكشفي حظوة فرقته بزيارة جلالة المغفور له محمد الخامس عام 1940 في المخيم الذي أقامته بمدرسة عين قادوس الفلاحية التجريبية، وبرفقته الأمير مولاي الحسن.

وفي غمرة الأحداث السياسية التي عرفتها مدينة فاس في هذه الظروف والتي لم يكن تلاميذ ثانوية مولاي إدريس ليقفوا بمعزل عنها، وجد الفتى نفسه ذات يوم يتصدر إضرابا لهؤلاء أسفر عن قرار الإدارة بطرده من المؤسسة وحرمانه من متابعة الدراسة بها، ولم يكن قد مضى على نيله شهادة البروقيه الثانوية سنة 1941 غير عامين.

وأمام المضايقات التي أصبح الفتى عرضة لها بعد توقيفه عن الدراسة من جهة، وصدور قرار بمنع أي نشاط كشفي من جهة أخرى، لم يجد مناصا من مغادرة فاس، فانتقل إلى الرباط عام 1942، وفيها التحق بمدرسة محمد جسوس معلما للغة الفرنسية ومقيما بقسمها الداخلي.

ولما كانت أحداث يناير 1944 أقدمت السلطات الاستعمارية على إغلاق مدرسة جسوس يوم 29 من ذات الشهر، فوجد العلمي نفسه سجينا إلى جانب التلاميذ الداخليين وبقي معهم أسبوعا كاملا يعانون من الحصار والجوع.

لم يطق الفتى البقاء بالرباط، فرحل إلى الدار البيضاء حيث التحق بمدرسة الأمير مولاي الحسن بصفته معلما، وكان على رأسها مؤسسها السيد محمد بن العربي العلمي.

في هذه الفترة ترسخت في نفسه نجاعة التنظيم الكشفي على المستوى الوطني كوسيلة فاعلة لتربية الشباب وخلق طاقات تطوعية تكون مؤهلة لخدمة البلاد. فلما كان ربيع 1946 نظم مخيما سريا لفرقته من أبناء المدرسة ليرميطاج استمر يومي 19 و20 أبريل، ودعاله واحداً وعشرين من مسؤولي الحركة الكشفية بمدن وجدة وفاس ومكناس والرباط وسلا والدار البيضاء وسطات ومراكش، وبذلك تحول المخيم إلى مؤتمر سري انبثق عنه تأسيس هيئة كشفية وطنية تحت اسم "منظمة الكشافة المغربية الإسلامية" تضم سائر الفرق والجمعيات الكشفية المحلية التي حضر ممثلوها في المؤتمر.

إثر ذلك دخلت الهيئة في معركة مع السلطات الاستعمارية يقول عنها مؤسسها محمود العلمي : "انطلق العمل، فكانت مرحلة العمل السري ما بين اصطدامات وحرب القوانين مع السلطات الاستعمارية". وعلى امتداد خمس سنوات عقدت المنظمة أربعة مؤتمرات وطنية تحقق بعدها انتزاع الاعتراف الرسمي عام 1951.

وقد توفي محمود العلمي إثر مرض مفاجئ يوم 16 شتنبر 1983، ودفن في مقبرة الشهداء بالدار البيضاء في محفل كبير. وبمناسبة الذكرى الأربعينية لوفاته أحيت الجامعة الوطنية يوما مشهوداً بالدار البيضاء ألقيت فيه كلمات وقصائد تنوه بإنجازاته وتشيد بخصاله. ومما جاء في قصيدة رثاه بها الأستاذ عبد العزيز بن عبد الجليل :

محمود كنت حبيَبنا وصديقَنا   تجلو الهمومَ عن القواد السادر
قد كنت نبراساً يُضيء سبيلنا   للحق، للخير المبـين النيّـر

ع. أفا، *نبذة عن حياة القائد الكشفي محمود العلمي بمناسبة الذكرى الأربعينية لوفاته*. 1029 . 1983 ؛ م. حجي، *رواية شفوية*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

العلمي المريصي، إبراهيم (مولاي -) بن قاسم الشريف الحسني. يُعرف بمولاي إبراهيم الشريف، ومولاي إبراهيم البهالي صالح الرباط الشهير صاحب الضريح القريب من الجامع الأعظم في حي يحمل اسمه (حي مولاي إبراهيم) بين الزاويتين الاحمديين التلمسانية والغربية.

أصله من مدينة سلا انتقل منها في آخر عمره إلى الرباط. كان مجذوبا ساقط التكليف. عاصر الشيخ علي العكاري وغيره من العلماء، فلم يكن أحد منهم يعترض عليه أو ينتقد سلوكه الذي كان يخالف ظاهر الشرع أحياناً كدخوله على النساء بدون استئذان. قال في *الاغتباط* : "فقد تناقلت الألسنة عنه ما هو في الغرابة بمكان، زيادة عن كونه كان يكاشف بالأمور المستقبلة، ... وكثيراً ما كان يحدِّث بالعجائب والغرائب فتقع مطابقة لما حدّث به. والتحقيق أنه لم يتزوج قط ولم يعقب، وإنما عصّبه أبناء أخيه سيدي محمد" ويقول عنه العامة إنه "مولى البلد".

توفي أواخر المائة الحادية عشرة (حوالي عام 1098 / 1687 ودفن أولاً بمقبرة العلو عند شاطئ البحر المحيط الغربي قرب سيدي التركي في موقع أشبار الذي بناه السلطان مولاي عبد الرحمن، ومازال يعرف إلى الآن بمقبرة مولاي إبراهيم. وبعد مرور نحو ثلاثين عاماً نُقل إلى ضريحه الحالي قرب المسجد الأعظم. ويذكرون لهذا النقل حكاية تعد من كراماته. ويوجد ظهير للسلطان المولى إسماعيل مؤرخ في عام 1128 / 1716 إلى بعض الولاة يأمره بالوقوف في حمل جنازة المترجم من قبره بالعلو إلى مدفنه الآن. ويقال إنه وُجد كما دفن حين نقل من غير تغيير، وليست بأول كرامة له. وأصل ضريحه الحالي بيت من دار مجاورة لبعض أقاربه، زيد فيه من المحجّ قبلة وشرقاً، فدفن في النصف الشرقي، وجُعل النصف الغربي مسجداً تقام فيه الصلوات الخمس ويقرأ فيه الحزب.

ظهائر ورسوم عدلية أصليه لآل مولاي إبراهيم ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، مصور بالأوفسيط، الرباط، 1987.

محمد حجي

علوان (آيت -)، يطلق هذا الاسم اليوم على مجموعة من قبائل القصور بواحتي محامد الغزلان ولكتاوة، وقد كانت وما تزال تعتبر نفسها من آيت عطا. ويتفق كل الباحثين في تاريخ قبائل آيت عطا، أن قبائل آيت علوان قبائل صحراوية بالأصالة والمحتد، وقد تشكلت من فلول وشتات القبائل المعقلية المنحلة التي كانت تجوب بقطعانها هوامش بلاد درعة، قبل تشكيل اتحادية آيت عطا في العقود الأخيرة من القرن 10 (16 م) وقد كانت هذه القبائل في بداية أمرها تعرف بين القبائل باسم علوانة. أما سيلمان فيعتقد بأن هذه القبائل قد اقتبست إسمها من فعل العون الذي تحول في صيغته الأمازيغية إلى "لَعْوان"، مدعيا بأن دَادّا عطا مؤسس اتحادية آيت عطا هو الذي أطلق عليهم هذه الصفة عندما استدعاهم للاستعانة بهم في بعض أغراضه، وقد تحول هذا النعت مع مرور الأيام إلى آيت علوان الحالية.

تعتبر قبائل آيت علوان أوعلوانة من أقدم القبائل التي ساهمت إلى جانب قبائل آيت أونير وآيت وللاّلْ ثم آيت واحليم في وضع الأسس الأولى لاتحادية آيت عطا، والجدير بالملاحظة أن عددا من قبائل آيت عطا، ينحدرون من أصول معقلية كما هو الحال مع آيت علوان وآيت بويكنيفس وغيرها من قبائل آيت عطا.

وتشكل قبائل آيت علوان، في هيئة أخماس اتحادية آيت

عطا، الخمس الثالث في هرمية الأخماس، إلى جانب قبائل آيت اسفول.

كانت مجالات قبائل آيت علوان، قبل أن تتحول إلى الاستقرار والارتباط بالأرض، ما بين الدورة السفلى شرقا، وفم زگيد غربا مرورا بالهوامش الجنوبية لبلاد درعة، وقد أضاعت القبائل العلوانية لسانها المعقلي، و"تخلقت بأخلاق وعادات" قبائل آيت عطا بعد ما اندمجت كلية في هذه الاتحادية.

ورغم أن قبائل آيت عطا تعترف لآيت علوان بأنهم من المؤسسين الأوائل لهذه الاتحادية القبلية، فإنه يمنع عليهم أن يتولوا منصب الشيخ الأعلى (أمغار نوفلا) في الاتحادية على غرار القبائل الأخرى من أصول صنهاجية في اتحادية آيت عطا.

وعلى غرار قبائل آيت عطا التي كانت تضطر إلى مغادرة مجالات انتشارها الأولى في الهوامش الصحراوية، بحثا عن أماكن أفضل لرعي قطعانها في الأودية وشمال الأطلس، اندفعت قبائل آيت علوان إلى دادس وبلاد نتيفة وانتشرت في عدة مناطق بالأطلس المتوسط فاندمجت في بعض قبائل ايت عطا نومالو بناحيتي وارزغت وأزيلال، وقد وصلت بعض العناصر منهم إلى أحواز مكناس حيث اندمجوا في قبائل گروا.

إلا أن الأغلبية العظمى من قبائل آيت علوان ظلت مرتبطة بمناطق تجمعاتها الأولى بهوامش بلاد درعة، حيث تمكنت في نهاية القرن 19 م ومطلع القرن 20 م إلى السيطرة على بعض قصور واحة محاميد الغزلان، وبدأت تتحول تدريجيا من الترحل والانتجاع إلى الاستقرار والارتباط بالأرض.

وفي غمرة الصراعات القبلية التي طرأت على وادي درعة عامة وواحتي محاميد الغزلان ولكتاوة بصفة خاصة خلال العقدين الأولين من القرن 20 م، حاولت قبائل آيت علوان من تقوية مجال نفوذها بواحة محاميد الغزلان على حساب قبائل الجوار خاصة قبائل عْريبْ التي استنجدت بقبائل آيت خباش لمواجهة التفوق العددي لآيت علوان.

وأمام وطأة آيت خباش استنجدت قبائل آيت علوان بحلفائها من آيت اسفول، فامتدت مظاهر الفتنة بين هذه القبائل إلى كل أطراف محاميد الغزلان ولكتاوة. وقد حاولت فرنسا أن تسيطر على المنطقة بواسطة آل الگلاوي في أواسط العقد الثالث من القرن 20 م، فنزل حَمّو الگلاوي على رأس حركة قوية إلى وادي درعة، فلما وصل إلى رباط تينزولين في بداية سنة 1924 م، وجه جماعة من المخازنية إلى محاميد الغزلان، لجس نبض القبائل ومحاولة التعرف على مدى قواتها واستعدادها للمواجهة، فقامت قبائل آيت علوان باعتقال مخازنية حمو الگلاوي وترحيلهم إلى تينزولين في تحد صارخ للقائد حمو الگلاوي. وقد ظلت قبائل آيت علوان تصارع القبائل القوية من آيت عطا، تقاوم مرة وتسلم أخرى إلى أن تمكن الفرنسيون من السيطرة على المنطقة في نهاية سنة 1932 حيث نجح الفرنسيون في التمركز بمركز المحاميد الحالي.

ومن القصور التي تستوطنها قبائل آيت علوان بواحة لكتاوة تيراف، وأولاد عْلي والركّبة وقصبة آيت علوان. وبواحة محاميد الغزلان، قصر أولاد محيا، وقصبة ولد سيدي خليل وقصبة مولاي مبارك، وبُونُو، وزاوية لَهْنا، حيث تشاركهم السكن بعض قبائل عْريبْ.

وتتشكل قبائل آيت علوان من الفرق الآتية : آيت غْنيمة، آيت بومَسْعود، آيت سيدي ثم آيت أونْزار وكل فرقة من هذه الفرق الأربع تتكون من عدة بطون أو قبائل صغرى.

محمد بن لحبيب التمنوگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط ؛ التقي العلوي، *الاتحاديات الأطلسية*، البحث العلمي، ع. 24، 1974.

G. Spillmann, *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra* ; *Districts et tribus de la haute vallée du Dra* ; *Souvenirs d'un colonialiste* ; P. Azam, *Sédentaires et nomades du sud marocain*, *C.H.E.A.M.*, 1947 ; F. de Lachapelle, *Le sultan My Ismail et les berbères sanhaja du Maroc central*, *A.M.*, n° 28 ; Inconnu, *Monographie de l'oued Dra*.

أحمد البوزيدي

علوان ، الغماري ثائر قام بجبال غمارة في أيام الخليفة الناصر الموحدي الذي خرج إليه في حملة عسكرية سنة 595 / 1199 وتمكن من القضاء على ثورته.

ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص. 206 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ط. 1954، ج 2، ص. 214.

رشيد سلامي

علوج البحرية المغربية، العلوج والأعلاج : جمع عِلْجُ، وفي اللغة هو الفرد من كفار العجم، والقصد به في المَغرب الأفراد المسيحيون واليهود الذين ارتدوا عن ديانتهم الأصلية لمعانقة العقيدة الإسلامية، وهم في غالبيتهم ممن في بؤس الأسر. وقد دأبت الأسر الحاكمة منذ العهد المرابطي على إدماج جموع من المرتدين من مسيحيي الأندلس ممن يتصفون بالكفاءة العسكرية والهندسية والتقنية في قواتها البرية والبحرية للاستفادة من مداركهم المتقدمة المطلوبة في هذا الصدد، وأيضا من ضعف عصبيتهم وسط الأهالي وارتباطهم بشخص السلطان والأمراء وكبار القادة.

وقد كانت عملية تحول الأسير المسيحي إلى علج مسلم تتم بناء على رغبته طوعا أو ترغيبا، يتقدم إلى القائد أو القاضي الذي يشرف شخصيا على ذلك، طالبا من المعني بالأمر ترديد الشهادتين قبل إخضاعه لطقوس الاطهار بتنفيذ عملية الختان، ثم بتكليف أحد الفقهاء بتلقينه قواعد وفروض العقيدة. وكانت نظرة المجتمع إلى هذا التحول من باب الأعمال الحميدة والحسنات الكبرى التي تعود على صاحب الأسير السابق بالثناء والمديح. ومع ذلك لا يؤدي اعتناق العلج للإسلام إلى انعتاقه مباشرة، ولكنه كان مرحلة

أولى في أفق تحرره النهائي. وحدث التحرر هذا كان يتمثل في تحول الأسير إلى مولى تابع لسيده بتأسيس شبه قرابة بينهما يلتزم فيها كل منهما ضمنيا بتعهدات إزاء الآخر. وبمجرد تحول الأسير إلى علج حر، ونجاحه في اكتساب ثقة المجتمع من خلال سيرته الدينية والاجتماعية وكفاءته العلمية والميدانية، ينعم بنفس الامتيازات التي يحظى بها المسلمون الأصليون، ويصبح معدوداً دون تمييز من عناصر البلد، له ما لهم، وعليه ما عليهم، بشكل يفسح المجال أمامه لبلوغ كافة المناصب حسب قدراته ومؤهلاته، الأمر الذي مكن المجتمع الجهادي من الاستفادة من تجارب مجموعة بشرية متنوعة في عدد من الميادين، وخاصة تلك التي لها طابع تقني ؛ كما مكن العلوج من تحسين وضعيتهم وإبراز كفاءاتهم، وتبوإ أسمى المراتب.

وإذا كانت نسبة من العلوج يتم استقطابها من بين مغامري البحر والجنود المسيحيين الفارين من الخدمة العسكرية من مراكز الاحتلال، فإن انتشالهم العام كان أولا من أسرى الإسبان في المعارك البرية بالأندلس إلى حين تضعضع النفوذ المغربي بها عقب معركة العقاب (1212)، ثم من أسرى المعارك الدائرة حول مراكز الاحتلال بالسواحل المغربية في مرحلة لاحقة امتدت من فترة سقوط سبتة حتى تحرير مركز البريجة (ق 18 م). وتخلل هذه الفترة انتشال مطرد للعلوج خارج المجال القاري من أسرى العمليات البحرية الجهادية التي بدأت في عهد محمد الشيخ السعدي، وعرفت أوجهها طيلة القرن (17 م) على يد رياس الجهاد السلاوي ثم على يد الأسطول الإسماعيلي، دون أن يعرف نفس الازدهار في عهد حفيده سيدي محمد بن عبد الله، تعبيراً عن بداية توقف الأسطول، وتآكله التدريجي بفعل افتقاره إلى طاقته الفعالة، وزيادة استفحال ذلك بتراجع انتشال العلوج من بين الأسرى.

لقد كان استقطاب العلوج ينبني على التحفيز المادي والمعنوي، ويتشكل غالبا في الإلزام القسري الممارس على جملة من بحارة أوربا المتعرضين للأسر، مع اضطرار هؤلاء إلى التكيف مع واقعهم، واختيارهم الاندماج الطوعي في محيطهم الجديد، منخرطين بصورة شبه تلقائية في دعم المجهود الملاحي، لما يوفره لهم ذلك من مكانة مادية واجتماعية تعادل أو تفوق مكانتهم في مجتمعاتهم الأصلية ؛ فشكل هؤلاء العلوج منذ القرن (17 م) القوة الرئيسية للملاحة المغربية، مثلما في عموم إفريقيا الشمالية، باعتبارهم بحارة منذ نعومة أظافرهم متميزين بمداركهم الملاحية المجهولة لدى المغاربة، وبدورهم الكبير في إدخالها إلى البلد كعناصر ناقلة للتطور التقني الأوربي، ومسيرين أساسيين لاستمرارية العمليات الضامنة لاستقطاب المزيد من أقرانهم الأوربيين، ولمواكبة الإطلاع على أحدث التقنيات المستجدة.

إن رغبة المغرب في تفعيل أسطوله واستمراره قد دفعته إلى تدبير الاحتياج وتقليص الخصاص بتعدد استقطاباته للعناصر المؤهلة من بين الأسرى، وبكل الوسائل المتاحة طوعا أو كرها، قصد خلق نواة أساسية للأسطول يتحلق من حولها من تمكنت المناطق الساحلية من إعداده من رجال ؛ إذ كانت احتياجاته إلى الكفاءات الملاحية مطروحة بشدة على المستويين النوعي والكمي، في وقت كانت فيه مراكزه الملاحية - وأساسا المركزان الأندلسيان : الرباط وتطوان - لا تنتج إلا ندرة ملموسة منها. وبما أن نوعية الأسطول كانت عسكرية تماشيا مع دوره الجهادي، فإن حاجياته الحقيقية كانت تتطلب تغذية كثيفة بالرجال بنسبة تبلغ رجلا واحدا عن كل طنة، أي مائة رجل لكل سفينة حمولتها مائة طنة (100 / 100)، بمقابل رجل واحد لكل أربع إلى ثمان طنات للسفن التجارية الأوربية (12 - 25 / 100)، الشيء الذي كان يفرض على أسطول الجهاد لمصب أبي رقراق مثلا، خلال فترة 1627 - 1640 التي بلغ فيها متوسطه أربعين سفينة بمعدل 150 طنة للواحدة، التوفر على ستة آلاف (6000) بحار أثناء الموسم الواحد، يشكل الجذافون نصفه (1/2)، والعلوج خمسه (1/5) ونخبته بحكم تشكيلهم لنسبة مهمة من طواقم قيادة السفن وتقنييها، فمنهم الرياس، وكبار البحرية (الكونطرا مشترو)، والديمانجية، واليكانجية، ورؤساء القلفطة، ومعلمو البناء، والباش طبجية، والجراح، والكتاب، والرؤساء التقنيون (مشترو دلماكينة)، بما لهم من خبرة كبيرة في هذا المضمار باعتبارهم بحارة أسروا من على متن السفن.

ومن ثم تحققت على يدهم القفزة النوعية ملاحيا في تطوان ومصب أبي رقراق وأسفي، لا من حيث الكفاءة المهنية والصناعية، ولا من حيث إدخال أحدث التقنيات ومأسسة الفعل الملاحي في شقه العسكري على الأقل. وبرز في هذا الصدد الهولنديون الذين كانت حماستهم في الإضرار بالسفن والسواحل الإسبانية لا تقل حدة عن نظرائهم الأندلسيين اللاجئين إلى المغرب. وهذا النجاح الذي حققه التعاون الهولندي - الأندلسي منذ العقد الأول لانطلاقه الجهاد البحري السلاوي، شكل حافزا كبيرا لغيرهم من رجال البحر للسعي إلى الثراء وإلى تحقيق الشهرة المعنوية في مجال الأطلنتيكي الشاسع، جعلت تقارير المبعوثين الأوربيين عامة، والإنجليز خاصة، يتخوفون من أن يشكل ذلك إغراء لقباطنة وربابنة بلدانهم بالالتحاق بأسطول سلا الجديد. فصار تطور وتيرة الأسطول الجهادي واستمراريته رهين حجم العلوج العاملين فيه، ورأى فيهم الأب دان في القرن 17 النواة الفعلية للعمل الجهادي البحري، وأساس قوته البشرية والتقنية، بما بذلوه من مجهودات محمودة في هذا الصدد، ومن دور كبير في استقطاب المزيد من رجال البحر الأوربيين عن طريق الإكراه وعن طريق التحفيز المتجسد في ما قدموه "من نموذج يحتذى به في أوساط الأسرى" حسب القائد الفرنسي دي رازيلي (Du Razilly)، حتى عدوا هم من مارس العمل الملاحي في أعالي البحار باسم المغاربة.

ولقد نهج السلاطين السعديون خلال النصف الأول من القرن (17 م) سياسة استقطاب مغامري البحر من المسلمين ومن لصوص البحر الأوربيين، باذلين ما في وسعهم لجعلهم عناصر مرتبطة بخدمة النظام على الصعيد الاقتصادي (مغانم / أعشار)، بتحفيزهم على التحول إلى رياس علوج دون التدخل في طريقة تسييرهم لمواسمهم ولقيادتهم للسفن، ودون إسناد دور الدفاع العسكري المباشر عن المياه المغربية لهم اعتبارا لخصوصيات مهنتهم، حيث كان هذا الدور يسند إلى سفن الدول الحليفة، وخاصة سفن الأقاليم المتحدة.

وجعل تنوع المواسم الجهادية وتنوع الأسرى الأسطول يتسم بتعدد جنسيات العلوج العاملين فيه، ما بين إنجليز وهولنديين وإسبان وبرتغاليين وفرنسيين وغيرهم، منضمين إلى العنصر الأندلسي المترئس للنشاط، وجعل ذلك من مصب أبي رقراق ملتقى عالميا للتجارب والخبرات الملاحية المختلفة، وبلغ عدد المنخرطين في الجهاد السلاوي سنة 1635 ثلاثمائة علج (300).

ولذلك، كانت النظرة إليهم في الأوساط الأوربية مشوبة بالحذر والريبة الممزجتين بالرغبة في الاقتصاص منهم، خصوصا وأنه على أيديهم وسع الأسطول المغربي مجال عمله، لينتقل في ظرف وجيز من مراقبة مياهه الإقليمية إلى تهديد خطوط الاتصال البحرية الرئيسية، واعتبرت مساهمتهم في هذا الصدد في نظر الكثير من المؤرخين سبب شهرة الجهاد السلاوي، ومنشطه الحقيقي بالتقنيات كما بالرجال، إلى درجة القول بأن المغرب لم يكن يملك إلا أجسام السفن وبيارقها، في حين كان توجيه العمليات وعائداتها من اختصاص طواقم العلوج المشاركة فيها، خصوصا وأن وصول السفن السلاوية خلال العقد الثالث من القرن (17 م) إلى مجالات كانت مجهولة لدى المغاربة لم يكن - حسب الأميرال الإنجليزي فرانسيس ستيوارت (F. Steawart)- ليتم لولا الدور الذي قامت به العناصر الهولندية من العلوج، ولا سيما في بحر المانش وحوالي الجزر البريطانية، تحت القيادة الجريئة للعلج الهولندي الأصل موراطورايس (1622 - 1631).

وبالفعل كان العلوج بمداركهم الملاحية والتنظيمية يوفرون للمغرب الاحتياجات التي لم يفلح في تغطيتها بشريا إلا بشكل نادر، وعلى رأس هؤلاء كان العلوج الهولنديون يشكلون نخبة رائدة، تمكن المغرب بفضلها من إحراز تقدم ملاحي تقني واضح ممارسة وتلقينا. وبعدما لم يكن بمستطاعه إنجاز حتى قادس واحد، أصبح بدعمهم ومساهمتهم على عتبة التقدم التقني، وقادرا على التقليص من حدة الفوارق التقنية مع الأساطيل الأوربية، إن على مستوى الأدوات، أو على مستوى الكفاءات. وكان العلوج يشكلون بذلك فريقا أساسيا لا غنى للسفانة السلاوية عنه، سواء في جانب السباكة أو النجارة أو التقطير، وبصورة أسمى في مجال هندسة المراكب وبنائها، ويمكن القول أنه مقابل الوضعية الممتازة التي كانت المنطقة تمنحهم فإنهم قدموا خدمة جليلة بإنشائهم أوراش عصرية على الضفة اليسرى لنهر أبي رقراق، مكنتها من تغطية الجزء المهم من حاجيات رياس الجهاد على مستوى السفن، أو من استنساخ سفن محلية عن الغنائم المتطورة خلال النصف الأول من القرن.

وعلى يد الرياس والتقنيين العلوج خضع توجيه الأسطول المغربي للتقانة الملاحية الحديثة الضرورية لضبط المسارات البحرية واتجاهات الرياح، متمكنين من التحكم في توجيه السفن بالبوصلة والبركار وبيت الإبرة، وفي معرفة الاتجاهات بالنجوم وبمراقبة بروزها وأفولها بواسطة الوسائل المعتمدة في ذلك مثل المقراب والأصطرلاب ؛ ولتحديد المسافات كان الاعتماد على مسجلات السرعة (Lech). وحتى يتم التمكن من استغلال الرياح المواتية بصورة قصوى، تمم العلوج حركة الأشرعة الكبرى بحركة الأشرعة الأمامية المتعددة وأشرعة الدعم ؛ وأضافوا إلى ذلك تجديدا مهما أدخلوه على الشراع اللاتيني السائد آنذاك، حيث استلهموا ذلك من التفكير في التقليص من المساحة الكبيرة للشراع باستعمال الشراع العربي الذي يوفر إمكانية التحكم في القدات من الأسفل بيسر وبسرعة أفضل من وضعيتها التقليدية على شكل مروحة في الشراع اللاتيني.

وإذا كانت سلطات الجهاد تخصص الجوائز السنية عن أسر أي مسيحي متخصص في العمل الملاحي أو العسكري في أفق تحويله إلى علج، لما لذلك من انعكاس على قوة الأسطول وفعاليته، وعلى مساعدته على اكتساح حتى المغمور من العوالم الملاحية، فإن القوات الأوربية في مقابل ذلك سعت إلى اختطافهم من أيدي المغاربة، مثلما شجعت الوسطاء والإرساليات الدينية على بذل الفديات الكفيلة بافتكاك أكبر عدد منهم، حتى أصبحت تطوان سوقا تحفيزية لأوربا لاستعادة كفاءاتها المفتقدة. وشكلت هذه الأساليب - إلى جانب الاتفاقيات الرسمية - عوامل أساسية في التقليص المطرد لأعدادهم لا سيما خلال القرن (18 م)، نجم عنها فقدان المغرب لأهم مصدر لإمداداته من اليد العاملة الملاحية والتقنية، مع ما في ذلك من انعكاس كبير على العمل الجهادي خاصة، وعلى النشاط الملاحي عموما أواخر القرن المذكور.

وإلى جانب ذلك أصدرت الدول الأوربية تعليماتها إلى قواد أساطيلها بالتشدد في ملاحقة البحارة والعلوج المغاربة وبنقلهم إلى موانئها وفق تدابير احترازية تامة، هادفة بالأساس إلى إنهاء استمرارهم في النشاط الملاحي حاى بالنسبة للدول الحليفة، بما في ذلك السلطات الهولندية إبان علاقاتها المتميزة مع الدولة الزيدانية، التي كان موقفها من الاملاحين العلوج ينحو إلى تعريضهم للإعدام اقتداء بموقف المسلمين من العناصر المرتدة، بدل الاكتفاء بطردهم وحظر قدومهم استقبالا إلى مراسيها. ومن جهتها، لم تكن إنجلترة لتتورع عن إنزال العقوبة ذاتها بمن سقط في أيدي سفنها من البحارة والعلوج المغاربة.

ح. أميلي، *المغاربة والمجال البحري في القرنين 17 و18 م*، أطروحة دكتوراة الدولة، إشراف، د. أحمد بوشرب، مرقونة، كلية الآداب المحمدية، 2002 ؛ مويط، جيرمان، *رحلة الأسير مويط*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الريصاني، 1989.

Bennassar Bartolomé et Lucile, *Les chrétiens d'Allah : l'histoire extraordinaire des renégats 16° - 17° s*, Perrin, Paris, 1989 ; Braudel Fernand, la *Mediterranée et le monde mediterranéen au temps de Philippe II*, 7° éd., Colin, Paris, 1987 ; Bono Salvatore, *Les corsaires en Méditerranée*, Trad. A. Somaï, La porte, Rabat, 1998 (1° éd. 1993) ; De Castries, Henri et autres, *Les sources inédites de l'histoire du Maroc*, 1° série, Archives Français (1905), Pays-Bas (1906-23), Anglais (1918-35), Espagnols (1921 et 1956), Portugais (1934-51) et 2° série, Archives français, Paris, 1922-60 ; Chenier Louis, *Recherches historiques sur les maures et histoire du Maroc*, T. III, Paris, 1787 ; Coindreau Roger, *Les corsaires de Salé*, éd. La croisée des chemins, Rabat 1993 (1° éd. 1948) ; Dan Pierre, *Histoire de barbarie et de ses corsaires*, (2° éd.), Paris, 1649 ; Lane-Poole Stanley, *The barbary corsairs*, Darf publishers, London 1984 (1e éd. 1890) ; Savine Albert, *Dans les fers du Moghreb*, éd. L. Michaud, Paris, 1912.

حسن أميلي

علودان (جبل –) حصن بقبيلة بني زروال من بلاد غمارة بالشمال المغربي. ارتبط ذكره في مصادر العصر الوسيط كقلعة منيعة كان بعض الثوار يتحصنون فيها. ولعل أول إشارة ترد في هذا الصدد هي التي تتعلق بالغزوة العسكرية التي نظمها يوسف بن تاشفين إلى هذا الحصن سنة 465 / 1073 أثناء حملته الكبرى على بلاد الريف. لكن لا نعرف سبب تسمية هذا الحصن باسم علودان وإن كان الأمر يبدو عاديا في منطقة ألفت تداول مثل هذه الأسماء حتى بالنسبة للأشخاص. ومن الأمثلة على ذلك رجل ثار على الخليفة الناصر الموحدي في بلاد غمارة سنة 595 / 1199 كان يحمل اسم علودان الغماري.

شهد حصن علودان في العهد المريني ثورات عديدة ضد المخزن المركزي تزعمها بعض الأمراء في إطار النزاع حول الحكم. ففي سنة 660 / 1262 ثار الأمير يعقوب بن عبد الله على السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني واتخذ من الحصن ملجأ له. وفي سنة 669 / 1271 ثار بعض قرابة السلطان أبي يوسف يعقوب من ولد أخويه عبد الله وإدريس أكابر ولد عبد الحق جد بني مرين لأنهم اعتبروا أنفسهم أحق بالأمر من ولي عهد أبي مالك عبد الواحد. فلجأوا إلى حصن علودان واتخذوه مركزاً لانطلاق دعوتهم وإعلان ثورتهم بقيادة محمد بن إدريس وموسى بن رحو بن عبد الله. في مقابل هذا التحرك جهز السلطان جيشا من خمسة آلاف جندي وولي قيادته لولده الأمير يوسف الذي تمكن من القضاء على الثورة واستولى على الحصن ومن خلاله أحكم قبضته على بلاد غمارة. وفي الأيام الأخيرة من حكم السلطان أبي يعقوب يوسف (685 / 1286 ـ 706 ـ 1307) تمكن أحد القرابة من البيت المريني وهو عثمان بن أبي العلاء إدريس من السيطرة على حصن علودان واتخذه معقلا لدعوته وثورته ضد السلطة المركزية بفاس، واستطاع أن يستقطب عدداً كبيراً من قبائل بلاد غمارة المجاورة للحصن ودشن حملته العسكرية باحتلال مدن أصيلا والعرائش فاستغل أمره بعد أن عجزت جيوش السلطان في وقف هذا الخطر الداهم. وبعد وفاة أبي يعقوب يوسف ولي مكانه أبو ثابت عامر سنة 707 فكانت أولى أعماله توجيه حملة عسكرية كبيرة إلى بلاد غمارة لمحاربة عثمان في قلعته. وبعد مواجهات عنيفة بين الطرفين اقتحم السلطان الحصن على عثمان الذي تمكن من الفرار إلى سبتة التي كانت تحت نفوذ بني الأحمر.

وفي عهد السلطان أبي الربيع سليمان (707 / 1308 ـ 709 / 1310) عاد عثمان إلى سيرته الأولى في منازعة حكام فاس انطلاقا من قاعدته بحصن علودان، فقرر السلطان هذه المرة التحرك شخصيا بجيوشه لقمع ثورة عثمان وحسم دائه، فهاجم الحصن ودخل ساحته وحاول إلقاء القبض على غريمه عثمان، لكنه فشل في ذلك وتمكن عثمان مرة أخرى من الفرار إلى غرناطة والاستقرار بها. ومنذ هذا التاريخ لم تعد تذكر المصادر المرينية هذا الحصن مما يعني أن المخزن المريني قد تمكن من فرض رقابة صارمة ومتشددة عليه، وإن لم يكن ذلك يعني توقف الثورات ضد المخزن المريني في عموم بلاد غمارة.

مجهول، *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية*، الرباط، 1972، ص. 97 ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، الرباط، 1972، ص. 142 ـ 392 ـ 411 ؛ ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1968، ج 6، ص 380 ـ 457 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ؛ ابن إبراهيم التعارجي، *الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام*، الرباط، 1977، ج 8، ص. 10.

رشيد سلامي

العلوي، أحمد بن **علي** بن أحمد بن علي بن عبد الكريم بن علي بن طاهر، شريف أصيل من فرع الحسن بن يوسف بن مولاي علي الشريف كان من أهل الفضل والدين المتين كما كان عالماً، وخطيباً مصقعاً وإماماً عادلاً، صلبا في أحكامه كما كان محدثا مسنداً وراوية ممتازاً بين أئمة التحرير.

تصدر لحطة الشهادة بسماط عدول مدينة مكناس. ثم تولى خطة القضاء به ومما جاء في ظهير تعيينه : "الفقيه الأجل العلامة الافضل، الحافظ الحجة الأكمل المدرس القدوة ..." فأحكم الخطة غاية الإحكام، وله وقائع في القضاء والأحكام مشهورة، كان لا يراقب إلا الله ولا يخشى سواه.

توفي ليلة الأربعاء 3 ربيع الأول عام 1294 / 1877.

ع. الرحمن، ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 1، ص. 365 ؛ *الإتحاف*، ج 3، ص. 81 ؛ ف. إدريس بن أحمد العلوي، *الدرر البهية*، مخطوط، ص. 270 ـ 276.

رقية بلمقدم

العلوي، أحمد (مولاي –) الوطني الغيور والصحافي المبرز والوزير الذي تقلب على كراسي الوزارات، كان لا يذكر

ولا يخاطب إلا بمولاي أحمد، عند الخاصة والعامة، ولد في فاس سنة 1918، وفيها نشأ وفيها مرّ من مراحل التعليم الابتدائي والثانوي، ليرحل إلى الديار الفرنسية سنة 1936 ضمن الفوج الأول من أقرانه من الشباب المغربي، لمتابعة الدراسة العليا في الطب، فالتحق بجامعة موبيليي جنوب فرنسا أول الأمر، ثم انتقل إلى باريز، حيث أقام إلى أن استرجع المغرب استقلاله، مشتغلا بالنضال السياسي وبالعمل في صفوف خلية حزب الاستقلال في فرنسا التي كان من روادها وأنشط أفرادها، يتصل بالمسؤولين وبالصحفيين وبكل ذي سلطة ونفوذ وصوت مسموع في العاصمة الفرنسية، معرفا بالمطالب الوطنية المغربية ومفندا مزاعم سلطات الحماية في الرباط وما كانت تفتريه للتمويه على الحكومة الفرنسية في باريس. سمعته يقول ذات مرة بأنه بحث عن العنوان الشخصي لرئيس الجمهورية الفرنسية، وهو يومئذ فانسان أوريول، وأنه كان يطرق بابه، فإذا وجده بالدار واستقبله، قال له ما كان يريد أن يقول، وإلا فمن يبالي بطالب مغربي استقبله أو لم يستقبله رئيس الجمهورية في منزله الخاص ؟ وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على ما كان مولاي أحمد يتحلى به من خصال السياسي الماهر التي قوامها الصبر والتغاضي والعمل الدؤوب في السر والعلن. ولشدة ما أنهمك في النضال السياسي، فإنه لم يتجاوز السنة الثالثة من الدراسة في الطب. حتى إذا استرجع المغرب استقلاله، وعاد محمد الخامس إلى وطنه وعرشه من المنفى، عاد مولاي أحمد في ركابه من ديار المهجر ليشتغل ناطقا رسميا لدى القصر الملكي، وليصبح وزيرا للأنباء في آخر حكومة شكلها محمد الخامس. ثم إنه كان من خدام الحسن الثاني بعد تربعه على العرش ومن أقرب المقربين منه، متقلبا على الحقائب الوزارية، إذ كان وزيرا للأنباء وللصناعة وللتجارة وللسياحة ثم وزيرا للدولة بدون حقيبة. وكان يقال بأنه خاطب المرحوم الحسن الثاني في بداية عهده قائلا له : "الله يبارك في عمر سيدي، إن محمد الخامس ترك العرش لك، ووصى لي أنا بالوزارة". ولقد وفّى له الحسن الثاني بذلك، فلم ينزل مولاي أحمد عن الكرسي الوزاري إلا سنة 1998 بعد أن أقعده المرض. وإنه اعتنى أثناء عمله الحكومي بمصير مدينة فاس وطنه الصغير أشد العناية فكان نائبا في البرلمان عنها ومستشارا في مجلسها البلدي من 1977 إلى 1990. وله أيادي بيضاء فيما أقيم هنالك من المشاريع الصناعية والسياحية. وفضلا عن كل ذلك، فقد ظل مولاي أحمد مخلصا لمهنة الصحافة التي كانت لا تصلح إلا له ولا يصلح إلا لها. وكان من الطبيعي أن تسند إليه رئاسة مجموعة صحافة ماس عندما تقررت مغربتها في السبعينات. فإنه جعلها لسانا ناطقا باسم الدولة، يخبر فيها بتوجهاتها وبانشغالاتها ويجادل الأصدقاء والخصوم من أعلى منبرها، مذكرا بإلحاح اليقين بأن الحركة الوطنية المغربية نشأت حول العرش ولا يمكن أن تعيش إلا في ضل العرش، مما كان البعض نسيه أو تناساه، فيمسك مولاي أحمد القلم ويعيد الوقائع إلى الأذهان دون تحامل ولا حقد ولا ضغينة. ولم يثبت في حقه، على ما كان عليه من الإقدام والجرأة وعلى ما مارس من السلطات، أنه نال أحدا بالإذاية. توفي يون السبت 2 شوال 1423 الموافق ليوم 7 دجنبر 2002، مأسوفا عليه، مذكورا بلسان الخير لدى الجميع، ووري مثواه الأخير، رحمه الله، في محفل كبير ترأسه الأمير المولى رشيد، نيابة عن صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله.

إبراهيم بوطالب

العلوي إدريس الشاكري بن عبد الهادي بن مولاي التهامي العلوي، ورد عنه في *المجد الطارف* : "وهذا الشريف مولاي إدريس من أعيان علماء حضرة فاس ومن أنفس أشرافها الأكياس، وبيتهم من فيلالة بيت علم قديم"، صاهره خاله السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان فزوجه بنته عاتكه، وبعد وفاتها تزوج أختها حليمة التي ماتت بدورها. كان معروفا عن إدريس العلوي الشاكري اعتناؤه بمظاهر الأبهة والإكرام، ولهذه الغاية شيّد قصراً قرب جامع الأندلس، ملأه بالحياض والأغراس والأزهار، فكان من أبدع قصور فاس.

خرج إدريس العلوي من فاس قصد الحج أول مرة يوم 13 رمضان 1283 / 1866 ولم يكن حاجّاً عادياً بدليل العناية الفائقة التي حظي بها في القبائل والمدن التي عبرها من فاس إلى طنجة، فقد استقبله قواد أزغار وبلاد الهبط والأمناء وكبار موظفي المخزن في طنجة بكل مظاهر الحفاوة والإجلال. ثم انتقل من طنجة إلى جبل طارق، ونال حظوة وحفاوة لا تقلان عن السابق، إذ حرص المسؤولون الإنجليز على استضافته بكل مظاهر الإجلال، فأعدوا له بابورا (مركبا) أقله إلى جبل طارق، وجعلوه يطلْع على عدد من المرافق والتنظيمات هنالك : أنابيب الغاز، تيلغراف، مستودعات الذخيرة والأسلحة، المنار، تمارين عسكرية وغيرها. وقد رافقه في جولاته قنصل المغرب في جبل طارق سعيد جسوس وعدد من المسؤولين الإنجليز في جبل طارق. وقد حرص العلوي الشاكري على وصف هذه المرافق والتنظيمات وصفا مفصلا، معربا عن انبهاره ودهشته مما شاهده. ثم غادر جبل طارق باتجاه مصر على متن بابور إنجليزي حامل للحجاج، محاطا بنفس الرعاية، إذ تم إركابه في القامرة (الدرجة الممتازة)، وكعادته تحدث بإسهاب عن مختلف مرافق هذا المركب ومحتوياته.

كان توقفه بمصر مناسبة لزيارة أضرحة الأولياء والعلماء والالتقاء بعدد من الشيوخ والفقهاء، كما زار عدداً من المرافق، أبرزها مطبعة بولاق التي أبهرته كثيراً. لكن الرغد تحول إلى نكد خلال النزول بأرض الحجاز، حيث تعرضت قافلة الحجاج، التي كان من ضمنها للاعتداء . وبعد قضائه

مناسك الحج، انتقل إلى السويس، ومنها إلى القاهرة، فركب بابور البر (القطار) متوجها إلى الإسكندرية ليستقل مركبا إنجليزيا توجه به إلى جبل طارق، وتوقف في مالطة وأعجب بها، على عكس جل مدوني الرحلات الحجازية في القرن 19 الميلادي، وخصصت له السلطات البريطانية في جبل طارق، مرة أخرى، استقبالا يليق بمقامه وأعدت له مركبا خاصا "معدا لأمورها الخاصة" لنقله إلى طنجة، التي وصلها يوم 25 محرم 1284 / 1867 وزار هنالك المنار الذي أبهره كثيراً.

ذكر في رحلته المدونة الشيوخ والعلماء الذين لقيهم وأخذ عنهم في مصر والحجاز، منهم إبراهيم السقا، الشيخ عليّش، إبراهيم السنوسي، أحمد دحلان، وقد لازم هذا الأخير نحو ثلاثة أشهر وأجازه بالإجازة العامة، ولم يذكر أنه استجاز أحدا في هذه الرحلة. وكان العلوي الشاكري قد قرأ على والده فتح الباري مدة ثماني سنين وتفسير أبي السعود ثلاث مرات، وبعضا من تفسير النسفي لأن والده توفي قبل تمامه.

كان العلوي الشاكري على علاقة وطيدة بالسلطان مولاي الحسن، وقد وفد عليه مرات كثيرة لمراكش لقراءة صحيح *البخاري*، ورافقه في بعض جولاته مثلما حصل خلال الحركة الحسنية الثانية إلى بلاد سوس.

وشكل العلوي الشاكري مصدراً للإخبار عن بعض علماء وقته، فقد نقل عنه العباس بن إبراهيم المراكشي الذي استضافه أكثر من مدة، ماوقع بين السلطان مولاي الحسن والفقيه محمد جنون، الذي اختفى عند مبايعة السلطان المذكور إلى أن بحث عنه وأدخله لذلك المحل الذي أدخلني به وأمره بذلك (البيعة) وعرّفه عاقبة المخالفة"، وأخبره أن الفقيه المؤرخ العربي المشرفي هجا عبد الله بن أحمد باشا فاس واحترم بضريح مولاي إدريس، وأنه دار في بعض الأوقات على كبار العمال بالمغرب مثل الشرقي وغيره ولمّا لم يحصل منهم على طائل هجاهم.

كان إدريس العلوي الشاكري من جملة علماء فاس الذين وقعوا "تذكرة نافعة ونصيحة جامعة مضمونها أن الإمام الشرعي بالمغرب الأقصى هو السلطان الحالي والتحذير من الاغترار بأباطيل الثائر الخارج عليه"، وذلك بتاريخ غرة صفر 1321 / 1903، وهي تتعلق بتمرد الجيلالي الزرهوني "بوحمارة" ضد السلطان مولاي عبد العزيز، وقد وجهت هذه التذكرة أساسا إلى طلبة الجبال الذين يدرسون في القرويين، قصد التأثير على آبائهم وذويهم في المناطق التي انحاشت للدعي بوحمارة.

ولا يعلم لإدريس العلوي الشاكري تآليف غير ما ذكر سابقا، أما هو فكان حاضراً في عدد من المؤلفات والدواوين، فقد مدحه عدد من معاصريه منهم الشاعر والأديب إدريس السناني المعروف بالحنش، إذ بلغت قصائده في مدح العلوي الشاكري حوالي 20 قصيدة، كما مدحه صاحب المجد الطارف بقصيدة دالية أورد نصها صاحب الاعلام (48 ـ 49)، وكتب عنه إدريس بن أحمد العلوي الشهير بالفضيلي باحتفالية كبيرة في كتابه *الدرر البهية*.

حج إدريس العلوي الشاكري مرة ثانية، وتوفي في حجته هاته بالمدينة المنوة يوم الثلاثاء 7 محرم 1331 / 1913 حسبما أخبر بذلك رفيقه في رحلته الحجية محمد الصديق الأمراني.

إدريس العلوي الشاكري، *رحلة حجية*، مخطوط، خ. ح رقم 11509 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، طبعة حجرية، فاس، 1314 / 1896، إ. السناني، ديوان، *الروض الفاتح بأزهار النسيب والمدائح*، مخطوط، خ. ع رقم ك، 1678 ؛ ع. ابن إبراهيم، الاعلام، ج 3، الرباط، 1975 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، ج 2، الرباط، 1989.

أحمد المكاوي

العلوي (مولاي -) **الحسن** بن **المهدي** بن إسماعيل خليفة السلطان المفوض في منطقتي الحماية الاسبانية في شمال المغرب والصحراء ؛ هذه الخلافة التي أحدثت بمقتضى الفصل الأول من المعاهدة الفرنسية الاسبانية المبرمة بمدريد يوم 27 نوفمبر 1912 والتي وافق عليها السلطان مولاي يوسف بظهير مؤرخ في 6 جمادى الثانية 1331 موافق 14 ماي 1913.

وكان والده الأمير مولاي المهدي قد حل بتطاون بصفته أول خليفة للسلطان يوم 13 أبريل 1913 وزاول سلطته إلى أن وافته المنية بمدنية سبتة يوم 24 أكتوبر 1923.

وظل كرسي الخلافة شاغرا إلى أن تم تعيين الأمير مولاي الحسن بن المهدي بن إسماعيل بن السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن يوم 25 يونيو 1925، غير أن تنصيبه لم يتم إلا يوم 8 نوفمبر من نفس السنة.

وقد أطلق عليه الاسبان لقب الخليفة الامبراطوري الملكي ؛ وعينوا له حكومة كانت تعرف بالمخزن الخليفي ويرأسها الصدر الأعظم ؛ وكان يستعمل المظل في الحفلات الرسمية، وله حرس خاص وتقدم له "الهدية" كل سنة.

وكان يستعمل الطابع الكبير لإصدار النصوص التشريعية والطابع الصغير لتنفيذ النصوص التطبيقية ؛ كما كان للصدر الأعظم طابع لإصدار القوانين التنفيذية.

وابتداء من سنة 1934 كان يحتفل بعيد جلوسه يوم 8 نوفمبر من كل سنة. وكان الدعاء لجلالة الملك في خطب الجمعة يُشفع بالدعاء للخليفة السلطاني.

وفي شهر أبريل 1947 تقابل لأول مرة مع الملك محمد الخامس بمدينة أصيلا ورافقه في زيارته التاريخية لطنجة.

وفي سنة 1949 تزوج الأميرة للا فاطمة الزهراء بنت السلطان مولاي عبد العزيز.

وعندما اعترفت إسبانيا باستقلال المغرب يوم 7 أبريل 1956 أعفي مولاي الحسن من منصبه ليعين سنة 1957 سفيراً بلندن وذلك إلى سنة 1965 ثم سفيراً بروما إلى غاية سنة 1967. بعدها عين مديراً للبنك الوطني للتنمية الاقتصادية، وذلك إلى أن أسند له منصب والي بنك المغرب الذي زاوله إلى أن وافته المنية بالرباط يوم فاتح نوفمبر 1984.

م. ابن عزوز حكيم، *الحماية الاسبانية بالمغرب*، (1912 ـ 1956)، مطبعة المهدية، تطوان، سنة 1958.

محمد ابن عزوز حكيم

العلوي الدرعي، أحمد (مولاي -) بن سعيد من ذرية عبد الواحد أبو الغيث الذي رتبه الفضيلي كفرع خامس من أبناء يوسف بن علي الشريف.

رحل أحمد بن سعيد من تافيلالت إلى درعة طلباً للعلم وذلك على الأرجح في القعود الأخيرة من القرن الحادي عشر (17 م) فنزل بالزاوية الصالحية بواحة اكتاوة وصاحب الشيخ صالح بن إبراهيم حتى تخرج عليه (*العقود الجوهرية*، 9) وعلى يديه سلك طريق القوم.

ويظهر أن مولاي أحمد بن سعيد، استمرأ البقاء في درعة، كغيره من الأشراف الذين طرأوا على الوادي في عهد مولاي إسماعيل، فاستوطن منطقة لَكْنَازطة التي تقع على بعد بضع كيلومترات شمال الزاوية الصالحية، حيث أسس قصبة خاصة به ما تزال تعرف إلى اليوم بقصبة مولاي أحمد ابن سعيد. كان يشتغل بتعليم القرآن والمتون الفقهية لأبنائه ولمن رغب في ذلك من أبناء القبائل المجاورة، كما يشتغل ببعض الأعمال التجارية المحدودة، وقد حرص على عدم التدخل في الصراعات القبلية إلا إذا كان الأمر يتطلب عقد صلح بين المتخاصمين، كان لا يبخل بماله وطعامه لإصلاح ذات البين وإطفاء نار الفتن. وقد أكسبته هذه الصفات احترام الجميع، وأصبح أعيان القبائل لا يردون له شفاعة، ولا ينقضون له اتفاقا عقده، ويرضون بكل ما يقترحه من حلول للمشاكل القبلية.

توفي مولاي أحمد بن سعيد العلوي في زمن غير معروف خلال العقود الأولى من القرن الثاني عشر الهجري (18 م). ودفن خارج قصبته حيث أقامت القبائل المجاورة قبة فخمة على قبره. وقد كان قبره وإلى وقت قريب مقصداً للزوار من قبائل أهل لكتاوة وبعض قبائل آيت عَطّا.

العلوي الدرعي، عبد الله بن **الفاطمي** أبرز أبناء مولاي الفاطمي بن محمد ولد بقصبة جده في زمن غير مضبوط خلال العقود الأخيرة من القرن الثالث عشر الهجري (19 م)، تعلم على يد والده وبني قومه بمسقط وأسه، فحفظ القرآن الكريم وبعض المتون الفقهية الرائجة إبانه بالجنوب المغربي، تفتح وعيه مبكراً من خلال ما كان يروج في ذلك الوقت بواحة لكتاوة من أخبار عن الجهاد وعمليات التصدي لزحف القوات الفرنسية بالصحاري الجنوبية والشرقية.

وباعتبار والده، واحداً من وجهاء أشراف لكتاوة، ونقيب العلويين بها، فإن مولاي عبدالله كان من الملازمين لأبيه في حله وترحاله فكان يقتبس منه طرق الاتصال والمعاملة مع الناس، فاكتسب نوعاً من الذكاء الاجتماعي، ونخوة الانتساب إلى الأشراف العلويين ولعل هذا هو الذي جعل محمد بن لحبيب التمنوگالي يصفه بالذكاء والألمعية. فلما اختارت قبائل لكتاوة ومحاميد الغزلان، مولاي الفاطمي بن محمد شيخاً أعلى لها حل، مولاي عبد الله بن الفاطمي العلوي محل والده في مشيخة قبائل لكنازطة وما حولها من قبائل دراوة وأدوافيل فلما توفي والده اختاره المخزن ليتولى وظيفة نقيب الأشراف العلويين بواحتي لكتاوة ومحاميد العزلان.

كان مولاي عبد الله بن الفاطمي العلوي كثير التنقل إلى مدن الشمال خاصة مراكش، البيضاء والرباط، وقد أهله منصبه كنقيب للاشراف العلويين وسفرياته المتكررة من الاتصال ببعض رجال الحركة الوطنية وبشكل خاص العلامة السلفي محمد بن العربي العلوي، فاكتسب مولاي عبد الله بن الفاطمي من هذا الاتصال ملكة إدارة الكلام مع ذلاقة في اللسان وجرأة في الجنان فكان مسموع الكلمة بين آله مقبول الرأي بين أعيان القبائل الذين يرون فيه خير خلف لوالده. ولن نبالغ في شيء إذا قلنا أنه كان من الرجال القلائل بوادي درعة، الذين كانوا يتتبعون تطور الأحداث السياسية بين سلطة الحماية والسلطان محمد بن يوسف خلال نهاية الأربعينيات ومطلع الخمسينات من القرن (20 م). فلما تأزم الوضع بين الجانبين كان صوت مولاي عبد الله بن الفاطمي من الأصوات التي تردد في جنبات واحات درعة تحض العامة والخاصة من سكان الوادي بالتشبث ببيعة السلطان محمد بن يوسف. ورغم أن سلطة الحماية على المستوى المحلي، وخلفاء التهامي الگلاوي، قد انزعجوا من نشاط مولاي عبد الله بن الفاطمي العلوي، فإنهم لم يزيدوا عن عزله من مشيخة لكنازطة وتحريك بعض بني عمومته لمضايقته ومنافسته بالمنطقة ثم بدأ الكل يتربص به، فكان يغادر الوادي إلى أن تهدء الخواطر.

ولما أقدمت سلطة الحماية على نفي محمد بن يوسف في صيف 1953 وتنصيب محمد بن عرفة سلطانا على المغرب، كشف مولاي عبد الله بن الفاطمي من نشاطه المناهض للاستعمار الفرنسي ولمحمد بن عرفة، فقرر هذا الأخير التوقيع على ظهير عزل مولاي عبد الله بن الفاطمي من "وظيفة النقابة على أبناء عمه الشرفاء العلويين بلكتاوة والمحاميد .. لسوء سلوكه في وظيفه فنأمره أن يتخلى عن النقابة المذكورة لمن كلفناه بها (من ظهير العزل) ثم قامت السلطة المحلية بإبعاد مولاي عبد الله عن درعة ونفيه إلى مركز تَازَرِينْ حيث ظل تحت مراقبة الحاكم الفرنسي بالمنطقة.

وبعد عودة السلطان محمد بن يوسف من منفاه سنة 1955 كان مولاي عبد الله بن الفاطمي العلوي من أبرز رجال وفد الأشراف العلويين بدرعة،الذين توجهوا إلى الرباط، لتهنئة السلطان محمد بن يوسف بالعودة المظفرة وتجديد البيعة له. وقد أعاده السلطان إلى وظيفة النقابة على بني عمه من الشرفاء العلويين بواحتي لكتاوة ومحاميد الغزلان.

توفي مولاي عبد الله بن الفاطمي العلوي في تاريخ لم نتمكن من ضبطه خلال عقد الستينيات من القرن (20 م)، بعد حياة حافلة ومشاركة فعالة في بث الأفكار الوطنية ليس بواحة لكتاوة فحسب وإنما في كل واحات درعة.

أحمد البوزيدي

العلوي، عبد الحفيظ بن **الحبيب**. ولد بفاس عام 1907، وبعدما تلقى التعليم القرآني ثم الابتدائي بنفس المدينة، اندرج في سلك التعليم الإعدادي في ما كان يُسمّى وقتئذ "كوليج مولاي إدريس" وهو أول إعدادية عصرية أنشئت في عهد الحماية.

وفي أواخر العقد الثالث من القرن الماضي، تَمّ قبوله في المدرسة العسكرية بمكناس "الدار البيضاء"، فتخرّج فيها برتبة ملازم إذ لم يكن أي مغربي يحصل في ختام تكوينه هناك على رتبة أعلى.

وبعد وقت قصير، منحوه رتبة نقيب (قبطان) متخطيا رتبة ملازم أول التي كانت ومازالت تشكل مرحلة تراتبية في حياة الضباط حسب المقاييس الفرنسية.

بقي عبد الحفيظ في صفوف الجيش إلى أن اندلعت الحرب العالمية الثانية، فكان من الذين تطوعوا لمحاربة الألمان فوق التراب الفرنسي.

وعلى إثر معاهدة وقف إطلاق النار بين ألمانيا وفرنسا، عرفت ميادين الوغى شبه هدوء شمل كثيراً من المناطق الفرنسية، فكان عبد الحفيظ من بين الذين عادوا إلى المغرب.

وعلى إثر انتهاء الحرب العالمية عام 1945 وبعد أن أسندت فرنسا إلى إبريك لابون مهمة الاقامة العامة بالرباط عام 1946، فكّرت سلطات الحماية في توظيف بعض الضبّاط المغاربة، حسب رتبهم، في مناصب مخزنية، تابعة مباشرة للقيادات الأهلية والباشويات. فكان من نصيب عبد الحفيظ أن تقلّد مهام خليفة باشا الدار البيضاء الطيب المقري، وبعد بضع سنوات، خليفة لحمّاد المقري، أخ المذكور. ثم حظي بعناية ملكية فعيّنه محمد الخامس عضوا بالديوان العسكري لسمو الأمير ولي العهد الحسن، عام 1949. وفي صيف نفس السنة، عينه عضواً في هيئة تأطير ولي العهد أثناء تدريبه العسكري على متن السفينة الحربية الفرنسية "جان دَارْك" في عرض بحر المياه الإقليمية الفرنسية.

وبعد ذلك تقلّد مهام باشا مدينة سطات، فتميّز في هذه المسؤولية بالانضباط والصرامة التي كانت إحدى شيمه التي اكتسبها من خلال تكوينه العسكري.

في عام 1956، عيّنه محمد الخامس عاملا على مراكش خلفا للباشا التهامي الأگلاوي - وبعد أشهر قليلة، أنيطت به مهام مدير الديوان العسكري لولي العهد، ثم عيّن ضابطا ساميا منسّقا لأنشطة القوات المسلحة الملكية.

وفي عام 1961، عيّنه الملك الراحل الحسن الثاني مديراً للتشريفات والأوْسمة ثم رقّاه بعض أعوام قلائل إلى درجة وزير للقصور الملكية والتشريفات برتبة جنرال وهو المنصب الذي ظل يشغله إلى حين وفاته، يوم 16 جمادى الأولى عام 1410 / 15 دجنبر 1989، وعمره 82 سنة.

أ. العلوي، جريدة *Le Matin*، عدد 16 دجنبر، 1989.

أحمد بنجلون

العلوي، عبد الحميد بن الطيب السلوي، شخصية إدارية مرموقة. ولد بمدينة سلا في شهر شعبان من عام 1318 / دجنبر 1900.

أول مهمة إدارية أسندت إليه هي الحسبة في سلا سنة 1940، فاضطلع بها وأدى المهمة على أحسن وجه بالرغم على ظروف الحرب الصعبة، واستمر يزاول هذه الخطة إلى سنة 1955 حيث عينه محمد الخامس باشا بمدينة القنيطرة، وقد جدّ في تطوير هذه المدينة التي كانت ما تزال تحمل طابعاً بدوياً، ونظم أحياءها وأسواقها وجعل من شارعها الرئيسي الممتد على نحو عشرة كيلو ميترات فيما بين المدخل من جهة سلا - الرباط إلى الخروج صوب مراكز الغرب والشمال أطول شوارع محمد الخامس في سائر الحواضر الغربية، وعلى جانبيه العديد من المتاجر ومحطات الوقود والمقاهي والمصالح الإدارية والاجتماعية.

وفي نهاية سنة 1964 عينه الحسن الثاني باشا بمدينة فاس الإدريسية، فلم يقل مجهوده في تحسين أو ضاعها وتوسيع مرافقها وتنظيم المنشآت الصناعية والفنية بها عما قام به قبل في القنيطرة، إلى أن أدركته الوفاة وهو على باشوية الحاضرة العلمية.

توفي بالرباط في شهر محرم عام 1385 / ماي 1965، ودفن بأمر من الحسن الثاني بضريح الحسن الأول (ضريح محمد الثالث) بالقصر الملكي.

وثائق عائلية ومعلومات من ولده الأستاذ إسماعيل العلوي.

محمد حجي

العلوي، عبد السلام الضرير بن محمد، هو الأمير أبو محمد عبد السلام الضرير بن السلطان محمد بن مولاي عبد الله العلوي الحسني، هو الابن الثالث ضمن الأبناء الخمسة عشر للسلطان سيدي محمد بن عبد الله. وأمه فاطمة بنت سليمان بن مولاي إسماعيل، تحدث في كتابه اقتطاف الأزهار الذي فرغ منه في 27 محرم عام 1198 / 22 دجنبر 1783 عن جملة من أشياخه وذكر منهم الشيخ عمر الفاسي ومحمد التاودي ابن سودة، وبعد مسيرته العلمية اشتغل بالتاريخ وبعلم الأنساب والسير والأدب والحديث النبوي، ثم ذهب إلى الحج صحبة أخيه الأمير مولاي علي 1185، ولما قفل منه ولاه أبوه على فاس سنة 1187. ثم حج مرة ثانية وذلك سنة 1188، حيث بعث معه والده السلطان سيدي محمد بن عبد الله مائة ألف دينار برسم التوسعة على أهل الحرمين الشريفين. وفيها التقى بمجموعة من شيوخ مصر فمدحوه بقصائد وأجازوه بإجازات، نذكر منهم الشريف المرتضى شارح القاموس. كما التقى مع الشيخ عمر الطلحاوي، وإمام المالكية بالديار المصرية الشيخ علي الصعيدي، والمؤرخ عبد الرحمان الجبرتي، وفي المدينة المنورة التقى بشيخ الطريقة الإمام أبو عبد الله محمد السمان

الشافعي. حيث كتب رحلته التي اهتم فيها كثيرا بتاريخ مصر، ولما عاد ولاه أبوه على سوس الأقصى ودرعة عام 1195 فاستقر بتارودانت. ونظرا لمؤهلاته الفكرية وتجربته الشخصية، فقد شارك في جل الأحداث التي وقعت بعد وفاة والده السلطان سيدي محمد عام 1204. وكان منحازا إلى جانب أخيه السلطان مولاي سليمان الذي اتخذه للمشورة فكان لا يبرم أمرا إلا به حتى كان تدبيره به في غالب الأمور رغم كونه فاقدا لبصره قبل وفاة والده بقليل. ويذكر الضعيف أنه كان مقبلا على الدنيا وقد بنى دارا عجيبة بعقبة السبع بفاس فيها منارة عجيبة، وكانت له أكثر من مائتي جارية.

صنف الأمير مولاي عبد السلام مجموعة من التصانيف نذكر منها :

1) مورد الصفا في سيرة النبي عليه السلام والخلفا، كانت منه في خزانة الزركلي نسخة ناقصة.

2) اقتطاف الأزهار من حدائق الأفكار، توجد منه أربع نسخ بالخزانة الحسنية منها مسودة بخط المؤلف تحت رقم 106. وأخرى تحت رقم 11527.

3) درة السلوك وريحانة العلماء والملوك، توجد منه 5 نسخ بخ. س. واحدة تحت رقم 237. ونسخة أخرى بخ. ع. 3728د. ونسخة بمؤسسة علال الفاسي تحت رقم 443 ع.

4) رحلة الأمير العلوي عبد السلام، مخ. خ. س. 12392.

5) مناهل الصفا في مناقب سيدي مصطفى، الرباط المتوفى عام 1220.

توفي الأمير عبد السلام بعد مرض طويل عام 1228 / 1813. وخلف أبناءا نعرف منهم مولاي عبد المالك الذي شارك في أحداث تاريخية ترد بعض تفاصيلها عند الضعيف الرباطي.

الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. العماري، ص. 304 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج. 8، ص. 24، 51، 58، 100 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج. 3، ص. 357 ؛ ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 8، ص. 482 ؛ الفضيلي، *الدرر البهية*، ج. 1، ص. 211 ؛ المنوني، *المصادر العربية*، ج. 2، ص. 50، 78.

أحمد إيشرخان

العلوي، عبد السلام بن **محمد** المعروف بالمحب الرباطي الفاسي، شريف من الأدباء المجيدين، وعروضي حيسوبي حسيب، من الذين اشتهروا بابتكار المعاني وافتضاضها، يقول فيه محمد بوجندار في *الاغتباط* : "إذا نظم نظم جواهر الأسلاك وإذا نثر نثر زواهر الأفلاك ... وكان في الكتابة مدداً معدوداً من كتاب الصدارة العظمى والوزارة الكبرى، ساجلته وساجلني دون أن نعرفه ويعرفني ... " وفيه يقول محمد غريط في *فواصل الجمان* : "كاتب أديب شاعر لبيب جر ذيول الفخر على البحتري وحبيب، ذو همة راقية فوق الكواكب وآثار باقية في صحف المناقب وذكاء يستمد منه ذكاء وخبرة صادقة في فن التصوير وفطنة سابقة لا تقبل التزوير".

ولد المترجم في بيت السلطنة والجاه ونشأ بين أحواله نشأة حسنة فتعلم وعلم وأينعت دوحة شبابه وزهت ثمرة آدابه وتقلد منصب الكتابة بالداخلية أيام المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ فأتقن وأجاد ومدح وأفاد.

كان من الشعراء الذين يقولون الشعر ارتجالا يقول غريط : ... وعارضة معسولة لم تكن عن الارتجال منقولة، أسفر صبح أفكاره عن الشعر الوسيم وما سجى ليل عذاره ولا قضى حكم التعليم بتلومه واعتذاره ..".

توفي سنة 1331.

بوجندار، *الاغتباط بتراجم أعلام الرباط*، 412، الرباط، 1987 ؛ غريط، *فواصل الجمان*، 224 ؛ ع. الله الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 348.

عبد القادر سعود

العلوي، عبد الكبير بن **عبد الله** المدغري الصفريوي. وُلد بمدغرة حوالي عام 1275 / 1858. حفظ القرآن الكريم ورسمه وتجويده برواية ورش وهو لم يبلغ بعد سن الحلم.

وقد جعلته نباهته يستوعب بسرعة ما كان يروج بتافيلالت من علوم في عصره ثم يَمَّم شطر العاصمة العلمية في السنوات الأخيرة من عهد السلطان مولاي الحسن، فانخرط في سلك المتعلمين في حلقات العلم بجامع القرويين، فأخذ عن الشيخ محمد القادري، والفقيه عبد السلام ابن محمد الهواري، والعلامة مولاي عبد الملك الضرير، والفقيه عبد الله البدراوي والشيخ مَحمد گنون وغيرهم من كبار العلماء بالقرويين أقبل مولاي عبد الكبير العلوي بجده على حلقات العلم، فكان يلازم دروس كبار العلماء فجال بهمته العالية في علوم الفقه والحديث والتفسير وعلوم اللغة العربية والسيرة النبوية، والفرائض وغيرها، فتخرج فقيها مبرزاً، وعالماً مشاركاً، له كلمته المسموعة بين علماء عصره، إلا أن طبْعهُ البَدَوي الحَبَبيْ جعله يميل إلى الخمول، ويتجنب الخوض فيما خاض فيه أقرانه من نبغاء العلماء من التقرب لرجال المخزن والحصول على المناصب الدنيوية.

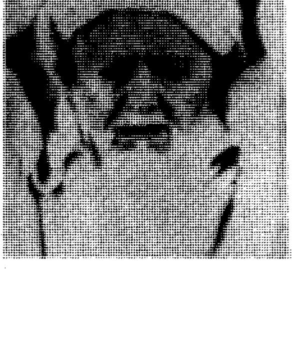

أمَّا سبب استيطانه بصفرو، فيذكر ابنه الفقيه سيدي محمد بن عبد الكبير العلوي، أن القائد عمر اليوسي (توفي سنة 1904) قد طلب من المخزن العزيزي إرسال فقيهين إلى صفرو، فوقع الاختيار على مولاي عبد الكبير العلوي، الذي عُيّن إماما للخطبة والصلوات الخمس بالجامع الكبير بالمدينة.

استغل قائد صفرو عمر اليوسي هدوء طبع الفقيه مولاي عبد الكبير العلوي، فسعى إلى الحصول على ظهير تعيينه قاضياً بالمدينة. لكن الفقيه سعى إلى القصر السلطاني بفاس فحصل على الإعفاء. وبعد هذا التحدي الصارخ للقائد عمر اليوسي، الذي كان يحكم صفرو وما إليها بيد من حديد، كبرت مكانة الفقيه مولاي عبد الكبير عند أهل المدينة، فكانوا يرجعون إليه يستفتونه في أُمورهم الشرعية، وقد عرف كيف يحافظ على الحياد بينهم، فكان العامة والخاصة يجلونه ويحترمونه. ما كاد الفقيه مولاي عبد الكبير العلوي، يتخلص من ورطة القضاء، حتى جمع همته وعزيمته لرفع منار الدين، وإحياء ما اندرس من العلم والشريعة بمدينة صفرو، وهكذا كان يشتغل اليوم كله فيخصص الحصة الأولى من نهاره لتحفيظ القرآن الكريم لكل من رغب في ذلك من أبناء المدينة، فتخرج عليه عدد كبير من حفظة القرآن الكريم، وبعد صلاة العصر يجلس لما كان يسمى أنذاك بالتوريق، وهي عملية تقوم على سرد الحديث النبوي من الكتب المعروفة خاصة صحيح البخاري وصحيح مسلم وكان مولاي عبد الكبير يكتفي بشرح المنغلق من الألفاظ والمعاني شرحاً خفيفاً لتعم الفائدة ويستفيد الحاضرون.

أما الدرس الرئيسي، فهو الذي يبدأ مباشرة بعد صلاة المغرب فكان يلقى فيه دروساً في الفقه بالمتون المعروفة مثل المرشد المعين ورسالة ابن أبي زيد القيرواني والمختصر الخليلي أحياناً وتفسير القرآن الكريم بابن كثير والنسفي والجلالين. أما الحديث النبوي فكان يركز في غالب أوقاته على كتب الصحاح وبشكل خاص صحيح الإمامين البخاري ومسلم. ويتميز أسلوب دروسه بالبراعة في التحليل وتبسيط المسائل حتى تكون في متناول العامة الذين كانوا يحرصون على الحضور في مجالسه العلمية إلى جانب الطلبة للتفقه في أمور دينهم، وكان يستغل حضور أكبر عدد ممكن من المستمعين للإجابة على ما يطرح عليه من أسئلة حول القضايا العامة التي تهم حياة الناس وطرق تعاملهم.

وإذا كان من الصعب علينا تتبع أسماء كل المتخرجين من الفقيه مولاي عبد الكبير العلوي خلال ستين سنة قضاها كإمام بالجامع الكبير، فإننا نكتفي بذكر المتخرجين عنه من المتأخرين، كابنه الفقيه سيدي محمد بن عبد الكبير، فخطيب مسجد الحسن الثاني فحتسب مدينة صفرو حالياً، والفقيه المرحوم سيدي محمد بن إبراهيم والفقيه مولاي الحبيب بن علي العلوي، والفقيه سيدي محمد بن أحمد والفقيه عبد الوافي بن محمد العدلوني وغيرهم.

اكتسب الفقيه مولاي عبد الكبير العلوي هالة كبيرة عند سكان صفرو لاستقامته وسلوكه الذي اتسم بالزهد عما في أيدي الناس، وعفة اللسان، ولعلمه الذي وظفه فيما يرضى الله وقد كان مضرب الأمثال في الحياء فكان تأثيره في عامة الناس بالأفعال أكثر من تأثيره بالأقوال.

كان الفقيه مولاي عبد الكبير مواظبا على قراءة القران أناء الليل وأطراف النهار، ويستحضر آياته وكأنه يقرأها في كتاب وكان أعجوبة زمانه في ذلك منة من الله. كان كثير الصلاة على النبي (ص)، كثيرالتجهد والتبتل لربه في جوف الليل على سن السلف الصالح.

كان له اختلاط بعلماء وقته خاصة بالشيخ العلامة سيدي أحمد بن الجيلالي المغاري، وبالشيخ سيدي محمد بن العربي العلوي، الذي كان يقدر كثيراً مولاي عبد الكبير، ويحترمه احتراماً خاصاً لعلمه وعفته وسلامة صدره وحسن طويته.

وقد مارس مولاي عبد الكبير العدالة بصفرو، كما كان ينوب عن القاضي في بعض الأحيان، فلم يثبت عنه إطلاقا أنه حاد عن الشريعة أو مالأ أحداً من الأعيان وأهل الجاه والسلطان في حق من حقوق الله سواء في عهد الحماية أو في عهد الاستقلال.

توفي رحمه الله عن مائة وخمس سنوات في العشر الأواخر رمضان المعظم سنة 1380.

م. حجي، موسوعة *أعلام المغرب*، ج 9 ؛ أ. عبدلاوي علوي، مدغرة وادي زيز، ج 2 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 16 ؛ م. يخلف، *تطورات أدوات السياسة المحلية بصفرو*، أواخر ق 19 ـ 1956، د. د. ع. الرباط، 1986 ؛ *روايات شفوية* نقلا عن بعض المسنين الذين عاشروا الفقيه مولاي عبد الكبير، خاصة رواية ابنه الفقيه سيدي محمد بن عبد الكبير العلوي.

آحمد البوزيدي

العلوي، عبد الله بن **إبراهيم** من وجوه الثقافة العربية الإسلامية البارزين في بلاد شنگيط ازداد سنة 1152. بدأ دراسته في الخامسة من عمره، وقضى ستا وثلاثين سنة ينتقل داخل بلاد شنگيط وخارجها طلبا للعلم والمعرفة، فدرس في البداية في تگانت ـ مسقط رأسه ـ ثم رحل ناحية الغرب لأخذ العلم عن مشاهير الشيوخ مثل المختار بن بون الجكني وسيدي عبد الله بن الفاضل المباركي وغيرهما، ثم أقام في فاس مدة طويلة للنظر والتحرير تلقى خلالها بعض العلوم الأصولية على الشيخ محمد البناني، ثم رحل إلى تونس ومصر والشام والحجاز واتصل بأشهر علمائها وزعمائها السياسيين، كما حظي باهتمام كبير من السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ويقال إنه شارك في الجهاد ضد البرتغاليين شمال المغرب.

بعد هذه الرحلة الطويلة عاد إلى بلده سنة 1190 يحمل في ذهنه ثقافة موسوعية أساسها الآثار والأصول ووسيلتها اللغة والأدب، وغاية صاحبها الإصلاح والتجديد ومحاربة

البدع، وقد جلب معه مكتبة ضخمة تناهز الخمسمائة كتاب، ثم تفرغ للتدريس والتربية والتأليف، وقد استمر عطاؤه حوالي أربعين سنة، قضى بعضاً منها في مدينة تجكجة، ثم رحل إلى البادية لأسباب منها احتجاج بعض الناس في المدينة على تشدده في التربية والإصلاح. خلف عدة مؤلفات منها :

- *مراقي السعود* وشرحه *نشر البنود في الأصول*، وقد طبع مرتين في المغرب.

- *يسر الناظرين على روضة النسرين*، وقد طبع في تونس.

- *نوْر الآقاح في علم البيان*، وشرحه *فيض الفتاح*.

- *طلعة الأنوار*، في *مصطلح الحديث*، وشرحه، وغيرها.

توفي سنة 1152 / 1233.

أ. الشنگيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنگيط*، ص. 37، ط 4، القاهرة، 1989 ؛ الخليل النحوي، بلاد شنگيط *المنارة والرباط*، ص. 513، تونس، 1987 ؛ سيد محمد بن محمد عبد الله ولد بزيد، *معجم المؤلفين في القطر الشنگيطي*، ص. 36، منشورات سعيدان، سوسة، تونس، 1996.

محمد الظريف

العلوي، الفاطمي بن **محمد** لا نعرف شيئاً عن ميلاده، تعلم مبادئ القراءة والكتابة بقصبة جده على يد بني قومه، فلما شب عوده رحل في طلب العلم، رحل مع بعض طلبة درعة إلى بلاد تودغة، ولم يعد منها حتى اتقن حفظ القرآن الكريم وبعض المتون الفقهية التي تعينه على الضروري من علوم الدين.

عاش مولاي الفاطمي بن محمد خلال العقود الأخيرة من القرن الثالث عشر الهجري وردحا من القرن الرابع عشر الهجري (19 ـ 20 م). وكان يحب الفخار، لذلك يذكر عنه أنه كان يمتطي فرسا مطهمة ويلبس سلاهم من الملف. ويتمنط دائماً بدليل الخيرات، اهتم مولاي الفاطمي بن محمد العلوي بعد عودته من تودغة بتعليم كتاب الله، والإقبال كغيره من شرفاء لكتاوة ببعض الأعمال التجارية، فأقبل عليه السعد، فارتاش وتوسع في تأثيل الأملاك، أرضا ونخيلا، فكانت له وجاهة عند رجال المخزن في السنوات الأخيرة من العهد الحسني وبعده، وقد اختاره المخزن نقيبا للأشراف العلويين بواحتي لكتاوة ومحاميد الغزلان، فبات الشيوخ والقواد المحليون بدرعة وأعيان القبائل ينظرون إليه بعين التجلة والتقدير، فكان بيته بالكنازطة مفتوحا أمام الضيوف وأصحاب الحاجات سواء من أهل لكتاوة أو من بعض قبائل آيت عطّا.

ولما بدأت رياح الاستعمار الفرنسي تهب على وادي درعة بعد ظهور طلائع القوات الفرنسية في الجهات الجنوبية (شنقيط، أدرار) وخاصة بناحية تافيلالت، وما صاحب ذلك من دعوات للجهاد ضد الفرنسيين، عقدت قبائل لكتاوة ومحاميد الغزلان، اجتماعاً عاماً حضرة أعيان القبائل، فاتفقوا على تقديم مولاي الفاطمي بن محمد العلوي، وعينوه شيخاً عاماً على قبائل القصور قبائل آيت عَطّا وذلك سنة 1340 / 1921، ويتضح من خلال بنود الاتفاق المكتوب بين أعيان القبائل أن هؤلاء الأعيان قد فوضوا لمولاي الفاطمي بن محمد العلوي في أمور نذكر منها على الخصوص أن يعمل جهده على إنهاء مظاهر الخلاف والفتن بين القبائل، وأن يمنع سكان واحتي لكتاوة ومحاميد العزلان من أن يبيعوا شيئاً من الشعير أو الجمال والخيل والشياه، للتجار الذين يتوجهون بها إلى ناحية النصراني، وحيث يكون التبريح على أمر الجهاد في الأسواق فيجب على مولاي الفاطمي أن يعاقب المعارضين للجهاد. وقد حدد الأعيان ذعائر مالية ثقيلة تتراوح ما بين ألف ريال ومائة ريال لكل من ثبت في حقه خرق شروط هذه الاتفاقية (الورقة الثانية من الاتفاقية) وخصصت بعض الملاحق للأعيان الذين لم تسعفهم ظروفهم للحضور في الاجتماع العام، حيث التزموا لمولاي الفاطمي بن محمد العلوي بما اتفق عليه أعيان القبائل (محلق المشاحين، ملحق قبائل آيت اسفول).

ومن سوء حظنا أن أخبار هذه الحركة الجهادية، التي شاءت إرادة القبائل، أن يكون مولاي الفاطمي بن محمد العلوي شيخا أعلى لها، قد ضاعت في غمرة الأحداث التي عرفتها واحتي اكتاوة والمحاميد في بداية العقد السادس من القرن الرابع عشر الهجري ؛ العقد الرابع من القرن 20.

توفي مولاي الفاطمي بن محمد العلوي، قبيل وصول القوات الفرنسية إلى واحة لكتاوة في شهر رجب 1351 / نونبر 1932، ودفن بمقبرة الشرفاء العلويين خارج قصبة مولاي أحمد بن سعيد.

م. بن لحبيب التمنوگالي، *العقود الجوهرية في الأخبار الدرعية*، مخطوط ؛ المهدي الصالحي، *أعلام درعة*، الدار البيضاء، 1974 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية والجواهر النبوية*، 1999 ؛ *وثائق محلية بحوزة الكاتب*.

G. Spillmann, *Districts et tribus de la Haute vallée du Dra : Souvenirs d'un colonialiste*, Paris, 1968.

أحمد البوزيدي

العلوي، محمد بن **عبد القادر** عالم كبير، ومحاضر قدير، ومتكلم مفوه. ولد عام 1318 / 1900 تقريباً بمدينة مراكش، من أب شريف يعمل في التجارة. أصله صوصي من تافيلالت. درس القرآن مع بعض المتون اللغوية والدينية، بعدها التحلق بالجامعة اليوسفية، ودرس على مجموعة من الشيوخ الكبار نذكر منهم :

ـ العلامة مولاي امبارك الامراني، وهو عمدته ـ العلامة مولاي أحمد العلمي ـ العلامة شيخ الجماعة الحاج العربي الرحماني ـ العلامة بوشعيب الشاوي ـ العلامة مولاي إدريس السرغيني ـ العلامة شيخ الجماعة محمد بن إبراهيم السباعي ـ العلامة البركة سيدي أحمد ولد الحاج المحجوب

كان يعقد مجالسه العلمية والوعظية بالمساجد التالية :

جامع حي درب طباشي : يدرس فيه التفسير والسيرة النبوية ؛ جامع المواسين : يدرس فيه التفسير والسيرة النبوية ؛ جامع الطّيبْ : يدرس فيه التفسير ؛ جامع سيدي أيوب : يدرس فيه الهمزية ؛ مسجد تاسفسارت، والزاوية الكتانية بسوق الجلد، والزاوية الدرقاوية بأزبزط، يدرس فيهم التفسير والسيرة النبوية، والبردة، والمنطق.

وقد اختار لصحبته طبقة التجار والصناع، والحرفيين، يعلمهم أمور دينهم، ويوسع مداركهم حتى يشاركوا في الحياة العلمية ولو مشاركة خفيفة. كانت في كلامه نبرة شرقية، مع فصاحة لسان، وتعبير جميل، ولفظ رشيق، وقوة عارضة مما مكن له في قلوب الناس، وجعلهم يتزاحمون على دروسه، ويحرصون عليها. كان يستميل بحديثه قلوب سامعيه.

كان متميزاً بين أقرانه ؛ رجاحة عقل، وبعد نظر، وسعة خيال، وإتقان لعلوم الآلة. وهذا ما دفع الشيخ أبا شعيب الدكالي إلى أن يقول في حقه : (إن تكن شعلة في الحضرة المراكشية فهو محمد بن عبد القادر العلوي).

وتعتبر دروسه نموذجا حيا للعالم الذي يعتبر العلم فوق كل الاعتبارات، وأنه أمانة يجب أن تبلغ إلى جميع المستويات، لافرق بين حاكم ومحكوم، لأن أبرز سمة تتسم بها حياته هي تجرده عن المطالع التي قد يتلوث بها بعض أهل صناعته ـ العلم ـ

كانت دروسه تجمع بين التعليم والتثقيف، وبين التأنيب والتقريع لحكام الوقت. كما كانت له آراء واجتهادات في كثير من النصوص.

توفي رحمه الله يوم الأحد رجب 1376 / الموافق 24 فبراير 1957 ودفن بمقبرة باب أغمات.

أ. متفكر، *ذيل الاعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

العلوي، محمد بن **العربي** المعروف بالفقيه ولد بالقصر الجديد بمدغرة الرشيديّة حوالي سنة 1880 من والده مولاي العربي العلوي وأمّه لالة الهاشمية العلوية الذين خلّفا إلى جانب سيدي محمد ابنا آخر : مولاي الصديق وبنتا : صفيّة.

بدأ مسيرته العلمية في تافيلالت حيث تلقّى مبادئ العلوم التقليدية التي لم تكن تخرج عن حفظ القرآن

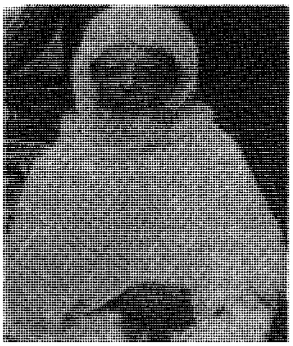

وتجويده، والحديث، وبعض المتون والشعر الجاهلي. ولعلّ النبوغ الذي أظهره في هذه المرحلة، وملكة التحصيل والنقد دفع أباه إلى الخروج من تافيلالت التي أصبح مجالها المعرفي يضيق عن طموح ابنه ومقدراته. فرحل به إلى مدينة فاس للدّراسة في جامعة القرويين. حوالي سنة 1898 وأقام في المدرسة المصباحية. ثمّ شرع في التدريس في القرويين، وفي مزاولة وضيفة عدل.

بعد عقد معاهدة الحماية سنة 1912 وإرغام الفرنسيين مولاي حفيظ على التنازل عن العرش واستقراره بطنجة انتقل الفقيه محمد بلعربي من فاس إلى طنجة كأستاذ لأبناء مولاي حفيظ. ثمّ عاد إلى مدينة فاس سنة 1915 وبعدها عيّن قاضيا بفاس الجديد والأحواز. وكان قضاء فاس مقسّما بين ثلاث قضاة : فاس الجديد والأحواز، وقاضي الرّصيف، وقاضي السماط.

وعند وفاة السّلطان مولاي يوسف عيّن الفقيه بصفته قاضيا ومدرّسا في جامعة القرويين، وأحد أفراد الأسرة العلويّة، من بين أعضاء المجلس الذي جمعته الإقامة العامّة لمبايعة سيدي محمد الإبن الأصغر لمولاي يوسف الذي اختاره الفرنسيون لصغر سنّه معتقدين أنّه سيكون طوع يدهم. بعد ذلك رحل الفقيه ابن العربي إلى الرباط عندما عيّن رئيسا لمجلس الاستئناف الشرعي الأعلا ثم وزيراً للعدل إلى أن استقال منه سنة 1944. وغداة الاستقلال عيّنه محمد الخامس وزيرا للتاج. وظلّ في منصبه هذا إلى سنة 1959.

ومن الصعب إعطاء معلومات مدقّقة ومسلسلة عن مسيرة الفقيه الفكرية والسياسية. لتعقّد الفترة التي عاشها وتسارع الأحداث فيها، وتعدّد المؤثرات والتيارات والضغوط الفكرية والسياسية. وقد عاش الفقيه كل هذه التناقضات بحكم عمره المديد ووجوده داخل الهيأة المخزنية التي تعرّضت لمؤثرات وضغوطات داخلية وخارجية متناقضة وتحولات سريعة ومتعددة في فترة زمنية قصيرة نسبيا وخصوصا منها الضغوط والمؤثرات الاستعمارية والضغوط والمؤثرات الشعبية النابعة من حركات المقاومة المسلّحة ثم مؤثرات وضغوط الحركة الوطنية، ثم مرحلة عهد الاستقلال وصراعاتها وانقساماتها وكذلك بحكم وجوده داخل جامعة القرويين التي زاول نشاطه الفكري والسياسي والديني داخلها والتي كانت مسرحا لتغيّرات فكرية ومجالا تتلاطم فيه تيّارات فكرية متصارعة، تعتمد كلّها على مرجعية دينية، فإما الرجعية المحبطة للعزائم، وإما الإصلاحية التي تدعو للنضال والتغيير.

ومما يزيد من صعوبة الإحاطة بالمسار الفكري والسياسي للفقيه أنه لم يترك أيّ مؤلف أو أثر مكتوب يمكن أن يلقي الضوء على انطباعاته وموقفه كفقيه قاضي وعالم من الأحداث المصيرية التي عاشها : كتوقيع معاهدة الحماية وعمليات ما سمّي ب "باسيفيكاسيون" والتي صار فيها الجهاد "عصيانا" ومن حرب الريف وبطلها الذي كان في

حاجة لمن يسانده في جهاده، ومن الظهير البربري الذي قسّم القوانين التي تحكم بين المسلمين حسب العرق والتضاريس، ومن الحركة الوطنية والقمع الذي مورس عليها، وعن دوره في إصلاح التعليم في جامعة القرويين الذي اعتبر من أول الأعمال المهمة في عهد الملك محمد الخامس، وعن الدور الذي لعبه في التطوّر السياسي للملك محمد الخامس الذي كان يحترمه ويقدّره. وممّا يزيد في هذه الصعوبة أن أبناء الفقيه كذلك لم يكتبوا شيئا عن أبيهم. فالفقيه خلّف أحد عشر من الأبناء والبنات بقي منهم على قيد الحياة ثلاثة رجال وثلاث نساء. ولم يكتب أحد من أبنائه الثلاثة الباقين شيئا عنه. رغم قدرتهم الثقافية على ذلك.

ذلك بأن الفقيه الذي كان من عباد الله الذين يمشون هونا ولا يريدون في الأرض علوا كما يدلّ على ذلك قبره في المداغرة، الذي هو عبارة عن ركمة حجر وتراب، أوصى أبناءه أن لا يكتبوا شيئا عنه.

إلا أن هناك صفات واكبته في جميع مراحل حياته الفكرية والسياسية بقيت عالقة بذاكرة الأجيال التي عرفته سواء مشايخه أو أقرانه أو تلامذته، أو أبناؤه، أو الذين تعرفوا عليه في شيخوخته وهم لا زالوا أطفالا والذين كانوا ينادونه ببّا سيدي الفقيه. وكلّها صفات تسمح باعتباره شخصية متميّزة في تاريخ المغرب.

فإنه كان يعرف بالفقيه ثمّ بشيخ الإسلام منذ 1962 وهو لقب لم يكن متداولا في المغرب. حيث لم يكن يعرف إلاّ لقب الشيخ الذي يطلق على رؤساء الزوايا والطرقية والقبائل. ولم يعرف بهذا اللّقب أحد لا من العلماء ولا من غيرهم لا قبل الفقيه ولا بعده - اشتهر بالاستقامة والنزاهة وهما خصلتان لم يحد عنهما رغم إغراءات المناصب التي مرّ بها في فترات كان الارتشاء والمحسوبية أمرا عاديا. ولعلّ المقولة الأمزيغية التي كانت معروفة في أحواز فاس والتي كان يردّدها بعض أشياخ القبائل حينما يتعقّد عليهم الإنصاف في قضية من القضايا دليل على هذه النزاهة ومعناها "هذا ما توصلّت إليه من حكم وليس في استطاعتي مع الأسف أن أحضر القاضي بن العربي للحكم في قضيتك".

كما اشتهر بالنباهة وسرعة البديهة فقد سمّي قاضيا على إثر جوابه على سؤال ألقاه عليه ترجمان فرنسي في بلدية فاس في موضوع قانون "الفضاء" أو "الهواء" وهي مادة لم يكن قد درسها وجاء جوابه مطابقا للقانون. فاقترح لمنصب القاضي.

واشتهر كذلك بأجوبته الساخرة واللاذعة في بعض الأحيان. ففي إحدى زيارات السلطان مولاي يوسف لفاس رفض أن يخرج لاستقباله رادّاً على العالم مولاي أحمد الشبيهي الذي عاب عليه ذلك بـ "اللّي دارني دارو" كما يحكي أنّه قال على سبيل البسط لشيخه سيدي المهدي الوزاني الذي كان قد ألّف رسالة في الانتصار للتوسّل برسول الله ردا على المصلح محمد عبده الذي كان قد أصدر فتوى تمنع ذلك : "إنّ سبب دخولي في الإسلام قراءتي لكتيّب صغير لشيخ الإسلام ابن تيمية عنوانه الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان، وأقسم لك يا سيدي أنك لو قرأته لأصبحت أنت كذلك مسلما". ولم يغضب أستاذه بل ابتسم للنكتة والجرأة.

وعرف أيضا بثورته على الجمود والتقوقع والتقاليد والخرافات التي التصقت بالدين. والتي تجعل من العقل المغربي كما كان يقول "مزبلة في حاجة إلى شاحنات لتنظيفه" لهذا كانت كل مواقفه منذ حداثة سنّه إلى وفاته، سواء في حياته الخاصة أو العامة، منبعثة من الإيمان بضرورة حرية التفكير وبناموس التغيير والتطور، والتفتح على العالم الخارجي، رغم ما تسبّبت له مواقفه المعارضة والتي كثيرا ما اعتبرت "شاذة" من طرف أنصار "إبقاء ما كان على ما كان" والمتطرفين، من متاعب طوال حياته.

فقد تحدّى العادة التي كانت تقتضي أن لا يتزوّج شريف إلا من شريفة. فتزوّج سنة 1916 من عامية هي خديجة الخنكي. وكانت أما لطفلة. من زواج سابق. وتم زواجه دون موافقة "المزوار" نقيب الشرفاء العلويين الذي أمر بسجنه .. وكان موقفه هذا بداية زعزعة تقليد راسخ منذ قرون. كما انتقد استعمال كلمة مولاي التي كانت جزءا لا يتجزّء من أسماء الشرفاء، وكان يرفض أن ينادى بها أبناؤه.

كما كان يرفض اتباع التقليد الذي يقتضي من الأعيان والهيأة المخزنية لباس الكسا والسلهام وظل حتى بعد أن أصبح قاضيا يلبس الجلباب فقط والرّزّة. ولم يرتد الكسا والسلهام إلا في بعض المناسبات الرسمية حينما صار وزيرا.

وظهر فكره المتفتح على التجديد حينما سمح لابنته الصغرى بارتداء الزيّ العصري ونبذ "الّثام". وهذا في وقت كان فيه علماء موالون سياسيا للحماية الفرنسية وعملاء للإقامة العامة ومن بينهم الزيتوني وعبد الحي الكتاني، يحرّمون كل تغيير يمسّ ميدان المرأة على الخصوص سواء على مستوى الحياة العامّة كخروج النساء وتعليمهن، ومسألة تعدّد الزوجات والطلاق، أو على المستوى الشخصي الخاص كالهندام، إذ أن الكثير كان يعتبر لباس الجلبات الذي صار يعوّض الحايك عند بعض العائلات بفاس من المحرّمات و"الكبائر" التي يجب محاربتها.

وظهر هذا التفتح في حثه طلبته في القرويين على تعلّم اللغات الأجنبية وخصوصا الفرنسية منذ سنة 1926. وقد حضر في عهد الاستقلال في عدة مناظرات في توميلين حيث كانت له علاقات صداقة واحترام مع رهبانها كالأب عبد الله مثلا.

ولعل فكره الحرّ هذا هو الذي جعله ينهل من كل المشارب الفكرية، دون أن يشكل ذلك بالنسبة له أيّ تناقض مادام لا يمسّ بمبدإ الإيمان وبتعاليم القرآن. فقد نهل من الفكر الصوفي التجاني حيث كان من أتباع الطريقة التجانية. ثم من الفكر السلفي التقليدي و"السلفي الجديد". وهذا التيار بدأ يعرف

نوعا من الانتشار بين بعض المثقّفين والعلماء الذي كانت بينهم وبين المصلح محمد عبده مراسلات. ومن بين هؤلاء الشيخ المهدي الوزاني الذي كان من مشايخ الفقيه. وزاد من هذا الانتشار رجوع أبي شعيب الدكالي (1878 ـ 1937) من مصر متأثرا بالفكر السلفي الجديد بعد دراسته في جامعة الأزهر، ووصول بعض الكتب التي كان بعض دعاة السلفية يرسلونها لتوزّع مجّانا. ومن بينها كتب ابن تيمية (1263 / 1328) وكتب محمد بن عبد الوهاب بن سليمان النجدي (1703 ـ 1798). زيادة على عدد من المطبوعات المصرية المختلفة والمجلات التي كان فريق المنار ينشرها بين المثقفين، وكتب يبيعها بعض تجّار فاس، ككتب المنفلوطي. فمن خلال النظرات تعرّف الفقيه لأول مرة على محمد عبده وأفكاره وقد أقبل الفقيه الذي كان مغرما بالقراءة منذ نعومة أظافره إلى وفاته على هذه الكتب، وعمل على نشر أفكارها في اجتماعات خاصة في منزله ومن خلال دروسه في ثانوية مولاي إدريس وفي القرويين حيث كانت دروسه فرصة لتنمية ملكة النقد لدى طلبته، وفضح عيوب المجتمع بمنهجية جديدة لمواد تقليدية، كتحفة بن عاصم وجمع الجوامع والكامل. فقد كان "يمزج تدريسه للفقه المالكي بفقه الحديث وبتدريس مذاهب خارجة عن المذهب المالكي معتمدا على عدّة كتب من أهمها نيل الأوطار للشوكاني". كما كان يختم مختصر خليل في سنة بينما كان يُدرّس فيما قبل في ستة وعشرين سنة. وكانت دروسه. تلقى إقبالا كبيراً في أوساط الشباب، سواء من الطلبة أو الصّناع التقليديين أو التجار مما لم يحظ بمثله إلا دروس علال الفاسي الذي كان يعتبر الفقيه أستاذه في السلفية.

وكان تدريسه في ثانوية مولاي إدريس يسير في اتجاه تحبيب اللغة العربية وآدابها للتلاميذ. ومن النصوص الأدبية التي كان يفضلها ديوان الحماسة لأبي تمام لما "يبثه في نفوس قارئه من الشعور بالعزة والكرامة والرفعة، إلى جانب ما فيه من الأدب العربي الرفيع". كما كان يبسط الدين الإسلامي لتقريبه وترسيخه في عقولهم وقلوبهم.

ويعتبر بعض المؤرخين والوطنيون أن الفقيه بلعربي العلوي قد شكل جسرا بين الدين والحركة الوطنية، لأن كثيرا من رواد الحركة الوطنية كانوا من بين من حضر دروسه إما في القرويين أو في ثانوية مولاي إدريس كالزعيم والعالم علال الفاسي والعالم الوطني المختار السوسي وكثير ممن وقعوا عريضة الاستقلال كمحمد إبراهيم الكتّاني ومحمد غازي ومحمد الزغاري. وكان الفقيه بلعربي، رغم وظيفته داخل نظام الحماية، وعدم عمله مباشرة ورسميا أو بتنسيق مع الحركة الوطنية يحسّس الشباب من خلال دروسه، بمشاكل الساعة التي كانت محور نضال الوطنيين فكان مثلا يتكلم عن حرب الريف وعن "انتصاراتها وما يعلّق عليها المؤمنون من آمال". كما كان يقاوم الطرقية من منطق سلفي ومن منطق وطني بحكم موالات عدد من الزوايا للفرنسيين وهذا اللقاء بين السلفية والوطنية التي كانت "لا تعني الرجوع إلى الوراء بل تخليص الدين مما علق به من خرافات وتقاليد وجمود وتعصّب، من أجل التقدّم والتطوّر"، أثر في نفس الوقت على السلفية المغربية وعلى الوطنية". فقد جعلت الحركة الوطنية من السلفية برنامجا متكاملا بعد الحرب العالمية الأولى، وقد عبّر عن هذا مدير الشؤون الأهلية بمراكش سنة 1939، في تقرير أرسله إلي مجلس البحر الأبيض المتوسط، وكان يترأسه بلوم قائلا : "العبقرية التي أظهرها الحزب الوطني هي أنه استطاع الجمع بين السلفية الجديدة وأحدث الأفكار الثورية".

وإذا كان الوطنيون قد أخدوا على الفقيه، بعض المواقف التي اعتبروها غير موافقة للفكر السلفي الوطني كما يؤمنون به، فإنهم ظلوا يعتبرونه "أستاذ وداعية ومرشدا" ويعترفون له "بالجرأة والتبات الإقدام". ومن بين الأشياء التي أخدوها عليه : قبوله رئاسة مجلس الاستئناف الشرعي الأعلى الذي "انتقده عليه علال الفاسي في مقال لم ينشر" وهذا التعيين الذي اعتبره آخرون "كمناورة فرنسية لإبعاد الفقيه من التدريس في القرويين للتأثير الذي كان له على عقول الشباب"، لم يمنع الفقيه من مزاولة نشاطه الفكري بكلّ حرية. فقد صار ـ زيادة على تنقّله بانتظام إلى فاس لإلقاء دروسه في جامعة القرويين ـ يلقي الدروس في مساجد الرباط وسلا، وكان يثير فيها عدة مشاكل اجتماعية ودينية وسياسية. كما كان يحضر الدروس التي كان أبو شعيب الدكالي يقيمها بين يدي الملك محمد الخامس وكثيرا ما كان كان يدخل في مناقشات عنيفة يتردّد صداها داخل الأوساط في الرباط وفاس. كما عيب عليه مشاركته في سبتمبر 1939 في سلسلة المحاضرات التي جنّدت لها الإقامة العامة بعض كبار العلماء للدعوة إلى مساندة فرنسا أثناء محنتها في الحرب العالمية الثانية واحتلالها من طرف ألمانيا النازية. وقد دشّن الفقيه، بعد أن وجه الملك محمد الخامس نداءا للشعب المغربي لمساندة فرنسا والتطوع للتجنيد لتعزيز الجيش الفرنسي، سلسلة المحاضرات الإذاعية التي نظمت لهذا الغرض، بمحاضرة عنوانها "الوفاء بالعهد"، ذكر فيها الشعب المغربي بأن بينه وبين فرنسا عهداً ومن باب الوفاء بهذا العهد أن لا يسلّم في فرنسا في محنتها. بينما كانت المحاضرات التي ألقاها علماء آخرون بنفس المناسبة على خلاف محاضرة الفقيه تزخر بتمجيد فرنسا وتنعتها بأنها دولة متديّنة وتنعت ألمانيا بالإلحاد والإباحية، وتذكر بأيادي الاستعمار البيضاء على المغرب. ومن بين العلماء من هاجم الحركة الوطنية وصرّح أن الوقت غير موات للمطالبة بالاستقلال. ومنهم من "خصص محاضرته لسبّ محمد بن عبد الكريم الخطابي". وعلى إثر هذه المحاضرة سمّي الفقيه وزيرا للعدل. وهو منصب احتلّه قبله عدة علماء كالفقيه العلامة بلقرشي. ولم يمنعهم ذلك من مقاومة الفرنسيين فيما بعد إذ أن بلقرشي كان من بين المحتجين على الظهير

البربري، وخطب بذلك أمام السلطان محمد الخامس "الذي دمعت عيناه من التأثر". ولكن هذه الانتقادات لم تأخذ في أي وقت من الأوقات شكل صراع حول المبادئ. فقد بقي التقدير والتجاوب بين الفقيه والحركة الوطنية من التوابث لدى الطرفين إلى استقلال المغرب.

وهناك أمثلة متعدّة على هذا التجاوب بين طرفين عمل كل بالوسائل المتاحة له لبلوغ نفس الغاية.

فقد جاء الفقيه محمد بلعربي في إحدى محاضراته بالقرويين وهو يحمل مجلة "الشهاب" الإصلاحية التي كان الإمام عبد الحميد بن باديس يصدرها في القسطنطينة بالجزائر "وعوضا أن يلقي الدرس الذي كان مقرراً قرأ على الطلبة مقالا لعلال الفاسي صادر في المجلة وكان هذا الأخير من بين الطلبة الحاضرين.

وبعد 16 مايو 1930 والموقف الرافض والعلني التي اتخدته الحركة الوطنية من الظهير البربري، والمظاهرات التي نظمتها في جميع أنحاء المغرب، حاول بعض علماء القرويين باتفاق مع الإقامة العامة والإدارة السياسية، أن يوقفوا المحاضرات التي كان علال الفاسي يلقيها في القرويين والتي كانت تستقطب الاهتمام وتثير الحماس ضد الاستعمار. فجمعوا المجلس الأعلى للقرويين لهذا الغرض أكثر من 24 مرة، ولكن "موقف الدفاع الصادق الذي قام به الفقيه حال دون ذلك". كما أن علال الفاسي ومحمد إبراهيم الكتاني كثيرا ما كانا يشيدان بالدور الإصلاحي الذي يقوم به الفقيه، ففي الذكرى الأربعينية لوفاة أبي شعيب الدكالي التي أقيمت بسينما الملكي أشادا كلاهما بالفقيه كعالم سلفي. وهذا الثناء تسبّب للفقيه الذي كان قد خلف أبا شعيب في إلقاء الدروس. بين يدي محمد الخامس، في مضايقات من طرف الصدر الأعظم المقري الذي أثار الموضوع في مجلس الوزراء قائلا "إننا لا نقبل بحال من الأحوال أن يكون بعض الذين هم معنا هنا هم في نفس الوقت معنا ومع أعدائنا. فإما معنا أو مع أعدائنا". ويحكي أن الفقيه ردّ عليه بأنه لو "كان له حق الاختيار لاختار" وفي 11 يناير 1944 حينما تقدم الوطنيون بعريضة الاستقلال لمحمد الخامس وللإقامة العامة وسفارات الدول العظمى آنذاك، أسّس محمد الخامس في 13 يناير لجنة مهمتها التباحث مع الإقامة العامة من جهة ومع الموقعين على عريضة الاستقلال من جهة أخرى للتوفيق بين الطرفين. وكان الفقيه الذي كان وزيرا للعدل آنذاك من بين أفراد اللجنة، إلى جانب أحمد بركاش وزير الأوقاف، و"الترجمان" محمد المعمري، وبعض الباشوات وعلى إثر مشاركته في هذه المفاوضات امتعض من موقف فرنسا المتعنّث من قضية استقلال المغرب، وقمعها للحركة الوطنية وزجّها بالوطنيين في السجون بتهمة التآمر مع النازية، وإقفال المدارس الحرة، وإقفال حتى مدرسة أزرو التي كان الفرنسيون يعتبرونها في حمى من تأثير الحركة الوطنية، وسجن عدد من طلبتها، والحكم بالإعدام على 14 متهمين في الأحداث الدامية التي نشبت في كل أنحاء المغرب، رتنفيذ ذلك في عيد المولد النبوي، فقدم الفقيه استقالته للملك لمحمد الخامس من وزارة العدل، معلنا أنه سئم من لعب دور "الوزيرالقرد". فقررّت الإقامة العامة إبعاده عن الرباط، ونفيه إلى القصابي ثم إلى مدغرة وقد أجاب الملكف بالقبض عليه حينما طلب منه تهييئ ملابسه للذهاب للمنفى "أنا طالب فراشي لبدتي، وغطاءي برنسي، ووسادتي بلغتي "وأضاف" رحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية الذي قال إن كان الموت فشهادة، أو يكن السجن فعبادة، أو يكن النفي فسياحة".

وبعد رجوعه من تافيلالت سنة 1946، لم يتوقف عن إلقاء المحاضرات في المساجد ونشر الأفكار السلفية، وعن التدريس في القرويين، وساند صراحة الحركة الوطنية وصار يختار المواضيع الدينية التي تلتقي مع القضية الورطنية. كما صار "يخطب في المهرجانات الوطنية، ويحضر تدشين المدارس الحرة التي ينشئها الوطنيون" وتمتنت العلاقة بينه وبين زعماء الحركة. ففي سنة 1948، كتب علال الفاسي في جريدة "الإخوان المسلمون" بالقاهرة مقالا بعنوان : "علم من أعلام النهضة الإسلامية" عرّف فيه بالفقيه كقطب من أقطاب السلفية والإصلاح. وقام محمد إبراهيم الكتاني بإرسال المقال إلى العلامة محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر فنشره في جريدة "البصائر" التي كانت جريدة الجمعية. ومما جاء في تقديمه للمقال : "والأستاذ الأكبر الشيخ محمد بن العربي العلوي إمام سلفي وعالم مستقل، واجتماعي جامع وهو في نظرنا أحق برتبة الإمامة من غيره ممن خلع عليهم المؤرخون هذا اللقب ونحن في اخصّ الصفات التي تربطنا به وهي السلفية والإصلاح نجاوز درجة الإعجاب به إلى الفخر والتعاظم". ثم ختم تقديمه قائلا "ولو أن هذه النهضة وصلت في أطوارها إلى كتابة معلمة لرجالها لكان تمامها أن لا يكتب ترجمة بلعربي إلا علال الفاسي".

وبعد تنبيهات متعددة من طرف الدوائر الحكومية والاستعمارية التي كانت تعتبر دروسه في القرويين كلمات من نار"، وتدعوه للتخلّى عن خلط المواضيع الدينية بالحركة الوطنية، قامت السلطات الاستعمارية بإخضاعه للإقامة الإجبارية في إيموزار كندر، ثم في بيته بفاس. كما أن موقفه الشجاع والواضح طيلة ما عرف بالأزمة المغربية وثورة الملك والشعب، التي زعزعت العلاقة بين الإقامة العامة والقصر وخلقت جوا ثوريا في المغرب، أعطاه شعبية في جميع الأوساط المغربية. فقد كان موقفه صارما في قضية العريضة المسماة عريضة 27 التي هيّأها المقيم العام الجنرال جوان بعد فشله في مهمته الرامية إلى "وضع الملك في حالة نوم"، ورفض محمد الخامس التوقيع على تنظيمات سياسية واقتصادية جديدة.

وكان محمد بلعربي من بين العلماء الذين كاتبوا الملك

يستنكرون ما جاء في العريضة كما أرسلوا برقية لرئيس الحكومة الفرنسية يفضحون فيها ما تقوم به الإقامة العامة وما جاء في العريضة المزيفة. وفي غشت سنة 1953 حينما نفت فرنسا محمد الخامس وعائلته إلى كرسيكا ثم مدغشقر، كان الفقيه العالم الوحيد الذي لم يوقع على بيعة بن عرفة. ويحكى أنه حينما طلب منه التوقيع نزع عمامته من فوق رأسه قائلا " هل بعد أن شاب شعري أقوم بتوقيع ما أعتبره غير الحق. وأخون ملكي وبلدي. لن أوقع حتى ولو قطعتهم يدي. "ونادي بالجهاد في سبيل الله. وأفتى بعدم شرعية مبايعة ابن عرفة انطلاقا من المذهب المالكي الذي يقضي بأنه إذا بويع إمامان يقتل الثاني. كما رفض أن يشارك في فتوى وقعها عدة علماء تدين المقاومين بالسلاح، وتبيح الحكم عليهم بالإعدام، فقامت السلطات الاستعمارية بنفيه من جديد إلى تزنيت.

وفي عهد الاستقلال حينما تولي الفقيه منصب وزير التاج إلى جانب لحسن ليوسي والمختار السوسي، قام بدور مستشار للملك. وكان يكلف أحيانا بمهام سياسية لنفوذه المعنوي. ففي سنة 1957 عند ثورة عدي اوبيهي عامل تافيلالت ضد حكومة أحمد بلافريج، أرْسِل صحبة الحسن اليوسي والجنرال بلعربي للمفاوضات معه. وكان اختيار وليّ العهد الذي تكلف بالقضية آنذاك لوجود الملك في الخارج، للفقيه بسبب الاحترام الذي كان يتمتع به في هذه الناحية وتعرّفه حينما كان منفيا في تافيلالت سنة 1944 على عدي أوبيهي الذي كان قائدا في الريش، والذي كان يقدر الفقيه، ويقطع الخمسين كيلو متر التي تفصله عن مكان نفيه ليزوره خفية ليلا. وحاول الفقيه أثناء القيام بمهمّته أن يرجع عديّ أوبيهي إلى الصواب. ولكن هذا الأخير أظهر القوة والتعنث مما دفع الفقيه والوفد المرافق له إلى الخروج من اللقاء دون فائدة. وصرّح الفقيه أمام المسلّحين المتجمعين حول عديّ أوبيهي بأن هذا الأخير يخون بلده وملكه. وقام بنفس التصريح في الإذاعة بعد رجوعه. وبعد اشتداد المعارك بين الجيش وعديّ أوبيهي أرسل الفقيه من جديد صحبة اليوسي والجنرال الكتاني الذي كان مكلفا بالعمليات العسكرية لنفس المهمة ووقع الاتفاق على وقف التمرّد. كما أن الملك يكلفه بمام عائلية. فقد اصطحبه معه مثلا إلى بيروت لخطبة لمياء كريمة الزعيم اللبناني رياض الصلح لابنه الأمير مولاي عبد الله.

وفي سنة 1959 استقال الفقيه من منصبه، وفسّرت استقالته هذه بميوله إلى الحركة اليسارية الناشئة التي انفصلت عن حزب الاستقلال. وقد يكون هذا العطف على المعارضة منبعثا من خلافات الفقيه مع حزب الاستقلال، أو مساندة لفئة من الحركة الوطنية كانت تمرّ من فترة صعبة بسبب تبنيها لأفكار جديدة في مفهوم الحكم. وقد تكون استقالته ناتجة عن ترمه من وضعيته" كمستشار لا يستشار" كما كان يقول. وبعد استقالته رجع إلى بيته البسيط في فاس في طريق إيمزار.

وعند وفاة محمد الخامس سنة 1961 كان هو إمام جنازة الملك الراحل وممن أذى البيعة للحسن الثاني.

ويظهر أن الفقيه لم يعتزل الحياة السياسية بعد تحرره من القيود المخزنية. بل بالعكس. وتدلّ الرسالة التي أرسلها له المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي في أكتوبر 1960 على أنه كان يتتبع نشاط الفقيه، ويؤمن بأنه لازال قادرا على التأثير في الساحة، "كمرشد ومعارض". ولعلّ الرجلين الذين جمع بينهما في شيخوختهما مراراة الشعور بالخيبة مما آلت إليه الأمور كانت لهما رغبة أخيرة في التغيير "ونحن وإن كنّا لم نتعرف عليهم شخصيا نظرا للعوائق التي صنعها المستعمرون إلا أننا قرأنا عنكم كثيراً وعرفنا عنكم الشي الكفيل بمعرفتكم معرفة تتفق ومواقفكم فيما تسدونه من النصائح والإرشادات والتوجيهات لأبناء الأمة المغربية الأبية.

وتتخلّل الرسالة دعوة الفقيه إلى العمل على تغيير الأمور "نؤكّد تأييدنا لكم فيما تقومون به من محاربة الظلم والفساد والطغيان ومجابهة الاستعمار وأذنابه وأبواقه". و"المهم هو أن أن تلهبوا العواطف الكامنة في أبناء الأمة المغربية حتى يجنّدوا أنفسهم بكل ما يملكون لطرد العدوّ الظالم من بلادنا". "فاعلموا ولنعمل جميعا عسى أن ننتشل البلاد من الهاوية" "فالمغرب في حاجة ماسة إلى من ينقده. في حاجة إلى مرشدين إلى موجهين وليس أجدر بكم من هذا الواجب المقدس. فسيروا على بركة الله".

وإذا لم يكن للمؤرخ ما يعتمد عليه لمعرفة مدى تجاوب الفقيه مع الرسالة، فقد أبان في سنة 1962 عن سلوكه طريق المعارضة الواضحة، حينما دعا إلى مقاطعة التصويت على الدستور منطلقا من مبدإ عدم أحقية الحاكم في التشريع، منتقدا الملكية الوراثية ومحللا آراءه في عدة مهرجانات خطابية أقامها الاتحاد الوطني للقوات الشعبية والاتحاد الوطني لطلبة المغرب لمقاطعة الاستفتاء، على عكس حزب الاستقلال الذي نادى بالتصويت بنعم.

ومنذ 1962 ابتعد عن الساحة السياسية ولازم منزله. وكان يقضي وقته في العبادة والقراءة. ويستقبل بعض الأصدقاء المخلصين كمحمد الزغاري وإدريس المحمّدي والمحجوبي أحرضان. ومن حين لآخر يلعب "التّوتي" الذي كام مولعا به فيما قبل حيث كان كلما اجتمع أربعة أشخاص يطلب إحضار "الكارطة" قائلا إن التوتي يشغل عن النميمة والكلام في الناس".

وقد لبى داعي ربه يوم 4 يونيو 1964 ودفن بمسقط رأسه في المداغرة.

ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، مؤسسة علال الفاسي ؛ ع. الكريم غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية*، مطبعة الرسالة، 1987 ؛ م. إبراهيم الكتاني، محمد بن العربي العلوي كما عرفته، استجواب في العلم قام به نجيب الخداري ؛ *روايات شفوية*.

Abdellah Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain 1830 - 1912*, Maspéro, 1977 ; Charles-André Julien, *Le Maroc face aux impérialismes*, éditions J.a., 1978 ; Mohamed Chafik, *Préface de Cheikh al islam*

Mohamed Bel Arbi, Dar Al Kalam, 2003 : Moha Kettouch, *Cheikh Al islam Mohamed Belarbi Alaoui*, Dar Al Qalam, Rabat, 2003.

ثريا برادة

العا **مد بن محمد** (مق . سنة 1927 بزاوية سيد حتار دائرة شيشاوة إقيم مراكش، دفعته غيرته الوطنية إلى الانضمام إلى صفوف المقاومة السرية بالدار البيضاء.

شارك في عدة مواجهات واشتباكات مع القوات الفرنسية إلى أن أصيب خلال إحداها برصاص العدو ونقل على إثرها إلى المستشفى ليلفظ أنفاسه الأخيرة وذلك بتاريخ 30 / 5 / 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 107.

العلوي (مولاي -) **المهدي** بن **إسماعيل** حفيد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن اقترحته الحكومة الاسبانية ليتولى منصب خليفة السلطان المفوض في منطقتي الحماية الإسبانية في شمال المغرب وصحرائه تنفيذاً للفصل الأول من المعاهدة الفرنسية الاسبانية المبرمة بمدريد يوم 27 نوفمبر 1912 والتي وافق عليا السلطان مولاي يوسف بظهير 6 جمادى الثانية 1331 موافق 14 ماي 1913.

وقد حل مولاي المهدي بتطاون يوم 13 أبريل من السنة المذكورة ليتقلد مراسيم السلطة.

وكانت له حكومة تعرف بالمخزن الخليفي يرأسها الصدر الأعظم محمد ابن عزوز ؛ وكان يستعمل المظل في الحفلات الرسمية وله حرس خاص وتقدم له "الهدية" التقليدية كل سنة.

وكانت النصوص التشريعية تحمل طابعه الكبير كما كانت النصوص التطبيقية تحمل طابعه الصغير، في حين كانت القوانين التنفيذية تحمل طابع الصدر الأعظم.

وكان الدعاء لجلالة السلطان في خطب الجمعة يشفع بالدعاء للخليفة مولاي المهدي.

وفي عهد المترجم له عرف شمال المملكة المقاومة المسلحة التي قادها الشريف مولاي أحمد الريسوني والتي تلتها المقاومة التي قادها الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، الأمر الذي جعل الخليفة مولاي المهدي يتعامل مع خمسة من المقيمين الاسبانيين العامين هم الجنرالات ألفاو Alfau ومارينا Marina وخوردانا Jordana وبيرينگير Berenguer وبورگيطي Burguete.

توفي بمدينة سبتة يوم 24 أكتوبر 1923.

م. ابن عزوز حكيم، *الحماية الاسبانية بالمغرب*، (1912 - 1956)، مطبعة المهدية، تطوان، سنة 1958.

محمد ابن عزوز حكيم

العلويون الأسرة الحاكمة في المغرب منذ أزيد من ثلاثمائة وستين سنة، نسبها شريف من أصرح الأنساب، وسببها متصل برسول الله (ص) بأمتن الأسباب، بشهادة كل المؤرخين. أول الداخل منهم إلى المغرب هو الحسن بن قاسم بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن الحسن بن أحمد بن إسماعيل بن قاسم بن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة بنت الرسول محمد عليه السلام. جاء الحسن هذا، المدعو بالداخل، من الينبوع بطلب من حجاج إقليم تافلالت الذين أرادوا أن يتبركوا بسكناه بين ظهرانيهم في رواية، أو استقدموه ليصلح لهم ما كان قد فسد من نخيلهم في رواية أخرى. وكان دخوله سنة 665 / 1266، في العصر الأول من دولة بني مرين الذين اعتنوا عناية متميزة بأل البيت الشريف في المغرب. ولم يلبث الشريف الحسن بن قاسم أن أقام لبيته في تافلالت أمجادا تأثلت جيلا بعد جيل. فإن بركة أولاده وأحفاده ذاعت في الأفاق ولهجت بذكرها ألسن الرفاق حتى صار يتشوف إليهم الخاصة والعامة في كل مكان، ويريد اللواذ بهم أهل الأندلس بعد أن مسك النصارى بمخنقهم فتوسلوا للمولى علي الشريف بأن يهب إلى نجدتهم في القرن التاسع (هـ) / الخامس عشر (م). وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى ما صار للعلويين من الصيت البعيد ومن الذكر الحسن في المغرب، حتى حصل لهم شبه اليقين بأن أمر البلاد سوف يوكل بهم طال الزمان أو قصر. وازدادوا يقينا بذلك عندما تسربت أسباب الضعف إلى الدولة السعدية خلال العقود الأولى من القرن الحادي عشر (هـ) السابع عشر (م). وكان قطب الأسرة يومئذ هو المولى الشريف بن علي المراكشي بن محمد بن علي بن يوسف بن علي الشريف السجلماسي بن الحسن بن محمد بن الحسن الداخل. ولقد رزق المولى الشريف هذا بثلاثة أولاد كانوا من الأفذاذ وممن تقام على كواهلهم الأطواد، وهم المولى محمد (فتحا) والمولى الرشيد والمولى إسماعيل. ومن المولى إسماعيل تنسل باقي ملوك الدولة العلوية إلى يومنا، بناء على الجدول التالي :

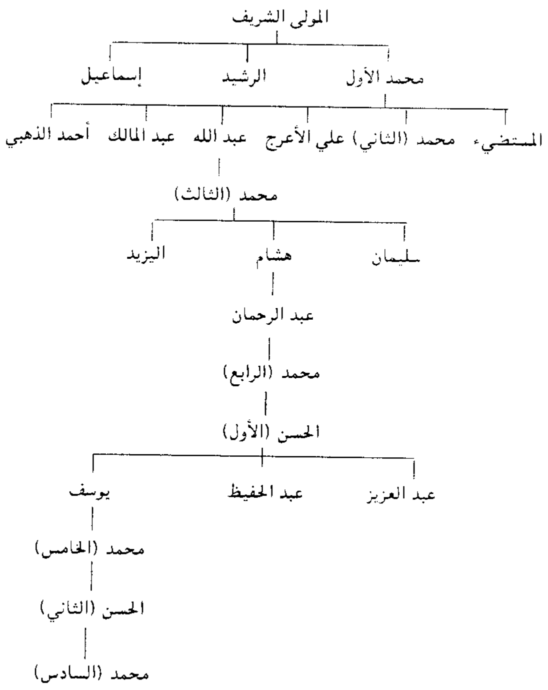

وحيث إن سير هؤلاء الملوك مفصلة في مكانها من هذه المعلمة، باستثناء ملك هذا العصر صاحب الجلالة محمد السادس، فإننا نكتفي بإجمال القول فيما تتميز به الدولة العلوية في تاريخ المغرب منذ أن تربعت على إريكة الملك. فهي الدولة التي أجمع المغاربة على نصرتها وتمسكوا بأهذاب عرشها منذ قيامها سنة 1050 / 1640 إلى يومنا، مفندة بذلك حكم ابن خلدون على تداول الحكم في المغرب بأنه لا يتجاوز أربعة أو خمسة أجيال، من جراء البنية القبلية وما يترتب عليها من العصبيات التي يأكل بعضها البعض. لكن الدولة العلوية تخلصت من هذه الدوامة، ووحدت البلاد والعباد بشكل حال دون أن ينازعها أحد السلطان ما لم يكن من البيت العلوي بالذات. وسبب ذلك أن العوامل الفاعلة في تاريخ المغرب تغيرت منذ القرن العاشر (هـ) / السادس عشر (م) بعد أن صارت التجارة مع السودان بالقوافل عبر الصحراء تميل إلى النضوب بسبب هيمنة الأوربيين عليها بالملاحة عبر المحيط. وكانت تلك التجارة تغذي فيما سبق طموح الراغبين في الملك من أبناء القبائل الصحراوية أو المتاخمة للصحراء. والعلويون آخر من اعتمد ذلك، علما بإن خروجهم من تافلالت جاء دليلا على الحاجة إلى الاستعاضة عن التجارة الصحراوية بفتح باب التجارة عبر الموانئ الأطلسية على مصاريعها. فكأن المغرب مال من شرقه نحو غربه ومن صحرائه إلى شواطئه الأطلسية التي صارت تباشير التغيير منها تلوح ورياح الأخطار الاستعمارية منها تفوح. وقد تعاملت الدولة العلوية مع هذه المتغيرات بتمام الحزم والمرونة، آخذة من التجارة مع الأوربيين ما تحتاج إليه البلاد والدولة، ساهرة في آن واحد على حماية الحمى والذود عن دار الإسلام. ووفقت في تحمل تلك الرسالة، فأخلص الشعب لها والتف حول عرشها. وساعدها على أداء مهامها التاريخية توالي ملوك عظام نافذي البصيرة كرام، يمكن تقسيم عملهم إلى خمس مراحل.

فالمرحلة الأولى هي مرحلة التأسيس الذي قام به أبناء المولى الشريف الثلاثة الأفذاذ. فالمولى محمد (فتحا) هو الذي وضع اللبنات الأولى للدولة في تافلالت وفيما إليها من التخوم الصحراوية الشرقية، وذلك فيما بين 1050 و 1074/ 1640 و 1664. ثم قام عليه أخوه المولى الرشيد وتناول المشعل من يده وطاف به على باقي أنحاء المغرب الذي كانت تتقاسمه العصبيات الدينية والدنيوية، فقضى عليها ومهد البلاد وجدد للدولة سلطانها المركزي، وذلك في أقل من ثمان سنوات من 1074 إلى 1082 / 1664 ـ 1672. ولما توفي فجأة في حادثة فروسية، بويع لأخيه المولى إسماعيل الذي امتد حكمه أزيد من خمس وخمسين سنة، من 1082 إلى 1139 / 1672 ـ 1727، أقام خلالها الدعائم الكبرى للدولة الجديدة مثل جيش عبيد البخاري وجيش قبائل الوداية والنظام الجبائي، فطاعت له جميع أطراف البلاد، وخاطبت الدول الأوربية وده بعد أن جعل حدا لفوضى الجهاد في البحر بأن جعله من اختصاص السلطان.

وتعتبر المرحلة الثانية مرحلة إقرار للدولة وتثبيتا لأركانها، وذلك بشكل سلبي في شوط أول بما جرى من التناحر على العرش بين المتصدرين من أبناء المولى إسماعيل الذين صار يقدمهم ويؤخرهم قواد الجيش الذين تنفسوا الصعداء غداة وفاة المولى إسماعيل فصار الأمر فوضى بينهم. وتداول الحكم خمسة أمراء هم المولى أحمد الذهبي 1139 ـ 1141 / 1727 ـ 1729، والمولى عبد المالك 1140 ـ 1141 ـ 1728 ـ 1729، والمولى عبد الله الذي امتد حكمه من 1141 إلى 1171 / 1729 ـ 1757، علما بأنه أبعد عن العرش أربع مرات على يد المولى علي الأعرج الذي تولى الملك سنة 1147 / 1735 ـ 1736، ثم على يد سيدي محمد بن عريب سنة 1147 / 1736، ثم على يد المولى المستضيء فيما بين 1150 و1152 / 1738 ـ 1740، إلى أن أتى الاقتتال بين قواد الجيش على رؤوس الفتنة، وعم الوهن وتوالت فترات القحط والوباء على الجميع، فاجتمعت الكلمة من جديد على المولى عبد الله إلى أن وافاه أجله. فخلفه ولده سيدي محمد الذي أثبت عهده استقرار الدولة بشكل إيجابي. فإنه أدرك ما كانت البلاد في حاجة إليه من الإصلاح فاتخذ الإجراءات اللازمة، مثلما أدرك أن لا مناص من التعامل مع الدول الأوربية فأبرم اتفاقيات ودّ وتجارة مع كبيرها وصغيرها بناء على مبدأ المصالح المتبادلة. ولما توفي خلفه ولد المولى يزيد الذي كان نزاعا إلى التهور والاتكال على العنف، فلم يتجاوز عهده سنتين، من 1204 إلى 1206 / 1790 ـ 1792. وبويع في الجنوب للمولى هشام، وفي الشمال للمولى سليمان. لكن المولى هشام ما لبث أن تنازل عن الملك للمولى سليمان الذي كان من علماء عصره

فسار في حكمه بسيرة السلف الصالح، ممتنعا عن التعامل مع اللأوربيين الذين علا شأنهم يومئذ علوا منكرا حتى استطاعوا احتلال مصر على يد نابليون بونبارت الذي فكر في احتلال المغرب بعد أن صار إمبراطور فرنسا ودخلت جيوشه البلاد الإسبانية.

ولذلك كانت المرحلة الثالثة هي مرحلة الصمود في وجه الأوربيين الذين صاروا يفكرون في اقتسام ديار الإسلام فيما بينهم، وكانت فرنسا أول من انتزع جزءا منها في الجزائر فأصبحت مجاورة للمغرب من جهته الشرقية. ولم يكن من ملوك هذه الحقبة، وهم المولى عبد الرحمان بن هشام 1238 . 1276 / 1822 ـ 1859، وسيدي محمد 1276ـ 1290 / 1859 ـ 1873 وولده المولى الحسن 1290 . 1311 / 1873 . 1894 إلا أن يتصدوا للغزو الإستعماري بالوسائل العسكرية مثلما جرى في إسلي أمام الجيوش الفرنسية (1259 / 1844) وفي تطوان أمام الجيوش الإسبانية مرة أولى (1276 / 1859) وفي مليلية مرة ثانية (1310 / 1893)، وبالوسائل الديبلوماسية في غالب الأوقات وبالتضريب بين الطامعين، ساعين في آن واحد في ترتيب شؤون المغرب بناء على ما تفاقم من المبادلات مع تجار أوربا.

ولكن تخلف البلاد عن الركب الصناعي وعجز خلفاء المولى حسن عن السير في نهج الصمود حال دون الاحتفاظ بالاستقلال، ففرضت مقررات مؤتمر الخزيرات على المولى عبد العزيز (1311 . 1326 / 1894 1907)، وعقدت الحماية الأجنبية في عهد أخيه المولى عبد الحفيظ (1327 . 1331)، الذي رفض أن يكون سلطانا تحت الحجر، فانتقلت البيعة لأخيه المولى يوسف الذي امتد عهده من سنة 1331 إلى سنة 1346 / 1912 . 1927 وانحصرت مهمته في الحرص على العقيدة الإسلامية وعلى لغة القرآن إلى أن وافاة الأجل المحتوم.

وانطلقت بذلك المرحلة الخامسة التي ما زلنا نعيش لحظاتها المباركة، وهي مرحلة ثلاثة ملوك يعتبرون رموزا للدولة العلوية فهم من كبارها، محمد الخامس (1347ـ 1381 / 1927 ـ 1961)، والحسن الثاني (1381 . 1420 / 1961 ـ 1999) ومحمد السادس ملك هذا العصر مدّ الله في عمره. فمحمد الخامس هو الذي حرر الأرض المغربية من ربقة الاستعمار وهو الذي وضع اللبنات الأساسية للدولة المغربية العصرية المجددة. والحسن الثاني هو الذي ذهب بهذا الجهاد الأكبر إلى أبعد ما استطاع من البناء والإصلاح وفتح آفاق التعليم والتحصيل أمام كافة المغاربة، وهو الذي استرجع الصحراء المغربية، ساعيا في إسماع كلمة المغرب في كل المحافل الدولية وفي توحيد صفوف الشعوب العربية والأمة الإسلامية، مادا يد المساعدة لكل من يحتاج إلى أن يؤخذ بيده عبر المعمور. وقد تقلد هذه الأمانة الكبرى بعد وفاته ولي عهده ووارث سره الملك المنصور محمد السادس حفظه الله، فهو يسير على درب أسلافه الكرام، يبدي من العناية بالإنسان المغربي وبشؤونه المادية والمعنوية ما يبشر بطلائع اليمن والخير والبركات.

إبراهيم بوطالب

ابن **علي**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Benahali.

وبتطوان أسر أخرى تحمل نفس الاسم وهي ليست أندلسية.

ابن **علي، إبراهيم** بن بهي محمد من مواليد 1918 بدوار الركن ايت الخمس أيت باعمران إقليم تيزنيت.

انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1957 بعد خروجه من السجن حيث إنه كان قد سجنه الاستعمار الاسباني بالداخلة من يوم 18 . 11 . 1955 إلى ماي 1956 بسبب سياسي كان من جملة الذين قاموا بعدة عمليات في سبيل تحرير البلاد واسترجاع سيادتها، كما خاض عدة معارك قاسية ضد قواعد الجيوش الاسبانية بآيت باعمران. وقام بدور هام مع الجماعة التي يترأسها حيث حمل رتبة قائد المائة بمقاطعة 10. عرف بتضحيته وإخلاصه لله والوطن والملك. اشترك في عدة معارك إلى أن فاز بشرف الشهادة في معركة املو وذلك بتاريخ 8 . 12 . 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 503163.

ابن **علي، إدريس** من مواليد 1912 بأولاد جلال ارفود. كان وطنيا غيورا شارك في مظاهرة 20 غشت 1955 بوادي زم حيث فر بعدها على متن شاحنة مع مجموعة من المقاومين ليعتصموا بمنزل القائد الضاوي الكائن بدوار أولاد بوغادي بني خيران إلى أن هوجموا من الجيش الفرنسي.

وكان الشهيد رحمه الله من بين من قتلوا رميا برصاص المستعمر يوم 22 غشت 1955 انتقاما لما خلفته حوادث 20 غشت 1955 وقد بقيت جثته إلى جانب جثث الشهداء الآخرين لم تدفن إلا بعد يومين نظراً للحراسة التي ضربت على المكان من السلطات الاستعمارية الفرنسية.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 514518.

علي بن **إسماعيل** الأعرج (السلطان)، هو أحد أبناء المولى إسماعيل الذين وصلوا إلى الحكم لمدة قصيرة في خضم الصراعات التي شهدتها البلاد بين 1727 و1757، والتي لعب فيما جيش العبيد دورا بارزا.

بايعه العبيد باتفاق مع أهل فاس بعد أن سئم الناس سياسة البطش والتقتيل التي سلكها مولاي عبد الله بن

إسماعيل في حق الجيش وغيرهم. وتمت مبايعته يوم 28 ربيع الثاني من عام 1147 (شتنبر 1734)، بعد أن فر مولاي عبد الله باتجاه الجنوب. وقد لعب قائد العبيد سالم الدكالي دورا أساسيا في حمل مولاي علي إلى الحكم، وظل طوال عهده الآمر والناهي الحقيقي. وكان مولاي علي بسجلماسة وقت فرار أخيه عبد الله باتجاه مراكش، فبعث إليه العبيد ليأتي إلى الغرب، وتلقوه صحبة أهل فاس بمدينة صفرو حيث بايعوه. وعندما استقر بمكناس وفرق على الجيش ما وجده ببيت المال احتاج إلى ما يقوم به أمور الدولة، فلم يجد إلا أم السلطان مولاي عبد الله خناثة بنت بكار، فاستولى على أموالها وأودعها السجن هي وحفيدها سيدي محمد لكي تُقر بما اتّهمت بإخفائه. وكان مولاي علي قد وعد بعدم قبض المكوس والاكتفاء بالزكاة والعشر، لكن سنة 1148 (1735 - 1736) كانت سنة جفاف وقحط وغلاء في الأسعار فقلت مداخيل بيت المال، خاصة وأن حكمه لم يكن يتعدى المناطق المحيطة بمكناس.

ويذكر أبو القاسم الزياني أن مولاي علي الأعرج جهّز في أواخر سنة 1148 / ربيع 1736 حملة ضد آيت أومالو وبرابرة الأطلس إذ كانوا شيعة أخيه مولاي عبد الله. إلا أن هذه الحملة اتخذت شكل مغامرة خاسرة، إذ تربص أيت أومالو حتى توغل جيش العبيد داخل الجبال فأحاطوا بهم من كل جهة وجردوهم من الخيل والسلاح وردوهم على أعقابهم. ولما دخل مولاي علي عاصمته طالبه العبيد بالراتب والكسوة والسلاح فلم يجد ما يعطيهم.

وأمام هذه الوضعية العسيرة التي عجر فيها مولاي علي عن تحمل أعباء الدولة تحسنت في المقابل حظوظ أخيه مولاي عبد الله الذي رجع من الجنوب واستطاع أن يعود مرة أخرى إلى عاصمة الحكم، بعد أن خلع العبيد مولاي علي في آخر ذي الحجة 1148 / 11 مايو 1736. ولم يكن بوسع مولاي علي إلا الفرار بنفسه شرقا ليستقر عند عرب الأحلاف الذين استضافوه وآووه لعدة سنين. ولما تبين إعراضه عن الملك سمح له مولاي عبد الله بالرجوع إلى الغرب والاستقرار بمكناس عام 1169 / 1755. 1756. ولم يلبث بها طويلا حتى ضيّق عليه العبيد وشكوه إلى السلطان الذي بعثه إلى تافيلالت حيث بقي إلى أن توفي.

الزياني، *الروضة السليمانية*، مخطوط 1275، خ. ع، الرباط ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، الرباط، 1986 ؛ م. الطيب القادري، *نشر المثاني*، الجزء الثالث، الرباط، 1986.

محمد المنصور

علي (الحاج -) من الرياس الأوائل العاملين في مرسى سلا الجديد قبل فترة الديوان، استولى في أكتوبر 1624 / 1034 في أنحاء رأس فينيستير على بعد خمسة عشر فرسخا من الساحل الفرنسي على سفينة هولندية قادمة من إيطاليا ببضائع مقدرة بحوالي ثمانية ألف فلورين يقودها القبطان أوونت هنرييز (E. Henricxz)، وأجبره هو وأحد بحارته بالتعذيب والتهديد على الإقرار بعودة ملكية الشحنة للفرنسيين، قصد إضفاء المشروعية على الغنيمة.

S.I.H.M., Ie série, Pays-Bas, T. IV, p. 74.

حسن أميلي

علي، رايس من الرياس العاملين تحت إمرة أمير البحر موراطو رايس خلال المرحلة الأولى من الجهاد البحري الأندلسي. وقد اضطرته ظروف الطقس في نونبر 1625 / 1034 إلى اللجوء بسفينته إلى أحد موانئ الأقاليم المتحدة، حيث قدم الفرنسي نافيو (Navio) اعتراضا بخصوص ملكيته الأصلية للسفينة، مما أجبر السلطات الهولندية على مصادرتها، إلى حين إدلاء الرايس المذكور بما يثبت شراءه لها في سلا، وأثناء ذلك كان طاقمه من العلوج قد تعرضوا لمضايقات من السلطات الهولندية، اضطر معها السفير المغربي يوسف بسكاينو إلى التدخل من أجل تسريح الطاقم والسفينة في مارس الموالي ؛ ولربما واصل نشاطه الجهادي بعد ذلك التاريخ، حيث تشير الوثائق الفرنسية لسنة 1041 / 1631 إلى وقوف علي رايس خلف المحنة التي تعرض لها شاب فرنسي في مدينة سلا.

S.I.H.M., Ie série, France, T. III, p. 371 ; T. IV, p. 98 - 118 - 119.

حسن أميلي

ابن **علي، الرباطي** أحد الوجوه البارزة في فضاء التشكيل المغربي، حيث يعتبر الرائد الأول في هذا المجال. وقد اهتم النقاد المغاربة والأجانب بأعماله واعتبروها نقطة انطلاق الفن التشكيلي بالمغرب فضلا عما تكتسيه من أصالة وأهمية تاريخية.

ولد محمد بن علي الرباطي بمدينة الرباط سنة 1861 وعاش بها فترة الصبا والشباب ثم رحل إلى مدينة طنجة بحثا عن عمل، وقد تأتي له ذلك فاشتغل لأول مرة كطباخ عند الرسام البريطاني الشهير جون لوڤري الذي تعلم على يده فن الرسم وسر الصباغة الحديثة.

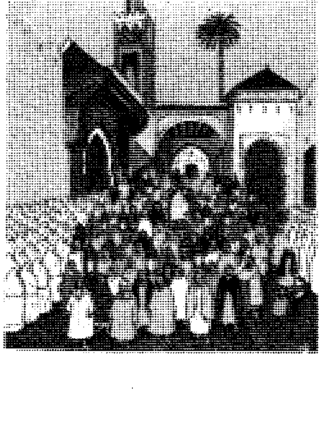

بدأ محمد بن علي الرباطي محاولاته الأولى المحتشمة يرسم مظاهر الحياة اليومية المغربية بأسلوب مجرد بسيط وألوان شفافة تنم عن عفويته الفطرية إلا أنه استطاع أن يجسد أحاسيسه وانطباعاته بصدق وتلقائية.

نظم أول معرض له بلندن سنة 1916، وفي سنة 1919 أقام معرضا آخر بمرسيليا ضم عددا من اللوحات التي تعبر عن عادات وتقاليد أهالي طنجة.

وفي سنة 1922 نظم معرضا بقصر المامونية بالرباط تحت إشراف المدير العام الفرنسي للفنون الجميلة الأهلية (ريكاد) وبعد أن أخذت أعماله تجد صداها خارج حدود المغرب عملت سلطات الحماية الاسبانية على الحد من نفوذه الفني وألحقته سنة 1922 بالطابور الاسباني الثاني كجندي بسيط، وفي نفس الوقت يعمل كجندي الإطفاء. وإثر تسريحه من الخدمة العسكرية التحق ببنك (بلباو بطنجة) كموظف وعاد بعد ذلك ليمارس هوايته الفنية.

وفي سنة 1933 خصصت له قاعة دائمة بقصر رياض السلطان بطنجة يرسم فيها ويعرض لوحاته الزيتية وفي هذه الفترة استطاع أن يلحق عددا من لوحاته بمتاحف باريس ولندن وستوكهولم.

ومن الشخصيات التي اقتنت لوحاته : (السلطان المولى عبد العزيز - الدوق تيمور وسفير انجلترا بطنجة - وسفير الولايات المتحدة الامريكية والميليونيرة (باربارا هاملطن) وعدد كبير من الشخصيات الوطنية والدولية.

توفي محمد بن علي الرباطي بطنجة يوم 13 غشت 1939 عن سن يناهز 78 سنة.

محمد بلعربي

علي بن **عبد الرحمان** بن هشام العلوي (الأمير) كان له ذكر بين أهل العلم بمراكش خلال العقود الأخيرة من القرن الثالث عشر الهجري (19 م). لا نكاد نعرف شيئا عن تاريخ ومكان ولادته. نشأ في كنف والده وتحت رعايته.

ما كاد الأمير علي بن عبد الرحمن ينهي المراحل الأولى من التلقين والتعليم حتى بدأت مخايل النجابة والميل إلى التعليم تلوح عليه، فكان يعرض عما يشتغل به أقرانه من اللعب واللهو ويميل إلى قراءة ما يقع بيده من كتب، فكان يحفظ بعض المقطعات الأدبية والنصوص الفقهية، وقد تنبه السلطان مولاي عبد الرحمان إلى رغبة ابنه وعدد من إخوانه في التعلم والاستفادة فحشد إليهم عددا من نبهاء الفقهاء والعلماء الذين يساعدونهم على تنمية مواهبهم وصقل قرائحهم من أمثال أحمد بن الكبير العمراني، وأحمد بن مبارك الرحماني وغيرهم. وقد تخرج علي بن عبد الرحمان فقيها مشاركاً وعالماً يجول في شتى الفنون والعلوم، وعلى هذا حلاه الفضيلي بالفقيه العلامة وصنفه من الجهابذة الأمجاد والسراة الأنجاد. استوطن الأمير علي بن عبد الرحمان العلوي مدينة مراكش بحي الكتبيين، فتحول بيته إلى قبلة لشيوخ العلم من أهل مراكش من أمثال الفقيه مولاي أحمد بوغربال والأديب محمد الكنسوسي، والعلامة السباعي بالإضافة إلى الفقهين أحمد العمراني وأحمد بن مبارك الرحماني، فكان النقاش لا يكاد يهدأ في المسائل الفقهية، حتى يمتد للقضايا اللغوية والأدبية، ناهيك عن المطارحات الأدبية التي كانت ترتج بها جنبات المجلس، فاكتسب الأمير علي بن عبد الرحمان ملكة عالية في إدارة الكلام في العلم والمذاكرة. ولم تكن هذه المجالس العلمية الخاصة، تمنعه من الاستزادة في طلب العلم، فكان يحضر بين العشاءين صحبة أخويه العباس والرشيد دروس الطالب بن الحاج في *صحيح البخاري* بجامع بن يوسف. ويظهر أن الأمير علي بن عبد الرحمان العلوي كان يتذوق الشعر فقد كان يهتز طربا لقصائد المدح التي كان يلقيها بين يديه الأديب محمد الكنسوسي وغيره من شعراء مراكش.

وفي سنة 1274 هجرية، وجه السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام بعض أبنائه إلى الحج من بينهم الأمير مولاي علي، وبعد عودتهم سنة 1275، خرج أهل مراكش لاستقبالهم وكان "يوم لقائهم يوماً مشهوداً ...

كان الأمير مولاي علي يهتم بتجميع الكتب، ويبذل النفيس في اقتنائها، ويبعث إلى الآفاق بجلبها واستنساخها فكون "خزانة قيمة وحيدة في نفائسها وتعدد مجلداتها في شتى الفنون".

ونستفيد من بعض الوثائق المحلية بوادي درعة، أن الأمير مولاي علي بن عبدالرحمان، كانت تربطه علاقات طيبة ببعض فقهاء وأعيان الوادي، فقد ورد في إحدى رسائله إلى الفقيه يوسف ابن لحبيب حاجي ما يلي : "وبعد فقد وصلنا كتابك وفهمنا مضمنه وصارمنا على بال، ووصل ما بعثت به من المعدن وإلي الآن لم يحصل تجريبه وإن قدمت إن شاء الله لحضرتنا واصحب معك منه رطلا أو ما تيسر ليقع فيه الاختبار بارك الله فيك .. وقد وصلت السلة من التمر هدية أخلف الله عليك خليفة الخير .. وفي سابع ربيع الثاني عام 1288".

ويظهر مما ورد في هذه الرسالة أن الأمير مولاي علي بن عبد الرحمان كان يهتم، فيما يهتم به باستخلاص المعادن والبحث عن مكامنها. أما الرسالة الثانية، فقد وجهها الأمير إلى نفس الفقيه يستعجله بإرسال كتاب أساس البلاغة للزمخشري لاستنساخه وإعادته إلى صاحبه وهو قاضي درعة في وقته محمد بن محمد العربي حاجي.

توفي علي بن عبد الرحمان العلوي في زمن غير معروف في نهاية القرن الثالث عشر الهجري أو في مطلع القرن الرابع عشر.

ع. المراكشي، *الإعلام*، ج 2 ـ 9 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 5 ؛ الفضيلي، *الدرر البهية*، ج 1، ط 1999 ؛ *وثائق محلية من درعة في حوزة الكاتب*.

أحمد البوزيدي

ابن **علي، عبد السلام** بن الحاج محمد، ولد سنة 1920 بدوار امسيتا ملحقة بني عمارت إقليم الحسيمة من أبويه الحاج محمد بن علي ويامنة.

نشأ وسط عائلة متواضعة الحال، كان يمتهن الفلاحة بمسقط رأسه وما إن سمع بنداء الوطن حتى بادر إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير غداة تأسيسه بشمال المغرب وذلك سنة 1955.

عمل ضمن الوحدة التي كانت تحت قيادة الحسن الزكريتي. وقد عرف بين رفاقه بالإخلاص والتفاني في العمل من أجل الدفاع عن مقدسات الوطن، إذ شارك في عدة معارك أبلى فيها البلاء الحسن إلى أن استشهد رحمه الله بعد إصابته برصاص المستعمر سنة 1955 بمركز بوزينب.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520836.

ابن **علي، عبد الله** ولد سنة 1906 باداي ادياكو قبيلة صبوية دائرة افني إقليم تيزنيت.

شارك الشهيد في صفوف جيش التحرير ضمن التشكيلة التي كانت تحت إمرة الملالي وكافح بإخلاص من أجل تحرير البلاد واشترك في معركة أصدر التي استشهد فيها وذلك بتاريخ 14 / 11 / 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 503176.

ابن **علي، علي** من أبرز رياس الجهاد البحري بسلا الجديد وأولهم شهرة، كان في سنة 1622 يعمل لحساب قائد القصبة فاضل الزعروري، حيث تمكن في شهر أكتوبر من تحقيق غنيمة هولندية ثمينة متمثلة في سفينة القبطان غريث فارنيرز (G. Warnaersz) قادمة من موسكوفيا ببضائع قدرت قيمتها بحوالي مائة وستين ألف فلورين.

S.I.H.M., 1e série, Pays-Bas, t. III, p. 269.

حسن أميلي

ابن **علي، علي** فقيه كان يزاول خطة العدالة من سنة 1116 إلى سنة 1154 (1704 ـ 1741). وقد برز منهم : ابن علي أحمد تطواني سقط أسيرا بيد الفرنسيين سنة 1667 حيث كان يحمل رقم 102 وقد توفي بمستشفى مدينة طولون الفرنسية يوم (28 أكتوبر 1706). ابن علي أحمد بن محمد فقيه زاول خطة العدالة سنة 1275 إلى سنة 1279 (1859 ـ 1863). ابن علي قاسم تطواني كان أسيراً بفرنسا مند سنة 1119 (1707) وكان يحمل رقم 7390 وكان لايزال بفرنسا عام 1139 (1727). ابن علي محمد العربي فقيه كان يتعاطى خطة العدالة سنة 1134 (1721).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

علي بن **عمر** بن إدريس الأزهر بعد وفاة إدريس الأزهر وزع الأمير محمد بن إدريس مناطق المغرب على إخوته، وكانت قبائل صنهاجة وغمارة والساحل من نصيب أخيه عمر الذي وسع نفوذه على حساب أخويه عيسى والقاسم فملك من سبتة إلى إقليم تامسنا، وتوفي سنة 220 / 835 في حياة أخيه محمد الذي عين مكانه ابنه علي. وظل علي يقوم بمهام إمارته إلى أن حصلت حادثة صهره أمير فاس يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس، فاستدعته ابنته عاتكة زوجة يحيى عندما ثار العامة على زوجها وتوفي حسرة على ما فعله، واستقل عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي بالمدينة. وحتى لا تخرج فاس من أيدي الأدارسة زحف علي بن عمر بن إدريس إلى فاس بجيوشه وأخمد الثورة القائمة فيها، وبويع بها سنة 252 / 866، وبذلك انتقل حكم الأدارسة بفاس إلى أبناء عمر بن إدريس.

بعد بيعة أهل فاس لعلي بن عمر ودخولهم في طاعته، أطاعه أهل المغرب قاطبة فخطب له على جميع منابره، واستقر الوضع لصالحه مدة إلى قامت ثورة بزعامة عبد الرزاق الفهري، الذي كان خارجياً صفرياً، بجبال مديونة من أعمال فاس، فتبعه أهل قبائل مديونة وغياثة وغيرهم. وبنى قلعة منيعة ببعض جبال مديونة وسماها وشقة باسم بلده بالأندلس. ثم بدأ في تهديد ممتلكات الإمارة الإدريسية فزحف إلى صفرو ودخلها وبايعه أهلها توجه نحو فاس بمن تبعه، وخرج إليه الأمير علي بن عمر بن إدريس بعسكر ضخم، وبعد مواجهات عنيفة انهزم جيش الأدارسة، وفر أميرهم علي بن عمر إلى بلاد أوربة، ودخل عبد الرزاق الفهري إلى فاس واستقر بعدوة الأندلسيين حيث خطب له بها، لكن أهل عدوة القرويين امتنعوا عن الدخول في طاعته، وبعثوا إلى أمير إدريسي آخر هو يحيى بن القاسم بن محمد بن إدريس، المعروف بالعدام. ولم تذكر المصادر شيئاً عن مصير علي بن عمر بن إدريس.

ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب*، الرباط، الرباط، 1973 ؛ ابن الخطيب، *إعلام الأعلام*، ؛ البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب* ؛ الناصري، *الاستقصا*، 2، طبعة، 2001.

محمد المغراوي

ابن **علي، عيسى**، ولد سنة 1934 ببوعرفة من أبويه علي بن عيسى ومباركة بنت بورحلة.

من أجل تحرير البلاد واستكمال وحدتها الترابية انخرط الشهيد عيسى ابن علي في صفوف جيش التحرير ضمن فرقة فهمي بلعيد بمركز واد الكحل تحت قيادة أحمد لعور سنة 1957.

وقد كان الشهيد مثالا للرجل المناضل في سبيل تحرير وطنه نشيطا في عمله معروفا بغيرته الوطنية مستعدا للتضحية والاستشهاد، حيث شارك في عدة عمليات هجومية ضد العدو أبان فيها عن شجاعة بطولية. وواصل

عمله هذا بكل إخلاص وتفان إلى أن استشهد رحمه الله في إحدى الاشتباكات مع العدو بجبل الكروز وذلك سنة 1958 واهبا روحه في سبيل الحرية والكرامة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 511121.

ابن **علي، محمد**، ولد سنة 1938 بالرباط. التحق بصفوف المقاومة السرية المغربية منذ مارس 1954، وعمل ضمن منظمة "الهلال الأسود" تحت مسؤولية محمد بن إدريس ـ وقد شارك في عدة عمليات منها :

الاشتباك مع دورية من الحرس المتنقل بكريان كرلوطي بمشاركة محمد بن إدريس ـ ثم شارك في عملية اغتيال بوشعيب النجار بالبلدية، ثم الهجوم على حراس المقدم خربوش بدرب كرلوطي، ووضع قنبلة في محل للخمر، وإحراق دكان لبيع الدخان.

أستشهد في اشتباك مع قوات الأمن الفرنسية يوم 14 نوفمبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524217.

علي بن **محمد** بن **إدريس** الأزهر يلقب بحيدرة، عهد إليه أبوه بالإمارة في حياته، وبويع يوم وفاته سنة 221 / 836 وسنه قد تجاوز تسعة أعوام بقليل، ولا ندري من الذي تولى شؤون الدولة في انتظار رشده، لكن يظهر أن الدولة كانت في إقبال مما سهل مهمة أوصيائه من العرب والبربر حتى كبر. أثنى المؤرخون على مدة إمارته التي سار فيها على خطى "أبيه وجده في العدل والفضل والدين والحزم وإقامة الحق وتأمين البلاد وقمع العداء وضبط البلاد والثغور" (*الأنيس*، 53). وإلى علي هذا ينتسب الشرفاء العلميون والوزانيون.

توفي سنة 234 / 849، وقد تجاوز العشرين من عمره بقليل بعد حكم دام 13 سنة. وخلفه أخوه يحيى بن محمد بن إدريس.

ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، 2 : 459 ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب*، 53 ؛ ابن الخطيب، *إعلام الأعلام*، ص. 207 ؛ الناصري، *الاستقصا*، 2 : 47، طبعة، 2001.

محمد المغراوي

ابن **علي، محمد** بن **عبد المجيد**، ولد سنة 1916 بدوار تزركان دائرة غفساي إقليم تاونات. كان يشتغل بالفلاحة لكن ما ان وصل جيش التحرير إلى المنطقة حتى بادر إلى الانخراط في صفوفه بدافع الغيرة على الوطن بتأثر من الممارسات العدوانية التي كان يمارسها المستعمر ضد المغاربة.

وقد خاض المرحوم عدة معارك ضد العدو تحت قيادة محمد ولد علي المكناسي كمعركة سيدي المخفي والقلعة ومعركة أغدير الزرقاء وأخيراً معركة اغدوسة التي استشهد خلالها حيث أصابه رصاص العدو، وكان ذلك سنة 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520874.

ابن **علي، محمد** بن **محمد** بن **محمد** (ثلاثاً) الدكالي السلوي، المؤرخ الشهير، والمؤلف الكبير. ينسب إلى جده الثاني علي بن أحمد. من قبيل دكالة الهلاليين الذين أُخرجوا من ديارهم منذ مطلع القرن العاشر (16 م) حين داهمتهم جيوش الاحتلال البرتغالي، فخرجوا إلى سلا وفاس ومكناس وغيرها من حواضر الشمال.

ولد سنة 1285 / 1868 بمدينة سلا وبها نشأ وتعلم وحفظ القرآن الكريم ثم درس أمهات كتب الفقه والأصول والحديث واللغة والأدب على شيوخ المدينة أمثال إبراهيم ابن الفقيه الجريري، وعبد الله ابن خضرا، وأحمد بن خالد الناصري الذي حبّب إليه التاريخ، وفي سنة 1303 رحل إلى فاس في طلب العلم حيث مكث خمس سنوات للتوسع في الدراسات العليا، وكان من أبرز شيوخه هناك أحمد بن الخياط الزكاري، والتهامي كنون ومحمد بن جعفر الكتاني. ولما رجع إلى مسقط رأسه اشتغل بالتدريس والعدالة والكتابة لعامل المدينة، ويرجع اتصاله بحكومة المخزن إلى كتابه *السراج الوهاج والكوكب المنير، من سنا صاحب التاج، مولانا الحسن الأمير*، في موضوع الفيل الذي أهدته الحكومة البريطانية إلى الحسن الأول عام 1309 / 1891، وهو من أول مؤلفاته، فاستُدعي للكتابة بمصالح المخزن المركزية، وكذلك كتابه *الإتحاف الوجيز* في أصول سكان العدوتين سلا والرباط الذي ألفه سنة 1313 / 1896 وأهداه للسلطان عبد العزيز وكتابه *إتحاف أشراف الملا ببعض أخبار الرباط* وسلا الذي ألفه سنة 1329 / 1911 وأهداه للسلطان عبد الحفيظ. نال المترجم عن هذه المؤلفات مكافآت مالية سخية وظهائر الاحترام والتوقير، وتمتنت صلته بالمخزن، واشتهر ذكره في الأوساط العلمية والتاريخية لدى المغاربة والأجانب، وأصبح بيته القريب من الجامع الأعظم مقصد كبار المستشرقين من أمثال ماسينيون وميشوبلير، وليڤي برڤنصال، يستفيدون من تحقيقاته وينوهون به في كتبهم وبحوثهم.

عُرف عن المترجم شغفه بالبحث والتنقيب والتأليف، لا يكتفي بما يقرأ في الكتب والرحلات وإنما يطلع أيضاً على ما بيد بلديّيه من ظهائر ورسوم وتقاييد، ويقضي أوقاتاً بين أطلال المواقع الأثرية والمقابر يقرأ ما كتب على شواهدها ويستخرج من ذلك كله مادة جديدة مفيدة موثقة عن ماضي سلا وسكانها وأصولهم وعلاقاتهم بالبوادي المجاورة والحواضر الأخرى خاصة الأندلس. وقد ناهزت مؤلفاته الثلاثين، إلا أن كثيراً منها ضاع بعد وفاته ولم يبق معروفاً إلا أسماؤها أو نُقولٌ عنها أثبتها في كتبه الأخرى، من مؤلفاته :

- *أدواح البستان في أخبار العدوتين ومن درج بهما من الأعيان*، في أربعة أجزاء، وهو أهم مؤلفاته وأوسعها قال عنه : ! "وهو كتاب كبير جمع فأوعى وجمع الغث والسمين، والأجاج والمعين، به من أسماء رجال العدوتين ومن له تعلق بهما من الأفاقيين الذين زاروهما واستوطنوهما في وقت من الأوقات ما ينيف على ألفي ترجمة لعلمائها وصلحائها وأدبائها ولملوكها ورجال الأسطول البحري الأندلسي السلوي والعلوي السلوي، ودعت الضرورة إلى البحث عن أول ما يعرف من تاريخ عمارتها القديمة من عهد الفنيقيين والقرطاجيين والرومانيين في الدولة الأولى الغربية والثانية البيزنطية الشرقية، إلى أن دخل الإسلام افريقية والمغرب الأقصى، وتطرق البحث في آثارها إلى الكلام على الحياة بها قبل عصر التاريخ للعثور على ما يدل على ذلك من آثارها الفطرية الساذجة، وجاء جرمه في أربعة أجزاء ضخنة ... والعمل فيه مستمر إلى الآن عام تسعة وخمسين وثلاثمائة وألف". الشائع أنه بعد وفاة المؤلف طلب محمد الخامس من ولده عمر ابن علي أن ياتيه بمؤلفات والده، فحمل إليه في جملة ما حمل هذا الكتاب بخط المؤلف وقدمه إليه وهو يومئذ في قصر دار السلام بضاحية الرباط، ومن يومئذ انقطع خبره، ولم يقع العثور عليه ضمن كتب الخزانة الملكية المجموعة بجوار القصر الملكي بتواركًة.

- *ضوء النبراس في مجالس فاس، أوفي محاسن مدينة فاس*، كتبه حين كان طالباً بفاس فيما بين سنة 1303 و1308 وفيه إنشادات لبعض شيوخه الفاسيين وتعليقاته. ولعله أول مؤلفاته.

- *انساب سكان العدوتين*، جعله ستة أقسام : 1) أنساب لم تبق معروفة إلا في الرسوم والتآليف. 2) أنساب مشرفة على الانقراض. 3) نسبة إلى المدن والقبائل والحرف والصنائع. 4) نسبة إلى المصغّر ومادخله النحت والحذف. 5) الأنساب الأندلسية الباقية على أصلها. 6) الأنساب إلى التحريف الإسباني الطارئ في عهد فيليب الثاني. وقد تُرجم الكتاب إلى الفرنسية من طرف المجمع العلمي بطنجة برآسة ميشوبلير.

- *الدرة اليتيمة في أخبار شالة الحديثة والقديمة*، ألفه بطلب من المستشرق الفرنسي دوزي.

- *تاليف في أحوال السكك الإسلامية* التي كان التعامل بها قديماً بالمغرب إلى العهد الحاضر، ألفه حين كان موظفاً بالبنك المخزني مع الأمين محمد بن عبد الهادي زنيبر.

- *رسالة في أخبار بناء جامع حسان بالرباط*، وصفه وصفاً دقيقاً بالمساحة والتقدير وعدد أبوابه وأعمدته وحالته الأولى وما طرأ عليه من خراب وأسبابه.

- *رسالة في تاريخ المغرب في القديم والحديث* من زمان الفنيقيين والقرطاجيين والرومان ثم الفندال والغوط والإسلام.

- *تأليف في الحسبة في الإسلام*، مشتمل على أحكام الحسبة وأحوال المحتسب مع أهل الحرف والأعمال والصنائع والتجار والباعة، ألفه باقتراح من الوزير الصدر.

- *تآليف في أحوال اليهود قديماً وحديثاً بالمغرب*.

- *ضوء النبراس لدولة بني وطاس*، إلى غير ذلك من الرسائل والمنظومات في موضوعات شتى غير تاريخية.

توفي بسلا يوم الجمعة 6 جمادى الثانية عام 1364 / 18 ماي 1945. ودفن بالزاوية القادرية.

م. ابن علي الدكالي نفسه، *الإتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 1996 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / سل النصال / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9 : 3188 ـ 3197 ؛ ع الله الجراري، *من أعلام الفكر*، الرباط، 1971، ج 2 : 177 ـ 182.

محمد حجي

علي بن **مسعود** من الرياس المشارقة الذين وفدوا إلى المغرب للعمل في صفوف أسطول سيدي محمد بن عبد الله، وقد كان قبل سنة 1186 / 1772 على الأقل لم يصل بعد إلى مرتبة متميزة ضمن الطائفة، حيث لم تسند إليه قيادة السفن حتى حدود ذلك التاريخ. وقد حصل بعد ذلك على وضعية متميزة ضمن طائفة الرياس، وكان من بين المنعم عليهم بوسام الياتاغان.

ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 3، ص. 261.

حسن أميلي

ابن **علي، مولاي صالح** من مواليد سنة 1920 بآيت بوحماد إقليم خنيفرة. في الذكرى الثانية لنفي رمز الأمة جلالة المغفور له محمد الخامس عرفت مختلف أقاليم المملكة انتفاضات عارمة كانت مدينة خنيفرة إحداها.

وقد كان الشهيد مولاي صالح بن علي من بين الذين خرجوا إلى الشارع للتعبير عن سخطهم ورفضهم للاستعمار وأساليبه القمعية.

وخلال هذه الانتفاضة أبان الشهيد عن روح نضالية صادقة حيث كان يقوم بإحراق وإتلاف مصالح المستعمر مستعملا بعض المواد المتفجرة، واستمر في كفاحه هذا إلى أن استشهد رحمة الله عليه برصاص قوات الاحتلال التي تدخلت بالسلاح لتفريق المتظاهرين، وذلك بتاريخ 20 غشت 1955 مضحيا بروحه في سبيل الحرية والكرامة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 512823.

ابن **عليات، محمد**، ولد سنة 1928 بالشبيكة. وهو من أولئك المواطنين الافذاذ الذين اختاروا الكفاح المسلح ضمن جيش التحرير، حيث التحق به في فاتح مارس 1957 بالمقاطعة التاسعة بمركز تافودارت تحت قيادة صالح بن عسو الجزائري. وقد برهن هذا البطل الشجاع عن قدرة كبيرة في النزال بميدان الشرف من أجل تحرير الوطن واسترجاع الحرية

والكرامة، فخاض الجهاد بروح وطنية يقودها الإخلاص والإيمان الصادق.

ومن المعارك التي شارك فيها الشهيد البطل معركة الدشيرة الشهيرة التي خاضها جيش التحرير المغربي ضد المستعمر الغازي بعيون الساقية الحمراء، هذه المعركة التي كتبها جيش التحرير بمداد من الفخر والاعتزاز والتي حشدت لها قوتان كبيرتان فرنسية وإسبانية فيما عرف بعملية التمشيط الكبرى المتعارف عليها بعملية ايكوفيون، والتي لقن فيها المجاهدون للعدو درسا في الحرب لن ينساه وإبان هذه المعركة استشهد بطلنا وذلك سنة 1958.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 501114.

عليلش، محمد بن قاسم المراكشي، وهذا هو اسمه الصحيح كما نجد في توقيعه لرسالة بعثها إلى العلامة الوزير اليحمدي مؤرخة بعام 1114، وفي بعض رسائل السلطان المولى إسماعيل. وهو ما عند معاصره مصباح الزرويلي، خلافا لما سماه به الناصري في الاستقصا، ولا ندري من أين وقع هذا الخلاف في تسميته حيث ذكر غالب من ترجم له تسميته بأبي حفص عمرو.

ينتسب إلى بيت شهير بمراكش حيث كان والده كاتبا عند السلطان أحمد المنصور الذهبي ومع من جاء من بعده من أبنائه. لا نعرف تاريخ ولادته ولا شيئا عن دراسته والمهن التي زاولاها قبل التقائه بالسلطان مولاي إسماعيل، لكن يظهر أنه كان يعرف القراءة والكتابة مع أصول الخدمة المخزنية، فقد اتصل بالسلطان مولاي إسماعيل في قصة مشهورة عند دخوله لمراكش عام 1084 / 1673. وأطلعه على دفتر فيه جرد لأسماء العبيد الذين كانوا في عسكر السلطان المنصور الذهبي، ويظهر من خلال الفارق الزمني بين وفاة أحمد المنصور عام 1012 والسنة التي عرض فيه هذا الدفتر عام 1084 هو ما يفوق 70 سنة بأن الأمر لا يتعلق بأفراد وإنما بأسر كانت في الجيش السعدي، لذلك سأله السلطان مولاي إسماعيل هل بقي أحد منهم ؟ فأجابه عليلش : نعم كثير منهم ومن أولادهم وهم متفرقون بمراكش وأحوازها وبقبائل الدير، فكلفه السلطان بجمع العبيد وكتب له كتابا إلى القواد لإعانته وشد عضده. وقد تمكن في سنة واحدة من جمع ثلاثة آلاف من العبيد والحراطين. بل تجاوز مهمته وجمع حتى الأحرار من السود وكتبهم في دفتر جيش العبيد، ففي آخر عام 1108 خرج محمد عليلش بناحية القصر لتمليك الأحمر والأسود من القبائل. وفي عام 1109 جاء من ناحية القصر بديوان تمليك ماعدا الأبيض. وفي عام 1114 خرج عليلش من فاس ولم يكتب له أحد من الفقهاء. وقد تسبب عليلش في قتل عبد السلام جسوس عام 1121 عند امتناع علماء فاس من التوقيع على ديوان جيش العبيد ويظهر أن الصراع احتدم بين العلامة جسوس وعليلش الذي هجاه وهجا مدينة فاس لما امتنع من الشهادة على ديوان الحراطين، فأجاب عنه تلميذه الزرويلي بقصيدة في 18 بيتا. ومن خلال القصة التي انفرد بذكر تفاصيلها ابن الحاج في الدر المنتخب نستشف أن عليلش كان يحضر مجالس السلطان مولاي إسماعيل. ويشير عليه بمعاقبة العلماء المعارضين لقضية إنشاء جيش العبيد. ولما اشتد أمره وكثرت معارضته بالمدن الداخلية للمغرب بعثه السلطان في سنة 1121 إلى تطوان فنزل بها وشدد الخناق على أهلها حتى قال عنه الزرويلي : فتنهم فتنة يشيب فيها الوليد ويذوب لها الحديد. ولما ارتحل عن تطوان هنأ الزرويلي أهلها بقصيدة أثبتها في ديوانه. ويذكر ابن الحاج أن السلطان مولاي إسماعيل تخلى عن خدمة عليلش وصيره في حيز الإهمال إلى أن توفي عام 1123 / 1711.

الزرويلي، *ديوان علي مصباح الزرويلي*، كلية الآداب، الرباط، ص. 237 ؛ القادري، *نشر المثاني*، ص. 21، 79 ؛ الضعيف، *الدولة السعيدة*، ص. 80 ؛ ابن الحاج، *الدر المنتخب*، مخ خ س 12184، ج. 6، ص. 1112، وج. 7، ص. 184 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج. 7، ص. 56 - 57، 94 ؛ ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 9، ص. 298 ؛ داود، *تاريخ تطوان*، ج. 2، ص. 35 ؛ م. الفاسي، *رسائل إسماعيلية*، مجلة تطوان، 1962، ص. 63.

أحمد إيشرخان

عَلْيوَات، عبد الكبير بن عبد المجيد الكثيري الزجلي فقيه متكلم وصوفي صالح، صحب الشيخ مولاي عبد الله الشريف صاحب وزان وخدمه مدة طويلة وتخرج به. وبعد وفاة الشيخ بقي عليوات يقوم بالتدريس في زاوية وزان، ولا يعرف عنه شيء إلا ما ذكره عن نفسه في كتابه *سراج الغيوب في أعمال القلوب*، ألفه على إثر ليلة قضاها مع الإمام الحسن اليوسي في زاوية وزان يتناظران حول أبيات أبي القاسم الجنيد الرمزية.

تطهر بماء الغيب إن كنت ذا سرّ   وإلاّ تيمّم بالصعيد وبالصخر ...

وفي الكتاب علاوة على المعلومات المتعلقة به في زاوية وزان مناظره مهمة جرت بينه وبين أحد دعاة الطائفة الأندلسية الضالة تبين نظريات هؤلاء المبتدعة وطرق احتيالهم في نشر مذهبهم الباطل. وقد ذكر في هذا الكتاب أيضاً أن له مؤلفاً آخر بعنوان : *السيف المتين في الرد على من كفّر عوام المسلمين*، وهي مسألة أخرى شائكة تحدث عنها ورد على قائليها الحسن اليوسي في بعض كتبه.

توفي عليوات في تاريخ غير محدد، لكنه يقارب 1103 / 1692.

ع. الكبير عليوات نفسه، *سراج القلوب*، مخطوط، خ. ع. رقم 455 ك ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1978، ج 1 : 244 - 245 ؛ ج 2 : 474.

محمد حجي

عليوات، هيلال من مواليد سنة 1924 بمدينة مكناس. التحق بصفوف المقاومة السرية ضمن منظمة الهلال الأسود

تحت مسؤولية المهدي زتوتي. وشارك في عدة عمليات فدائية. ونتيجة نشاطه هذا تم اعتقاله وحكم عليه بثلاثة أشهر سجنا.

توفي بتاريخ 2 نوفمبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524249.

عماد، عبد الكبير، ولد الفنان المطرب عماد عبد الكبير بمدينة القنيطرة سنة 1944. وقد بدأ حياته الفنية بعد التحاقه بجوق الكواكب بهذه المدينة في الستينيات ؛ وفي عام 1979 انتقل إلى الرباط حيث التحق بالجوق الوطني لدار الإذاعة عازفا على العود.

وقد تحول عماد عبد الكبير إلى صف المغنين منذ أن قدم أول أغنية له بعنوان "الأرض" في بحر عام 1979.

تميز عماد عبد الكبير بصوت يجمع بين الصفاء والقوة والعذوبة، وتحتفظ الإذاعة الوطنية بأكثر من ستين أغنية غناها من ألحان ملحنين مغاربة، ومن أنجحها أغنية "يا احبابنا اصحابنا" وأغنية "راجع لي ثاني بالأفراح"، وكلاهما من تأليف الفنان محمد بلخياط، وهما من الأغاني الناجحة بفعل توظيف بعض معطيات فن العيطة في الأولى واستخدام الآلات التراثية في توزيع مقاطع الثانية كالكنبري والسنيتر.

وقد توفي عماد عبد الكبير عن عمر بلغ 52 سنة بعد مرض ألزمه الفراش طويلا، وكان ذلك يوم 3 دجنبر 1996.

عبد العزيز بن عبد الجليل

العمارة المغربية، تعتبر عمارة الدور المغربية من أغنى العمارات السكنية، خاصة في الوسط الحضري. على أن هذا الغنى له تجليات عدة في الأرياف، تجعل من عمارة هذه الأخيرة عمارة متنوعة ومتميزة.

وإذ يبدو من البديهي أن تختلف العمارة باختلاف المجال الذي يحويها (مدينة، قرية أو بادية) وذلك بحكم أهمية عنصر التمدن المتشبع دوما بالتأثيرات والتداخلات الحضارية التي تتولد عنها الابتكارات وتهذيب الأذواق، فإن الأرياف والقرى لا تفتقر إلى عمارة "راقية"، شبيهة بالتي داخل أمهات المدن، بل وحتى منافسة لها في كثير من الحالات. ولقد أبانت بعض الحفريات الأثرية (بليونش، عين قرواش، القصر الصغير على سبيل المثال) عن أحقية هذه الملاحظة.

استعمل المغاربة الحجارة والآجور والتراب المدكوك في تشييد دورهم، وذلك إما متفرقة، أو في جمع مادتين معا (حجارة ـ آجور، أو حجارة ـ تراب) أو حتى المواد الثلاثة مجتمعة، ومن هذا التنوع تتنوع طرق البناء وتقنياته، دون أن تختلف كثيرا في تطبيقاتها باختلاف المجال لأن حل الإشكاليات المعمارية تتطلب في غالب الأحيان نفس الحلول التقنية.

ولقد ذهب بعض الدارسين للعمارة المغربية في محاولة منهم لتبسيط مقاربتها إلى جعلها تتوزع كالآتي :

ـ العمارة الحجرية أي التي أساس تشييدها الحجارة وجعلوا لها موطنا الشاطئ الساحل الغربي ؛

ـ عمارة الآجور واستوطنوها بالمناطق الداخلية التي بها كبريات المدن العتيقة كمكناس وفاس ومراكش ؛

ـ العمارة الترابية وحددوا مجالها في المناطق الجنوبية الصحراوية وشبه الصحراوية.

على أن هذا التقسيم لا يمكنه أن يكون مطلقا بحكم وجود بعض هذه الأنواع في غير منطقتها المحددة كالعمارة الترابية مثلا التي كانت منتشرة ـ وإن بتفاوت واختلاف ـ في الأطلس المتوسط، وبالسهول والهضاب الداخلية والشرق وحتى الشمال بمنطقة غمارة مثلا.

تتميز الدار المغربية التقليدية خارجيا بانغلاقها داخل جدرانها السميكة القوية، لا يفتحها على الزقاق سوى باب المدخل ونوافذ قليلة وضيقة. والدور المغربية متلاصقة ببعضها على طول الأزقة النافذة، أو حول الأزقة غير النافذة والتي تحمل اسم "الدريبة" أو "الصابة" عندما يعلو مدخلها "ساباط".

أما داخليا فتتميز بأهمية الساحة الداخلية كعنصر محوري ورئيسي، وبتوزيع الزخرفة وعناصر التزيين في المنازل الغنية حسب نظام مدروس متوازن ومتكامل.

يفتح المدخل الرئيسي على دهليز يسمى "السطوان" ويتكون عادة من قسمين (وفي بعض الحالات من ثلاثة أقسام) يلتقيان عند زاوية قائمة. ومن العناصر الأساسية في "السطوان"، داخل المنازل الراقية، "الدكانات"، وهي مقاعد مبنية على طول جداري للقسم الأول من السطوان، كانت تستعمل إما لجلوس الحراس وبعض الخدم، وإما لاستقبال صاحب الدار لبعض من يتعامل معهم في نطاق عمله.

وفي الدور الغنية تكسو جدران "السطوان" زخارف من الزليج والجبص، وتزين السقوف إما بزخارف منقوشة أو برسوم ملونة، أنجزت بطريقة "الزواق" المعروفة.

يمر من السطوان إلى داخل الدار، أي إلى وسطها، وفي بعض الأحيان، يؤدي "السطوان" كذلك إلى "المصرية".

و"وسط الدار" (وينطق عموما "أُوسط الدار" وعند بعض العامة "بوسّ الدار") هو النواة الأساسية في عمارة المنازل العتيقة : حوله وعليه تفتح الغرف، وهو مصدر التهوئة والإنارة، ومحور النظام الزخرفي.

ويكون "وسط الدار" إما صحنا مكشوفا عاديا ليس به أي عنصر تزيين، اللهم ما تعلق بأرضيته التي عادة ما تكون مكسوة بقطع الزليج أو بالرخام الأبيض، وإما ساحة تتوسطها نافورة أو بركة ماء، وإما مساحة خضراء تحيط بها وتتقاطعها ممرات مكسوة أرضيتها كذلك إما بالبجماط (وهي قطع مربعة أو مستطيلة الشكل من الآجر المشوي الأحمر اللون) أو الزليج.

وفي المنازل الفقيرة أو الريفية، تنعدم عناصر الزينة والترفيه أعلاه، وتتكون أرضية "وسط الدار" من "الجّص" وهي أرضية سميكة ملساء، مكونة من رمل وجير بكميات مضبوطة لضمان السماكة. وقد كانت هذه الأرضية التي عرفتها العمارة المغربية في جل غرفها وساحاتها ومداخلها، قبل منتصف الفترة الموحدية حيث ظهر الزليج وتطور ثم الفترة المرينية حيث اشتهرت وانتشرت موضة تغطية الأرض بهذا الأخير وبعده بالبجماط. وفي القصور والمنازل الكبيرة، كان يضاف للرمل والجير خليط من مَحَى البيض للزيادة في سمك "الضص" ولازالت إلى اليوم ببعض المنازل العتيقة نماذج من هذه الأرضيات، كما كشفت حفريات شتى على أرضيات وصل سمك بعضها إلى 6 سنتم من "الضص" تعود بالأساس إلى الفترتين المرابطية والموحدية (حفريات الكتبية بمراكش).

وفي النصف الأول من هذا القرن، لما دخلت المغرب مواد بناء جديدة وخاصة الإسمنت الحديث، اتجه البناؤون خاصة في المدن الصغرى والأرياف إلى استبدال "الضّص" التقليدي "بضصّ" يخلط فيه الرمل بالإسمنت عوض الجير ومحى البيض. لكن سرعان ما عدل الناس عن هذا النوع من تغطية الأرضيات، ليعودوا إما للزليج التقليدي أو للزليج الحديث.

وتتوزع الغرف في الدور المغربية التقليدية حول الساحة وذلك حسب مبدئ المقابلة، فهي إما أربعة متقابلة أو اثنان متقابلتان وواحدة يقابلها إما فتحة في أحد الجدران تسمى "البهو" وإما نافورة ماء جدارية تسمى "سقاية". ويعتقد مؤرخو العمارة الإسلامية ودارسو فنونها أن "لبهو: آت من الإيوان الإيراني، الذي أخذه المسلمون من بلاد فارس ووزعوه في كثير من الجهات التي فتحوها. وحيث ما وجد هذا العنصر في الدار المغربية، نجده على ثلاثة أشكال :

- داخل غرف الاستقبال الرئيسية يكون إما فتحة قليلة العمق في الجدار المقابل للمدخل، أو فتحة عميقة في ذات الجدار وفي هذه الحال، يكون كثيف الزخرفة ؛

- في "وسط الدار" مقابلا للغرفة الرئيسية وعليه نفس كثافة الزخرفة ؛

- في الحدائق الداخلية، بنفس الأهمية التي وصفناها به في النوع الثاني.

على أن هذا العنصر كثر إقحامه في عمارة المدن التقليدية خصوصا في القرن 19 م. وقد وصل ذروة حضوره في القصور المخزنية أو الدور الكبيرة التي شيدت خاصة بمدينة مراكش في نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن.

ومن العناصر التي تضمها الغرف، "الحناية"، وهو الجزء الممتد على طول أحد الجدارين الصغيرين أو على طول كل واحد منهما، بعمق 1.50 م إلى مترين، أرضيته تعلو أرضية باقي الغرفة ببضع سنتيمات، ويحده من جهة الغرفة قوس يختلف شكله حسب ذوق صاحب الدار. و"الحناية" عنصر قديم في الدار المغربية ازدهر مع تلاقح المغرب بالأندلس بعدما أخذ كغيره من العناصر الإسلامية من بلاد الشام والعراق ومصر.

ومن أجل ما تضمه الدار المغربية كذلك "السقاية" (الحنفية) الجدارية، وهي وإن عرفت في كثير من بلدان دار الإسلام، لم تصل في نظرنا ما وصلت إليه من زينة ودقة عمل ببلاد المغرب الأقصى.

تضم بعض الدور التقليدية ملحقات أو عناصر معمارية إضافية للمسكن الرئيسي أهمها :

- "الدويرية" وهو الجانب من الدار الذي يخص الحرم والخدم وفي هذا الجزء يوجد عادة المطبخ والمخازن التي أهمها "بيت العولة" أي الغرفة التي تخزن بها المؤن وكل ما تحتاجه العائلة من مواد غذائية أساسية كالزيت والقمح والقطاني ؛

- "المصرية" وهي غرفة علوية يصعد إليها من السطوان مباشرة أو حتى من الزقاق دونما حاجة إلى المرور من داخل الدار. وكانت "المصرية" مخصصة للإبن الأكبر يجتمع فيها بأصحابه ويقضي بها جل وقته الفارغ ؛

- "المنزه" وهو عنصر لا نجده إلا في كبريات المنازل والقصور، مكانه في أعلى الدار أو في جانب من الحديقة، يختلي به صاحب الدار للراحة والترفيه، والتفرج على ما بالمدينة من حركة أو سكون (إن كان في مستوى السطح). وقد عرف المغرب هذا الطراز منذ القرون الوسطى، وازدهر في القصور الريفية على شكل برج جميل، يتحول، كما هو الشأن بموقع بليونش، إلى برج للمراقبة وربما الدفاع في حالة الحرب أو انعدام الأمن والاستقرار ؛

- "الروى" وهو الإسطبل الذي يأوي دواب صاحب الدار. وكان لهذا العنصر أهميته القصوى إلى حدود منتصف هذا القرن ؛

- الحمام ووجوده ضروري كلما توفرت لصاحب الدار إمكانيات بنائه، ويكون في هذه الحال نموذجا مصغرا للحمام التقليدي العمومي بغرفة استراحة ("الجلسة" بجيم مصرية) وثلاث غرف للاستحمام : "اللّولي" وهي الغرفة الأولى أو الباردة، و"الوسطى" وهي الغرفة الدافئة و"السّخون" وهي الغرفة الساخنة التي بها "البَرمة" أي صهريج الماء الساخن.

G. Marçais, art. Dar, *E. I., reimp. anastas*, 1977, p. 116 - 118 ; Gallotti, *Le jardin et la maison arabe au Maroc*, 2 vol., 1926 ; G. Marçais, *Salle, antisalle, AIEO*, Alger, 1952 ; A. de la SIERRA, *Vivienda Marroqui, Notas para una teoria*, Ceuta, 1960 ; J. Hassar, Benslimane, *Salé, Etude architecturale de trois maisons de Salé*, Rabat, *ETAM* VII, 1979 ; A. Touri, *L'architecture domestique de Marrakech*, Th. D'état, 1987 ; A. Bazzana, *Maison d'al-Andalus*, Madrid, 1992.

عبد العزيز توري

العمارة على العهد المريني بعد قضاء المرينيين على الدولة الموحدية والسيطرة على السلطة، استعادت مدينة فاس دورها السياسي، إذ اتخذها السلاطين الجدد عاصمة لملكهم، نظراً لما كان لها من الشهرة الدينية والإشعاع العلمي والحضاري الكبير، مفضلينها على مدينة مراكش، عاصمة أسلافهم المرابطين ثم الموحدين. وما كاد المرينيون ينزلون بها، حتى شرعوا في توسعتها، حيث وصلها أبو يوسف يعقوب

(656 ـ 658 / 1256 ـ 1286) بمدينة جديدة ـ المدينة البيضاء ـ أنشئت وفقا لمخطط أشرف على تهييئه بنفسه. وفي سنة 676 / 1276، أحيطت المدينة بسور يصل عرضه إلى مترين وعلوه إلى ثمانية أمتار، حصن بأبراج لحماية القصر ومساكن أعيان الأسرة المرينية، وضم الإدارة وثكنات الجيش وبساتين المسارة الباذخة.

توالى البناء والإعمار على أيدي السلاطين المرينيين، فأنشأ أبو يوسف يعقوب وأبو سعيد وأبو الحسن من حول مسجد القرويين مجموعة من المدارس هي مدرسة الصفارين 671 / 1271 ـ 1275، ومدرسة العطارين 723 ـ 725 / 1323 ـ 1325، والمدرسة المصباحية 734 / 1342 ـ 1343، وبنيت مدارس أخرى في الحي القائم على الجانب الآخر من الوادي، بجوار مسجد الأندلس هي : مدرسة الصهريج ومدرسة السبعيين 721 ـ 723 / 1321 ـ 1323، ومدرسة الوادي التي استبدلها العلويون مسجداً، ظل يعرف لحد الآن بالاسم نفسه. وأنشأ أبو عنان، على مقربة من باب الجنود، المدرسة البوعنانية وجعلها مسجداً جامعاً.

أما بالحواضر الأخرى، فقد سهر بنو مرين على إنجاز مشروع متميز وشيدوا معالم عديدة تبرز رغبتهم في تجميل مدنهم وكسب عطف رعيتهم. ففي مدينة سلا قام أبو يوسف يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق بتحصين المدينة من الجهة المقابلة لأبي رقراق وبناء دار الصناعة. ويذكر ابن خلدون أن أبا يعقوب يوسف أمر بتوسيع المسجد الكبير بتازة وأعاد بناء تحصينات مدينة وجدة وأضاف إليها، خشية تعرضها لهجوم من طرف خصومه بني عبد الواد، قصبة وقصراً ومسجداً (696 / 1296). ولتشديد الخناق على تلمسان، قام السلطان أبو يعقوب ببناء المنصورة (699 / 1299) التي أتمها السلطان أبو الحسن سنة 734 ـ 1334 وبني مسجدها سنة 739 / 1339. وقد شيد هذا الأخير، مدرسة الطالعة والمدرسة العجيبة (فندق آسكور الحالي) قرب المسجد الأعظم الموحدي بسلا، وروضة شالة والمسجد الأكبر برباط الفتح. ويروي ابن مرزوق أن أبا الحسن بنى سنة 721 / 1321 مسجد ابن صالح بمراكش، ومسجد الحمراء بفاس الجديد ومسجد الشرابليين بفاس البالي. وسار ابنه أبو عنان على نفس النهج، فأمر ببناء زاوية النساك خارج أسوار سلا للمحتاجين والتجار والمارستان العزيزي والحمام الجديد وحمام شالة على الضفة اليسرى للنهر. وبمدينة فاس، أسس مسجد لالة الزهراء (758 / 1358) وقام بجبل طارق بتقوية أسواره وتحصينه من أجل وقف زحف جيوش قشتالة.

وخلافا للعمارة الموحدية التي انحصرت جماليتها في المحاريب والصوامع، ونادراً ما تعدتها إلى الأروقة المحورية، فإن الفن المعماري المريني يقوم على زخرف مالئ، يشف عما يمكن الاصطلاح عليه "بالخوف من الفراغ". فالمعماري المريني يعتمد تناسبا مزدوجاً، أفقياً وعمودياً، يتيح له أن يتحرر ويبتكر التكوينات، مسهبا فيها ومقيماً بينها المقابلات والتماثلات. لذلك جاءت الأشكال متداخلة ومتنوعة ومتراتبة، واجتمعت المأطورات البسيطة المتكونة من عناصر نباتية أو هندسية، مع تكوينات أكثر تعقيداً وتنوعاً في الأشكال، وانتهى ما كان من التفوق لنمط معين من الزخرفة، مما نتج عنه ظهور معمار مكتسح بزخرف يغطي الواجهات وحائط القبلة والأقواس، ويتعداها إلى الأكتاف والسقوف.

من جهة أخرى، ظل الفن المعماري المريني في معظمه، فنا انتقائيا، يأخذ بالإرث المرابطي والموحدي، ويطور الأشكال النباتية، والخطية والهندسية، التي طورت خلال القرنين السابقين، إذ أخذت السعيفة الصقيلة في الابتعاد، تدريجيا، عن الأنماط القديمة، وأصبحت السعيفة المرابطية المزدوجة وغير المتناسقة النموذج الغالب الذي يتحكم في زخرفة الركينات والمأطورات، ويتجاوزها إلى الإطارات الخطية. وتلتف قويساتها وتتلاقى أو تتقابل تقابلاً حراً، لتؤثث الفراغات. وآل التشبيك المعماري نفس المآل، إذ استعير مباشرة من الصوامع الموحدية، واستعمل في الواجهات المطلة على الفناء وفي واجهات الصوامع، ليزين أفاريزها ومأطوراتها.

لكن، إذا كانت العمارة المرينية تراعي التقاليد السابقة عليها، وتستمر في السير عليها، فإنها حرصت شديد الحرص على مدها بدينامية تجديدية خاصة بها. فقد أشاعت التوريق وجددت الأشكال وتحكمت في تقنياته، فأصبحت النماذج أكثر تهذبا، واكتسبت، بفضل الحفر والخطوط المائلة والتشققات، قوة أخاذة واستقلالية فريدة. فما عادت تشكيلات النبات والرسوم الهندسية تتحد بحدود، بل تتفاعل في تقابل وتماثل، وتبرز في ألواح أو في إطارات، في انسجام وائتلاف مع الأرضية الزخرفية، مما جعل تعبيراتها تأتي فريدة في الزخرفة والطلاوة.

ومن مميزات عمارة بني مرين احتفاؤها بالواجهات. فسواء منها الواجهات التي تطل على الصحن، مكان الاجتماع والتهوية، أو تلك التي تقابل المؤمنين في قاعات الصلاة (حائط القبلة) كلها تمتاز بفرادة في التنظيم وغنى في النقش. وقد نحا المهندسون المرينيون في الزخرفة أسلوباً أثبت جدارته في نفس الوقت بالمساجد المرينية والمدارس على السواء، فأفلحوا بذلك في جعل الواجهات تبدو في مظهر فريد وتوازن متناغم. واعتمدوا في زخرفتها وفي إنجاز التنظيم الهيكلي للبنايات، تناسباً محكماً، اتبعوه بدقة محكمة، وألموا بكافة أبعاده، فبعد الانحرافات التي شابت مدرسة الصفارين ومسجد بوجلود، صارت الواجهات تخضع بالإضافة لمحورين متقاطعين يضخم التقاءهما صهريج أو ناقورة ماء، لمحور أفقي. وللحد من رتابتها تم اللجوء إلى بوابة معمارية مقوسة، مزخرفة الحواشي، على غرار الأبواب التي تؤدي إلى صحن مدرسة الصهريج وصحن مدرسة العطارين وصحن زاوية النساك، وفتحة متوسطة على هيئة قوس، شبيهة بالفتحة التي تزين المدرسة البوعنانية. وبذلك

اجتمعت تراتبية مختلف أنماط مواد الزخرفة، المكونة من التراب المطلي (الزليج) والجبص والخشب، وامتزجت باعتناء دقيق ومحدد بكل شكل وبكل تكوين، مع التركيز على مقابلة هذين الأخيرين (الشكل والتكوين) بما يناظرهما في الواجهة المقابلة.

إن هذا الأسلوب الهيكلي في واجهات البنايات المرينية وخاصة في المدارس، ليس حكراً على منشآت القرن الرابع عشر. فقد ساد بشكل محتشم، على عهد الموحدين، في تكوين زخارف محراب مسجد تينمل وواجهات صومعة الخيرالدة في إشبيلية. لكنه استطاع أن يدرك مع المرينيين أكبر اتساع، حتى غلب على هندسة بيوت الخاصة، ومنها المنزل المسمى سويقة الذبان وفي دار الصفايرية في فاس، وكذلك في بيوت مراكش، وتحصل من ذلك زخرف مالئ، قائم على التكرار، مختلف عن سابقية، يشف على انشغال إبداعي كبير.

ولم يكن إدخال البنائين المرينيين الأعمدة في منشآتهم، لينال من تغليبهم استعمال الأكتاف وتفضيلها. فقد أدخلوا الكتف في البناء، على هيئة سارية لحمل رقاب الأقواس، وكثيراً ما يكون هذا الدعام مربع الشكل، مبنيا من الآجر المشوي، المشدود بعضه إلى بعض بطبقات من ملاط من الرمل والجير، وبذلك يظل الدعام وفياً في بنائه للتقاليد القديمة التي نتبينها في المدن الساحلية، كتلك التي نجدها في زوايا صحن مدرسة شالة وفي المدن الداخلية.

أما الأعمدة، فظلت محدودة الاستعمال في البناء المريني. وإذا كانت أعمدة مدرسة أبي الحسن في سلا، قد شيدت من الآجر المشوي المغطى بالخزف المطلي، فإن أعمدة مدارس فاس ومدرسة شالة قد بنيت جميعها من الرخام الأبيض والأسود. وتقوم جذوع الأعمدة الأسطوانية، في صحن مدرسة العطارين، وفي قاعة الصلاة في المدرسة البوعنانية، أو المثمنة الزوايا، كما في محراب هاتين المدرستين، فوق قواعد مربعة منغرسة في الأرضية، ذات تيجان منقوشة متعرجة، صقيلة ومسطحة، محرفة تحريفاً يظهر ارتباطها بورقة الأقنثة، وسعيفات حلزونية وكتابات تاريخية أو شعرية، تشهد عن النضج الكبير الذي تيسر للفن الإسباني ـ المغربي على أيدي المزخرفين الموحدين، كما نتبينه، على سبيل المثال، في تيجان أعمدة مسجدي تينمل والكتبية.

وتكلل جذوع الأعمدة كعيبات، تشتمل على صف من تعرجات أقنثة صقلية ومسطحة ومزينة بظفائر من سعيفات أو بجذع منها. أما كؤوس التيجان، فجاءت على اتساع نسبي، تحمل نقوشا من نماذج نباتية، وسعيفات صقيلة على هيئة أصابع، وصنوبريات، يذكر تشابكها بورقة الأقنثة، وهي تدمج كتابة أو سعيفة مزدوجة وترسم زهيرات. كل ذلك في إحكام صنع، لاتشذ عنه جزيئات الزخرف، أو توزيع النماذج ؛ التي عولجت بصرامة وإحكام، وخضعت في مجملها لتوازن يضمن لها وحدتها ورشاقتها، وتحمل كتف عقد أو أسكفة، يزيدانها توثبا، ويتلقيان رقاب الأقواس، أو رقاب السواكف الخشبية.

لكن هذه التيجان، رغم رشاقتها وجمالها، تنم على فقر في الابتكار وعجز عن التجديد، إذ نلمس فيها الجمود والتحجر، ونتبين فيها آثار فترة طويلة من التقليد، ترسخت مع مطلع القرن الرابع عشر. فما عادت تيجان الأعمدة، سواء منها التي في فاس أو التي في تلمسان وشالة ومراكش، يلحقها شيء من التطور، أو لا يلحقها منه إلا النزر اليسير. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، وإنما فقدت الكثير مما كان يميز تكوينها من حيوية ومن قوة، حتى لم تعد تيجان الأعمدة التي تزين المدرسة البوعنانية بفاس أو ضريح سيدي بومدين أو المنصورة في تلمسان لا تدور إلا على نمط واحد جامد، إلا من بعض الاختلافات اليسيرة، لا يلبث أن يشيع، بعد قرنين من الزمان، في تيجان الأعمدة في مدرسة بن يوسف في مراكش.

ورغم خاصيتي الثبات والجمود اللتين تميزان الأقواس، فإنه يبدو أن العمارة المرينية قد آثرت السواكف الخشبية. فباستثناء صحن مدرسة العطارين التي يجتمع فيها العنصران ـ الأقواس والسواكف ـ، تقوم أروقة غيرها من المدارس على سواكف مزدوجة، ومعززة بطُنُف لصيقة مغروزة في البناء، ،منحوتة بعناية. وتظهر مختلف أشكال الأقواس في أبواب الدخول، وفي فتحات بيوت الطلبة، وفي الأجزاء العليا للواجهات المطلة على الصحن، وقاعات الصلاة، وتتوزع أشكالها في فئتين متمايزتين : الأقواس ـ الدعامات أو الحاملة والأقواس الزخرفية.

فالفئة الأولى، والتي تضم الأقواس ـ الدعامات، تغلب عليها القوس المنكسرة المتعدية والقوس ذات العقد الكامل، بشكليها المتعدي أو غير المتعدي، التي استمرت قائمة طيلة عهد الموحدين بفضل المحاريب. أما القوس المقطعة إلى قويسات صغيرة، الغالبة في المساجد المرابطية والموحدية، فما عادت تلقى اهتماماً إلا في الرسم التزييني، بينما أضحت القوس المنكسرة المتجاورة، التي ترسم من مركزين، تحتل مكانة مميزة، إذ صارت توظف في الأروقة أو في المحاريب، وتستند إلى تاج على هيئة منحنى محدب، عُرف شكله "منذ النصف الأول من القرن الحادي عشر بالمقبريات القيروانية" أو في "فسقية بقلعة بني حماد". أما باطن العقد الصقيل في أقواس الأروقة، فيحمل نقوشا في أفاريز الأقواس المطلة على الفناء، ويقوم فوق زخارف ثعبانية، تذكر بتلك النماذج المتداولة على عهد الموحدين ؛ ومنها، على سبيل التمثيل، النماذج التي تطالعنا فوق بوابة الأوداية في مدينة الرباط. وتحظى الأبواب الفخمة، القائمة على الجنبات الصغرى للصحون، والتي تبرز المحور الطولاني بمعالجة محكمة، وتشرف عليها أقواس منكسرة ومتجاوزة، وتذكر بطون العقود المقربصة، المرسومة على هيئة إكليليات في الوسط

وتموجات في الأطراف، بالأقواس الموحدية في مسجد تينمل. أما المجموعة الثانية، فهي أشد اختلاطا، وتضم أقواسا متعرجة، وأقواسا مفصصة، وأقواسا منحنية الأضلاع وهي أشكال من مخلفات الفن الموحدي، ولا تزال مجموعة كبيرة منها تطالعنا في أجنحة مسجد تينمل الكبير. ورغم فقدانها لبعض من أهميتها، فإنها ازدادت مرونة وليونة، وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من الذخيرة التزيينية المرينية ؛ فهي تحف بالمأطورات الزخرفية، أو تشكل أرضية خلفية لها. ففي الواجهات المطلة على الصحن، أو فوق جوانب صومعتي مدرسة الصفارين والمدرسة البوعنانية في فاس، ترسم هذه الأقواس مشاكي وتوظف كمرتكزات للتشبيك الهندسي ذي الشكل المعين.

من ناحية أخرى، بقيت أكثر أنواع السقوف استعمالا في العمارة المرينية تجمع بين سقوف مسطحة، ذات هياكل ظاهرة أو ملبسة، تغطي سائر الفضاء الضيق ذي الأبعاد البسيطة، كما في الأروقة وغرف الطلبة والصحون. تقوم هذه السقوف على مبدإ بسيط : فالحيطان مطعمة بعارضات قوية، أما الرافدات الخشبية الموضوعة عمودياً للحيطان، والمتخللة بفراغات متساوية، فتحمل مؤردزات عرضانية، توضع فوقها طبقة من الرمل والجير بينما يرتب السقف من الداخل ويحمل زخرفاً يغطي هيكله، يعتمد على تشبيكات هندسية، تزينها أخاديد، نادراً ما تشتمل على رسوم مصبوغة.

قوام السقوف التي تعلو قاعات الصلاة هيكل هرمي. أما سقف مدرسة الصهريج فيتكون من لجفات تتخلل زوايا وشدادات، فيما سقوف المدارس الأخرى، قوامها هيكل ذو تلبيس بسيط، وتأخذ التصاميم في التدرج، لتتلاقى حول تصميم أوسط أفقي. ويغطي هذه الهياكل زخرف مقعر، من تشبيك مضلعات، جريا على التقليد الإسباني المغاربي، الذي لا زالت نماذجه الجميلة توجد في مدرسة غرناطة الوحيدة وفي قاعة كوماريس. إن المسنمات المضلعة المرينية التي تنحدر من المسنمات المضلعة الأموية، تعلو قاعات الدرس في مدرسة أبي عنان، وتتلاقى أقواس هيكلها وتتقاطع حول مسنمة صغيرة. ويغطي الهيكل تلبيس قوامه عصيات مجمعة على هيئة مضلعات مكوكبة، تتخللها أخاديد وحزوز، تبدو من الخارج على هيئة غماءات بأربعة غطاءات مكسوة بالقرميد الأخضر.

ولتنميق وزخرفة هذه المكونات المعمارية، اعتمد المرينيون زخرفة تحتل فيها الأشكال النباتية مكانة راجحة. وهي تشتمل على سيقان وجذوع وسعيفات وصنوبريات، اعتمدتها العمارة المرينية لمضاعفة الأشكال والتحكم في معالجتها. وقد اكتسبت الساق، خلال هذا النصف الأول من القرن الرابع عشر، مزيداً من التهذيب، لكنها لم تتعرض للتمدد طولاً، ونقص طولها، لتؤول إلى خيط رقيق مكور، نادراً ما يكون مسطحاً وذا شكل هندسي. وقد تطورت تشابكاتها، لتشكل لوالب تزينها عقديات، ونماذج هلالية، أو براعم. وتنجدل هذه الساق في الركنيات وفي المساحات الكبيرة، في أشكال لولبية لامتناهية، مكونة الأرضية الخلفية للزخرفة. وتحتفظ مدرسة الصهريج على تمثيل فريد تظهر فيه الساق المزدوجة المتناسقة متموجة، في شكل أشبه بتشبيك معينات، وتتراكب وسيقانا أخرى أرق منها، تنتهي إلى سعيفات مزدوجة متصعبة وغير متناسقة. وإجمالاً، فإن الساق ما "عادت سوى تمثيل هندسي، لتشكيل نباتي يزداد بعدا عن الواقع، شبيه بما حدث لها في القرن الثاني عشر.

هذه السعيفات تملأ التكوينات بأشكال متنوعة، وتدخل عليها تنويعاً إلى حد لا يصير لأية مأطورة شبه بسابقتها. لكن إذا كانت هذه السعيفة قد حافظت على الحظوة نفسها التي كانت تلقاها من فن المرابطين والموحدين، فإن أشكالها أضحت تتخذ أبعاداً جديدة. فالسعيفة الموحدية التي تمتد انطلاقا من سويقة وتتفرع إلى قويسين منجدلين، تقطعهما حزوز متعاكسة، أو السعيفة المخرمة، حلت محلها سعيفة صقيلة ومنمنمة، ترفض التصبعات الحرشفية والسويقات المستطيلة ـ ما عدا في الزليج المحزز. إنها تنبثق مباشرة من ساق رشيقة، ثم تصير مثلها، إلى انحناءات وتكورات مألوفة.

ومع مطلع القرن الرابع عشر أصبحت السعيفة الصقيلة أكثر حضوراً من السعيفة المتصبعة، التي ارتدت إلى مجرد شكل حشوي، ازدادت أشكاله كثافة وسماكة. وبالمقابل، عادت السعيفة الصقيلة، الأشد حيوية والأشد مرونة، تنجدل إلى سقيفات غير متساوية، تتواجه على هيئة زخارف زهرية، أو تمتد، لتلتفت في أنصال مسننة وتشكل حلقات. تجمع السعف، بين بسيطة ومزدوجة ومثلثة، وتتراكب أو تتكرر إلى ما لا نهاية، لبناء لوحة من التكوينات، ونادراً ما تقبل بالانتظام من حول محور بارز، ما عدا حول أركان العقيدات ؛ حيث تتكدس على هيئة زخرف زهري، يزين منصفات الزوايا المستقيمة للإطارات المستطيلة.

لكن إذا كان الحرفي المريني قد غلب استعمال السعيفة الصقيلة المنمنمة، فإنه استمر على دمج بعض التنويعات الموحدية، وأدخلها في تكويناته. فقد وظف بمدرسة العطارين سعيفات محززة وأخرى ذات حشو مألوف. وأما بمدرسة أبي عنان، فجميع تكويناتها مؤلفة من سعيفات مزدوجة ذات قويسات التفافية ومقرنة، تطعمها حزوز عميقة، توجد نماذج منها بواجهة باب الأوداية وأخرى على باب الرواح في الرباط وباب أكناو في مراكش.

وفي مقابل الطغيان الذي صار للتكوينات المعتمدة على السعيفة الصقيلة المفردة، والمزدوجة والمثلثة، بقيت الصنوبريات نموذجا تكميليا بامتياز. فقد أبعد كليا من زخرف مدرسة الصفارين ومدرسة الصهريج، ثم عاد إلى الظهور في المدرسة المصباحية، في هيئة قصيرة وغليظة، قليلة الإتقان. ومنذئذ، أصبح يرافق السعيفة في إبداعات مختلفة : صنوبريات مقرونة، وأخرى بسيطة مستقيمة أو

مقوسة، تملأ تشابكات السعيفات، وتدخل فيها عبر تقنية الخفاء والتجلي، كثيراً من القوة، وتحد من رتابتها.

ومن أجل خلق دينامية زخرفية، قابل الحرفيون المرينيون التكوينات النباتية على الخشب أو على الجبص بتشبيك هندسي، يعبر في مختلف أشكاله المنجزة عن تطور ملحوظ. فبعد ظهوره في المعالم الموحدية، في مسجد تينمل وفي الصومعتين الشامختين لمسجدي الكتبية والقصبة في مدينة مراكش، يدمج هذا التشبيك رسوما أكثر توازناً وأكثر تعقيداً. فأما الشكل الأول فينقش على جبص أو تراب مطلي، بالحفر في الحقل المسطح، وينجز الشكل الثاني بعصيات مستقيمة، ينطلق فيها النقاش ويقوم بظفر بنيته عن طريق التقريب والتجميع، لتغطية الأفاريز الكبيرة لأسس الجدران، وعضادات الأبواب، والأفاريز التي تعلو الواجهات المطلة على الصحن، وتغطية الدعامات أو الأعمدة على غرار ما هو موجود في مدرسة أبي الحسن في مدينة سلا.

H. Basset & H. Terrasse, *Sanctuaires et forteresses almohades*, collection Hespéris, Larose éditeur, Paris, 1932 ; H. Basset & E. Lévi-Provençal, *Chella, une nécropole mérinide*, Larose éditeur, Paris, 1929 ; A.S. Ettahiri, *Les madrasas marinide : étude d'histoire et d'archéologie monumentales*, thèse de Doctorat, Paris-Sorbonne, Paris IV, 1996.

أحمد صالح الطاهري

العمالي، بوجمعة ولد بالجزائر سنة 1890 وتخرج من مدرسة الفنون الجميلة بالجزائر، وبعدها درس في المدرسة الوطنية في سيفر ما بين 1913 - 1914، ثم جاء إلى المغرب سنة 1918 بطلب قدمه مفتش الفنون الجميلة بالمغرب إلى رئيس المتحف الوطني بباريس، فدله على طالب جزائري من مدرسة الفنون الجميلة. وبهذا دخل العمالي في خدمة مصلحة الفنون الجميلة بالمغرب وتم تعيينه بمدينة آسفي.

أخذ في إعطاء دروس تكوينية في الديكور وصنع الفخار. وازدهرت هذه الحرفة من جديد وكان من منتوجاتها الزليج الذي كان يلقى إقبالا. نجح العمالي نجاحاً كبيراً حيث عمل على صنع أدوات فخارية ذات ذوق فني رفيع جعلته لا يكتفي بالمعارض والمكافآت التي كانت تمنحها له فرنسا.

حصل على وسام من رتبة ضابط بعد تقديمه خدمات وقت الحرب. شارك في معرض مرسيليا حيث حصل على الجائزة الكبرى وميدالية ذهبية. وعين كتقني في مصلحة الفنون الأهلية حيث كلف بمهمة الإشراف على صناع الخزف وبهذا لاحظ ضرورة إحداث مدرسة أو سلك تكوين لهؤلاء المعلمين.

علال ركوك

العمامة بكسر العين شريط مستطيل من الثوب يتراوح طوله بين متر وأربعة أمتار وعرضه لا يتعدى خمسين سنتمترا يتخذ إما من صوف أو قطن أو كتان أو حرير أو غيره ليلف رأس الشخص الذكر ويغطيه إما بكيفية كلية أو جزئية. والعمامة في الحضارة العربية الإسلامية تعتبر جزءا أساسا من أجزاء اللباس لا يكتمل الهندام أبداً بدونها. أما لدى السكان الأمازيغ من أهل شمال إفريقيا، من حدود التخوم المصرية إلى أقصى المحيط الأطلسي في المغرب فلم يكن غطاء الرأس هذا معروفا لديهم ولا كانوا يلفون رؤوسهم بالعمائم حيث أنهم اشتهروا منذ التاريخ القديم، من بين ما اشتهروا به بين الشعوب الأخرى، "بحلق الرؤوس (وتركها حاسرة) وارتداء البرنوس وأكل الكسكوس".

وقد كانت العمائم في المغرب إلى حدود الأربعينيات من القرن 20 هي أكثر أغطية الرؤوس تداولا عند السواد الأعظم من سكان المدن والبوادي على حد سواء خارج البيوت، وإذا أرادوا عقوبة شخص أو إهانته خلعوا العمامة عن رأسه وحلقوا لحيته. فلما ألقى السلطان عبد الله بن إسماعيل القبض في مكناس سنة 1740 على قاضيها أبي القاسم العميري ومن معه بسبب تعسفات قضائية اقترفوها في حق الرعية، فإنه أزال العمائم عن رؤوسهم وفضحهم أمام الملإ، كما نكل السلطان مولاي الحسن في نهاية القرن 19 بباشا وجدة فأزال عمامته وحلق لحيته جزاء له على سوء تدبيره لشؤون المنطقة. ولما حل الاستعمار الفرنسي بالبلاد حافظ على نفس الممارسات الجارية فكان يُخرج المقاومين والوطنيين من السجون عنوة إلى الأزقة ويأمرهم بتنظيف الممرات العمومية تحت الحراسة ورؤوسهم عارية ولحاهم محلوقة تنكيلا بهم، في حين كان يُسمح للمغاربة الملتحقين بالجيش الفرنسي للاشتغال ضمن قوات الگوم بالاحتفاظ بعمائمهم أثناء ارتدائهم الزي العسكري، كما كان المسلمون من جهة أخرى يعتبرون كل من يرتدي العمامة من الأجانب كأنه اعتنق الإسلام وينظرون إلى كل من تخلى عن ارتداء العمامة من المسلمين كأنه قد ارتد عن دينه وخاصة إذا كان خارج دار الإسلام.

وكانت عمائم أهل الحواضر أجود نسجا وشكلا ومظهرا من عمائم أهل البوادي، كما كانت عمائم الأثرياء ورجال المخزن والقضاة والعلماء والفقهاء والوزراء أرفع من عمائم عامة الناس من صناع وحرفيين وتجار وبحرية وغيرهم. أما المخصصة منها للحضريين من علية القوم فكانت تتخذ "على العادة والقاعدة" من لون أبيض وتلف لفاً حلزونيا حول الرأس حتى تغطيه عن آخره. وكان كبار أهل المخزن من الوجهاء والعلماء وسامي الموظفين ومن إليهم من الأعيان والموسرين يحرصون على ارتداء عمائم كبيرة تثير الإعجاب. وقد لاحظ الأوربيون الوافدون على المغرب بأن البعض من هذه العمائم كانت ضخمة للغاية وهي بجوانبها الناتئة تكاد تتعدى جوانب أكبر القبعات الأجنبية وكانت تبدو فوق الرؤوس كأنها "نصب تذكاري".

هذا وقد كانت العمائم الحضرية السائدة تتخذ من أشكال وأحجام متوسطة لأن الصغيرة منها لا تكفي لتغطية كل الرأس والمفرطة في الكبر يصعب لفها وصيانتها واستعمالها وتفقدها فكان أهل الحرف من الصناع والتجار وغيرهم

يفضلون المتوسط منها لأنه يجمع بين تغطية الرأس وصغر الحجم وسهولة اللف والاستعمال والتفقد.

لكن العمائم التي صمدت لعدة قرون لم تستطع أن تقف في وجه التطور اللباسي السريع الذي عرفه الهندام المغربي بشكل خاص فيما بين سنتي 1912 و1956. فخلال هذه الفترة بدأ الطربوش يحل تدريجيا محل العمامة عند شباب الحواضر وخاصة ابتداء من الأربعينيات من القرن الماضي.

إ. حركات، *السياسة والمجتمع في العصر الأموي*، الدار البيضاء، 1990 ؛ ابن سيرين والنابلسي، *تفسير الأحلام*، تونس، 1984 ؛ أ. المقري، *زهر الكمامة في العمامة*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 984 ؛ محمد فهد بدري، *العمامة*، 1968 ؛ أبو الوليد ابن رشد، *البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل*، الجزء الأول، بيروت، 1988، تح. محمد حجي وسعيد أعراب ؛ شهاب الدين الهيثمي، *در الغمامة في در الطيلسان والعذبة والعمامة*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 911 ؛ محمد رضا شرف الدين، *لباس الرأس في المغرب*، د. ت. ود. م.

Malek Chebel, *Le corps dans la tradition au Maghreb*, Paris, 1984, PUF ; Paul Azan, *Souvenirs de Casablanca*, Paris 1911, Librairie Hachette et Cie.

محمد بوسلام

عَمَّر (سيدي -) القسطلي المراكشي، قرشي الأصل، أموي يرجع نسبه إلى الخليفة عثمان بن عفان وفي *ممتع الاسماع* أنه من ذرية الشاعر ابن دراج القسطلي.

وفي جمهرة *الأنساب* ان بني دراج من صنهاجة.

وترفع وثيقة خاصة نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، وتذكر أنساب شرفاء آخرين، يلتقي معهم في النسب، وهم :

- شرفاء بني راشد بن أحمد : يلتقي معهم عند جدهم موسى بن عمران.
- شرفاء بني زيان بن منصور : يلتقي معهم عند جدهم منصور بن عمران.
- شرفاء تونس أولاد أحمد بن أحمد بن محمد : يلتقي معهم عند جدهم محمد ابن موسى بن عمران.
- شرفاء تلمسان، أولاد عمران المذكور.

وتحكي الوثيقة سبب انتشار الشرفاء في الأرض لما خرج موسى بن أبي العافية على الادارسة وتعقبهم بالقتل، فخرجوا من فاس إلى غمارة، وتادلة، وفجيج، وسجلماسة، ودرعة، وسوس، ودكالة، وتامسنا، والساقية الحمراء، والأندلس وتنتهي الوثيقة بأحاديث في حب الرسول للسبطين ودعوته إلى حبهما، وفي جزاء الكاذب عليه صلى الله عليه وسلم.

وإذا كان المجال لا يسمح بتشريح هذا النسب وتتبع رجالاته، فلابد من الإشارة إلى أن المقدمين كانوا يتناقلون وصية أبي عمرو بعدم التباهي بالنسب الشريف. وكان الحلفاوي لا يذكر مترجمه وشيخه الكامل إلا بلفظ "مولاي الكامل" بخلاف الزروالي في ترجمته لأبي عمرو.

ولد أبو عمرو سنة 912 / 1506 بحي قاعة بناهض. وكان والده "حرارا" من أعيان المدينة وأحد مريدي عبد العزيز التباع. وفي المصادر ان ميلاده قد صادف زيارة التباع لمنزل أحمد الأمين، فحمل بعد ولادته إلى الشيخ لمباركته، فسأل عن اسمه، وقيل له : "أبو عمرو" فقال : "نعمره ونثمره" ثلاث مرات.

ولسنا ندري لماذا لم تستمر هذه العناية، فقد كبر سن أبي عمرو دون أن يتعلم القراءة والكتابة، فيقوم ذلك على التحدي لديه : فقد نعت له صبي حرفي الراء والزاي فلم يعرفهما. قال : (وحقرت نفسي وصرت مجتهداً في القراءة نحوا من خمسة أعوام في تعمير الأوقات بالقراءة والأوراد، حتى استفدت وأفدت، وجمعه بين القراءة والأوراد دليل على كبر سنه. ويؤكد هذا ما كان يقوله عنه شيخه الفلاح في المجالس : "أترك لكم الخلافة في رجل أمي لا يفرق بين الراء والزاي".

- الأوراد : يقوم ورده على تلاوة حزب الفلاح، وحزب البحر، وقراءة القرآن.
- العلم : من الكتب التي كانت تدرس في زاويته : الشفا لعياض، وشرح محمد بن عباد على الحكم. وكان الشيخ يحللها ويعلق عليها بما يذهل العقول.
- الإطعام : سلك أبو عمرو مسلك شيوخ الزوايا الجزولية في الإطعام، وكلف أحمد بن عبد الله المراكشي بالإشراف على اقتصاد الزاوية، وكان يطعم كل وارد عليها بحسب مستواه ومقامه وما تعود أكله. وهي عادة سيشتهر بها تلميذه أبو بكر الدلائي، مؤسس زاوية الدلاء بالأطلس المتوسط.

وترد الروايات ذلك إلى دعاء شيخه الفلاح الذي قال به "أعطاك الله حالة أهل الجنة، ثياب لا تبلى، وطعام لا ينقطع". ومع ذلك فقد اعتمد على عراصيه وأراضيه وما تدره من حبوب وغلل وفواكه. وفي شمس *المعرفة* إشارات إلى كثير من هذه الممتلكات التي آلت بعده إلى أولاده في مراكش والحوز. وكانت هذه المنتجات تحمل إلى الزاوية لتقدم للزوار والمريدين والفقراء.

كانت الزاوية القسطلية بمراكش تعج بالمريدين والزوار اعتباراً لمستواها العلمي، ولما كان يقدم بها من صنوف الطعام. وبلغ عدد المتخرجين على يد الشيخ أبي عمرو حوالي سبعة عشر ألف مريد. أنشأ بعضهم زوايا كبرى في المغرب، نذكر من مشاهيرهم :

- أبو بكر المجاطي الدلائي المتوفى سنة 1021 / 1616 مؤسس الزاوية الدلائية بأمر منه.
- أبو عبد الله محمد بن مبارك الزعري التستاوتي المتوفى سنة 1006 / 1579 كان منقطعا بزاوية أبي عمرو بمراكش، وعاد إلى بلاده لتأسيس زاوية بها.
- الحسن المداح الزعري لازم الشيخ أزيد من ثلاثين سنة حتى صار من أخص مريديه وعنه روى الزروالي كثيراً من أخباره في شمس *القلوب*.

وفي *تحفة أهل الصديقية*، 53 ـ 55 ذكر لمجموعة من مريدي أبي عمرو وأتباعه.

توفي بمراكش سنة 974 / 1566.

ح. جلاب، *أضواء على الزاوية البوعمرية بمراكش*، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 1996 ؛ عباس بن إبراهيم المراكشي، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، المطبعة الملكية، 1974 ـ 1983 ؛ محمد المهدي الفاسي، *تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية الزروقية*، مخطوطة الخزانة العامة بالرباط، رقم 76 ج ؛ ابن حزم الأندلسي، *جمهرة الأنساب*، تح. ليقي بروقنصال، ط. دار المعارف، مصر ؛ الحلفاوي أبو محمد قاسم بن أحمد، *شمس المعرفة في سيرة غوث المتصوفة*، مخطوطة، خزانة ابن يوسف رقم 171 ؛ محمد الصغيري اليفرني، *صفوة ما انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر*، ط. حجرية بفاس ؛ محمد المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع ومالهما من الأتباع والإلماع*، ط. فاس، 1313، تح. عبد الحي العمروي وعبد الكريم مراد، ط. 1994.

حسن جلاب

عمْرَان، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Amran وتوجد بتطوان أسرة أخرى شريفة النسب منهم : عبد السلام عمران من أعيان تطوان الذين بايعوا الأمير مولاي سعيد بن مولاي اليزيد سلطانا يوم 12 جمادى الثانية 1236 (16 مارس 1820). محمد بن أحمد عمران، فقيه كان يزاول خطة العدالة سنة 1252 (1836).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **عمران، عبد الكريم** أبو القاسم من أهل قصر كتامة ويرجع أصله إلى الأندلس. لازم أبا الحسن الغافقي الشاري السبتي وروى عنه وكان أخص أصحابه. سكن مدة بإشبيلية وغيرها من مدن الأندلس، ثم رجع إلى بلده قصر كتامة وولي القضاء به. وبسبب نزاهته وسمعته الطيبة في ممارسة القضاء استدعي لتولي قضاء المناكح وقضاء الجماعة بمراكش.

كان مهتما بالعلم ومتحققا بالآداب، مع الزهد والفضل. أثنى عليه ابن عبد الملك وسماه القاضي الأديب الأبرع. كما حلاه أبو الحسن الرعيني في *برنامجه* بالفقيه، وكان قد صحبه بمراكش.

وبجانب علومه الشرعية كان شاعراً مجيداً، أورد له ابن عبد الملك المراكشي بعض القصائد، ومنها قصيدة جيدة في ثنايا رسالة يهنئ فيها أبا الحسن الشاري على المدرسة التي أحدثها بسبتة بجوار باب القصر، وحبس عليها مجموعة قيمة من الكتب والأملاك.

توفي المترجم وهو يتولى قضاء المناكح بمراكش سنة 643 / 1245.

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، نشر عبد السلام الهراس، الدار البيضاء، دار المعرفة، ج 3، ص. 134 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1975، ج 4، ص. 189 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، ج 8، ص. 197 ـ 333 ـ 334 ـ 385 ـ 439 ؛ الرعيني، *البرنامج*، تح. إبراهيم، تح. إبراهيم شبوح، دمشق، 1966، ص. 76.

محمد المغراوي

أبو **عمران، موسى** بن عيسى بن أبي حاج القرشي المعروف بأبي عمران الفاسي، ينتمي إلى أحد بيوتات فاس العريقة هو بيت بني أبي الحاج، إذ مازال بطالعة فاس درب يحمل اسمهم هو "درب بوحاج". وأصله بنو غفجوم، أحد بطون قبيلة جراوة الزناتية.

ولد بمدينة فاس عام 365 / 975 ـ 976، وتلقى تعليمه الأول بها، غير أن ما عرف عنه من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، جعله يصطدم بحكام المدينة المغراويين، مما اضطره إلى مغادرتها ؛ فرحل إلى الأندلس، ودخل قرطبة حيث تتلمذ بها على أبي محمد عبد الله الأصيلي وسعيد بن مريم وعبد الوارث بن سفيان وأبي الفضل أحمد بن قاسم وغيرهم.

ثم قصد القيروان فتفقه بها على أبي الحسن علي القابسي، ثم رحل إلى المشرق، فحج ودخل بغداد، التي حضر بها مجلس القاضي أبي بكر الباقلاني في الأصول، وسمع من أبي الفتح بن أبي الفوارس وأبي الحسن المستملي، وبمكة سمع من أبي ذر الهروي.

عاد إلى القيروان واستقر بها، حيث آلت إليه بها رئاسة العلم فرحل إليه الطلبة من المغرب والأندلس : من فاس وأغمات وسوس وسرقسطة وأشبيلية ووشقة وبجانة والمرية وطليطلة وقرطبة وصقلية .. واشتهر بفقهه وإفتائه وتدريسه وخطابته. وحصل على إجازته أعلام مشهورون ـ لم يلقوه ـ كابن محرز وعتيق السوسي وأبي القاسم السيوري. وأشاد بفضله وعلمه وإمامته العديد من علماء عصره، والمشارقة منهم على وجه الخصوص.

ولأبي عمران الفاسي كتاب *التعاليق على المدونة* وفهرسة، كما أنه خرج نحو مائة حديث، وبرع على الخصوص في علم الأصول وعلم الكلام والمناظرة.

وارتبط اسم أبي عمران الفاسي برحلة الزعيم الصنهاجي يحيى بن إبراهيم الجدالي، ولقائه به في القيروان، حيث التمس منه أن يرسل معه فقيها عالما يتولى تلقين أبناء صنهاجة الصحراء الملثمين أصول المذهب المالكي ويرسخ لديهم تعاليم الإسلام. وتنفرد إحدى الروايات التاريخية بالقول إن أبا عمران اقترح لهذه المهمة ابن أخيه عمر، مما يظهر استجابته الكبيرة للمساهمة في إخراج المشروع الصنهاجي (المرابطي) إلى الوجود. غير أن تراجع عمر في آخر لحظة، دفع أبا عمران إلى اقتراح اسم فقيه نفيس بالمغرب الأقصى وجاج بن زلو اللمطي، الذي رشح بدوره لهذا الأمر عبد الله بن ياسين.

توفي أبو عمران بالقيروان ليلة 13 رمضان 430 / 7 يونيه 1039، وقد بلغ من العمر 65 سنة.

ابن الزيات التادلي، *التشوف إلى رجال التصوف*، 1984 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، ج 1، 1983 ؛ ابن أبي زرع الفاسي، *الأنيس المطرب بروض القرطاس*، 1973 ؛ أحمد بن عبد الوهاب النويري، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، 1985 ؛ إسماعيل بن الأحمر وآخرون، بيوتات *فاس الكبرى*، 1972؛ ابن القاضي المكناسي، جذوة *الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس*، ج 1 : 1973 ؛ حسن أحمد محمود، *قيام دولة المرابطين*، 1956 ؛ عبد الوهاب بن منصور، *أعلام المغرب العربي*، ج 2، 1979.

عبد الإله بلمليح

العمراني، أسرة ينحدر الشرفاء العمرانيون من شمال المغرب حسب عمود متداول في كتب الأنساب من الجد الجامع عمران الأكبر بن يزيد بن صفوان بن خالد بن يزيد بن عبد الله بن إدريس الثاني. ويعتبر البعض أن جد العمرانيين كان من بين الأدارسة الذين استوطنوا قلعة حجر النسر بسماتة وأنه كان من أنصار الحسن بن كنون ومن أمهر فرسانه، ولا يستبعد استناداً إلى نفس الرواية أنه كان من ضمن الأدارسة الذي نقلوا إلى قرطبة إثر هزيمة الأدارسة على يد المروانيين سنة 364 / 975، وحينما سقطت حجر النسر في يد هؤلاء سنة 375 / 986 لقي عمران الأكبر جتفه في بني يوسف.

ويذكر النسابون أنه كان كثير النسل، حيث خلف ستة وعشرين ولداً عقب منهم واحد وعشرون، هم أصل الفروع العمرانية التي انتشرت في جبال غمارة والهبط. والملاحظ أن اسم عمران تكرر في أعمدة أنساب العمرانيين التي تكرر فيها اسم عمران الأصغر الذي يحكى أنه كان مؤذنا للشيخ عبد السلام بن مشيش بجامع قرية الحصن، وهو حسب تسلسل النسب، عمران بن علي بن عتيق بن يحيى بن سعيد بن مسعود بن عامر بن محمد بن موسى بن عمران الأكبر، وورد في عمود الشرفاء العمرانيين في قبيلة بني مسارة عمران الكبير والصغير.

شكل العمرانيون من الناحية الديموغرافية استناداً على مدونات الأنساب أكثر الفروع الإدريسية عدداً في الشمال، وينحدر معظمهم من فرع حنين، مما طرح أمام النسابين والمؤرخين صعوبة في محاولة ضبطها. وأقدم ما بلغنا من أخبار العمرانيين في الشمال الجرد المريني الذي تم على يد السلطان المريني أبي سعيد سنة 709 / 1310، ساعدنا على تحقيق عمود نسبهم وتوطينهم الجغرافي، حيث ذكر أربعة أعلام من مشاهير الأسرة العمرانية هم علال ومحمد وأبو بكر وعمر أبناء حنين بن يحيى بن سعيد بن مسعود بن عامر بن عمر بن صفوان بن خالد بن زيد بن عبد الرحمان بن عبد الله بن إدريس الثاني.

كان هؤلاء يقطنون في بلدة بني بوشداد إحدى الفرق الغمارية الواقعة حالياً شمال شفشاون على مرتفع صخري، التي كانت قديماً خاضعة لنفوذ عمر بن إدريس الثاني إثر تقسيم المملكة الإدريسية من طرف محمد الخليفة بن إدريس الثاني بين إخوته وسادت فيها ذريته، وبعد تشكيل قبيلة بني زجل أصبحت فرقة بني بوشداد إحدى فرقها الكبرى. وتعتبر قرية تلمبوط حيث يوجد ضريح وحرم سيد حنين بن يحيى مركزاً للشرف العمراني. وثاني مصدر بلغنا عن العمرانيين بعد الجرد المريني شهادة قاضي شفشاون ابن خجو سنة 952 / 1545 أثبت فيه صحة نسب شرفاء بني بوشداد بقبيلة العمرانيين، وذكر أسماء فروعهم وهم بنو عرمان وأولاد الخشين وأولاد مخشان بقرية تلمبوط وأولاد اجلامط وأولاد بوغدوا بقرية أكومي وأولاد اثول ازرافن وأولاد حسن وأولاد أجيلان بالقلعة.

وبعد ذلك تنقطع عنا أخبار العمرانيين إلى أواخر العهد السعدي سنة 1027 / 1618، وهو تاريخ تعيين النقيب أحمد بن إدريس العمراني الجوطي من طرف السلطان السعدي عبد الله الشيخ. وتنتشر الفرق العمرانية حسب هذا الظهير في كل من سماتة وبني خالد وبني حسان وبني حزمار وبني يدر وبني جرفط وبني يسف وصنهاجة وحوز تطوان وبني مسارة وورغة والحصن بجبل العلم وبني جبارة وبني ومراس وبني سعيد وبني مزكلدة والقصر الكبير وشفشاون ومكناس وفاس.

ويظهر أن شرفاء بني زجل مثلوا من الناحية الديموغرافية أكبر تجمع في القرى المجاورة لضريح جدهم حنين بتلموط، كما استوطنوا مع العلميين قرى الحرم العلمي في بني عروس وبني حسان كما يدل على ذلك الجرد الذي تم على يد السلطان المولى إسماعيل عام 1105 / 1694 الذي يتطابق مع التنبيهات الواردة عند ابن زاكور الفاسي ت. 1115 / 1704 في وصف قرى الحرم العلمي نقلاً عن النقيب أحمد بن عبد الوهاب، مضيفاً إلى ما سبق، شرفاء تازجلوت إحدى بني يوسف المعدودة من قرى الحرم المذكور، وهم أولاد بوقلينة والجعباق والهواري، كما ذكر أولاد العبودي في تازروت العروسية وأولاد الحاج وشرفاء الماء الحائل في أفرنو وأولاد حسون ببني عروس أيضاً.

ومن الملاحظ أن الجرد الرسمي الذي تم على يد السلطان سيدي محمد بن عبد الله لقبائل الشرفاء الأدارسة بفاس عام 1201 / 1789 أشار إلى أشراف الفحص وبني بوشداد وتلمبوط وخص منهم بالذكر أولاد النجار وأولاد التبر والمنصوريين وأولاد بن سعدنت وأولاد الغريب والمشامريين والمغاربيين وأولاد بوقشابة.

وكلما ابتعدنا زمنياً في رصدنا لأصول العمرانيين إلا وازدادت أنسابهم ومواطنهم تشعباً مما جعل أشهر النسابين المعاصرين المشهود لهم بالضلوع في هذا الميدان مثل إدريس الفضيلي الذي أبدى تحفظه في حصر فروع ومواطن العمرانيين في الشمال واقتصر في ديوانه على ذكر أشهر فروع العمرانيين القاطنين في بين زجل بقرية تلمبوط مضيفاً إلى من سبقه من النسابين أولاد الرفاس في بني عروس وبني جرفط وبني سعيد وبني جبارة وبني ومراس وغزاوة. وعلى

المستوى الاجتماعي يمكن اعتبار العمرانيين أكثر الشرفاء الأدارسة انصاهرا وذوبانا في القبائل الأصلية، ،هم أقل تماسكاً مقارنة مع العلميين وأكثر اختلاطاً بالعامة، كما أننا لم نسجل في رصدنا لمسار الشرف العمراني في الناحية الشمالية الغربية ما توفر لدينا من وثائق مخزنية وغيرها غياب الطموح إلى السلطة في صفوف أعيانهم على غرار العمرانيين الجوطيين بفاس، ويتمثل دورهم بوضوح في ميدان الصلاح والجهاد والعلم.

أ. بن عرضون، *الكتب اللائق في معلم الوثائق*، تطوان، 1936، ص. 201 ـ 205 ؛ أ. بن عبد الوهاب، *الكناش الإسماعيلي*، مخ خاص، ص. 56 ؛ م. بن زاكور، *الاستشفاء من الألم في التلذ بصاحب العلم* ؛ ت. بن رحمون، *شذور الذهب*، ضمن مجموع رقم د 1484 مخ. خ. ع الرباط، ص. 146 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، الجزء 2، فاس د. ت، ص. 170 ـ 172 ؛ مجموعة وثائق مخزنية من القرن التاسع عشر؛ ع. السلام البكاري، *الأشراف العمرانيين بالمغرب*، ص. 57، القنيطرة، 1996.

محمد عمراني

العمراني، الغالي بن محمد الحسني اللجائي، نزيل مدينة فاس. ينحدر من سلالة المولى إدريس، انتقل من قبيلة الجاية (بلاد الزبيب) إلى فاس، وبها تتلمذ على عدة شيوخ منهم الشيخ الحراق وبدر الدين الحمومي، ثم أصبح مدرساً ومفتياً في المدينة ذاتها، كما تقلد خطة القضاء في وجدة، ويبدو أنه لم يعقب.

كان العمراني اللجائي من العلماء الذين ساهموا بالإجابة عن استفتاء السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بشأن مشروعية تنظيم الجيش المغربي على النمط الحديث بعيد انكسار تطوان (59 ـ 1860)، فألف لهذا الغرض كتابه : *مقمع الكفرة بالسنان والحسام في بيان إيجاب الاستعداد وحرب النظام*، وهو مكون من 15 بابا، دافع فيه عن ضرورة إقامة "النظام" أي الجيش المبني على أساس جديد واقتباس تقنيات النظام العسكري الأوربي، اعتماداً على قاعدة "المقابلة بالمقل"، وأورد في هذا الكتاب الكثير من الاقتباسات عن علي التسولي ومحمد الكردودي بخصوص حرب الصف لتدعيم دعوته.

وحرض العمراني اللجائي على الاستشهاد ببعض ما ورد في كتب عربية إسلامية لها نفس انفتاحي، فقد قرأ مؤلف رافع رفاعة الطهطاوي *تخليص الإبريز بتلخيص باريز*، ونقل عنه نصا مطولاً بشأن تنصر المسلمين الذين خرجوا مع نابليون من مصر وندرة وجود المسلمين في فرنسا، وقد أرقت مشكلة التنصير العمراني اللجائي وانزعج بقوة من تخريب الفرنسيين للشريعة الإسلامية في مصر ثم الجزائر وقبل ذلك تحطيم الإسبان للإسلام في الأندلس، وتخوف من أن يتكرر هذا الأمر في المغرب إذا لم يتم الاستعداد لمواجهة المد النصراني وأوّله اتخاذ النظام. وحاول العمراني اللجائي تبرير شرعيته النظام ومن ثم جواز الأخذ عن غير المسلم في أمور الحرب باستحضار حفر الرسول "صلعم" للخندق على غرار الفرس لدرء هجوم الكفار بإيعاز من سلمان الفارسي.

ألف العمراني اللجائي في قضايا مختلفة، ومن مؤلفاته :

دوحة المجد والتمكين في وزارة ونسب العالمين ابني عشرين، عرّف فيه بأسرة بني عشرين الأنصاريين، وترجم فيه للوزير محمد الطيب بوعشرين ووالده اليماني بن المفضل ترجمة واسعة، وضمّنه استطرادات في مواضيع متنوعة.

ـ *الروض الزاهر الوريف في نسب العارف بالله عبد الرحمان الشريف وشعبته المستغنية بشهرتها السامية عن التعريف*، عرّف فيه بجده عبد الرحمان ابن محمد ابن الحسين دفين بلاد الجاية المتوفى عام 1048 / 1638.

ـ *إبطال الشبه ورفع الالتباس*، ردّ فيه على أصحاب البدع والمحدثات في وقته وفقا للمذهب المالكي.

ـ *الفجر الصادق الزاهر المتلألئ في بطلان مهدية الساحر الثائر الجيلالي*، عالج فيه تمرد الجيلالي الغرباوي على السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، الذي ادعى المهدوية سنة 1278 / 1861.

ـ *مضض السياط في قضية ناظر المساكين الطالب محمد المشّاط*، تناول فيه تصرفات محتسب فاس المشاط (1279 / 1862)، وقد أدرج مضمّنه في كتابه *السالف الذكر دوحة المجد والتمكين*.

وله كذلك تأليف في *الجهاد* وما يجب أن يعدَّ له، وشروح على لامية الزقاق. وكان العمراني اللجائي محور تأليف للمؤرخ العربي المشرفي سمّاه عجيب *الذاهب والجائي في فضيحة الغالي اللجائي*، وهو عبارة عن ردٍّ على العمراني الذي تنطَّع على الأمير عبد القادر الجزائري فيما انتصر المشرفي له. وانتقد المشرفي العمراني في مؤلَّف آخر هو *الحسام المشرفي في الرد على أكنسوس المراكشي لأنه أنكر حال العلامة المبروم السني المشهور السيد الحاج حسن قنبور*، وكان العمراني قد سَفّه هذا الصوفي في كتابه المذكور آنفا أبطال الشبه ورفع الالتباس. لم يمتد العمر طويلا بالعمراني.

توفي بفاس سنة 1289 / 1872.

الغالي العمراني اللجائي، *مقمع الكفرة بالسنان والحسام في بيان إيجاب الاستعداد وحرب النظام*، مخطوط، خ ح، رقم 1030 ؛ العربي المشرفي، *نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار*، مخطوط، خ ح، رقم ك، 579 ؛ ع. السلام بن سودة، تر. الغالي اللجائي اللعمراني، مجلة البحث العلمي، العدد، 19 ـ 1979 ؛ خير الدين الزركلي، *الأعلام*، ج 6، ط 7، بيروت، 1986 ؛ ع. الرحمان ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 1، ط 1، الرباط، 1929 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، ج 1، بيروت، 1985.

أحمد المكاوي

العمراني، محمد بن **إدريس** بن محمد بن عبد الرحمن العمراني المراكشي المعروف بالدرقاوي درس بفاس، وكان عالماً فاضلاً.

ركز المترجمون له على علاقته بشيخه في التصوف محمد

العربي الدرقاوي، وأخذه عنه في زاويته ببوبريح (بني زروال)، وخدمته له على عادة المريدين مع شيوخهم. وذكروا أنه أبدى في ذلك خضوعا وطاعة تجعله يُنفِّذ أصعب المهام وأقساها دون تردد.

وأذن له بالذهاب إلى مراكش بعد مدة طويلة من الخدمة. فأسس فرعا للزاوية الدرقاوية بالقصور (حومة أعيان المدينة) بفحل الزفريتي منها. وقد عرفت الطريقة الدرقاوية انتشاراً واسعاً بالمدينة وتأسست بها زوايا عديدة من طرف تلامذة الشيخ، هي : العمرية بباب الخميس (وهي الزاوية الأم) والفتحية بثلاثة فحول، والبدوية بسيدي بولعبادة من حومة بنصالح، وزوايا باب ايلان، روض الزيتون القديم، ازيزط، باب دكالة، والقصبة. وتعتبر زاوية ابن إدريس بالقصور أكثرها نشاطاً في الوقت الراهن.

وقع اختلاف في تاريخ وفاته، فعند ابن إبراهيم أنه توفي في حياة شيخه. والمعروف أن العربي الدرقاوي توفي سنة 1239 / 1823. بينما جعل ابن المؤقت وفاة ابن إديس في أواسط القرن الثالث عشر الهجري (19 م) في العشرة السادسة من القرن (13 هـ).

ودفن بقبة زاوية القصور يساراً. وقد حاولنا حل الإشكال في عين المكان، إلا أنه لا توجد شاهدة عند قبر ابن إدريس المحاط بدربوز خشبي.

وقد نسبت له ـ كغيره من أشياخ الطريقة ـ كرامات في حياته وبعد مماته، كانت سبباً في إصلاح السلطان ـ ولعله محمد بن عبد الرحمن ـ لزاويته، وإجراء الماء لها.

م. ابن الموقت، *السعادة*، 2 : 85 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 6 : 218 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 1 : 40.

حسن جلاب

العمراني، محمد بن **محمد** الحسني الإدريسي، أصل أسرته من فاس ولكن أحد أفرادها (سيدي الحاج عمران بن موسى) خرج لأداء فريضة الحج، ولما رجع إلى المغرب حالت بعض قبائل الشمال دون رجوعه إلى فاس، وفضّلت أن يستقر بين ظهرانَيْها. وفعلاً استوطن تيفَرْنين (الزيتونة الحالية) قريباً من جزيرة باديس. وهناك توفي. وأصيبت تيفرنين بما تصاب به المدن المجاهدة من التدمير والخراب، فهاجر النّسل إلى بلدة قويع الفوْقى من قبيلة بني بوفرح. وشاء البعض منهم (والد المترجم وإخوته) أن يزدادوا قرباً من ضريح جدهم، فاستوطنوا "الجنانات" القريبة من مرسى "أبراج القلعة". هذا، وفي متناول أيدي الأسرة بعض الوثائق والظهائر السلطانية التي تفيد أنهم كانوا أيضاً يستوطنون مدينة تطوان.

ولد أبو عبد الله في منزل قويع يوم 11 من جمادى الأولى من عام 294 / 24 مايو 1877، وتوفي بمنزل "الجنانات" يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر شعبان 1350 (فاتح يناير 1932). ودفن يوم السبت التالي في مقبرة "المجاهدين".

وحضر جنازته أعيان القبيلة ورؤساؤها، وشيخ زاوية بني بوفرح الشيخ محمد الناصري وقد كانت بين الإثنين صداقة صحيحة وعلاقة روحية متينة.

حفظ مترْجَمُنا كتاب الله المجيد وتعلّم العلوم الشرعية واللسانَية بعد ذلك على الطريقة المغربية. وكان أهم شيوخه جدّه ووالده، فقد ربّيَاهُ فأحسنا تربيته، وأصبح مثلهما في اتجاههما الروحي والكفريّ والعلميّ. أجل لقد تخرج على يديهما، فنهج نهجَهما في شؤون الحياة. كان يُكْثر من تلاوة القرآن الكريم أثناء الليل وأطراف النهار، ويكثر من مطالعة الكتب وتحرير الوثائق العدلية، والفتاوى الشرعية، كما كانت داره مقصد طوى الحاجات. وبالجملة، يمكن أن نقول فيه، ما قاله هو في حقّ والده :

"قد كان ـ رحمه الله ـ فاق أهل قُطره في علم الفرائض والحساب، وفي علم الجدول، وكذلك في التوقيت، وعلم الوثيقة. وله خبرة بالطبّ، وتركيب الأدوية. وله من معرفة التوحيد ما يخرجُه من ربقة التقليد". استمر أوَارُ حرب التحرير الريفية بقيادة أمير الجهاد محمد بن عبد الكريم الخطابي وأخيه البطل المجاهد مَحمد (فتحا)، فخاض غمارها مترجَمُنا أبو عبد الله، لكن بالقلم لا بالسيف، فقد كان كاتباً (سكرتيراً) للأمير. ومنذ مدة خلتْ، كنت ضيفاً في دار أحد قواد الساحة الغربية من تلك الحرب، وأعنى السيد اليزيد ابن صالح باشا تطوان الأسبق، فأطْلعني على عدّة رسائل حربية كانت محررةً بقلم مترجمنا أبو عبد الله محمد العمراني، وممضاةً باسم أمير الجيش مَحمد بن عبد الكريم الخطابي، وهي ترينا مدى التقدّم الذي كان المجاهدون يحرزونه يوماً بعد آخروهم في طريقهم لتحرير مدينة شفشاون من يد السلطات الإسبانية.

شجرة نسب الكاتب السطور، كتاب مخطوط مائل للطبع.

S. David Woolman, *Rebels in the Rif*, p. 131, Oxford University Press, London, 1969.

عبد الله العمراني

العمْراني، محمد المعطي بن أحمد قاضي قبيلة الأخماس كان يرأس جماعة من مجاهدي قبيلته انضم إلى صفوف المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني وقد حضر جميع المؤتمرات التي كانت تعقدها الثورة حيث انتخب عضواً بالمجلس الاستشاري للمقاومة في المؤتمر المنعقد بقرية عين الدالية بقبيلة الفحص يوم 11 ماي 1913 ؛ وقد شارك في عدد كبير من المعارك إلى غاية سنة 1924.

م. ابن عزوز حكيم، الشريف *الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

العمراوي، أسرة فاسية أصلها من قبيلة بني حسن، ويعرفون بأولاد ابن إدريس، قال في *إزالة الآلتباس* : "ينتمون إلى الشرف، أهل تجارة ومال ومعاش وحرفة وطلب". وذكر أحمد العمراوي آتي الترجمة أن العمراويين من ذرية عيسى ابن إدريس وأنهم هم المعروفون بالشنويين، سموا بذلك لأن جدهم أخذ عن الشيخ الشنوي بمصر.

عمراوي، إبراهيم من مواليد 1928 بزاكورة إقليم ورزازات. وعند اندلاع شرارة الثورة العظمى التي عرفها المغرب خلال فترة الاحتلال قام الشباب التواق إلى الحرية والانعتاق بالانضمام إلى صفوف المقاومة السرية للتعبير عن تضامنهم اللامشروط مع حركة الاحتجاج التي بدأتها الجماهير في جميع المدن والضواحي ضد سياسة الظهير البربري وأحسن مثال لهذه الفئة الشابة في النضال نجد الشهيد عمراوي إبراهيم الذي كان منخرطا ضمن منظمة "جيش الأطلس" التي كان شعارها : "حماية الوطن والعرش والذود عن كرامة الشعب". هذه المنظمة التي كان المسؤول عنها هو السيد بوشتى، اطرت هذا الشاب الذي أنجز معها عدة عمليات بطولية منذ أن التحق بها سنة 1954 إلى آخر عملية وهي عملية تفجير مقهى فيفال حيث أصيب عمراوي إبراهيم برصاص الاستعمار فسقط شهيداً وهو في عنفوان شبابه وذلك بتاريخ 13 نوفمبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 520911.

العمراوي، أحمد بن عبد السلام من ذرية الوزير الشهير محمد بن إدريس. ولد بمدينة فاس عام 1326 / 1908 وبها نشأ وتعلم وحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بالقرويين فدرس حراً وداخل النظام إلى أن تخرج بشهادة العالمية. وحصل على إجازات كثيرة من الشيوخ.

تزوج بمدينة سلا واستوطنها. وعمل كاتباً لصهره الباشا الحاج محمد الصبيحي ثم انتقل للكتابة بالحكمة العليا بالرباط، وبعد ذلك التحق بوزارة العدل ككاتب ثم كقاض مكلف بدراسة ملفات العدول والموثقين إلى أن أحيل على المعاش.

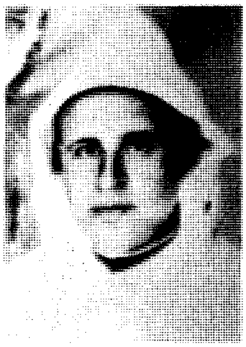

وكان خلال ذلك يلقي دوساً بمسجد سيدي أحمد حجي بين العشاءين، ويحضر المجالس الحديثية بالقصر الملكي، ويفتتحها يسرد النصوص التي تدرس بصوته الجهوري الرخيم.

توفي بسلا ليلة الاثنين 23 جمادي الأولى عام 1409 / 2 يناير 1988.

ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، ج 2 ؛ م. ابن الحاج السلمي، *إسعاف الإخوان الراغبين*، الدار البيضاء، 1992، ص. 42 ـ 61.

محمد حجي

العمراوي، العربي أحد الإخوة الستة من شرفاء الأسرة العمراوية بفاس ممن اشتهروا بممارسة فن المديح والسماع وإنشاد بردة الإمام البوصيري ولواحقها من المقطعات وفق الطريقة الفاسية المتوارثة. وهؤلاء الإخوة هم : السيد الطاهر، والسيد قاسم، وسيدي حميد، وسيدي العربي، ومولاي أحمد، وسيدي محمد (فتحا) الذي تولى رئاسة حلقات السماع بالضريح الإدريسي بعد وفاة الشيخ سيدي علال بلفقيه.

وقد تميز العربي من بين إخوته بجمال صوته وقوة عارضته وقدرته على طرق النغمات الحادة، فضلاً عن حفظه للستينيات وإجادة إنشادها. وكان له ـ إلى ذلك ـ إلمام بالموسيقى الأندلسية، يحفظ ميازينها ويتقن طبوعها.

وقد أهلته معرفته بالفنين معا للعمل في حضرة جوق المرحوم البريهي برئاسة المرحوم الحاج عبد الكريم الرايس، فضلاً عن ملازمته لحلقات المسمعين فقد شارك بانتظام ـ إلى جانب إخوته الطاهر وحميد ـ وفي مهرجانات السماع التي دأبت على تنظيمها جمعية أبي رقراق بسلا منذ عام 1986. وقد تولى المترجم تنسيق الحصص الفنية التي شارك بها مسمعو فاس في الملتقيات الثلاثة الأولى (1986 ـ 1987 ـ 1988) قبل أن تُعهد إلى الفنان الرباطي الأستاذ عبد اللطيف بنمنصور مهمة التنسيق العام لمساهمات الفرق المشاركة في المهرجان.

وفي إطار الأنشطة الفنية التي كانت تقوم بها "جمعية البحث الموسيقى" بفاس لفائدة أعضائها في بحر الثمانينيات

عهدت إليه مهمة تلقين أصول السماع وإنشاد الستينيات في حلقات أسبوعية منتظمة. وقد كان من النتائج الإيجابية لهذه الحلقات انبثاق "جمعية الإمام البوصيري" التي أسسها بعض تلامذته بفاس يوم 20 دجنبر 1994.

بطاقة شخصية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن **عَمْرو** - بفتح الميم وسكون العين والراء -، وينطق بها عْمَرْ . أسرتان نبيلتان بفاس والرباط. فأما أولاد ابن عمرو الفاسيون فهم على ثلاث فرق، أما الأولى والثانية حسب مؤلف *بيوتات فاس الكبرى* : "بيتهم بيت ثروة وحسب رفيع، يقال إنهم من ولد عكاشة بن محصن الفزاري، ولهم قصبة ودار متصلة بها خارج باب الفتوح من فاس الأندلس يقال لها دار بن عمرو. وقد انقرضوا منذ مدة ومازالت أطلال القصبة معروفة حتى اليوم خارج باب الفتوح، وهي الآن على ملك أولاد الأزرق. وتوجد بالطالعة أيضاً عرصة تعرف بعرصة ابن عمرو. وأما الفرقة الثانية فيوجدون بفاس حتى اليوم، وهم من شرفاء جبل العلم جاؤوا أوائل المائة العاشرة، وأول قادمٍ ومنهم إلى فاس عمرو بن محمد بن إبراهيم، أهل طلب ومعاش وحرفة. ومنهم نائب قاضي الجماعة بفاس الغالي بن العربي ابن عمرو الحسني (تـ. 1363).

وأما أولاد ابن عمرو الرباطيون، فمن أصل أندلسي، وهم من الأنصار من قبيلة الأوس، نبغ فيهم عدد من الفقهاء والأدباء، وتوارثوا العلم والمجد إلى أيامنا هذه.

ع. السلام ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 2 : 126.

ابن **عمرو، الغالي** بن العربي الحسني الفاسي، حلاه في *سل النصال* بـ "بالفقيه العلامة المدرس المفتي المطلع المشارك". درس على كبار شيوخ عصره أمثال مَحمد بن قاسم الشادري، وأحمد بن الخياط، والتهامي گنون، اشتغل بالتدريس والإمامية بجامع القرويين مدة طويلة، نيابة عن امامها الشيخ محمد بن الطالب الفاسي وتاب عن قاضي مقصورة.

توفي بفاس يوم الجمعة 26 قعدة عام 1364.

إتحاف سل النصال / موسوعة أعلام المغرب، ج 9 : 3201.

محمد حجي

ابن **عمرو، محمد** بن **محمد** من مواليد سنة 1935 بتافوغالت إقليم وجدة.

منذ شبابه عرف بالاستقامة ونقاوة الضمير والوطنية الصادقة الشيء الذي دفعه إلى المشاركة في الانتفاضة العارمة التي عرفتها مدينة وجدة يوم 16 غشت 1953 ضد السياسة الاستعمارية. وخلالها أبان الشهيد عن روح نضالية صادقة في الدفاع عن حوزة البلاد، فقام بعدة أعمال فدائية استهدفت مصالح المستعمر، كما قام باغتيال معمر فرنسي. ونظراً لناشطه الفدائي هذا تمت مطاردته من طرف الشرطة الاستعمارية التي أطلقت عليه الرصاص، نقل على إثره إلى المستشفى ليلفظ أنفاسه الأخيرة في نفس اليوم، تغمده الله برحمته الواسعة.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 514703.

العمروي، محمد بن **إدريس** (ثلاث مرات) بن محمد بن عبد الله الفاسي الوزير الكاتب الشاعر. يزيد ابن زيدان، بعد أن رفع نسبه إلى الخليفة الراشدي علي بن أبي طالب وزوجته فاطمة، الزموري البويحياوي. لكنه اشتهر بالعمروي، نسبة إلى بني عمرو من قبيلة زمور، كان سلفه من الأدارسة، قد استقروا فيهم حين قيام مغراوة على هؤلاء، مختفين "في أغمار القبائل فنسبوا إليهم".

لم يقف جميع من ترجموه على تاريخ ولادته. ويرجح ع. گنون أنه من مواليد مستهل القرن الثالث عشر (نهاية القرن 18 م)، بناء على زمالة العمروي لأكنسوس في الطلب، ورفقته له زمن الشباب. ومعلوم أن الأديب المؤرخ قدم فاسا عام 1229 / 1814، وهو إذاك في الثامنة عشرة. وبذلك فهو - بحسب گنون - إما تربه أو قريب من ذلك ؛ بناء على قول أكنسوس : "فتمكن من يومئذ بيننا وبينه حب روحاني.. فقضينا زمن الشبيبة في تحصيل ما كتب من علوم الرسوم، في اشتراك المشايخ والمجالس، واقتناء الفضائل والنفائس...

لكن محمد الأخضر يجزم بأنه ولد سنة 1209 / 1794، ومرجعه في ذلك ترجيح الناصر الفاسي الذي اعتمد على قرينة زواج ابن إدريس حوالي عام 1230 / 1815، وهي قرينة لا نشاطره الاستناد إليها لضبط تاريخ ميلاده (البحث العلمي...، 1 : 159).

وأيا ما كان، فإن العمروي ولد بدار تقع بدرب اللمطي بعدوة الأندلس من فاس القديم، من أسرة عرفت بالخير والصلاح. فقد كان والده يعلم الصبيان القرآن الكريم، في المكتب، حتى انتفع به عدد من الناس، وتخرج على يده كثير من الطلبة. وكان كثيرا ما ينوب عن الإمام الراتب في الصلاة، بجامع الأندلس...

في حجر هذا الوالد المعلم الإمام، نشأ المترجم نشأة مرضية على العلم والبر والتقوى. وما أن صلب عوده حتى تصدر، بدوره، إلى التعليم في مكتب والده، صادرا في جميع أموره عن إشارته. قال أبو عبد الله أكنسوس، منوها بسلوك صاحبه : "ولا يسقط في يده درهم فأعلى [كذا] إلا ألقاه في يد أبيه".

ولم يكن المكتب ليلهيه عن حضور دروس العلم بجامع القرويين، إذ كان ينيب عنه عمه، أحمد بن محمد العمروي، في تعليم الصبيان. ويذكر الأستاذ گنون أن العمروي "رزق على ذلك القوة الباهرة"، حتى إنه كان - إلى جانب ذلك - ينسخ الكتب "للبيع ويستعين بها على المعاش".

أخذ العمروي العلم عن مشاهير شيوخ عصره. وكان عمدته ثلاثة هم، محمد بن طاهر الحبابي، رئيس الموقتين بمنار القرويين. أخذ عنه الحساب والتعديل. وأخذ عن الشيخ حمدون ابن الحاج النحو واللغة والعروض والأدب. ومن شيوخه أيضا، الفقيه الأزمي والطيب الكتاني وعبد القادر العلمي. علاوة على ذلك، كان مترجمنا كثير التردد على كل من اشتهر بالصلاح. من ذلك أنه كان يأوي إلى مولاي عمرو العمراني، المتوفى عام 1230، ليطلب منه الدعاء الصالح، وهو الذي لقبه بالسلطان الصغير. ويضيف ابن زيدان أن العمروي كان "يحب السماع ويستنعش به ويرتاح له".

ومما ذكر أن المؤرخ أبا القاسم الزياني كان له أثر بيِّن في تكوينه وتوجيهه إلى السياسة. فقد لزمه، وكان ينسخ له مؤلفاته التاريخية. نقل صاحب الإعلام ما قاله الزياني في آخر كتابه البستان : "كان [أي ابن إدريس] في ابتداء أمره يستخرج لنا ما كنا نقيده في تأليف الترجمان والبستان والألفية والجمهرة والفهرسة والحادي والبغية والسهام الراشقة وشرح الكورة والرحلة وغيرهم".

وبفضل تلك الملازمة قدمه الزياني إلى السلطان عبد الرحمن بن هشام، أيام كان خليفة على فاس، فقربه واستكتبه. وكان ذلك سنة 1237 / 1821. لكن حدث ما أوقع الجفوة بين الزياني وابن إدريس. ذلك أن حمدون ابن الحاج استمال الشاعر الشاب الذي هجر الزياني، حتى كان يمر ببابه ولا يسلم عليه. وهذا ما جعل المؤرخ لا يتردد في المن على ملازمه السابق، ويعدد عليه ما كان ينعم به عليه، ثم يستبدله بناسخ آخر. وقد امتدت القطيعة بينهما حتى وفاة الشيخ ابن الحاج، حيث عمد ابن إدريس إلى استرضاء الزياني وطلب مصالحته. فكان أبو بكر المنجرة هو الذي توسط بينهما، ولا سيما حين نظم ابن إدريس قصيدة يتودد فيها إلى ولي نعمته ويمدحه.

ولم يزل من الخليفة مولاي عبد الرحمن بالمكان الأمكن، حتى توفي المولى سليمان، وبويع له بالملك، فولاه العاهل الجديد رئاسة الكتبة. ولما رأى حسن عقله وديانته استوزره، فـ"ارتفع من دكة المكتب وتعليم الصبيان، إلى أريكة الوزارة وتدبير الدولة" على حد تعبير الأستاذ گنون.

ولعل سبب نجاحه راجع إلى ما اتصف به من استقامة، حيث "كان لا يرى في غالب أوقاته غير كاتب أو مطالع أو مصل، وكان محافظا على الطهارة كلما أحدث توضأ". هذا علاوة على قدرة عديمة النظير على تحمل مشاق العمل. يقول ابن زيدان، في هذا السياق : "وكان ذا ملكة واقتدار على الأشغال، يسد مسد أربعة إذا اجتهدوا". كما كان مخلصا في عمله، محبا له. وهذا ما يفهم مما قاله صاحب الإتحاف : "وكان ينبسط إلى الكتاب ويمازحهم قصدا لإدخال السرور عليهم".

لكن مترجمنا تعرض للمحنة، حيث غضب عليه ولي نعمته، بسبب اتهامه بالإفساد بينه وبين جيش الودايا، الذين اشترطوا عزله عند مراجعتهم لطاعة السلطان. فعزل عن الرئاسة والكتابة في شوال من سنة 1246 / 1830، وأمر بلزوم داره. ثم سجن ونهب متاعه، وظل يرسف في قيود الحديد إلى أن أطلق سراحه، فاستحرم بضريح ابن مشيش محاولا الابتعاد عن الجميع. إلا أن السلطان أمر بإشخاصه، هو وزمرة من أصحابه، بسبب وشاية بعض الحسدة الذين أوغروا صدره عليه، حيث "قرروا له أن مقصوده بهذه الوجهة هو الهرب بمال كان دسه". فرد من جديد إلى المحنة التي كانت أشد من الأولى. فبقي بفاس مدة حتى أشار عليه البعض بالتوجه إلى مكناس، والسلطان إذ ذاك بها، ليحترم بالضريح الإسماعيلي. ولما طرق خبره أذن المولى عبد الرحمن، أمنه وأمره بالحضور بين يديه، ليستكتبه من جديد، إلى جانب الوزير المختار الجامعي، قبل أن يرده إلى منصبه. بل رقاه، حيث أعطاه الطابع وعزز له الوزارة بالحجابة. كان ذلك سنة 1251 / 1835. ويذهب الناصري إلى أن السلطان اضطر إلى ذلك، لأنه لم يجد من يسد مسده أو يغنيه عن خدمته. ومازال يسدي الخدمة للدولة حتى وافاه الأجل المحتوم، ضحى يوم الإثنين رابع محرم عام 1264 / 1847.

وبالرغم عن أن الفترة التي عاش فيها ابن إدريس قد تميزت بالضعف والانحطاط في المعارف عامة واللغة خاصة، فإنه ترك من بعده ثروة أدبية متنوعة، من قصائد ومقطعات وأبيات شعرية، في شتى الأغراض. هذا فضلا عن عدد وافر من الرسائل السلطانية والإخوانية، يقول عنها الأستاذ گنون : "لو قدر لها أن تجمع لخرجت في مجلدات".

فأما في الشعر، فكان ابن إدريس من المكثرين. وفضلا عن تنوع أغراضه، "بين مديح ورثاء ونسيب وغزل ووعظ وتصوف، فإن ملكته فيه قوية ونفسه طويل، قد تتخلف عنه الإجادة في بعض الأحيان، شأن المكثرين".

على أن القصيدة التي نظمها على إثر احتلال فرنسا لبلاد الجزائر، تعد من غرر قصائده، في نظري. وفضلا عن نفسها القوي وبنائها المتين، من حيث اللغة والبيان، فإنها وثيقة حية تعبر عن موقف المغاربة، حكومة وشعبا، من ذلك الاحتلال، إذ تخلد صفحة مشرقة من التضامن المغربي مع الأشقاء الذين نزل بهم ذلك الرزء العظيم.

بل إن السلطان قد أمر أن تتلى عقب الصلوات، في المساجد وكراسي الوعظ، في أدنى البلاد وأقصاها (ن. الفاسي، م ابن إدريس، البحث العلمي، عدد 1، ص. 165).
ومما قال فيها :

يا ساكني الغرب الجهاد الجهاد فالكفر قد شارككم في البلاد
والشرك قد نصب أشتراكه مستعبدا بكيده للعباد
ويا حماة الدين ما صبركم والمشركون يطلبون البداد...

وقال في ذات السياق، على روي صعب :

يا أهل مغربنا حق النفير لكم
إلى الجهاد فما في الحق من غلط
فالشرك من جنبات الشرق جاوركم
من بعد ما سام أهل الدين بالشطط..
من جاور الشر لا يعدم بوائقه
كيف الحياة مع الحياة في سقط

أ. الزياني، *البستان* ؛ أ. ابن خالد الناصري، *الاستقصا* ؛ غريط، *فواصل الجمان* ؛ الفاسي، سلوة *الأنفاس* ؛ ابن زيدان، *الإتحاف* ؛ ابن سودة، *دليل* ؛ الكانوني، *أسفي* ؛ ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ ل. بروفنصال، *مؤرخو الشرفاء* ؛ گنون، *ذكريات مشاهير* ؛ *النبوغ المغربي* ؛ الزركلي، *الأعلام* ؛ البحث العلمي، *ديوان محمد بن إدريس*، تح. شهيد التهامي، 1985 ؛ ع. الرزاق أمجنح، *ديوان أبي عبد الله محمد بن إدريس*، دراسة وتحقيق. د. د. ع. في شعبة ل. ع. أ. كلية الآداب، جامعة القاضي عياض، مراكش، 1997.

أحمد عمالك

العمري علوي، محمد بن لحسن، من مواليد سنة 1918 بإقليم الرشيدية.

كان من المقاومين البارزين بإقليم الرشيدية حيث انخرط في إحدى المنظمات السرية سنة 1954 وذلك على إثر الأحداث التي كان يعيشها المغرب بعد نفي محمد الخامس.

ونتيجة أعماله الفدائية تم اعتقاله من طرف السلطات الاستعمارية حيث زج به في غياهب السجون، وقد تحمل كل أنواع التعذيب الجسدي والنفسي في سبيل استقلال وطنه. وقد نقل الفقيد من سجن قصر السوق إلى سجن لعلو بالرباط حيث مكث به إلى أن أنعم الله على المغرب بالاستقلال.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 522136.

العمري، عمران بن عبد الله، يكنى أبا هارون، من أهل بصرة المغرب، ذكره عياض في الطبقة الأولى من فقهائها. ينتسب إلى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. قام برحلة إلى الشرق وفي زيارته للمدينة المنورة "قصد دار جده عمر بن الخطاب واجتمع بأهله وانتسب لهم فقبلوه وصححوا نسبه، وأخرجوا إليه درع عمر وسيفه، فلبس الدرع وتقلد السيف".

يعتبر من بين أقدم الفقهاء المغاربة الذين احتفظت المصادر بأسمائهم. وقد انفرد القاضي عياض بالترجمة له في *ترتيب المدارك*، ونقل بعض أخباره من تقييد بخط الخليفة الأموي الحكم المستنصر.

لا يعلم شيء عن أوليته، ولا يبعد أن يكون درس بمدينته أو بمدينة فاس. تبتدئ أخباره بسفره إلى الحج قبل سنة 309 / 921، وهو يومذاك فقيه متضلع. صحبه في رحلته جماعة من فقهاء بلده منهم أحمد ابن حذافة وبشار بن بركانة، وكان العمري متقدما عليهم، فسمعوا جميعا من كبار مالكية العصر، حيث أخذوا بالإسكندرية عن أحمد بن ميسر (ت. 309 / 921)، وابن أبي مطر، وبالقيروان عند عودتهم من أبي بكر ابن اللباد (ت. 333 / 944).

وقام الفقيه أبو هارون العمري وصاحباه أيضاً برحلة إلى الأندلس سمعوا فيها من أحد كبار حفاظ المذهب المالكي بالأندلس هو فضل بن سلمة الجهني (ت. 319 / 931) ببجانة، وسمع فضل بدوره كتاب *ابن المواز من أبي هارون العمري* الذي رواه بالإجازة عن ابن ميسر عن مؤلفه، وبذلك يعتبر أبو هارون أول من أدخل هذا الكتاب إلى المغرب والأندلس.

نسبت لأبي هارون مسائل مستحسنة في الفقه من سؤالاته وسؤالات لصاحب له يعرف بعبيد الله ابن يعيش وجهاها لأحمد بن ميسر بالأسكندرية، وقف عليها القاضي عياض وضاعت بعده.

توفي أبو هارون بالبصرة في حدود سنة 331 / 943.

القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، ج 5، ص. 148 - 149.

محمد المغراوي

العمل عند الفقهاء هو العدول عن القول المشهور أو الراجح في بعض المسائل إلى القول الضعيف فيها رعياً لمصلحة الأمة وما تقتضيه حالتها الاجتماعية. ومستندهم في ذلك قول عمر بن عبد العزيز : "تحدث للناس أقضية بقدرما أحدثوا من الفجور" فاتحاً بذلك باب التطور في الأحكام وصبغها بصبغة المجتمع.

ابتدأ العمل في الأندلس منذ القرن الرابع (10 م) حيث ورد في كتاب الفقيه أحمد بن سعيد الهمداني القرطبي (ت. 399 / 1009) أن العمل جرى في الأندلس بإعطاء الخصم نسخة من حجج خصمه ولو كانت غير مشكلة خلافاً للمشهور في مذهب مالك. وفي أوائل القرن السادس (12 م) بلغت مسائل العمل في الأندلس حسب كتاب *المفيد في الأحكام* لأحمد بن هشام الغرناطي (ت. 530 / 1136) اثنتين وعشرين مسألة خالفوا في أربع منها مذهب مالك، وفي ثماني عشرة مسألة مذهب ابن القاسم كالحكم بالشاهد واليمين وغرس الأشجار في المساجد.

دخل العمل الأندلسي إلى المغرب بسبب الامتزاج السياسي والثقافي على عهد المرابطين والموحدين، وأخذ يتبلور العمل المغربي في القرن التاسع (15 م) بظهور فقهاء مجتهدين بفاس، فبلغت مسائل العمل حسب لامية *الزقاق*

18 مسألة، ثم توالت اجتهادات الفقهاء المغاربة انطلاقاً من عهد السعديين وتكاثرت في كتب النوازل حتى جمع عبد الرحمن الفاسي في نهاية هذا العصر عدداً وافراً من تلك الاجتهادات في كتابه المشهور *العمل الفاسي*، وهي أرجوزة من 453 بيتاً شرحها الناظم وغيره.

ومن بين المسائل التي جرى فيها العمل بالمغرب على خلاف المشهور : شهادة اللفيف، أي عدد كثير من الناس لا تتوفر فيهم شروط العدالة المقررة. وقد أخذ القضاة يتساهلون في قبول شهادة اللفيف حين تتعذر شهادة العدول كما هو الشأن بالبادية وبعض الحالات الخاصة في الحاضرة. وقد حضر محمد العربي الفاسي في أوائل القرن الحادي عشر (17 م) مناظرة حول شهادة اللفيف بمجلس قاضي الجماعة بفاس علي ابن عمران، وكان حاضراً بالمجلس الفقهاء المؤلفون المشهورون أحمد المقري، وإبراهيم الگلالي وعبد الواحد ابن عاشر، وانفصلوا على قول لقاضي ابن عمران : إن اللفيف .. لامستندله، وانما هو شيء اصطلح عليه المتأخرون لتعذر وجود العدول. وألف بعد ذلك العربي الفاسي *رسالة في شهادة اللفيف* جعلها في ثلاثة أقسام، ودافع عن قبول شهادة العامة باعتبارها ضرورة اجتماعية لا مندوحة عنها في البادية وحتى الحاضرة أحياناً.

وكذلك بيع الصفقة الذي يدخل في إطار ما تحدثت عنه *المدونة* وغيرها من رفع ضرر الشركة بإجبار من لم يقبل القسمة من الشركاء عليها إذا طلبها الشريك متى اتحد مدخل الشركاء في الملك بإرث أو غيره، وكانت القسمة تفسد المشترك. لكنّ فقهاء المغرب توسعوا كثيراً في مسألة الشركاء المتحدي المدخل فقالوا (بإجمال البيع وضم الصفقة) أي إعطاء الشَرِيك حق بيع الملك المشترك كله دفعاً لضرر الشركة، ولشريكه حق ضم حظ البائع بالشفعة.

ألف في الصفقة أحمد الونشريسي صاحب *المعيار* كتاباً بعنوان *حلّ الربقة عن أسير الصفقة*، إلا أنه مات قبل إتمامه، وأكدت لامية *الزقاق* أن الصفقة من المسائل التي جرى بها العمل في فاس تبعاً للأندلس، ثم جاء محمد ميارة مفتي فاس في النصف الثاني من القرن الحادي عشر (17 م) فجمع كل ما يتعلق بالموضوع وفصله في كتابه *تحفة الأصحاب والرفقة ببعض مسائل بيع الصفقة*، ذكر فيه استناداً إلى اجتهادات الفقهاء المتأخرين أن بيع الصفقة لا يختص بالعقار، بل هو جار في كل ما لا يقبل القسم من عقار وعروض وحيوان، وحتى في بيع المنافع، وتتبَّعَ ضوابط الصفقة التي جرى بها العمل، وتفرعت عنها فروع كثيرة وضوابط مثل قولهم : "يجبر الداخل للأصيل ولا يجبر الأصيل للداخل" ونبه إلى التطور الذي حصل في مسألة بيع الصفقة حيث كان أولاً بيد القاضي، ثم أصبح بيد الشريك يوقعه متى شاء دونما حاجة إلى أخذ رأي القاضي، وأورد نموذجاً لعقد بيع الصفقة كما كان يكتبه العدول في ذلك العهد. واتسعت اجتهادات الفقهاء المغاربة فيما جرى به العمل خلال القرون الأخيرة في الحواضر والبوادي والجبال، وأبرز ما نشر في الموضوع العمل المطلق وشروحه.

أبو بكر زنيبر، (المفتي السلوي)، *العمل عند الفقهاء*، سلسلة مقالات في ملحق جريدة المغرب، ابتداء من ع 1، أبريل، 1938 ؛ أ. الونشريسي، *حل الربقة عن أسير الصفقة*، مخطوط ؛ علي الزقاق، *لامية الزقاق*، ط. حجر فاس ؛ ع. الرحمن الفاسي، *العمل الفاسي*، وشرحه، ط. حجر فاس ؛ م. العربي الفاسي، *رسالة في شهادة اللفيف*، مخطوط ؛ م ميارة، *تحفة الأصحاب والرفقة ببعض مسائل بيع الصفقة*، مخطوط ؛ م. السجلماسي الرباطي، *العمل المطلق* ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1977، ج 1 : 304 ـ 307.

محمد حجي

عمّار (آيت ـ)، منطقة تقع شمال غرب وادي زم، على بعد حوالي 30 كلم. وتمتد على مساحة حوالي 1166 كلم^2، محتلة بذلك مجالا يفصل بين قبائل بني خيران والسماعلة ووردیغة. ولهذا الموقع تعبرها الطريق الرئيسة رقم 22، الرابطة بين الرباط وبني ملال عبر وادي زم والفقيه بن صالح. ومنها تتفرع طريق ثلاثية رقم 1528 تصل آيت عمار المركز على مسافة حوالي 6 كلم.

يقطنها فرع من الشرفاء الأدارسة، ينقسمون إلى فخذتين : أولاد مْحمد بن عيسى ويحتلون الشمال الشرقي، وأولاد إبراهيم يقطنون الجنوب الغربي. وتتكون كل فخذة من عدة دواوير :

أولاد مْحمد بن عيسى	أولاد إبراهيم
آيت الشرقي	آيت العثمانية
آيت الساهل	آيت الصالح بن علي
آيت امحمد	آيت الغزوانية
آيت علي وعمر	أولاد رابحة
القواسم	أولاد بوي حمو
الورارقة	
الفضالة	

ويشير Zaïan" Raymond Peyronnet إلى أن هؤلاء الشرفاء أقاموا "في جنوب شرق بني خيران، وتفرعوا إلى ثلاثة دواوير، وتشيعوا لجيرانهم أولاد بوغادي وبني منصور حتى بدون الاستناد إلى أصل مشترك".

وظل هؤلاء السكان يرتكزون على نشاط اقتصادي تقليدي اعتمد أساسا زراعة بعلية، إنتاجها متذبذب بسبب فقر التربة وضعف الوسائل وعدم انتظام سقوط الأمطار...، وعلى تربية الماشية، وخاصة الغنم، في إطار الرعي الجماعي. وأهم تحول عرفته المنطقة كان في فترة الحماية، فقد سيطر المعمرون على أخصب الأراضي في "بلاد الرباط" وشرع في تقسيم المنطقة بين الدواوير منذ سنة 1924، وبدأ إنتاج منجم الحديد سنة 1937، وكان أهم منجم للحديد في منطقة الحماية الفرنسية، فقد تعدت نسبة مساهمته 80٪ سواء تعلق الأمر بالإنتاج أو بنسبة التشغيل في مناجم الحديد عامة، حيث استقطب يدا عاملة تجاوزت 1650 عاملا سنة 1952.

ونظرا لأهميته أصبحت المنطقة مرتبطة بخط للسكة الحديدية بمحطة "الگفاف" على الخط الرابط بين الدار البيضاء ووادي زم.

ومنذ الشروع في استغلال هذا المنجم، أصبحت منطقة "الحايط لحمر" نسبة إلى تل كبير ذي مرفولوجية حمراء بارزة مقارنة مع باقي التلال وتعرف بـ"آيت عمار". ولتفسير هذا التغيير الحاصل في الاسم، نورد الفرضيات التالية :

- والكثير من سكان المنطقة يفسر هذا الاسم الجديد بالاعتماد على الانتماء إلى الشرفاء الأدارسة العمرانيين، أو بأن المنطقة أصبحت عامرة بعد الشروع في استغلال المنجم.

- ويرجع البعض الآخر أصل السكان إلى قبيلة "آيت باعمران"، وقد حملوا نفس الاسم بعد تحريف.

- وهناك من يرى - وهذا الرأي راجح - أن هذا التغيير جاء على يد الأجانب أنفسهم، فعوض قول : "El-Heït - Lahmar" وقع تحريف صوتي نظرا لصعوبة نطق بحرف "الحاء" من طرف الأجانب، فأصبحت تعرف "L'Aït L'Amar" ثم "Aït Amar" فيما بعد.

واشتهرت المنطقة كذلك بمشاركتها الفعالة إلى جانب جارتها وادي زم في ثورة غشت 1955. وأصبحت جماعة قروية منذ سنة 1959، تابعة لقيادة "بني خيران" دائرة وادي زم. إلا أن إغلاق المنجم سنة 1968 وإزالة السكة الحديدية شكل نكسة اقتصادية للمنطقة، فأصبحت عامل طرد للسكان، وتراجعت فيها عدة أنشطة. وفي سنة 1990، كان مجالها الفلاحي يمتد على مساحة 6.470 ha، ووصل عدد رؤوس المواشي بها إلى 29.000 رأس.

B.E.S.M. ; M. et E. Gouvion, *Kitab Aayne Al Maghreb l'Aaksa* ; *Guide des communes 1991* ; Cap. R. Peyronnet, *Tadla, pays Zaïan, Moyen Atlas* ; *Répertoire alphabatique des confédératrions de tribus... de la zone française de l'empire chérifien* au 1er Nov. 1939 ; J.T. Robert, *Dictionnaire des villes et localités du Maroc*.

صالح شكاك

عَمُّورْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Amor ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

وكانت بتطوان أسرة أخرى تحمل نفس الاسم وأصلها من فاس وقد اتخذت تطوان قاعدة لتجارتها مع جبل طارق عبر ميناء مرتين، وأشهر فرد منها هو :

عَمُّورْ، حمو الذي حصل على إذن الاتجار مع جبل طارق عبر ميناء مرتين أصدره السلطان مولاي سليمان يوم 28 شوال 1221 (8 يناير 1807).

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1188.

محمد ابن عزوز حكيم

العمُّوري، محمد بن علال ينحدر من قبيلة الشراردة التي تنتشر بضواحي فاس، لا نعرف شيئاً عن تاريخ ميلاده، ومن الراجح أن يكون شاهد النور في أواخر العقد السابع أو بداية العقد الثامن من القرن (19 م)، انخرط في الجيش المخزني وهو لا يزال غضا طريا، فأثار انتباه كبار القواد بشجاعته وإقدامه، فرقي سنة 1905 إلى رتبة قائد المائة. شارك إلى جانب الباشا محمد بن بوشتى البغدادي في عدد من الحركات العسكرية التي كان بن البغدادي يقودها لردع القبائل المشاغبة في المناطق الشمالية والأطلس المتوسط، وقد كان محمد بن علال العموري نموذجا للعسكري المنضبط، ويتفانى في خدمة المخزن، فانصقلت مواهبه القيادية والعسكرية الأمر الذي جعل المخزن ينتدبه في بعثة إلى مدينة صفرو سنة 1908 للحفاظ على الأمن.

سمحت هذه البعثة إلى صفرو لمحمد بن علال العموري، بالتمرس بمشاكل القبائل المحيطة بصفرو، فوقع الاختيار عليه من باشا فاس الجديد بريك الشرادي، سنة 1911 ليكون خليفته على صفرو بوابة الأطلس المتوسط، وقد سمحت له هذه المهمة بتعميق معرفته بمشاكل مدينة صفرو، وربط اتصالات واسعه بأعيان القبائل المجاورة، خاصة قبيلة آيت يوسي القوية.

وعلى أثر أحداث فاس في شهر أفريل سنة 1912، كان محمد بن علال العموري من القواد المخزنيين القلائل، الذين ظلوا إلى جانب القوات الفرنسية، بل إنه تمكن من انقاذ حياة خمسة من الضباط الفرنسيين وقد اعترفت له سلطة الحماية بهذه المزية، ففصلت مدينة صفرو عن باشوية فاس الجديد، وعينت محمد بن علال العموري باشا لمدينة صفرو في شهر يوليوز سنة 1912. وبعد استحداث بلدية صفرو سنة 1913، امتد مجال نفوذ الباشوية يحد شمالاً بعيون السمار (طريق فاس) وشرقاً بنهر سبو (طريق المنزل) وجنوبا بمزدو (طريق بولمان) وغرباً إلى جبل كندر، وأصبح نفوذ الباشا العموري يشمل زاوية كندر، وصنهاجة، وزاوية سيدي لحسن اليوسي، ومزدغة الجرف وعزابة، وشادكة ثم أولاد جراد.

ورغم أن سلطة الحماية قد أصدرت قوانين جديدة تحدد اختصاصات القواد والباشوات المخزنيين، وطرق تدبير شؤون السكان في مجالات نفوذهم، فإن العموري محمد بن علال، ظل يتصرف تصرفاً مطلقاً في باشوية صفرو، ولم يحاول إطلاقاً محاولة تطبيق القوانين الجديدة، إما عن عمد وإما عن جهل لأنه أمي لا يحسن القراءة والكتابة، وكان شغله الشاغل على غرار القواد المخزنيين التقليديين هو تاثيل الأملاك وجمع الأموال. وقد ظلت فرنسا تتغاضى عن سلوكه، مادام يحافظ على الأمن في مجال نفوذه.

وابتداء من سنة 1927، قررت سلطة الحماية أن تتدخل بشكل قوي في تدبير شؤون سكان صفرو، فعينت في بحر هذه السنة الضابط المتقاعد "جيطن" (Getten) رئيساً للمصالح البلدية وقد استغرب هذا الضابط للطريقة التي ظل

يتصرف بها الباشا العموري في شؤون سكان صفرو رغم وجود القوانين، فعول على تغيير هذا الواقع، إلا أن تجاهل سلطة الحماية لكل التقارير التي كان يعدها، جعله يكتفي بدور المتفرج العاجز. وفي سنة 1929، استبدل "جيطى" بالمسيو رولان مارشال (Rouland Marshal) فعزم على تقليص نفوذ الباشا العموري مهما كلفه ذلك من ثمن انطلاقا من تطبيق قوانين سلطة الحماية.

ومع رولان مارشال بدأت المشاكل تتفجر في وجه العموري وفي صيف سنة 1929 توصلت سلطة الحماية بملف كامل من رئيس المصالح البلدية عن تجاوزات العموري، وبعد ما أكد المفتش العام للمصالح البلدية كل ماورد في تقرير مارشال، قررت سلطة الحماية عزل الباشا العموري ابتداء من أبريل سنة 1930 فظل الباشا العموري يزجى الأيام بين فاس وصفرو إلى وافته المنية سنة 1938 حيث دفن بصفرو.

ح. العلوي الشافعي ؛ محمد يخلف، *تطور أدوات السياسة المحلية بصفرو*، (أواخر 19 ـ 1956)، د. د. ع. الرباط، 1986.

Bouchata & Zrouh El Baghdadi, *La vie de Mohammed El Baghdadi.*

أحمد البوزيدي

ابن **عَميرة، أحمد** بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن عَميرة المخزومي الشقري.

وُلد بجزيرة شقر التي كان يقال لها على سبيل الاختصار : الجزيرة، وهذا الاسم هو الذي تعرف به اليوم ALCINA وهي المدينة التي أنجبت ابن خفاجة أشهر شعراء الطبيعة.

وقد كان مولد ابن عميرة في شهر رمضان عام 582 / 1186 والظاهر أنه بدأ تعلمه في بلده شقر حيث حفظ القرآن الكريم ولَقِن مبادئ العربية، ثم انتقل إلى مدينة بلنسية كبرى مدن شرق الأندلس حيث تتلمذ على أبي الربيع الكلاعي وأبي الحسن أحمد بن واجب القيسي وأبي عبد الله محمد بن نوح الغافقي وأبي الخطاب أحمد بن واجب وقصد مدينة دانية حيث درس على أبي محمد عبد الله ابن حوط الله، قال : "وقرأت عليه وسمعت جملة من الكتب والمصنفات" وذهب إلى مدينة شاطبة للأخذ عن شيخها الفقيه الجليل أبي عمر أحمد بن عات الشاطبي وقد عرض عليه موطأ مالك وقرأ عليه وسمع منه كتب الحديث المشهورة، ثم انتقل من شرق الأندلس إلى غربها وحل بإشبيلية عاصمة الأندلس يومئذ فحضر مجالس أبي علي عمر بن محمد الأزدي الشلوبيني كبير نحاة الأندلس فحضر مجالسه وحصل على إجازته، ومن شيوخ ابن عميرة أيضا أبو بكر عزيز بن خطاب المرسي الذي تأمّر بمرسية لما انتهى وجود الموحدين فيها، يقول ابن عميرة :

"وكتب صحبته أيام نسكه مدة طويلة مستندا لرأيه ورعيه مقتبسا من علمه وهديه، وقرأت عليه كتاب المستصفى وتلقيحات السهروردي، وهو الذي أوضح منهجها، وفتح مرتجها وكذلك قرأت عليه بعض كتب الطب وبطول مجالستي له من الليل والنهار لم أكن أخلو ساعة من مذاكرته في مسائل النحو وغيرها".

لقد اكتسب ابن عميرة من هؤلاء الشيوخ وغيرهم ثقافة واسعة جمعت بين النقليات والعقليات وبرز في الأدب شعراً ونثراً وهو أشهر مترسل في عصره، وقد ظلت رسائله الديوانية والإخوانية مثالاً يحتذى، ولشهرته العلمية وسمعته الأدبية وعلو كعبه في الكتابة والإنشاء عيِّن في عدد من دواوين الأمراء والملوك في الأندلس والمغرب، وولي القضاء في مدن الأندلس والمغرب وتونس، منها شاطبة والرباط وسلا ومكناس وقابس، وعاش حياة حافلة بالعمل والتنقل بين بلدان الأندلس والمغرب وذلك في فترة اضطراب وفتن ومحن حلّت بالمسلمين في الأندلس، إذ أخرجوا من ديارهم وبلدانهم في شرق الأندلس وغربها كبلنسية وقرطبة وإشبيلية وغيرها ولجأ أهلها إلى بلدان المغرب، ونجد صدى هذا في شعر ابن عميرة ونثره لأنه كان ممن أصابتهم تلك الفتن والمحن فظل يضطرب في الأرجاء إلى أن توفي بمدينة تونس ليلة الجمعة لعشرين من ذي الحجة سنة 658 بعد أن بلغ الخامسة والسبعين من العمر.

وقد ترك آثاراً أدبية وتاريخية ضاع بعضها ووصل إلينا بعضها ومن أشهرها رسائله التي جمعها بعد وفاته بعض المعجمين بترسّله.

أبو المُطرِّف أحمد بن عميرة المخزومي، حياته وآثاره تأليف محمد بن شريفة، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1966.

ابن **عَميرة،** أبو **القاسم**. هو ولد الكاتب الشاعر الفقيه القاضي أبي المطرف أحمد بن عبد الله المعروف بابن عميرة المخزومي الشُقْري. نشأ أبو القاسم بالمغرب في حضن والده عندما كان والده كاتباً في البلاط الموحدي ثم قاضياً بالعدوتين : الرباط وسلا ثم قاضياً بمكناسة الزيتون وذلك من سنة 637 إلى سنة 646 وفي هذه السنة انتقل والد أبي القاسم من خدمة الموحدين إلى خدمه الحفصيين في إفريقية ومعه أهله وأولاده ومنهم ولده أبو القاسم.

كانت السنوات التي عاشها أبو القاسم في المغرب هي سنوات الصبا وفترة التعلُّم. وقد ذكر والده في رسالة له أن أبا القاسم كرّر خلال هذه السنوات القرآن وتمرّن على اللغة العربية حتى تمكن فيها، ثم إنه أكمل تعليمه وتكوينه في بجاية وتونس على والده وغيره، وحذا حذو أبيه في الكتابة والشعر فأصبح كاتباً بليغاً وشاعراً مجيداً مع مشاركة في العلوم، وقد نفعته سمعة والده ونهض به زميله في عهد الطلب أبو القاسم ابن الشيخ حاجب الحفصيين، فعاش مكرماً لدى الحفصيين.

ولد بجزيرة شقر في الأندلس سنة 629 وقد هنّأ الكاتب والمؤلف المشهور ابن الأبار شيخه ابن عميرة بميلاد ابنه هذا فقال :

مرحبا مرحبا بأسنى وليد   زيد من آل خالد بن الوليد

وتوفي في الخامس لربيع الآخر من سنة 709.

ابن المرابط، *زواهر الفكر وجواهر الفقر*، مخطوط، الاسكوريال، رقم 520 ؛ ابن الطواح، *سبك المقال لفك العقال*، نشر دار الغرب الإسلامي ؛ إ. ع. الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، السفر الأول ؛ عنوان الدراية للغبريني ؛ تاريخ الدولتين للزركشي ؛ ابن القاضي، درة *الحجال* ؛ أبو المطرف أحمد بن عَميرة المخزومي، حياته وآثاره، تأليف محمد بن شريفة.

محمد بنشريفة

العميري، علي بن سعيد أستاذ علامة مشارك، من أبرز علماء الدولة العلوية في عهد المولى إسماعيل ومن المقربين عنده. كان يجلس للتدريس بالمسجد الأعظم بمدينة مكناس، وكرسيه به مشهور. تحليه الوثائق الحبسية بالفقيه الأجل والعالم العلامة الأفضل، كما يصفه معاصره العلامة أبو الحسن على بن محمد العكاري. بقوله : "ذو اللسان الصحيح الفقيه الأديب الحاذق اللبيب... سمعته يقرئ *الشفا* للقاضي عياض بعد صلاة المغرب وبعد الصبح، وهو ذو لسان وذو عبارة مرونقة بالبيان، مولع بالأدب والتاريخ والسير ذو تثبت على ما يطالعه ... وهو من جملة من لقيت من أعلام مكناسة الزيتون لما قدمت إليها في أوائل جمادى الثانية سبعة وأربعين ومائة وألف".

وكان من أعيان الأعلام الذين شهدوا على مولاي إسماعيل في عقد المواخاة بين نجليه مولاي أحمد الذهبي ومولاي زيدان. كما ولاه السلطان المذكور نظارة الأوقاف الحبسية في سائر بلاد المغرب، وهو المنصب الذي استحدثه في عهده ولم يكن يتولاه إلا العلماء ممن يثق فيهم المخزن أمثال محمد الكاتب الأندلسي ومسعود المنقوشى والطيب بن الفقيه غازي وغيرهم ... فقد كان من مهامه : محاسبة النظار والتصرف التام في سائر أحباس البلاد.

كما تولى علي بن سعيد الوزارة في عهد المستضيء بن المولى إسماعيل فسار على حد قول ابن زيدان "سيرة حسنة حمده عليها الأصدقاء والأعادي".

أخذ العلم عن والده الفقيه العلامة، وعن أبي علي الحسن بن رحال المعداني الإمام الكبير وغيرهما. وأخذ عنه عدد من علماء مدينة مكناس وغيرها.

توفي في 9 رمضان عام 1150.

ابن زيدان، *الإتحاف*، 5، ص. 475-476 ؛ *المنزع اللطيف*، ص. 232 ؛ سعيد بن أبي القاسم العميري، *التنبيه والإعلام بفضل العلم والاعلام*، مخطوط، خ. ع. ورقة (44-49) ؛ العكاري على بن محمد، *البدور الضاوية*، مخطوط، خ. ع. د. 88، ص. 7.

رقية بلمقدم

العميري، أبو القاسم بن سعيد العميري الجابري التادلي أصلا، والفاسي ولادة والمكناسي النشأة والوفاة. وهو من بيت علم، أنجب الفقهاء والقضاة خلال القرن الثاني عشر الهجري، فأبوه سعيد بن أبي القاسم اشتغل بالتدريس والقضاء بالحضرة الإسماعيلية. وأبناؤه أبو القاسم وأحمد وعلي من نخبة الفقهاء الذين تولوا الخطط الشرعية. ويعتبر المترجم واسطة عقدهم. وهو من مواليد مدينة فاس عام 1103 هجرية وتلقى بها دراسته على عدة شيوخ، وعلى رأسهم والده وعدد من العلماء منهم محمد بن عبد الرحمان البهلول البوعصامي وأحمد الشدادي وأحمد الولالي وحسن بن رحال المعداني ومحمد المسناوي وعلي التدغي ومحمد بن عبد القادر بن شقرون. وأهم الفنون التي تلقاها على هؤلاء العلماء هي التفسير والبيان وصحيح البخاري والشفا للقاضي عياض وأجزاء من مسلم وشمائل بهرام ومختصر خليل ومختصر ابن عرفة التونسي وكبرى السنوسي وألفية ابن مالك وشرح المقصور والممدود لابن مالك والسلم المرونق للأخضري. فمهر في هذه الفنون وأجازه علامة الرباط الشيخ أحمد الغربي في مروياته عامة كما أجازه الشيخ عبد الكبير السرغيني بالصحيح والمرشد المعين. ولما تقدمت به السن ندم على عدم اهتمامه بالرواية وطلب الإجازة فيها من شيوخ وقته ؛ فقال : "فاتني كثير من الأشياخ بالمغرب ومن لقيته بالمشرق فلم يجزني أحد منهم. ولقد ندمت على ذلك. ومع ذلك فلم احرم في الجملة من الاتصال..."

وعلاوة على شغفه بتحصيل العلوم فقد أخذ نصيبه من التربية الروحية حيث تلقى الورد الناصري عن طريق الشيخ المعطي بن صالح الشرقي سنة 1154 وهو بدوره أجاز العلامة محمد المكي الناصري الدرعي بفهرسته التي هي إحدى مؤلفاته المسماة بالتنبيه والإعلام بفضل العلم والأعلام. وتضم إفادات أدبية وتاريخية علاوة على تراجم شيوخه وذكر نصوص بعض الإجازات فغلب عليه الطابع الأدبي وتوجد مخطوطة في عدة نسخ خ ع ك 1631 - خ م 560 - خ م ز 1610.

وقد اعتمد المؤرخ عبد الرحمان بن زيدان هذه الفهرسة في كتابه الإتحاف الجزء الخامس في ترجمة أبي القاسم العميري.

المؤلف الثاني شرح على نظم العمل الفاسي.

المؤلف الثالث وهو تلخيصه لكتاب في السيرة النبوية نادر الوجود طالعه بطرابلس بليبيا وهو عائد من الحج ويعرف بالورد الندي في ترتيب ما تضمنه شرح التسميط المحمدي للحافظ محمد بن علي التوزري، فانتهى من اختصاره في أواخر شعبان عام 1144 هـ ومن خلال أعماله الأدبية سواء منها المجموعة أو المتفرقة نلاحظ أن المترجم أديب ناثر وناظم في مختلف الموضوعات وقد أورد ابن زيدان جملة من قصائده في آخر الجزء الخامس من الإتحاف وحلاه بأفضل تحلية ووصفه بأنه آخر أدباء وقضاة العدل بمكناس وأنه صدر من صدور المشايخ في العلوم النقلية والعقلية.

تقلباته في الوظيفة المخزنية :

فتح أبو القاسم العميري عينيه على ارتباط والده بالخطط المخزنية فسار على نهجه. فكان من جملة العدول والفقهاء والقضاة الذين كتبوا عقد التآخي بين الأميرين

زيدان وأحمد الذهبي بأمر من الملك مولاي إسماعيل سنة 1137.

وفي سنة 1143 رافق الأميرة خناثة بنت بكار مع حفيدها الأمير محمد بن عبد الله لأداء فريضة الحج وكان هو قاضي الركب الذي رأسه عبد الخالق عديل، وبعد عودته واجه المحن والانقلابات السياسية وما تلاها من عزل القضاة وتوبيخ العلماء المكرهين على بيعة الأمراء المتقاتلين. فكم من مرة عزله الأمير وأرجعه الآخر إلى منصب القضاء. وبلغت به الأزمة ذروتها أن احتمى بضريح الشيخ سعيد المشترائي خوفا من الملك المولى عبد الله فأخرجه العبيد وأحضروه مع بعض العلماء وفي طليعتهم الشيخ أحمد الشدادي وأحمد بن الحسين بن رحال المعداني وأحمد المليتي فوبخهم الملك على رؤوس الاشهاد وقال لهم : "كيف تزوجون أخي بنسائي وهن لم يخرجن من عصمتي بوجه من الوجوه الشرعية" وبعد ما ألقي عليه القبض في 11 رجب عام 1153 عفا عنه. وأمام هذه الظروف الحرجة اعتزل الحواضر وعاش فترة من حياته وحيدا في الريف. ووصف حاله في هذا المنفى الاختياري في قصيدة احتوت على 24 بيتا منها قوله :

دعيني فوصل الغيد ليس من العدل ولا تعذلي فالاذن صما عن العدل
بمكناسة الزيتون خلف أهله وحل بقرب الريف فردا بلا أهل

واستغل خصومه القضاة من بني عنان عزله ومحنته فأطلقوا عليه الإشاعات المغرضة للنيل من مروؤته وذهبوا إلى حد الإفتاء بقتله فأشار إليها في فهرسته.

ولما تولى محمد بن عبد الله الملك أسند خطة القضاء من جديد إلى أبي القاسم العميري وبقي فيها إلى أن توفي بمكناس سنة 1178.

فهذه الحالات عرفها المترجم طوال حياته.

ع. الرحمان بن زيدان *الاتحاف*، 3 : 79 و3 : 101 و102 و143 و337 ؛ 5 : 541 إلى 563 ؛ ع. السلام الضعيف، *تاريخ الضعيف*، ص. 164 و173 ؛ عمر رضى كحالة، *معجم المؤلفين*، 8 : 101 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 : 47 و176.142 ؛ ع. السلام بنسودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 2 : 319 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، 2 : 381.

محمد ماگامان

عناق وعناق الأرض في الدارج واللغة، وأم ريشات وبوريشة وبوسبولة وقط لخلا وصاحب الإبل كما يسمى في المناطق الجافة المغربية والدول المجاورة وفي السودان، حيوان ثديي لاحم من الضواري ومن فصيلة السنوريات Felidae. أصغر من الفهد وأكبر من القط، يسمى علميا Felis caracal Schreber 1776 المستورد من الاسم التركي قره قولق أي أسود الأذنين ويسمى بالأمازيغية إزلدمان وأورزان ويسمى تميلدة في الجزائر وأم اللحم في الصحراء وموريتانيا وبالفرنسية Lynx caracal وبالإنجليزية Caracal. من أسمائه الواردة في اللغة الفنجل والقنجل والغنجل والعنجل والحنجل والعنفط والفرانق أي النذير والتفة. يتميز بقصر ذيله وبخصلة من الشعر الطويل الأسود على أذنيه ولهذا سمي بوريشة وبوسبولة. قامته كبيرة وقوائمه طويلة نسبيا، الأماميتان أقصر من الخلفيتين مما أدى إلى انحناء الظهر وامتداده نحو الأمام. هيأته شبيهة بالكلاب، رأسه مسطح وعنقه ضخم ؛ لون شعره رمادي أمغر إلى صحراوي موحد على الظهر والجانبين والقوائم وأصحر فاتح ضارب إلى البياض على البطن. الفكان قويان يحملان أسنانا صيغتها على نصف الفكين كالآتي : 3/3 قواضم ؛ 1/1 أنياب ؛ 2/ 2 أضراس أمامية ؛ 1/1 أضراس = 28 سنا.

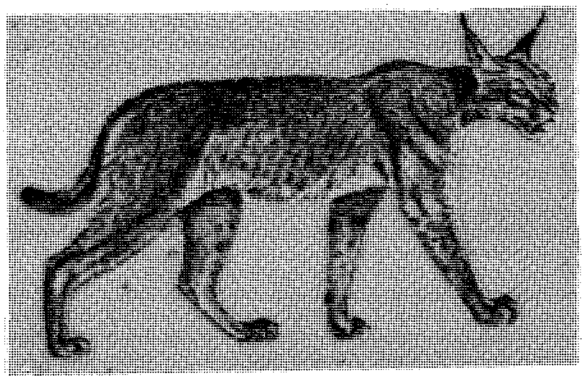

علوه عند الغارب 40 ـ 50 سم وطوله جمعا بين الرأس والجسد 65 ـ 90 سم وطول الذيل 30 ـ 20 سم كبار ويزن ال 8 ـ 18 كيلو غرام ويعمرون 18 ـ 20 سنة. يعيش منعزلا أو مزدوجا ويختفي نهارا في المغاور وبين شقوق الصخور ليستأنف نشاطه ليلا باحثا عن مختلف الحيوانات الصغيرة. يتوالد في فصل الربيع وتدوم مدة الحمل 69 ـ 78 يوما ويبلغ عدد الصغار 2 ـ 5 تفتح عينها بعد 6 ـ 10 أيام، توضع بين الصخور وشقوقها وترافق الأم مدة ستة أسابيع.

يألف الفيافي والمناطق الجافة الغنية بالحلفا والغابات غير الكثيفة. يكثر نشاطه ليلا ويتسلق الأشجار بسهولة ويتغذى من الفئران والزواحف والأرانب والغزلان والطيور. موطنه الأصل إفريقيا الاستوائية والجنوبية والشمالية والمناطق الصحراوية بشبه الجزيرة العربية والشرق الأوسط والهند. أصبح نادرا في المناطق المغاربية ابتداء من منتصف القرن العشرين ويضم المغرب عدة وحدات في شرق البلاد والهضبة الوسطى والمنتهى الغربي من الأطلس الكبير والمناطق الصحراوية جنوب الأطلس الصغير ومنخفضات وادي درعة وتافلالت.

يعد من الحيوانات المهددة بالانقراض في المغرب ويحتاج إلى دراسة دقيقة تهدف إلى حمايته في أماكن آمنة كالمنتزهات الوطنية والمحميات البيولوجية. تعيش عدة أفراد في الحدائق الحيوانية العمومية الوطنية والأجنبية.

J. Dorst et P. Dandelot, *Guide des grands mammifères d'Afrique, Les guides du naturaliste*, Delachaux et Niestlé, éditeurs, Neuchatel, Paris, 1973, 286 p. ; S. Aulagnier et M. Thevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc*, Trav. Inst. Scient., Zool., n° 41, Rabat, 1986, 163p.

محمد رمضاني

أبو **عنان المريني**، المتوكل على الله فارس بن أبي الحسن، علي بن عثمان. ولد بفاس الجديد عام 729 / 1329 وكانت مدة حكمه تسعة أعوام وتسعة أشهر. بويع في تلمسان حينما وصلته أخبار تفيد بغرق والده بالغرب من ساحل بجاية. وعلى الرغم من نجاة أبي الحسن ورجوعه إلى المغرب، فإن أبا عنان رفض التنازل له عن الحكم، وخاض ضده حروبا كان آخرها بتامدغوست سنة 751. فانهزم أبو الحسن ولجأ إلى جبل هنتاتة حيث أجاره عبد العزيز الهنتاتي. وبقي هنالك محاصرا وساءت حاله. فقبل التنازل عن الحكم لابنه، وكتب إليه بولاية العهد. ولما تم الأمر لأبي عنان أسعف أباه ببعض المال، لكن المرض استفحل به فتوفي من جرائه سنة 752 / 1352، وحمل نعشه ليدفن بشالة. وكان ذلك فاتحة عهد لعب فيه أبو عنان دورا رياديا بالغرب الإسلامي، وقام فيه بإنجازات كبرى خلدت اسمه ضمن كبار سلاطين المغرب الوسيط.

تتفق المصادر على توفر أبي عنان على ثقافة واسعة، فقد كانت له مجالس علمية وأدبية جمعت أشهر علماء وقته كابن خلدون وابن جزي وابن رضوان ومحمد بن أحمد المقري. وكانت له مشاركة في العلوم الدينية كالحديث والقرآن، وله تدخلات تدل على علو كعب في هذا المضمار، ومن ذلك امتحانه للفقيه علي الصرصري الذي كان عينه لتدريس الفقه بالمدرسة المتوكلية، فأرسل إليه من يناظره في مسائل التهذيب التي انفرد بإتقانها وحفظها فعجز وانسحب كئيبا من المجلس، فبعث إليه أبو عنان ورد له اعتباره بعد أن نصحه باكتساب ملكة المناظرة ولقاء العلماء الذين يردون على المغرب بدل الاكتفاء بالحفظ. وفي نفس الإطار يدخل اعتناء أبي عنان بالعلماء فقد ثبت عنه حرصه على التنويه بأهل العلم وإهداء القضاة والخطباء اللباس المميز بأهل الخطط، والمطايا. ومن ذلك الكسوة التي أرسلها إلى الخطيب الزاهد يوسف بن عمر الأنفاسي (ت. 761) كان لأبي عنان اهتمام ورعاية بالشرفاء، فعين لهم مزوارا ينظر في أحوالهم ويوزع عليهم صلات السلطان. لقد قرب أبو عنان الشرفاء إلى قصره خصوصا خلال المناسبات الكبرى كعيد المولد النبوي، وخلال مراسيم البيعة، ونراه يفرد الشريف أبا العباس السبتي بالرعاية والإجلال ويهديه بمناسبة زيارته له بفاس دينارا زنته مائة دينار ذهبي، ويقضي كل حاجاته. وبغض النظر عن الاستعدادات الخاصة بكل سلطان في تعامله مع الشرفاء والصلحاء وأهل العلم، فإنه يجب آلا يغرب عن أذهاننا أن الاعتناء بالشرفاء وإظهار محبتهم يرتبط أيضا بمصالح الدولة المرينية وبإمكاناتها المادية.

كان أبو عنان كسلفه يهتم كثيرا برجال التصوف ويحرص على الاتصال بهم وقضاء حاجاتهم. ولربما فاقهم في هذا المجال لما ينسب إليه من سمو إلى العلم الصوفي وفهم لإشارات القوم وتخلق بأخلاقهم. فقد زار العالم أبا العباس أحمد بن عاشر بخلوته بسلا. فامتنع هذا الأخير عن ملاقاته وبعد إلحاح من أبي عنان، كتب إليه أحمد بنعاشر رسالة فيها نصح ودعاء. ونراه في سياق آخر يحرص على أن يكون العالم أبو عبد الله الصفار في رفقته خلال تهييئه للحملة المشهورة على بلاد الزاب وقسنطينة، لكن هذا الصالح اعتذر فتركه السلطان لحاله. وفي نفس الحركة زار السلطان ضريح أبي مدين شعيب بالعباد وضريح الشيخ الصالح أبي إسحاق الطيار، كما قصد ضريح الشيخ أبي زكرياء الزواوي.

وتندرج علاقة أبي عنان بالصلحاء في إطار معطيات روحية وسياسية، فالمناخ الروحي السائد آنذاك كان يتميز بالاعتقاد الراسخ في كرامات الصلحاء، لكن تدبير أمور البلاد كان يقتضي أحيانا الظهور بمظهر مختلف تمليه اعتبارات مصلحية، لاسيما حينما يبدو في سلوك ومواقف الصلحاء ما يتعارض مع اختيارات الحكام، ذلك أن ممارسة الحكم تؤدي بهؤلاء إلى بعض التجاوزات في معاملة الرعية، خصوصا في مجال الجبايات ونظرا لقيام كثير من العلماء والصلحاء بواجب النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن السلطان أبا عنان سلك سياسة البر بالصلحاء وتلبية مطالبهم في الغالب، لكنه انخرط أيضا في سياسة سلفه تجاه الصلحاء، بالقول بصلاح الأسرة المرينية من جهة، وبتأسيس زوايا كالزاوية المتوكلية بفاس، وزاوية النساك بسلا، ورعاية الفقراء الذين يقيمون بها من جهة ثانية، وهذا يدل على وعي السلاطين بأهمية هذا القطاع وعملهم على بعث تصوف معتدل وغير معاد للدولة بالضرورة.

وعلى الرغم من قصر مدة حكمه فقد طبع أبو عنان التاريخ المريني ببصمات قوية جعلت منه آخر السلاطين الأقوياء. ففيما يخص تدبيره لأمور البلاد نراه يتدخل في كل القطاعات، ويسهر على سير العدالة بنفسه، فينظم المظالم ويحرص على تقبل الشكايات بنفسه، وكان يحرص على صفاء ذمة قضاته، ولا يتردد في عزلهم، إذا بدا له ما يوجب ذلك في حقهم كما حصل مع القاضي محمد بن عبد الرزاق والقاضي أبي عبد الله المقري بفاس. وتدخل أبو عنان أيضا لتنظيم حرفة الشهود العدول، فاقتصر على عشرة من شهود مكناس وآخر الباقين، وعين بكل بلد من بلاده عددا قليلا أمر بعدم تجاوزه. ومن إصلاحاته إحداثه لخطة صاحب الصلاة بعدما كانت مندرجة ضمن صلاحيات القاضي. وكان المتولي لها يعين بظهير ويحدد له مرتب، وكان يساعد المتولين لها أعوان بحسب حجم البلاد، وكان هؤلاء يشتدون على الناس لحملهم على الصلاة.

وتصدى أبو عنان كغيره من السلاطين لبعض التجاوزات التي كانت تحصل في مجال الجبايات، فقد ألغى ضريبة الرتب الموظفة على المسافرين في الطرقات، وصار يتصدق بالأمكاس يوم سبع وعشرين من رضمان، ورفع التضييق الذي كان عمال الأعشار وولاة البلاد يفرضونه على الرعايا.

كانت تجارة الذهب الصحراوية تذر على المغرب زمان أبي عنان كميات هائلة من هذه المادة الحيوية، ولهذا نرى السلطان ينفرد بسك دنانير متميزة كالدينار الذهبي الذي يزن

مائة دينار ذهبا عاديا. ويقدمه لبعض زواره بمناسة عيد المولد النبوي. وكان يسك أيضا دنانير ذهبية من وزن دينارين تصنع بدورها من أجل الإهداء، وإلا فإن الدينار المريني كان لا يتجاوز 4,56 غ من الذهب. وقد ظهر الغش على النقود المرينية في عهد أبي عنان فتصدى لذلك بشدة، حتى لا تفسد المعاملات وتتلف رؤوس الأموال. فمنع رواج الزائف والمقروض والخارجي. وإن حرص أبي عنان على جودة المعاملات قد أدى به إلى ضبط المقاييس المعمول بها في وقته، بحيث الصق سنة 755، نموذجين من الذراع المستعمل لدى باعة الأثواب، بمكتب المحتسب بفاس. والذراعان المذكوران هما المعروفات "بالقالة الدرازية" وطولها 0,46 م، والقالة الكتانية وطولها 0,55 م.

كان لأبي عنان تدخل لا يستهان به في الميدان الاقتصادي، فقد تزايدت في عهده العناية بالري بالنواعير، وقد أحدث منها عددا كبيرا حبسما يذكر ابن الحاج النميري، وقد وزع بدوره أزواج الحرث على فقراء الفلاحين يقيمون بها أودهم.

عرف أبوعنان من بين بقية السلاطين المرينيين بكثرة إنشاءاته العمرانية التي لا يزال أغلبها قائما، ويدل على عظمة ملكه. ونذكر منها المدرسة البوعنانية بفاس، والزاوية المتوكلية وجامع الغريبة وجامع الزهر وجامع الحمراء بفاس الجديد، إضافة إلى الزاوية الكبرى بسبتة وزاوية النساك بسلا وزاوية سيدي الحلوي بتلمسان والمدرسة العجيبة بسلا والتي تحولت إلى محكمة شرعية فيما بعد، وعددا من المارستانات في كل بلد. مع تعيين الأوقاف الكثيرة التي وفرت لكل هذه المنشآت مداخيل قارة سمحت باستمرارها في أداء وظائفها، إلى أن دخل الخلل الدولة المرينية بعد عهد هذا السلطان الكبير.

لم يتردد أبو عنان في العمل على إبراز إمكاناته في إخضاع المجال المغاربي لسلطان واحد. وإذا كان قد تذرع في حملاته بالمغرب الأوسط وإفريقية سنة 758 بضرورة توفير الأمن للمسافرين والحجاج والقضاء على أهل الحرابة، فإن حملته تلك تجاوزت ذلك إلى إعلان السلطة المرينية على تلمسان بعد مقتل أميرها أبي سعيد الزياني باعتباره خارجا عن الطاعة. ولربما كانت هذه التوسعات تهدف إلى كف أيدي البدو عن الناس وعن القوافل التجارية. وفي هذا المعنى يكون أبو عنان قد سار على سيرة والده أبي الحسن، فرغب بدوره في مراقبة مسالك التجارة الصحراوية ومنافذها في الصحراء وعلى السواحل المتوسطية، وهذا ما يفسر كثافة العلاقات التجارية والدبلوماسية للمغرب في عهد أبي عنان مع البلاد الأوربية ومصر المملوكية. فقد عقد معاهدات سلم وتجارة في سنوات (751 ـ 752 ـ 755 ـ 757 ـ 759) مع دول البرتغال وإسبانيا المسيحية وصقلية وجنوة إضافة إلى بيزا التي تحتفظ لنا المصادر بالنسخة العربية للاتفاقية المبرمة معها بتاريخ 759 / 1358. هذا علاوة على العلاقات الطيبة الدائمة مع مصر وبلاد السودان. وهو ما كان يسمح للمغرب بلعب دور هام في المبادلات التجارية المتوسطية إلى غاية عهد أبي عنان المريني الذي وفرت علاقاته الطيبة مع مصر وجيران الشمال والجنوب إطارا ممتازا للمبادلات التجارية التي همت كثيرا من البضائع المغربية والأجنبية التي لا يتسع المقام لذكرها. وجدير بالذكر أن أبا عنان كان بحكم موقعه كسلطان يحتكر تجارة بعض البضائع كالحبوب وبعض البضائع الخاصة بالقصر كالأثواب والمجوهرات وأنه كان تاجرا ممارسا وشريكا لتاجر ميورقي بنسبة النصف في حدود سنة 755.

إن هذا النشاط التجاري المتوسطي كان يتم أيضا بواسطة السفن التجارية المغربية التي يرجع الفضل في إنشائها إلى أبي عنان، بعد أن تحطم الأسطول المريني برمته أواخر عهد السلطان أبي الحسن.

توفي السلطان أبو عنان قتيلا سنة 759 وعمره ثلاثون سنة.

ابن خلدون، *تاريخ العبر* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ابن الحاج النميري، *فيض العباب* ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين* ؛ م. فتحة، *النوازل الفقهية والمجتمع*.

De Mas Latrie, *Traités de paix et de commerce*, Paris, 1866 ; Ch. E. Dufourcq, *Le commerce du Maghrib avec l'Europe chrétienne*, Tunis, 1979.

محمد فتحة

ابن العناية، **الطاهر** بن الحاج الهادي بن محمد بن أحمد بن الحاج العناية بن عَبْدو بفتح العين وسكون الباء. يرقى نسبه إلى الولي الصالح سيدي عبد الله الجزار دفين مكناس. وهو من أولاد بوحدو الذين انتقلوا من سلا إلى فاس ومكناس.

أخذ علوم اللغة والدين عن جلة علماء عصره، منهم المهدي بن سودة مقرئ البخاري المتوفى عام 1294 / 1877، والعباس ابن كيران المتوفى عام 1271 ـ وكلاهما تولى القضاء بمكناس من قبل السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن ـ والعربي السائح المتوفى بالرباط عام 1309.

وقد تصدر للتدريس، ثم تعاطى خطة الإشهاد فترة قصيرة رحل بعدها إلى مراكش حيث مكث نحو عشرة أعوام في خدمة العلم، ليعود بعد ذلك إلى مكناس حيث زاول العدالة من جديد.

كان زاهدا في الدنيا، يختم في كل يوم ختمة من دلائل الخيرات، طريقته عيساوية جزولية. وقد مارس نظم الشعر، فأنشأ قصائد في مدح آل البيت وبعض شيوخه، كما نظم في الرثاء، وإلى ذلك وضع منظومات في الصرف على نهج لامية الأفعال لابن مالك.

وكان يهوى الطرب ويجيد النقر على آلة العود، له إلمام بالموسيقى الأندلسية وطبوعها.

وقد بث في بعض شعره خطرات من معارفه في الموسيقى، فقال من قصيدة أجاب بها صديقه العلامة أبا العباس بن قاسم جسوس الرباطي :

وتمت بألحان تريح الشجيّ من شجاه، ورنّت إذ رنت بيننا الرصد

وتوفي بمكناس في 13 من ذي الحجة 1306.

ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، ج. 3، ص. 103 و118 و345 ؛ ج. 5، ص. 408 و429 ؛ ع. بن عبد الله، *الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية*، ج. 2، ص. 16.

عبد العزيز بن عبد الجليل

العنبر، أو العمْبر حوت كبير من الثدييات البحرية السطحية، رأسه ضخم ثابت لا يتميز عن الجذع. يصنف علميا إلى طائفة الحوتيات Cetacea وإلى مجموعة الأسنانيات Odontoceta وفصيلة فيسيتيريدي Physeteridae. يسمى علميا Physeter macrocephalus (catodon) Linnaeus, 1758 وبالفرنسية Cachalot وبالإسبانية Cachalote وبالإنجليزية Sperm whale. يعرف عند البحارة العرب بالعنبر والكشالو المعربة من الفرنسية. يخرج منه الطيب المعروف بالعنبر ambre gris المتكون في أمعائه والدهن المعروف بمني القاطوس الموجود في رأسه.

يعتبر العنبر من بين المخلوقات البحرية الحية العملاقة ويتميز برأس ضخم كبير جدا يمثل ربع طول الجسم وأحيانا ثلثه، ويشتمل على أزيد من طن من العنبر الأبيض - مني القاطوس Speermaceti - وهو شحم سائل يستعمله كرادار مجاوز حد الصوت وللتوازن فهو يضبط الغطس والطفو حسب درجة التجميد أو السيلان لهذه المادة بواسطة حرارته الجسمية الذي يتحكم في تغييرها في حدود 33 إلى 39 C°.

للعنبر جلد أسود رمادي داكن يميل إلى الأزرق على الظهر والجانبين، البطن رمادي فاتح. يصل طول الذكور المسنين 20 ـ 21 مترا ويفوق وزنه 60 طنا، والإناث 12 مترا بوزن لا يتعدى 15 طنا. يحمل الفك السفلي للذكور 15 ـ 30 سنا غنية بمادة العاج يصل ارتفاعها إلى 10 سم، وللإناث 7 ـ 30 سنا، الفك العلوي بدون أسنان بارزة ويحمل فجوات تدخل فيها أسنان الفك السفلي. الفم الكبير جدا يساعد على ابتلاع حيوانات كبيرة كالحبار العملاق. يحمل العنق 10 ـ 40 شقا قصيرا وعميقا، ويبدو مظهر الجانبين متجعدا خلف الصدريتين. تحولت الزعنفة الظهرية إلى قنزعة مثلثة الشكل متبوعة بخمس أو ست حدبيات صغيرة. الصدريتان أسفل الجانبين، قصيرتان نسبيا وعريضتان. يبلغ عرض الزعنفة الذيلية 3,5 ـ 4,5 مترا وجانبها الخلفي شبه مستقيم تتوسطه فجوة.

يسبح العنبر عادة غير بعيد عن سطح البحر ويطفو على وجه الماء باستمرار خلال كل 2 ـ 10 دقائق ليتنفس ويختزن كمية كبيرة من الهواء. يتمثل قوته في الرخويات (80٪ من الحبار) والأسماك والقشريات، وفي حالة عدم الهضم لسبب ما، تفرز الأمعاء سائلا عضويا يحيط بالفريسة فيتجمد ويتصلب تدريجيا مكونا بذلك مادة العنبر الرمادي ambre gris الذي يتعدى وزنها أحيانا 240 كيلوغراما.

يحسن الغوص ويدخل أعماقا تفوق ألف متر مع البقاء بداخل الماء أكثر من ساعة دون تنفس، ثم يطفو ليلقي زفيرا قويا بمنخره الظهري فيرتفع الماء مقدار ما ينيف عن ثلاثة أمتار من العلو. يتنقل بسرعة تتراوح بين 5 ـ 10 كلم / ساعة ولا تتعدى 20 كلم / ساعة كسرعة قصوى.

يعيش عموما في مجموعات عائلية لا تتعدى 4 ـ 6 أفراد، أغلبها من الإناث والصغار يقودها ذكر مسن واحد ؛ قد يبلغ عدد أفراد المجموعات أحيانا 50 ويعيش بعض الذكور المسنين منعزلين. يألف جميع بحار المناطق المعتدلة والحارة ويقوم بهجرات طويلة المسافة خلال فصل الربيع، وخاصة الذكور المسنين. عدة مجموعات تقترب من السواحل الأطلسية المغربية أثناء تنقلاتها ويحتمل دخول البعض منها في السواحل المتوسطية خلال الربيع والخريف. تصير الذكور بالغة بعد خمس سنوات (9 ـ 10 أمتار من الطول) والإناث بعد أربع سنوات (8 ـ 9 أمتار من الطول). يتوالد عموما في الصيف بالمياه الحارة وتدوم فترة الحمل 11 ـ 15 شهرا وتضع الإناث صغيرا واحدا يبلغ طوله 3,5 ـ 5 مترا ووزنه حوالي ألف كلغ ويعمر 40 ـ 70 سنة. تعتني الأم بصغيرها سنة كاملة وترضعه حليبا غنيا بالدهنيات (حوالي 20 لترا في اليوم).

تقلص العدد الإجمالي لنوع العنبر على الصعيد الدولي لكثرة استعمال زيوته في الإنارة قبل ظهور البترول ويعد من الأنواع المحمية في الوقت الحاضر. يصادف نادرا في شباك الصيد المستقيمة وجنحت منه عدة أفراد ألقى بها البحر على الشواطئ المغربية الجنوبية.

العنبر (عطر) والعمبر كما ينطق به كافة العرب، اسم عربي الأصل يستعمل في عدة لغات أجنبية .Ambre gris - amber, ambergris - يطلق على مادة عضوية طيبة العطر وقوية الرائحة تستخرج من الحيتان البحرية المسماة بالعنبر أيضا، منها صنفان شائعان عند بائعي الأعشاب :

ـ العنبر الرمادي مادة عضوية تتصلب وتتحجر في أمعاء حيتان العنبر لما تبتلع حيوانا يهيج جهازها الهضمي فلا ينهضم فيفرز الجسم مادة سائلة تحيط بالفريسة للوقاية من شر السم. يتصلب السائل تدريجيا بداخل جزء من الأمعاء ثم يقيئه آخر الأمر في البحر أو يحتفظ به في بطنه فيستخرجه الإنسان لينتفع به في ميدان العطر. ومادة العنبر موجودة عند معظم بائعي الأعشاب (العطارة) في المدن المغربية ؛ لها قوام الشمع، رمادية وبيضاء وصفراء وسوداء وكثيرا ما تجمع أكثر من لون. الأصل العطري للعنبر من الأصول القليلة الحيوانية التي تزيد الروائح ثباتا وتعطيها أمدا. ثمنه مرتفع جدا لقلته في الأسواق ولجودته الممتازة ـ 100 ـ 150 درهما للغرام الواحد ـ وقد يصل وزن القطعة الواحدة في بطن حيتان العنبر إلى حوالي 240 كيلوغراما. كثيرا ما يستخرج البحارة العنبر مباشرة من أمعاء الحوت بعد صيده، يطلق عليه اسم

"العنبر الحر" ويعرف بغشاء الأمعاء المحاطة به على شكل فصيد يتراوح قطره بين 5 ـ 15 سنتمترا.

ـ دهن العنبر (العنبر الأبيض) أو مني القاطوس Blanc de baleine = Spermaceti مادة دهنية تستخرج من رأس العنبر وقد استعملها الإنسان كمادة للإنارة لمدة طويلة قبل ظهور البترول نتج عنها تقليص عدد حوت العنبر في البحار والمحيطات. يحتوي رأس العنبر على 1 ـ 5 أطنان من هذه المادة الشحمية المعروفة عند بائعي الأعشاب بالزهم أو العنبر العادي.

الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعروف، معجم الحيوان، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

D. Lloris et J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc.*

محمد رمضاني

عنبري، محمد يعد من أبرز الشخصيات العلمية التي برزت في مجال النضال الوطني والسياسي، بالإضافة إلى نشاطه المتميز في ميدان التعليم بجامعة القرويين منذ أواسط الأربعينات ومن أول المؤسسين لجمعية علماء القرويين التي كان يترأسها الزعيم الراحل الأستاذ علال الفاسي، وكان عنصرا فعالا وإيجابيا في مختلف أنشطتها الثقافية، والدينة والتربوية... بالإضافة إلى ما كان يمدها به من مساعادات مادية... فكان بيته شبه مكتب مركزي لهذه الجمعية، ففيه كانت تعقد الاجتماعات السرية.

ومن جهة أخرى، كان للأستاذ عنبري ـ وهو ابن بيت علم، حيث كان كل من أبيه القائد إدريس وأخيه الأكبر القائد بوعزة يعزان العلم والعلماء أمثال سيدي عبد الرحمان الغريسي ـ اليد الفضلى في بث الوعي الوطني والعلمي في العديد من القبائل المجاورة لمدينة فاس كأولاد عيسى وشراكة، وظل يكافح دون كلل أو ملل، وفي صمت ونكران ذات... وتحمل في جمعية العلماء فكرة إيقاظ الوعي الديني، فكانت له كتابات عديدة ذات اتجاه سلفي، نشر الكثير منه في مجلة "دعوة الحق" أو أذيع على أمواج الإذاعة الوطنية خصوصا إبان شهر رمضان المعظم في الستينيات.

وإلى جانب كل ذلك كان سلفيا متفتحا طالما ذكرنا في محاضراته ومقالاته بأن الإسلام مادة وروح.

وقد شيعت جنازته في موكب رهيب التقى فيه، بالإضافة لأفراد عائلته الكبيرة، العديد من تلامذته وثلة من رفاقه العلماء والأساتذة.

وقد ابنه الأساتذة محمد بن علي الكتاني ومحمد بن حماد الصقلي وعبد الكريم التواتي.

توفي يوم الأربعاء فاتح يونيو 1994.

العلم عدد 16136، الأحد 23 محرم 1415 / 3 ـ 7 ـ 94.

محمد حجي

العنترية، سيرة عنترة بن عمرو وقيل بن معاوية بن شداد العبسي نسبة إلى قبيلة عبس الشهيرة، كان أسود اللون وأمه أمة حبشية تدعى زبيبة، وكان من عادة العرب أن لا يلحق ابن الأمة بنسبها بل تجعله في عداد العبيد، ولعل ما سيثير إعجاب جيش العبيد في سيرة عنترة هو نضاله من أجل التحرر من العبودية، فقد كان يكره استعباد أبيه له وعدم إلحاقه به، ولكن عنترة محا عن نفسه عار مولده بما أظهر في حرب داحس والغبراء حيث اعترف به أبوه وألحقه بنسبه، فشب كريم الأخلاق، واشتهر ببطولته في الغزوات وطمح إلى الزواج ببنت عمه عبلة التي أنشد فيها جملة من الأشعار، حتى صار من مشاهير شعراء الجاهلية وفرسانها. ولعل شهرته مرتبطة أيضا بالاستشهاد بشعره في تفاسير القرآن الكريم فضلا عن معاجم اللغة والقواميس وهكذا نجد ابن جرير الطبري يستشهد بأشعار عنترة في عدة مواضع من تفسيره وهو ما فعله القرطبي وابن كثير ونقف عليه في لسان العرب والقاموس، وهو من أصحاب المعلقات، في شعره كثير من الفخر والحماسة. عاش عنترة حوالي تسعين سنة حيث ضعف جسمه وعجز عن الغارة وتوفي قبل البعثة النبوية عام 615 م. وقيل قتل في الغارة على قبيلة بني النبهان بعد أن صار من أشهر أبطال العرب وأصبح مضرب المثل بقولهم : الجود حاتم والشجاعة عنترة، فنسجت حوله أساطير وكتبت سيرته المعروفة بالعنترية وهي سيرته الحجازية، وهي رواية خيالية فيها ذكر أشعار وأحوال كثيرة من زمن العصر الجاهلي بل لا يتم التعرض لذكر سيرة عنترة إلا بعد الحديث عن إبراهيم الخليل وما جرى له مع النمرود. وذكر كل قبيلة وعربها وفرسانها وما قالوا من الأشعار، ومجمل القول فيها هو أن عنترة قمع الله به الجبابرة في زمن الجاهلية حتى مهد الأرض قبل ظهور محمد خير البرية. ولهذه الأسباب كانت من أشهر السير الشعبية الكثيرة التداول. ولا يعلم واضعها على التحقيق ولا تاريخ وضعها. ومن المرجح أن ذلك كان قبل عام 545 / 1150. وغالب الظن أنها كانت من طرف شخص واحد كتب القصة الإطار، وزاد فيها الرواة بحسب هواه حتى اتخذت شكلها البطولي أثناء المعارك ضد الصليبيين، وقد كان للقصاص المحترفين دور كبير في تعديل سيرة عنترة والإضافة إليها جيلا بعد جيل إلى أن وصلت إلينا بشكلها الحالي في العصر الحديث. الشيء نفسه ينطبق على سيرة سيف بن ذي يزن وسيرة أبي زيد وبني هلال وسيرة ذاة الهمة والظاهر بيبرس وقصة لقمان الحكيم. وقد تبين ذلك عند تحقيق مجموعة الحكايات الشعبية المعروفة بألف ليلة وليلة من طرف الباحث المقتدر محسن مهدي.

لا نعرف تاريخ دخول العنترية إلى المغرب ولا من أدخلها، لكننا نرجح أن ذلك كان في العصر المريني أو قبله بقليل من طرف الحجاج المغاربة ؛ علما أن الونشريسي ذكر

في المعيار موقفه من رواية العنترية خلال العصر المريني باعتبارها كذبا، وأن مستحل الكذب كذاب. واعتبرها من كتب السخفاء والتواريخ المعلوم كذبها كتاريخ داة الهمة والهجر والشعر، بل لا يجوز بيعها ولا النظر فيها، وكل من يسمع حديث عنترة لا تجوز إمامته ولا شهادته. وقد جاهد الشيخ تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي في كتابه معيد النعم في محاربة مطالعة سيرة عنترة، واعتبر المقري في نفح الطيب ألف ليلة وليلة وما يشابهها ضمن حكايات الخرافات التي يكثر الناس في حديثها.

أما في العصر العلوي فقد أمر السلطان مولاي إسماعيل النساخ بنسخ كتب الشجعان وضمنها العنترية، وتوزيع نسخها على جيش العبيد قصد تحميسهم، وبث روح البطولة والشجاعة والإقدام في نفوسهم معتقدا أن أخبار الشجعان تعلم الشجاعة. وقد نبه القادري إلى أن السلطان مولاي إسماعيل سأل عن حكم الشرع فيها فأجيب بنص المعيار وهو عدم الجواز. ولعله لم يقتنع بنص الفتوى فضمن أحداث عام 1099 / 1688 أمر السلطان مولاي إسماعيل بنقل النساخين من فاس لمكناسة، بقصد نسخ أربعة وعشرين سفرا فيها أخبار الأبطال والفرسان وأهل الشجاعة السليقية، فذهب نحو الأربعين من النساخ وعمدوا إلى التفنن في كتاباتها بالألوان العديدة والذهب المحلول والخطوط المغربية الجميلة كالمبسوط والمجوهر. ولا نعثر اليوم في الخزائن المغربية على نسخ العنترية التي كتبت في العصر الإسماعيلي ولعل عدم وجود نسخ منها بالخزانات الملكية هو تفريقها على العبيد في القصبات الإسماعيلية.

إن سرد العنترية كان يتم في مختلف المدن المغربية العتيقة ما بين صلاة العصر وآذان صلاة المغرب، في أماكن مخصصة للمحكي والفرجة الشعبية، نذكر منها على سبيل المثال باب الجيسة بفاس، وجامع الفناء بمراكش وقرب جامع الكتبية، وساحة الشيخ الكامل سيدي محمد بن عيسى بمكناس، وسوق الخميس بوزان، وساحة الأوداية بالرباط، وباب المريسة بسلا، وبجانب مقبرة سيدي بوعراقية البقالي بطنجة، وبحي القريعة بالدار البيضاء وساحة درب البلدية...

وقد اشتهر مجموعة من الرواة بطريقتهم المشوقة الساحرة في رواية العنترية مازالت الذاكرة الشعبية تحتفظ بأسمائهم. ففي مدينة مراكش مازالت الألسن تردد اسم باحسن فتحي. أما أشهر رواتها اليوم بهذه المدينة فهو محمد باريس الملقب بالتمعيشة، وهو راوية بامتياز يسرد العنترية بطريقة تذهل السامع. على أن من أهم الأشياء هو طريقة إلقاء رواية العنترية في الأوساط الشعبية التي تتكون غالبا من الحرفيين، الذين ينتهون عادة من أعمالهم قبل أذان العصر، وبعد الصلاة يلتحقون بالحلقة التي يتوسطها الراوي جالسا على كرسي غالبا ما يكون مرتفعا، حتى يتمكن الجميع من مشاهدته، ممسكا بيده سيرة عنترة بن شداد برواية المعمر عبد الملك بن قريب الأصمعي، وبعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأصوات مرتفعة من طرف المتحلقين، يشرع الراوي في سرد السيرة العنترية بأسلوب دارج بعد أن يكون قرأ ما في النص باللغة العربية، تصحبه حركات تنسجم وتتلاءم مع مضمون النص المحكي وما فيه من مواقف من حرب وهجوم ونزال وحوار، مجتهدا في تصوير المشاهد المؤثرة في النص... وغالبا ما يتوقف الراوي عند أحد هذه المشاهد لأخذ الهبات من طرف الحاضرين، أو ليعدهم إلى الغد... وهكذا إلى أن يتم ختم العنترية في يوم يكون مشهودا وفيه كثير من الحزن والتأسف على وفاة العنترة. ومن أطرف ما حكاه لي شيخنا العلامة أحمد الشرقاوي إقبال - رحمه الله - أن أحد الطلبة الآفاقيين امتنع عن الأكل، وكان السبب هو وفاة دادا عنترة حسب تعبيره. وقد أذيعت العنترية على أمواج الإذاعة المغربية بعد الاعتداء الإسرائيلي على مصر وهزيمة 1967 حيث كان الهدف منها رفع معنويات الأمة العربية، بذكر أبطالها والبحث عن ماضي قوي واستلهام التراث للدلالة على قوة هذه الأمة. ولقيت هذه السلسلة نجاحا واستحسانا لدى الجمهور المغربي، وهي من إخراج الكاتب والممثل الشهير محمد حسن الجندي. كما مثلت العنترية مرات متعددة في المسرح المغربي. ونصادف في بعض قصائد الملحون مرددات تشيد بصبر عنترة وشجاعته. كما هو الحال في قصيدة حب السعدية للحاج التهامي المدغري. ومازال كثير من تلامذة الأمس يتذكرون ذلك الكناش الذي يحمل صورة عنترة شاهرا سيفه ممتطيا صهوة جواده الأبحر بن النعامة. توجد سيرة عنترة مخطوطة بعدة خزائن في العالم منها خزانة برلين. وقد طبعت في 32 جزءا بمطبعة محمد شاهين بالقاهرة عام 1286 هـ. وتكرر طبعها في المطبعة الشرقية في 11 جزءا عام 1306 هـ، وطبعت في بيروت سنة 1869 ونسبت إلى يوسف بن إسماعيل المصري. وترجم مختصر سيرة عنترة إلى اللغة الفرنسية من طرف الأستاذ مارسيل دوفيك وطبعت في باريس عام 1864.

أ. الونشريسي، *المعيار المعرب*، تح. م. حجي ومجموعة من الفقهاء، 1983، ج. 6، ص. 70 ؛ السبكي، *معيد النعم النقم*، ج. 5 : 186، 2 : 205 ؛ المقري، *نفح الطيب*، ج. 2، ص. 290 ؛ القادري، *نشر المثاني*، ضمن *موسوعة أعلام المغرب*، ج. 4، ص. 1696 ؛ الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. العماري، ص. 69 ؛ ابن الحاج، *الدر المنتخب*، مخ. خ. س، رقم 12184، ج. 6، ص. 246 ؛ بروكلمان، *تاريخ الأدب العربي*، القسم 1، ص. 148، القسم 6، ص. 328 ؛ حركات، *التيارات السياسية والفكرية بالمغرب*، دار الرشاد، الدار البيضاء، 1991، ص. 42 ؛ سركيس، *معجم المطبوعات العربية*، ص. 1387 ؛ فاروق خورسيد، *أديب الأسطورة عند العرب*، سلسلة عالم المعرفة، ع 284، غشت 2002 ؛ *سيرة أبي الفوارس الجواد حية بطن الواد*، الأسد الضرغام الأمير عنترة بن شداد، المطبعة الأدبية، بيروت، 1882 ؛ محمد حجي، *الحلقة... والتسلية الشعبية*، ضمن جولات تاريخية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1995، ص. 713.

أحمد إيشرخان

عندليب وهزار كما في المعاجم جنس من الطيور البرية الغريدة، متوسط القد وحسن الصوت. يسمى في الشرق العربي مزقة ومسهر وأبو هرون. يصنف إلى رتبة الجواثم مخروطيات المناقير أو العصفوريات Passeriformes وإلى فصيلة الدخليات. نوع واحد يشتو ويتوالد في المغرب يسمى علميا Lucinia megarhynchos وبالفرنسية Rossignol philomèle وبالإنجليزية Nightingale. طائر من القواطع سريع الحركة كثير الألحان يسكن البساتين والحدائق والأدغال والغابات، يكثر في بلادنا في بداية الربيع والصيف.

وصف العندليب والبلبل مضطرب في كتب اللغة، فالبلبل والعندليب عند بعض العرب كل طائر حسن الصوت وأغلب المعاجم تترجم Rossignol إلى البلبل وهو غير جائز إذ أريد بالبلبل طائر Pycnonotus (انظر مادة البلبل في هذه المعلمة). شائع في مختلف المناطق المغربية ومنه عدد كبير يتوالد في المغرب ثم يهاجر إلى إفريقيا في بداية الخريف ليشتو.

يألف الغابات والأدغال وأشجار البساتين والحدائق. الإناث شبيهة بالذكور، الريش أسمر أشقر على الظهر ورمادي أسمر على الصدر والبطن. تبلغ بسطة الجناحين 28 سم وطول الجسم 16 سم. المنقار أسمر والذيل طويل أسمر محمر. يعيش مزدوجا ويتغذى من الثمار العنابية والحشرات والديدان والعناكب.

شائع في المناطق الجبلية وفي الهضاب والسهول الوسطى والساحلية. يتوالد منذ ماي إلى يونيو وينصب العش على الأرض بين الأعشاب الكثيفة بداخل الأدغال والغابات، تصنعه الأم بدقة بالغة وتفرشه بقطع الأعشاب الرقيقة. تبيض الإناث 3 ـ 6 بيضات ملساء زرقاء مخضرة إلى بنية ومزركشة بنقط شقراء، يبلغ طول قطرها 21 ملم. تحضن الإناث البيض 13 ـ 14 يوما ويقوم الزوج بالحراسة والبحث عن الأكل. تتغذى الصغار من الديدان والحشرات يأتي بها الآباء وتبقى بداخل العش حوالي أسبوعين.

م. رمضاني، *البلبل*، *معلمة المغرب*، الجزء، 4، ص. 1328 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Elsevier, 1977, 430 p.

محمد رمضاني

العنصرة، يهتم المغاربة منذ القديم ببعض المناسبات المرتبطة بالمناخ وفصول السنة الأربعة وهي مناسبات مرتبطة بالفلاحة أساساً منها على وجه الخصوص الحاجوز وهي اليوم الأول من السنة الفلاحية الجديدة ويوافق في الغالب 13 يناير الشمسي وتتخذ هذه المناسبة أسماء تختلف من منطقة إلى أخرى ومن قبيلة إلى أخرى مثل حاجوزة، حيدوزة، عجوزة، حيدروزة وهكذا... ويتم الاحتفال بها بطرق وطقوس مختلفة بحسب المنطقة وإنتاجها على أن المبدأ الذي يحتلها هو أن على أفراد العائلة المحتفلة أن يقيموا عشاءاً يشبع فيه الجميع ومن لم يشبع في ذلك اليوم فلن يشبع طيلة العام لذلك كانت بعض القبائل تعمد عائلاتها إلى تحضير وجبة عشاء يخصص فيها لكل فرد دجاجة وبيضة وتتفق الحاجوزة ومنتصف "الليالي" وهي فترة الشتاء والبرد القارس وتستغرق أربعين يوماً.

في مقابل هذه المناسبة تأتي العنصرة ويومها هو 24 يونيو من كل سنة وهو منتصف "السمايم" ومدتها 40 يوما. وهي الفترة التي تشتد فيها الحرارة والقيض وفيها تجمع المحاصيل الزراعية وتنضج فيها الثمار وللفلاحين وسكان البادية علامات يعرفون بها حلول العنصرة. تختلف من مكان إلى مكان منها على سبيل المثال في جهة الشاوية ورديغة "بداية طيران صغار اللقالق".

ويختلف الاحتفال بهذا اليوم عن الحاجوزة، ففي هذه الأخيرة يتم أكل الدسم واللحوم أما في العنصرة فيتم تذوق ما نضج من المحاصيل، ويختلف ذلك من مكان إلى آخر حتى داخل القبيلة الواحدة، ففي جمعة الشاوية ورديغة يتم طبخ خليط من الحبوب والقطاني في الماء مع إضافة قليل من الملح فقط ويتم تناول الطبيخ بشكل جماعي في إناء واحد ويسمونه أي الطبيخ "شرشم"، وفي مناطق إنتاج الذرة يستعاض عن الحبوب والقطاني "بالكبال" أي بالذرة الطرية قبل درسها وهكذا... وفي هذه المناسبة "العنصرة" يتم خزن ما يحتاج إليه من نباتات وأعشاب طبية بعد أن يكون قد اكتمل نضجها وتجفيفها "يبسها" مثل السعتر وفليو والمانتا والسالمية والشيح وغيرها كثير، وفي المناسبة يؤكل الحلزون المطبوخ بالأعشاب المشار إليها.

يقول الفلاحون في البادية إن أكل المنتجات والمحاصيل الجديدة يجب أن يكون بعد العنصرة ففي الحبوب مثلا وخاصة القمح ينصحون بعدم أكل خبزه إلا بعد العنصرة ويقولون أن أكله قبل ذلك مضر. وينصح الفلاحون بعضهم بعدم حصد الحبوب التي يراد اتخاذ البذور منها للموسم الفلاحي القادم إلا بعد العنصرة وكذا الحبوب المراد خزنها، فالعملية هنا طبيعية وعادية بالنظر إلى العنصرة وهي منتصف فترة اشتداد الحرارة أي أن المنتجات الفلاحية من حبوب وقطاني يكتمل جفافها ويبسها وتصبح عندها مناعة ضد التسوس أو التعفن.

ابن البنا، *رسالة في الأنواء*، تحقيق Renaud، باريز، 1948 ؛ أبو خير، *كتاب الفلاحة*، فاس، 1357 ؛ ابن وحش، *كتاب الفلاحة النبطية*، مخطوطة مصورة، جامعة فرانكفور بألمانيا ؛ الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. العماري ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 و1955 ؛ *تحريات ميدانية*.

محمد حجاج الطويل

العنصري، محمد بن بولفضل، من مواليد سنة 1928 بأبي الجعد إقليم خريبكة.

كان من المواطنين المخلصين الذين خرجوا إلى الشارع يوم 20 غشت 1955 بمدينة وادي زم للتعبير عن سخطهم واستنكارهم للأعمال القمعية التي تنهجها الإدارة الاستعمارية.

ولما اشتدت الأزمة ووقعت الاشتباكات بين المتظاهرين والسلطة الفرنسية تدخل الجنود الفرنسيون بقوة السلاح لتفريقهم، فسقط على إثر ذلك عدد من المواطنين من بينهم الشهيد المذكور.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقارم رقم 520851.

العنقا، محمد الرباطي من الرياس الأتراك الأصل الذين التحقوا بأسطول سيدي محمد بن عبد الله، والذين استقروا بالرباط. أمر في سنة 1788 بالانتقال بسفينته من العرائش إلى سلا هو وأربعة رياس آخرين، قصد المشاركة في سفارة صهر السلطان القائد محمد الزوين ابن القائد عبد الله الرحماني والحاج المكي برگاش إلى السلطان عبد الحميد العثماني، لنقل بعض الأسرى الأتراك المفتكين ولإهداء أربع سفن.

وبعد أداء المهمة، عاد الرايس المذكور رفقة البعثة في السنة الموالية إلى المغرب على متن سفينة إسبانية. وقد أهلته حنكته في البروز كأحد أعيان الرباط ذوي النفوذ، حيث شارك في منتصف ذي الحجة من سنة 1210 / 1796 ضمن وفد الرباط وسلا المرافق للقائد محمد بن العربي البخاري لزيارة السلطان مولاي سليمان بمكناس بمناسبة عيد الأضحى، واستغل ذلك لمطالبة هذا الأخير بجعل سفينة من الغنيمتين اللتين حققهما زميله إبراهيم لوباريس قبل أسبوع تحت تصرفه.

الضعيف، ص. 195 - 196، و218، و272 ؛ ابن زيدان، 3، ص. 306 ؛ عبد الهادي التازي، *التاريخ الدبلوماسي للمغرب*، فضالة، 1987 - 1989، ج. 9، ص. 40.

حسن أميلي

العنكبوت، والعنكباء والعنكباة والعنكب والعنكبة كما في المعاجم تجمع على العناكب والعنكوبات والعكب والعكاب والاعكب، تسمى العامة الكبيرة منها "رتيلا" في بعض مناطق المغرب العربي، تجمع على الرتيلات والرتيلاوات وتسمى بالأمازيغية ئسي تجمع على ئسوان وأزيز - ئزيزن وتاكالت - تاكالين وتباخا وأوليلي وتباغاينوزت وتيجدمني. والعنكبوت من الحيوانات اللافقريات ذوات الأرجل المفصلية Arthropodes. تعيش في مختلف الأنظمة البيئية وتكثر في الربيع والصيف والخريف وتختفي في الشتاء. تصنف إلى طائفة أشباه العناكب أو الرتيلاوات Arachnides ورتبة العناكب الناسجة للعكاش أو الشع المعروفة بالفرنسية Araignées وبالإنجليزية Spiders.

والعناكب من نظائر الحشرات يتكون جسمها من رأس وصدر وبطن وأطراف، بينها اختلاف كبير من حيث الشكل والمقاييس والعادات. تتميز عن طائفة الحشرات بالتحام الرأس بالصدر وبأربعة أزواج من الأرجل بدل ثلاثة أزواج، تخرج كلها من الصدر. للعناكب عادة أربعة أزواج من الأعين بها عدسات وشبكيات تقع عليها صور الأشياء المرئية. تتكون القناة الهضمية من فم يتصل ببلعوم ومريء ومعدة وأشباه الأمعاء ثم الإست.

تم إحصاء 105.000 نوع في العالم من العناكب يعرف من بينها 473 نوعا في المغرب ينتمون إلى 37 فصيلة، ويحتمل أن يفوق عدد الأنواع 500 نظرا لتنوع الأنظمة البيئية على صعيد التراب الوطني ولقلة الأبحاث العلمية على العناكب في المغرب. معظم الأنواع التي تعيش في المغرب لا تشكل خطرا على الإنسان لأن سمومها ضعيفة جدا وقد ينتج التهاب خفيف على إثر لدغات عنكبوتية Mygale أو أنواع من فصيلتي Thomisidae وLycosidae. من بين الأنواع الخطيرة : العنكبوت Latrodectus mactans المشهورة بلدغاتها السامة في أمريكا الجنوبية. تتميز ببطن ضخم وبأقدام طويلة وبلون بني داكن وتعيش في المناطق الحارة.

تشتهر بعض أصناف العناكب بنسيجها العجيب الصنع الذي يختلف شكله حسب الأنواع ومن هذه الأشكال ما هو كالقمع عند أنواع فصيلة أجيليبدي وفصيلة ديسديريدي ومنه ما هو كالملاءة ومنه الهندسي الدائري عند عنكبوت الأحراج أو السك Epeire التي تستعمله كوسيلة لاصطياد فريستها. تُنسج البيوت بمهارة بين أغصان الأشجار والأعشاب وبين الجواجز وشقوق الصخور وعلى جدران المباني وعلى الأرض وفي جميع الحقول والمزارع والبساتين التي توجد بها دعامات لربط الخيوط. في حالة وجود العنكبوت على السقف أو على الشجرة تبصم بحريرها السائل على الخشب ثم تصنع خيطا واحدا تتدلى به إلى الأرض، وتزيد في صنعه كلما زادت هبوطا حتى تصل إلى الأرض فإذا شاءت صعودا احتفظت بالخيط لتصعد عليه. تتخذ العنكبوت الشبكة مسكنا لها ووسيلة لاصطياد الحشرات التي تكون غذاءها اليومي ولوضع بيضها وصغارها بداخله. والشبكة مكونة من دوائر متراكزة تدعمها أشعة وخيوط ثانوية مفتولة وهذه البيوت في منتهى الهشاشة حيث قال تعالى في سورة العنكبوت : "مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون" (الأية 41 من سورة العنكبوت).

تفرز مادة النسيج بواسطة 4 - 6 حليمات تعرف بعيون النسيج تلج في مؤخرة البطن. والخيوط مادة سائلة لعابية شفافة تتصلب عند اتصالها بالهواء. ويعتبر حرير العنكبوت أدق وأخف وأمتن من حرير القز وقد حاول منتجو الحرير تربية العنكبوت إلا أن ذلك باء بالفشل لأن هذا الحيوان يفضل العيش والأكل وحده. يستخدم حرير العناكب في صنع الأجهزة البصرية لأنه أدق خيط معروف إلى اليوم.

ترتقب العنكبوت فريستها وما إن تصطدم الحشرة بالشبكة حتى تشل حركتها أو تفتك بها عن طريق تلقيحها بسم قاتل يفرز بواسطة غدة تقع عند الصدر الرأسي. تمتص كل المواد الضرورية للتغذية من الحشرات.

ليست كل أنواع العنكبوت ناسجة الشباك فمنها التي تطارد فريستها أو تتربض بها للفتك بها على بغتة ومنها أنواع فصيلة الواثبات Salticidés وScaridés وHersilidés.

ومن العناكب أيضا عنكبوت الحقول Opilion التي يعطف عليها الإنسان، منها عشرة أنواع في المغرب تعيش في مجموعات مكثفة في البيوت وفي المغاوير وبين شقوق الجدران وتحت الجسور وعلى جانب الوديان. أقدامها طوال جدأ وجسمها نحيل ولا تؤذي الإنسان. تتغذى من القرادة ومن الحشرات الصغيرات.

S. Benhalima, *Ecologie des araignés des subéraies de la Mamora, de Larache et d'Oulmès*. Doctorat de spécialité, Rabat, 163 p., 1992 ; J. Denis, *Note d'aranéologie marocaine. VI, bibliographie des araignées du Maroc et addition d'espèces nouvelles*. Bull. Inst. Sc. Nat. Phys. Maroc, 35 : 179 - 209, 1955 ; Y. Guy, *Contribution à l'étude des araignées de la famille des lycosidae et de la sous famille des lycosinae avec étude spéciale des espèces du Maroc*. Trav. Inst. Chérif., Rabat, 33 : 174 p., 1966.

محمد خربوعة ومحمد رمضاني

العنّابي، من الأسر العلمية التي كان لها ذكر بوادي درعة خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين (15 و16 م) وموطنها بقصر تازروت بجهة تامگروت وسط واحة فزواطة وقد تألق من آل العنابي في علياء فزواطة ثلة من العلماء، الذين تميزوا بسعة الإطلاع، والاتقان والمشاركة في أنواع من المعارف والفنون.

العنّابي، عبد الرحمان بن **محمد**، لا نعرف شيئا عن ميلاده وتكوينه، ولاشك أنه ولد في قصر تازروت، حيث موطن أهله من آل العنابي، وبين أيديهم درج في أول مراقي العلم، فلما أتقن المبادئ تنقل عبر مدارس واحة فزواطة مثل مدرسة زاوية سيدي الناس ومدرسة سيدي علي بن محمد الشيخ، ومدرسة تاگمادارت ليحط الرحال بمدرسة الشيخ مَحمد بن مهدي الجراري بزاوية الحنا، حيث كان في زمالة عبد الواحد السجلماسي وسعيد الهوزالي وغيرهم من أبرز المتخرجين عن ابن مهدي.

ورغم أن عبد الرحمان العنابي، قد أخذ من العلم والفقه ما جعله يحظى بالتقدير والاحترام بين علماء عصره، فإنه ارتوى من الأدب مثل جده فحظي ":بشفوف خاص بين كتاب البلاط السعدي على عهد أحمد المنصور" وكان محل ثقة السلطان أحمد المنصور فقد ورد في المنتقى المقصور، أن عبد الرحمان العنابي كان يوقع الرسائل السلطان بعبارة "ثبت في تاريخه"، خوفا من التزوير ومحافظة على العلامة السلطانية وذلك في غاية الإتقان والضبط. وقد طارت شهرة عبد الرحمان العنابي، بعد قصة إهدائه كبشا ثمينا للقاضي الحميدي، حيث تبارى كتاب البلاط السعدي في تخليد هذه القصة بمقطعات شعرية رائعة. وقد توفي عبد الرحان بن محمد العنابي سنة 989 / 1581. وبوفاته غابت عنا أخبار هذه الأسرة العلمية المجيدة، حيث ضاع تراثها العلمي والأدبي في غمرة الأحداث التي عرفتها بلاد درعة خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري (17 م).

العنّابي، عبد الله بن **محمد** واسطة العقد في هذه الأسرة تصفه المصادر بأنه عالم جليل، وفقيه متمكن. لا نعرف شيئا عن ميلاده وأطوار تعليمه، وكيف تقلب في الحياة إلى أن بلغ ما بلغ من الشهرة بين رجالات عصره.

لاشك أن عبد الله العناني، قد أخذ مبادئ القراءة والكتابة على يد بني قومه بمسقط رأسه بقصر تَازْرُوت، ثم جال ببعض مدارس درعة المعروفة إبانه بتامگروت وتاگمادارت ثم أغلان، حيث كانت جنباتها تتزاحم بأهل العلم ورجال التصوف من أهل الوادي والطارئين من سوس والصحراء وغيرها. وقد تخرج عبد الله العنابي عالماً متضلعاً مشاركاً في علوم شتى. وقد حباه الله بعارضة قوية وذلاقة في اللسان يفحم بهما من ناظره، ولم يمض وقت طويل حتى أصبح قطب الرَّحَا بين علماء وادي درعة الذين اعترفوا له بالفضل والأولوية، وحسبه أن علامة سجلماسة إبراهيم بن هلال قد وصفه "بالفقيه الإمام، علم الأعلام، حائز فنون العلوم المنقولة والمعقولة، وحيد عصره وزمانه وفريد دهره وأوانه

كان عبد الله العنابي مشاركاً في علوم كثيرة اتقانا وفهما، وقد أشار بنفسه إلى هذه العلوم ضمنها خمسة أبيات في قصيدته التي وجهها إلى إبراهيم بن هلال لاستجلاب مودته، وهذه العلوم هي علوم العربية، إعراباً وتصريفاً وبلاغة وخطابة وبيانا، وعلوم المنطق والموسيقى والطب والتشريح والهندسة، وعلوم الفلك والأرصاد والحساب والكيميا، وأسرار الحروف والزيرجة، وعلم الكلام وما يتطلبه ذلك من جدال ومناظرة ناهيك عن براعة تامة في العلوم الفقهية دراية ورواية أما الأدب والشعر، فإن عبد الله العنابي الباشق الذي لا يطار تحت جناحه، وهكذا، إذا قرض الشعر فكأنما ينحت من صخر أو يغرف من بحر كما يقول الأولون، فإذا ترَسَّل، أطاعته العبارات، فتنساب الالفاظ من أُبلمة قلمه كأنها الرحيق المختوم، تسحر مجامع العقول وتأسر النفوس بهديل حمائم فصاحته".

لم يكن عبد الله العنابي من ذلك الصنف من العلماء الذين ينغلقون على أنفسهم، بل منفتحا على المجتمع، فقد كان كل ما حل بمدرسة من مدارس درعة تحلق العلماء حوله للإفادة والاستفادة، فقد عرفته مدرسة تاگمادارت إلى جانب محمد بن عبد الرحمان الزيداني، وعبد الله بن عمرو المضغري أستاذاً وشيخاً يلقى دروساً عليا في الفقه والحديث،

وكانت سرعة بديهته وقوة حفظه، تجعل لدروسه ميزة خاصة لا تقل عن مكانة عبد الله بن عمرو المضغري.

ويظهر أن عبد الله العنابي، قد فاتته فرصة الاجتماع بالشيخ إبراهيم بن هلال، في إحدى زيارته لواحة لكتاوة فتحسر لفوات الفرصة، فنظم قصيدة من حوالي مائة وتسعين بيتا في مدح ابن هلال، وعنونها "بنظم جواهر الجلال في استجلاب مودة إبراهيم بن هلال" ويفهم من بعض إشارات ابن عسكر، أن بين الرجلين "مكاتبات ومخاطبات ينبغي أن تكتب بماء الذهب لحسن توقيع كل منهما وبلاغته".

وبعد سقوط غرناطة سنة 897 / 1492، تطوع عبد الله العنابي، لفك الأسرى من المسلمين بإسبانيا، فسافر إلى فاس حيث التقى بمحمد الشيخ الوطاسي، "فصادف منه استجابة وتشجيعا وساهم الحريم الملكي بتقديم العون من الثياب والذهب". وأثناء الرحلة إلى الأندلس غرق المركب الذي كان يحمل عبد الله العنابي في هذه المهمة النبيلة، فتوفي غريقا في زمن غير محدد، قد يكون نهاية القرن التاسع أو بداية القرن العاشر (15 ـ 16 م).

العنّابي، محمد بن **عبد الله**، علامة جليل ورث عن أبيه الكثير من العلوم. ورغم أننا نجهل كل شيء عن نشأته وتكوينه، فإننا نعتقد أن عمدته هو والده عبد الله العنابي وعليه تخرج. ولا شك أنه صادف عندما بلغ أشده، وصول طائفة من علماء سوس وأتباع الطريقة الجزولية إلى واحة فزواطة، خلال العقدين الأخيرين من القرن التاسع الهجري (15 م)، فانخرط بكليته في الحركة العلمية والصوفية التي طما عبابها على فزواطة، وهي تعرف مخاض ميلاد حركة الأشراف السعديين بقيادة محمد بن عبد الرحمان الزيداني، ولم يتوان محمد العنابي في الانضمام إلى صف الأشراف ومدهم بقدر كبير من المال "ساعدهم على إرساء قواعد دولتهم والإنفاق على حركات الجهاد التي قادوها بسوس".

ويظهر من قصيدة سلسلة الأنوار (حوالي 68 بيتا) التي نظمها لتخليد أسماء شيوخ التصوف والتوسل بجاههم من أبي محمد صالح إلى آخر السلسلة (*الدرر المرصعة*، 257 ـ 260) أن محمد العنابي، قد ارتوى من كأس التصوف، الأمر الذي جعل ابن عسكر يصفه بأنه ولي الله (*الدوحة*، 91) مع الإشارة إلى الخلط البين عند أبن عسكر في المعلومات عن محمد العنابي ووالده عبد الله. وقد توفي محمد العنابي سنة 922 / 1516.

م. الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب من مشايخ القرن العاشر* ؛ بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج بتطريز الديباج*، القاهرة، 1351 ؛ ع. بن إبراهيم، *الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام*، ج. 8 ؛ أ. ابن القاضي، *المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور*، الرباط، 1986 ؛ م. الصغير اليفرني، *نزهة الحادي*، ط. 1، 1888 ؛ م. المنوني، *حضارة وادي درعة من خلال النصوص والآثار*، *دعوة الحق*، ع. 2، السنة 18 ـ 1973.

أحمد البوزيدي

العواشر، يرتبط مفهوم العواشر في اليومي المغربي بشهور معينة وأيام معدودات، تحمل دلالات دينية مقدسة، وتشمل هذه المواقيت أيام الجمعة والأيام القبلية والبعدية للأعياد الدينية الثلاث : عيد الفطر، عيد الأضحى، عيد المولد النبوي، إضافة إلى شهري شعبان ورمضان وعاشوراء ورأس السنة الهجرية... وأجمعت بعضها في الأحجية التالية:

حاجيتك على العين والعين عندو طناش علام، ستين فقيرة وثلاث سلاطين ووزيرة وهي : العام ـ الشهور ـ أيام الجمعة ـ الأعياد الثلاث ـ عاشورة.

ويتعامل المغاربة مع هذه المناسبات الدينية بكل ما تستحق من إجلال وتعظيم، فيسمونها بـ"العواشر". فيباركون لبعضهم البعض بعبارة على كل الألسن "مبروك عواشرك"، ويدعون لبعضهم بعضا بالصحة والسعادة وطول العمر... سائلين الله أن يتقبل منهم ما يقدمون خلال هذه الأيام من أعمال يتقربون بها من الله، من صدقات وصوم وصلة رحم الأرحام... فيتبادلون الزيارات، ويجتمعون ببعضهم البعض "التعوشيرة"، فيذكرون الله ويمدحون النبي... فرادى وجماعات. ويعبرون عن سرورهم بهذه الأيام بإقامة المأدبات من حلويات ومشروبات، إضافة إلى بعض الوجبات الخاصة التي تدخل في عاداتهم كالفتات بالدجاج، والكسكس بسبع أنواع من الخضر... وتختلف طقوس الاحتفاء بالعواشر من جهة لأخرى، ففي بعض المناطق تتزين النساء بالحناء والسواك والكحل، وفي مناطق أخرى يلبس الرجال أجمل ما يتوفرون عليه، ومنهم من يبيض الحيطان ويطلق البخور والطيب، ومنهم من يقيم ليالي الذكر، ومنهم من يوسع على عياله ـ كما هو الحال في عاشوراء.

رواية شفوية.

Georges S. Colin, *La vie marocaine*, Paris, 1953 ; Doctoresse Legey, *Essai de folklore marocain*, Paris, 1926 ; Victorien Loubignac, *Textes arabes des Zaërs*, Paris, 1952.

صالح شگاگ

العود، آلة موسيقية من ذوات الأوتار، جاء ذكرها في عدة مصادر بأسماء تعددت بتعدد أنواعها، منها البربط، والكران، والمزهر، والقرطبة، والأبج، والمثاني، والمعزف، وسيد الملاهي. وقد كانت هذه الآلة في مقدمة الآلات الموسيقية التي شقت طريقها من المشرق إلى المغرب والأندلس في رفقة العرب الفاتحين، ومنذئذ حفلت المصادر بذكرها والحفاوة بدورها.

تناقل القدماء خبر أول من اتخذ العود للغناء، فزعموا أن لمك بن متوشلح كان له ابن يحبه حبا شديدا، فمات، فعلقه بشجرة، فتقطت أوصاله حتى بقي منه فخذه والساق والقدم والأصابع، فأخذ خشبا ورققه وألصقه، فجعل صدر العود كالفخذ، وعنقه كالساق، ورأسه كالقدم، والملاوي كالأصابع، والأوتار كالعروق، ثم ضرب به وناح عليه فنطق العود.

وقد أورد ابن سيده في الخصائص أن العيدان كانت على عهد بني العباس تصنع من خشب الوعس، وهو ـ حسب الفيروزابادي ـ شجر تعمل منه البوابط والأعواد، كما ذكر التنوخي في نشوار المحاضرة أن العود العباسي كان يصنع من العود الهندي المعطر المستورد من بلاد الشرق الأقصى.

ويتبين من تركيب العود أنه يضم زهاء ثلاثين قطعة تتصل صناعتها بحرف متعددة منها النجارة والخراطة والنقش والترصيع، والنسيج والحدادة. وقد اشترط إخوان الصفا في صناعة هذه الآلة أن تكون من الألواح رقاق متخذة من خشب خفيف، وأن يكون الوجه رقيقا من خشب صلب يطن إذا نقر، كما حددوا مقاييس طول الآلة وعرضها وعمقها وعنقها.

وقد اشتهرت بالمغرب في العهود المتأخرة أوراش لصناعة العيدان كان من بينها ورشة المعلم الفاسي محمد ابن حربيط بفاس المتوفى عام 1994، وورشة المعلم المكناسي الأصل محمد بن أحمد بناني (تـ. 1984) بمكناس ثم في حدائق الأوداية بالرباط.

ويتحكم وضع أوتار العود في طريقة تسويته. ولعل أقدم ما وصلنا في هذا الصدد وصف أحمد التيفاشي المتوفى عام 651 لطريقة ابن باجة (تـ. 529) في تسوية هذه الآلة. وسوف ننتظر مطالع القرن الثامن عشر ليوافينا الأديب الموسيقي محمد البوعصامي المتوفى حوالي عام 1150 بوصف لتسوية العود بالمغرب، وهي التسوية القائمة على أربعة أوتار هي الذيل والحسين والماية والرمل والتي أصبحت تقليدا متوارثا وخاصة بين أرباب موسيقى الآلة في تسوية العود الذي اصطلح عليه اسم العود الرباعي، أو العود الصويري، أو عود الرمل، وهو صدر صغير وعنق طويل، تسوى أوتاره وفق نظام "الخامسات المتعانقة Quintes embrassées".

ومع تسرب الموسيقى الشرقية الحديثة إلى المغرب في مطالع القرن العشرين دخل العود المصري بأوتاره الستة، وأخذ شيئا فشيئا يستبد بالمجموعات الموسيقية وحتى التراثية منها، وانحسر ظل العود المغربي لينقطع تداوله في نهاية المطاف.

المسعودي، *مروج الذهب*، ج. 4، ص. 220 . 221 ؛ ج. 1، ص. 196 ؛ ج. 7، ص. 20 ؛ *متعة السماع في علم السماع* بواسطة محمد بن تاويت الطنجي، مجلة الأبحاث البيروتية، م. 21 أعداد 2 . 3 . 4، دجنبر 1968، ص. 115 ؛ م. البوعصامي، *إيقاد الشموع للذة المسموع بنغمات الطبوع*، تح. ع. العزيز بن عبد الجليل، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، 1995.

A. Chotin, *Tableau de la musique marocaine*, p. 139.

عبد العزيز بن عبد الجليل

عودة واسمها هو تخفيف على الطريقة الأمازيغية لاسمها الأصلي مسعودة، وهي بنت الشيخ أحمد بن عبد الله الوزكيتي الورززاتي، تزوجها محمد الشيخ السعدي، وولدت ابنه أحمد المنصور الذهبي. كانت امرأة صالحة عرفت بمشاريعها الإحسانية، فبنت المسجد الجامع بحومة باب دكالة داخل مدينة مراكش سنة 995 / 1586، وأوقفت عليه أوقافا كثيرة، وتردد الرواية الشفوية إلى اليوم هذه المسجوعة "عودة أكلت رمضان بالخوخ والرمان، يا رب تغفر لها"، كتذكير بقصتها في أكل يوم من رمضان بعدما دخلت أحد أجنة مراكش، وغالبتها نفسها لأنها كانت في حالة الوحم. ثم ندمت على ذلك وأمرت ببناء الجامع المذكور تكفيراً عما صدر منها. وأمرت أيضاً ببناء مرافق اجتماعية أخرى، منها قنطرتان إحداهما هي قنطرة حواتة على نهر أم الربيع التي تمت سنة 1000، وبإصلاح الطرق، وحبست عشرات الحوانيت على مشاريعها، وكانت تساعد على تزويج النساء الفقيرات. وينسب لها مسجد لالة عودة بمكناس.

وكانت قد ذهبت إلى القسطنطينية العظمى صحبة ابنها أحمد المنصور وأخيه مولاي عبد الملك. وذكرت بعض المصادر أن التي صحبتهما هي الرحمانية أم عبد الملك. وكانت هذه الرحلة بهدف إقناع السلطان العثماني سليم بن سليمان بمساعدة الأميرين على الحصول على السلطة بالمغرب ضد محمد المتوكل ابن أخيهما محمد الغالب.

توفيت سنة 1000 / 1591.

الناصري، *الاستقصا*، طبعة 2001، 68 . 95 . 122 . 131 ؛ م. حجي، موسوعة *أعلام المغرب*، ص. 949 ؛ ع. الهادي التازي، *المرأة في تاريخ الغرب الإسلامي*، ص. 230 ؛ ابن القاضي المكناسي، *المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور*، تح. محمد رزوق، الرباط، دار المعارف، 1986، 1 : 256 . 257 ؛ *درة الحجال*، ص. 405 . 406.

محمد المغراوي

عَوْسَج أو غَرْدَق بالعربية أو إينْزيركي، أو ماموزا أو عَاتْليلْ أو أزاكو بالأمازيغية أسماء تطلق على ثلاث أنواع نباتية برية أو شبه طبيعية تنتمي لجنس ليسْيومْ Lycium الذي هو من فصيلة الباذنجانيات Solanaceae.

- لِيسْيُرم أنْتْريكاتوم Lycium intricatum : جنيبة شوكِية، ذات أوراق بسيطة كاملة خضراء لكن ضاربة إلى اللون الفضي، لحمية. أزهارها أنبوبية الشكل وذات لون ججري. ثمارها عنبية الشكل وحمراء.

يصادف النوع في أحراج السهول والجبال المنخفضة الجافة والسهوب السبخية، وعلى أراضي فقيرة، ويوجد في البيومناخيات الصحراوية والجافة وشبه الجافة.

نظرا لكونه نبات سام كما هو الشأن بالنسبة لجل أنواع الفصيلة، يستعمل النوع لعدة أغراض في التطبيب التقليدي.

- ليسيوم أوروبِيُوم Lycium europaeum : شجيرة كثيرة الأشواك يتراوح علوها ما بين 2 و4 م، ذات أزهار بيضاء أو وردية أو بنفسجية اللون وأنبوبية الشكل. ثمارها كروية الشكل وحمراء عند نضجها.

يعيش النوع في الأحراج والسهول والهضاب الساحلية، حيث يستعمل لتشكيل أسيجة حية، أو لتثبيت الكثبان الرملية وكذلك في التطبيب التقليدي.

ـ ليـسـيـوم حَـاليـمـيـفُـولْيُـوم Lycium haimifolium : شجيـرة قليلة أو عـديمة اَلأشواك، ذات أوراق رمحـيـة وأزهار بنفسجية ضاربة إلى الحمرة.

يعـيش النوع في الأحـراج والأسيـجـة في عـدة مـناطق من المغـرب، بـصـفـة شـبـه طـبـيـعـيـة. لكن مـوطنه الأصلي غـيـر معروف.

A. Benabid, *Flore et écocytèmes du Maroc, évaluation et préservation de la biodiversité.* Ibis Press, Paris, 2000, 360 p. : L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les connaître.* Ed. Larose, Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

عـوض، حـسـان، أسـتـاذ جـغـرافـي من الأفـذاذ الذين أنجبتهم مصر العربية. وقد ولد من أسرة قبطية في الصعيد المصري سنة 1910 ودرس في مدارسها، وأرسل ضمن البعثة المضرية التي أرسلها الملك فاروق إلى فرنسا لمتابعة الدراسة العليا هناك.

وقد حل بفرنسا لتحضير الدكتوراه إبان الحرب العالمية الثانية وقاسى الأمرين من الغربة والفاقة التي كانت تصاحب عادة الطلبة العرب والأفارقة آنذاك في أوربا وهم قلة.

استطاع هذا الأستاذ العالم الجليل أن يرجع إلى وطنه بعد حصوله على الدكتوراه في الآداب من جامعة باريس في شهر يوليو 1950. والتحق بجامعة عين شمس بمصر، وعمل أستاذا بها. متردداً على فرنسا عدة مرات قبل التحاقه بالمغرب كأستاذ زائر وكباحث.

يعتبر من بين أعلام الجغرافيين المعاصرين، ومن بين رجال جامعة محمد الخامس ومفكريها إبان نشأتها الأولى، فقد التحق مع الأفواج الأولى التي حضرت من المشرق العربي إلى المغرب في السنوات الأولى من الاستقلال للمساهمة في تعريب أسلاك التعلم الثانوي وجامعة محمد الخامس. وقد سألته مرة ضمن حديث ودي عن أسباب اختياره اللجوء إلى المغرب، خصوصا وأنه استقر به قرابة العشرين سنة، فأخبرني أن هناك سببين رئيسيين، الأول معرفته الجيدة بجغرافية هذه المنطقة ويقصد بها منطقة المغرب العربي بما في ذلك الصحراء الكبرى الإفريقية، والسبب الثاني ميله ليعيش ضمن دولة يضللها النظام الملكي (فقد كان ملكيا بطبعه).

الفكر الجغرافي عند الأستاذ عوض حسان :

كان مفكرا موسوعيا على عكس عصره الذي تتسم فيه سبل العلم ومصادر المعرفة بطابع التخصص الدقيق. فهو متخصص في الجغرافية الطبيعية وبارع في الجغرافية البشرية من حضرية وأرياف، وهو إلى ذلك له معرفة بالتاريخ والسوسيولوجيا والإحصاء، بالإضافة إلى إتقانه عدة لغات، لغته الأم العربية بالاضافة إلى الإنجليزية والفرنسية مع إلمامه باللغة الألمانية.

عزز حضور الجغرافية في مختلف المحافل العلمية، فلا تخلو قاعة مؤتمر من المؤتمرات الدولية أو الإقليمية أو المحلية من حضوره وذلك منذ تخرجه، وهكذا قرب الجغرافية الحديثة من الأجيال الجديدة، بواسطة إشرافه على أطروحات في الجغرافية الطبيعية والبشرية، ودروسه التي يصح أن يطلق عليها بأنها السهل الممتنع ومهد للجغرافية الحديثة السبيل إلى الحياة العامة والحركة المتفاعلة مع المجتمع بواسطة مؤلفاته، وأذكر أنه كان من المناصرين لتكوين لجنة تحمل اسم الجغرافية التطبيقية في المؤتمر الجغرافي الأول الذي انعقد بالعاصمة البريطانية سنة 1964. إذ يرى أنه يجب الاستفادة من الجغرافية في مشروعات التنمية الاقتصادية إذ أن الجغرافية لم تعد علما تربويا بحثا. فهو يقول بأنه غدا من الطبيعي ألا يقف الجغرافي موقف المتفرج إزاء المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي ترافق التقدم والنمو الاقتصادي. فالبحث الجغرافي سجل تقدما في مناهجه وطرائقه، جعلته يتوصل إلى نتائج علمية تتوفر على درجة كبيرة من التثبت والدقة، مما دفع بالجغرافيين إلى الإدلاء بآرائهم في مشكلات الحياة العلمية على أساس المعارف المكتسبة من واقع دراستهم.

ويقول، أن علمنا هذا تجاوز مرحلة الوصف المعقولي أو التفسيرات لظاهرات سطح الأرض، إلى مرحلة الكشف عن الوسائل المختلفة التي قد تعين على حل الكثير من المشكلات التي يصادفها من يعهد إليهم بأمور الدولة والمتصلة بالتنمية الاقتصادية والتخطيط القومي والإقليمي. ويرى أن الجغرافية علم تركيبي مرتبط بمختلف العلوم، يمسك بأطراف المعارف الطبيعية والبشرية على السواء، ويجمعها على صعيد واحد. ومن ثم كانت نتائجها أدعى إلى الصحة وأقرب للشمول من أي دراسة أخرى، وعلى ذلك فلا غرو أن تجد الجغرافية مجالات متعددة للتطبيق العلمي في مختلف مشروعات التجهيز والتنمية. ويرى أن الدراسة الخالصة البحتة ضرورية لأغراض التطبيق حتى لا يتحول رجال البحث العلمي إلى مجرد فنيين في خدمة الإدارات والشركات، لا يفتئون يكررون على مدار الزمن، وبصورة آلية عمليات قد صبت في قوالب معينة، وفي هذا ما يفقدهم بعد حين روح التجديد، وما ينتهي إلى الانحدار بالعلم. ذلك أن البحث العلمي، يجب أن لا يرصد لخدمة غرض محدود، بل يتعين عليه أن ينطلق باحثا في الحقائق التي يكون التوصل إليها سبيلا إلى خدمة البشرية، ومن غير أن تكون هذه النتيجة مضمونة لذاتها، فالصلة إذن وثيقة بين النظرية والتطبيق، ولا يستقيم التطبيق دون ممارسة مستمرة للدراسات البحثية الأكاديمية، ومن الخطر، كل الخطر، القول بوجود نمطين جغرافيين متباينين أحدهما نظري والثاني تطبيقي، ويرى أن الجغرافية التطبيقية امتداد طبيعي للدراسات الجغرافية الأصلية، ولئن أفاد الغير من هذه الدراسات فإن في احتكاك الجغرافيين بغيرهم من أصحاب العلوم الأخرى، وتدخلهم في المسائل الحيوية مصلحة لا تنكر. فلا بد أن يعود ذلك بالفائدة على الدراسات الجغرافية التي ستجد في مجالات التطبيق أبعادها الحقيقية. (انتهى كلام الأستاذ حسان عوض).

وهكذا استطاع بنمط أبحاثه وكتاباته أن يتجاوز حدود وطنه ويخترقها ليصل إلى آفاق عربية وعالمية أوسع وأرحب، فكان موسوعة من موسوعات الجغرافية المتعددة التخصصات، مما يشهد عليه مؤلفاته المتعددة.

توفي ببازيز في شتنبر 1996.

مريم حكم

العوفي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Ofra - Ofre - Ofri ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Ofir وهو اسم مدينة إسبانية.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنية التي ذكرها ف الرقم 1207.

محمد ابن عزوز حكيم

العوفي، أسرة من الأسر العلمية بقرية "أكال ملولن" بتراب قبيلة إيداوبعقيل، إلى الجنوب الشرقي من مدينة تيزنيت. يتصل نسبها بعمرو بن عوف بن مالك السلاوي، ويبدو أن أحد أجداد الأسرة قد نزح من سلا إلى سوس في تاريخ مجهول.

نبغ منها علماء وفقهاء أفذاذ كما يظهر ذلك من خلال وثائق خزانة آل العوفي.

العوفي، أحمد بن **عبد الرحمان**، الأستاذ القاضي، ولد في ضحى يوم الاثنين 12 صفر 1332 / 1913. تخرج بمدينة بونعمان لدى العلامة أحمد بن مسعود المعدري. وكان من نجباء المدرسة، حيث أظهر نبوغا وذكاءا فائقا، مما أهله للالتحاق بجامع ابن يوسف بمراكش، وبه قضى نحو ثلاث سنوات. ورغم قصر مدة تحصيله بالحمراء، فقد تخرج متمكنا في عدة معارف. ويبدو أن والده استعجله للرجوع إلى بلده، فانخرط في سلك العدالة بتيزنيت. وقد تفطن شيخه أحمد ابن مسعود لهذا الأمر، لهذا نصحه بضرورة الاستزادة من العلم، وأن ما هو بصدده لا يتناسب ومكانة أسرته العلمية. بيد أن المترجم قنع بخطة العدالة، التي قضى بها وقتاً طويلاً، إلى أن استقال منها ثم صار من أطر الأحباس بتيزنيت. وفي بداية الاستقلال تولى القضاء بزاگورة ثم تاليوين، ثم رجع ثانية إلى خطة العدالة حتى وفاته يوم السبت 24 صفر 1414 / 14 غشت 1993.

ع. الرحمان العوفي، كناشته، مخطوط ؛ م. السوسي، *المعسول*، 13 : 96 ؛ 14 : 71 ـ 82 ؛ *خلال جزولة*، 2 : 160 ؛ *رجالات العلم العربي بسوس*، 241 ـ 373 ؛ م. بن عبد الرحمان التدارتي، *قلائد المرجان في تعيين بعض أعلام وجان*، مخطوط، ص. 82 ـ 83.

العوفي، عبد الرحمان بن **محمد**، علامة فرضي، ولد في 15 جمادى الثانية 1284 / 1863. تلقى مبادئه العلمية بقرية بونعمان، وفيها لازم العلماء المسعوديين وخاصة العلامة مسعود (1301 / 83 ـ 1884) ومن بعده ابنه محمد "حتى تفوق على يده، وصدر عنه بعلوم جمة". وقد أجازه هذا الأخير عام 1312 بإجازة قيمة، اعتبرها المختار السوسي من آثار ابن مسعود الكبرى لما أودع فيها من الأسانيد. ومشاركته واسعة في الأدب والفقه والحديث والتفسير، إلا أن منزعه يميل إلى الفرائض والحساب والنوازل.

تصدر للتدريس في عدة مدارس منها : موزايت، وجان، آيت رخا، المسجد الكبير بـ"وانيضا"، وأمسرا بإيفران. ومن حين لآخرو كان المسعودين يستخلفونه عوضا منهم بمدرسة بونعمان، فاتسعت مداركه. وكان يشارك في المذاكرات العلمية على غرار أستاذه بتحقيقاته وتدقيقاته، لاسيما في النوازل وعلم التركات، وهو القائل مباسطة "سيموت هذا العلم (الفرائض) بموتي" وعد بذلك المرجع والمستشار الوحيد في المحكمة الشرعية بتيزنيت على عهد القاضي محمد أوعمو، فكان "لا يبرم ولا ينقض في قضية تحتاج إلى نظر إلا بواسطة" وعلى هذا الأساس صار قبلة المتقاضين من جميع الآفاق. ونظرا لقيمة وغزارة فتاويه، قام ابنه القاضي الأستاذ أحمد بجمعها في مجلدين كبيرين.

وكان لاتصال المترجم بالمسعوديين أكبر الأثر حتى اعتنق الطريقة الإلغية / الدرقاوية أواخر سنة 1320 فأصبح منذ ذلك التاريخ يفد على زاوية إلغ في المواسم. كما كان الشيخ الإلغي يزوره بداره في ذهابه أو إيابه إلى الزاوية عند قدومه من أزغار تيزنيت. حاز العوفي مكانة علمية مرموقة، أهلته لتوطيد علاقات بعلماء وقته وكذا شيوخ وقياد القبائل.

عرف المترجم بشغفه الكبير في اقتناء الكتب واستنساخها، حتى تحصلت لديه خزانة تعد من أكبر الخزانات الخاصة بسوس.

أحمد بومزگو

العوفي، محمد بن **إبراهيم**، نوازلي، أخذ جل معارفه عن الأدوزيين. وصف بأنه كان ذا همة كبرى في مجال النوازل. وإليه يرجع الفضل في تقسيم الأراضي المنبسطة بأزغار تيزنيت بين قبيلة إيداوبعقيل وجيرانها خاصة آيت تيزنيت وآيت جرار والمعدر. توفي عام 1311 / 93 ـ 1894.

العوفير، أسرة أندلسية من الرباط عرف أفرادها بالإحسان والصدقات. وقد بنوا زاوية على أرض كانت في ملك آل بلگناوي وهي زاوية الشيخ لزارو. وتعدد فروع هذه الأسرة فقطنوا مختلف أحياء المدينة القديمة مثل البحيرة التي ربما كانت موطنهم الأصلي قبل أن يتفرقوا في الأحياء

الأخرى مثل فران الزناقي وقرب الزاوية القادرية وحي سيدي الضاوي ودرب الحساني بسقاية البريبري قرب سيدي عبد القادر بن أحمد وعلى مقربة من سقاية بلمكي وتحت الصابة جوار فران الساباط. وتصاهر آل العوفير مع آل طريدانو وآل ابن مسعود وآل بن إبراهيم وآل الباشا ولهم قرابة مع أولاد ابن يوسف.

وعرف منهم عدة شخصيات في التجارة، وكان منهم بعض كبارالملاك العقاريين بالرباط. فأثناء دخول الفرنسيين سنة 1912 كانت هناك أرض العوفير التي تبلغ 122 هـ في طريق زعير ومازال جزء منها يحمل هذا الاسم إلى حد الآن. وأراد الفرنسيون شراء بعض الهكتارات منها لإنجاز المطار هناك فيما عرف فيما بعد بحي المناطيد أو الطيارات ولكنهم عوض أن يشتروا تلك الهكتارات المحدودة استولوا على مساحة شاسعة منها دون مقابل، بالرغم من أن للأسرة رسومها التي تثبت ملكيتها للعقار المذكور.

ومن بين المعروفين من هذه الأسرة المختار ومحمد بن الجيلالي الآتي ذكرهما.

معلومات شخصية وروايات شفوية من بعض العارفين بأخبار الأسرة. و*معلومات* من السيد محمد الأمين بلگناوي.

عبد الإله الفاسي

العوفير، الحسن بن **محمد**، قائد كان يترأس جماعة من مجاهدي قبيلة الفحص انظم إلي المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني، وقد شارك في المؤتمرات التي عقدتها الثورة بضريح سيدي يسف التليدي يوم 7 ماي 1913، بقرية عين الدالية يوم 11 من نفس الشهر وبضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز من نفس السنة حيث عين عضوا في القيادة المركزية للمقاومة ؛ وقد شارك في عدة معارك.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

العوفير، الصديق بن **الجيلالي**، من علماء الرباط وعدوله. تتلمذ على يد المكي البطاوري والفقيه محمد الروندة والجيلاني بن إبراهيم. انخرط في سلك عدول مرسى الرباط طوال حياته. درس عليه جماعة من الطلبة وكان يعطي دروسه - بمسجد البحيرة قبالة منزله - في رسالة أبي زيد القيرواني وغيرها من العلوم كالفقه والنحو. توفي في 15 دجنبر 1963.

الجراري، من *أعلام الفكر*، ج. 2، ص. 306.

العوفير، محمد بن **الجيلالي**، ولد بالرباط سنة 1878 اشتغل بالتجارة التي درت عليه أرباحا مهمة، له تعليم متواضع، رشح لعضوية اللجنة البلدية سنة 1931 بمدينته. اتجر في وهران ورغب في تقلب وظيفة محتسب، ولم تسند إليه.

و. خ. ع. ملف 620، تجديد أعضاء اللجن البلدية، 1930 . 1931.

العوفير، المختار كان أيام السلطان مولاي الحسن أمينا لمستفاذ مراكش، وتعين في هذه الوظيفة سنة 1296 / 1873 ثم انتقل إلى فاس حيث استدعاه السلطان للقيام بوظيفة أمين دار عديّل سنة 1301 / 1883.

الفاسي، مدينة *الرباط وأعيانها*، ص. 224 . 226.

عبد الإله الفاسي

العولة، من فعل أعال يعول أي يتكفل بمؤونة شخص أو جماعة من الناس والعولة منها التلقائي ومنها المتفق عليه ومنها المفروضة. فالعولة التلقائية تدخل في نطاق التكافل الاجتماعي إما داخل العائلة أو القبيلة، إذ يتكلف الميسورون أو "الجماعة" بعولة الأسر المحتاجة من آيتام وأرامل ومرضى وغيرهم، وتدخل في هذا الإطار الجمعيات الخيرية وجمعيات رعاية المكفوفين والمعاقين وما شابهها ؛ أما العولة المتفق عليها فتكون عادة ما بين المشغل وطالب الشغل في البادية مثل الخماس والرباع والراعي فيتفق الطرفان على الأجرة أو النصيب السنوي وفق العرف السائد ويتفقان على العولة أي أن يقوم المشغل بتقديم المؤونة السنوية إلى المشتغل عنده إلى حين نضج المحاصيل أو الإنتاج وتوزيعه. ويدخل في هذا الإطار الفقيه في مسجد الدوار أو القبيلة فيتم الاتفاق بعد قبول "شرطه" أن تقدم له العولة السنوية إلى حين بلوغ فصل الصيف وتحصيل "الشرط" أي ما تم الاتفاق عليه من حصته كأجرة على كل "كانون" أو "خيمة"، وأحيانا يتم قبول الفقيه "فقيه الشرط" وفق أجرة نقدية محددة في الأسبوع أو الشهر بالإضافة إلى العولة السنوية أي تزويده بالمؤونة السنوية.

تتكون العولة في الغالب من المواد الغذائية الاستراتيجية الأساسية : حبوب (قمح، شعير، قمح طري، ذرة) وسمن أو زيت ولبن وغيرها وتختلف بحسب المناطق والإنتاج الفلاحي السائد وفي بعد المناطق يدخل فيها العلف والكسوة أو الصوف لصناعتها، وفي مناطق أخرى تدخل فيها الإنارة أو حصة من ماء السقي والحطب أو الفحم للطبخ وهكذا...

العولة لا تطلق فقط على ما يتم التعاقد عليه ما بين طرفي الإنتاج أو الخدمة، بل تشمل ما يخصصه الفلاح لمؤونته السنوية ومؤونة ضيوفه المحتملين فغالبا ما تتحدث المصادر عن كميات ومحاصيل يتم إزالة العولة منها والباقي يباع في الأسواق فيقولون "فلان رفد لعولته كذا، وباع كذا وترك للبذر كذا...".

أما العولة المفروضة فغالبا ما كان يفرضها المخزن على القبائل خاصة أثناء الحركات والحروب فيفرض على كل قبيلة كمية أو نصيب من العولة لصالح المحلة الفلانية، وكل قبيلة

بحسب ما تشتهر بإنتاجه وقد شكلت العولة إلى جانب الخراج والزكاة وغيرها من الضرائب التي تتعدد كلما اشتدت حاجة المخزن إلى الأموال النقدية والعينية، وقد شكلت عبئا كبيرا أثقل كاهل الناس طيلة العصر الوسيط والحديث وإلى بداية القرن العشرين.

التادلي، *التشوف*، الرباط، 1958 و1984 ؛ البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط، 1982 ؛ الونشريسي، *المعيار المعرب*، بيروت، 1981 ؛ الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة* (تاريخ الضعيف الرباطي)، الرباط، 1986 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 و1955 ؛ الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980.

R. Montagne, *Les berbères et le makhzen dans le sud du Maroc*, Paris, 1930 ; P. Pascon, *La maison d'Illigh et histoire sociale du Tazroualt*, Rabat, 1984 ; G. Marcy, *Le droit coutumier Zemmour*, Alger, Paris, 1949.

محمد حجاج الطويل

العولي، محمود، ولد سنة 1939 بأسا ناحية طرفاية إقليم طانطان.

لما اندلعت شرارة الكفاح التحرري بجنوب المملكة وبالخصوص في أقاليمنا الصحراوية لتعلن بهاية الوجود الاستعماري كان العولي محمود من الوطنيين الذين أهدوا أرواحهم لهذا في سبيل الوطن حيث شارك مع الفرقة السابعة لجيش التحرير بالجنوب والتي كانت تحت قيادة كل من رام فضيلي والتامك إيدي في عدة معارك وهجومات ضد قوات الاحتلال الاسباني وذلك منذ تاريخ انخراطه في صفوفها أي مند سنة 1958 إلى أن استشهد في معركة أم العشار الثانية سنة 1959 بعد أن شارك بفعالية كبيرة في معركة أم العشار الأولى التي دارت رحاها بالصحراء.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة رقم 501196.

عون ، محمد من مواليد سنة 1912 بمركز أربعاء العونات بإقليم الجديدة.

انخرط في صفوف المقاومة المسلحة منذ انطلاق الشرارة الأولى حيث انضم إلى إحدى المنظمات السرية تحت مسؤولية السيد المعتصم التيجاني إلى جانب سالك الجيلالي والمكاوي إدريس وزيوان أحمد، ونتيجة لنشاطه الفدائي فقد تعرض للاعتقال والتعذيب. ثم تم الافراج عنه. بعد استقلال المغرب.

توفي في شهر يناير من سنة 1996.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة رقم 519930.

العونات إحدى القبائل العربية الهلالية الكبرى بدكالة، يحدها شمالاً أولاد فرج، وجنوباً القصيبة وشرقاً الرحامنة وغرباً مطران والمشرك وتتوسطها الزاوية التونسية على الطريق المؤدية إلى صخور الرحامنة. وتعتبر هذه الزاوية من المراكز الثقافية بالمنطقة، تأسست في عهد السلطان المولى إسماعيل على يد الفقيه الصالح التونسي بن مبارك العوني وتقع على تل صغير يدعى "كدية العرعار" وصفها كولفان عام 1917 بأنها "عبارة عن مجموعة من الدور العتيقة المحاطة بالقباب البيضاء وبغابة من أشجار الزيتون. تشتمل إحدى هذه الدور على فناء رحب مفتوح تحف به أعمدة عالية تحمل إفريزات من الخشب المنقوش ..." ومن مرافق الزاوية : المقصورة وهي مكان إلقاء الدروس وإقامة الصلوات، ومجموعة من الغرف المخصصة لسكنى الطلبة الذين يتجاوز عددهم مائة أحياناً بالإضافة إلى مكتبة غنية بالمخطوطات مفتوحة في وجه الطلبة والمدرسين.

وقد دُعي المؤسس "التونسي"، وليس اسمه الحقيقي، وإنما لطول إقامته بالبلاد التونسية نحو سبع سنين عند رجوعه من الحج. وسميت زاويته "تونسية" وعقبه كذلك، وإنما هم من العونات لذلك تجد في كتب التراجم ازدواجية نسبهم : فلان التونسي العوني.

م. الكانوني، *جواهر الكمال*، الدار البيضاء، 1356، ج 1 ؛ م. الشياظمي، حسن *الدلالة على ما انقرض من حواضر دكالة*، مخطوط ؛ مدن وقبائل *المغرب، ناحية دكالة*، تر. م. الشياظمي ؛ وزارة التربية، *أعلام ومآثر دكالة*، 1981.

العوني، أسرة سلوية عريقة أصلها من قبيلة العونات الدكالية الهلالية، انتقلت أوائل القرن العاشر (16 م) إلى سلا عقب اكتساح الاستعمار البرتغالي لبلادهم، وأقدم من يعرف له ضريح من العونيين بسلا هو الأستاذ المقرئ سيدي عبد الله العوني من رجال القرن الحادي عشر آتي الترجمة.

كانت دار الحاج أحمد العوني بدرب حمام الطالعة أكبر دور العونيين بسلا، ومازالت معروفة لهم حتى اليوم اقتطعوا جناحاً منها جعلوه زاوية يقرأ فيها دلائل *الخيرات*، وقد جددت أخيراً وأصبحت تقام بها الصلوات الخمس ويقرأ بها أحزاب القرآن مغرباً وصبحاً.

تميز العونيون السلويون بالمشاركة في حركات الجهاد النشيطة بالمدينة في البر والبحر، وفي وثائقهم القديمة إشارات إلى صفة الجهاد لدى بعض جدودهم، لكن الوثائق الرسمية التي تنظمهم في عقد المجاهدين متأخرة لا يعدو تاريخها أواخر القرن الثالث عشر (19 م) نشرت ضمن ما نشر من وثائق ولاة سلا المتأخرين من أولاد ابن سعيد والصبيحيين باعتبار أن الولاة كانوا مكلفين بتوزيع الصلات الملكية على المجاهدين بالمدينة وهكذا فإن القائمة رقم 85 من وثائق بني سعيد المتعلقة بالصلات التي أنعم بها الحسن الأول على البحريين الواقفين على وظائف الجهاد بتاريخ 16 قعدة عام 1292 (14 دجنبر 1875) تشتمل على أسماء ثلاثة من هؤلاء العونيين إبراهيم بن أحمد العوني، وسي محمد العوني، وسي محمد بن الحاج عبد الله العوني. ويتكرر اسم محمد العوني في القائمة 171 من نفس وثائق بني سعيد المتعلقة بالصلات المنعم بها على المجاهدين البحريين بتاريخ 28 ذي الحجة عام 1311 (2 يوليوز 1894).

كما أن القائمة 84 من نفس الوثائق المتعلقة بالصلات المنعم بها على المجاهدين الطبجية بتاريخ 16 قعدة عام 1292 (14 دجنبر 1875) تشتمل على اسم أحمد بن الفقيه العوني، وفي القائمة 170 المتعلقة بالصلات المنعم بها على الطبجية الواقفين على باب الجهاد بمحروسة سلا بتاريخ 28 ذي الحجة عام 1311 (2 يوليوز 1894) نجد اسم عبد القادر العوني.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ط 3، الدا البيضاء، 2001، ج 6 : 134 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 1996، ص. 124 ؛ م. بوشعراء، *التعريف بني سعيد السلاويين*، ج 2، الرباط، 1991.

العوني، عبد الجبار بن **محمد**، ولد سنة 1930 بالعونات، إقليم الجديدة. انضم إلى صفوف المقاومة السرية المغربية، وعمل بها من سنة 1953 إلى تاريخ 13 نونبر 1955.

شارك مشاركة فعالة ضمن تشكيلة "جيش الأطلس" التي كانت تحت مسؤولية السيد سيف الحق محمد القادري. وكان نشاطه موزعا بين مدينة الجديدة والدار البيضاء - وكان يعمل بإيمان وإخلاص في سبيل تحرير البلاد - ومن أهم أعماله الفدائية : اغتيال أحد رجال البوليس ونزع سلاحه، اغتيال خائن بدرب عمار، وضع قنبلة بمنزل أحد الخونة، ثم رمي مفرقعتين على مقهى أفيفال بشارع لاجيراند. وأثناء قيامه بهذه العملية الأخيرة، سقط شهيدا على إثر إصابته برصاص العدو، كان ذلك بتاريخ 18 نونبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة رقم 518418.

العوني، عبد الله العلامة الولي الصالح، من أصحاب الشيخ سيدي مَحمد مفضل الشرقي (مولى الكمري) (ت. 1071 / 1661) وإذا كانت كتب التراجم لم تتحدث بتفصيل عن العلاقات بين الشيخ والتلميذ فالغالب الذي تعززه الروايات الشفوية أن أخذ المترجم عن شيخه الشرقي كان مزدوجاً : علوم القرآن والقراءات من جهة، وسلوك طريق القوم المتصلة بالشيخ سيدي بوعبيد الشرقي.

توفي عبد الله العوني بسلا عام 1095 / 1683 وقبره مزارة شهيرة خارج باب معلقة.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ط 3، الدا البيضاء، 2001، ج 6 : 134 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ط 2، الرباط، 1996، ص. 124.

العوني، محمد بن **محمد** بن **عبد الله** السلوي، جدي لأمي، حافظ كتاب الله المداوم على تلاوته حتى آخر عمره رجل طوال قوي البنية، آتاه الله بسطة في العزم والجسم ولد بمدينة سلا ليلة الجمعة 29 رمضان 1292 / 1875 وهو ما يعرف عند المغاربة بالعيد والعويّد. (*الاستقصا*، ج 8 : 165).

اشتغل في شبابه بتجارة البز في بادية الغرب، وبالفلاحة في كهولته وشيخوخته، وكان مولعاً - كخاله الشيخ العربي معنينو - بإنشاد الشعر الملحون ونظمه. ولما دنا أجله أعرض عن الدنيا وأقبل على ما ينفعه في آخرته منقطعاً للصلاة وتلاوة القرآن، يقرأ بالتوالي مائة سلكة فمائة، ويسجل تاريخ بداية السلكة ونهايتها في كناشته العلمية.

تتكون هذه الكناشة من 221 صفحة من القطع المستطيل - وهي مصورة بقسم الوثائق من الخزانة العامة، مشتملة على قسمين متميزين، الأول مختارات من قصص تاريخية وأدبية ودينية وأحاديث وأشعار حتى صفحة 59 بخط مغربي جميل ملون لا أدري إن كان لصاحب الكناشة في مقتبل عمره أم لغيره، والثاني بخط المترجم النسخي المدمج المليح، عبارة عن مقيدات فلكية وميقاتية متنوعة. وقصائد من الملحون لشيوخ سلا ومكناس وفاس ولصاحب الكناشة نفسه. وأطول قصيدة له فيها رحلة حجازية على طبع (الأگناوي) قام بها عام 1373 / 1954 واصفاً خروجه مع ركب الحجيج من باب فاس فالمراحل التالية إلى الوصول إلى الحرمين الشريفين، حربتها :

شفْ من حالي وْحالتي يالامت لانتاج
رغبُو مولانا خالقي يكمّل مرادي
انمتّعْ نظْري فامقام النُّبى الهادي لَبْشِير

وتشتمل الكناشة أيضاً على فوائد تاريخية واجتماعية منها وفيات بعض الشخصيات السلوية المرموقة في النصف الأول من القرن الرابع عشر (20 م).

توفي بمدينة مكناس سنة 1375 / 1956 ودفن بمقبرة الشيخ الكامل خارج ضريحه.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ط 3، الدا البيضاء، 2001، ج 8 : 165 ؛ م. العوني نفسه، *كناشته العلمية*، مخطوطة.

العوني، مَحمد بن **محمد** المترجم قبله. خالي وشيخي. ولد بمدينة سلا في فاتح رجب عام 1330 / 16 يونيه 1912، وبها نشأ وحفظ القرآن وجوّده على يد شيخ القراء الأستاذ مَحمد بوشعراء، ودرس على فقهاء المدينة أمثال شيخ الجماعة أحمد ابن بنعاشر ابن عيد النبي والميقاتي الباشا الحاج محمد الصبيحي، والنحوي الطيب ابن الشليح. وحضر مجالس حافظ العدوتين سيدي المدني ابن الحسني الرباطي في التفسير والحديث والأصول.

كان آية من آيات الله في الفهم والتفهيم والإيضاح والتشويق والمثابرة على التدريس قرأت عليه في المرحلة الأولى لطلبي للعلم مبادئ العربية والعقائد والتجويد والفقه وأصوله والمنطق والجدل، منفرداً أو مع جماعة من الطلبة بمنزله أو بضريح سيدي عبد الله ابن حسون ومسجد الصابونجي برأس الشجرة. وختمنا عليه أكثر من مرة *الأجرومية* ولامية *الأفعال* وجمل *المجراد* السلوي *وألفية ابن مالك* *والمرشد المعين* ورسالة *ابن أبي زيد* وسلّم *الأخضري*، فنقيم نزهة شيقة لبضعة أيام عند كل ختم حسب الفصول على الفلك بوادي أبي رقراق أو بضريح سيدي أبي موسى

الدكالي أو بأحد البساتين في ضاحية المدينة، وكان لجمالية طبعه يُعد لها أطايب الطعام والشراب ويحضر جماعة من المنشدين العارفين مثله بالطبوع الموسيقية.

درّس مدة بمؤسسة مَحمد جسوس الحرة بالرباط قبل أن يعينه محمد الخامس كاتباً بدار المخزن، وكان من المقربين إليه، ثم قاضياً بمجلس الاستيناف الشرعي، وبعد الاستقلال أصبح قاضياً مستشاراً أو نائب رئيس أو رئيساً لبعض المحاكم الإقليمية بالرباط ومكناس والجديدة. وحرر بخطه الجميل أحكاماً تحتوي على اجتهادات شخصية نالت استحسان عدد من القضاة والرؤساء. لم يؤلف كتاباً إلا تعليقات وطرراً كثيرة مفيدة بهوامش الكتب التي كان يدرسها للطلبة بخزانتي كثير منها.

نكب في آخر عمره جسمياً ومعنوياً عندما هاجمه بالسلاح الأبيض طالب عاق من قدماء طلبته، وتوفي بمدينة الجديدة، وهو قاض بها، يوم 27 جمادى الأولى 1392 / 9 يوليوز 1972.

معرفة شخصية ؛ وثائق عائلية ؛ مقيدات المترجم بخطه.

محمد حجي

عواً (ضاية –)، تحتل منخفضا كارستيا يقع على بعد خمسة عشر كلم شمال مدينة إفران وثمانية كلمترات جنوب المركز الحضري لإيموزار كندر بالأطلس المتوسط الهضبي وعلى الطريق الرئيسية رقم 24.

يطل عليها شمالا جبل ليما اوكوالي بارتفاع 1608 م وجنوبا جبل عوا بارتفاع 1730 م، ويرتفع سطح البحيرة بـ1462،7 م على مستوى سطح البحر وهي محاطة بسفوح غابوية تسود بها شجرة الفلين الأخضر.

وإذا كان تعريف البحيرة عبارة عن وسط مائي ممتد وذو عمق مختلف محاط بمرتفعات تحول دون تصريف مياهه في كل الاتجاهات فإن لكل بحيرة خصوصياتها التي تتعلق بعمقها، وطبيعة جوانبها، ومحيطها البنيوي وطبيعة صخارتها، مما يسمح بتفسير نشأتها وتطورها قديما وحديثا. وإذا كانت عموما تصنف تبعا لتلك الخصوصيات إلى بحيرات بنيوية، جليدية بركانية أو كارستية، فإن ضاية عوا تجمع في آن واحد صفات البحيرة الكارستية، والبحيرة المرتبطة إلى حد كبير بوقع ظروف البيئة والبنائية للوسط المحيط.

ويورد بحث الأستاذ *Martin* 1981 تفاصيل دقيقة عن ظروف المحيط المباشر للضاية مثل سيادة صخور كلسية دولومية تنتمي للحقبة الجيولوجية اللياسية ووجود شبكة انكسارات كثيرة توجه إلى حد كبير التصريف الجوفي للمياه ونشأة المنخفض الكارستي لضاية عواً. كما أن الثقوب المنجزة في المنطقة من طرف مديرية هندسة المياة 1991 تكشف بشكل دقيق التطابق والتراتب الصخاري للوسط المحتضن لضاية عواً. كما أن الفحص المرفلوجي لمؤشرات التشكيل المحلي يوحي بتأويلات متداخلة، منها ما هو بنيوي، مناخي، هدرلوجي، صخاري، وبنيومناخي. وقد تعرض المنسوب المائي للضاية لضغط الجفاف في السنوات الأخيرة فتواصل تراجع مستوى سطحها باستمرار رغم التصاعد الظرفي وقد سجلت الضاية فترات جفاف مطلق في السنوات الأخيرة، لا سيما خلال سنة 1994 / 95 وأيضا في سنة 2001 حيث جفت البحيرة كل مرة لأكثر من فصل كامل.

ولقد تتبعت مديرية هندسة المياه لحوض سبو متوسط المنسوب السنوي للضاية [بالسنتمتر] فاتضح تراجع عمقها بشكل متواصل من 644 سم سنة 1992 إلى 278 سم سنة 1995.

ورغم انتشار فلاحة الورديات في محيط الضاية، فإنه يستبعد أن يكون للعامل البشري وقع مباشر في جفاف الضاية المتواصل، لأن عدد الضيعات المسقية بناءا على ضخ المياه الجوفية ما يزال محدودا في الوقت الحاضر. كما أن العيون المتفجرة في محيط الضاية بعين سيدي ميمون تلبي حاجيات الساكنة من الماء في كثير من الحالات إذا أضفنا لذلك الطبيعة السياحية للضاية، وضآلة تأثير سقي الماشية يمكن القول أن تراجع المنسوب المائي للضاية يبقى طبيعيا بالأساس، مرده نفادية الصخورة، البنائية وقوة التبخر.

أمام إشكالية جفاف البحيرة وتكراره المتزايد، ظهرت منذ الثمانينات ضرورة التفكير في حلول وقائية. كان أولها إنجاز ثقب بطلب من سلطات إفران، تفجرت مياهه يوم 21 يناير 1986 بصبيب يصل 100 لتر / ث، لكنه لم يدم سيله أكثر من ثلاثة أشهر.

كما تم التفكير في تخصيص جزء من صبيب عين سيدي ميمون [المطل شرقا على الضاية] من أجل تعويض البحيرة من فاقدها المائي، لكن هذا الحل فجر صراعا بين السلطات المحلية والمستعملين للماء من قبيلة آيت إدير.

عموما فإن موقعا ترفيهيا ذو قيمة طبيعية عالية مثل ضاية عواً يطرح إشكالا كبيرا يستوجب تعميق الرؤى في معالجته من أجل اتخاذ الحماية ودعم المؤهلات البيئية والسياحية للضاية، أو بالنقيض دعم التنمية الفلاحية المتعصرنة باستمرار لضخ واستهلاك الموارد المائية المحدودة لسقي الورديات المتكاثرة مع الزمن في محيط البحيرة.

إبراهيم أقديم

عوّاد، أحمد السلوي، من أوائل رياس مطلع عهد سيدي محمد بن عبد الله، حيث تمت الإشارة إلى حضوره بهذه الصفة منذ سنة 1175، واعتبر كأحد الرياس الفاعلين إلى جانب الرايس قنديل السلاوي. وقد ظل معتمدا ضمن الرياس في سنة 1182 / 1768 دون أن تشير الوثائق إلى قيادته للسفن آنذاك، ودون أن يتجدد حضوره في لوائح الرياس للسنوات اللاحقة.

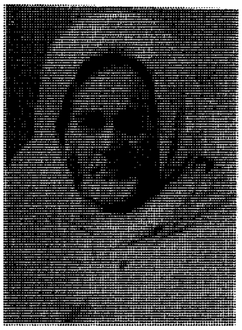

الضعيف، ص. 70 ـ 169.
Chenier, *Journal*, p. 96 - 97.

عوّاد، بنحسون (الحاج -) السلوي، من كبار رياس عهد سيدي محمد بن عبد الله. كان في سنة 1760 إلى 1766 م من بين الرياس الأساسيين المعتمدين، قبطانا لموكب جهادي مجهز بأربعة وعشرين مدفعا، ومائة وخمسين من رجال البحرية.

وقد واصل مهمته في سنة 1182 / 1768 مشرفا على سفينة دعومة مجهزة بأربعة عشر مدفعا، ورفع كفاءته الهجومية في السنة التالية إلى ستة عشر مدفعا، قبل أن يستبدلها في سنة 1770 بفرقاطة أكثر قوة مجهزة بثمانية وعشرين مدفعا وبطاقم مؤلف من مائتي رجلا. ويبدو أن الرايس المذكور قد أسندت إليه مهمة خفر السواحل قبالة ثغر الصويرة رفقة الرايس أحد الكوار، كما يتضح في الظهير السلطاني الموجه إلى الرايس يوسف الطرابلسي. وقد استمر نشاطه الملاحي حتى ما بعد سنة 1784، حيث كان من الرياس السلاويين المنعم عليهم بإنعام السلطان.

العسري، ص. 34 ؛ ابن زيدان، 3، ص. 260، 262 ـ 263 ؛ *الرئاسة*، ص. 1 ـ 2.
Chenier, *Journal*, pp. 97, 103-104 et 111.

عوّاد، الطاهر بن الهاشمي السلوي، من رياس الأسطول المغربي العاملي انطلاقا من مصب أبي رقراق خلال عهدي سيدي محمد بن عبد الله وابنه مولاي سليمان. وقد حصل في سنة 1799 على أمر السلطان مولاي سليمان بإنشاء سفينة جديدة تحت إشراف أبي القاسم الزياني، وهي السفينة التي حضر المؤرخ الضعيف وعدد من الأشراف والطلبة لحظة تعويمها في ذي الحجة 1216 / 1801، وتعرضت لمصاعب في ذلك نتيجة انزلاقها عن دعائمها، بشكل اضطر معه أهل سلا العمل طوال الليل رفقة الطلبة والأشراف لإعادة تثبيتها فوق الدعائم تمهيداً لتعويمها في اليوم الموالي.

وكان نشاطه البحري خلال الفترة التي بدأ فيه تأزم العلاقات المغربية ـ الأمريكية، حيث كان القناصل يترصدون حركته وحركة باقي الرياس المغاربة، ورغم ذلك تمكن من الإبقاء على نشاطه، حيث كان في سنة 1219 / 1803 يتنقل بين العرائش والرباط، قبل أن يصدر أمر السلطان إليه بالسفر إلى لشبونة، لولا أن الرياح المعاكسة منعته هو وغيره من الرياس من مغادرة مرسى الرباط.

الضعيف، ص. 318، و324، و327، و334 ؛ العسري، ص. 3 و47.

عوّاد، علي بن محمد من رجال البحرية المرموقين في سلا خلال منتصف القرن 12 (18 م)؛ كان في مطلع حياته المهنية من الرياس العاملين انطلاقا من مرسى العرائش وطنجة لحساب القائد الريفي أثناء معارضته للسلطان مولاي عبد الله بن إسماعيل، وقد تميز في أواخر سنة 1155 / 1742 بإقدامه رفقة قريبه الرايس عواد قنديل باعتراض سفينة للحجاج من أهل مراكش وأهل سوس بأمر من القائد الريفي المذكور.

وبعد استتباب الأمر للسلطان سيدي محمد بن عبد الله، ونظرا لسمعته وشجاعته ولاه السلطان المذكور سنة 1180 / 1767 على عمالة سلا بعد مقتل عبد الحق فنيش. وقد ذكره القنصل الفرنسي شونييه ضمن الرياس العاملين في سنة 1183 / 1769، مشرفا على سفينة سنبك مجهزة بأربعة عشر مدفعا، واستمر في نشاطه المهني إلى ما بعد سنة 1198 / 1784، حيث ورد ضمن لائحة رياس سلا الذين حظوا بإنعام السلطان.

الضعيف، ص. 144 ؛ وعشاش، ص. 38 ؛ العسري، ص. 34.
Chenier, *Journal*, p. 103.

عوّاد قنديل، محمد السلوي، كان ضمن الرياس الفاعلين خلال فترة الأزمة المغربية في النصف الثاني للقرن 18، والتحق بدورة بمراسي الشمال للعمل تحت إمرة القائد الريفي الخارج عن سلطة مولاي عبد الله، مشاركا في سنة 1155 / 1742 في اعتراض سفينة الحجاج المراكشيين والسوسيين.

ومع بداية استقرار الأوضاع في الرباط وسلا، كان الرايس المذكور سنة 1756 يترأس سفينة جديدة أنشئت في أوراش الرباط، وقد شارك في سنة 1172 / 1759 في الاستيلاء على سفينة سويدية، دفعت السلطان سيدي محمد أثناء قدومه إلى الرباط في تلك الفترة إلى مجازاته هو والرياس الآخرين بسلاح من الذهب (الياتاغان) "مثل السيف والخنجر، ومكحلة، وكسوة، وأعطى للبحرية أيضا". وقد داوم الرايس عواد قنديل في مهنته، ضمن كبار رياس بداية عهد السلطان المذكور إلى ما بعد سنة 1174 / 1761.

الضعيف، ص. 144، و157، و166، و170 ؛ التازي، التاريخ الدبلوماسي، ج. 9، ص. 256.

عوّاد مانيطة، محمد السلوي، رايس بحري. كان في مطلع حياته الملاحية قبل استتباب الأمر للسلطان سيدي محمد بن عبد الله يباشر مهنته الجهادية لفائدة أعيان سلا،

ولذلك بادر سيدي محمد لحظة وروده على سلا في سنة 1756، إلى مصادرة سفينته الجديدة واستصفائها لسلطته.

وقد واصل الرايس المذكور حياته البحرية تحت إشراف السلطان، حيث نجح في سنة 1172 / 1759 بمشاركة جماعة من الرياس منهم عواد قنديل والعربي المستيري الرباطي في الاستيلاء على مركب سويدي، مما جعل السلطان سيدي محمد بن عبد الله يجازيه بسلاح من الذهب (الياتاغان). وظل عواد مانطة ضمن كبار الرياس إلى ما بعد سنة 1174 / 1761.

الضعيف، ص. 157، و166، و170 ؛ ابن زيدان، *الإتحاف*، ج. 3، ص. 159 ؛ ج. 4، ص. 461 ؛ التازي، *التاريخ الدبلوماسي*، ج. 9، ص. 256.

عوّاد، الهاشمي بن إحمد، قبطان ورايس بحري من أهل القرن 12 (18 م) ابن الرايس أحمد عواد، ومن أبرز رجالات الجهاد خلال عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، الشيء الذي جعل هذا الأخير يبادر في سنة 1179 / 1765 إلى تعيينه على رأس بحرية العدوتين وسفنهما، وفق ما جاء في ظهير السلطان :

"...يعلم منه أن حامله المجاهد الأرضى القبطان النبيه المرتضى، الحاج الهاشمي بن المنعم الرايس أحمد عواد، لما كان ممن مارس أمور البحر وراضها، واقتحم لججها وخاضها، وظهرت في الرياسة نجدته، وحمدت فيه بدؤه وعودته، وزادت على الغير نجابته ومعرفته، رأينا أن نعمر به منصبا يبقى مرتبطا بولايته، مقصورا على مكانته ومنزلته، فجعلناه قبطانا على جميع البحرية أهل العدوتين سلا والرباط وعلى سفنهما القرصانية الجهادية، ظفرها الله بالعدو الكافر، وقضى لها من الغنائم بالحظ الوافر، وأيد سلامته في الموارد والمصادر، وعلى سائر القوارب وجميع أمور البحر كيف ما كانت، وعلى أي حال ظهرت وبانت. فقد أسندنا جميع ذلك كله إليه، وجعلناه إلى نظره وقدمناه عليه، وقصرنا عليه الكلام وحده، وأنفذنا في كل ما يرجع إلى البحر أقواله، وأمضينا في سائر أمورها أفعاله من غير تعقب ولا انتقاص، فنأمر جميع البحرية أن يقدروا قدره، ويمتثلوا أمره... ومن خالفه منهم في شطر كلمة فقد أذنا له أن يؤديه بما ظهر له من العقوبة والحد، وليكن من عقوبتنا على وعد ؛ ونعهد إلى القبطان المذكور أن يكون حازما ضابطا، متعهدا أحوال البحريين، غير غافل عن شيء من الأمور، وأن يؤسس على الجد مسائله، ويشد في هذا الوظيف الجهادي عراه ووسائله.. صدر منا الأمر بكتابه بحاضرة فاس في 2 ربيع الثاني 1179.

ابن زيدان، *الإتحاف*، ج. 3، ص. 264 ـ 265 ؛ *الرئاسة*، ص. 30 ؛ *ملحق الإتحاف الوجيز*، ص. 179.

حسن أميلي

العَوّادة أو العوّاد، مزمار يستخدم في بعض أصناف الموسيقى الشعبية المغربية.

وتطلق على هذه الآلة ـ أيضا ـ أسماء أخرى تختلف بحسب المناطق، فهو في نواحي زمور بالأطلس المتوسط "تاعواديت"، وفي منطقة الريف بالشمال "ثامجا" بثاء مثلثة، وفي مرتفعات الأطلس الكبير "تلعوات" أو "تاعواديت" ويجمع على "لعواويد".

تصنع العوادة في الغالب من القصب، وعلى ندرة من نحاس، وينتشر استخدامها بين الرعاة في الحقول أو في مصاحبة رقصات أحواش في حاحا وماسا.

والآلة عبارة عن أنيوبة من قصب أو نحاس، طولها نحو 27 سم، تقسم إلى جزأين مستاويين، في الجزء الأسفل منهما تبثت ستة ثقوب تفصل بينها أبعاد متساوية، ويقابل أعلاها تقب واحد من الجانب الآخر للآلة.

تستخدم الآلة في وضع أفقي اعتراضي، وهي تحدث أصواتا حادة تشكل منها المقام الخماسي. وتشبه في حدة صوتها آلة البيكولو أو الناي الياباني المعروف باسم شاكوزاتشي.

أ. بوزيد الكنساني، أحواش الرقص والغناء الجماعي بسوس، ص. 70 و118 ؛ عبد الله زاران، مجلة التراث الشعبي، ع. 2، السنة 12، 1981.

Chotin Alexis, *Corpus de musique marocaine*. Fasc. II, *Musique et danses berbères du pays chleuh*, p. 51 ; *Tableau de la musique marocaine*, pp. 36 - 46 ; Rouanet Jules, *Encyclopédie de la musique arabe*, p. 2744.

عبد العزيز بن عبد الجليل

عوّام، اسم مدينة وجبل (والأصح تل مرتفع) ومعدن فضة شهير بالمغرب. ويعتبر الزهري (النصف الأول من القرن 12 م) أول من أورد عنه إشارة صريحة، وبعده تواترت المعلومات وخصوصا في المصادر الجغرافية. بيد أنها كثيرا ما يعتريها الغموض والتناقض والأخطاء، فيما يتعلق باسم المنجم وموقعه، وتلتزم الصمت المطبق عن تقنيات الاستغلال وأهمية الإنتاج. وجاءت الدراسات الميدانية ـ ولا سيما تلك التي قام بها بيرنارونبيرجي ـ لمحاولة ملء هذه الفجوات، والجواب على بعض الأسئلة التي يثيرها الرصيد البيبليوغرافي عن عوّام.

ويقع منجم عوّام شرق الهضبة الوسطى على أطراف الأطلس المتوسط على بعد 10 كلم غربي مريرت و25 كلم شمال خنيفرة. وموضع المنجم عبارة عن تلال مرتفعة بين هضيتي مريرت وتندرة. وكانت هذه المنطقة تعرف في العصر الوسيط باسم فازاز، وكان يسكنها برير زناتة الذين دأبوا على الانتجاع بهذه الجهات. ولازال نمط العيش هذا سائدا بين قبائل زيان في هذه المنطقة. وكان عوام بفضل موقعه نقطة عبور أساسية بين الشمال حيث مكناسة وفاس، وبين الجنوب حيث تادلة وتافيلالت، الشيء الذي أثر إيجابيا ـ بلا شك ـ على عمليات الاستغلال والتسويق.

وينفرد الوزان ومارمول بين مصادرنا بالحديث عن عوّام كمنجم للحديد، غير أن البحث الأثري أثبت أن هذا المعدن لا يوجد سوى في الطبقة السطحية، ولا يمثل - من حيث الكم - شيئا ذا قيمة مقارنة بالفضة. وبالفعل فإن منجم عوّام عبارة عن خمسة عروق من الفضة تمتد على مساحة عشرين كلم. وهي غنية جدا بهذا المعدن النفيس وخصوصا في جزئها العلوي، إذ يبلغ معدل الفضة حوالي 1500 غ في الطن الواحد. وعلى الرغم من شدة ميلان هذه العروق فإن العمل فيها سهل نسبيا. وهذا ما يفسر استغلالها على نطاق واسع في الماضي.

واللافت للانتباه اليوم ضخامة المخلفات التعدينية من ردم وخنادق ودهاليز وآبار. وقد تبين من خلال التنقيب في هذه المخلفات أن المنجميين كانوا يستخدمون الفؤوس والمطارق، وربما استعانوا بالنار لتكسير الصخور الصلبة. ولا نعرف وسائل الرفع إلى خارج المنجم، وربما كان من بينها القفاف التي وجدت بقاياها بعين المكان. وخلافا لباقي مناجم الشمال الإفريقي، استعملت في عوّام الدعائم الخشبية لتفادي الانهيارات الترابية، الشيء الذي كان يسمح بالعمل المنهجي وبالابتعاد عن العروق المعدنية.

والملاحظ أن منطقة عوّام غنية بالعيون، الأمر الذي كان يؤدي إلى تسرب الماء بكثرة إلى الدهاليز والأنفاق، ويصبح العمل بالتالي محفوفا بالصعوبات والمخاطر. ولمواجهة هذه المشكلة تمت الاستعانة بالسواقي والنواعير التي كانت تتولى إفراغ المنجم من المياه. وقد كشفت أعمال الحفر الحديثة عن قنوات طينية وقطع خشبية، قد تكون من بقايا هذه الآلات التي جمعت بين البساطة والفاعلية. ولكن الأكيد أن مشكل الماء كان من العراقيل الكبرى التي واجهت العمل بمنجم عوام. ولا أدل على ذلك من أن استعمال المضخات العصرية حاليا في هذا المنجم لم يؤد على حل جذري للوضع. ونظرا للظلام الدامس ببطن المنجم، عمل المنجميون على نور القناديل الزيتية التي وصلتنا نماذج كثيرة منها.

ورغم هذه الإجراءات والتقنيات فإن المنجميين كانوا يعملون بلا شك في ظروف مضنية وخطيرة، لقلة التهوية وشدة الحرارة وكثرة الغبار والدخان واحتمال الانهيارات. ومعلوم أن العمليات التعدينية - وخاصة الفرز والتصفية - كانت تستلزم كميات كبيرة من الفحم الخشبي. وهذا ما وفرته منطقة عوّام التي كانت عبارة عن غابة من أشجار الأرز. كما كانت مصدرا لأخشاب الدعم ولمتطلبات الحياة اليومية للمنجميين.

ولا ريب أن المنجم كان عاملا رئيسيا في اختفاء هذه الغابة وتحولها اليوم إلى منطقة جرداء. والراجح أن المعدن كان يحول - كلا أو جزءا - بعين المكان. وهذا ما يمكن أن يفهم من بقايا الأفرنة والمصافي الموجودة بجوار عوام، وخصوصا داخل قصبة تمتد على حوالي 26 هكتارا، وربما كانت تضم كذلك بيوت المنجميين. ولضمان الحماية لهذه الثروة المعدنية حصنت القصبة بسور يبلغ سمكه حوالي مترين وارتفاعه ثلاثة أمتار تقريبا، وتتخلل السور أبراج للحراسة والمراقبة. وتدل الخرائب الباقية من القصبة ووصف الوزان ومارمول أنها كانت مدينة منجمية بكل مرافقها ووظائفها. وقد تكون المصادر تعنيها حينما تشير إلى وركناس ومدينة معدن عوّام.

وتبرهن الفضلات المعدنية على دقة الفرز والتصفية. كما يجوز اعتبار غنى المنجم وضخامة مخلفاته وتقنيات استغلاله قرائن على أهمية الإنتاج. وهي أهمية يزكيها عمق الحفر الذي وصل أحيانا إلى مائتي متر، ولم يكن يتوقف إلا عندما تعجز التقنيات المتوفرة عن متابعة الاستغلال. ويعتبر هذا العمق حالة فريدة من نوعها في تاريخ التعدين بالشمال الإفريقي، حيث لم يتجاوز في الحالات العادية خمسين مترا. وتقدر الدراسات الحديثة من جهتها أن الإنتاج الكلي بعوّام كان كبيرا بالفعل، إذ وصل إلى 230.000 طن من الرصاص.

ومن المعروف أن سك العملة هو أهم مجالات استعمال الفضة. لكنها كانت تستخدم أيضا في صناعة الحلي والأواني وزخرفة الأسلحة وفي المبادلات التجارية مع الخارج. ومثل هذه الأنشطة الاقتصادية تدخل في صميم اهتمامات اليهود التقليدية، الأمر الذي يدفع إلى التساؤل عن علاقتهم بمنجم عوّام. وهو تساؤل يستمد وجاهته من إشارة وردت عند صاحب "الاستبصار" تفيد أن اليهود كانوا يمثلون معظم سكان قلعة المهدي بن توالي غير بعيد عن عوّام، وأنهم "سوقة فيلجؤون للحصن حيطة على سلعهم".

ونظرا لأهمية هذا المنجم من حيث نوع معدنه ووفرة إنتاجه، ووقوعه بممر استراتيجي، عملت الدول المغربية الوسيطية منذ نشأتها من أجل السيطرة على فازاز حيث يوجد عوّام. كما كانت المنطقة مجالا للتنافس الشديد بين مختلف القوى السياسية سواء تلك التي اقتصرت على حكم يهودي أو شملت مجموع المغرب الأقصى.

ولعل أصعب القضايا التي يطرحها منجم عوّام هي فترة استغلاله ومدتها. وهنا يتعين مرة أخرى استنطاق المصادر المكتوبة والأثرية التي تدفع إلى الاعتقاد بأن الأعمال التعدينية بعوام تعود إلى ما قبل القرن الثامن (14 م)، وأنها عرفت الأوج خلال القرنين السادس والسابع (12 و13م).

ولئن كان من شبه المؤكد أن منجم عوّام لم يستغل في العصر القديم، فإننا نجهل بداية العمل فيه، ويفترض B. Rosenberger أن يكون ذلك تم منذ القرن الثاني (8 م)، وبالضبط في عهد الأدارسة الذين قد يكونون ضربوا عملتهم بفضة عوام. ودليله على ذلك تعدد دور السكة في عصرهم بالمدن والبلدات المجاورة لعوّام.

ولاحظت بعض الدراسات التشابه القائم بين تقنيات استخراج وتصفية معدن عوّام، وبين مثيلاتها بأوربا في القرنين التاسع والعاشر (15 ـ 16 م)، لتستنتج بأن استغلال عوّام امتد إلى هذه الفترة. بل إنها نسبت مخلفاته المعدنية -

اعتمادا على الرواية الشفوية - إلى البرتغاليين. والواقع أنه لا ينبغي الركون إلى هذه الرواية لما يعتريها من تشويش، ويكفي الإشارة إلى أنها تزعم في مناسبة أخرى أن العمل بعوّام استمر إلى العصر الإسماعيلي.

وفي كل الأحوال تميل مختلف مصادرنا إلى نفي أي نشاط تعديني بعوّام بعد القرن العاشر (16 م)، وربما قبل ذلك. وفي هذا الإطار يخبرنا الوزان أن بني مرين هم الذين خربوا مدينة معدن عوّام إبان حروبهم مع الموحدين منتصف القرن السابع (13 م). وقد تكون التقنيات المتوفرة عجزت أيضا عن متابعة عمليات الاستغلال، مما أدى إلى التخلي النهائي عن عوّام.

وظل المنجم مهجورا منذ ذلك الحين. وخلال العقد السادس من القرن الماضي دلت التحريات على احتفاظ عوام باحتياطات كافية وقابلة للاستغلال، بفضل التطور الحاصل في التقنيات التعدينية الحديثة. فجهز المنجم واستؤنفت الأعمال فيه. وبلغ إنتاجه 12.600 طن سنة 1963، أي أنه كان رابع أهم منجم للرصاص بالمغرب. ولكن مع توالي السنوات تكاثرت أزمات معدن عوّام، الشيء الذي انعكس سلبا على العلاقات بين العمال والشركة المستغلة.

م. الزهري، كتابة الجغرافية، د. ت. ص. 115 ؛ مجهول، *الاستبصار في عجائب الأمصار*، 1985، ص. 187 ؛ ع. الواحد المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، 1963، ص. 448 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1983، ج. 1، ص. 203 - 240 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، 1984، ج. 2، ص. 132 - 133.

B. Rosenberger, *Une mine d'argent au Moyen Atlas marocain, Hespéris-Tamuda*, 1964, vol. 5, p. 15-77 ; *Les vieilles exploitations minières et les centres étallurgiques du Maroc. Essai de carte historique. Revue de géographie du Maroc*, n° 17, 1970, p. 97-98.

عبد العزيز العلوي

العوينة، محمد بن المحجوب، من رجال التعليم الذين خدموا هذا القطاع بكل تفاني، وعالم فقيه، من علماء الرباط البارزين. ولد بالرباط سنة 1903 وأقام بها طيلة حياته، لكنه احتفظ في شبابه بعلاقة وطيدة بالبادية، وذلك بقيامه برحلات عديدة على ظهر الدواب في مناطق زعير ووررديغة وبني خيران ودكالة. وهو ينتمي إلى قبيلة بوزرارة بدكالة وينتسب إلى أحفاد سيدي رحال.

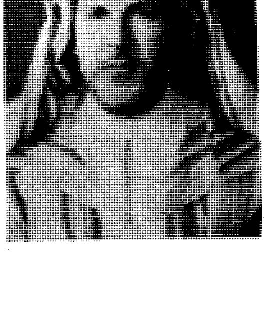

بدأ محمد العوينة تعليمه متأخرا إذ زاول، بعد تحصيله القرآن الكريم في سن مبكر، الكثير من الحرف، نذكر منها حرفة السراجة والتسوق في الأغنام، التي كان يسافر إلى الأسواق النائية من أجل جلبها إلى الرباط، على غرار ما كان يفعله والده. ثم ارتبط بطائفة من الطلبة الذين جمعته وإياهم حلقات دروس مساجد الحضرة الرباطية والسلاوية. وقد رافقه في هذه الطائفة أساتذة مثل مصطفى بن المبارك، إبراهيم الإلغي، إبراهيم الطاطي، عبد الكريم بن الحسني، عثمان جوريو وآخرون تتلمذوا على علماء مدينة الرباط. ومن بين أساتذته قاسم الحاجي، محمد الرغاي، الصديق الشدادي المدني بن الحسني، الشيخ أبو شعيب الدكالي، محمد بنعبود وعبد الله الجراري.

وقد كانت له مكانة عظيمة في نفوس أصدقائه لما آتاه الله من بسطة في العلم والجسم، فلقد كان سريع التحصيل مثابرا وملازما لشيوخه وأساتذته. كما كان يعتمد عليه في المهمات الصعبة لما كان يعرف فيه من أوصاف الرجولة الكاملة والشجاعة والسلامة الصحية.

وقد امتازت فترة التعلم هاته بتنوع أنشطتها، من دروس علمية في المساجد منذ صلاة الفجر، وحلقات علمية يومية في بيوت الطلبة، وندوات في بيوت الطلبة المتقدمين، تهم قضايا متنوعة من بينها قضايا تطور المجتمع الإسلامي. ونزهات للتسلية والمتعة، تجمع الأساتذة والطلبة، في ضيعات بجوار الرباط، يتم خلالها الالتفاف حول الشيوخ وحلقات مذاكرة وقراءة للشعر والطرب.

وقد خلد عميد علماء الرباط سيدي المدني بن الحسني اسم محمد العوينة وأسماء طلبة آخرين، كانوا يحضرون حلقات دروسه في قوله :

إن الكريم مدني الطبع   والعين تغزو بلطيف النبع

ولما قرر الأستاذ أحمد بلافريج إنشاء معهد جسوس، كان محمد العوينة من بين المتخرجين من الدروس العلمية الرباطية، الذين وقع الاختيار عليهم للتعليم في هذه المؤسسة. وهناك برزت مؤهلاته التربوية والعلمية، فكان مثال المعلم المخلص في أداء رسالته التربوية وتوجيه تلاميذه. فتخرج على يده العديد من شباب الرباط، احتل بعضهم مواقع عالية.

وخلال أحداث المطالبة بالاستقلال سنة 1944، أظهر وطنيته الصادقة، عندما أقدم أساتذة جسوس على تحرير عريضة تؤيد الوثيقة التاريخية المطالبة بالاستقلال. فكان أحد من طافوا بهذه العريضة على الأساتذة، ورجال العلم والآداب من أجل الحصول على توقيعاتهم، قبل تبليغها للسلطات العليا. كما كان من بين الأساتذة الذين أخرجوا بقوة البنادق من معهد جسوس يوم أقدمت سلطات الحماية على إغلاقه.

عندئذ أخذ يعمل في نشر العلم في المساجد، قبل أن يتفق مع بعض زملائه على فتح مدارس عصرية مغربية،

درس بها، خاصة منها المدرسة القاسمية، قبل فتح مدارس محمد الخامس.

ولما نادى المغفور له محمد الخامس بتعليم الفتاة، كان محمد العوينة من الذين انتدبوا للقيام بهذه المهمة، فعمل بتفاني وإخلاص في هذا المجال، قبل أن ينتقل إلى مدرسة أبناء الأعيان، ثم ثانوية مولاي يوسف. وخلال مدة تعليمه، كان يساهم في الإشراف التربوي على الأساتذة الجدد.

يذكر أهل الرباط فيه الرجل المتواضع والصدر المفتوح لبذل النصح والتوجيه والافتاء في القضايا الفقهية، والعلم الواسع والاطلاع على ميادين التفسير والحديث والفقه والنحو والبيان والعروض والتاريخ والحساب والجغرافيا والفلك، والحرص على التفوق في مهنة التعليم من أجل الحصول على إقرار الأساتذة والمديرين الأجانب بتميز رجال التعليم المغاربة. ومن غرائب مواقفه الوطنية رفضه التام لكل لباس أو ثوب مستورد إلى حين حصول المغرب على الاستقلال. كما كان معروفا بمهارته في رياضة السباحة والمشي وبعدم انقطاع شفتيه عن ذكر الله. كان يقضي جل وقته في البحث في خزانته الخاصة الغنية بأمهات الكتب ونفائس المخطوطات والمطبوعات. وقد استمر في التردد على كتبه وتحرير تعاليق علمية أصيلة على طرتها إلى آخر أسبوع من حياته. وتوجد هذه الخزانة الغنية الآن برمتها، وبما فيها من تقارير وتعاليق بخط يده بمركز جمعية الماجد بمدينة دبي بالإمارات العربية المتحدة. وقد وافته المنية رحمه الله يوم 14 يونيو سنة 1985 بمدينة الرباط ودفن بمقابر لعلو.

محمد البخاري وعبد الله النووي العوينة

العيدي، رضوان مقاوم من مواليد مدينة الدار البيضاء سنة 1930، من والده عبد الله بن بورحيم وأمه حليمة بنت محمد.

كان الفقيد من المقاومين الأوائل الذين انخرطوا في منظمة أسود التحرير، وقد قام بعدة عمليات فدائية رفقة أفراد خلية درب كلوطي بالبيضاء قبل أن يلتجئ إلى المنطقة الخليفية بتطوان أواخر سنة 1955 حيث التحق بصفوف جيش التحرير وبعد حصول المغرب على استقلاله انضم إلى صفوف الأمن الوطني إلى أن وافاه أجله المحتوم يوم 5 أكتوبر سنة 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة رقم 517409.

عيساوة، طريقة صوفية هم أتباع الشيخ مَحمد بن عيسى المدعو الشيخ الكامل دفين مكناس.

كانت هذه الطريقة في البدء تقتبس أصولها ـ كغيرها من الطرق الحادثة بالمغرب في القرن السادس عشر ـ من الطريقة الجزولية التي تستمد بدورها من تعاليم أبي الحسن الشاذلي (تـ. 658 / 1258) تلميذ القطب الصوفي المولى عبد السلام بن مشيش العلمي دفين جبل العلم بالقرب من مدينة تطوان، كما كانت تضطلع بدور التربية الروحية، فيجتمع مريدوها على العبادة وتلاوة القرآن الكريم وقراءة حزب "سبحان الدايم" الذي وضعه الشيخ الكامل وضمنه كثيرا من قواعد التوحيد.

ثم حدث أن اتسع نشاط أصحابها، فأصبحوا يمزجون بن قراءة الأوراد والأدعية والاشفارات والهيللة والتصلية على النبي (ص) وبين أنواع الشطح والجذب، إضافة إلى ممارسات أخرى ابتدعوها كالتعرض للسموم والنيران ورفع الأعلام والبيارق وضرب الطبول ونفخ المزامير.

وللطائفة العيساوية داخل المغرب أتباع كثيرون، ولها زوايا بمختلف المدن المغربية، وخاصة زاوية مكناس التي تستقطب الوافدين عليها من مدن المغرب وبعض مدن دول الشمال الإفريقي بمناسبة المولد النبوي. ويقام موسم الشيخ الكامل حول ضريح أسسه السلطان محمد بن عبد الله في ساحة تقع خارج باب السيبة، وكان ذلك عام 1190.

وقد أصبح للطائفة العيساوية شيوع واسع تجاوز حدود المغرب إلى دول الشمال الإفريقي، وامتد إلى بلاد مصر، فقامت لها بهذه الأقطار زوايا خاصة يلتقي فيها الأتباع والمريدون.

وعن انتشار هذه الطائفة في مصر يقول المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي في وصف احتفالهم : إنهم يجلسون قبالة بعضهم صفين، ويقولون كلاما بلغتهم بنغم وطريقة مشوا عليها وبين أيديهم طبول ودفوف يضربون عليها على قدر النغم ضربا شديدا مع ارتفاع أصواتهم، وتقف جماعة أخرى قبالة الذين يضربون بالدفوف فيضعون أكتافهم في أكتاف بعض لايخرج واحد عن الآخر ويلتوون ويتنصبون.

أما في تونس فماتزال الطائفة العيساوية حتى اليوم من أكثر الطوائف الدينية شيوعا وانتشارا، ولها أتباع يفوق عددهم الحصر، يحملون الأعلام، وتسمى جماعاتها بالفقرة. وهم يتغنون بالأمداح العيساوية التي يسمونها "براول"، كهذه التي جاء فيها :

سيدي امحمد بن عيسى	قالو حلف يمين
اللي خدمني بالنيه	مضمون في الدارين
الشيخ بن عيسى الغربي	علاه في الدرجه ربي
مغموس في بحر النبي	مضمون في الدارين

وعلى غرار أغلب الطوائف الصوفية القائمة بالمغرب ترتبط باحتفالات الطائفة العيساوية ظاهرة تقديس الولي الصالح الشيخ الكامل وتلتقي جملة من الطقوس التي تضرب في أعماق التقاليد الشعبية المتوارثة التي دخلتها صنوف من الممارسات هي حصيلة تعايش صعب وتناقض بين الدين وبين الخرافة.

وينطلق الممارسون من اعتبار التقديس للولي الصالح ذا وظائف سياسية وعلاجية ورمزية، تساعد على تخليصهم من همومهم اليومية، وما تراكم في نفوسهم من مكبوتات، كما

تُتيح لهم الانغمار في أجواء إيروتيكية يمتزج فيها الرقص والجذب بنشوة الاحتماء في أحضان الولي.

وقد تسربت عادة التغني إلى الطائفة العيساوية كما تسربت إلى غيرها من الطوائف نتيجة تأثرها بطرق المشارقة كالرفاعية المصرية، فأصبحت مراسيم أتباعها عبارة عن تظاهرات موسيقية تلتقي فيها فئات شعبية تتباين مستوياتها الثقافية والاقتصادية والاجتماعية.

وقد أفضت الممارسة والتداول إلى نشوء مجموعات ينحصر نشاطها في ترديد الأذكار والأدعية على الأنغام والإيقاعات بعيدا عن الممارسات الطقوسية الأخرى، وبذلك تحولت هذه المجموعات إلى فرق فنية موسيقية صرفة تمارس نوعا خاصا من أنواع الغناء الشعبي الصوفي له مقوماته التي تميزه عن الفنون الغنائية الأخرى.

يصطلح أصحاب الطريقة العيساوية على تسمية عرضهم الفني الكامل ب"العمارة". وتستوعب العمارة سائر العناصر الفنية التي تشاد عليها الأغنية الصوفية من إنشاد وترجيع، وعزف، ونقر، ورقص وجذب.

وتتكون العمارة العيساوية من ست حلقات متتالية تستقل كل حلقة منها بمستعملات خاصة تؤدى على نحو خاص. وهي على النحو التالي :

- قراءة حزب سبحان الدايم لشيخ الطريقة على نغمات رتيبة مع التركيز على مخارج الحروف. وتكون في البدء بطيئة، ثم تتحول بالتدريج نحو السرعة.

- الأذكار : كلام منثور يسرد على نغمات موسيقية متنوعة في تحاور بين الذكار والفقرا. وفي هذه المرحلة تتدخل آلات النقر بأنواعها التالية : الطبيلة، والطاسة، والتعارج، والطارة، والبندير.

- أمداح اشميسه (الدرقاوية : أزجال وبراول مختارة من نوبات الآلة الأندلسية، تتخللها دعوات تسمى "الفاتحة"). وفي هذه المرحلة يدخل عنصر الشطح وهز الأكتاف على إيقاع آلات النقر.

- حادون : عبارات مسجوعة من قبيل : باسم الله أبدينا يا أحد يالرحماني - على النبي صلينا يا أحد يا لرحماني.

ويكون إنشاد هذه العبارات من طرف الفقرا على طبوع متنوعة بمصاحبة النفخ على الغيطة والنقر على آلات الإيقاع. ويتوسط المجموعة فرد يقوم بالشطح.

- الحضرة : تعلن عن الدخول في المرحلة الحاسمة من العمارة. وخلالها يردد الفقرا أمداحا نبوية وأخرى في مدح بعض الأولياء، مع الشطح والجذب على إيقاع الطبول والبنادير ونفخ الغيطة والنفير.

- المجرد : ترديد بعض التصليات بمصاحبة الغيطة وسائر آلات النقر على إيقاع شبيه بالحضاري.

وتختتم العمارة العيساوية بقراءة الفاتحة.

عبد الرحمن الجبرتي، *عجائب الأمصار* ؛ محمد داود، *تاريخ تطوان*، ج. 1، ص. 308 ؛ الصادق الرزقي، *الأغاني التونسية*، ص. 117 و125 ؛ عبد الرحمن ابن زيدان، *الاتحاف*، ج. 1، ص. 194 ؛ حوار خاص مع مقدم الطائفة العيساوية للركب الفيلالي بمكناس السيد إدريس المرابط.

عبد العزيز بن عبد الجليل

العيساوي، أحمد مقاوم من مواليد سنة 1922 بتندرارة.

انخرط في صفوف جيش التحرير سنة 1955 تحت رئاسة بالحاج يوبو الفكيكي، شارك في عدة معارك من أهمها معركة بني ونيف، عين يعلو، الخوابي، تندرارة. وبعد أن أحرز المغرب على استقلاله عمل بصفوف القوات المسلحة الملكية.

انتقل إلى عفو الله يوم 13 / 01 / 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة رقم 520348.

العيسوك، علي مقاوم من مواليد سنة 1921 بدوار أكوورته بإقليم تزنيت.

كان المرحوم من الرعيل الأول الذي انخرط في صفوف جيش التحرير بمنطقة آيت باعمران وبصفوف المنطقة السرية تحت مسؤولية بن الطالب محمد حيث كافح وعمل بكل اخلاص وتفان في الهجومات التي خاضها جنود جيش التحرير ضد مراكز وقوات الاستعمار الإسباني بالمنطقة منذ سنة 1957 حتى سنة 1960 وبفضل ذلك تمكن الباعمرانيون من تحرير بعض المناطق حيث اضطر الإسبان إلى اللجوء إلى مدينة سيدي إفني إلى أن عادت إلى حظيرة الوطن الأم يوم 30 / 06 / 1969.

رحل إلى دار البقاء يوم 19 / 03 / 1995 بسيدي إفني.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة رقم 507996.

ابن **عيسى**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغمو على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Ayza - Eça.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 324 .

محمد ابن عزوز حكيم

عيسى (آيت -)، قبيلة حاحية تقع في الصف الشرقي الجبلي ضمن القبائل الأثنتي عشرة التي تكون إتحادية قبائل حاحة. وموطن آيت عيسى يحده من جهتي الشمال والشرق موطن قبيلة إيداوبوزيا، ومن الغرب قبيلة إيداوكازو. وتحده جبال قبيلة آيت واعزون التنانية من الجنوب، وبذلك تقع بلاد آيت عيسى في السفح الشمالي للأطلس الكبير، وتتميز

بتضاريسها المتنوعة من جبال مثل جبل (تاسكا أو كرض) البالغ علوه حوالي 1300 متر، وسهل آيت عيسى الذي يخترقه منحدر نهر (أسيف واعزيز) النابع من قبيلة امتوكة ليلتقي بوادي تامسولت ـ النابع بدوره من قبيلة إيداوبوزيا ـ عند نقطة (تاكاديرت ـ ن ـ آيت عيسى) حيث تنبع أربعة منابع غزيرة لا تجف أبدا لتكون مجرى نهر آيت عيسى المتدفق شتاء وصيفا، فتنشأ عنه واحات نخيل جميلة على طول خمسة عشر كيلومترا، كانت مصدر ثروة وغنى آيت عيسى، وتبلغ مساحة أراضي قبيلة آيت عيسى حوالي 260 كلم^2، وتعداد سكانها أقل من عشرة آلاف نسمة ـ حسب الإحصاء الأخير ـ وهي أصغر قبيلة حاحية بعد آيت واضيل، لذلك كان القائد امبارك أنفلوس (تـ. 1299 / 1881) ـ عند تعداده لقبائل حاحة ـ يضم قبيلة آيت واضيل إلى قبيلة آيت عيسى رغم تباعدهما. قبل أنه يتعمد ذلك نظرا لضيق رقعتيهما وقلة سكانهما، وقيل لأنه أدرك أن تينك القبيلتين ظلتا منعزلتين حتى ذهبت عصبيتهما ولم تنشأ فيهما رياسة خاصة ولم ينضما إلى جاراتهما كما انضمت إداوكرض إلى نكنافة، وكما انضمت إداوكازو إلى إداوتغما. ورغم خصوبة أراضي قبيلة آيت عيسى المكسوة بأشجار الأركان واللوز والزيتون والخروب والنخيل، مما شجع السكان على تربية المعز والأبقار وتربية النحل ـ إلا أنهم مع ذلك ظلوا دائما تابعين لغيرهم في الرئاسة.

وبعد عهد المولى إسماعيل (تـ. 1139 / 1727). كان القائد علي يعيش الزلطني يحكمهم وضمهم إلى قبيلته (آيت زلطن) رغم بعدهم عنها، وبني بجبل آيت عيسى قصبته المشهورة باسم (قصبة يعيش) كما بنى نظيرتها بآيت زلطن. وتعد قصبته من المآثر التاريخ التي لاتزال ماثلة للعيون بآيت عيسى، وهي عبارة عن سور من الحجر الجاف وأبراج دائرية وأخرى مربعة يتراوح سمك جدرانها ما بين مترين إلى ثلاثة أمتار، وتشكل مساحة أرض القصبة صورة مربعة واسعة من 250 م^2 وتضم أطلال مسجد عتيق وعدد من المنازل المخربة.

وفي عهد القائد الحاحي الكبير الحاج عبد الله أوبيهي (تـ. 1284 / 1867) ثارت قبيلة آيت عيسى ضد حكمه الجائر حينما أثقل كاهلها بالضرائب، فوجه إليهم جيشا مخزنيا لتأديبهم فهرب أمامه خصومه المناوئون لسياسته الضريبية ملتجئين إلى حرم مبنى مدرستهم العلمية العتيقة المشهورة بـ(إيكي مهند) وتحصنوا بجدرانها، فأمر القائد بإحراقها وتخريبها عليهم. وبعد زوال قيادة آيت بيهي أومولود أعلنت قبيلة آيت عيسى ولاءها لقيادة إينفلاس النكنافيين إلى حين زوالها بدخول الحماية سنة 1912.

وفي مطلع عهد الحماية كانوا تابعين للقائد المختار الزلطني الذي أرسل إليهم خليفته أحمد عام (1340 / 1921)، ولم تمض عليه سنة حتى ثاروا ضده ورموه بالبارود عازمين على قتله لكنه نجا منهم.

وعلى إثر هذه الحادثة قرر القائد المختار أن يفرض على أفراد القبيلة بناء حصنه المشهور بإيكي مهند وذلك بإلزام كل فرد بالخدمة الإجبارية ودفع قسط من المال، ولازال رياضه هناك محتفظا بجودة معماريته ومتانة بنيانه. وفي عام 1354 / 1935 تنازل القائد المختار لأسباب عائلية عن حكم قبيلة آيت عيسى لقائد قبيلة إيداكيلول الحاج سعيد أوتكزيرين (تـ. 1374 / 1954).

ومن المآثر التاريخية والثقافية المشهورة بقبيلة آيت عيسى زيادة على ما ذكر :

1 ـ حصن قديم فوق جبل آيت عيسى يدعى بالأمازيغية (تين سْگَموضْ) يقال أنها قلعة منسوبة إلى ملكة تسمى (سگّمُوض) في الزمن الأسطوري، ويروى أن جيشا غازيا كان قد حاصرها وقطع عنها الماء كي تستسلم، فحفرت خندقا داخل حصنها الواقع فوق قمة الجبل المذكور حتى بلغت به أسفل النهر عند سفح الجبل، وجعلت تستقي من النهر ما شاءت من الماء، والعدو لا يعرف من أين تحصل على الماء حتى يئس منها فرفع الحصار عنها وانجلى.

2 ـ مدرسة (إيكّي مهند) العتيقة : توحدت القبيلة واجتمعت على بنائها بإشارة من الولي الصالح السيد إبراهيم بن محند الألياضي السوسي عام 1151 / 1738 حينما مر بالقبيلة في إحدى سياحاته الصوفية إذ استشاره بعض أتباعه في أين يبنون مدرسة علمية تنسب إلى آيت عيسى، فعين لهم موضعين هما (إيكّي مهند) و(إيدْقي) وأخبرهم بأنه رأى النبي (صلعم) في كلى الموضعين المذكورين، ثم وضع الحجر الأساسي للمدرسة في إيكي مهند فاتخذتها القبيلة مدرستها العلمية الوحيدة إلى الآن ثم أنشئت بجوارها منشآت اقتصادية وإدارية كالسوق الأسبوعي يوم الخميس ورياض القائد المختار المذكور، ومقر الجماعة القروية، ومرافق أخرى. ومن مشاهير أساتذة هذه المدرسة :

1 ـ الفقيه الثائر المشهور بـ(بوحليس) قام بالتدريس فيها عام 1206 / 1791 كما ذكر صاحب كتاب لب الوقائع في أخبار حاحة في قصة طويلة.

2 ـ الفقيه محمد بن المؤذن العيسي من قرية إيكي مهند نفسها، بلغنا أنه كان نساخا ماهرا، انتسخ كل خزانته بخط يده، وهذا مما يدل على مكانته العلمية، وعلو همته.

3 ـ ومن أساتذتها المشهورين بالتدريس والعلم والأدب الفقيه الشاعر السيد محند بن عبد الله التناني التافكاختي (تـ. 1349 / 1930) قضى فيها زهاء 27 عاما من الجد في التعليم فتخرج عليه عشرات ممن يمثلون زينة العلم والأدب والتصوف في هذه الناحية إلى الآن.

4 ـ وآخر من تصدر للتدريس بها الفقيه الأديب أوالعسري محمد بن أحمد العيسي قضى بها فترة ما بعد الاستقلال إلى اليوم وتخرج عليه عشرات من طلبة القبيلة وغيرهم من القبائل المجاورة وقد تجاوز الثمانين من عمره وله تآليف مفيدة في الفقه نظما ونثرا تدل على المكانة العلمية لقبيلة آيت عيسى.

مجهول، *لب الوقائع على تولية حاحة والبدائع*، مخطوط بخزانة ورثة محمد المختار السوسي ؛ محمد بن الطيب الصويري، *الكتاب المتنقل*، مخطوط متداول ؛ آيت الحاج محند، *مظاهر الحياة الثقافية بحاحة وإيداوتنان*، أطروحة نوقشت سنة 1994 ؛ *تحريات ميدانية*.
محند آيت الحاج

العيسي، الحاج **عابد** السوسي، فمن باب التنويه : ذكر الباحث الأمريكي جان واتربوري John Waterbury في كتابه : "أن الحاج عابد أصبح شخصية شبه أسطورية في عالم التجارة والمال" ويسود الاعتقاد عند الجميع بأنه أغنى رجل في المغرب في عهد الحماية وبداية الاستقلال، وكان يصفه الفرنسيون يومئذ بـ"الملياردير". وقد عبر العلامة المختار السوسي - في شموخ العلم وتواضع العلماء - عن عرفانه بالجميل للحاج عابد حينما رعاه مادياً في جملة من الطلبة أثناء دراستهم في فاس قائلاً : "إنه هو الذي قام بي في فاس حتى تعلمت، ولولاه ما قدرت أن أبيت في فاس ولا في الرباط ليلة واحدة، وأمثالي في ذلك كثيرٌ، و"من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه" والمؤرخ - يضيف المختار السوسي - "ليس في يده من المكافأة إلا أن يخلد الشكر في طيات التاريخ الخالدة".

كانت ولادةُ الحاج عابد السوسي بقبيلة تافراوت سنة 1894 بالأطلس الصغير وكان والده الحاج الحسن بن محمد التِّملي، وهو الصوفي المشهور، كافح من أجل نشر الطريقة الصوفية في تافراوت. ثم في جهات درعة وتافيلالت وتوات لمدة طويلة استمرت ما بين 1304 / 1887 إلى 1317 / 1899 تعرض خلالها للسجن من قبل الفرنسيين وهو ينشر الطريقة الصوفية الدرقاوية في تلك الجهات، وقد انشأ زاويتين في تافراوت لنفس الغرض، وكان له ولدان : علي وعابد تشبعا من معين التصوف هذه، فكان أن لازم عليٌّ والده وخلّفه في تصرفه، بينما تميز الحاج عابد بميزتين : الأولى مهارته في التجارة والثانية الالتزام بالسنة النبوية في جميع أعماله وممارساته اليومية، وبالإضافة إلى أنه كان تَـلاَّءً لكتاب الله محافظاً على الصلاة وسريعاً إلى أعمال الخير فقد لازم أحد العلماء المشهورين العلامة المحدث عبد الرحمان النتيفي لمدة ثلاثين سنة فاستفاد من علمه وورعه.

كل هذا مضافاً إلى اقتحام الميدان التجاري، ففي معرض الظروف الصعبة التي واجهها في بداية مسيرته التجارية، وما كان يتحمله بصبر في سبيل مساعدة الآخرين ووفاء لعلمه، ذكر واتربوري أن أهل أمّلن الموجودين في طنجة يرسلون مع الحاج عابد أموالاً إلى دويهم في تافراوت لأنه كان يسافر راجلاً مسافة 800 كلم عبر طرق صعبة مليئة بالأخطار فهو بمثابة ساعي البريد، وقد انتقل يافعاً إلى الدار البيضاء وفتح دكانا بسيطاً طوّره في سنة 1910 وبسرعة أصبح يدير سلسلة من الدكاكين تبلغ المئتين واتخذ له شركاء عديدين، وكان يساعد القادمين إليه من التجار الجدد ويقَدّم لهم السلف أو يزودهم بدكاكين جاهزة، بما يطور المجال التجاري في هذه المدينة إذ تعامل في تجارته في التصدير والاستيراد مع العديد من المسلمين واليهود والنصارى داخل المغرب وخارجه.

وتوسع نشاطه سنة 1951 فأصبح رئيساً للغرفة التجارية والصناعية بالدار البيضاء، ثم اقتحم ميدان الصناعات الخفيفة، كما أنه اشترى الأراضي لمزاولة الفلاحة بسوس وضواحي الدار البيضاء ومن أعماله الخيرية أنه تولى رئاسة الجمعية الخيرية الإسلامية بالدار البيضاء منذ الأربعينيات والإشراف المادي على الميتم الإسلامي بعين الشق وطريق مديونة كعمل اجتماعي رائد أنقذ الكثير من الشباب والفتيات وأهّلهم أعضاء عاملين في المجتمع وقد زوج كثيراً من بنات الميتم وجهزهن وأعلن أنه "ولي أمرهن الشرعي".

ومن مواقفه الوطنية أن الفرنسيين كانوا يعلقون آمالهم على الحاج عابد ليحققوا استراتيجيتهم الاستعمارية بعد نجاحه في الغرفة التجارية بجدارة واستحقاق، لكنه خيب آمالهم عند ما جعلوه سنة 1954 على رأس بعثة وطنية إلى باريس وفي ندوة صحفية (انظر الوثيقة) : طالب برجوع السلطان محمد الخامس إلى المغرب من منفاه، فكان ذلك مؤلماً بالنسبة للمقيم العام وللفرنسيين، وفي فرنسا ساهم بمساعدة مالية لرجال المقاومة على يد الدكتور الخطيب ، وكانت مواقفه مع الحركة الوطنية على جانب كبير من السرية. وبعد الاستقلال وفي شهر غشت سنة 1956 عندما استقبل السلطان محمد الخامس جمعية علماء سوس، قصد تأسيس المعهد الإسلامي بتارودانت، عين الحاج عابد رئيساً للجنة المالية بحضور وزير الأوقاف محمد المختار السوسي، ووزير التعليم محمد الفاسي، ووَفد الجمعية وقد بذل الحاج عابد من ماله وتفانى بنفسه في تأسيس وتحقيق مشروع المعهد الإسلامي (معهد محمد الخامس الآن) إذ كثيراً ما يترك تجارته ليقيم بين الطلبة في تارودانت ليشرف بنفسه على سير الأعمال ضارباً في ذلك المثل الأعلى في خدمة العلم والدين.

وكانت مساهمة الحاج عابد رائدة في بناء الاقتصاد المغربي على المستوى التجاري وفي مجال بعض الصناعات، كما أنه سعى وراء فكرة التنقيب على البترول وسعى

للحصول على رخصة بذلك، وقام بحفر العديد من الآبار استغلت كمصدر للمياه، وتوقف عن الفكرة.

ولكن مساهمته الكبرى كانت في المجال الاجتماعي والثقافي نتيجة ميله إلى الأعمال الإحسانية والإسهام في المؤسسات الاجتماعية في المياتم ودور العجزة وبناء المعاهد والمدارس وبناء المساجد وحفر الآبار والبحث عن المياه في المناطق البدوية ومساعدة الطلبة على متابعة دراستهم في القرويين وجامع ابن يوسف وفي المدارس العتيقة والعصرية وفي بعض الجامعات بالخارج. وإعانة ذوي الخصاصة من الفقراء، وكان يحرص أن تتم هذه الأعمال في سرية تامة ودأب على ذلك حتى وافاه أجله عصر يوم الخميس 28 مارس 1996 بالدار البيضاء بعد مائة واثنين من السنين.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 17، ص. 42، الدار البيضاء ؛ من *أفواه الرجال*، ج 3، ص. 13 - 16، تطوان : جمعية علماء سوس، *منجزات جمعية علماء سوس في عهد محمد الخامس*، ج. 1، ص. 19 - 45، 1980، ج. 4، ص. 304 - 363، 1994 ؛ ع. الساحلي، *المعهد الإسلامي والمدارس العتيقة بسوس*، ج 1، ص. 76، الدار البيضاء، 1985 ؛ أرشيف الجمعية الخيرية الإسلامية، الدار البيضاء ؛ أرشيف الغرفة التجارية والصناعية بالدار البيضاء.

John Waterbury, *North For the Trade Life and Times of Berber Merchant*, 1972.

عمر أفا

عيشة قنديشة، شخصية أسطورية أو واقعية ترمز إلى المقاومة المغربية للاحتلال الأجنبي. يروي التاريخ أخباراً تردُّ أصل هذه الشخصية إلى الواقع التاريخي المغربي. فخلال استعمار البرتغال للمغرب ظهرت هذه المرأة في صورة مناضلة محاربة اقتحمت جيوش العدو قريتها فدمرتها عن آخرها ولم تغادرها إلا بعد أن قتلت سائر الأهالي ما عادا تلك المرأة التي لم تكن حاضرة وقت حدوث المجزرة الوحشية، بل كانت بعيدة عن القرية تنظر لوقائع الجريمة البشعة (القتل الجماعي (Génocide) وقلبها يعتصره الأسى. وبعد ذهاب العدو رجعت المرأة إلى ديار أهلها تبكي وتولول وتتمرغ في الدماء. وأقسمت بأغلظ الأيْمان أن تنتقم لأهلها المقتولين ظلماً وعُدواناً. فدبرت لهذه الغاية تدبيراً قدّرت أنه قمين بأن يحقق ما تصبو إليه من انتقام مبيّت، فكانت كلما جَنّ الليل وضعت عليها أحسن لباس وأبهى حلية وازّيّنت أتم ما يكون التزيّن، فخرجت لإغراء ضباط الأعداء. فكانت إذا مُثلتْ أمام أحدهم، لم تَدخر جهداً في إبداء محاسنها وجمالها الأخاذ لإغوائه ولفت اهتمامه. وإذا تحقق لها ذلك، عزلته عن الجماعة وانفردت به لترديه قتيلاً إذ لا تتركه إلا وهو مجَدَّل مضرّج بدمائه.

إن هذا الاعتبار التاريخي لا يحصرُ دلالات هذه الشخصية الأسطورية داخل نفق الحيثيات الاقتصادية والاجتماعية التاريخية الضيق، وإنما يمنحُها صفة الشخصية الأسطورية التي تعدّت حدود التاريخ وحفرت في اللاشعور الجمعي للمجتمع المغربي لا سيما الفئات الشعبية مجرى عميقاً رفع عائشة قنديشة من مستوى الواقع التاريخي لمناضلة ممتازة إلى رمز كبير تحيطه بهالة عجائبيّة (Fantastique) وخرافيّة من الصور البطولية التي تحولت بعد انتهاء محاربة العدُو إلى أفعال عدوانية خارقة لا تأويل لها إلا حضور هذا الشبح المهدِّد للرجال في كل لحظة وآونة بالشر والدّمار.

وإذا كانت رمزية النضال ومثالية الفعل البطولي هي التي رسخت عائشة قنديشة كشخصية أسطورية في المتخيل الشعبي المغربي، فإن وصفها بالخيرية أو الشريّة في الحكايات التي تُرْوى عنها يظل أمراً ثانوياً تطغى عليه الصفة البطولية الأولى وهي التي ترفع هذه الشخصية إلى مستوى الرمز الخالد الذي لا يموت ويمنحها صفة الحضور الدائم في المتخيل الشعبي في سائر العصور.

ولعل خارقية (L'extra-ordinarité) الفعل البطولي الذي قامت به هذه الشخصية الرمز، هي التي جعلتها تتبوأ مكانة القوة الفاعلة في المتخيل الشعبي والتي أدت إلى إنتاج عدد هائل من الحكايات والروايات الشعبية التي تدور حولها من جهة وحول خصوصياتها الخارقة من جهة أخرى.

فمن خلال مجموعة من الحكايات التي رويت لنا عن عائشة قنديشة، فإننا نكاد نجزم بأن هذا الرمز يشكل مجالا خصبا لتأويلات مجالية ذات بعد انتربولوجي وتأويلات نفسية ذات أبعاد باتولوجية (مرضية) وذات انعكاسات اجتماعية واقتصادية على أوضاع المرضى العقليين الذين تسكنهم هواجس هذه الشخصية العفريتية أو لدى الفئات الشعبية التي تظن فعلاً أنها مسكونة بهذه الجنية، بعد أن أصابهم مس أو حدثت لهم نوبات صرع.

إن تنوّع ضحايا هذا المخلوق الأسطوري في البيئة المغربية منذ القديم يحوجِنا إلى مقاربة هذه المشكلة في السرد الشعبي المغربي من زوايا نظر مختلفة نكتفي منها بالزاوية الانتربولوجية المجالية.

إن شخصية عائشة قنديشة ترتبط في الحكي الشعبي بمجال الغرب، أي السهل، وما يشمله من مجالات مائية وساحل وغابات تتخللها مواقع الماء. فمن خلال المتن السردي الذي جمعناه من خلال شهادات حيّة لدى أصحاب المنطقة ممن لهم سابق علاقة مع هذا المخلوق سواء في الواقع والخيال أو في الحلم، فإننا نلاحظ ارتباط هذا السرد بمكونين لازمين لجُلّه وهما :

أ - المكوّن المائي أو المجال الذي يتحرك فيه الماء كضفاف نهر سَبُو أو غيره من الأنهار وساحل البحر وبالقرب من الآبار أو الضايات وفي مجال ملتف الأشجار أو كثير الخضرة والنبات كالمروج والسهول والمراعي والغابات الصغيرة والكبيرة والتلال المخضرّة.

ب - المكوّن الزماني : وهو الليل إذ أغلب الشهادات إن لم نقل كلها على اعتبار ما قد يتخلّلُهَا من تحريف، تؤطّرُ فعل ظهور عائشة قنديشة في زمن الليل الحالك والظلام

الدامس، الذي تظهر فيه هذه الأخيرة كمصدر للنور المادي نظراً لجمالها الباهر، والنور المعنوي لإنزالها العقاب بمن يستحقه ممَّن يتخذون الليل قناعاً يخفُون به تحركاتهم المشبوهة دينياً وأخلاقياً.

إن تعقبنا للظهورات المختلفة لهذه الشخصية الأسطورية جلعنا ننتهي إلى نتائج أهمها ما يأتي :

أ ـ إن عائشة قنديشة شخصية تاريخية ارتبطت بالمجال المائي للمغرب، وفي زمن الاستعمار كانت واقعاً ملموساً في صورة عائشة المناضلة التي أودت بالحيلة الذكية والمكر الخفي بعدد كبير من جنود الاحتلال وضباطه صرعى مجدلين في دمائهم بعد أن أغوتهم وانتقمت منهم أشد الانتقام.

وتطور هذا الزمن البطولي واتسعت دلالاته في أذهان الطوائف الشعبية، فصار ملازما للخيال الشعبي، باعتباره رمزاً لكل خلاص، وكل هداية في كل حال من الأحوال في تاريخ هذه الفئات الشعبية الساذجة.

ب ـ إن هناك خلطا واضحا بين شخصيتين جنيتين في السرد الشعبي في المتخيل المغربي، وهما شخصية عائشة قنديشة وشخصية عائشة البحرية، والتي تخصَّصُ لها نوبات موسيقية وإيقاعية في الطقس الگناوي، فعندما تتغير الخرق التي تختلف ألوانها، يأتي دور لْبس الخرقة الزرقاء وهي بلون الماء الذي تنعكس عليه فضاءات السحاب والسماء الزرقاء، وهذه الخرقة مرتبطة بحضور عائشة البحرية، وتدعى أيضاً بـ (مولات الماء) أي صاحبة الماء.

ولقد سألنا لأجل التثبت من هذه المسألة ممارسي الطقس الگناوي فتبيّن أن الشخصيتين عائشة قنديشة وعائشة مولات الماء قد تعنيان الشيء ذاته لدى غير المميّزين وعديمي الخبرة بمجالات الجن وتنوعات أفعاله وحضوره في الخيال الشعبي.

أسطورة عائشة قنديشة والأبعاد الاجتماعية :

إن هذه الأسطورة المبنعثة من رماد واقع تاريخي مطبوع بنضال ضد المستعمر البرتغالي، استطاعت أن تعبر عن وحدة المجتمع المغربي على مستوى الشرائح الشعبية التي صنعت الانتصارات بمساهمتها في الحروب وعملها الدّؤوب من أجل الحفاظ على مقومات اللغة والدين والمجال. وقد طور الخيال الشعبي في السرد الحكائي عدداً كبيراً من الرموز التي خلّدت فعله في المجال وإسهامه في الحضارة. ورمز عائشة قنديشة، استطاع أن يوحد الرؤى حول تجربة الحرب والمواجهة التي أعلنتها فئات الشعب في هذه المناطق المغربية في وجه الاستعمار. كما سمحت هذه الأسطورة باتفاق هذه القبائل على طول المجال البحري والنهري في منطقة الغرب، وتشكيلها حلفاً متماسكا على المستوى الواقعي أيام الحرب الاستعمارية، وعلى المستوى اللاشعوري فيما بعد من خلال توحيد المخيل الشعبي حول زمز من رموز النضال وهو عيشة قنديشة.

ع. الملك ابن عبيد، كتاب جوانب من *تاريخ المجال والسكان بالمغرب*، الدار البيضاء، 1998، ص. 28.

Rovertson Smith, *Religion of the Semits*, Edinbourg (2ème édition), 1894 ; J.P. Vermant, *"Religion grecque"*, *Religions antiques* in *Religions. Histoire, raison*, Paris, 1979, p. 5-53

محمد أديوان

ابن **عيشون**، أسرة من فاس لا يعرف أصلها ولا متى استقرت بهذه المدينة. لكن من خلال تتبع آثارها في كتب التراجم والمناقب تبين أن إسم عيشون قد ارتبط بالأندلس حيث تردد هذا الاسم كثيرا في المؤلفات التي اهتم أصحابها بتراجم الأندلسيين، وكان فيهم علماء ومدرسون وفقهاء وأدباء وصلحاء عاش معظمهم بين القرن الرابع والسابع (10 و13 م) وفيهم من حمل لقب الأنصاري، ولعل لأسرة ابن عيشون صلة بالأنصار، وربما يكون أحد أفرادها قد انتقل فيما بعد مع المهاجرين الأندلسيين إلى المغرب واستقر في مدينة فاس.

ابن **عيشون، محمد** بن **محمد** بن **طاهر**، ينتمي إلى أسرة ابن عيشون التي عاشت في فاس، ولم يعرف قبله من أفراد هذه الأسرة غيره، وقد ترجم له ابنه محمد بن عيشون في كتابه حول صلحاء فاس ووصفه بالصالح المجاهد، وذكر أن شيخه في الطريق مسعود بن محمد الشراط (ت. 1031) دفين خارج باب الجيسة وهو ممن انتسب في الطريق لأبي الحسن الشاذلي عن طريق شيخه محمد بن موسى المعروف بأبي شتاء دفين أمركو بمنطقة فشتالة (ت. 997). توفي صاحب الترجمة سنة 1040 / 1631 بحلق سبو، في غزوة قام بها مجاهدو فاس بتحريض من المجاهد العياشي ضد الإسبان أثناء احتلالهم للمهدية، ودفن خارج باب الجيسة بروضة شيخه مسعود الشراط.

ابن **عيشون، محمد** بن **محمد** بن **محمد** (ثلاثة) بن طاهر، أبي عبد الله الملقب بالشراط، وصفه محمد ابن الطيب القادري بالمرابط والمجذوب، ووصفه بعضهم بالفقير، ولد سنة 1035 / 1625 ـ 1626، كان محبا للعلماء ولأولياء الله، كثير التردد عليهم، وكانت حرفته حرارا، ولعل للقبه (الشراط) صلة بحرفة الشراطين التي هي من الحرف التقليدية المعروفة بمدينة فاس، وربما يكون والد المؤلف قد احترفها أو تلقب بها اعتبارا لشيخه في الطريق مسعود الشراط. وينتسب ابن عيشون في الطريق إلى مسعود الشراط عن طريق والده وشيخه أحمد المدعو حمدون بن عبد الرحمان الملاحفي (ت. 1072) دفين زاويته بدرب الحرة بفاس.

ولابن عيشون مؤلفات في مواضيع مختلفة من أشهرها كتاب *الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس* الذي اهتم فيه بتراجم ومناقب مجموعة من الصلحاء والعلماء ممن عاشوا ودفنوا بمدينة فاس فيما بين القرنين الثاني (8 م) والحادي عشر (17 م)، وهو الكتاب الذي

اتهمه كثير من المؤلفين بأنه نسبه إلى نفسه بناءا على ما ذكره محمد العربي بن الطيب القادري في كناشته من أنه هو الذي ألف الكتاب بطلب من صاحبه محمد ابن عيشون وجمع فيه تراجم ثمانين إلا واحدا من صالحي فاس ثم قام بنسخه لابن عيشون، مقابل أجر معين، في بضع وثلاثين كراسة، وأن ابن عيشون قد تصرف في الكتاب بالزيادة والحذف وأضاف له بضع تراجم بلغ عددها في القسم الأول خمسة، كما أضاف إليها، باتفاق، قسما ثانيا وهو المعنون بالتنبيه على من لم يقع به من فضلاء فاس تنويه ونسبه إلى نفسه، وعن القادري تناقل هذا الاعتراض عدد من المؤلفين.

ولابن عيشون مؤلفات أخرى نسبها له عدد ممن ترجموا له وهي تأليف في الأذكار نسبه له محمد العربي القادري في كناشته ؛ وتأليفان أحدهما في أشياخه ويسمى سلسلة الأنوار (أو *حديقة الأنوار في سلسلة السادات الأخيار* كما جاء في هامش إحدى نسخ الروض) ونسبه له محمد بن الطيب القادري في كتابيه *نشر المثاني والتقاط الدرر*. والآخر في الأذان نسبه له القادري أيضا في كتابه التقاط الدرر ؛ ثم له أيضا تأليفا في الأدب نسبة له إسماعيل باشا البغدادي في كتابه هدية العارفين. لكن هذه المؤلفات تبقى غير معروفة ولا تعرف خزائنها وبذلك ظل كتاب الروض بالرغم من الشكوك التي أحيطت بنسبته كتابه المعروف.

توفي ابن عيشون بفاس سنة 1109 / 1697.

م. ابن عيشون، مقدمة *كتاب الروض العطر الأنفاس*، ص. 22 - 24 ؛ القادري، *نشر المثاني*، ج. 3، ص. 84 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج. 2، ص. 35 ؛ لفي بروفنصال، *مؤرخو الشرفاء*، ص. 198 ؛ ك. بروكلمان، *تاريخ الشعوب الإسلامية*، ج. 2، ص. 683 ؛ إسماعيل باشا البغدادي، *هدية العارفين*، ج. 2، ص. 305 ؛ ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، ج. 1، ص. 51.

زهراء النظام

العيشي، محمد جدو، مقاوم من مواليد سنة 1909 بأسا. انخرط في صفوف جيش التحرير بالصحراء المغربية منذ سنة 1959 ضمن المقاطعة السابعة بمركز آسا تحت قيادة سيدي أحمد بن أمان، حيث شارك في عدة معارك وهجومات ضد المستعمر الغاشم أبان خلالها عن وطنيته الصادقة وإخلاصه في سبيل الذوذ عن حوزة البلاد وتحقيق الاستقلال.

انتقل إلى جوار ربه بتاريخ 24 دجنبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة رقم 503121.

العيطة، لون من الغناء ظهر في البوادي وتوسع في الحواضر، وهو عبارة عن أهزوجة شعبية مركبة تتكون من مقدمة بطيئة في الإيقاع ثم مجموعة من الفصول أو القاطبات تربط بينها أبيات انتقالية تدعى حطات (مفردها حطة أو قنطرة عند أصحاب الآلة) وتختم العيطة بقفل من بيت شعري في إيقاع سريع.

وكلمة عيطة مشتقة من عيط أو نادى، والنداء هنا قد يراد به النداء للجهاد كما قد يراد به إثارة الانتباه إلى حدث أو نازلة. وأسلوب النداء هذا نجده في مقدمة كل العيوط تقريبا مثلا : آه شريفي بورحال، والحمرا خربوشة زروالة وآه يا وين آه ربي وتانا تانا. وتعتبر العيطة من جهة أخرى وسيلة أو خطاباً يعكس بيئة وتطلعات الإنسان المغربي ومعاناته. والعيطة حاضرة في تاريخنا وفي ثقافتنا الشعبية بمفهومها الواسع، وهي بالتالي تمثل ذاكرة المجتمع وجزءاً من مكونات بنيته الفوقية التي سادت عبر مراحل مختلفة.

نشأت العيطة نتيجة الالتقاء والتداخل والتمازج الذي حصل بين مكونات ثقافتين مختلفتين الأولى أمازيغية والثانية عربية تعززت بالهجرات العربية خلال القرن السادس الهجري. وفي هذا الإطار نتج عن اختلاط إنتاجات الأحواشات والأحيدوسات مع الأهازيج والرقصات الآتية من الشرق إفراز هذا اللون من الغناء الذي نسميه اليوم العيطة. نشأ هذا في السهول خصوصا الأطلسية منها مع فرق تسمى لهوير، وانطلاقا من هنا بدأت تتكون بعض المقاطع عبارة عن عيطة بسيطة أي لم ترق إلى مستوى التركيب. هذه المرحلة الأولى غامضة بالنسبة للبحث. بعدها دخلت الأدوات النفخية العيطة وهذا يعتبر التطور الأول الذي طرأ عليها، ثم جاءت المرحلة الأخيرة التي أدخلت فيها الأدوات الوترية للعيطة كالرباب والسويسدي أي الكنبري الصغير. ومن المرجح أنها شهدت فترة تركيب أو هيكلة العيطة أي أن تلك المقاطع التي كانت تغنى وسميناها عيطة بسيطة أو بروال تم الربط بينها وأصبحت عبارة عن عيوط مركبة. ومن المؤكد أن هذا التركيب لم يتم في فترة واحدة بل جاء عبر مراحل مختلفة، وهذا ما يفسر افتقار جسد العيطة إلى وحدة الموضوع حيث نجد أن فصلا تكون في فترة بداية القرن 15 ثم أضيف فصل ثالث أو رابع في القرن 20 وهكذا.

والملاحظ أن فترة القرن 19 تعتبر منعطفا في مسيرة هذا الفن، نظرا لما شهدته هذه الفترة من تحول وتصدع في بنى ونظم ومؤسسات المجتمع المغربي ما قبل الرأسمالي في إطار ذلك الاصطدام اللامتكافئ مع المجتمعات الأوربية. ونظرا لما صاحب هذه الفترة من تحولات وأثار على قيم وسلوك وواقع الإنسان المغربي تشكلت من جديد لحظات البوح الجماعي لتجسد الصراع بين الأنا والأخر عبر قنطرة هذا الفن أي العيطة. وانطلق الصوت الشعبي من جديد معبرا ومصورا تلك اللحظات بكل ملابساتها ومعطياتها.

ينحصر مجال العيطة جغرافيا في المناطق السهلية الساحلية التي تمتد من الغرب إلى الشياظمة ثم المناطق الداخلية كالحوز وتادلة وازعير إلى حدود منطقة الدير أي سفح جبال الأطلس. وهذه المناطق ناطقة بالعامية ولا ننسى مناطق زموز وزيان حيث ينتشر فن العبطة بالأمازيغية. يمكن حصر فن العيطة في مجموعة أنماط تختلف باختلاف مناطق وجودها وخصوصياتها الشعرية والموسيقية واللحنية والآلاتية الخ. هذه الأنماط هي :

ـ الحصبة أو الحصباوي وهي منطقة بعبدة إقليم أسفي حيث ظهر هذا النوع من العيطة الذي يعتبر من أقدم الأنماط وأصعبها منالا. ومن أهم العيوط التي تنتسب لهذا النمط عيطة ارجنا فلعلي، عيطة حاجتي في كريني، عيطة خربوشة، عيطة رادوني، عيطة العمالة، عيطة كبت الخيل، عيطة بين الجمعة وبين الثلاثاء، عيطة اعلى قبلك بايت عساسة، عيطة سيدي حسن وغيرها كثير إضافة إلى ما نسميه بالعيوط الميتة أي التي لم تعد تتداول. والتي نذكر منها عيطة كاسي فريد وعيطة واليني واليني وعيطة سيدي راكب على اجوادو.

تمتاز عيوط هذا النمط بصعوبة أدائها وتنوع إيقاعاتها وغنى مضامينها وتعدد موضوعاتها. داع فن الحصبة وانتشر صحبة رواد أوائل من رجال ونساء أمثال الشيخ المصطفى ولد الضو توفي سنة 1958، والشيخة البوكدراوية والشيخ الدعباجي الذي توفي سنة 1998. وهو لازال متداولا بشكل واسع عند عدد من الفرق العبدية كفرقة الشيخة عيدة والشيخة الحامونية والشيخة فاطنة بنت الحسين والشيخ الدامو وعبد الرحمان لبصير وغيرهم من الفرق.

ـ المرساوي أو البيضاوي وهو لون العيطة الموجود في مختلف مناطق الشاوية كسطات والكارة وابن احمد، وأولاد زيان ومعظمه يتركز حاليا في الدار البيضاء.

والعيطة المرساوية عذبة رقيقة تخاطب الوجدان وتدعو إلى التأمل والركون للبوح ترافقها ألحان رنانة ونبرات صوتية دافئة.

إن بيئة الشاوية الغنية وهي موطن المرساوي كان لها أثر بليغ على حمولات عيطاته سواء على مستوى الصيغة اللحنية أو الشعرية.

من أهم عيوط المرساوي نجد عيطة دامي، عيطة لبغاحبيبو، عيطة ركوب الخيل، عيطة ماشتو لغزال، عيطة خربوشة منانة وعيطة شاليني.

والملاحظ أن عيوط المرساوي هذه كثيرا ما تغنى على شكل مقاطع منعزلة عن عيوطها الأصلية.

تطورت العيطة المرساوية وانتشرت مع الشيخة العرجونية وأخذت أبعادا جديدة مع الفنان بوشعيب البيضاوي وقيبو وبوشعيب زنيكة هذا الطاقم الذي عمل على بعث هذا اللون من جديد وفي قوالب غير معتادة ساهمت في تقريبه إلى الجماهير بشكل أوسع. هذا إضافة إلى رواد آخرين كالصحيب بلمعطي وصالح السماعلي والمرينية والزروقية وغيرهم.

ـ الحوزي أو العيطة الحوزية مجال انتشارها هو حوز مراكش والرحامنة وبنگرير والسراغنة واليوسفية هذا النمط له مجموعة خصوصيات كاعتماد المقام الموسيقي المرتفع والأصوات الحادة بحيث تصبح العيطة عبارة عن موال في بدايتها مما يجعله قد يعتمد مجموعة عازفين للكمان ومجموعة أخرى للنقر على الطعارج، وتعتمد مؤخرات عيوط الحوزي على ميزان سريع جدا أصبح يرافق حاليا بالنقر على الأرض بواسطة الأرجل أي الدرديك.

وقد اختلفت مواضيع الحوزي كذلك من حيث التقاطاتها حول ظاهرة التضاد الثنائي كما مر معنا القبيلة / السلطة، السكان / المعمر... ونسجل اهتمامها بالأضرحة والمزارات المقدسة عموما.

من أعم عيوط الحوزي الشجعان، عيطة بويا رحال، عيطة سيد الزوين، عيطة خالي ياخويلي، وقد شهد هذا النمط نوعا من الرواد الذين حاولوا تطويره ونشره بشكل واسع من أمثال الشيخ بن احمامة والشيخة الرويضة وآخرين.

ـ الزعري أو العيطة الزعرية، وهو لون آخر موجود بمنطقة ازعير وهو أكثر انتشارا في ربوع المغرب. والزعري هو قريب نوعا ما من الحوزي وخاصة في مجال اللحن والمضامين.

ومن أهشر عيوط الزعري اجعيدان، الشجعان...

ونذكر من بين رواد هذا الفن الشيخة خربوعة ونعينيعة وولد العواك وغيرهم.

ونظرا لتجاور مناطق وجود العيطة وقع تلاقح وتداخل بين هذه الأنماط فنتج عن ذلك ظهور أنماط جديدة متقاربة في الألحان والمضامين وتنقل في بعض الأحيان عيوط من نمط معين وتغنى في قالب نمط جديد مثل التلاقح الذي وقع بين المرساوي والحصباوي والتلاقح الذي وقع بين المرساوي والحوزي والزعري وأعطى نمط الخريبكي.

وبخصوص الآفاق المستقبلية لهذا الفن الأصيل نقول أنه عموما ورغم هذا التشتت والنحل الذي لحق مثون النصوص العيطية نتفائل لتجربة المجموعات الشبابية الجديدة أي الأوركسترات التي شرعت في غناء هذه العيوط الأصلية ولا يلاحظ التغيير إلا على مستوى إدخال أو تطبيع بعض الآلات العصرية مما يساهم لا محالة في إعادة إنتاج هذا الفن ونشرد في أوساط الشباب.

تلك أهم أنماط العيطة الموجودة حاليا، غير أنه توجد أنماط أخرى نذكر من بينها على الخصوص : الغرباوي والشيظمي والعيطة الزيانية وغير ذلك.

Allal Regoug, *Laïta chant du Maroc entre musique et histoire, Horizon Maghribin*, n° 43, 2000, Toulouse, France.

علال رگوگ

العيلال، الحسين بن أحمد، ولد سنة 1927 بدوار لبيار إقليم گلميم.

اختار العمل المسلح، فانضم إلى جيش التحرير بالصحراء المغربية بمركز تافودارت تحت قيادة الفطيح السالك وذلك سنة 1956.

شارك في عدة معارك أظهر فيها شجاعة كبيرة، إلى أن استشهد في معركة الساقية الحمراء بالمسيد بتاريخ 1 / 1 / 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة رقم 514283.

عين إسحاق (مدينة)، تقع هذه المدينة الأثرية الدفينة قرب دوار دار الغول الواقع بمشيخة الربع الفوقي التابعة لجماعة بني فراسن (إقليم تازة) وتنتشر أطلالها على علو 1160 م على ثلاث هضاب تشكل امتدادا لسلسلة قصبة بني فراسن ويخترقها مجرى واد صغير يعرف بوادي السلال. تحتل هذه المدينة موقعا استراتيجيا وممتنعا يصعب الوصول إليه، لا يعرف بالتحديد تاريخ بناء هذه المدينة، لكن المصادر التاريخية تتفق منذ البكري حتى الناصري على أن بناءها تم على يد الأمير المكناسي موسى ابن أبي العافية، ويبدو أن نواتها الأصلية تعود إلى فترة ما قبل قدوم مصالة بن حبوس في حملته الأولى على المغرب سنة 928. وقد شهدت هذه المدينة طوال تاريخها عدة مراحل :

1 ـ خلال حكم موسى ابن أبي العافية لعبت عين إسحاق دورا أساسيا كقاعدة عسكرية وكعاصمة سياسية. وقد بلغ مدى أهميتها وإشعاعها حتى قرطبة والمهدية. ومنها قاد الأمير المكناسي حملته العنيفة ضد الأدارسة من أجل السيطرة على الحكم بالمغرب.

2 ـ بعد فترة الأوج هاته التي تميزت بالاستقرار والرخاء عرفت المدينة فترة عصيبة حيث يذكر المؤرخون أن أبا عبيد الله الفاطمي سير سنة 933، ضد عامله الأسبق الذي نكث عهده، قائده المكناسي حميد بن يصليطن، هذا الأخير هاجم جيوش موسى ابن أبي العافية ليلا واضطره للتراجع والاحتماء بقلعته الحصينة بعين إسحاق.

3 ـ بعد عودة القائد الفاطمي إلى الشرق استعاد موسى ابن أبي العافية سلطته على البلاد وأصبح حسب ما يذكر المؤرخون ملكا على المغرب الأقصى وجزء من المغرب الأوسط. ومن المؤكد أن المدينة عرفت فترة ازدهار خصوصا عندما أعلن موسى ولاءه للأمويين بالأندلس، ويخبرنا ابن حيان بهذا الخصوص أنه جزاء للأمير المكناسي على وفائه لعهده، أرسل له الناصر هدايا ثمينة عدة مرات.

4 ـ ولم تفتأ فترة الرخاء التي عاشتها المدينة أن تحولت إلى انحطاط وخراب، وبالفعل ففي سنة 935 هاجم القائد الشيعي ميسور الخصي موسى بن أبي العافية وهزمه. ثم حاصر عاصمته وهدمها بعد أن طرده إلى بلاد ملوية.

يشير البكري في وصفه لمدينة عين إسحاق إلى أنها تتوفر على جامع وأسواق وحمام وقبة تعلو العين.

يبدو من الصعوبة بمكان تحديد أمكنة لهذه المعالم التي ورد ذكرها عند البكري على اعتبار أن المدينة الأثرية كلها الآن مخربة ودفينة. وسطح أرضية الموقع يتم استغلالها منذ مدة من طرف سكان الدواوير المجاورة في الفلاحة وهو ما أدى إلى طمس هوية المدينة. وبقاياها مغطاة حاليا بركامات من الأتربة الناتجة عن التعرية وتعاقب السنين وكذلك كتل من الحجارة في البناء إضافة إلى نسبة مهمة من البقايا الخزفية. إلا أن آثار وقواعد بعض البنايات لازالت بادية للعيان وهي ذات علو لا يتجاوز في أفضل الأحوال المتر الواحد. ويلاحظ أن أغلب هذه البقايا الأثرية تتمركز حول العين الحالية في حين تقل آثار البنايات كلما اتجهنا نحو الجنبات.

أ. أسوار المدينة

مكنت المعاينة الميدانية من تتبع بقايا سور ضخم وذي تصميم متعدد الأضلاع. يحيط بالمدينة من الجهات الجنوبية والغربية والشرقية على طول أزيد من 1000 متر. وهو إما بارز ذو علو لا يتجاوز 70 سنتمترا وإما مهدم ومغطى بخرابه في حين يظل أزيد من نصف الموقع معتمدا من الجهة الشمالية والشمالية الغربية على تحصينات طبيعية مشكلة من مرتفعات وحافات يصعب اختراقها على أمهر الجيوش.

هذا الجدار الدفاعي تتخلله بعض الأبراج المستطيلة وهو سميك إذ يصل عرضه في بعض الأحيان إلى 2.34 متر. وهو مبني من الحجارة المقطوعة ذات الحجم الكبير التي تشكل الواجهتين الداخلية والخارجية، ويتوسطهما خليط من الحجارة الصغيرة والتراب المدكوك.

ب ـ القلعة المحصنة

بقمة الهضبة التي تعرف باسم "كدية الطبالة" تنتشر بقايا أثرية مهمة. وهي على شكل قلعة صغيرة محصنة ومحاطة بسور مبني من الحجر عرضه 18 متر، وتتوسطها آثار بنايات يصعب تحديد تصميمها ولا الدور الذي كانت تلعبه وإن كان أغلب الظن أنها بنايات عسكرية على شكل حصن عسكري أو برج للمراقبة.

ج ـ المجال الداخلي للأسوار

في المجال الداخلي للأسوار تتناثر بنايات أثرية من الصعوبة التعرف على طبيعتها وتصميمها. فنص البكري يتحدث عن جامع وأسواق وحمام وعين مغطاة بقبة لم يبق لها اليوم أثر باستثناء العين التي لازالت مياهها جارية، إلا أنه اعتمادا على الرواية الشفوية يمكننا تحديد أماكن بعض البنايات وخاصة المسجد الذي يوجد بالقرب من العين الحالية في الجهة الشمالية. وفي الجنوب الشرقي تتم الإشارة إلى بنايات مخربة على أنها حمام المدينة. وتتعدد آثار البنايات داخل المدينة والتي توحي من خلال هندستها بتصاميم المنازل المغربية التقليدية التي تتميز بانتظام مجموعة من الغرف حول صحن أوسط.

توضح دراسة البنايات والبقايا الأثرية والمنتشرة داخل الموقع على أن الحجر والتراب والجير هي المواد الأساسية التي استعملت في البناء كما أن السقوف كانت منحنية ومغطاة بالقرميد.

البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب*، نشر دوسلان، الجزائر، 1857 ؛ ع. ابن خلدون، *كتاب العبر*، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1959 ؛ ابن حيان القرطبي، *المقتبس*، نشر شالميطا كورنطي، محمد صبح، مدريد، 1979.

محمد بلعتيق

عين بلال، إذا كانت لفظة عين لا تستوجب وقوفا ؛ فإن لفظة بلال تتطلب وقفة صغيرة. من خلال البحث الميداني، يبدو أن بلال تدل على العلمية. لكن هذه العلمية ليست بشرية، إذ أن أهل البلد يطلقون - شأنهم في ذلك شأن القبائل المجاورة - اسم البلال (ومفردها بلالة) على نوع من الجراد، ليس من النوع المعروف الذي ينتظم في هجرات جماعية ؛ ولكنه من بين الحشرات العاشبة الكثيرة التي تسيح في البرية. فلعل المنطقة التي اشتهرت قديما بعدد كبير من العيون، ولاسيما في الأودية التي تتخلل أراضيها الهضبية ؛ قد كانت من بينها عين يجتمع حولها عدد لافت للانتباه من تلك الحشرة ؛ فدعيت بالاسم الذي غلب عليها بعد ذلك، بسبب جريانه على الألسنة.

وأياما كان الأمر، فإن عين بلال قبيلة عربية تنتمي إلى مجال قبائل بني مسكين الغربية. وتمتد أراضيها شمالي الرحامنة، على الضفة اليمنى لوادي أم الربيع ؛ على بعد حوالي عشرين كلم شرقي مشرع ابن عبو. وهي أولى قبائل بني مسكين من حيث التصنيف الإداري.

وتنقسم قبيلة عين بلال إلى ست فخذات (أو دواوير حسبما هو رائج)، وهي من الشرق إلى الغرب : درقاوة، أولاد سيدي عبد الحميد، أولاد سيدي مَحمد، أولاد سيدي أحمد، أولاد بابا علي، أولاد سيدي عبد العزيز، المغارات، أولاد واحي. وكل فخذة (دوار) تنقسم بدورها إلى عدة فروع. وينتمي كل فرع إلى جد معين. من ذلك مثلا، أن فخذة أولاد سيدي أحمد تتفرع إلى الحواسنة والعوامرة والبكاكرة والزراولة ... وكل فرع ينقسم إلى عشائر معينة، تقطن حيزاً خاصاً بها. كل ذلك لحفظ الأنساب والشعب ؛ مما يذكرنا بالتقسيمات المعروفة لدى قبائل الجزيرة العربية.

وعلى الرغم من اشتراك عين بلال مع بني مسكين في المجال والعرق ؛ فإن جل سكانها ينتسبون إلى المولى إدريس بن إدريس، حسبما يشتهر عندهم منذ سالف العصور. فقد درج الناس هناك على أن جدهم، ويدعى سيدي عبدالله بن عبد الغني، الذي فر من المذابح التي أقامها بنو أبي العافية المكناسيون لاستئصال شأفة الأدارسة، في القرن الهجري الرابع (10 م). فانتهى المطاف بالشيخ المذكور إلى تلك الجهة، حيث ألقى عصا التسيار. وحسب الرواية نفسها، يذكر أنها كانت مأهولة منذ القديم، وأن سكانها القليلين كانوا في صراعات مستمرة.

يفهم من هذه الرواية، أن الرجل جاء إلى تلك المنطقة النائية لاجئا، لأنه كان يتوجس عاقبة ما تعرض إليه كثير من الأدارسة في مكناس وما حولها. وللإشارة فقط، فقد كانت أعمال بني أبي العافية سببا في فرار عدد من الأدارسة إلى الجبال للاختفاء بها. ولعل هذا ما كان سببا في وجود بعض الشرفاء في المناطق الجبلية. فهل يتميز عين بلال عن قبائل بني مسكين العربية التي قررنا في مادة سابقة أنها من ضمن القبائل العربية التي استقدمها يعقوب المنصور الموحدي إلى المغرب في القرن السادس (12 م) ؟

ومهما يكن من أمر، فإن هذه القبيلة تضم عناصر أخرى، وفدت عليها من القبائل المجاورة كالسراغنة والرحامنة، أو من قبائل بعيدة. وإلى جانب العنصر العربي المتميز بقرب لسانه إلى الفصحى، فإن الباحث يدرك من خلال بعض أسماء الأماكن والأعلام، أن مجال عين بلال لا يخلو من آثار بربرية. من ذلك مثلا أسماء أعلام كطاطة وكنيس وعيطونة؛ وأسماء أدوات كتزاكَلوت، وأسماء مواقع، كترهلة وتاسوكا الخ ..

وعلى الرغم من حرص أهل عين بلال على نسبهم، وتمييزهم للشرفاء من غيرهم، فإن مختلف العناصر انصهرت في بوتقة واحدة ؛ ناسين أو متناسين الأعراف والأصول، في سبيل مواجهة قسوة طبيعة أراضيهم التي يغلب عليها طابع الهضاب الصخرية الفقيرة التربة، القليلة الأمطار.

وقد اطلعنا على شجرة أنساب يملكها رجل من فخذة أولاد سيدي أحمد، تصل والده بإدريس بن عبد الله، فاتح المغرب سنة 172.

لم تتحدث المصادر عن عين بلال - حسبما نعلم - إلا في غضون القرن الثالث عشر (19 م) ؛ حيث ذكرت حين "ثار على القائد الشافعي إخوانه"، فلاذ بزاوية عين بلاد الكائنة بفخذة درقاوة. وفي سياق ذكر هذه الزاوية، نشير إلى أننا وقفنا على بعض ظهائر التوقير والاحترام التي توصل بها أحد شيوخها، في عهد السلطان عبد العزيز. ولا شك في أن ذلك الظهير لم يكن إلا استمرارا لظهائر سابقة ؛ باعتبار أن كل سلطان يقر من سبقه على نفس الامتيازات التي خولها لبعض الجهات، ومنها الزوايا. ومما يذكر عن هذه القبيلة، أن المختار السوسي، الذي مر بها في أواسط العقد الرابع من القرن الماضي (14 هـ)، فعبر عن إعجابه بحفظ الناس لكتاب الله ؛ حتى قال : "كل بني مسكين يحفظون القرآن". وعلى الرغم من أنه جعل سبب الحفظ متصلا بالإفلات "مما يكلف به العوام من الوظائف المخزنية"، فإن الظاهرة في حد ذاتها إيجابية. وفي هذا السياق برّز عدد من الأعلام، يلقب معظمهم بالمسكيني، قليل منهم ورد ذكره في المصادر.

وخضعت هذه القبيلة، شأنها شأن باقي بلاد المغرب إلى الاحتلال الفرنسي ؛ حيث تم إخضاعها منذ سنة 1914، وسخرت السلطات الاستعمارية عليها القائد بوحافة، الذي سام الناس مختلف ألوان الضغط، سواء على صعيد الجباية أو السخرة.ولعل ما لحق سكانها من جور كان سببا في انكماشها وتراجع أحوالها، ولاسيما في الميدان العلمي. وبذلك رجعت إلى الهامش، حيث استمرت هامشية حتى في عهد الاستقلال، إلى أن يسر الله بدء أشغال سد المسيرة. فدعت الحاجة إلى بناء الطريق المعبد الذي ترتب عنه فك العزلة عنها، وانفتاح السبل أمام سكانها للاتصال بباقي جهات المملكة.

وثائق الخزانة الحسنية ؛ وثائق خاصة ؛ الاستقصا، 1 ؛ المعسول، 6 ؛ التحري الميداني.

Répertoire alphabétique...
أحمد عمالك

عين بني مطهر أو ريباي نيكراي (Ripae Nigrae)، مدينة عتيقة من مدن موريطانيا (المغرب القديم) ذكرها عرضا جغرافي رافنا في مؤلفه الذي يعود إلى سنة 700 م، دون سائر المؤرخين الجغرافيين والمؤلفين القدامى من الإغريق واللاتين على حد سواء. وتجاهلها أو جهلها المؤلفون العرب، مؤرخون وجغرافيون، فلم يرد لها أي أثر ولم يورد عنها أي خبر طيلة العصور الوسطى والحديثة.

اسمها اللاتيني Ripae Nigrae اسم مركب من لفظتين في صيغة الجمع تدل أولاهما Ripa في معناها الحقيقي على الضفة وفي معانيها المجازية على مرتفع أو منحدر أو حافة أو جرف. ويدل اللفظ الثاني Niger, Nigra, Nigrum على السواد والظلام.

وعليه يكون المعنى الحرفي لهذا الاسم هو الضفاف السوداء، أو المرتفعات السوداء أو الحافات السوداء أو الأجراف السوداء.

هذا وذكر بلينيوس الشيخ في خضم حديثه عن حملة القائد الروماني القنصل كايوس سويطوتيوس بولينوس Caius Suetonius Paulinus، في سنة 40 ـ 41 م، أن هذا القائد كان "أول قائد روماني تجاوز الأطلس ببضعة أميال... (إذ) وصل في ظرف عشرة أيام ـ حسب قوله ـ إلى الأطلس، ثم إلى نهر يدعى گير Ger، مخترقا صحاري ذات رمل أسود تتخللها من مكان لآخر أكمات صخرية (سوداء) كأنها محروقة".

ولما كان هذا النص يذكر بصريح العبارة الأطلس ونهرا باسم گير Ger، فإن الأقرب إلى الصواب هو أن تنطلق التحريات من هذه المعالم الجغرافية في شكل ثلاث ملاحظات :

أولها : أن القائد سيوطونيوس بوليتوس قد تجاوز الأطلس ووصل إلى نهر يدعى گير Ger رأى فيه الباحثون النهر المعروف بنفس هذا الاسم ـ إلى يومنا هذا ـ والذي يجري إلى الشرق من تافيلالت، منطلقين من أن هذه التسمية في حد ذاتها جدر أمازيغي يعني وادا أو نهرا.

ثانيها : أن الأوصاف التي أوردها بلينوس الشيخ عن هذه المنطقة التي عبرها هذا القائد في ظرف عشرة أيام قبل وصوله إلى الأطلس تنطبق إلى حد كبير على جغرافية النجود العليا الشرقية بما فيها من صحاري ذات رمل أسود تتخللها من مكان لآخر أكمات صخرية سوداء، كأنها محروقة، تعرف اليوم باسم الگارات في المنطقة.

ثالثها : أن الأطلس الذي ذكره بلينوس، وانطلاقا من الملاحظتين السالفتين لا يمكن أن يكون إلا شرق الأطلس الكبير الفاصل بين النجود العليا الشرقية شمالا ووادي گير وتافيلالت جنوبا.

وبناء على هذه الملاحظات نرجح أن تكون مدينة عين بني مطهر ـ اليوم ـ باسمها العتيق بركم / بركنت هي تلك المدينة التي أشار إليها جغرافي رافنا بالاسم اللاتيني المركب بصيغة (Ripae Nigrae) بمعنى الضفاف السوداء، أو الأجراف السوداء أو المرتفعات السوداء. ونستدل على ذلك بأن لفظة بركم أو بركنت تختزل جانبا مهما من الطبوغرافيا السوداء اللون في المغرب الشرقي، علما أن اللفظة "بركم / بركنت" نفسها مجرد نطق مخفف للفظة "تبركنت" التي تعني "السوداء" في بعض اللهجات المحلية المعروفة بالمنطقة.

م. اللبار، *حول مقاومة شرق المغرب للأهداف التوسعية الرومانية خلال منتصف القرن الأول للميلاد*، ضمن وقفات في تاريخ المغرب، دراسات مهداة للأستاذ إبراهيم بوطالب، سلسلة بحوث ودراسات رقم 27، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2001، ص. 275 ـ 303.

F. De la Chapelle, *L'expédition de Suetonius Paulinus dans le sud-est du Maroc*, *Hespéris*, T. XIX, 1934, p. 107-124 ; *Le géographe de Ravenne*, III, 9 ; H. Lhote, *L'expédition de Cornelius Balbus au Sahara en 19 av. J.C.*, *Revue Africaine*, T. XCVIII, 1954, p. 41-83 ; Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, V, 14-15, *Traduction et commentaire de Jehan Desanges*, Les Belles-Lettres, Paris, 1980 ; R. Raymond, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924.

محمد اللبار

عين بيضا، قرية ومركز علمي بقبيلة سماتة الهبطية. تعد القرية السماتية أصغر مداشر فرقة سيدي مزوار، واقعة على السفح الشمالي من جبل الخلوة، ويقابلها من جهة الشمال السفح الجنوبي من جبل الصريخ. كان المدشر في مستهل القرن العشرين صغيراً لم يتجاوز عدد دوره الثمانية والعشرين داراً أو أسرة، وهو ما يعادل مائة وأربعين نفر. غير أن شهرة عالمها أحمد بن يرمق سابق الترجمة جعل من القرية مركز علم لامع في جميع المنطقة الشمالية.

كان الشيخ أحمد بن يرمق قد أسس معهد عين بيضا في آخر العقد الأول من القرن العشرين ودرس فيه العلوم الدينية الوقتية، ومنه تخرج العديد من طلبة الهبط وجبالة والريف، كما كانت إجازة التخرج من المعهد معترفا بها لمتابعة الدراسة بجامع القرويين.

وبمعهد عين بيضا بقي يدرس إلى وفاته في تاريخ لم يتحقق بعد، مكتفين الآن بالإشارة إلى مستهل العقد الثاني من القرن العشرين، مع الترجيح أن يكون التاريخ المحدد هو سنة 1921. ولا يزال أهل القرية وطلبة جبالة والريف يذكرون في تقليدهم مناقب الشيخ ومعهده عين بيضا.

ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس والإثبات*، لبنان، 1982 ؛ المريني العياشي، صورة من التاريخ البطولي لمنطقة جبالة ؛ م. الهبطي المواهبي، *مفتون متسيون بغمارة وشفشاون*، الرباط، 2000 ؛ محمد بن عبد الرحمن بن خليفة، *أعلام القصر الكبير*، طنجة، 1994 ؛ ع. الصمد العشاب، أحمد بن المكي يرماق ؛ حمو الشكري، *تقييده* ؛

محمد بن حمو البنيحياتي، *مذكرات مرقونة* ؛ ع. عاصم، العلامة محمد التوزاني، الرباط، 1999 ؛ *معلمة المغرب*، عدد 16 ؛ ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية، تطوان، 1252.

حسن الفكيكي

عين تساف، تقع ضمن تراب جماعة تساف التابعة إداريا إلى دائرة أوطاط الحاج، يحدها شرقا واد تساف وغربا مزارع لمسيديرة وشمالا دوار أولاد امحمد وجنوبا كارت فجان. يتشكل المجال الذي تنتمي إليه العين من الناحية الجيومرفلوجية من تكوينات مستنقعية مرتبطة بمواد نشر تمثل مخروط انصباب في اتجاه واد ملوية. وتتغدى الفرشة المائية الموجودة داخل هذه التوضعات من عين تساف. وعلى الهوامش السفلى للمخروط تنبثق 26 عينا تتراوح درجة حرارة مياهها ما بين 19°C و27°C.

تعد عين تساف المورد المائي الأساسي والأوحد لسكان الجماعة، يصل صبيبها إلى 250 ل / ث، مسجلة بهذا المعدل أكبر صبيب بالقياس مع باقي المنابع الأخرى المنتشرة على الواجهة اليمنى لواد ملوية الأوسط. تبلغ درجة حرارة مياهها 27°C لعمق الفرشة المائية التي تغذيها، وتتأرجح درجة حموضتها ما بين 7 و7,3 (وحدة pH). كما تتميز مياهها بسحنات كيماوية كبريتية وكلسية ومنغنيزية بتعدن إجمالي يتراوح ما بين 1 و1,5 غ / ل. ونظرا لغلبة الطابع الدوري للجفاف مع انتشار غطاء رسابي غير نافذ فوق توضعات الدوليمي الممتدة على الجهة اليمنى لواد ملوية والركام، فإن مياه التساقطات التي تتلقاها المنطقة بمعدل لا يتجاوز سنويا 160 ملم، لا تساهم عمليا في تغذية مخزون الفرشة المائية الباطنية، مما يؤكد، من دون شك، أن مصادر تزويدها تتصل أساسا بمجالات بعيدة نسبيا عن الوسط المحلي.

وباستثناء هذه العين التي تعتبر مصدر كل مظاهر الحياة بالنسبة للساكنة المحلية، فإن وجود واد تساف الذي يتوسط مجراه أراضي الجماعة، لا يمثل موردا مائيا موازيا للعين، لأن جريانه موسمي يرتبط بوجه أساسي بالتساقطات المطرية الفجائية التي تشهدها في بعض الأحيان عالية الواد. وبالنسبة للعيون الأخرى المنتشرة داخل تراب الجماعة كعين سيدي عيسى وعين المخسينزة وعين الحلوف بالطوال، فإن أهميتها على مستوى الموارد المائية محدودة للغاية، إذ لا يتجاوز صبيبها 7 ل / ث. وتتناقص مياهها بكيفية ملحوظة في فصل الصيف، بل يجف بعضها أحيانا إذا توالت فترات الشح لسنوات متعاقبة.

وعلى مستوى الملكية القانونية، تعتبر عين تساف ملكا جماعيا للسكان المحليين، إذ تعاقبت على وراثة قسماتها المائية عبر حقب التاريخ البعيد، خلفا عن سلف، مختلف الأفخاذ والعشائر التي تنتسب مجتمعة إلى الولي الصالح سيدي عيسى. على أن الكميات المائية المتدفقة من العين لم تكن حسب ما تتداوله الذاكرة الجماعية المحلية تتجاوز قبل القرن الماضي عشرات اللترات فقط. إلا أنه مع تزايد وتيرة النمو الديمغرافي في وسط وحدات قصور القبيلة مع ما كان يرافق ذلك من تزايد الحاجة الملحة إلى الماء، كان يفرض على السكان التدخل بين الفينة والأخرى لاستصلاح العين وتنقيتها من الأوحال الطينية وتوسيع حجم منابع المياه. بيد أن هذا النوع من العمليات الاستصلاحية ظل عبر تدرج الزمن التاريخي تقليديا إلى غاية تدخل السلطة الاستعمارية في المنطقة، حيث قامت الإدارة الفرنسية في هذا السياق، بخطوتين إصلاحيتين للعين، كانت الأولى سنة 1920 وشملت تحديدا تسوير العين بسور اسمنتي عال نسبيا لحمايتها من تسربات الرمال ونفايات الزوابع والحيوان، ثم إنشاء قنوات تصريف محورية تتناسب مع أنظمة توزيع كميات الماء الإجمالية بحسب عدد "النوبات" وأنماطها القسموية بين الدواوير. بينما تمت الخطوة الثانية سنة 1952 وتضمنت أساسا استصلاح منابع المياه وتوسيع حوض تجمعها الخارجي وتقوية دائرة السور بزيادة أعمدة ولبنات جديدة وشق قنوات تصريف إضافية. وقد أسفرت حصيلة الأعمال التي تخللت هذه المبادرة الإصلاحية الأخيرة عن المشهد الذي توجد عليه العين إلى حدود اللحظة الراهنة.

وفيما يتعلق بأنظمة توزيع مياه العين، فهي مقسمة حسب العرف الجاري إلى نصفين متقاطبين على مدار كل 24 ساعة. وتقاس حصص الماء في إطار دورات التناوب بين تجمعات القصور على أساس وحدة "الخروبة" وهي وحدة تعادل زمنيا ساعة ونصف. وحيث كان من الصعوبة بمكان منذ القدم، ضبط الحصص المستحقة من الماء بالنسبة للأفراد والجماعات ومعرفة نسق توزيعها بدقة بين الدواوير والعشائر والأسر وتتبع سيرورة التناوب الدوري على أساس مستويات حقوق التملك والحيازة وفق شبكة من المعادلات الزمنية التناسبية، انتدبت القبيلة لهذه الأغراض كاملة، شخصا يدعى محليا "بالمزوار" تتوفر فيه شروط الخبرة والنزاهة والحزم والضبط الزمني للإشراف في عين المكان على مسارات التناوب اليومي على ماء العين بين الناس رعيا لحقوقهم الشرعية ودرءا لكل تطاول أو تنازع محتمل بينهم. وتجدر الإشارة في هذا الإطار، إلى أن حلقات الدورة التناوبية الكاملة على الماء بين كافة مكونات القبيلة تستغرق في المجموع 17 يوما، وهي حلقات تتدرج تباعا بحسب عدد الدواوير ومقدار ما يملكه كل دوار على حدة من الحصيلة الاجمالية لمياه العين.

وعلى صعيد إمكانيات الري، تسمح عين تساف بمعدل صبيبها الحالي بسقي مجال زراعي تبلغ دائرته السقوية 950 هكتار، وهي مساحة إجمالية، تبقى بلا شك، دون السقف المفترض في مثل حالة هذا الصبيب داخل مجالات جغرافية أخرى. ويعزى ذلك إلى عدة عوامل بنيوية، نذكر من بينها :

- شدة الجفاف ونسقيته الدورية.
- وجود شبكة من السواقي التقليدية تؤدي إلى ضياع

نسبة 30٪ من مجموع المياه المستعملة إما عن طريق عامل النفاذية أو عن طريق آلية التبخر.

- انقسام الحصص المائية المملوكة للأفراد والجماعات إلى وحدات ومجزوءات صغيرة بسبب عامل الإرث.

- تجزؤ ملكيات الأراضي الزراعية الخاصة وتشتتها في مواضع متفرقة من المجال بأشكال يصعب معها ترشيد المياه واستغلالها الاستغلال الأنجع.

- غياب تدبير زراعي معقلن في وسط السكان يساعد على الموازنة والمواءمــة في نفس الآن، بين إمكانات الماء المتاحة والخيارات الممكنة على مستوى الأنماط الزراعية البديلة.

وتبرز تأثيرات هذه العوامل المتداخلة فيما بينها بصورة أوضح على مستوى بنيات المشهد الزراعي، إذ تشكل ظاهرة الملكيات الصغيرة والمجهرية الخاصية الأساس لهذا المشهد. فاستقرار حصيلة الموارد المائية للعين في ظل تزايد عدد سكان الجماعة بوتيرة متصاعدة يؤدي باستمرار إلى تعميق اختلال التوازن المحلي بين حاجات المحيط الاجتماعي وإنتاجية المجال المستغل، وهو الاختلال الذي تعكسه سيرورة التفتيت المتواصل للملكيات الزراعية خصوصا مع تعذر إمكانيات توسيع مساحات المجال المزروع أو خلق مجالات جديدة موازية.

ونتيجة لهذه المعضلة البنيوية واستجابة لإكراهاتها الميدانية يجنح التسافيون إلى تقسيم استغلالياتهم الزراعية وفق نظام استغلالي يعطى الأولوية لأصناف محددة من الزراعات تستجيب عضويا للحاجيات المعاشية الأساسية وتتوافق من جهة أخرى، مع خصوصيات وآليات الوسط الطبيعي وتتمثل بوجه خاص في زراعة الحبوب والفصة وغراسة الزياتين.

أصناف الزراعات وتوزيعها داخل المجال المسقي لجماعة تساف

نوع الزراعة	المساحة	نسبتها المائوية
المغروسات الشجرية	355	28
الحبوب	500	40
الكلأ	300	25
البقول	20	2
القطاني	30	3
الأراضي الراقدة	20	2
المجموع	1225	٪100

المصدر : Direction Provinciale de l'Agriculture de Boulmane

وباعتبار أن مشكلة الماء هي التحدي الاستراتيجي الأكبر الذي يعيق كل إمكانية لتنمية وتطوير الأنشطة الزراعية المحلية وتوسيع نطاق ممارستها أفقيا في المجال، فإن جماعة تساف تعرف حركة هجروية نشيطة لطاقاتها الشابة إما إلى مدينة فاس حيث تزاول الجماعات المهاجرة بعض الأنشطة الحرة (التجارة) أو مهنة الحمالة (تزرزايت) وإما تتوجه إلى مدينة الدار البيضاء حيث يتم التعاطي لحرفة الخبازة في الأغلب الأعم. وقد ازدادت دينامية هذه الهجرة الاضطرارية بوثيرة متسارعة في العقدين الأخيرين مع تفاقم آفة الجفاف وارتفاع الطاقة السكانية للجماعة وغياب مشاريع تنموية لإعادة تهيئة المجال الزراعي سواء من خلال تعميم شبكة قنوات الري الاسمنتية والبحث عن موارد مائية إضافية (إقامة سدود تلية، حفر آبار... إلخ) أو من خلال استصلاح الأراضي وإدخال أنماط زراعية جديدة تضمن إنتاجية أكبر وبتكلفة أنسب.

المركز الفلاحي لأوطاط الحاج ؛ مقابلات خاصة ؛ معاينات ميدانية.

Ressources en eau du Maroc. Editions du service géologique du Maroc, Rabat, 1971, T. I ; *Direction provinciale de l'agriculture de Boulmane*, service de la production agricole.

الفقيه الإدريسي

عين الخيل، عين ماء بنيت في عهد الاستعمار، تقع في تراب عمالة ابن سليمان في الحدود الشرقية لقبيلة الشاوية والحدود الغربية لقبيلة زعير.

تبعد بحوالي 1,5 كلم يميناً عن الطريق المؤدية إلى بئر النصر انطلاقاً من مدينة ابن سليمان مروراً بسوق الأحد (فريد) الذي تبعد عنه بحوالي 17 كلم.

أهميتها تتجلى في اعتماد سكان المنطقة عليها في السقي والمورد فهي تقع وسط الغابة بجانب مركز للمياه والغابات، مما جعلها مورداً مقصوداً من طرف الحيوانات الأليفة والوحشية، وهذا ما جعل سكان المنطقة يعظمون شأنها وينتسبون إليها باعتزاز، كأن تقول لأحدهم : من أي مكان أنت ؟ فيقول : أنا من عين الخيل.

أحيانا يقل ماؤها كغيرها من العيون خاصة في السنوات الأخيرة التي عرفت بالجفاف وقلة الماء.

بحث شخصي.

عبد القادر سعود

عين الركّادة، مركز قروي شرق مدينة بركان بالمغرب الشرقي، يبلغ عدد سكانها حوالي 2374 نسمة، وهي تابعة إداريا لإقليم بركان وإلى قبيلة بني منقوش إحدى أقسام بني إزنا سن الأربعة التي تستوطن القسم الأوسط من جبالهم، وعين الركّادة قرية فلاحية تتميز بخصوبة أراضيها وتدفق مياهها من العيون الطبيعية التي نعتت بها (عين الركّادة) هذه العيون التي عرفت عبر التاريخ بخاصية فرشتها المائية إذ أن ماءها تارة يغور وتارة يفور، وقد ينزل المطر وهي جافة وقد تشتد الحرارة فتتدفق تدفقا غزيرا.

وعرفت الركّادة بقصبتها المشهورة التي بناها المولى إسماعيل عام 1090 / 1679 وأمر عليها القائد العياشي بني الزويعر الزراري وعززها بـ500 فارس، إلى جانب قلعة السعيدية وقلعة بوغريبة، وقلعة العيون سيدي ملوك.

وقد بنيت هذه القصبة على موقع استراتيجي كحصن حصين لتهدئة قبائل بني إزناسن ومنعها من النزول إلى السهول المجاورة، إلا أنه لم يبق من هذه القصبة إلا الأطلال، كما أن هندستها المعمارية وشكلها ومواد بناءها لا يختلف عما عرفت به القصبات الإسماعيلية بالمنطقة الشرقية.

دراسة ميدانية.

الصغير مبروك

العين (الروحية)، يراد بالعين "الروحية" تلك الظاهرة الفيزيائية المتولّدة عن إصابة الشخص بأذىً من جراء النظر إليه بعين خبيثة من لدن شخص آخر. وقد سميت كذلك لأن ما يبدو من هذه الظاهرة ليس إلا فعل النظر لا أقل ولا أكثر، وقد استطاع بعض الأشخاص أن يجعلوا آخرين يتلعثمون في القول أو يتعثرون في المشي أو يصابورن بالدوار أو بالقلق إلى حد الهوس بمجرد تركيز النظر إليهم، بل بلغ بعضهم إلى درجة القتل بحد العين.

والحال أن "العين" ليست مجرد نظرة وكفى، بل هي نتاج فعل عقلي (باطني) مركّز ومعقّد لا بد أن تشترك في صنعه عناصر وعوامل غير قليلة يمكن أن يُذكر منها : التركيبة العقلية والنفسية للفاعل، والبنية الخُلُقية لهذا الأخير، وقوة شخصيته، أو ما يسمى بمغناطيسيته الذاتية، ثم قابلية الشخص المستهدَف (بالفتح) لتلقي "الطعنات البصرية".

وقد أجمع العلماء (في مجالات الطبيعة، وعلم النفس، والأحياء، ثم في حقل الباراسيكولوجيا والعلوم الباطنية) على أن "العين" أمر لا يمكن إنكاره وإثبات ذلك علميا، مثل ما يتعذر تقديم الدليل العلمي على وجوده في أرض الواقع الموضوعي. وذهب معظم الباحثين في هذا الاتجاه إلى القول باقتران البصر بالعمليات العقلية، وأرجعوا هذه الأفعال العقلية إلى أفكار وعواطف وانفعالات بعضها غريزي وبعضها الآخر يدرك بالاكتساب، ويأتي في مقدمتها عنصران اثنان على الخصوص هما الكبْر والحسد، ويتدرج من هذين الأخيرين عنصران آخران هما الغضب والحقد. وقد اقترنت العين بسبب ذلك، وعلى الدوام، بأحد هذه العناصر أو ببعضها أو بها جميعا، فقيل "عين الحسود" "وعين الحقود"... إلخ.

وبالبحث انطلاقا من رافدي الكبر والحسد [أي الغضب والحقد] ومنها إلى الأولَيْن، يتسنى الوقوف أوّلاً بأوّل على التفاعلات التي تنتج ما يطلق عليه مصطلح "العين" أو "عين الحسود"، ويتسنى بالتالي إثبات أن "العين" أو "النظرة" ليست إلا وعاءً ظاهرياً لمواد عقلية روحانية جوانية سامة وأحيانا قاتلة :

- الغضب :

يعتبر هذا العنصر بمثابة القوة الضاربة أو الطاقة القابلة للانفجار، وبالتالي، لإطلاق "قذيفة" العين باتجاه الشخص الضحية، سواء تعلّق الأمر بالشخص ذاته مباشرة، أي ببدنه وعقله وسلوكاته، أو بصورة غير مباشرة بأحواله وأمواله ومتاعه ومختلف علائقه.

إن الفاعل في هذه الظاهرة، الباطنية الظاهرية في آن واحد، لا يكون قطعا في حالة من الرضى والسكينة والدعة، بل يجد نفسه يستشيط غضبا ويراكم في داخله وقرارته طاقة متفجّرة تغذيها "النفس الأمارة بالسوء" والتي ما هي إلا حالة من التتلمذ على إبليس، أول الغاضبين المتكبّرين الحاقدين الحاسدين في تاريخ الوجود الإنساني، كما سيتبين أدناه.

إن العقل تحت تأثير حالة الغضب النفسي (لأن الغضب فعل نفسي وجداني وليس عقليا) يتحول إلى محرك للقوى المتفاعلة وموجه إياها صوب الهدف أو الأهداف المملاة تحت تأثير الغضب ذاته، والذي يكون مغذى بالأحقاد والضغائن وبما يتفرع عنها من العواطف الهدامة والانفعالات المدمرة.

والحال أن الغضب يفعل فعل البارود بإزاء الطلقة أو القذيفة كما سبق القول، ولذلك فهو يحتاج إلى سهام الحقد وقذائفه حتى تكمل الترويكة الضارة والقاتلة.

- الحقد :

يعتبر الحقد بمثابة حجر الأساس في ظاهرة العين. فالشخص الحاسد المتكبّر لا يسعه - وإنْ أراد ذلك - أن ينظر إلى ضحايا حسده وغضبه بعين المحبة والمودة. وإنه يجد في قرارة نفسه كراهية عظمى تجاه الآخر، وربما تجاه نفسه أحيانا، لعلمه بعجزه عن مجاراة الآخرين في نجاحاتهم، فيكون الحقد والحالة هذه بمثابة "القذيفة ذاتها"، حيث تتشكل هذه - كما ترى الباراسيكولوجيا الحديثة - من موجات كهرومغناطيسية تطرد على التوالي زخماً من الفوطونات الضوئية المركزة بفعل العقل والفكر، فينتج عن كل ذلك ما يشبه السهام غير المرئية تصيب بالأذى كل شخص أو شيء مستهدَف (بالفتح) في قواه الباطنية ثم يظهر ذلك على صعيد جسده وحاله.

ولو أننا رجعنا إلى كتاب الله عز وجل لوجدنا النموذج الأول لهاتين الخصلتين المذمومتين يعبّر عن نفسه منذ بدء الخليقة على لسان إبليس اللعين، الذي كان أول الغاضبين الحاقدين الحاسدين في تاريخ الوجود الإنساني، مصورا ذلك في قولته "خلقتني من نار وخلقته من طين". وبذلك يكون الشيطان أول أستاذ للحسد ولفرعيه أو رافديه، الغضب والحقد، ويكون في ذلك مهلكة لأناس وأقوام وأمم ممتنعة على العد والحصر.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى خصلتَيْ الغضب والحقد في مواطن غير قليلة من كتابه العزيز، كقوله تعالى في وصف أحوال الكفار بإزاء رسوله الكريم (ص) : "إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين" مبينا بذلك، وبمطلق الوضوح، التعارض الكلي بين حال الكافر من الحمية (الغضب والحقد والحسد والكراهية...) وحال المؤمن اقتداء برسول الله صلى

الله عليه وسلم، من السكينة والدعة ومن السلامين الداخلي (في أغوار القلب والنفس) والخارجي (في حركات الجوارح وظاهر القول والفعل).

إن أساس الغضب والحقد والحسد مشترك وهو الكبر والعجرفة والتطاول على الخلق، وحب النفس إلى درحة عالية من النرجسية، ولا غرو في ذلك، فمن لم يعبد نفسه لا يجد غضاضة في أن يكون غيره أحسن منه حالا وأكثر مالا وأفضل مآلا.

إن الكِبْر يثمر الغضب، والغضب يغذي الحقد، والحقد يولّد الحسد. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحسد إنه "يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب"، وفي حديث قدسي مروي عن زكريا عليه السلام "قال الله تعالى : الحاسد عدو لنعمتي، متسخّط لقضائي، غير راض بقسمتي التي قسّمت بين عبادي".

وكما أن للحاسد القدرة الطبيعية على إلحاق الضرر المادي الملموس بالمحسود، كأن يتدخل بقوله وفعله أو بأحدهما في إيذائه في نفسه أو ماله ومتاعه، فإن له في بعض الأحيان قدرة أخرى مستترة على إلحاق الأذى بالمحسود دون الوصول إليه بالبدن ونحوه من الأدوات والآلات والأفعال، إذ يكفيه بحسب الطاقة "الحقدية" و"الغضبية" المضغوطة في قرارة نفسه، بقوة الفكر، أن يوجه إلى المحسود نظرة ضارة أو قاتلة "بعين الفكر والتركيز الذهني"، فيؤدي ذلك إلى انطلاق موجات شبه مغناطيسية وتيارات شبه ضوئية تنال من الجسم الباطني للمحسود، أو ما يطلق عليه بالجسم الأثيري أو الكوكبي أو الإيكتوبلازيمي، فيتضرر هذا الأخير في مرحلة أولى، ثم ينتقل الضرر في مرحلة لاحقة أكيدة إلى فكر الضحية ثم إلى توازنه النفسي والعقلي، وبالتالي، إلى أقواله وأفعاله وردود فعله فتصير الإصابة ظاهرة ملموسة ومضبوطة بمعايير الظاهر والواقع الملموس، وتصير مشاهدة بالعيان.

أخرج الشيخان والحاكم وأبو نعيم، واستدركه النووي على البخاري لعلة فيه، أن أم سلمة رضي الله عنها حدثت أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في بيتها جارية في وجهها "سعفة" فقال "استرقوا لها فإن بها النظرة". أي أن النظر المليّ إلى عينيها قد نتج عنه ضرر لأن لها قوة تستطيع أن توجهها بواسطة بصرها، لذلك يحسن النظر إليها باستراق فحسب. وقيل إن "السعفة" في هذا الحديث الشريف تشير إلى أن الجارية المذكورة أصيبت من نظر الجن بعين فجعلت نظراتها أنفذ من أسنة الرماح. وقد ثبت في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "كان يتعوذ من الجان ومن عين الإنسان".

ولعل أصدق دليل على حقيقة الضررين المادي والروحاني (العقلي) الناتجين عن حسد الحاسدين، نزول المعوذتين عموما، وأولاهما على الخصوص، متطرقة بصريح العبارة إلى شر الحاسد عندما يتحول حسده إلى قوى وإلى فعل صار ظاهريا وباطنيا على السواء، وذلكم في قوله تعالى "ومن شر حاسد إذا حسد" أي إذ خرج حسده إلى الفعل.

وبرغم إنكار طائفة من الجاحدين بأسرار النفوس وطبائعها، ومن العاجزين عن الإنصات إلى حديث الأرواح والنظر إلى حركات العقول، لوجود قوى "العين" وآثارها، فإن عقلاء الناس على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم وعقائدهم فضلوا عدم إنكار تأثير العين حتى وإن لم يقولوا بصحته وثبوته، بل رأى جلّهم فائدة في تشبيه عين الحاسد بنظرات نوع من الأفاعي اشتهر عنه نقل السم بواسطة تركيز البصر فحسب، وبذلك يتسنّى لهذا النوع أن يصطاد فرائسه عن بُعد، كأن سمه ينتقل بالذبذبات وليس بالإبر واللدغات !

إن تأثير "قوى العقول" أو ما يصطلح عليه بالأرواح أمر وارد وتدل على صحته شواهد كثيرة يبدو أبسطها : في الحمرة والاصفرار يتناوبان على مُحيّا الشخص وهو يتلقى نظرة شخص آخر تصدر عنه هيبة ووقار وقوة مغناطيسية نفاذة، وينتهي أكثرها تعقيدا : إلى السكتة يصاب بها المنظور إليه من لدن شخص بلغت قوة التركيز العقلي والفكري لديه درجة صارت معها نظراته أكثر نفاذاً من السهام القاتلة، وأشد فتكاً من السم الزعاف.

إنّ "العين"، أيضا، سلاح غريزي حبا الله سبحانه به بعض الحيوانات الضارية، فصار في وسع هذا البعض أن يشلّ حركة فريسته بنظرته الحادة فيصيبها بما يشبه النوم المغناطيسي، فتعجز عن تمثل الخطر المحدق بها فيسهل عليه ذلك أن ينقض عليها من حيث لا تحتسب !

يعالج بعض أطباء النفس والمحللون النفسانيون بعض مرضاهم بالإيحاء، حيث تنطلق من الطبيب المعالج نظرات بالغة التركيز يضمنها زخات غير مرئية من قواه المغناطيسية الذاتية فتصيب المريض بما يتفق وكلمات الإيحاء المنطوقة، ولولا مصاحبة هذه الأخيرة بالتركيز البصري لما كان لها الوقع المطلوب على نفس المريض عقله.

وخلاصة القول، إن "العين" أمر يصعب إنكاره من الوجهة العلمية بمثل ما يصعب إثباته علميا، ولذلك درج الجمهور عموما على الاحتراز والاحتياط مخافة الإصابة بها، تارة بالكتمان انطلاقا من الحديث الشريف "استعينوا على قضاء حاجتكم بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود"، وتارة أخرى باللجوء إلى المعوذتين، أو إلى ترتيبات متعددة ومختلفة بحسب تعدد العقائد والمفاهيم واختلافها، كتعليق الرّقى والتمائم، أو اغتسال المصاب بالعين بماء يكون قد وضع فيه المعتدي أصبع قدمه اليمنى الأكبر (كما ورد في الآثار) أو نحو ذلك من العلاجات "شبه المادية / شبه الروحانية".

محمد عزيز الوكيلي

عين زورا، قرية وقصبة بالريف الشرقي إقليم الناظور. تقع ضمن أراضي دوار أولاد عبد الله وفرقة أولاد داود، من

قبيلة المطالسة. اشتهرت بقصبتها وهي أقدم المواقع المعروفة لدينا بالمطالسة، وأولى الإشارات التي عثرنا عليها هي التي أدلي بها أثناء حركة المولى سليمان إلى الريف الشرقي. وربما كانت مناسبة إحداث التعمير بها عائد إلى عهد المولى الحسن حينما أمر ببناء قصبة عين زورا بناء على طلب السكان سنة 1292 / 1876.

ارتبط التجمع السكاني المستقر بوصول الإسبان إلى المطالسة وإخضاعها واتخاذ القصبة الحسنية مركزاً لقواتهم، بدأ الزحف الأول يوم 24 أكتوبر 1919 لينتهي في بداية سنة 1920.

بدأ لهم التشوف لغزو مجال عين زورا خطوة حاسمة لربط الاتصال بنقطة الحدود الفرنسية المتوقفة عند الضفة اليمنى من واد ملوية. ولتحقيق تلك الخطة بدأت العمليات من منخفضي أكرواو وكرط. حيث كانت حركة القائد المجاهد الحاج عمر المطالسي القلوشي عقبة في وجه كل تقدم.

وتعد اليوم عين زورا جماعة، تتألف من مشيختي أولاد إبراهيم وأولاد داوود.

ح. الفگيگي، مع *الفقيه الحاج حمو الشكري*، *سلسلة من أعلام إقليم الناظور*، القنيطرة، 2003 ؛ ضابط الأمور الوطنية، ص. 98 ؛ خريطة طبوغرافية سنة 1935 ؛ *استطلاع ميداني* يوم الأحد 3 غشت 1975، م. الكنسوسي، *الجيش العرمرم*، مراكش، 1994، ص. 286، *وثائق الخزانة الحسنية ومديرية الوثائق الملكية*.

D. Berenguer, *Campañas en el Rif y Yebala*, Madrid, 1948.

حسن الفكيكي

عين الشعير، واحة صغيرة تقع جنوب شرق المغرب بالقرب من التخوم المغربية الجزائرية على مسافة حوالي 60 كلم جنوب غرب مدينة بوعرفة بإقليم فجيج، وكانت تسمى قديما "العين البيضاء" ثم ذكرت باسم "عين بني مغيث" في بعض وثائق بداية القرن التاسع عشر. وتعتبر هذه الواحة المعزولة من أهم المراكز القروية بالإقليم وأقدمها رغم بطء نموها، بل ركودها، وموطنها بمحاذاة الطريق الوطنية رقم 10 التي لا تفصلها عنها سوى مسافة حوالي كيلومتر واحد، مما يعكس وضعها الهامشي.

بلغ عدد سكان مركز عين الشعير 1330 نسمة سنة 1971 بمجموع 232 أسرة، بينما تقلص إلى 1233 نسمة سنة 1982 بمجموع 200 أسرة ثم استمر في التقلص إلى 1185 نسمة و182 أسرة في إحصاء سنة 1994. وكان مستكشفو الاستعمار الفرنسي قبل 1894 قد أوردوا أن عين الشعير بإمكانها تجنيد 700 من المشاة و100 فارس، وقد لا تكون في ذلك مبالغة مع اعتباره "المركز الحقيقي للعمليات بوادي گير وسهل تاململت بسكانه البرابرة (الأمازيغيين) المتسمين بالحزم والاهتياج...". وفي سنة 1911 قدّر أحد الجغرافيين عدد سكان هذا المركز بنحو 3500 نسمة.

كانت واحة عين الشعير مكونة من قصر واحد بنواتين هما ويحلان (مهجورة) والقصر الكبير الذي يتوسطه مسجد، يحميه سور تعلوه عدة قلاع وتخترقه بضعة أبواب وتحف به من الجنوب جنان من النخيل والأشجار المثمرة تسقيها عيون متفاوتة الملوحة، تنتج بعض البقول والتمر والشعير والفصة التي كان جزء منها يباع ببوعرفة. وتمتد داخل هذا القصر الحصين ساحة كبيرة كان لها دور إيواء الأعراب الوافدين للتبضع وتسويق الماشية وقد كان هذا التحصين يفرضه الموضع المتميز بالانبساط وسط سهل ممتد بين مجموعة من التلال على ارتفاع حوالي 980 متر فوق مصطبة الضفة اليمنى لوادي تضرضورت الذي يخترق معدر عين الشعير قبل اقترانه بوادي زلمو.

كانت القوات الاستعمارية الفرنسية بالجزائر قد اقتربت أول مرة من عين الشعير "مسالمة" سنة 1857 أثناء قيامها بمهمة عسكرية "تأديبية" ضد بعض الجماعات المغربية المنضوية تحت لواء قبيلة زگدو حسب زعمها، غير أنها لم تعد لمهاجمتها إلا سنة 1870 رغبة منها في استكمال فوز حققته ضد قبائل بني گيل، إثر لجوء بعض فلولها إلى الواحة التي كانت قد دعمت عملها ضد الغزاة ؛ وأمام الفشل في اقتحام القصر المنيع وشدة مقاومة أهله أفضى الحصار إلى مفاوضات سلمية مع سلطة الجماعة التي "تكرّمت" على الجنود الفرنسيين بمؤونة ثقيلة لم تُثنِ المقاومة من مناوشة المستعمرين المتعقبين لبوعمامة وأتباعه سنة 1982 على مقربة من الواحة.

يتكلم سكان عين الشعير الأمازيغية بلهجة أقرب إلى فجيج التي كانت تشكل في القديم أحد مراكز التموين والتزود إضافة إلى مركز دبدو البعيد، في غياب أسواق أقرب، وهم مستقرون خلافا لسكان محيطها من أعراب بني گيل ودوي منيع وأولاد الناصر وأيت سغروشن وأولاد جرير. سادت في هذه الواحة سلطة دينية على يد شيوخ بعض الزوايا وأتباعهم وخاصة منها الدرقاوية والقندوسية إلى جانب تأثيرات الزوايا الأخرى مثل الناصرية والطيبية ولازالت تشهد على ذلك الأضرحة الكثيرة التي تحيط بالقصر وهي سيدي مغيت وسيدي امحمد أُورحّو ومولاي بوعبد الله (المدغري التلمساني) وسيدي امساعد وسيدي علي بن يوسف وسيدي علي مول الكاف (التونسي)...

رغم الركود الذي يميز الجانب الديمغرافي لهذه الواحة، فإنها لم تسلم من التوسع السكني بسبب مغادرة السكان لمنازل الطوب التقليدية القديمة ذات المستويين والتي تتقاسمها عادة مع المواشي، من أجل الإقامة في منازل حديثة أنشئ معظمها ضمن إحدى تجزئات الدولة في أواسط السبعينات. وتحتوي عين الشعير على بريد ومستوصف ومسجد ومدرسة، وتتوفر على شبكة للماء الشروب كما أنها متصلة بالشبكات الوطنية للكهرباء والهاتف، وتعقد فيها سوق أسبوعية أيام السبت.

دأب سكان عين الشعير كسائر سكان الواحات القديمة على الهجرة منذ القديم إلى بعض المدن والمناطق المغربية

وخاصة منها وجدة حاليا وتازة قديما حيث لازال حي "بني عيون" يرمز إلى جالية منهم، كما هاجر بعضهم إلى فرنسا منذ فترة مبكرة.

استطلاعات ميدانية وروايات شفوية.

H.M.P. De La Martinière & N. Lacroix, *Documents pour servir à l'étude du Nord Ouest Africain*, Gouvernement Générale de l'Algérie, p. 390-397, 1896 ; A. Bernard, *Confins algéro-marocains*, Paris, Larose, 1911, 420 p.

عبد الرحمان الحرادجي

عين الشقور، معسكر قديم وردت أولى الإشارات إليه عند تيسو (Tissot) ودولامارتنيير الذي قدم وصفا جاء فيه ما يلي "تشغل الخرائب مجالا واسعا ويحتل المعسكر مكانا يفوق مساحة معسكر "Castrum" وهو موقع غني وجميل.." أجريت بهذا الموقع حفريات جزئية واكتشفت نقائش لاتينية أغنت معرفتنا بهذا الموقع لكنها لم تحمل عناصر تمكن من معرفة هذا الموقع بدقة.

إنه معسكر مربع الشكل تبلغ مساحته (90 x 90 م) كان مدعما بأبراج مستطيلة ومهمته تتجلى في مراقبة مفترق الطرق المتجهة نحو طنجة وبناصا.

ويعتبر من بين المعسكرات التي يعود فيها الاستيطان لفترة بعيدة حيث تم اكتشاف نقائش تشير إلى الكتيبة I من الاشتوريين والغاليين قبل سنة 57 م.

وقد زود هذا المعسكر في شكله الأخير بأبراج زاوية الشيء الذي مكن من مقارنتها بما يسمى بـ"Quadriburgia" المعروفة في باقي ولايات العالم الروماني.

ويبدو أنه قد خضع لعملية توسيع ليكون مقر إقامة الكتيبة العسكرية التونگرية "IV. Coh. Tungrorum" بين نهاية فترة أنطونينوس وماركوس أورليوس لكن لا شيء يدل على أنه تحول إلى "Quadriburgium"، أو حصن حدودي، ولا شك أن مساحة 90 م الجانبية لم تكن كافية لاستيعاب وحدة عسكرية وبالتالي قد يكون بني لأغراض أخرى في نهاية القرن الثالث الميلادي، هذه السنة التي شهدت إنهاء الأشغال في معسكر تمودا شمال المغرب.

M. Euzennat, *BCTH, 1963-64*, p. 140-141 ; R. Rebuffat, *Inscriptions militaires du génie du lieu d'Aïn Schkour et de Sidi Moussa Bou Fri*, *BAM*, 10, 1976, p. 151-160 ; *L'histoire de l'identification des sites urbains antiques du Maroc, Africa Romana*, Atti del XIII, Convegno di Studio, Djerba, 1998, p. 888-889 ; *L'implantation militaire romaine en Maurétanie Tingitane, Africa Romana*, Atti del IV, Convegno di Studio, Sassari, Décembre 1986, p. 38 ; J. Napoli, *A propos des quadriburgia, les espaces frontaliers dans l'histoire du Maroc*, Publications de l'Université de Mohammedia, n° 6, 1999, p. 27-65.

عبد العزيز بل الفايدة

عين عتيق، شكلت عين عتيق وقناتها ابتداء من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي المصدر الثاني للماء الشروب لمدينة رباط الفتح، إذ بقي صبيبها منتظما حتى سنة 1936. وفي بداية القرن العشرين، كانت بقايا القناة التي يصل طولها إلى حوالي 19 كلم ماثلة بمناطق متعددة بين السورين الموحدي والعلوي للجهة الجنوبية - الغربية لمدينة الرباط، وخاصة بالمنطقة المحاذية لباب القبيبات. ويذكر جاك كايي خلال الأربعينيات من القرن نفسه أن القناة المذكورة، التي مازالت أجزاء هامة منها قائمة بحي الأقواس وبمحاذاة المقبرة الأوربية بحي العكاري، كانت تتشكل انطلاقا من هذا الموضع - باب القبيبات - من سور تعلوه قناة مائية، مبني بالطابية وبعض الأحجار غير المنجورة، ويتجاوز ارتفاعه مترين ونصف، ثم يمتد على مسافة تزيد عن 800 متر قبل أن يتفرع عند حدود باب العلو على عدة فروع، يزود بعضها السقايات والحمامات والمساجد، في حين تختص ثلاث منها لتزويد دار الباشا ودار شرفاء وزان ودار مولاي الرشيد (جاك كايي، مدينة *الرباط*، ص. 541).

بنيت قناة عين عتيق والتي توجد بمنطقة تمارة من طرف السلطان سيدي محمد ابن عبد الله (1171 - 1194 / 1757 - 1780) حيث يروي الضعيف الرباطي أن من منجزاته إيصال الماء الجاري "لرباط الفتح من عين عتيك". وفي رواية أخرى، يؤكد الضعيف أنه "قي سنة ثمانية وثمانين ومائة وألف وصل الزرع سبعة أواق للمد وهو ابتداء الغلاء في الزرع والأسعار، وفيها أمر السلطان بإيصال الماء الجاري من عين أعتيك للرباط"، وقد استغرقت الأشغال أربع سنوات إذ لم يدخل الماء إلى المدينة إلا في سنة 1192 / 1778. في حين ذهب خالد الناصري، وعلى الرغم من كل التأكيدات التي وردت عند الضعيف، إلى أن تهييء العين وبناء القناة من أعمال السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان (1276 - 1290 / 1859 - 1873) مؤكدا أن هذا الأخير بنى "داره الكبرى بأجدال رباط الفتح، والسور الكبير المحيط ببسيطها، وجلب الماء بعد أن صير عليها أموالا كثيرة". ومهما يكن، فإن بناء القناة قد تم على الأرجح قبل هذا التاريخ، على عهد سيدي محمد ابن عبد الله، خاصة وأن هذا الأخير قد دشن منذ توليه الحكم عدة أوراش بالرباط وأمر في سنة 1182 / 1768 بقطع أشجار أجدال وبناء المنازل والمسجد والحمام والمدرسة والسوق وأنزل جيوشه بها. وقد أضحت عين عتيق المزود الرئيسي لأحياء المدينة في حين خصصت مياه عين غبولة لدار المخزن وملحقاته. وفي سنة 1330 / 1911 قامت السلطات بتعميم هذه الأخيرة قصد توفير الماء الصالح للشرب بينما تم الاعتماد على الأولى في الري والسقي وما والاهما.

الضعيف الرباطي، *تاريخ الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة العلوية السعيدة*، الدار البيضاء، 1988 ؛ أحمد خالد الناصري، *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، الجزء الثامن، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، الرباط، 2001.

J. Caillé, *La ville de Rabat jusqu'au protectorat français. Histoire et archéologie*, Tome 1, éditions Vanoest, Paris, 1949.

أحمد صالح الطاهري

عين علي مومن، تتحكم في أسماء الأماكن بالمغرب قاعدة معروفة وهي أن معظمها من أصل أمازيغي، ونشدد على كلمة أصل لأن الكثير من هذه الأسماء طوع ليتلاءم مع النطق العربي الفصيح والدارج، ونجد اليوم بعض هذه الأسماء مركباً من كلمتين عربية وأمازيغية مثل "عين غبولة" و"وادي زم" و"قاع اسراس" وغيرها كثير، وبعضها الآخر عربي الأصل مثل المدن التي تحمل أسماء أشخاص كسيدي سليمان وعلال التازي وابن أحمد وبرشيد وغيرها ومنها ما يحمل أسماء النباتات والحيوانات مثل النخيلة، وعين الحلوف، ووطات الحاج... ومن شأن علم الطوبونيميا أن يغني التاريخ ويكشف عن مراحل التعمير والهجرة، ومن الأماكن المنسوبة إلى الأشخاص ينابيع المياه والآبار مثل عين علون وعيون اللصادى في فاس وعين بندغل في إقليم ابن سليمان وغيرها كثير.

أطنبت المصادر في ذكر أسباب تسمية بعض الينابيع والبحيرات واختلط في ذلك الواقع والأساطير لينسج حكايات شيقة أحيانا يمكن من خلال تتبعها الخروج بتصور عن الحياة الثقافية والاجتماعية للفترات التاريخية التي ظهرت فيها مثال ذلك "عين أسردون" و"بحيرة إميلشيل".

من الينابيع المنسوبة إلى أشخاص عين علي مومن، وهواسم مكان ارتبط بنبع ماء وشخصية تاريخية، يقع المكان جنوب شرق مدينة سطات، وتعود شهرته إلى عهد الحماية الفرنسية على المغرب، فقد حول المستعمر هذا المكان المتوفر على تربة خصبة (التيرس) وماء دافق، إلى سجن فلاحي خدمة للسياسة الاستعمارية الهادفة إلى استغلال ثروات البلاد وجهد أبنائها. ومن مرامي هذه السياسة توفير يد عاملة مجانا مكونة من السجناء ومدربة للعمل في ضيعات المعمرين ومزارعهم، وقد عملت فرنسا على تغطية سائر التراب الوطني بهذا النوع من السجون نذكر منها على سبيل المثال فقط سجن العدير بدكالة وسجن بير قاسم بالرباط وسجن تيط مليل بالدار البيضاء (وقد حول السجنان الأخيران إلى مركبات ترفيهية تابعة لوزارة العدل).

أما سجن عين علي مومن فأصبح سجنا إقليميا وذاع صيته حتى خارج إقليم سطات لما يلقاه السجناء من معاملة سيئة ولما يكابده ذووهم من معاناة لزيارتهم، أما العين فلم يبق لها وجود بعد توالي سنوات الجفاف وكانت مياهها تستغل في ري الحقول والمزارع التي كان السجناء يجبرون على العمل فيها، فبقي الاسم يذكر بها وبالشخص المنسوبة إليه علي مومن.

كان علي مومن من أكبر شيوخ الشاوية وزعمائها في التاريخ الحديث خاصة خلال الاحتلال البرتغالي لساحل دكالة ومحاولاته المتكررة لإخضاع القبائل المجاورة لمدينة الجديدة وأزمور ومنها كذلك غاراته المتكررة على قبائل الشاوية ؛ وقد برز علي مومن كزعيم ومقاوم للأطماع البرتغالية في الشاوية بل ومجاهد ضد الوجود البرتغالي في المغرب، لقد شارك بأتباعه وعائلته في عدة معارك وبلي البلاء الحسن في إحداها، وكانت بضواحي مدينة سلا في شهر نونبر 1522 ؛ أما العلاقة ما بين علي مومن والعين فلاشك أنها تعود إلى الفترة المؤرخة، فالعين كانت ضمن مجال قبيلة أولاد سعيد - ومازالت - وهي من أكبر قبائل الشاوية وكان مجالها أوسع مما هو الآن إذ ضم في العصر الحديث معظم الشاوية الجنوبية على امتداد الضفة اليمنى لنهر أم الربيع وجاور في حدوده الشمالية قبيلة زناتة البربرية والشخص كان شيخا للقبيلة وزعيمها. وقد يكون المكان مقرا له ومضرباً لخيامه ومركز نشاطه الفلاحي. ولما ذهب الرجل وعقبه في الذاهبين وأكلتهم السنون بقي اسم المكان يذكر بتلك الأمجاد والبطولات. ولنا أن نتساءل عن التحول الذي عرفه المكان، إذ أصبح سجنا للمغاربة في عهد الاستعمار الفرنسي للمغرب بعد أن كان مركز قيادة ومقاومة للاستعمار البرتغالي الذي أفشلت محاولاته للتوسع ليس في بلاد الشاوية فحسب ولكن في كل المناطق الساحلية الواقعة شمال نهر أم الربيع، هل اختيار المستعمر الفرنسي للمكان كان بمحض الصدفة ؟ أم أن الاستعمار هو الاستعمار وإن اختلفت أسماؤه وتباعد زمانه ؟ فأول ما قام به بعد إخضاع البلاد لسلطته العسكرية والمدنية هو ضرب الرموز والإشارات التي تذكر بالهوية قصد طمسها وإذلال الشعب ليصبح سهل الانقياد.

ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ الجزنائي، جني زهرة *الآس*، الرباط، 1967 ؛ الخارطة الطبوغرافية : ورقة سطات، نشر وزارة الفلاحة ؛ مجلة البحث العلمي، العدد 27 : "في أن أسماء" شفيق ؛ أحمد بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي*، الدار البيضاء، 1984 ؛ حليمة بنكرعي، *العنصر العربي والمجال في مغرب*، الرباط، 2000 ؛ عبد الوهاب بن منصور، *قبائل المغرب*، ج. 1، المطبعة الملكية، الرباط.

De Sousa, *Les Portugais et l'Afrique du Nord*, traduc. Ricard, Paris, 1940.

محمد حجاج الطويل

عين العودة، يقع مركز بلدية عين العودة عند الهوامش الشمالية لهضاب زعير السفلى الغربية أو المسيطا الساحلية، حيث يشكل مركزا ضاحويا جنوبيا لعاصمة المغرب الرباط على بعد 29 كلم، وهو بذلك ينتمي إلى جهة الرباط - سلا - زمور - زعير. تحد هذا المركز شمالا الجماعة القروية المنزه وغربا جماعة سيدي يحيى زعير وشرقا وجنوبا جماعة أم عزة. وحيث يحتل بمساحة تبلغ 20 كلم^2 مجالا هضبيا يغلب على سطحه التجانس، بارتفاع لا يزيد عن 250م. مرفلوجيا، يحتل مركز عين العودة مجالا انتقاليا، إذ يوجد عند النهاية الشمالية لسطح تحاتي متعدد الأصول والمراحل، يقطع التضاريس المتشكلة في صخور متحولة : شيستية فليشية في معظمها، وذلك في بنيات التوائية هرسينية مبتورة ضمن مجال الدرج الأسفل من الهضبة الوسطى، ارتبط بناؤها بحركات بنائية انطلقت خلال الديفوني وانتهت في العصر البيرمي. كما يمثل موقع عين

العودة أيضا البداية الجنوبية لحوض سهل الغرب التهدلي، المتمثل في الهضاب الساحلية، المتشكلة في الصخور اللوماشيلية البحرية والحثية الكثيبية المنتمية للحقبة البليورباعية. الشيء الذي نجم عنه التعمق الكبير لوديان الأنهار المجاورة، ومن ثم تشكيل تضاريس هضبية، تصبح أكثر تقطعا جنوب المركز.

يتميز مناخ هذا المركز بالجفاف والاعتدال صيفا، إذ يتراوح معدل حرارته ما بين 26°و35°، مقابل فصل شتاء دافئ، تتأرجح حرارته ما بين 7° و22° وممطر، مع تساقطات يبلغ معدلها في السنوات العادية 500 مم.

يرتبط المركز إداريا منذ أن كان يشكل جماعة قروية بعمالة الصخيرات - تمارة التي أنشئت سنة 1983، والتي تضم إلى جانبه بلدية الصخيرات الساحلية وبلدية تمارة المكونة من أربع دوائر وخمس جماعات قروية ممثلة في : عين عتيق، مرس الخير، المنزه، أم عزة، إلى جانب جماعة عين العودة.

وعلى الرغم من ارتباط هذه الجماعة ببلدية تمارة وعمالة تمارة - الصخيرات، فإنها ترتبط قبائليا ببلاد زعير، التي تضم ثاني جماعات قروية هي : سيدي يحيى زعير، حد الرباشوة، مولاي إدريس أغبال، مرشوش، عين السبيت، لغوالم وازحيليكة إضافة إلى عين العودة. إلا أن التقسيم الإداري الذي طبق قبيل الانتخابات الجماعية لسنة 1992، جعل مركز عين العودة يرقى إلى جماعة حضرية، تدخل ضمن نطاقها الإداري جماعتان قرويتان هما : المنزه وأم عزة، وذلك ضمن مجال قبيلتي أولاد ميمون وأولاد كثير.

اقترنت نشأة هذا المركز بدخول الاستعمار الفرنسي، خصوصا الفلاحي إلى هضاب زعير سنة (1928)، حيث بادر إلى الاستحواذ على الأراضي الفلاحية وتقنين استغلال المجال الغابوي المجاور للرباط، التي كان الجينرال ليوطي قد اختارها لتكون مركزا للقيادة العسكرية الاستعمارية وعاصمة سياسية وإدارية جديدة للمغرب عوض فاس، وذلك على إثر تحول محور النشاط الاقتصادي للبلاد نحو الساحل الأطلنتي، موضع تقع فيه مدينة الرباط عند ملتقى شبكة الطرق، التي شرع في تشييدها منذ ذلك الوقت والمؤدية منها صوب شمال وشرق وجنوب المغرب. الشيء الذي دفع بالقبائل الهامشية المقيمة جنوب الرباط، خصوصا قبائل زعير السفلى إلى الاستقرار والارتباط بالأراضي الزراعية بدل حياة الرعي والترحال، التي اقترنت بصراعهم الدائم مع المخزن والاستعمار الفرنسي، مما أدى إلى تكسير النظام الرعوي القديم، وبالتالي تفكيك أسس النظام القبلي.

ولتأمين استقرار الاستعمار بالمجال والاستيلاء على الأراضي الزراعية لقبائل زعير، عمدت سلطته إلى خلق مركز عين العودة لتسهيل عملية الاحتواء، وقد ضمنته مجموعة من التجهيزات والمرافق الخدماتية من طرق وسوق أسبوعي ومدرسة ومستوصف إلى جانب ثكنات عسكرية، بهدف تأمين المركز من هجمات القبائل المتمردة واستقطاب المزيد من المطرودين منهم، لاستخدامهم كيد عاملة في ضيعات المعمرين الفلاحية المستحدثة. وتلك عوامل جعلت المركز يستقبل دفعات هجروية قوية ومتتالية من سكان تلك القبائل، للاستقرار به والاستفادة من خدماته، التي لم يعتدها السكان المحليون من قبل. وقد ترتب عن ذلك حدوث تزايد في ديمغرافية المركز، ابتدأ بـ 176 معمرا فرنسيا و105 قروي أي بما مجموعه 281 نسمة سنة 1936، لينتقل سنة 1960 إلى 3.247 نسمة. وقد تمخض عن ذلك إرغام السكان المحليين على الاستقرار، ضمن أشكال سكنية عوضت الخيمة بالتدريج، لكنها ظلت قروية، تمثلت في النوالة والأكواخ المبنية بالطين والحجارة.

بحلول فجر الاستقلال، وبعد حدوث تراجع في ساكنة مركز عين العودة خلال الفترة البيإحصائية لسنتي 1960 - 1971، نشطت حركات الهجرة من المجالات الريفية المجاورة على الخصوص، ليعرف مركز عين العودة استقطابا متزايدا لسكان المهاجرين، الذين اتخذوه محطة انتقالية، تؤهلهم لدخول العاصمة بصفة نهائية ولا سيما قبل ارتقاء عين العودة إلى مرتبة بلدية، استقطاب قفزت بفضله ساكنة المركز بنسبة 60٪ فيما بين الفترات الإحصائية الثلاث (انظر الجدول أسفله).

تطور عدد سكان عين العودة

إحصائيات	1971	1982	1994
عين العودة	8.229	12.284	13.708

وذلك بوتيرة تزايد سنوي فاق 5٪، مما أدى إلى ارتفاع كثافة سكان عين العودة بأكثر من 300 ن / هـ. وقد ترتب عن هذه الطفرة الديموغرافية، تطور ظاهرة أحياء السكن غير اللائق، الذي عم في البداية معظم أرجاء المركز. ساهمت في هذه الظاهرة، الهجرة القروية إلى مركز عين العودة، التي اتسمت بالتزايد من 55,72٪ سنة 1982 إلى 70,75٪ سنة 1994. بل إن عين العودة تمكنت من جذب ما بين 44,27٪ و30٪ من السكان الحضريين خلال نفس الفترة، وذلك راجع لعدة أسباب نجملها في ترقية عين العودة إلى درجة بلدية، وقربها من العاصمة، وتوفرها على الخدمات الأساسية العامة للسكان، وابتعادها عن ضوضاء ومشاكل العاصمة المرتبطة بارتفاع تكلفة المعيشة، وغلاء اقتناء بقع التجزئات السكنية بعكس بلدية عين العودة الشيء الذي يفسر توافد 56٪ من السكان المهاجرين ما بين 1994 و2002، في حين لم تتجاوز نسبتهم 1٪ خلال سنة 1960.

هذا، وبتطبيق مشروع التقسيم الإداري لسنة 1992، عرفت بلدية عين العودة تغيرات شبه جذرية في نسيجها العمراني، على إثر ارتقائها من جماعة قروية إلى جماعة حضرية، أهلتها لتسيير جماعتي المنزه وأم عزة القرويتين،

ولتضم بذلك منذ سنة 1994، 12٪ من مجموع سكان عمالة تمارة - الصخيرات.

تتميز جماعة عين العودة بأهمية فئة الشباب على ساكنتها، التي بلغت نسبتها 56٪ سنة 1994، مقابل تطور سكني يتسم بوجود نوع من التساوي بين الجنسين.

ترجع نزعة ارتقاء نسبة الإناث ابتداء من سنة 1982 إلى هجرة الذكور بحثا عن العمل خارج عين العودة، لكن ارتفاع معدل الذكور منذ سنة 1994 يفسر بتوافد عدد من الموظفين إلى الجماعة التي تمت ترقيتها إلى بلدية، مقابل انجذاب الفتيات نحو العاصمة من أجل العمل في أحيائها الصناعية أو العمل كخادمات في البيوت.

التحول الوظيفي لبلدية عين العودة

السكان المشتغلون بالفلاحة	6,66
عمال غير فلاحيين	35,33
التجار والباعة المتجولون	11,33
الخدمات والحرف التقليدية	21,33
الموظفون	24,66

بحث ميداني 2002

تضم بلدية عين العودة حاليا، باشوية ومركزا صحيا، ومركزا للمساعدة، إلى جانب مدرسة وإعدادية، وقيسارية تضم 14 متجرا. بل إن هذه البلدية، أضحت تشكل بفضل بنيتها السوسيو - اقتصادية المتطورة، مركزا حضريا تابعا للعاصمة، مؤهلا للخدمات الطرقية، التي يقدمها 84 محلا، تتركز على جنبات الطريق الرئيسية رقم 22، التي تربط مدينتي الرباط وبني ملال، وكذا بالقرب من السوق الأسبوعية التي تعقد صبح كل يوم إثنين وسط البلدية. سيتم دعم هذا النشاط في السنوات المقبلة تبعا لتصميم تهيئة مازال ينتظر المصادقة عليه، ليتم بفضله إنشاء حي صناعي من الدرجة الثالثة، بهدف خلق شروط الاستقرار بالبلدية وتخفيف الضغط على العاصمة في الشمال. وهذا ما يتبين من خلال التحول الوظيفي لعين العودة بعدما أصبحت بلدية، والذي يكشف عنه بالملموس، الجدول أعلاه.

لذلك أخذ النسيج العمراني لمدينة عين العودة يتغير نحو الأفضل، من خلال انتشار السكن الاقتصادي، المكون من منازل من طابق إلى ثلاث طوابق، تتراوح مساحاتها ما بين 80 م^2 و140 م^2، والذي يحتل 80٪ من مجموع المجال المبني. يليه السكن العشوائي أو السكن غير اللائق المتركز بحي النصر، يضاف إليه سكن الصفيح الذي بدأ يتراجع بوضوح في السنوات الأخيرة، والمتمثل في دوار العوامر. كما بدأت تعرف بلدية عين العودة ظهور سكن الدارات (الفيلات)، الذي استقر بداخل النواة القديمة للبلدية، ولاسيما قرب مقرن الطريقين الرئيسية والثانوية، إضافة إلى مجموعة فيلات دكالة وفيلات حي الشراكة التي عوضت مواقع سكن الصفيح، وهذا ما يعني في النهاية تحول بلدية عين العودة حاليا إلى مركز جاذب لسكان مدينة الرباط على الخصوص، لتصبح بذلك حاضرة ضاحوية تابعة لها، الشيء الذي يعززه ارتباطها اليومي بواسطة حافلات النقل الحضري الجماعي بمركز عاصمة المغرب الرباط.

ألبير عياش، *المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية*. سلسلة المعارف الممارسة، الطبعة الأولى، 1985 ؛ محمد الطيلسان، *هضاب زعير السفلى وساحلها. التكونات السطحية وتطور الوسط الطبيعي منذ النيوجين*. أطروحة دكتوراه الدولة في الجغرافيا الطبيعية، جامعة محمد الخامس، 1999 ؛ محمد بن عمر بن سودة المري، *قبيلة زعير قديما وحديثا*، الجزء الأول، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1977 ؛ *منوغرافية بلدية عين العودة الاقتصادية وأفجتماعية لسنة 1999*.

P. Aubert, *Le pays des Zaers, Bulletin économique et social du Maroc*, 1960 - 1961 ; M. Belfquih et A. Fadloullah, *Mécanismes et formes de croissance urbaine au Maroc "cas de l'agglomération de Rabat - Salé"*, 1994 ; A. Fadloullah et M. Belfquih, *Colonisation rurale et espace agricole dans l'arrière-pays de Rabat-Salé, R.G.M.*, n° 2, p. 95 - 116, 1978 ; J. F. Troin, *Maroc : région, pays, territoire*. Maisonneuve & Larose, Tarik, Urbama. UMr 6592 CNRS-Université de Tours, 2002.

محمد الطيلسان وعائشة الخميري

عين غبولة، تقع عين غبولة على بعد 17 كلم جنوب - غرب مدينة الرباط، قرب سوق الأربعاء، وشكلت بفضل قناتها - لما يزيد عن ثمانية قرون - المصدر الأساسي للماء الصالح للشرب لساكنة قصبة الأوداية ورباط الفتح، بسبب افتقار هاتين الأخيرتين إلى "الماء الجيد" وملوحة آبارهما ودخول مياه البحر إلى نهر أبي رقراق "إلى مسافة اثني عشر ميلا فيه". وفي شهر فبراير من سنة 1922، تم خلال عمليات للحفر والتجهيز الكشف عن بعض بقايا هذه القناة المائية قرب باب شالة في اتجاه المسجد الكبير وقصبة الأوداية عبر السويقة. وقد خلص البحث الذي أجراه هنري باسي إلى أن هذه البنيات هي جزء من قناة عين غبولة التي تخترق أحياء الرياض والسويسي وأگدال، وتصل إلى باب زعير عبر باب المصلى لتوفر الماء لمختلف أحياء المدينة والقصبة. ومن خلال معاينة الأجزاء المتبقية بالجهة الجنوبية الغربية لمدينة الرباط وخاصة تلك الموجودة بحي الرياض، يتبين أن القناة، رغم كل الترميمات التي خضعت لها، مازالت تحتفظ بطابعها الأصيل، حيث يلاحظ أنها بنيت بالتراب المدكوك الغني بالجير فوق سور متين تقويه بعض الدعامات ويصل ارتفاع بعض أجزائه المكشوفة إلى 1,30 م وعرضه إلى 0,59 م. وخلال حفريات تجهيز ثانية سنة 1999، تم الكشف عن بقايا قناة متوسطة المقاييس بمحاذاة قاعدة السور الموحدي، بين باب المصلى وباب زعير، مبنية على الطريقة التقليدية بواسطة "قواديس خزفية"، لكن أشغال الحفر والتجهيز التي دمرت أغلب أجزائها وأدت إلى اندراس معالمها حالت دون تحديد خاصياتها وتتبع مسار تفرعاتها.

أوردت المصادر التاريخية روايات عديدة حول ظروف تهييء عين غبولة وإنشاء قناتها. فمباشرة بعد "الاعتراف"، خرج الخليفة عبد المومن إلى مدينة سلا وأمر "ببناء قصبة حصينة في ذلك الموضع على فم البحر الداخل إلى سلا، وأقام بمحلاته المؤدية إلى عين غبولة، والفعلة معه والمهندسون، فأجروا لها الماء من عين غبولة المذكورة في سرب تحت الأرض حتى قصبة المهدية المذكورة. ودام اشتغال الأمر بذلك شهورا وهو مقيم بعسكره حتى وصل الماء المذكور إليها، فصنع له سقاية لشرب الناس والخيل وسقي الأرض حواليها، فصارت فيها البحائر والجنات والمغروسات". ويؤكد البيدق أن الخليفة مكث واقفا على المشروع "خمسة أشهر" قبل أن يقلع من مدينة سلا في اتجاه بجاية ويترك أمر إتمامه إلى عبد الحق بن إبراهيم بن جامع. ويظهر من خلال روايته أن ماء عين غبولة أجري في نفس الوقت إلى مدينة سلا، وهو الأمر نفسه الذي ذهب إليه ابن أبي زرع الذي يروي أن أمير المؤمنين عبد المومن قد "دخل إلى حاضرة سلا وأمر بالأشغال اللازمة لجلب مياه عين غبولة إليها عبر رباط الفتح". من جهة أخرى، يقول صاحب كتاب *الاستبصار* إن أبا يعقوب يوسف أمر، أثناء وقوفه على بناء أسوار مدينة رباط الفتح، بجمع المياه في صهريج داخل القصبة وتوزيعها على السقايات والقصر - قصر عبد المومن - والمسجد - المسجد العتيق - والحمامات. ولحماية العين ودفع أي هجوم عنها أمر الموحدون ببناء قلعة محصنة مازالت أطلالها تعرف بالدشيرة، وهي عبارة عن مركب معماري عسكري يصل طوله إلى 268,50 متر وعرضه إلى 145 متر، يضم مسجدا وبنايات ومطامير وأفران....

لكن يبدو أن القناة تعرضت للخراب ودمرت بعض أقواسها بسبب الحروب والصراعات التي دارت بين الموحدين وبني مرين خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي / النصف الأول من القرن السابع الهجري، فانعكس ذلك على مدينة الرباط وقصبتها وربما كان ذلك سببا في هجرهما إذ لم يجر ماء عين غبولة من جديد إلى على عهد السلطان أبي يوسف يعقوب الذي أوكل سنة 683 / 1283 - 1284 إلى المهندس بلحاج بإصلاح القناة وإعادة ربط فروعها بمختلف مكونات المدينة . ورغم بناء قناة ثانية على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله لتربط عين عتيق بالمدينة، فإن عين غبولة بقيت، بفضل انتظام صبيبها وعذوبة مياهها، المزود الرئيسي للرباط بالماء الشروب حتى بداية القرن العشرين حيث بدأ، نظرا لارتفاع عدد القاطنين بحاضرتي مصب النهر، التفكير في بناء سد سيدي محمد بن عبد الله على وادي أبي رقراق واستغلال الفرشات المائية للفوارات، لتوفير الحاجيات المتزايدة من الماء الشروب لساكنة العدوتين وضواحيهما.

ع. الملك ابن صاحب الصلاة، *تاريخ المن بالإمامة*، تح. ع. الهادي التازي، بيروت، 1964 ؛ ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، تح. أ. بومي، مطبعة الباب، الرباط، 1999 ؛ البيدق، *أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين*، دار المنصور، الرباط، 1971 ؛ مجهول، *كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار*، تح. سعد زغلول، الرباط، 1985 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الجزء الأول، تح. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1980 ؛ مارمول كاربخال، *إفريقيا*، الجمعية المغربية للنشر، دار نشر المعرفة، الرباط، 1984.

J. Caillé, *La ville de Rabat jusqu'au protectorat français. Histoire et archéologie*, Tome I, éditions Vanoest, Paris, 1949 ; H. Basset, *Un aqueduc almohade à Rabat. Revue africaine*, vol. 64, 1923, p. 523 - 528 ; R. Thouvenot, Une *forteresse almohade près de Dchîra, Hespéris*, T. XVII, 1933, p. 59 - 88.

عين قرواش، موقع أثري على الضفة اليمنى لوادي ورغة (قيادة خنيشات، دائرة حد كرت)، على بعد حوالي 50 كلم جنوب - شرق مدينة وزان وبعض كلمترات شمال مدينة جرف الملحة و60 كلم شمال شرق مدينة فاس. اكتشف الموقع سنة 1976 أثناء عمليات حفر وبناء قنوات مائية من سكان دوار المعاريف ودوار عين قرواش، حيث كشفت الأشغال عن بعض البنيات المعمارية والزخرفية، تبرز في غالبيتها تميز الموقع وتوفره على بنيات أثرية وجمالية تذكر بتلك التي توجد بالمدن العتيقة مثل فاس ومراكش ومكناس وسلا وغيرها.

وفي نفس السنة، أجرت بعثة أثرية مسحا سطحيا للموقع شمل قريتي المعاريف وعين قرواش وحفريات إنقاذ، قبل أن تعود بعثة ثانية، سنة 1977، للقيام بمسح مغناطيسي وكهربائي، أظهرت نتائجه الأولوية مكانة الموقع ومؤهلاته الأثرية، وسمحت في نفس الوقت بتوطين ثلاثة أفران لصناعة الفخار. وفي سنتي 1981 و1991 نظمت حفريات أثرية تكميلية قصد التأكد من معطيات المسح الجوفيزيائي، فكان من أبرز نتائجها الكشف عن مركب معماري متناسق البنيات، مكون من بناية مستطيلة الشكل (5,35 x 4,90)، تغطي أرضيتها زخارف من الزليج متعدد الألوان، ويتوسطها صحن تزينه نافورة مستديرة الشكل. وقد سمحت كل هذه اللقى من خلال ترتيبها وعمارتها وجماليتها، بفضل دراسة مقارنة، من وضعها في إطار كرونولوجي تقريبي يعود إلى العصر الوسيط وبالتحديد إلى الفترة المرينية.

ويبدو من خلال المصادر التاريخية أن عين قرواش تحتل موقع أول روضة مرينية، حيث ورد عند ابن أبي زرع وابن خلدون والناصري أن قبائل رياح العربية التي استوطنت ناحية الغرب قد ساندت أبا دبوس الموحدي وثارت ضد بني مرين، فالتقى الجيشان سنة 614 / 1215 في معركة "قرب وادي سبو، على بعد بضعة أميال من تافرطاست" انتهت بمقتل عبد الحق بن محيو بن أبي حمامة، وابنه إدريس. وفي سنة 684 / 1284 - 1285 قام أبو يعقوب ببناء زاوية تافرطاست فوق قبر الأمير أبي محمد عبد الحق ووقف عليها أربعين زوجا من البقر. ويؤكد ابن خلدون أن أبا يوسف

يعقوب أوعز لابنه أبي يعقوب يوسف "بالبناء على قبر أبيه عبد الحق وابنه إدريس بتافرطاست، فاختط هنالك رباطا، وبنى على قبورهم أسنمة من الرخام، ونقشها بالكتاب، ورتب عليها قراء لتلاوة القرآن...". ومن المحتمل أن هذه الروضة قد بدأت تفقد أهميتها خلال العهد المريني بسبب الحروب التي شهدتها المنطقة بين القبائل العربية وبني مرين، والتي لم تنته إلا على عهد السلطان أبي ثابت الذي أغار سنة 707 / 1308 على قبائل رياح فقتل منهم خلقا، وكذا بناء النواة الأولى لمقبرة شالة سنة 684 / 1284 - 1285 وجعلها روضة خاصة بالأسرة المرينية وأعيانها، بعيدا عن الغرب، بؤرة الصراعات والفوضى السياسية والاجتماعية.

وذكر الحسن الوزان في بداية القرن السادس عشر أن يوسف ثاني ملوك بني مرين قد بنى "الزاوية [وهي] بلدة صغيرة على بعد أربعة وعشرين ميلا من فاس، وأسس بها زاوية كبرى أوصى أن يدفن فيها، لكن القدر لم يشأ ذلك، فقد قتل أمام أسوار تلمسان أثناء حصاره لها، وانهارت الزاوية منذ ذلك الحين وتهدمت، ولم يبق قائما بها غير جدران الزاوية، ويحرث أرضها أعراب تكاد زراعتهم تصل إلى أرض فاس". أما مارمول كاربخال فقد سماها جمعة القرواش ووصفها بأنها مدينة صغيرة أسسها يعقوب المريني (657 - 685 / 1258 - 1286) على ضفة واد (وادي الركلة)، في سهل على الطريق الكبير المؤدي من فاس إلى العرائش، كانت غنية آهلة بالسكان في حياة هذا الأمير ومن خلفه، دمرت أثناء حروب سعيد، ثم لم يعد تعميرها منذ ذلك العهد".

ع. الرحمان ابن خلدون، *كتاب العبر*، دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد السابع، 1992 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الجزء الأول، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1980 ؛ م. القادري، *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، الجزء الأول، الرباط، 1977 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، الجزء الثاني، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1984 ؛ خ. الناصري، *كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1959.

P. Cressier, *Prospection géophysique sur le site médiéval d'Aïn Kerouach*, dans *BAM*, 1981 - 82, p. 246 - 255 ; M. De Cardinal - Breton, *Ramassage de surface à Ayn Karuash : méthodes, résultats et perspectives*, dans *BAM*, 1985 - 1986, p. 339 - 343 ; J. Hassar-Benslimane, *Ayn Karuash : un nouveau site islamique dans le Gharb*. *BAM*, XII, 1979 - 80, p. 364 - 376 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc des origines à l'établissement du protectorat*, éd. Atlantide, Casablanca, 1954.

أحمد صالح الطاهري

عين الگطارة (محمية -) أنشئت سنة 1954 من طرف ما كان يدعى بالمجلس أو الهيأة المسؤولة عن الأغنام (Comité Bovin) على مساحة تقدر بـ 5520 هكتار، واقتطعت من أجود الأراضي الجماعية الرعوية لقبيلة أولاد خاوة، الواقعة على الضفة اليمنى لوادي ملوية، أي حوالي 20 كلم جنوب غرب مدينة ميسور، يحدها شرقاً واد حروش، وغرباً واد عش الغراب، وشمالاً الطريق المؤدية من ميسور إلى ويزغت، وجنوباً محمية عش الغراب. تحتوي هذه المحمية على نباتات مهمة تتألف من صنفين : الأصناف العطرية Aromatiques مثل الشيح والزعتر والنگد واخزامة وشندگورة، والتي تعد من النباتت الطبية أيضاً والأصناف الشجرية مثل الرتم والسدرة والعريش، إلى جانب أصناف أخرى كالجل والگريش، والگزاح، وگرن الكبش، والسحمة ...

تقسم المحمية إلى 4 أقسام : 1500 - 1400 - 1320 - 1300 وهي متخصصة في انتقاء وتحسين سلالة الأغنام، حيث بدأت هذه العملية الانتقائية منذ سنة 1974، أي بعد 16 سنة من الفترة المحروسة، وهكذا ففي الفترة الأولى أي ما بين 1974 - 1975 تم اقتناء 507 رأس من الإناث، و14 رأس من الذكور، وذلك من أجل دراسة وتتبع الخاصيات الأساسية لسلالة بني گيل المعروفة بهذه المناطق، وتتلخص هذه المواصفات في منا يلي :

- الرأس والجوانب منقطة بلون أسمر إلى أصفر . - صوفها غالباً أبيض. - قرونها من سلالة الميرينوس. - فخذها أكثر تطوراً. - ذيلها قصير نسبياً.

التحري الميداني.

محمد ازهار

عين لفريطسة، تقع ضمن المجال الترابي لجماعة لفريسطة، يحدها شرقا الطريق الوطنية رقم 15 الرابطة بين مدينتي جرسيف وأوطاط الحاج، وغربا كدية جلال العقاب، وشمالا واد سهيب علال، وجنوبا كراكير بوغردة. تتغذى هذه العين من فرشة مائية طليقة توجد في رصيص الميوسين الأعلى، كما تتغذى بكيفية باطنية من فرشة الحت الكالوفي. ويؤثر نظام هذه التغذية المزدوجة على التركيبة الكيماوية لمياه العين، إذ تغلب عليها سحنة كبريتية كلسية، بحكم آلية ذوبان مواد الكبريت الموجودة داخل الصخور الصلصالية الكالوفية. يتراوح معدل تعدن مياه العين ما بين 0,5 و3 غ / ل، في حين تتأرجح درجة حرارة مياهها ما بين 17°C و20°C، أما فيما يخص درجة حموضتها فهي قاعدية وتتراوح في المجمل ما بين 7,5 و8 (وحدة pH).

على مستوى نظام الملكية، تعد عين لفريطسة ملكا جماعيا، إذ تندرج مجاليا ضمن أراضي الجموع التابعة لدواري الشوارب وبنعيدات. يصل صبيبها إلى 6 ل / ث، وتقدر مساحة الأراضي المسقية التي يغطيها هذا الصبيب 4 هكتارات على وجه التقريب، موزعة على شكل أشرطة زراعية متفاوتة السعة والامتداد. وبحكم تعذر إمكانية توسيع المجال الزراعي المستغل في ظل غياب موارد مائية للعين، يكرس السكان المحليون المساحات المسقية، على محدوديتها، لأصناف محددة من الزراعات تتوزع حصرا بين زراعة الحبوب والفصة وغراسة أشجار الزيتون.

ونظرا لخصائصها الكيماوية والمعدنية من جهة، وارتفاع درجة حرارة مياهها على امتداد دورات فصول السنة من جهة ثانية، غدت عين لفريطسة منذ أن تم استصلاحها وبناء صهريج لتجميع المياه المتدفقة منها في العقود الماضية، عبارة عن "حامة" محلية يقصدها سكان القرى والدواوير المجاورة بهدف الاستحمام أو العلاج من بعض الأمراض سيما الجلدية منها على وجه الخصوص.

المركز الفلاحي لدائرة أوطاط الحاج ؛ تحريات ميدانية.

Ressources en eaux du Maroc, Editions du service géologique du Maroc, Rabat, 1971 ; Direction provincial de l'agriculture de, Boulmane, service de production agricole.

الفقيه الإدريسي

عين اللوح مركز حضري جبلي صغير يقع في منطقة إتصال بين مرتفعات الأطلس المتوسط والهضبي الغربي في الجنوب ومنخفض الهضبة الوسطى الواقع في الشمال عبر انبساط تيليوين، وهو موقع متميز بمؤهلات طبيعية متباينة ومتنوعة، تتمثل في غابات الفلين الأخضر والأرز الفسيحة والمسارح الرعوية فوق الأعالي ووفرة المياه والأراضي الصالحة للزراعة في المنخفضات. وقد شكل هذا الإطار الطبيعي المتباين في الماضي موطنا ملائما لنمط عيش قبيلة آيت عبدي المنحدرة من قبائل بني مگليد نصف الترحالية، والتي تقيم في المنطقة منذ القرن التاسع عشر بعد ما رحلت من بلاد ملوية العليا. ومثلت عين اللوح بالنسبة لهذه القبائل نقطة عبور، إثر تنقلاتها الفصلية عند صعودها نحو المراعي الجبلية الخضراء في الصيف أو الهبوط نحو منخفضات أداروش الدافئة في فصل الشتاء. ونتيجة لهذا الموقع الاستراتيجي الهام الذي يشغله مركز عين اللوح فقد كان له في الماضي دور عسكري أساسي بالمنطقة.

فبحكم كونه إحدى البوابات الرئيسية التي تربط مرتفعات الأطلس المتوسط بالمناطق الغربية للبلاد، فقد جعل منه السلطان المولى إسماعيل الذي حكم المغرب من 1672 إلى 1727 قصبة أقام بها جيوشه على غرار القصبات التي أقامها في الأطلس المتوسط مثل أزرو والحاجب وأگوراى وإتزر، قصد بسط نفوذ المخزن على هذه المناطق وإقرار السلم بها.

ومما يزيد من أهمية هذا الموضع، كونه يتمتع بغزارة مياه عذبة صافية حيث تكثر العيون المغذية لواد عين اللوح الذي يمر بوسط المدينة (عين أجعبو). وقد مكنت وفرة هذا المورد الثمين ومنذ الماضي البعيد، في جلب ساكنة متنوعة الأصول (شرفاء، آيت غريس وحراطين) واستقرارها به منذ ما قبل الاستعمار. فبالإضافة إلى هجرة العنصر الأمازيغي المتمثل في قبائل آيت عبدى السالفة الذكر، عرف مركز عين اللوح تقاطرا لعناصر صحراوية قادمة من تافيلالت، مكونة من زراعيين وحرفيين (في البناء أساسا) كانوا في الماضي البعيد يتوافدون على هذه المناطق كل موسم الصيف، قصد مد هذه القبائل الرعوية المتعودة على تربية الماشية والعيش تحت الخيام بمهارتهم في ميدان السقي والزراعة والبناء. ونذكر أن هذه الهجرة الفصلية غالبا ما كانت تنتهى باستقرارهم التام، وهو ما كان له الوقع العميق والآثار الواسعة في رسم وتشكيل المعالم العمرانية والثقافية لعين اللوح.

إن استقراء مشهد هذه المدينة الجبلية الصغيرة ليوحى للزائر على مدى التأثيرات الصحراوية المتمثلة في أنماط البيوتات وأساليب البناء وهي أنماط وأساليب دخيلة وغير موافقة للطابع الجبلي لمناخ المنطقة المتميز بتساقطات غزيرة قد تصل إلى 1600 مم في السنوات العادية، تكون مرتين على الأقل في الفترات الباردة على شكل ثلوج.

وعلى الرغم من أن المنطقة كانت تزخر بمؤهلات غابوية وفلاحية وسياحية هامة، بقي مركز عين اللوح على هامش التطور الذي عرفته جارتها آزرو خلال القرن العشرين والتي لا تبعد عنها إلا بما يقرب 20 كلم. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى كون عين اللوح لم تحتل وظيفيا المكانة المتميزة التي شغلتها أزرو داخل السلم الإداري الجهوي في فترة الاستعمار والتي جعل منها المركز الإداري والخدمى الرئيسي لتدعيم سياسته البربرية التقسيمية التي تجسد بتأسيسه للثانوية الفرانكو - بربرية بها سنة 1926.

فخصوصية هذا الموضع المعلق على مستوى 1500 - 1600 من العلو ووعورة شكله الطبغرافي حيث تطل عليه شرقا وغربا سفوح وعرة صعبة الاستيطان (جبل دادة حمو 1808 مو) وكذا وقوعه على هامش الطريق الرئيسية فاس - مراكش يمكن اعتبارهما من الأسباب التي أدت إلى عزلة عين اللوح وجعلها تخطو خطوات نمو بطيئة.

انكمشت عين اللوح على نفسها بالمقارنة مع جارتيها أزرو وإفران فالأرقام التي يحملها الجدول توضح أن مركز عين اللوح لم يسجل طيلة هذه العقود إلا تزايدا ضئيلا من حيث عدد ساكنته ومقارنة مع باقي المراكز يلاحظ أن مركز عين اللوح سجل أقل نسبة من التكاثر الدمغرافي سواء تعلق الأمر بمرحلة الاستعمار أو بمرحلة الإستقلال.

المراكز	1926	1936	1960	1971	1994
عين اللوح	1531	1261	3123	3403	5055
أزرو	1593	6729	14143	20756	40508
إفران	629	941	3260	6016	11209

فالبنيات الاقتصادية بقيت معتمدة على أنشطة ضعيفة وهشة. ولا زال جزء مهم من النشطين يشتغلون كعمال بالقطاع الأول المتمثل في الاستغلال الغابوي كقطع الخشب وصنع الفحم وجمع الأعشاب الطبية.

كما أن الزراعة وتربية الماشية تشكلان قطاع نشاط مازالت تعيش منه عدد من الأسر. فالزراعات الشجرية مثل

مغارس الخوخ والتفاح وأساسا الكوز (حب الملوك) بدأت تأخذ مكان زراعة الحبوب فوق منخفض توفست ألت وركادة، وهي زراعات سقوية وكثيفة تتطلب يداً عاملة وافرة استطاعت أن تفرض وجودها بعد عمليات استصلاح هذه الأراضي التي كانت مغطاة بأفرشة من حجر البزالت الذي استعمل بعد إقلاعه في تشييد سياجات الاستغلاليات.

أما داخل المدينة، فتوفر الحرف فرص شغل للرجال في البناء والنجارة والحدادة والخياطة وغيرها. وتشتغل بعض النساء في بيوتهن أو في إطار التعاونية الصغيرة الوحيدة الموجودة بالمركز في نسج القطيفات والحنابيل لبيعها في الأسواق الأسبوعية. وتمثل التجارة الغذائية وخدمات المطاعم أهم نشاط اقتصادي بارز بالمدينة تمركز بالأساس في ساحة علال الفاسي وشارع الحسن الثاني. غير أن ضعف المداخيل عامة وعدم استقرارها، لم يساعد على ازدهارها وإنعاش قطاعات تجارية أخرى مثل تجارة الملابس والتجهيزات المنزلية التي تبدو شبه منعدمة. ولقضاء حوائجهم يتوجه السكان إلى السوق الأسبوعي الذي يقام كل يوم الأربعاء بشمال المدينة أو إلى سوق أزرو (الدائم أو الأسبوعي).

تبقى الخدمات التعليمية التي تعززت بفتح، أول ثانوية بعين اللوح (أبو بكر الصديق) منذ أكتوبر 2001،، إضافة إلى وجود إعدادية وخمسة مدارس ابتدائية وكذا الخدمات الصحية والإدارية العمومية المصدر الوحيد لتوفير مداخيل مستقرة ومنتظمة محلية لدى السكان. ولولا موارد الهجرة الداخلية والخارجية لعرف هذا المركز ركودا تاما.

تبدو الآفاق الاقتصادية والاجتماعية غير مطمئنة. فغابات الفلين الأخضر والأرز التي شكلت مواردها المصدر المالي الرئيسي لمداخيل المدينة ولمدة عقود طويلة إذ جعلت منها أغنى الجماعات بالمغرب أصبحت اليوم مهددة بالانقراض بسبب الاستغلال الفاحش الذي تعرضت له في غياب أي اعتبار للبعد الاقتصادي والاجتماعي والبيئي لهذه الثروة الطبيعية الثمينة. كما أن المغارس الفاكهية المتزايدة وهي التي توفر فرص شغل مهمة تبدو هي الأخرى مهددة على المدى البعيد إذا لم نقل المدى المتوسط بنفاد المياه الجوفية نظراً للجفاف المستمر الناتج عن التغيرات المناخية الحديثة.

وتبقى المؤهلات السياحية أملا في تنشيط هذا المركز شريطة أن تكون إيكولوجية وأن لا تسرع بالتدهور البيئي للمنطقة.

أما الأشكال العمرانية فتتميز بمزيج من الأنماط والأساليب في الهندسة والبناء فالبيوتات التقليدية صحراوية الأصل. نجدها من حيث الأشكال واضحة المعالم. فالحيطان ترابية وسميكة، قليلة العلو، منفتحة على أبواب صغيرة مصنوعة من خشب الأرز، غالبا ما غرست على خلفها كرمة مظللة، تحدوها على الواجهتين نافذتان صغيرتان تحمل شبابيك حديدية. السطوح أفقية، تتوسطها "زنونة" صغيرة منبع الضوء والهواء الوحيد لوسط الدار، الذي غالبا ما يكون مظلما. تغطي هذه السطوح أفرشة من الشست المدكوك (أسكين). معظم البيوتات سفلية ولا تحمل طابقا علويا إلا إذا كانت ملكا لأعيان. وطابعها القروي لا يخلو من مرجعية فنية حضرية من حيث أساليب تزيين النوافذ والأبواب. وهذا النمط من السكن المبنى على طريقة "الركز" قد سار في طريق التدهور والتراجع بسبب تعميم استعمال مواد البناء المصنعة من إسمنت مسلح وآجر وقرميد وغيرها من المواد الدخيلة الأمر الذي أدخل تغييرات عميقة على الأشكال العمرانية. ففي حي بوفلا، وإغبولة، وتيزي وغيرها تراجع السكن التقليدي بما يقرب من أربعين في المائة، أما في الأحياء المجاورة لشارع الحسن الثاني فقد تقلص بما يقارب أزيد من ستين في المائة. ويبدو أن هذا السكن القديم تقطنه الفئات الاجتماعية الضعيفة من الساكنة والتي لا قدرة لها على تغيير وضعها السكنى، باعتبار أن هذا النوع من السكن أصبح لدى شرائح الساكنة لا يلائم خصوصية المناخ الجبلى للمنطقة وغير مساير لشروط حياة العصر. غير أن نظرة سلبية تجاه كل ما هو عتيق وتقليدي قد شاعت في جميع أوساط المجتمع المغربي ولم تستثن سكان عين اللوح. وانطلاقا من هذا المنظور فإن رمز الارتقاء اجتماعيا يبقى رهينا بتغيير نمط السكن. وليس الإرث الاستعماري غريبا عن هذه الرؤية. فمنشآته العمرانية الإدارية والسكنية ذات الأسلوب الأوربي المحض مازالت قائمة. فالبنايات ضخمة، نوافذها واسعة وشرفاتها مطلة على الواجهات وسطوحها مائلة مغطاة بالقرميد الأحمر، تبدو بارزة في المشاهد الحضرية لمدن الأطلس المتوسط وتأثيرها متواصل وعميق على المنجزات العمرانية لفترة الاستقلال.

إن عين اللوح الغارقة في الخضرة والظلال، والمنكمشة على نفسها قد أخرجتها الفضائيات التي غزت سطوحها وفضاءات الأنترنيت التي بدأت تكتسح دكاكينها من عزلتها ورمت بها في مهب كل التأثيرات. فلا مفر لشباب هذه المدينة الهادئة المعرض للفراغ والبطالة من الاستلاب الثقافي والفكري والحلم بالهجرة نحو جنة الثراء : أوربا.

A. Alaoui El Belghiti, *Urbanisation et domination du monde rural : l'exemple d'Azrou*, Thèse de doctorat du spécialité, Université de Toulouse le Mirail, déc. 1978 ; Gaston Beaudet, *Les Beni M'guild du nord, Revue de géographie du Maroc*, n° 15, 1968 ; *Population légale du Maroc, recensements : 1960, 1971, 1982, 1994*, Direction de la Statistique : *Enquête* sur le terrain, juin 2002.

عائشة البلغيثي العلوي

عين مازة، تقع عين مازة بتراب بني خيران، قرب الطريق الرئيسية رقم 22 الرابطة بين الرباط وبني ملال، عبر الرماني ووادزم. شكلت محطة أساسية لتوقف السلاطين في طريقهم بين فاس والرباط ومراكش، وخاصة عبر طريق زعير. فإليها تشد الرحال من خيمة بوخلالة أو المرس البيض من زعير ومنها تشد الرحال إلى صخرة الدجاجة أو سيدي محمد

لبصير ببلاد السماعلة. وأورد الضعيف الرباطي بأن السلطان "نهض من خيمة بوخلالة وسلك على طريق صعبة لم يمر عليها أحد من الملوك قبله، خرج على عين العتارس لأنه بات في مازة في الحجر المثقوب" وأورد مؤلف "مراحل رحلات السلطان مولاي الحسن" أثناء حديثه عن إحدى رحلات السلطان نحو مراكش، أنه رحل يوم الأربعاء 24 محرم 1308 / 1890 "من المرس البيض إلى مزا ومن مزا إلى صخرة الدجاجة". وأثناء توجهه من مراكش نحو فاس، اختار المولى عبد الحفيظ، الساعي إلى الإطاحة بأخيه المولى عبد العزيز، عين مازة كموقع استراتيجي، حيث رست حركته بها منذ أواخر 1908. ومنها شرع في إعطاء بعض الإشارة السياسية بالمنطقة، فعين قوادا جددا، وأمن لحركته الطريق نحو مكناس.

تحتل عين مازة موقعا حيويا في منخفض محمي بعدة تلال. واعتبرتها إدارة الحماية من النقط المائية المعول عليها بمنطقة بني خيران، فكانت مصدر سقي خمسة هكتارات وتروية ألف رأس من الماشية وتزويد أربعين خيمة بالماء الشروب. وبحكم قربها من منجم الحديد بآيت عمار، سعت الشركة المستغلة إلى الاستفادة من مائها، وخاصة في فترات الجفاف، وذلك بجر قناة باطنية نحو القرى المنجمية. وتطلب هذا الأمر صدور قرارين وزارين بتاريخ 13 دجنبر 1929، و18 أبريل 1939، متعلقين بشأن معاينة حقوق الماء في هذه العين. وتم الاتفاق بين إدارة الشركة والمستفيدين من مياه العين على كراء شهري، تستفيد بموجبه الشركة من 50٪ من صبيب العين، على أساس سبعين فرنكا للخدام الواحد، أي 750 ف للهكتار الواحد، أي بما مجموعه 1.750 ف لكل المستفيدين.

الجريدة الرسمية، عدد 894، 13 دجنبر 1929 ؛ عدد 1383، 28 أبريل 1939 ؛ أحمد المنصوري، *كبار العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر*، تح. محمد بن لحسن، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال، 1997 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الضعيف*، تحقيق وتعليق أحمد العماري، الرباط، 1986 ؛ مؤلف مجهول، *مراحل رحلات السلطان مولاي الحسن*، مخ.

صالح شگاگ

العيني، سعيد بن بهي الحمزاوي من أعيان قراء قبيلة آيت إخلف إلى جانب الحمزاوي سيدي مبارك إجيوي الخلفي، ينتسب سعيد هذا إلى موضع العين بتاگراگرا، كان صهر للقائد أحمد بن الشيخ همّو الخلفي، الذي سهر مدة حياته على تعمير مدرسة آيت بوبكر العتيقة، حيث قضى هذا المقرئ الصوفي حياته، وكان يشتغل على الدوام بتعليم الروايات والنوافل، فصار بعناية الله محترما لدى الجميع.

ولذلك اجتمع أعيان (إنفلاس) قبيلة آيت بوبكر الباعمرانية فحرروا هذا الفقيه المقرئ من جميع الكلف القبلية، وأنذرت بشدة كل من مسه بضر ولو من بعيد، وأن من خالف هذا التحرير، يعد ـ أرنبا = أوتيل ـ بهذا اللفظ، يتخطفه أهل الله والجميع. ولدى نسخة من نفس التحرير القبلي.

وفي سنة 1303 نال هذا الفقيه ظهير السلطان الحسن الأول عندما نزل بتيغزا عند القائد أحمد الخلفي، وورد فيه تزكية وتثبيت ما بيد مترجمنا هذا من التوقير والاحترام لانشغاله بالتعليم والتدريس والمشارطة في مدرسة آيت بوبكر الباعمرانية.

توفي سنة 1320.

الحسين الباعمراني جهادي

عيون أزفاط، اقتضت علاقات الجوار على امتداد الصحراء الأطلسية أن تنظم إقامة الفصائل المتحالفة إلى جوار بعضها البعض. تقيم أفراك هذه الفصائل على صغر حجمها بمجاورة بعضها البعض في إطار نظام للتحالفات تضبطه قوانين مراقبة المجال. في هذا الإطار يمكن تعريف المجموعات السكنية بالصحراء كوحدات منتظمة داخل نظام تعاقدي لمراقبة المجال. من هنا تندرج إقامة بعض فصائل قبيلة آزوافيط التكنية خلال فترة كانت تندمج فيها بأهم فصائل قبيلة إزركيين. فقد كان الأصل الزفاطي المشترك للقبيلتين داعيا لتمتين علاقات الترحال المشترك والحماية الدافعة لمفهوم الدفاع المشترك. كان مجال ترحال أزرگيين هو المحور الساحلي للساقية الحمراء غير بعيد عن مصب الوادي. أما حجم الحضور الفعلي لأزوافيط، فتعتبر تسمية عيون أزفاط في حد ذاتها دليلا على الامتداد الفعلي لأهل أزفاط بعين المكان. وهو بالضبط مّا سجله العقيد الإسباني Del Oro لدى مقدمه إلى هاته العيون سنة 1940. فقد استقر رأيه على اعتبار المكان مؤهلا لكي يصبح مقرا للبناء ولتشييد عاصمة إدارية للصحراء تحت المراقبة الفعلية للقوة الإسبانية بالساقية الحمراء. كتب في هذا الشأن تقريرا رفعه إلى الإدارة الإسبانية فنال من العناية ماجعل هذه النقطة تتحول تدريجيا إلى عاصمة إدارية هي مدينة العيون العاصمة الحالية لمنطقة الساقية الحمراء.

Angel Flores, *El Sahara español, ensayo de geografica fisica, humana*, Ediciones de la Alta Comisarie de Espana en Marruecos, 1946, 104-105.

مصطفى ناعمي

عيون أم الربيع، تقع عيون أم الربيع في الأطلس المتوسط الهضبي، تحد شمالا بمنخفض ويوان الترياسي وهضبة الحمام، وجنوبا بهضبتي أغبال وأجدير ومنخفض بوغيز (واد بوإدجي)، وشرقا بمقعر بكريت ـ ثمحضيت وغربا بنهر أم الربيع. وهي عبارة عن مجموعة من العيون، كان عددها يناهز في بداية القرن العشرين أربعين عينا، وتعتبر من أهم العيون الكارستية بالمغرب بصبيب يصل إلى حوالي 10م^3 / ث. وتنبثق عبر صخور دلوميتية لياسية عند جبل كدود، وهي عيون طافحة توافق انكسارا مهما شماليا

شرقيا جنوبيا غربيا، يفصل بين وحدتين هيدرجيولوجيتين مختلفتين :

- وحدة غربية، وهي وحدة أجدير وتصرفها عيون مالحة توجد عند مستوى ارتفاعي أعلى من مستوى عيون أم الربيع العذبة، الشيء الذي يزيد من أملاح عيون الضفة اليسرى لعيون أم الربيع (تسرب مياه مالحة عبر جلاميد دلوميتية وسفحيات)، في حين تبقى عيون الضفة اليمنى محتفظة بسحنتها البيكاربوناتية الكلسية.

- وحدة هيدرجيولوجية شرقية وهي وحدة عيون أم الربيع، وتعتبر أكثر الوحدات تعقيدا نظرا لوضعيتها الجيولوجية التي توافق عموما مقعر بكريت - ثمحضيت الذي يحتوي فرشة مائية حبيسة عميقة جدا عند المحور وطليقة عند الهوامش، قاعدتها طينية ملحية ترياسية وسقفها صلصالي طيني ينتمي لما بعد الدوميري (الشكل رقم 1). تتطور هذه الفرشة ضمن الصخور الكاربوناتية (دلومي اللياس الأسفل وكلس اللياس الأوسط) المتشققة ذات نظام جريان باطني كارستي.

تحد وحدة عيون أم الربيع :

- من الشمال بوحدتي أمكلا وإفران.

- من الشرق والجنوب الشرقي بالإنكسار الشمالي الأطلسي أو ما يسمى بانكسار ثيسدادين الذي يمتد من جبل إغود في الجنوب الشرقي (هضبة أجدير) إلى جبل مكسيس في الشمال الشرقي (جنوب شرق هضبة أمكلا).

- من الغرب والشمال الغربي بوحدة عين اللوح - الحمام.

- وأخيرا من الجنوب بوحدة أجدير.

واعتمادا على هذه الحدود فإن حوض عيون أم الربيع يمتد على مساحة تصل إلى 1563,6 كلم^2 تجمع بين حوضين نهريين هما : حوض نهر سبو (واد كيكو) في الشمال الشرقي وحوض نهر أم الربيع في الجنوب الغربي. لكن المعطيات الجيولوجية تبين أن هذا الحوض بأكمله لا يساهم في تغذية عيون أم الربيع بحيث يجب حذف المجال الذي تغطيه إرسابات ما بعد الدوميري وهو مجال تصل مساحته إلى 636 كلم^2 وتم تحديده اعتمادا على الأثقاب الموجودة داخل الحوض. فالحوض الفعلي لعيون أم الربيع إذن لا يشغل سوى 928 كلم^2، ويتميز بالخصائص التالية :

- على مستوى الارتفاع (الشكل رقم 2) : تشكل الفئة الارتفاعية التي تتعدى 1600 م 87,2٪ من المساحة الإجمالية للحوض، بينما لا تشغل الفئة التي تقل عن 1600 م سوى 12,8٪، ويساوي متوسط الارتفاع 1781,4 م في حين يساوي الوسيط 1780 م.

- على مستوى الغطاء النباتي : تغطي السهوب مساحة تصل إلى 61٪ من مجموع مساحة الحوض، بينما لا تمثل غابة البلوط الأخضر والأرز سوى 37,4٪.

- على مستوى الصخارة : تمتد الصخور النافذة على مجمل مساحة الحوض إذ تغطي 783 كلم^2 أي بنسبة 84,4٪ في حين لا تمثل الصخور شبه النافذة سوى 15,6٪ من مساحة الحوض الإجمالية.

أما المجالات الحبيسة فتشغل مساحة تصل إلى 349,8 كلم^2 أي بنسبة 37,7٪ من مساحة الحوض، وهي مساحة مهمة تساهم في تغذية الفرشة المائية الباطنية الحبيسة.

تتغذى هذه العيون من مياه الأمطار والثلوج التي تتساقط على حوض تغذيتها الذي يتلقى أكثر من 700 ملم في السنة، تتسرب منها كمية تناهز 254 ملم سنويا، بمعامل تسرب يصل إلى 33,6٪، الشيء الذي يجعلها تتوفر على موارد مائية مهمة ذات جودة كيماوية عالية، تصل إلى 235,6 مليون م^3 أي ما يعادل 7.5 م^3 / ث أو 8,05 ل / ث / كلم^2 كصبيب نوعي.

تتميز وحدة عيون أم الربيع من الناحية الهيدروديناميكية بنظام معقد وبمخزون مائي مهم إذ لا يتعدى معامل الشح بها 1.8×10^{-3}. وهي خصائص تجعل عيون أم الربيع تلعب دورا أساسيا في تغذية نهر أم الربيع وفي دوام صبيبه بحيث لا يعرف نظامه الهيدرلوجي فترات شح طويلة كالتي تعيشها أودية المجال المتوسطي، خاصة منها تلك التي لا تستفيد من الخزانات الكارستية. فصبيب الشح الأدنى لهذا النهر لا ينزل عن 6 م^3 / ث عند المحطة الهيدرلوجية لثغاط بخنيفرة (6,7 م^3 / ث في غشت وشتنبر 1995).

يحيى الخالقي، *الأنظمة الهيدرلوجية الكارستية للهضاب الجنوبية الغربية للأطلس المتوسط : دراسة هيدرلوجية وهيدروكيماوية (عين اللوح - الحمام - أجدير - عيون أم الربيع)*. بحث لنيل دكتوراه الدولة، بني ملال ؛ المعطيات الهيدرلوجية : وكالة الحوض المائي لأم الربيع، بني ملال.

A. Bentayeb et C. Leclerc, *Le causse moyen - atlastique. Ressources en eau du Maroc*, Tome 3, Domaines atlastique et sud - atlastique, Notes Serv. Géol. Maroc, n° 231, p. 37 - 66, Rabat, 1977 ; Y. El Khalki, *Etude hydrogéomorphologique du Haut Sebou : cas du synclinal de Skoura et de ses bordures*. Thèse de Doctorat Univ. Aix-Marseille II, 2 t., 239 p., Aix-en-Provence, 1990 , J. Loup, *L'Oum-er-Rbia : contribution à l'étude hydrologique d'un fleuve marocain*, Série Géol. Géog. Phys., 9, Rabat, 1960.

يحيى الخالقي

العيون - بوجدور - الساقية الحمراء (جهة)، تشكل جهة العيون - بوجدور القلب النابض للجهات الصحراوية المغربية، وذلك بسبب احتضانها لأنشطة اقتصادية مهمة تجمع بين الاستغلال المنجمي والبحري، وأيضا بسبب احتضانها لمدينة العيون التي تعتبر بحق أكبر تجمع بشري واقتصادي داخل التراب الصحراوي المغربي.

أحدثت جهة العيون - بوجدور على إثر التقسيم الجهوي الذي عرفه تراب المملكة المغربية سنة 1997، لتصبح أهم الجهات الثلاث التي تغطي المناطق الصحراوية المغربية. تحدها من الشمال - الشرقي جهة كلميم - اسمارة، ومن

الجنوب جهة واد الذهب ـ لگويرة، ومن الشرق الجمهورية الإسلامية الموريطانية، ومن الغرب والشمال ـ الغربي المحيط الأطلنتي. تشغل مساحتها حوالي 81.413 كل^2، وتمثل هذه المساحة حوالي 11,5٪ من مجموع التراب الوطني، وحوالي 23٪ من مجموع مساحة الجهات المغربية الصحراوية الواقعة جنوب الأطلس الصغير.

تتكون من إقليمين هما إقليم العيون وإقليم بوجدور ويشغلان على التوالي 46,3٪ و53,7٪ من مجموع مساحة الجهة، ويتشكل هذان الإقليمان من 3 دوائر، و10 جماعات قروية، و4 جماعات حضرية.

التقسيم الإداري لجهة العيون ـ بوجدور

الإقليم	الدائرة	الجماعة	المساحة (كلم2)
العيون	العيون	بوكراع الدشيرة فم الواد	14.900 3.270 3.982
	طرفاية	أخفنير الداورة الطاح الحكونية	3.700 2.850 3.883 5.000
	الجماعات الحضرية	العيون طرفاية المرسى	40 17 18
بوجدور	الجريفية	كلتة زمور جريفية لمسيد	20.350 17.500 5.858
	الجماعات الحضرية	بوجدور	45

يغلب على تضاريس جهة العيون ـ بوجدور الطابع الهضبي، ويعود ذلك إلى كون القاعدة القديمة المتمثلة في كتلة الرگيبات وغطائها الأولي قد تعرضت للتهدل على نطاق واسع، مما سمح بنشأة حوض رسوبي شاسع انطلق مع الطباشيري وتعرض لتطورات بنيوية هادئة خلال الزمنين الثالث والرابع جعلت تضاريس جهة العيون ـ بوجدور تنتظم على شكل أربع وحدات متباينة.

ـ هضبة گلتة زمور تمتد على مساحة محدودة، وتتخذ شكل مثلث يستقر عند أقصى الجنوب الشرقي من جهة العيون ـ بوجدور. تتشكل من نواة أصلية عبارة عن صخور من الگرانيت الهرسيني وهي جزء من كتلة الرگيبات، تغطيها تكوينات الزمن الأول على شكل شريط يتكون من منخفضات شستية طولية تفصل بينها أعراف كوارتزيتية وحثية ذات اتجاه شمالي ـ شرقي / جنوبي ـ غربي.

ـ حمادة الساقية الحمراء، عبارة عن شريط هضبي واسع يمتد بين الساحل وكتلة الرگيبات، يتراوح عرضه بين 80 و160 كلم، ينطلق شمالا من ساحل الطرفاية ـ طانطان ويمتد في اتجاه الجنوب نحو جهة العيون ـ بوجدور عند حمادة بير أنزران. وحسب مظاهر السطح يمكن تقسيم حمادة الساقية الحمراء إلى وحدتين متباينتين هما : حمادة واد الخط وحمادة لغرنات ـ الگعدة. تمثل الوحدة الأولى القسم الجنوبي من الشريط الهضبي المذكور، يتوافق سطحها مع صخور كاربوناتية تنتمي إلى الحوض الرسوبي الطباشيري ـ الإيوسيني. ويتميز هذا السطح بعدم التجانس بسبب تعمق نظام واد الخط الهيدروغرافي، أحد روافد واد الساقية الحمراء الرئيسية. وإذا كانت هذه الحمادة تنمحي وتختفي بشكل تدريجي في اتجاه الغرب تحت التكوينات الساحلية الحديثة، فإنها في اتجاه الشرق تنتهي بأجراف صخرية واضحة تشرف بواسطتها على هضبة گلتة زمور ؛ أما حمادة لغرنات ـ الگعدة فإنها تشغل حوالي ثلثي حمادة الساقية الحمراء، تتميز بتقطع شديد ألحقه واد الساقية الحمراء الأسفل وروافده بالمواد الرسوبية الميبلوسينية القارية التي تغطي تكوينات الحوض الطباشير ـ الإيوسيني.

ـ ساحل الساقية الحمراء، في اتجاه الغرب يختفي مظهر تضاريس الحمادات ليحل محله شريط ساحلي شديد التنوع من حيث تكويناته الصخرية وأشكاله التضاريسية.

عند القطاع الشمالي الواقع على الضفة اليسرى من واد الساقية الحمراء، تتكون التضاريس من هضبة ضيقة تطورت بداخلها سبخة الطاح المشهورة، ويغطيها عند هامشها الغربي شريط من الكثبان الرملية المتحركة. وتشرف هذه الهضبة بجرف بحري ميت جيد التشخيص على ولجة ساحلية حديثة ضيقة.

وانطلاقا من مصب واد الساقية الحمراء عند فم الواد يتوسع هذا المظهر التضاريسي أكثر من اتجاه الجنوب. وهكذا يتوسع المظهر الهضبي المتموج، وتتطور السبخات بشكل أوسع عند القطاع المعروف بالحسيان، ويستمر الشريط الكثيبي المتحرك ليفصل بين حمادة واد الخط والساحل. والتغير الذي يحصل هو غياب الولجة وظهور جرف بحري حي مستمر.

أما بالنسبة للمناخ فإنه نظرا لانتمائها للمجال الصحراوي المغربي وبسبب موقعها عند عروض مدارية، فإن جهة العيون ـ بوجدور تنتمي لوحدة المجال القاحل الذي تمثله الصحراء الإفريقية الكبرى المعروفة بجفافها المفرط. غير أن محاذاتها للمحيط الأطلنتي يجعل مناخها يتميز بنوع من الاعتدال تتضح معالمه أكثر في اتجاه خط الساحل. لذلك فإن هذه الجهة تقدم، على غرار باقي المناطق الصحراوية المغربية الساحلية، نموذجا جيدا لنوع الصحاري الساحلية الضبابية، التي تتميز برطوبة نسبية عالية وبنظام حراري معتدل.

يتميز الإطار المناخي العام للجهة باستقرار نظام خلايا الضغط المرتفع المدارية الذي يتسبب في جفاف المنطقة،

وتترتب عنه التيارات الهوائية شمال = شمال - شرقية المعروفة بالرياح التجارية. وإذا كانت هذه الرياح معروفة بجفافها وبارتفاع نسبة ترددها بالمنطقة، فإن الرسم الذي يتخذه خط الساحل الأطلنتي محليا يجعلها تساهم في تحريك المياه البحرية وفي نشأة تيارات عمودية ترفع المياه العميقة الباردة إلى السطح، كما تؤدي إلى نقل الرمال وتشكيل أشرطة كثيبية متحركة. ومن حين لآخر ينقلب هذا الوضع حيث تستقر عند الساحل أنوية ضغط منخفض ينتج عنها هبوب رياح الشرگي التي ترفع درجات الحرارة وتؤدي إلى اندلاع زوابع غبارية قد تستمر على مدى عدة أيام.

يعتبر شهر يناير أبرد الشهور ويدور متوسط الدرجات الدنيا حول 8°، مع التمييز بين الشريط الساحلي الذي يتراوح عنده هذا المعدل بين 8° و12° والمناطق الداخلية التي قد تنزل عندها معدل الدرجات الدنيا إلى حدود 4° تحت تأثير القارية. أما معدل الحرارات العليا فإنه يتراوح بشكل عام بين 20° و40°، أضعف المعدلات يتم تسجيلها عند الشريط الساحلي بسبب التلطيف الحراري المرتبط بالمحيط الأطلنتي، ويعتبر غشت أكثر الشهور حرارة.

ككل المناطق الصحراوية، لا تتلقى جهة العيون - بوجدور سوى كميات مطرية محدودة لا يتجاوز معدلها السنوي 50 مم، وتتخذ هذه التساقطات طابعا إعصاريا مركزا في المجال وفي الزمن.

ولا يتعدى الأيام الممطرة في أحسن الحالات 30 يوما كما هو الحال عند ساحل طرفاية. وتهطل هذه الأمطار، حسب معطيات محطة العيون، بشكل أساسي خلال شهري دجنبر ويناير، ويذل ذلك على تأثر هذه الجهة المنتمية لمجال الصحراء الإفريقية الكبرى الشمالي بنظام الأمطار المتوسطي. وإن كان ذلك لا يتم إلا بشكل محدود.

وهكذا وفي غياب الواردات المطرية الكافية، فإن ارتفاع معدلات الرطوبة النسبية عند الشريط الساحلي يشكل موردا مهما للرطوبة بالنسبة للحياة بشكل عام وعلى الخصوص بالنسبة للغطاء النباتي الذي يعرف كثافة ونسبة تغطية غير معهودة عند المجالات الجافة القريبة. وإذا كان هذا الغطاء النباتي الطبيعي ليست له مردودية اقتصادية مباشرة على قطاع الماشية، فإن له دوراً حيوياً على صعيد تثبيت التربة وصيانتها من عوامل التعرية المائية والريحية.

ونظرا لضعف الوارد المائي المطري، فإن إمكانيات الحصول على موارد مائية متجددة بجهة العيون - بوجدور تبقى محدودة. وفي غياب مياه سطحية ذات مواصفات كمية وكيفية مقبولة فإن الجهة تتوفر على مكامن مائية جوفية ترتبط بشكل أساسي بالفرشات العميقة، وإن كانت لا تتمتع بالجودة المطلوبة في جل الأحيان.

وبالنسبة للمياه السحطية، تتميز جهة العيون - بوجدور بشبكة هيدروغرافية ونافذة بشكل إجمالي، وتشكل هذه الشبكة نظاما هيدرلوجيا واسعا يتوافق مع الحوض الأسفل لواد الساقية الحمراء الذي يتكفل بتصريف مياه حمادة واد الخط وأيضا جزء من مياه حمادة الگعدة في اتجاه المحيط الأطلنتي. وبالطبع، وترابطا مع نظام التساقطات المطرية، فإن الجريان لا يتم إلا بشكل لحظي على شكل فيضانات مركزة في المجال وفي الزمن.

عند الساحل تتعرض الشبكة الهيدرغرافية لنوع من الاضطراب تحت تأثير التكوينات السطحية، فتصبح متقطعة وغير نافذة. بعض قطاعات هذه الشبكة تنتهي عند منخفضات مغلقة من نوع الگرارات ومن نوع السبخات كما هو الحال عند سبخة الطاح وسبخات قطاع الحسيان، وتتمكن هذه المنخفضات المغلقة المالحة من جمع المياه والاحتفاظ بها لفترات تختلف حسب حجم الواردات وحسب حدة التبخر.

وفي غياب الموارد المائية السطحية ارتباطا مع طبيعة نظام التساقطات المطرية المحلي، فإن جوف أرض جهة العيون - بوجدور بحكم طبيعته الرسوبية يحتضن مكامن مائية جوفية متعددة يمكن أن تلعب عنصرا مساعدا ومدعما لعملية تنميتها في حالة التحكم في تدبيرها.

وتختلف هذا المكامن من حيث حجمها وجودتها ووضعها وذلك بالارتباط مع تنوع طبيعة البنية الجيولوجية. ويمكن التفريق بين مجموعة من الوحدات المائية الجوفية :

- خزانات الكتلة البلورية القديمة، لا تكون فرشات مائية مستمرة وإنما جيوبا متفرقة ترتبط بارتفاع نسبة تشقق الصخور محليا، تتشكل عندها من حين إلى آخر مكامن مائية يمكن استغلالها لتزويد السكان الرحل وإرواء ماشيتهم كما هو الحال عند گلتة زمور.

- الفرشات المائية السطحية، وترتبط بالتكوينات السطحية الحديثة الممتدة على طول المجاري المائية أو المركزة داخل المنخفضات المغلقة. وهذا النوع من الفرشات يبقى محدود الأهمية من حيث الحجم والجودة، فالجيوب المائية تتكون في الغالب من خزانات صغيرة، ترتبط في تغذيتها بالتساقطات المطرية، وتتأثر بشكل كبير بالتبخر الذي يقلص حجم المخزون ويرفع نسبة ملوحته. أهم الفرشات من هذا النوع يستقر على طول المجرى الأسفل من واد الساقية الحمراء وكذلك رافده الرئيسي واد الخط، ويتم استغلالها حول مدينتي العيون وبوجدور وأيضا عند فم الواد على نطاق واسع.

- يحتضن الحوض الرسوبي الثنائي - الثلاثي الذي يغطي مساحة شاسعة من جهة العيون - بوجدور أهم المكامن المائية الجوفية داخل الجهة. وتقدم خزانين عميقين رئيسيين على مستوى طبقات الطباشيري والباليوسيني.

فيما يخص الموارد الطاقية والمعدنية، فإن طبيعة البنية الجيولوجية تقدم مؤشرات واعدة حول إمكانيات توفر جهة العيون - بوجدور على مكامن للمحروقات داخل الحوض الرسوبي الثنائي - الثلاثي الواسع والمستمر تحت المياه

البحرية. وقد تم القيام بحفر مجموعة من الأثقاب الاستكشافية العميقة داخل هذا الحوض لكنها لم تمكن من التوصل إلى نتائج جيدة. وفي غياب الطاقة البترولية، فإن الجهة تتوفر على إمكانيات مهمة على مستوى مصادر الطاقة المتجددة من نوع الطاقة الريحية والطاقة الشمسية، إضافة إلى مخزون مهم من الصخور الشستية ـ النفطية عند طرفاية. وجدير بالذكر أن هذا المكمن النفطي يتوفر على مخطط إنتاجي يمكن تنفيذه في حالة ارتفاع أسعار النفط في السوق الدولية بشكل يسمح بتغطية تكاليف الإنتاج المرتفعة.

إن الامتداد الواسع للحوض الرسوبي الثنائي ـ الثلاثي يجعل الجهة تتوفر على احتياطي مهم من معدن الفوسفاط الذي يتم استغلاله عند مناجم بوكراع، كما تتوفر على احتياطي من الأورانيوم المرتبط بهذا المعدن. وبالإضافة إلى ذلك فإن الجهة تتوفر على الرمال السليسية وأنواع متعددة من الرخام، وعلى إمكانيات مهمة لاستخراج الملح انطلاقات من السبخات المنتشرة داخل حدودها الترابية.

إن جهة العيون ـ بوجدور تسجل، على غرار باقي الجهات المغربية الصحراوية، وتيرة نمو ديموغرافي سريعة بلغت 3,12٪ في السنة خلال الفترة الفاصلة بين إحصائي 1982 و1994، ولم يتعد المعدل الوطني خلال نفس الفترة 2,06٪. وقد جعل هذا النمو حجم السكان ينتقل من حوالي 121.000 إلى حوالي 176.000 نسمة، وإذا تم اعتماد نفس نسبة النمو السنوي فمن المرجح أن تكون ساكنة الجهة قد تجاوزت عتبة 200.000 نسمة بكثير عند نهاية القرن العشرين. مقارنة مع جهتي واد الذهب ـ الگويرة وگلميم ـ اسمارة، تتميز جهة العيون ـ بوجدور بكثافة سكانية متوسطة تبلغ 2,2 نسمة / كلم^2، لكنها تبقى بعيدة جدا عن معدل الكثافة الوطني الذي يبلغ 36,7 نسمة / كلم^2. وقد عرفت هذه النسبة ارتفاعا ملحوظا بسبب تزايد عدد السكان خلال العقدين الأخيرين.

إن التزايد السكاني الحاصل بالجهة يتم بشكل غير متجانس بين الوسطين الحضري والريفي، ففي الوقت الذي نسجل فيه نموا سكانيا داخل مدن الجهة بنسبة متساوية مع ما يجري على الصعيد الوطني، أي 3,7 مقابل 3,6٪، فإن الأرياف تعرف عملية نزوح متواصلة جعلت ساكنتها تتراجع بنسبة 1,2-٪ في السنة خلال نفس الفترة المذكورة. ومعنى ذلك أن ظاهرة اختلال توزيع السكان بين الوسطين الحضري والريفي وتزايد عدد السكان المستقرين تعززتا أكثر خلال العقدين الأخيرين، وجعلتا نسبة التمدين تتجاوز 91٪. وحدها مدينة العيون أضحت تحتضن أكثر من 85٪ من مجموع السكان الحضريين المقيمين بالجهة.

وقد بلغ عدد السكان الحضريين تبعا لنتائج إحصاء 1994 داخل الجهة حوالي 160.000 نسمة، وذلك في الوقت الذي لم يكن يشكل هؤلاء سوى قرابة 105.000 سنة 1982. وقد ارتبط هذا التزايد بالدينامية الديموغرافية التي تعرفها مختلف المراكز الحضرية داخل الجهة، فكل المدن سجلت نسب نمو عالية تتعدى المعدل الوطني بكثير خاصة بالمراكز الحضرية الصغرى. فقد عرفت مدن العيون وطرفاية نسب نمو تتراوح بين 3,2٪، وسجلت مدينة بوجدور نسبة 7,7٪ وبلدية المرسى 9,3٪ في السنة.

ومهما اختلفت أهمية نسبة النمو، فإن مدينة العيون بساكنة تناهز حاليا 150.000 نسمة تبقى هي أكبر مدن الجهات المغربية الصحراوية الواقعة جنوب الأطلس الصغير على الإطلاق. وبذلك فهي تمثل 85,1٪ من مجموع جهة العيون ـ بوجدور، وحوالي 1/3 مجموع السكان الحضريين بالجهات الصحراوية المغربية الثلاث.

إن مدينة العيون تشكل اليوم القطب الحضري الرئيسي داخل جهتها وداخل مجموع المناطق المغربية الصحراوية، لقد نشأت وتطورت كمركز إداري وتجاري عند واد الساقية الحمراء على مقربة من الساحل الأطلنتي، حيث تم خلق وتوسيع أحد الموانئ الوطنية الرئيسية التي تلعب دورا طلائعيا في ميدان تصدير معدن الفوسفاط وفي ميدان نشاط الصيد البحري وأيضا تموين المناطق الصحراوية. وقد عرف هذا المركز، على غرار باقي المناطق الصحراوية التي ظلت تعاني لفترة طويلة من الاستعمار ومن التهميش بسبب بعدها وموقعها الجغرافي، نموا متواصلا خلال العقود الأخيرة جعل منه القطب الإداري والتجاري والصناعي الأول بهذه المناطق.

والعيون تشكل حاليا عاصمة جهة العيون ـ بوجدور وإقليم العيون وفي نفس الوقت مقر جماعة حضرية، الأمر الذي جعلها تعزز مكانتها كمركز حضري مغربي يحتل مركز الريادة داخل الجهات الصحراوية. وقد عرفت تنويعا مهما لقاعدتها الاقتصادية وتوسعا واضحا لنسيجها الحضري وتطورا ملموسا في بنياتها التحتية، بحيث تم تجهيزها بمطار عصري وبحي صناعي، كما تم ربطها بشبكة النقل الجوي الداخلي وبشبكة الطرق البرية الوطنية وكذلك بشبكات المواصلات اللاسلكية والبريد.

وقد سمحت الدينامية الاقتصادية التي تعرفها مدينة العيون بتطور مركز المرسى حول الميناء التجاري على الساحل الأطلنتي إلى الشمال من ميناء الفوسفاط، الذي أخذ يستحوذ على حيز هام من الوظيفة التجارية والصناعية داخل الجهة. ويتوفر مركز المرسى حاليا على مجال صناعي يمتد على مساحة 54 هكتار، وقد تم وضع برنامج لتجهيز حي صناعي جديد على مساحة 95 هكتار إضافية.

كانت طرفاية تشكل عاصمة إقليم حدودي، لكن مباشرة بعد استرجاع المناطق الصحراوية إلى الوطن الأم تم دمجها في إقليم العيون فأصحبت تمثل عاصمة جماعة قروية ودائرة، وتمت ترقيتها على إثر التقسيم الإداري الأخير إلى بلدية. ويعتمد اقتصاد هذه المدينة الصغيرة بالدرجة الأولى على النشاط البحري، وقد استفادت من خلق ميناء حديث لتنشيط هذه الوظيفة، غير أن ظروف الوسط الصعبة المرتبطة

بالتعرية الريحية والساحلية النشيطة جعلت هذا المرفق يعاني من طمر أحواضه بالرمال وعرقلة نشاط سفن الصيد الذي يتوقف خلال فترات طويلة خلال السنة. لذلك فإن نسبة نمو عدد سكانها بقي محدودا ولم يتجاوز بين سنتي 1982 و1994 نسبة 3.7٪ في السنة، هذا النمو المحدود جعل من طرفاية مركزا صغيرا لم تتجاوز ساكنته 4.500 نسمة إلى حدود سنة 1994.

وعلى العكس من ذلك فإن مدينة بوجدور الواقعة بين مدينتي العيون والداخلة، وبعد ترقيتها إلى درجة عاصمة إقليم، أصبحت لها وظيفة إدارية وتجارية بالدرجة الأولى مما سمح لها بتسجيل نسبة نمو ديموغرافي عالية خلال الفترة الإحصائية المذكورة تتعدى 7٪ في السنة، فانتقلت ساكنتها من حوالي 6.250 نسمة سنة 1982 إلى أكثر من 15.000 نسمة سنة 1994. ومن المتوقع أن يناهز هذا العدد 20.000 نسمة حاليا.

وقد واكب هذا التوسع الديموغرافي لمدينة بوجدور توسع في التجهيزات الأساسية الحضرية، والمتمثلة في تجهيزات إنتاج وتوزيع الماء، والكهربة والإنارة، وشبكة الطرق والمسالك، وغير ذلك من المرافق اللازمة لتدبير الحياة الجماعية مثل المدارس والمراكز الصحية ومختلف الإدارات والفضاءات التجارية.

ويتميز اقتصاد جهة العيون - بوجدور عن باقي الجهات المغربية الصحراوية بكونه أكثر تنوعا، فهو يجمع بين ثلاثة ركائز رئيسية تتمثل في استغلال الأحياء البحرية واستغلال معدن الفوسفاط بمنجم بوكراع المكشوف والزراعة المرتكزة على النشاط الرعوي بالدرجة الأولى، وكل ما يترتب عن هذا الاقتصاد من أنشطة حرفية وتجارية وخدماتية وإدارية، إضافة إلى كون جهة العيون - بوجدور بحكم موقعها تبقى مرشحة للعب دور تجاري دولي موجه نحو دول الصحراء الإفريقية الكبرى وباقي دول العالم.

وعلى غرار باقي الجهات الصحراوية، يتم النشاط الفلاحي بجهة العيون - بوجدور في إطار نظام زراعي رعوي مبني على الترحال، لا تمثل داخله زراعة الأرض إلا نشاطا تكميليا وعابرا يتوسع نسبيا خلال السنوات المطيرة ويتراجع ويتوقف خلال السنوات الجافة التي تدوم لفترات طويلة.

تتمثل الأراضي القابلة للزراعة في المجاري المائية وفي الگرارات التي تمثل منخفضات مغلقة تنتهي عندها الأودية التي تحمل إليها المواد الغرينية لتشكل قاعدة غطاء ترابي غني نسبيا. ويبقى المحصول الوحيد القابل للنجاح عند هذه الأوساط هو الشعير الذي يدخل في نظام تغذية السكان وكذلك كعلف تكميلي للماشية في بعض الحالات.

إضافة إلى هذا النشاط الزراعي، تتوفر الجهة على محيط سقوي صغير هو محيط فم الواد الممتد عند سافلة واد الساقية الحمراء حيث تسمح الظروف المحلية بتكوين فرشة مائية عذبة توجه مياهها لتزويد مدينة العيون ومركز المرسى بالماء الشروب، وأيضا لسقي حوالي 200 هكتار التي تشكل مساحة محيط فم الواد. ومن الظاهر أن هذه المساحة تتعرض لتراجع واضح أمام تقدم ظاهرة غزو الرمال لهذا القطاع من حوض وادي الساقية الحمراء.

وعلى رأس قائمة الأنواع النباتية المتداولة داخل هذا المحيط السقوي نجد الزراعات العلفية وعلى الخصوص نبتة الفصة التي تشكل أساس تغذية الأبقار، إضافة إلى البقليات والموز والشعير. ومهما تنوعت وتعددت هذه المزروعات فإن حجم إنتاجها يبقى محدودا ولا يمكن أن يغطي حاجيات السوق المحلية المتزايدة.

إن النشاط الفلاحي المسقي والبوري يبقى محدود الأهمية، ووقعه على الحياة الريفية يبقى محدود جدا بالقياس إلى النشاط الرعوي الذي يظل أساسيا لدى فئات عريضة من السكان، وذلك على الرغم من التحولات التي عرفها المجتمع خلال العقود الأخيرة، والتي جعلت عددا كبيرا من مربي الماشية يستقرون داخل المراكز الحضرية.

بحكم طابع الجهة الصحراوي ونمط عيش الترحال وتوفر مراعٍ شاسعة تتعدى 8 ملايين من الهكتارات، تعتبر تربية الماشية هي النشاط الرئيسي لدى سكان الأرياف وأيضا حتى لدى شريحة عريضة من سكان المدن.

تطور قطاع تربية الماشية بإقليم العيون

النوع	1992	1993	1994	1995
الماعز	98.105	95.045	90.142	100.000
الأغنام	84.632	57.431	55.914	57.000
الإبل	26.293	27.555	27.021	30.000
الأبقار	349	24	217	250
المجموع	290.379	180.055	173.294	187.250

وإذا كان من الصعب ضبط حجم القطيع بسبب نمط الترحال الذي يفرض التحرك المستمر للماشية، وبسبب التغيرات الصارخة التي تعرفها التساقطات المطرية، فإن المعطيات والتقديرات المتوفرة والمتعلقة فقط بإقليم العيون وحده تبين أن عدد رؤوس الماشية بكل أنواعها تجاوز 187.000 سنة 1995، منها 90.142 رأسا من الماعز و55.914 من الغنم و27.021 من الإبل. ومقارنة هذه التقديرات مع تقديرات السنوات الفارطة تظهر أن القطاع آخذ في التوسع، وأن التأطير الذي تقوم به مصالح الفلاحة على مستوى تنمية النقط المائية، والمراقبة والعناية الصحية بالقطيع، وتنفيذ وتنظيم برامج دعم الأعلاف، وغير ذلك من التدخلات بدأت تعطي أكلها وأنها لاتزال في حاجة للدعم وبشكل متواصل.

إضافة إلى هذا القطيع، تجب إضافة حوالي 250 رأسا من الأبقار التي تتم تربيتها داخل إسطبلات مرتبطة بمحيط

فم الواد السقوي حيث يتم تخصيص مساحة مهمة للمزروعات العلفية، وعلى الخصوص زراعة الفصة.

وتتوفر جهة العيون ـ بوجدور على وسط ساحلي وبحري متميز على الصعيد الوطني، تطورت وانتظمت عناصره بشكل جعل منه أحد أغنى الأوساط الإحيائية البحرية المغربية، التي تبحث عنها مراكب الصيد الوطنية والدولية بإلحاح، ولا يضاهيه في ذلك إلا القطاع البحري المقابل لسواحل جهة واد الذهب ـ الگويرة الذي يشكل امتدادا طبيعيا له.

تستفيد الجهة من هذه الموارد البحرية بشكل محدود انطلاقا من ميناء طرفاية وميناء العيون، فالميناء الأول يعاني من صعوبات كبيرة بسبب غزو الرمال البحرية والقارية لحوضه الصغير، والميناء الثاني لا يشكل داخله الصيد البحري إلا نشاطا ثانويا. وعلى الرغم من ذلك فإن هذا النشاط سمح بظهور مجموعة من الوحدات الصناعية بالحي الصناعي المجاور للميناء عند مركز المرسى، وحدات متخصصة في إنتاج الثلج، وتصبير السمك، وإنتاج بعض مشتقات السمك مثل زيت ودقيق السمك، ومعالجة الطحالب.

وقد بلغ عدد وحدات الصيد العاملة بميناء العيون سنة 1994 أكثر 400 وحدة، أكثر من 60٪ منها عبارة عن قوارب صغيرة متخصصة في الصيد الساحلي. وبلغ حجم الإنتاج في نفس السنة حوالي 121.000 طن، أكثر من 90٪ منها عبارة عن سمك صناعي.

وبالنسبة للنشاط المعدني، فإن طبيعة البنية الجيلوجية بجهة العيون ـ بوجدور لا تمكن في الظروف الاقتصادية الحالية إلا من استغلال مكامن الفوسفاط، وجمع محدود لملح بعض السبخات، إضافة إلى أخذ الرمال واستخراج بعض مواد البناء الأخرى.

وتتوفر هذه الجهة على أحد مناجم الفوسفاط الأربعة المغربية الرئيسية وهو منجم بوكراع الذي يوجد جنوب ـ شرق مدينة العيون على مسافة حوالي 100 كلم. وترتبط هذه المناجم بنفس الحوض الرسوبي الثنائي ـ الثلاثي الممتد شمال الأطلس الكبير بهضاب أولاد عبدون والكنتور الفوسفاطية، والمستمر نحو الجنوب في اتجاه دول إفريقيا الغربية.

وتختزن مكامن منجم بوكراع حوالي 3 ملايير طن من معدن الفوسفاط، وهو ما يمثل حوالي 3٪ فقط من مجموع المدخرات الوطنية، وتبلغ نسبة تركز الفوسفاط به 75٪. وتتم عمليات الاستغلال بشكل مكشوف، وتتلخص في حفر وجمع الفوسفاط، وغربلته محليا، تم نقله عبر بساط نقال آلي على مسافة 95 كلم حتى ميناء فوس ـ بوكراع الواقع على بعد 4 كلم جنوب ميناء العيون (المرسى)، وعند هذا الميناء يخضع المعدن للمعالجة داخل وحدة خاصة قبل شحنه من أجل التصدير.

ويتراوح معدل حجم الإنتاج بين 700 ألف طن ومليون ونصف طن في السنة، وقد مثل خلال النصف الأول من العقد الماضي حوالي 6،5٪ من مجموع الإنتاج الوطني من معدن الفوسفاط. وبذلك فإن هذا النشاط المعدني يساهم في تنمية الميزان التجاري الخارجي الوطني، وفي تنشيط الاقتصاد المحلي بسبب فرص الشغل المباشرة وغير المباشرة المترتبة عنه.

خارج قطاع الفوسفطا فإن جهة العيون ـ بوجدور تعرف نشاطا معدنيا آخر لا يخلو من أهمية وهو استخراج ملح الأوساط المائية المالحة المتمثلة في السبخات. ويمكن هذا النشاط من تغطية الحاجيات المحلية ومن تصريف حجم مهم من الإنتاج في اتجاه الأقاليم المغربية الأخرى. ويتم أيضا استخراج مواد البناء المختلفة التي يتطلبها توسع المجال الحضري ومختلف التجهيزات الأساسية داخل الجهة، وفي هذا الصدد لا بد من الإشارة إلى أهمية نشاط أخذ الرمال التي يتم تصدير حجم مهم منها نحو الجزر الخالدات عبر ميناء المرسى.

إضافة إلى هذه المقومات الاقتصادية، تزخر جهة العيون ـ بوجدور بإمكانيات سياحية غنية وشديدة التنوع تجمع بين المشاهد الجافة الصحراوية، والفضاءات الطبيعية الفسيحة، والمناظر الساحلية المتغيرة المغرية بالقيام بأنشطة رياضية واستجمامية متعددة، وتقدم هذه المنطقة كإحدى الجهات المغربية الصحراوية إرثا حضاريا نوعيا يبرز أحد الأوجه المضيئة للشخصية الثقافية المغربية. لكن رغم كل هذه الإمكانيات فإن النشاط السياحي المسجل يبقى محدودا، ويرتبط بالدرجة الأولى بسياحة رجال الأعمال وبتنقلات الموظفين، ويتركز بشكل أساسي داخل مدينة العيون. وتعتبر مدينة العيون القطب السياحي الأول داخل الجهات المغربية الصحراوية، وذلك على صعيد حجم الطاقة الإيوائية، وعلى صعيد عدد الوافدين. فالطاقة الإيوائية تناهز حاليا 1.200 سرير، 51،1٪ منها توفرها الفنادق المصنفة. وبلغ عدد الليالي السياحية المسجلة سنة 1994 حوالي 124.600 ليلة، 70٪ منها سجلت بهذه الفنادق المصنفة، أي بمردودية 38،7٪.

حاليا، وعلى الرغم من المجهودات المبذولة على صعيد البنيات التحتية مثل ربط الجهة بشبكة الطرق البرية الوطنية وأيضا شبكة النقل الجوي الداخلي، فإن عدد السياح الوافدين يبقى محدودا. ذلك بإن الجهة لا تستقطب إلا قسطا ضئيلا من مجموع الليالي السياحية المسجلة على الصعيد الوطني(0،7٪ من ليالي الفنادق المصنفة، و1،3٪ من ليالي الفنادق غير المصنفة)، مما يدعو إلى المزيد من العمل من أجل مجال سياحي قادر على استثمار الموارد الطبيعية والثقافية المتوفرة والقادرة على إبراز منتوج سياحي جديد يمكنه أن يوسع وينوع منتجات الوجهة السياسية المغربية.

إن جهة العيون ـ بوجدور، كباقي الأقاليم الصحراوية مباشرة بعد عودتها إلى الوطن الأم شكلت، في إطار عملية تضامن واسعة النطاق بين الأقاليم الشمالية والجنوبية، ورشا كبيرا استهدف إدماج هذه المناطق في النسيج الاقتصادي

الوطني. وبفضل المجهودات المبذولة تمكنت هذه الجهة من خلق بنية تحتية صلبة وتجهيزات عمومية كبرى، جعلتها تحقق نهضة اقتصادية واجتماعية لا تقل مستوياتها عن باقي أجزاء التراب الوطني.

وقد رافق هذه المجهودات التنموية تحولات عميقة شملت المجتمع والمجال تجسدت في نمو عدد السكان، وفي نزعة عامة نحو الاستقرار البشري نتج عنها تضخم كبير للظاهرة الحضرية بشكل لا مثيل له عند باقي التراب المغربي. وإذا كانت جهة العيون - بوجدور تطرح في السابق تحدي إدماجها في النسيج الاقتصادي الوطني، فإن التحدي الذي أصبحت تطرحه اليوم يتجسد في دعم الاستثمار الرامي لخلق فرص الشغل ومواصلة تحسين مستوى عيش السكان، وأيضا في اختيار عمليات التنمية المتكيفة مع هذا الوسط البيئي الصحراوي الجاف المحدود الموارد وسريع التدهور.

منوغرافية جهة *العيون - بوجدور*، ولاية العيون، 1999 ؛ الحسن المحداد وآخرون، *جهة العيون - بوجدور*. مجلة *جغرافية المغرب*، مجلد 19، السلسلة الجديدة، عدد 1 - 2، ص. 19 - 32، 2001.

E. El Mahdad et L. Ouhajou, *Le patrimoine hydrique face aux dangers de l'explosion urbaine dans les milieux arides et semi-arides. Cas du Maroc sud-atlasique : Atlas des ressources naturelles*, Rabat, 1984 ; Direction de la Statistique, *Résultats des différents recensements de la population et de l'habitat*, Rabat ; Direction de la Statistique, *Annuaire statistique du Maroc 1999*, Rabat, 2000.

الحسن المحداد

عيون (سبع)، تقع مدينة سبع عيون بجهة مكناس - تافيلالت. وتتبوأ موضعا مركزيا ضمن هضبة سايس، جعلها تحظى بأهمية استراتيجية، في إطار ربط ثلاثة مراكز حضرية لها أهميتها المتميزة على المستويين المحلي والوطني. ونعني بذلك مكناس التي توجد إلى الغرب منها، بمسافة 17 كلم فقط ؛ فاس الواقعة شرقها على بعد 40 كلم ؛ وكذا عمالة الحاجب التي تتبع لها إداريا، وتقع إلى الجنوب منها بحوالي 30 كلم (خريطة 1).

1 - نشأة المدينة : يرجع اسم سبع عيون إلى وجود سبعة ينابيع مائية في الجنوب الشرقي منها، على بعد كيلومترين من المركز الحالي للمدينة. ومما لا شك فيه، أن لهذه العيون دوراً فعّالاً في نشوء البلدة ونموها وتوسعها فيما بعد. وهذا التطور، يمكن إجماله في مراحل ثلاث :

- المرحلة الجنينية : يعود تاريخ ظهور المعالم الأولى لسبع عيون إلى نهاية القرن 17 م. حيث كان المولى إسماعيل قد أقام قلعة بمنطقة الحاجب، لأجل الحيلولة دون زحف القبائل البربرية نحو السهول الداخلية، بحثا عن المرعى. هذه القبائل المكونة، أساسا من أنصاف الرحل كانت تجد في موقع سبع عيون مكانا ملائما للتوقف، وهي في طريقها نحو المراعي السهلية بسايس شتاء، أو أثناء عودتها إلى المراعي الجبلية بالأطلس المتوسط صيفا : أزرو، إفران، گيگو... وقد كان لهذا التوقف أبعاد صحية واقتصادية، تتيح لأنصاف الرحل إمكانية ترك قطعانهم للإنتجاع والاستراحة، في الوقت الذي يمارسون فيه المقايضة مع السكان المحليين. إلا أنه بعد انتهاء حكمه وضعف سلطة المخزن، تمكنت بعض تلك القبائل من الوصول إلى حدود بوفكران، وخصوصا منها "بني مطير"، التي زحفت باتجاه سبع عيون. حيث استقرت بها مشكلة النواة لنشأة أول تجمع بشري ؛ ما لبث أن تقوى واتسع على يد الاستعمار الفرنسي منذ مستهل القرن الماضي.

- سبع عيون إبان الاستعمار : هذا الوضع سرعان ما تغير مع دخول الاستعمار، الذي سن حدودا جغرافية وإدارية بين الأراضي، مكنته من فرض سيطرته على القبائل، وإجبارها على التنقل في مجال محدود. تلك الإجراءات أدت، كذلك، إلى إرباك نمط العلاقات التجارية التقليدية السائدة بعين المكان، والتي كانت قائمة في إطار سوق غير مهيكل، يلتقي فيه الأهالي لتبادل المنتوجات. حيث عمل الاستعمار على جعل هذا السوق غير القار، ينعقد مرة واحدة في الأسبوع، وهو يوم الأحد الذي يوافق عطلة المعمرين المستقرين بالمنطقة. وأنشئت محطة للقطار، لجلب خيرات المنطقة وتحويلها نحو المدن ؛ ثم محلات تجارية وترفيهية أطلق عليها اسم "الكانتينا". كما أقيمت دورا لهم لتتميز بشكلها الطولي، وسقفها الهرمية المبنية بالقرميد، ومواد بنائها الصلبة على غير عادة الأهالي. هذا، علاوة على أنهم أقاموا معمل "نورا" لتصبير الفواكه والخضراوات سنة 1933، الذي شكل إلى جانب النشاط الزراعي العصري المبكر، أحد عوامل تحريك عجلة النمو الاقتصادي بالمنطقة، مما جعلها موضع جذب للهجرة الريفية. وقد كانت النتيجة ظهور حي صفيحي عرف بدوار بوقبر، امتد على جانبي خط السكة الحديدية العابر لسبع عيون ؛ حيث بلغ عدد أفراده حوالي 600 نسمة. لقد مثلت الفترة المواكبة للاستعمار، مرحلة النشأة الفعلية للبلدة.

- مرحلة ما بعد الاستقلال : دخلت سبع عيون في فترة ركود غداة الاستقلال وإلى حدود منتصف السبعينيات ؛ حيث شهدت انطلاقة جديدة في نموها، وتطورا متزايدا في عمرانها وساكنتها. وقد ساهم في هذه القفزة النوعية، العديد من العوامل التي ترتبت عنها تحولات شاملة، لا سيما في العقود الثلاثة الأخيرة.

2 - النهضة الحديثة لسبع عيون : تعد سبع عيون حاليا، من بين المدن الحديثة الأكثر ديناميكية بإقليم الحاجب. وقد كانت تمتد في الماضي على رقعة شاسعة تصل إلى 28.400 هكتار ؛ إلا أنه، وبموجب التقطيع الذي خضعت له الجماعات المحلية سنة 1992، انبثقت عنها جماعتين قرويتين، إضافة إلى مدينة سبع عيون التي ارتقت إلى مستوى جماعة حضرية. في إطار هذا التقسيم، ألحقت قروية آيت حرز الله بالحاجب ؛ في حين، ظلت الجماعة القروية لآيت بوبيدمان، بمساحة 8.130 هـ، تابعة لبلدية سبع عيون التي تقلصت حدودها إلى 4.070 هـ فقط. من هنا يتضح أن منطقة سبع

عيون عرفت تحولات مستمرة، منذ نشأتها وإلى الوقت الراهن، شأنها في ذلك كباقي المراكز المنتشرة في هضبة سايس ـ مكناس. غير أنه، إذا كانت بعض تلك المراكز قد استفادت من وقوعها على محور طرقي، فتحولت تدريجيا إلى مراكز طرقية، مثل : بوفكران، ولمهاية، وواد الجديدة... فإن سبع عيون استفادت من عوامل أخرى متنوعة، ساهمت في صيرورة نموها وتحديد وظيفتها، نذكر من بينها :

ـ المؤهلات الطبيعية : تحظى منطقة سبع عيون بمؤهلات طبيعية متعددة، إذ تتميز بانبساط سطحها وخصوبة تربتها وغنى مياهها، خاصة الجوفية منها. كما تتسم بجودة مناخها الذي يصنف ضمن النمط القاري المعتدل ؛ باعتبار أن درجات الحرارة القصوى التي تسجل بها في شهري يوليوز وغشت، ترتفع إلى 39° ؛ بينما تنخفض الحرارة الدنيا خلال شهري دجنبر ويناير، إلى حدود 2°. وهكذا يكون متوسط الحرارة السنوي 20°. أما التساقطات، فتبدو مهمة على مستوى الكم، إذ يبلغ معدلها حوالي 500 مم سنويا. ومرد ذلك يعود، إلى انفتاح المنطقة على المؤثرات الأطلنتية الغربية، التي تساهم في اعتدال مناخها، بالرغم من وقوعها على بعد 157 كلم من المحيط. أما ما يتعلق بالشبكة الهيدروغرافية، فباستثناء واد الجديدة الذي تغذيه كل من عين خادم وعين السلطان، ثم المجرى المائي لواد المهدومة.. فإن العيون والآبار والثقوب المجهزة، أساس الموارد المائية بالمنطقة ؛ مما ينم عن وجود سديمة باطنية غنية. ولا أدل على ذلك من أن عدد الآبار في تزايد مستمر، إذ بلغ سنة 1995 حوالي 486 بئرا ؛ 200 منها مجهزة للسقي، والباقي مخصص للاستعمال المنزلي كمياه الشرب والغسل...

ـ تحديث القطاع الزراعي : عرف المجال الريفي بالمنطقة تطورا وإعدادا عصريين متواصلين. وقد تم التحديث ابتداء، على يد المعمرين الفرنسيين الذين استحوذوا على أجود الأراضي الزراعية، مكونين مزارع شاسعة على حساب أراضي السكان المحليين. ثم تواصلت العصرنة بعد الاستقلال، لتضخ رؤوس أموال كبيرة تابعة للخواص أو للدولة، في هذا النشاط الزراعي وتتحكم في نمط استغلاله.

إن النظام العقاري بالمنطقة يتوزع بين أراضي الملك الخاص، وهي المهيمنة ؛ ثم أراضي الدولة المستغلة، إما عن طريق شركة تسيير الأراضي الفلاحية SOGETA، أو شركة التنمية الفلاحية SODEA. الأولى تختص بإنتاج الحبوب بمختلف أصنافه على مساحة 1267 هـ ؛ بينما تختص الثانية بإنتاج الفواكه والكروم والخضر وبعض المزروعات الأخرى، ضمن رقعة محدودة لا تتجاوز 367 هـ. وتأتي أخيرا تعاونيات الإصلاح الزراعي، بنسبة لا تعدو 5,85٪، من مجموع الأراضي التي تدخل في نطاق المجال الجغرافي التابع لسبع عيون.

ـ موقع البلدة وموضعها : تمتد المدينة فوق هضبة سايس ـ مكناس، التي تتميز بانبساط سطحها وسهولة التنقل فوقها. إذ لا تتخللها سوى موانع طبيعية بسيطة، كبعض الأودية غير المتعمقة : واد المهدومة، واد الجديدة... وبالتالي فالموضع المنبسط، ساعد على امتداد السكن وتوسعه بشكل مطرد.

وتتعزز هذه المكانة، أيضا، بوقوع سبع عيون على مفترق العديد من خطوط المواصلات الهامة منها محور البيضاء ـ فاس باتجاه الشمال والشمال الشرقي، الذي يعد منفذا حيويا على المناطق الأخرى... فمنه تأتي الشاحنات المحملة بالسلع الضرورية، وعبره يتم تصريف المنتجات المحلية. خاصة نحو مكناس التي تعتبر المزود الرئيسي لهذا المركز الناشئ بكل ما يحتاج إليه ؛ وإليها يتجه السكان لقضاء مآربهم التجارية : تسويق المحاصيل الزراعية بسوق الجملة وبالتقسيط، أو اقتناء الآلات الفلاحية والبذور المنتقاة والأسمدة الكيماوية والمبيدات، أو قضاء الحاجيات الإدارية... وقد ظل الأمر على هذه الحال إلى حدود سنة 1992، حيث ألحقت المدينة بعمالة الحاجب. وتستفيد سبع عيون كذلك، من وجودها بمحاذاة الطريق الرئيسية الرابطة بين مكناس وأزرو، مرور إلى الصحراء. علاوة على أنها تعتبر بمثابة نقطة إشعاع لشبكة كثيفة من الطرق الثانوية، كتلك التي تصلها بالحاج قدور وبوفكران ثم إفران، أو الطريق المؤدية إلى تاوجطات والحاجب... وقد أنشئت هذه الطرق الثانوية إبان الحقبة الاستعمارية، إما بهدف ربط الاستغلاليات الزارعية بين بعضها، أو لتسهيل نقل المنتجات نحو مراكز الشحن، ثم تصديرها إلى المتروبول : الورود، توت الأرض، الخمور...

ـ خط السكة الحديدية : إذا كانت شبكة الطرق المعبدة قد ساهمت وتساهم في توسع مجال المدينة، فإن خط السكة الحديدية يعتبر عنصرا أساسيا في ظهورها وتطورها. وقد أنشأه الاستعمار لغرض اقتصادي وعسكري، مساهما بذلك في استقرار الأجانب، استقدموا كتقنيين وإداريين، أو مغاربة جاءوا بحثا عن فرص للشغل بالمنطقة. ولعل أهمية الخط الحديدي في نمو وتوسع هذا المركز تبرز واضحة، عندما نقارنه ببعض المراكز المجاورة المحرومة من هذه الخدمة، مثل بوفكران والحاج قدور ولمهاية... فالقطار سهل عملية الانفتاح على باقي المناطق، كما ساعد على تنقل السكان لأغراض تجارية أو إدارية من وإلى المركز. ولذلك ظل بمثابة وسيلة النقل الأكثر استعمالا إلى نهاية عقد الثمانينيات وبداية التسعينيات، بعد الظهور المكثف للحافلات وسيارات الأجرة.

ـ محطة تقوية الإرسال الإذاعي والتلفزي : أسست مع بداية الاستقلال ؛ وقد ساهمت في استقطاب عدد من الإدراريين والتقنيين العاملين بها، والذين استقروا في منازل تابعة للدولة.

ـ الهجرة نحو الخارج : إن التوسع العمراني للمدينة الناتج عن تنامي حركة البناء، يبدو مرتبطا في جزء منه

بأهمية الموارد المالية المحولة من المهجر. لدرجة أن أكثر من 50٪ من البقع الأرضية بالتجزئات السكنية الحديثة، تعد مملوكة لأفراد عاملين بالخارج. مما يؤدي إلى خلوها من أي ساكن لمدة 11 شهرا في السنة، وهي المدة التي يغيب فيها المهاجر خارج الوطن. وإن عامل الهجرة نحو الخارج ليعد، بحق، عنصرا ديناميكيا في تطور سبع عيون وتوسعها وتمدنها.

- تمركز المرافق الإدارية بسبع عيون : إذا كانت سبع عيون، وإلى حدود الثمانينيات، تفتقر لمؤسسات إدارية واجتماعية... باستثناء المستوصف القروي ومحطة الإرسال الإذاعي : فإنها تعززت، بعد هذه الفترة بمجموعة من المرافق الإدارية والاجتماعية، في إطار تقريب المصالح من المواطنين. ومن بين هذه الإدارات :

- مقر القيادة، الذي برز لأول مرة كملحقة سنة 1974، ثم ما لبث أن تطور إلى قيادة فباشوية.

- مقر البلدية، ظهر إلى الوجود بعد ارتقاء سبع عيون من جماعة قروية إلى جماعة حضرية سنة 1992.

- مكتب البريد، أنشئ سنة 1983.

- المركز الصحي، الذي تأسس سنة 1957 كمستوصف قروي، ثم ارتقى إلى مستوى مركز صحي في بداية التسعينيات. يضاف إلى ذلك وجود أربع صيدليات وطبيبان يشتغلان في القطاع الخاص، وكذا طبيب بيطري.

- المؤسسات التعليمية، تعد المؤسسات التعليمية أهم المرافق الاجتماعية بالمدينة. وتتمثل في ثلاث مدارس واستقطاب عدد كبير من الأساتذة والموظفين، وكذا التلاميذ الذين كانوا مجبرين، سابقا، على التوجه إلى مكناس بهدف استكمال تعليمهم.

- النادي النسوي، أسس سنة 1973 من قبل المندوبية الإقليمية للشبيبة والرياضة بمكناس.

3 - الخصائص البشرية للمدينة : تولدت عن مجموع التحولات، التي أسلفنا الحديث بشأنها، تطورات هائلة شملت الجانب البشري الذي كان وراء تكثيف آليات تعمير المدينة وتوسع مدارها. وهكذا فقد تميز النمو الديموغرافي بإيقاع سريع، خاصة في الفترة الممتدة بين 1982 و1994.

فبعد أن لم يتجاوز عدد السكان 833 نسمة في حدود 1960، انتقل ليصبح 1122 نسمة سنة 1971، ثم ارتفع بوتيرة سريعة، ليسجل حوالي 15575 نسمة سنة 1994. ويعزى هذا التطور السريع إلى أهمية الهجرة الداخلية المكثفة نحو سبع عيون، خاصة الريفية منها. مما أدى إلى تحولات عميقة في التركيبة البشرية للمدينة، التي بات الاختلاط أحد أبرز سماتها. فإلى جانب السكان الأصليين من برابرة بني مطير، توجد مجموعة من العائلات الشمالية، التي وفدت على المنطقة من الريف الشرقي. وقد جاءت إما للاستثمار الزراعي، أو للعمل في القطاع الفلاحي أو الغابوي... بالنسبة للعنصر العربي، فإنه حاضر بنسبة أقل ؛ ويمثل على وجه الخصوص، فئة من الموظفين والتقنيين الذين قدموا من المدن المجاورة... إما للعمل بالإدارات أو في قطاع التعليم، أو في بعض الشركات الموجودة بعين المكان. وعلى وجه الإجمال، فإن الأصول الجغرافية للسكان تبدو متنوعة، بالنظر إلى مكان الازدياد. إذ يلاحظ أن أكثر من ثلثهم مولود خارج المدينة.

مديرية الإحصاء، *الإحصاء الوطني للسكان والسكنى*، 1994 ؛ تقرير ملحقة المديرية الإقليمية للفلاحة، 1996 ؛ تقرير ملحقة المديرية الإقليمية للفلاحة، 2000 ؛ تقرير تصميم التهيئة لسبع عيون.

إدريس شحو

العيون الشرقية (أو عيون سيدي ملوك)، مركز حضري يقع على الطريق الرئيسية رقم 1 والسكة الحديدة، بممر تاوريرت - وجدة. موضعه عبارة عن سطح خفيف التضرس، يتعمق به واد أرسان جنوبا، وواد بورديم شمالا. كما يتميز الموضع بوجود عين تنسب لسيدي ملوك، وهو الاسم الذي لايزال يطلقه الكثير من السكان على المدينة. لكن حاليا، تفاديا للخلط الذي كثيرا ما يحصل بالنسبة للطرود البريدية بعيون الأقاليم الصحراوية، أصبحت المدينة تعرف بشكل شبه رسمي، بالعيون الشرقية.

وعلى خلاف الواجهة الغربية من المغرب التي عرفت نواة عمرانية منذ العهد الروماني، فإن المغرب الشرقي لم تزدهر به الحركة العمرانية إلا بعد الفتوحات الإسلامية، حيث أصبحت المنطقة تشكل الممر الطبيعي للقطر الإسلامي. وهكذا بنيت مجموعة من القصبات بممر تازة - وجدة، أغلبها في عهد المولى إسماعيل، منها قصبة العيون المبنية في سنة 1679، قصبة مسون، سلوان، بوعرق، الرگادة... وهكذا أصبح للمنطقة دور استراتيجي هام، نتيجة اشتداد الصراع مع الأتراك في الواجهة الشرقية، ومع الإسبان على الواجهة الشمالية حيث تزايدت أطماعهم في الثغور الواقعة على البحر المتوسط.

أصبحت قصبة العيون ذات موقع استراتيجي متميز داخل الممر، مما دفع المخزن إلى إنزال عدد من جنود عبيد البخاري بها، وذلك لحماية الممر، وضمان البريد، وجمع الضرائب ومراقبة القبائل البربرية. لكن ظلت القصبة شبه جامدة، ضعيفة التوسع، خاصة بعد انهزام الجيش المغربي في معركة دارت ضد الأتراك على مشارف نهر ملوية في نهاية القرن السابع عشر، وانهزامهم، في معركة إسلي في 1844، ضد القوات الفرنسية، التي أنزلت جنودها بمركز العيون سنة 1859، مما جعل الأمن يهتز بهذا الممر ويحد من استقرار سكانه ونمو عمرانه. لكن سرعان ما أخلت القوات الفرنسية هذا المركز بعد أن انتشر فيه وباء الكوليرا الذي حصد 2500 من جنودها.و ظلت قصبة العيون ذات اهتمام بالغ لدى السلطة المركزية لما كان لها من دور في تأمين طريق السلطان

ونشاط تجاري مع مليلية، مما أدى إلى ترميمها من طرف السلطان الحسن الأول، أثناء حركته إلى وجدة سنة 1876. ورغم ما كان للقائد حمادة البوزگاوي من شأن لدى المخزن، في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث أنعم عليه السلطان بظهير شريف للتوقير والاحترام وإسقاط الغرائم والتكاليف المخزنية، فإن ذلك لم يخوله مدّ سلطته على القصبة المجاورة له، حيث كان السلطان يعين بها قائدا مخزنيا، ليس له أي عصبية من بين القبائل المجاورة. وهكذا وصل عدد الجنود المغاربة بالقصبة في أواخر القرن التاسع عشر، إلى ما يزيد على 450 جندي و35 فارس. لكن سرعان ما تم احتلال مركز العيون من جديد من طرف القوات الفرنسية، وذلك مباشرة بعد اجتياحها لمدينة وجدة سنة 1907. وعلى غرار استسلام عامل وجدة، أحمد بن كروم، صارت باق المراكز الحضرية والقبائل على نفس المنوال، بل بادر أغلب القياد ورؤساء القبائل، من بينهم بوعمامة المعروف بشراسة مقاومته سالفا، إلى التبريك للجنرال اليوطي والكولونيل Reibell. وساعد هذا الوضع المستقر على توسيع الرقعة الحضرية لمركز العيون، حيث وضع لها تصميم بشكل مبكر، من توقيع المعماري الفرنسي Ecochard، والذي لاتزال نسخة منه ببلدية العيون. لكن لم يتم في الواقع احترام هذا التخطيط، إلا خلال فترة الاستعمار، حيث عرفت المدينة بعد ذلك فترة البناء العشوائي، الذي نتج عنها نسيج حضري ممزق، صعب الهيكلة والتجهيز.

واعتمادا على الصور الجوية لسنة 1950، تبين على أن مساحة الرقعة الحضرية كانت لا تتجاوز بعض عشرات الهكتارات، ليصل حاليا المدار الحضري إلى 336 هكتار. كما ارتفع عدد السكان بسرعة، حيث انتقل من حوالي 1800 نسمة، سنة 1951، إلى ما يزيد عن 35.000 نسمة حاليا. يرجع سبب هذا الانفجار الديمغرافي إلى عوامل عدة، أهمها : عائدات الهجرة التي أصبحت توظف على الخصوص في البناء والمضاربة العقارية. كما يرجع هذا التوسع الحضري إلى الهجرة القروية المتزايدة خلال النصف الثاني من القرن العشرين لأسباب متعددة. حاليا أصبحت بلدية العيون، الفتية، حيث لم تنشأ إلا في بداية التسعينيات، تعاني من مشكل عويص، يتمثل في انتشار السكن العشوائي غير المهيكل، إذ بلغ عدد الأحياء غير القانونية ستة عشر حيا، يقطنها حوالي 90٪ من مجموع سكان المدينة. فباستثناء حيي المركز وحي الشكنة، اللذين تم إنشاؤهما منذ سنة 1950، فباقي الأحياء لم تظهر إلا ابتداء من 1970. وقد أدت المضاربة العقارية والإبهام الذي يشوب أراضي الجموع الواسعة الامتداد، إلى تمزق النسيج الحضري وإلى صعوبة تمديد شبكة التطهير والمواصلات والكهرباء وماء الشرب، مما جعل هذه الأحياء تعاني، جزئيا أو كليا، من انعدام التجهيزات الضرورية. ومن المشاكل الأساسية والمستعصية، وجود فراغات متعددة، تعوق الاستصلاح والتجهيز، حيث 48٪ من البقع المتوفرة داخل المجال الحضري لاتزال غير مبنية. كما أظهرت بعض الدراسات الميدانية على أن ثلاثة أحياء لاتزال تفتقد إلى كل التجهيزات الضرورية، يتعلق الأمر بحي التقدم وحي الأمل واليعقوبيات والتي يسكنها 1050 نسمة، حسب إحصاء 1991. أما الأحياء الأخرى غير القانونية، والمتمثلة في (النخلة وبوكديم والكريان وعين لحجر والحرية والمطار والمركز والملعب والمسيرة وحرشت مومنة والفتح والشكنة والخميس) فهي مجهزة أو في إطار التجهيز، لكنها في حاجة إلى تصاميم إعادة الهيكلة. وأصبحت بذلك مدينة العيون تعرف احتدام حركة البناء العشوائي على أراضٍ غير محفظة، وبالتالي يصعب إنجاز مشاريع عمرانية لائقة، تتوفر على مواصفات مركز حضري جذاب، قادر على تلبية متطلبات سكانه، داخل بيئة متزنة. لكن تجدر الإشارة إلى عزم البلدية بتعاون مع السلطة المحلية والمجتمع المدني، على الحد من انتشار العمران العشوائي والعمل على توفير سكن لائق. كما نسجل دور وداديات الأحياء والجمعيات المحلية التي تسهم في رفع العديد من العراقيل لتجهيز الأحياء والحفاظ على التراث المعماري، حيث شرعت جمعية قدماء مدارس العيون في ترميم القصبة التي أصبحت تتعرض لإتلاف خطير.

أما الوظائف الرئيسية الحالية للمدينة، فهي تتمثل على الخصوص في المبادلات التجارية، وذلك نظرا لموقعها بمركز شبكة المواصلات الرابطة بمختلف الاتجاهات، المحلية منها والوطنية. فالمدينة تعتمد في مبادلاتها على المحاصيل الزراعية بالأراضي المجاورة من جهة، وعلى التجارة المحظورة والتهريب، اللذين يعرفان تعاقب فترات الانكماش والانفراج، من جهة ثانية. كما أن مدينة العيون تحظى بوجود منشأة صناعية كبيرة تتمثل في معمل إسمنت المغرب الشرقي (سيور) المجاور لها، والتي قد يمكن أن ترتبط بها صناعات أخرى في قطاع البناء.

لكن في الواقع لاتزال مدينة العيون تعتمد في نشاطها وحياتها على عائدات الهجرة المدمجة لجل الأسر، مما أحدث تغيرات ثقافية واجتماعية عميقة وعادات استهلاك جديدة، تتطلب خلق قاعدة اقتصادية قائمة على أسس متينة ومستدامة.

عكاشة برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي 1873 - 1907*، الرباط.

A. Guitoni, *Le nord-est marocain, réalités, potentialités, d'une région excentrée*, Oujda, 1955 ; M.A.T.U.E., *Schéma de développement et d'aménagement régional de l'Oriental*, 2000 ; *Illustration*, Journal universel, tome 1904 - 1908.

الميلود شاكر

عيّاد (أولاد -)، مركز يمثل المدن الموجودة بين الجبل والسهل بمنطقة تادلة، يحتل من جهة تادلة موقعا حيويا نظرا

لوجوده على الطريق الوطنية 24 الرابطة بين مراكش وفاس مرورا ببني ملال. مساحته 6 كلمتر مربع، ويعود تاريخ إحداثه إلى سنة 1992، تحده شرقا جماعة أولاد ناصر وغربا جماعة حد بوموسى وشمالا أولاد ناصر (كلها بإقليم بني ملال) وجنوبا ارفالة (إقليم أزيلال).

ظهر مركز خميس أولاد عياد، الذي ينتمي سكانه إلى قبائل بني موسى، في سياق التطورات المجالية التي عاشها القطاع المسقي لتادلة، إذ بالموازاة مع انتشار السقي الحديث والمنتوجات الفلاحية العصرية عرف سهل تادلا عموما، ومراكزه الناشئة بشكل خاص، استقرار وحدات صناعية كبرى لمعالجة المنتوجات الفلاحية المحلية ورفع قيمتها بالتصنيع. وفي هذا السياق تقرر سنة 1971 إنشاء معمل السكر في هذا المركز. تبلغ طاقة هذه الوحدة الإنتاجية 42 ألف طن في السنة، ويشغل 200 عامل، أما طاقته الاستهلاكية خلال اليوم فتصل إلى 6000 طن من الشمندر السكري.

ومن دون شك فقد زاد هذا القرار من انتعاش المركز، حيث شكل بداية استقرار التجهيزات اللازمة للساكنة والضرورية للمدينة في هذه المرحلة (إدارات، خدمات، تجهيزات اجتماعية...). وقد تزامنت هذه الفترة مع نمو سكاني مهم رفع حجم الساكنة بالمركز من 3997 نسمة سنة 1960 إلى 11687 سنة 1982، فيما أصبح العدد سنة 1994 ما يناهز 18958 نسمة.

ظروف نشأة المركز :

إن الظروف الطبيعية الجيدة (ماء، تربة، انبساط...) منحت منطقة تادلة حظوظا كبيرة للاستثمار الفلاحي، وشدت إليها اهتمام السلطات من فترة الحماية إلى اليوم. وتفتق عن هذا الاهتمام تصور ووضع برامج استثمارية ضخمة بقطاعي بني عمير (الضفة اليمنى لواد أم الربيع) وبني موسى (الضفة اليسرى لواد أم الربيع) بتادلة.

لقد حركت هذه التدخلات دينامية عميقة غير معهودة في تفاصيل الوسطين الريفي والحضري. وحملت بذلك اقتصاد المنطقة المعاشي البسيط، الذي ساد قرونا، إلى اقتصاد فلاحي حديث يعتمد وسائل إنتاج متطورة، وينتج محاصيل متنوعة وعالية المردودية، جزء منها يستهلك والجزء الآخر يصنع محليا ودوليا.

تولدت عن هذه التحولات حركة ديموغرافية متزايدة نظرا لإمكانيات الشغل التي تعددت، ونظرا لفرص تحسين مستوى العيش بالدائرة السقوية. لقد تنوعت إمكانيات العمل في الحقول والوحدات الصناعية التي تقوم بتحويل المنتوجات الفلاحية المحلية، ومن بينها معامل السكر التي استقرت ببعض المدن المهمة ومنها المركز الحضري أولاد عياد.

يمكن ربط تنامي ظاهرة التمدين بالتحولات التي تعرفها منطقة تادلة فيما يخص القطاع الفلاحي، حيث تحولت جهة تادلة أزيلال، التي كانت إلى عهد قريب ضعيفة الكثافة السكانية، إلى حوض تجميع للسكان وللعمران. ومن شأن هذا التطور أن يساهم بشكل كبير في تأسيس ودعم الشبكة الحضرية المحلية والجهوية. ويشكل في هذا الإطار مركز أولاد عياد مكونا أساسيا داخل البنية الحضرية للجهة، والتي تتكون من 12 مركزا بإقليم بني ملال و6 بإقليم أزيلال.

حركة البناء والتجهيز :

يتكون المجال الحضري من بناء وأحياء في مجملها غير منظمة وغير مخططة. لقد كان التطور العفوي هو السمة الغالبة على طبيعة البناء، لذلك يعكس السكن بالمركز نفس الخصائص التي يتميز بها على المستوى الجهوي والوطني، حيث ينتشر السكن الاقتصادي (بشكل واسع) (86٪ سنة 1994) والتقليدي (7٪ في نفس السنة). أما السكن والأحياء التاريخية فليس لها دلالة بهذا المركز.

في مجال التجهيزات التقنية فإن المركز يفتقد إلى الشوارع والأزقة المنظمة والمعبدة على نطاق واسع. ويعاني أيضا من ضعف انتشار شبكة الماء الصالح للشرب، فمن حجم السكان الإجمالي لا يستفيد من هذه الخدمة سوى العشر حسب إحصاء 1994.

ونظرا لتوسع المركز زاد استهلاكه للأرض الفلاحية. ففي بحث أجراه المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي سنة 1993، لتقويم ما تم استعماله في البناء من أراضٍ فلاحية جيدة، تبين أن مركز أولاد عياد، إلى جانب مدن الدائرة السقوية المتوسطة والكبيرة، قد وسعت مرات مداراتها الحضرية من خلال تصاميم التهيئة والتقسيم الجماعي والإداري، مما كان له انعكاسات واضحة على الأرض الفلاحية. فالمدن الأربع المهمة بالقطاع السقوي (بني ملال، الفقيه بن صالح، سوق السبت، أولاد عياد) احتاجت كلها إلى 5430 هكتار، وهي مساحة قدر المكتب الجهوي قيمة منتوجها الفلاحي بما يناهز 42 مليون درهم، وكلف تجهيزها 56 مليون درهم، كان نصيب أولاد عياد من المساحة في حدود 217 هكتار.

تطور بناء المدينة بدون تخطيط جيد، وترك للمتدخلين حرية المبادرة بدون توجيه، وهذا ما يفسر وجود تجزئتين قانونيتين فقط (مساحتهما 11 هكتارا). وقد صارت المساحة الحضرية التي بلغت في 1994 حوالي 238 هكتار تنقسم على النحو التالي :

- 55٪ للسكنى.
- 10٪ للتجهيزات.
- 25٪ للأنشطة.
- 10٪ للطرقات.

يعتبر المركز أفقر مدينة من حيث التجهيزات الأساسية قياسا مع مدن الفقيه بن صالح وسوق السبت مثلا، إذ أن 25٪ من الساكنة فقط هي التي تستفيد من شبكة التطهير، ولا تتعدى نسبة المستفيدين من شبكة الماء الشروب 15٪ حسب دراسة أجريت سنة 1994.

محمد مداد

ابن **عيّادْ**، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Benayyad ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان مع الإشارة إلى أنه إلى غاية سنة 1257 (1841) كانت بحومة الطرانكات ثلاث دور تنسب إلى هذه الأسرة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 323.

عيّادْ، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Ayad.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1208.

محمد ابن عزوز حكيم

عياد، محمد سالم بن محمد بن حمادي ولد سنة 1928 بالعيون. عرف بغيرته وإخلاصه للوطن الشيء الذي دفعه إلى الانخراط في صفوف جيش التحرير سنة 1956 بالمقاطعة التاسعة فرقة تافودارت تحت قيادة صالح بن عسو.

وقد كان مكلفا بتزويد جيش التحرير بالمؤونة كما شارك في عدة معارك حيث أظهر شجاعة نادرة إلى أن استشهد رحمه الله في معركة تافودارت بتاريخ 8 / 2 / 1958.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة رقم 503411.

ابن **عياد، محمد** بن **علي** الهبطي، عالم من قبيلة سماتة الهبطية كان يرأس جماعة من المجاهدين وقد انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني وقد شارك في مؤتمر الثورة المنعقد بقرية عين الدالية بقبيلة الفحص حيث انتخب عضوا بالمجلس الاستشاري للمقاومة بتاريخ 11 ماي 1913، كما شارك في المؤتمر المتعقد بضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913 وفي المؤتمر المنعقد بقرية الزوة بقبيلة جبل حبيب يوم 11 يناير 1915.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

العيادي الرحماني. هو القايد العيادي بن الهاشمي بن مبارك الرحماني من مواليد عام 1300 / 1880 بقبيلة الرحامنة وبالضبط بدوار الشلالكة فخذة أهل الله الواقعة شمال غرب الرحامنة وغرب مركز صخور الرحامنة الذي كان يمثل أهم النزالات داخل مجال قبيلة الرحامنة على الطريق الرابط بين الشاوية ومراكش. تربى القايد العيادي بلهاشمي في أحضان أمه المصونة الشريفة للافاطمة بنت الشريف العلمي. توفي والده السيد الهاشمي بن مبارك الرحماني الشليكي في شهر رمضان من سنة 1311 / 1894 وقد كان محل إعجاب عند معاصريه نظرا لقيادته الحازمة وتطلعاته العالية، جاد بأمواله أثناء تفشي مرض الطاعون بالمغرب الذي قضى على سكان الحوز وتادلة ودكالة سنة 1285 / 1867 حيث كان يقوم بعدة زيارات ويقدم المساعدات للمتضررين من هذا الوباء.

أما سبب تسميته بالعيادي فقد اعتمدت روايتين شفويتين :

- تقول الرواية الأولى إنه سمي بالعيادي لأنه ولد يوم عيد المولد النبوي.

- أما الرواية الثانية فقد استقيتها من أحد خدامه يدعى بوعلي وكان بوابا بدار القايد بالبويبة بقاع المشرع بمراكش والذي فسر هذه التسمية بكون القايد كان حراكا ماهرا وقد غلب عليه استعمال كلمة "أعايد... عايد..." في حركاته أو في لعب "التبوردة" ولذلك لقب بالعيادي.

ومما يؤكد هذا الرأي أن القايد كان يتميز بشجاعة نادرة، وإقدام قل نظيره، حيث كانت له دراية واسعة بفن الفروسية ذلك أنه كان يقيم مهارة الفارس بمجرد النظر إليه راكبا صهوة جواده. إن القايد العيادي تدرب على حمل السلاح منذ نعومة أظافره على يد ابن عمه أحمد الكراوي الذي كان من أمهر المحاربين. يقول دوكوفيون، في كتابه أعيان المغرب الأقصى : "كما يزداد الإنسان شاعرا يمكن القول أن القايد العيادي ولد محاربا ماهرا فمنذ صغر سنه أطلق نار بندقيته قرب مرشده الروحي ابن عمه الكراوي، فهو فارس كامل ورجل بارود يافع، كسرت مشط يده اليمنى بالبارود وهو في ريعان شبابه، لقد من الله عليه بذكاء خارق وكانت له نظرة غير مألوفة وجد ثاقبة للأشياء".

بعض خصوصيات شخصية القايد العيادي :

- اللباس :

كان القايد العيادي بلهاشمي يفضل اللباس "البلدي" الوطني الذي كان يتكون من "الكساء والفرجية والقفطان والمضمة سكرية مطروزة باللون الأبيض والبلغة صفراء والجلباب والرزة من الكتان الأبيض والسلهام وكان اللون المفضل عنده هو الأبيض الذي لازمه طول حياته.

- اهتمامه بالعلماء :

كان للقايد العيادي مجلس للعلماء يتكون من خيرة العلماء نذكر منهم : الفقيه بلحسن الدباغ، والفقيه العاقب الشنكيطي، والفقيه مولاي أحمد بن اليزيد البدراوي، وغيرهم بالإضافة إلى نخبة من الأعيان أمثال أحمد بن الأشهب، والحاج عبد القادر برادة، والشريف مولاي مبارك السباعي.

- كان القايد العيادي يرفض التعليم الفرنسي بدليل أن معظم أبنائه تلقوا تعليما عربيا أصيلا بمدرسة جامع ابن يوسف بمراكش، أو بجامع القرويين بفاس. وبهذا الخصوص عمل القايد العيادي على بناء مدارس حرة كمدرسة بحي قاع المشرع بمدينة مراكش والتي ما زالت تحمل اسمه إلى الآن (مدرسة القايد العيادي) بالإضافة إلى جامع ومدرسة بن جرير وهي المعروفة اليوم بمركز ابن جرير "بمدرسة بن گرير للتعليم الأصيل" وقد حبس على هذه المدرسة مجموعة من الأملاك.

- قضية تمليك الأراضي بقبيلة الرحامنة :

كان القايد العيادي يتميز ببعد نظر كبير حيث فكر منذ البداية في قطع الطريق على المعمرين الأجانب للسيطرة على أراضي قبيلته، فبادر إلى تشجيع أهل قبيلة الرحامنة للتعجيل بتمليك أراضيهم حتى لا تبقى أرضهم في ملك "الجماعة" لأن الاستعمار يستطيع الاستحواذ على هذا النوع من الملكية بسهولة. بهذا الإجراء سلمت أراضي قبائل الرحامنة من سيطرة المعمرين وهذه إحدى حسنات القايد العيادي بل يمكن اعتبار هذا العمل الوطني أحسن هدية قدمها القايد لقبيلة الرحامنة.

- مواقفه السياسية

إن فترة الخمسينات تمثل مرحلة جديدة في المسار السياسي للقايد العيادي الرحماني حيث راجع مواقفه السياسية المساندة للحماية الفرنسية، وانضم إلى التيار الوطني المناهض للقوى التي يمثلها القواد الكبار فبعد أن كان حليفا للكلاوي وفرنسا تحول إلى خصم عنيد رفض المشاركة في الخطة الاستعمارية التي اقتضت تنصيب سلطان جديد لا شرعية له. لم يقف العيادي عند هذا الحد بل ترأس غداة تنصيب محمد بن عرفة حركة انضم إليها بعض المقاومين، ودخل مراكش وواجه رجال الكلاوي. نتيجة لهذا الموقف وبعد نفي بطل التحرير جلالة المغفور له محمد الخامس، تعرض القايد العيادي للاعتقال من طرف الإقامة العامة، وتم نفيه إلى فرنسا وبعد أشهر عاد إلى المغرب. وبما أنه لم يعترف بشخصية الملك المزعوم "ابن عرفة" فقد خضع القايد للإقامة الجبرية بمدينة الدار البيضاء مدة سنتين، وتم تقسيم قبيلة الرحامنة أثناء غيابه إلى ثلاث قيادات.

ومباشرة بعد العودة الميمونة لجلالة المغفور له محمد الخامس من المنفى، رجع القايد العيادي إلى قبيلته التي ترأسها في تقديم فروض الطاعة والولاء إلى السلطان الشرعي، عاد بعدها إلى قيادته. لكن التحول الذي عرفه المجتمع المغربي في أجهزته الإدارية حتم تقاعد القواد الكبار وهكذا تقاعد القايد العيادي تقاعدا تاريخيا تفرغ من خلاله إلى التعبد ومجالسة العلماء بعد أن قضى مدة تزيد عن نصف قرن قائدا كبيرا على قبيلة الرحامنة. وقد لبى القايد العيادي الرحماني داعي ربه في العاشرة ليلا من يوم الأحد 26 شعبان 1383 / 12 يناير 1964 أقبر في أسفل صومعة مسجد ابن جرير بوصية منه.

وثائق خاصة ؛ ابن إبراهيم، *الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام*، تح. عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1975؛ ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس* ؛ ع. الوهاب بنمنصور، *قبائل المغرب*، المطبعة الملكية، الرباط، 1968 ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية*، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

Dr. Louis Arnaud, *Au temps des Mehellas, ou le Maroc de 1860 à 1912*, Edition atlantides Casablanca, 1952 .

عبد العزيز تيلاني

العيادي بن **قصو** بن عمر ولد سنة 1911 بإيموزار مرموشة. انخرط في صفوف جيش التحرير برتبة جندي ضمن فرقة مرموشة التي كان يرأسها السيد إلياس ميمون أوعقى.

وقد شارك إلى جانب رفاقه في الكفاح خلال انتفاضة مرموشة يوم 2 أكتوبر 1955 في الهجوم الذي تم على ثكنة الفرقة 22 للكوم بمركز إيموزار مرموشة.

انتقل إلى رحمة الله يوم 6 / 8 / 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة رقم 516299.

عياش (آيت –)، قبيلة بربرية من أكبر وأشهر قبائل المغرب، لعبت دورا هاما في الميدان السياسي والثقافي، وأنجبت شخصيات بارزة أمثال أبي سالم العياشي صاحب *الرحلة الشهيرة*، وولده حمزة الذي تولى شؤون الزاوية الحمزوية المنسوبة إليه.

وتمتد بلاد آيت عياش جنوبي ميدلت، على بعد نحو 25 كيلومترا من هذه المدينة، إلى الأطلس الكبير، يحدها شمالا الجبل العياشي (أو عاري أو عياش)، وشرقا آيت إزديگ أو آيت وافلا، وغربا آيت يحيى، وهو فرع آخر لآيت وافلمان، وجنوبا بني مجيلد.

وكانت هذه القبيلة مؤلفة من أربع قرى (قصور) وخيام

موزعة في وادي نهر آيت عياش، على نهر وطاط آيت إزديگ وأحيانا على نهر ملوية، وهذه القصور الأربعة هي : تفراجين وتُراسْتْ في الضفة اليمنى، وبنعلي وأنزگمير المقابلان لهما في الضفة اليسرى لنهر آيت عياش الذي ينبع في الجبل العياشي.

هذه هي القبيلة الأم. وقد نُقل منها، في عهد مولاي عبد الرحمن، فخذ هام أقيم جنوبي فاس، على بعد نحو خمسة عشر كيلومترا من هذه المدينة، واتخذ جيشا لحماية العرش العلوي (جيش)، كالأوداية وغيرها من القبائل.

وتحد هذه القبيلة جنوبا الشجع، وشرقا آيت والال، وشمالا آيت السبع، (وهو فرع من آيت سغروشن إيموزار كندر)، وشرقا آيت يوسي. والبلاد على شكل مستطيل مساحتها ما يقرب من 200 كيلومتر مربع، وارتفاعها نحو 600 ميتر بالنسبة لمستوى البحر. وكلها هضاب، ما عدا الجنوب، حيث تقع بعض التلال المكسوة بالأدغال وتسمى "بوحاجة". مناخها قاري، يكون فيها الصيف شديد الحرارة والبرد قارسا في فصل الشتاء. ترابها صالح جدا لزراعة الحبوب والقطنيات وغرس الأشجار المثمرة، لا سيما منها التين والزيتون.

والأرض بورية في نصفها الجنوبي، وسقوية جزئيا في نصفها الشمالي. ذلك لأن عينين من الماء تنبعان في وسطها، هما عين الشگاگ وعين أفحام. الأولى مكونة من عدة عيون تتدفق بغزارة وتنحدر نحو الشمال في وادي نهر يسيل إلى فاس، والثانية تكوّن فرعاً يلتقي بها على مسافة غير بعيدة من هناك. بحيث إن هذين النهرين يرويان الحقول والبساتين التي يمران بها، بينما يبقى الجزء الآخر الجنوبي رهينة تقلبات الطقس. حقا أن جدول ماء (ساقية) يشقه، منحدرا من إيموزار كندر، إلا أنه لا يكفي لسقي جميع المزروعات الموجودة في طريقه، لاسيما في الصيف، الأمر الذي يتسبب في نزاعات ومشاجرات تكون دامية أحيانا بين الفلاحين.

تشتمل البلاد على عدد من القرى والدواوير (مجموعة الخيام) تعرف بأسماء الفروع والعائلات التي تسكنها، منها : آيت الحاج، وآيت بوفتين، وآيت حمّي، وآيت عمرو كوّ، آيت داوود أو سعيد وغيرهم. كما تشتمل على مواقع وأماكن كبوحاجة المذكور،وأعمود، وترابكة، ودندون، وتاعروست، وسيدي بوفطّوز، وسيدي مسعود، وسيدي بومعيز، والگريعة، والرمل وسيدي خيار والزاوية وما إلى ذلك.

أصل آيت عياش فاس هذه من قصر واد أنزگمير المذكور، جنوبي ميدلت. وأول من نزح إلى هذه الناحية، مع عشيرته وبعض الفروع من القبيلة، هو الحاج محمد بن أبي مدين، في أوائل القرن الثالث عشر (التاسع عشر للميلاد) وهو الذي بنى الدار الحالية بعين الشگاگ. ومات وعمره 65 سنة تقريبا. وبه عرفت العائلة الحاكمة للقبيلة (أولاد الحاج) وخلف عدة أولاد منهم :عبد الوهاب، وأبو مدين، وحماد.

وكان هذا الأخير خليفة للأول عندما كان قائدا على بني مچيلد.

ولد القائد عبد الوهاب سنة 1225 / 1847، وقرأ في المنزل العائلي على الشيخ مولاي الحبيب إبُرْبّوهم، إلا أنه سرعان ما تبين أنه رجل معد للحرب وركوب الخيل، فأصبح أحد القواد الرئيسيين لبني مطير وآيت عياش. شارك في عدة غارات، إقليمية كانت أم مخزنية، جرح خلالها ثماني مرات، إحداهما بجبل زرهون، حيث لمست رصاصة شغاف قلبه، وتطلب علاجه قطع ضلعين، وقام بالعملية الطبيب الجراحي للملك سيدي محمد بن عبد الرحمن. وبعد القيام بحملات حربية في تافيلالت والسوس، ذهب لمحاربة بوحمارة وكاد يلقى حتفه قرب مدينة تازة. إن جميع هذه الصدمات المتكررة أصابت جسمه كثيرا، ولكن دون أن ترغمه على الراحة. وفي 23 ربيع الأول 1327 / 4 أبريل 1909، قتل وهو يحارب بني مچيلد الذين كانوا قد تحالفوا مع بعض الثوار من بني مطير، وكان ذلك بالحاجب. فحمل جثمانه فورا إلى سيدي مسعود، بقبيلة آيت عياش، ودفن هناك قرب أحد أبنائه، وهو رحّو، الذي كان خليفته على القبيلة. ورحّو هذا كانت شهرته الحربية وشجاعته يرتجف العدو منهما. وقتله أيضا بنو مطير سنة 1314 / 1906، قبل أبيه بثلاث سنوات.

وخلف القائد عبد الوهاب ابنه علي، بظهير من السلطان مولاي حفيظ سنة 1287 / 1909، الذ ي عيّنه مكافأة لما أنجزه أبوه من خدمات للمخزن "ولو ترك الراحل إلا امرأة لسلّمت لها خاتم القبيلة". وكان علي أصغر إخوته، من بينهم بوگرين الذي كان خليفته على آيت عياش. وهما الابنان الوحيدان اللذان كانا على قيد الحياة بعد وفاة أبيهما.

ولد القائد علي بعين الشگاگ سنة 1318 / 1890، وتلقى المبادئ الأولية في الدين واللغة في المنزل العائلي. إلا أن مهامه الجديدة - كمسؤول عن قبيلته - جعلته يخوض باكراً ميدان السياسة والحرب. إذ لم يتعد عمره إذ ذاك 19 سنة. وهكذا، فلم يلبث أن حشد 200 فارس و500 راجل وقاتل الأعداء بني مطير، آخذا بالثأر لأبيه عبد الوهاب وأخيه رحو.

ولما تعرض المغرب لهجوم الجيش الفرنسي، عام 1912، دافع القائد علي وأخوه بوگرين عن نفسهما على رأس قبيلتهما. ولم يكتفيا بذلك، نظرا لانعدام الوسائل الكافية للصمود أمام أقوى جيش عصري في ذلك العهد فتحالفا مع أعدائهما السابقين، عاملين بالمثل القائل : "إذا أوشك الغريق على الهلاك، تعلق ولو بحية". فتصديا للعدو والمهاجم، مع حلفائهما بني مچيلد وبني مطير مرة أولى براس الماء، ومرة ثانية بعيون السمار. فانهزما شر هزيمة وارتأيا أن يلتجئا في الجبل القريب، ثم بعين الجراح غربي إيموزار كندر.

توفي القائد علي العياشي بفاس في شهر يونيو 1940.

أبو سالم العياشي، *رحلة*، طبعت على الحجر بفاس عام 1316 /

1898 في جزنين : محمد العياشي، *الثغر الباسم (أو النور أو الزهر) من كلام أبي سالم*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 5304 ك : عبد الله العياشي، *الاحياء والانتعاش في تراجم سادات زاوية أيت عياش*، ميكروفيم، الخزانة العامة بالرباط رقم 1433 د : *كتاب أعيان المغرب الأقصى*.

Marthe et Edmond Gouvion, *Kitab Ayane al-Maghrib al-Aqsa*, Librairie orientaliste Paul Genthner, 12 rue Vavin, Paris (VI°), 1939, p. 781-785.

محمد الأخضر

عياش، جرمان الأستاذ الجليل والعالم النحرير والمربي المقتدر، من أقطاب المدرسة التاريخية المغربية المعاصرة. ولد بمدينة بركان على ملة اليهود سنة 1915. وكان والده يتردد على الجزائر المحتلة بقصد التجارة. فنال من ذلك الجنسية الفرنسية فانتقلت إلى ولده جرمان الذي التحق بالتعليم الفرنسي. وسرعان ما تبدى فيه نبوغه، فقطع مراحلة بسرعة أثارت الانتباه إليه باكرا، إذ حصل على شهادة التبريز في الأداب الكلاسيكية، وهي دراسة اللغة الفرنسية بالاعتماد على اللغتين اليونانية واللاتينية، ولما يتجاوز عمره عشرين عاما. ثم التحق بسلك التدريس في ثانوية ليوطي (وهي اليوم ثانوية محمد الخامس). وما أن اندلعت الحرب العالمية الثانية، حتى لبى نداء الواجب العسكري دفاعا عن وطنه الثاني ودفاعا عن معسكر الحرية ضدا على معسكر العنصرية والاستبداد. وكان قد تشبع بفلسفة ماركس وبالمبادئ الشيوعية فكان عضوا في فرع الحزب الشيوعي الفرنسي في المغرب. ويوم تأسس الحزب الشيوعي المغربي بقيادة ليون سلطان وعلي يعتة، انضم جرمان عياش إليه فصار من وجوهه البارزة. ولذلك تعرض للمضايقات وللزجر من قبل سلطات الحماية التي لم تطق صبرا على نضالة من أجل القضايا الوطنية المغربية غداة الحرب الكبرى، ودفاعه عن حقوق الشعب المغربي في الحرية والكرامة وهو متدرع بالجنسية الفرنسية. فصدر الأمر بنقله إلى سلك التعليم بفرنسا في طليعة الخمسينات من القرن العشرين. ولم يعد من منفاه إلا غداة الاستقلال. واشتغل عندئذ بالبحث التاريخي فكان ممن انكب على ترتيب جانب من الوثائق المخزنية تحت إشراف الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور مؤرخ المملكة. ثم التحق بالطاقم الأول لأساتذة التاريخ في كلية الآداب والعلوم الإنسانية فور إنشاء جامعة محمد الخامس سنة 1957. وفي سنة 1960، أسندت إليه إدارة تحرير مجلة هسبريس - تمودا، وظل يشرف على إصدارها إلى وفاته سنة 1990. وكان جرمان عياش ممن اعتمدت عليه كلية الآداب يوم تقرر إلغاء الشعب المفرنسة فيها وتعميم التعليم بها باللغة العربية. فكان شهادة حية على أن حسن التعبير بحسن الإراك، فهو الذي كانت عربيته لا تتجاوز في الأصل عربية الجاليات اليهودية المغربية، قد استطاع أن يبلغ الرسالة العلمية لجيل كامل من الشباب الباحث الذي هو اليوم يؤطر للدراسات التاريخية في مختلف جامعات المغرب. وقد خلف جرمان عياش فضلاً عن دروسه في الجامعة كتابات تعتبر نموذجية في البحث التاريخي انطلاقا من مقاله عن "مظاهر الأزمة المالية في المغرب بإثر الهجوم الإسباني سنة 1960"، الصادر في مجلة Revue historique، عدد أكتوبر - دجنبر سنة 1958، وتتويجا بكتابه عن "*أصول حرب الريف*" الصادر سنة 1979، وهو أطروحة دكتورة ناقشها في جامعة باريز. وكان يعد لكتاب عن ماجريات حرب الريف. لكن المرض أقعده، ثم استعجلته المنية قبل أن ينتهي منه. وأصدر ورثته فصول. الكتاب على ما وجدوها عليه، وذلك سنة 1996 تحت عنوان *حرب الريف* عن دار لارمطان L'Harmattan. وقد توفي جرمان عياش في شهر غشت سنة 1990 في الديار الفرنسية حيث وري جثمانه في مدينة نيس، مأسوفا عليه من قبل زملائه وطلابه وأصدقائه لما كان عليه من الخصال الحميدة ومن اللباقة و السكنية والوقار، ولما أسداه للبحث العلمي في وطنه الأصلي.

إبراهيم بوطالب

العياشي، حمزة بن عبد الله، أكبر أبناء ابن سالم، لمعت شخصيته في إطار الاهتمام البالغ بتطوير الزاوية والمحافظة على استمرار دورها الديني والتعليمي حتى اشتهرت باسمه.

ولد الشيخ حمزة سنة 1068 / 57 - 1658، ونشأ في رعاية والده فأفاد من علمه، وتجاربه، وإجازاته المتنوعة، كما حظي بإجازة عامة نظمية منه، واستجاز له عددا من شيوخه المغاربة والمشارقة. وانطلاقا من زاويتهم كمركز بدوي نشيط يتلقى الشيخ حمزة العلم على يد عدد من أفراد الأسرة الأكفاء وبخاصة عن الشيخ محمد بن محمد بن عبد الجبار الذي لازمه أعواما قرأ عليه خلالها غير ما كتاب كما حضر دروس الدين، والحساب، والعروض، والمنطق. وعلم القراءات وغير ذلك. وأجازه إجازة عامة موسعة ناظمية ركز فيها على سلسلة الإسناد في كل فن من الفنون المدروسة. ويظهر أن الميول العلمية دفعت الشيخ حمزة منذ وقت مبكر إلى الانكباب على تثقيف نفسه بالدرس، والمطالعة، والمشاركة في مجالس العلماء. وقد وجد في مكتبة الزاوية إرثا ثقافيا، وفي علاقاتها العامة مجالا واسعا لإثراء تلك الميول وإغنائها بالزيارات والمراسلات المتبادلة. وبذلك وقف على أصداء الحركة الفكرية في عاصمة المغرب العلمية - فاس - أو في باقي المراكز البدوية. كما أنه استغل رحلته الشرقية إلى الديار المقدسة سنة 1099 / 1688 في السماع والمذاكرة، وطلب عددا من الإجازات منها إجازة الشيخ محمد الخرشي باسمه واسم أبنائه، وأخيه أحمد، وعدد من أصدقائه من أبناء الزاوية الفاسية ومن غيرهم.

ويبدو أن هذه الرحلة كانت موفقة اتضحت نتائجها في اتساع المعرفة واتصال الأسانيد والمحافظة على صدى الحركة التربوية التي قادها أبو سالم.

وإذا حاولنا تتبع النشاط الذي أسهم فيه الشيخ حمزة اعتمادا على المصادر المقربة من الأسرة أو الأقرب تاريخيا نجده يشمل الاعتناء بتوسيع أملاك الزاوية ومواردها ومداخيلها وهذا الجانب المادي يعبر عنه الشيخ محمد بن الطيب القادري (في نشر المثاني) في الترجمة القصيرة التي عقدها للشيخ حمزة بقوله : "من أهل الوجاهة والثروة"، ويقدم مؤلف الاحياء والانتعاش في نفس السياق وصفا لمكانة الزاوية ومستوى ثرائها في أيامه بقوله : "...وطلعت سعودها، وغابت نحوسها، وفاضت بركاتها، وكثرت خيراتها، وبلغ صيته المشارق والمغرب... ورجعت الزاوية قاعدة من قواعد المغرب العظام". ويقترن هذا الصيت والغنى - حسب ما يستنبط من نفس المؤلف - بسلوك الشيخ حمزة ومكانته العلمية والخلقية فهو يصفه بالعلم والعمل، والتواضع والصبر، وعدم المبالاة بمظاهر الترف. وبذلك نخرج بملاحظة عامة مفادها أن هناك إجماعا حول اتساع ثروة الزاوية وهو شيء لم تعرفه من قبل. فالنصوص المذكورة تشير بشكل صريح أو ضمني إلى كثرة عدد الزوار الذين يحضرون لرؤية الشيخ والتبرك به أو الذين يرسلون رسلهم. وكلهم يقدمون أحسن ما لديهم من الهبات والمنح اعترافا بمحبتهم للشيخ وتعلقهم بتعاليم الزاوية الشاذلية المبنية على محبة الرسول (ص) غير أن صورة الالتزام بتقديم المنح، واهتمام الشيخ حمزة بثروة الزاوية لا يخرج عن إطار الأهداف التي كانت تسعى لتحقيقها خدمة للصالح العام. لذلك سوف نحاول التعرف على خلق الشيخ حمزة ومجهوداته في سبيل نشر العلم. برغم الثراء - المشار إليه - لم يبتعد الشيخ عن السلوك البسيط والعمل بالمبادئ التي يدعو إليها. ولن نجد لدى مترجميه اختلافا حول زهده وورعه. فالشيخ لا يرتدي الملابس الرفيعة، ولا الملابس التي تنكرها النفس، بل كان لباسه غالبا متوسطا وثيابه من منسوجات الدار مما يتناسب مع الحال. كما أنه يقضي يومه في العمل والوعظ، يكثر من الأذكار، وله ورد معلوم من تلاوة القرآن والصلاة على النبي (ص) وهو يقضي نصف الليل الأول تاليا ذاكرا. أما مجهوداته في سبيل تشجيع الحركة التعليمية واستمرارها فيتجلى في الإقبال الكبير على اقتناء الكتب، وبذلك كان له الفضل في جمع نصيب هام من محتويات المكتبة كما تدل الملكية المسجلة على قسم من المخطوطات سواء المنقولة من الشرق أو مما تملكه من المغرب من مدينة فاس أو من غيرها، وكان يشترى أحيانا مكتبة بكاملها كما تثبت الملكيتان على المخطوط رقم 290.

وهنالك قسم من الكتب ساهم في نسخه شخصيا أواستنسخه داخل الزاوية وأحيانا خارجها. وكانت النساخة من أقوى موارد المكتبة وهي حركة نشطت في أيامه بشكل ملحوظ ونشير إلى مورد آخر أقل أهمية ولكنه ساهم في مكونات المكتبة وهو إهداء الكتب، ومن أمثلة ما توصلت به المكتبة أيام سيدي حمزة المخطوط رقم 311 الذي قام بتحبيسه على زاوية ابن سالم الأمير عبد الملك بن السلطان إسماعيل العلوي بتاريخ جمادى الأخيرة سنة 1128 / ماي يونيه 1716 وهو شرح فريدة السيوطي لابن زكري. وكان دور الشيخ حمزة أساسياً في إنجاح هذه الحركة بالإسهام المادي أو في المقابلة ومقارنة النسخ، وتصحيح منتسخاتها، بالإضافة إلى ما تستلزمه مهمة المحافظة على ثروة المكتبة من الضياع وتعاهدها بالصيانة والعناية. وقد استمر في أداء هذا الدور التعليمي الصوفي إلى وفاته في 10 صفر 1130 / 13 يناير 1718.

ع. عبد الله بن عبد الكريم، *الإحياء والإنتعاش في تراجم سادات زاوية آيت عياش*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 1433د، ورقة 173 - 194 ؛ محمد بن الطيب الحسني القادري، *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، نشر وتوزيع مكتبة الطالب، 1986، ج. 3، ص. 237 ؛ *التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار أعيان المائة الحادية والثانية عشر*، تح. هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الآفاق، بيروت، 1983، رقم الترجمة 475، ص. 313 ؛ محمد حسنين بن محمد مخلوف، *شجرة النور الزكية في طبقات المالكية*، دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة مصورة بالأوفسيط، ص. 336 ؛ محمد المنوني، *مكتبة الزاوية الحمزية صفحة من تاريخها*، مجلة تطوان، العدد 8 سنة 1963.

نفيسة الذهبي

العياشي، أبو **سالم**، الرحالة الكبير والعلامة الشهير أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن يوسف بن موسى بن محمد بن يوسف. وكان يعرف بعفيف الدين المالكي المغربي. وينتمي نسبه إلى الأدارسة.

ولد لليلة بقيت من شعبان 1037، موافق 4 ماي 1628، في قبيلة آيت عياش البربرية، المتاخمة لبلاد الصحراء من أحواز سجلماسة والواقعة في جبل الأطلس الكبير، جنوبي مدينة ميدلت الحالية، على بعد 60 كلم منها. فنشأ هناك وقرأ على أبيه الذي أسس زاوية في سنة 1044 / 1634، قرب قرية تازروفت، على ضفة أحد روافد نهر زيز، بإشارة من شيخه محمد بن أبي بكر الدلائي.

ثم رحل إلى وادي درعة، حيث لازم الشيخ محمد ابن ناصر وأخذ عنه الفقه والحديث والتفسير والتصوف. وبعد ذلك توجه إلى مدينة مراكش، ولقي بها الشيخ أبا بكر بن يوسف السجلماسي المراكشي الذي لقنه الذكر وأجازه إجازة عامة مشتملة على الإذن له في لبس الخرقة والجلوس على السجادة لموعظة المريد.

وفي سنة 1063 / 1652، أُجلي مع عشيرته إلى مدينة فاس لكونه رفض خطة القضاء بمراكش التي عرضها عليه السلطان محمد الشيخ السعدي. فأقام بها سنة كاملة قرأ فيها على أجل أساتذة ذلك العصر أمثال الشيخ عبد القادر بن يوسف الفاسي، أخذ عنه علوما جمة كالتفسير والحديث والفقه والنحو والبيان والأصلين والتصوف، وأجازه في منتصف شعبان 1063 / 11 يوليوز 1653. ونص هذه الإجازة

هو الذي ترجمه محمد بن شنب ؛ وحمدون الأباز : قرأ عليه المختصر وفرائضه بالعمل وجملة من القلصادي، وصحيح البخاري والفاتحة لابن مالك ؛ ومحمد بن أحمد ميارة : قرأ عليه جملة من الفقه المالكي فأجازه ؛ وعبد الرحمن بن القاضي ؛ والقاضي محمد بن سودة : قرأ عليه الفقه المالكي ؛ وعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي : قرأ عليه الروضة وقصيدة في الأسطرلاب وضعها من أجله ؛ وأحمد بن علي بن مواشي الزرهوني ؛ وميمون الرتبي ؛ وحمدون المزوار ؛ ومحمد بن أبي القاسم الدادسي.

حج أبو سالم العياشي ثلاث مرات، أقام خلالها في القاهرة ومكة والمدينة وبيت القدس والرملة : الأولى عام 1059 / 1649، والثانية عام 1064 / 1654، والثالثة عام 1072 / 1661. وإثر سفره الأخير ألف رحلته المشهورة "ماء الموائد"، المطبوعة على الحجر في مجلدين بفاس عام 1316 / 1898.

وخرج، في حجته هذه، من سجلماسة يوم السبت 10 ربيع الثاني 1072 / 3 دجنبر 1661، ودخل مكة المكرمة عشية يوم السبت 5 ذي الحجة من السنة المذكورة / 22 يوليوز، بعدما قطع المراحل الآتية : وادي چير، ضاية الحمام، توات، وارگلا، طرابلس، اليهودية، برقة، درنة، انبابة، القاهرة، درب الحجاز، الدار الحمراء، السويس، البندر، الينبع، بدر، رابغ والظهران.

ولقي بمصر أبا اللطف الوقائي، الذي ألبسه الخرقة وكنّاه أبا سالم بقوله : "سالم إن شاء الله في الدنيا والآخرة !" سمع عليه بلفظه جملة صالحة من مناسك الحطاب وخطبة القاموس وخطبة نفح الطيب.

وبعد تأديته مناسك الحج، توجه إلى المدينة المنورة لزيارة الأماكن المقدسة، وذلك يوم الخميس 2 محرم الحرام 1073 / 17 غشت 1662. وأثناء إقامته التي دامت ثمانية أشهر، تمكن من التعرف على عدد كبير من المشايخ، منهم : علي الأجهوري : قرأ عليه البخاري وابن ماجة وابن الجوزي ؛ إبراهيم الميموني : أخذ عنه الترمذي والبخاري ومسلم والشفاء ؛ شهاب الدين الخفاجي، إمام الحنفية بمصر ؛ أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الربيع اليمني الزبيدي، الذي كان قد لقيه بمكة عام 1064 / 1654 : أخذ عنه القراءات السبع وأجازه ؛ الملا إبراهيم بن حسن الكوراني الشهرزوري الشهراني : أخذ عنه الحديث المسلسل بالأولية وشرح الهداية في الحكمة لولد الجرجاني والتحفة المرسلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في علم الحقائق للشيخ محمد بن فضل الله المهدي ؛ القشاشي : لقنه الذكر وحضه على لزوم طريقة السادات الشاذلية ؛ ياسين بن محمد بن غرس الدين الخليلي : قرأ عليه صحيح البخاري وإحياء علوم الدين وبعض كتاب المواهب وبعض كتاب الشفا وغير ذلك، وأجازه إجازة عامة ؛ إبراهيم بن الشيخ خير الدين ؛ بدر الدين الهنري : أخذ عنه مختصر السعد التفتزاني على تلخيص المفتاح وأول شرح المواقف للسيد وأول شرح القطب على الشمسية ؛ جمال الدين الهنري النقشبندي ؛ شهاب الدين أحمد بن التاج ؛ محمد القزاري ؛ يحيى بن الباشا الأحسائي الحنفي ؛ علي الضرير المالكي الأحسائي : قرأعليه الرسالة وتفسير البغوي والدر المنثور للسيوطي ؛ محمد السوداني : قرأ عليه المختصر ؛ محمد بن رسول الشهرزوري : أخذ عنه فقه الشافعية ؛ السيد مصطفى ولقي بها محمد بن محمد بن سليمان الروداني.

ولقي بالرملة السيد محمد بن أبي الوفاء الأشقر الحسني وعقد معه الأخوة عند قبر سيدنا الفضل بن العباس.

عاد إلى مكة المكرمة أول رمضان 1073 / 9 أبريل 1663، ولقي بها بعض الأفاضل والاخوان، منهم : زين العابدين الطبري الحسيني، الذي أجازه ؛ أبو محمد عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري ؛ عبد الرحمن الثعالبي الجزائري ؛ سعيد المقري : أخذ عنه جميع معجم الطبراني الصغير بلفظه وأربعين حديثا عن أربعين شيخا لتقي الدين الفاسي والربع من الشمائل والفوائد المنتخبات الحسان من الصحاح والغرائب، تخريج أبي نصر الشيرازي من أصول سماعات القاضي أبي الحسن الخلفي (20 جزءا).

وكان رجوعه إلى بلاده يوم الأربعاء ظهرا 17 شوال 1074 / 13 ماي 1664، سالكا تقريبا نفس الطريق التي مر بها في ذهابه. وكانت مدة غيابه ثمانية عشر شهرا وسبعة أيام.

وتوفي بالطاعون في 17 ذي القعدة 1090 / 20 دجنبر 1679 (في 18 منه / 21 دجنبر حسب القادري، وفي 10 منه / 13 دجنبر حسب مصادر أخرى). والأرجح هو الأول المذكور في "الثغر الباسم" (ص. 20).

خلف العياشي، بالإضافة إلى رحلته المذكورة : في النحو كراسة في لو الشرطية ؛ في الفقه : أ - شرح المحلي (لم يكمل) ؛ ب - أرجوزة في البيوع لابن جماعة "معونة المكتسب وبغية التاجر المحتسب" ؛ جـ - شرح هذه الأرجوزة "إرشاد المنتسب إلى فهم معرفة المكتسب" ؛ د - "أجوبة الخليل عما استشكل من كلام خليل" ؛ هـ - "القول المحكم في عقود الأصم الأبكم" ؛ و - "العلاوة فيما ركع في محل سجود التلاوة" ؛ ز - "المغربات في إصطلاح الوتريات" ؛ حـ - "تحرير الكلام في أمر النبي صلى الله عليه وسلم في المنام" ؛ في علم الكلام : "الكشف والبيان في مسألة الكسب والإيقان" ؛ في الحديث : أ - "المسلسلات العشرة المنتخبة" ؛ ب - "الحكم بالعدل والإنصاف الدافع للخلاف فيما وقع بين فقهاء سجلماسة من الاختلاف في تفكير من أقر بوحدانية الله وجهل بعض ما له من أوصاف" ؛ الفهارس : أ - "اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر" (أو "مسالك الهداية إلى معالم الرواية" أو "العجالة المرقية بأسانيد الفقهاء والمرشدين والصوفية") ؛ ب - "تحفة (أو "إتحاف") الأخلاء بأسانيد الأجلاء" ؛ جـ - "وسيلة العبد الغريق بإثمه في الطريق" ؛ في التصوف : أ - نظم أصول الطريقة لزروق ؛ ب - "إظهار المنة

على المبشرين بالجنة" ؛ جـ ـ "تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية" ؛ د ـ "سوق العروس وأنس النفوس" ؛ في مدح النبي صلى الله عليه وسلم : مجموعة تشتمل على اثنتين وأربعين قصيدة ؛ قصيدة في صناعة الجدول ؛ رسالة إلى أبي العباس أحمد بن سعيد المجيلدي في الحج. وهذه الرسالة هي التي ترجمها إلى الفرنسية، مع مقدمة، كاتب هذه السطور.

م. ابن تاويت وم. الصادق عفيفي، الأدب المغربي، بيروت، 1960 ؛ ابن الحاج أحمد بن محمد بن حمدون، الدر المنتخب المستحسن في مآثر مولانا الحسن، مخطوط ؛ م. ابن زاكور، نشر أزاهر البستان، ص. 29، 179، 216، 233 و362 ؛ م. الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية (1075 ـ 1311 / 1664 ـ 1894)، الدار البيضاء، 1977.

J. M. Abdeljalil, *Brève histoire de la littérature arabe* ; A. Berbrugger, *Voyages dans le Sud de l'Algérie et des états barbaresques de l'Ouest et l'Est, par el-'Aïachi et Moulay Ahmed* dans Exploration scientifique de l'Algérie (Sciences historiques et géographiques), IX, Paris, 1856 ; J. Berque, *Al-Yousi, Problèmes de la culture marocaine au XVII° siècle*, Ecole pratique des Hautes Etues, VI° section, Paris.

محمد لخضر

العياشي، عبد الله بن عمر بن عبد الكريم، من أسرة بني عياش المشهور أفرادها بالعلم والتصوف والرحلة، القاطنين بالزاوية العياشية التي تقع على سفح جبل العياشي، على ضفة أحد روافد واد زيز، بقرية تدعى تزرفتو، جنوبي مدينة ميدلت بنحو ستين كلم (ع. العياشي، فهرس، ص. 28).

لا نعرف شيئا عن طفولته ولا عن مستواه المعرفي والاجتماعي. لكن بالرجوع إلى مؤلفه *الإحياء والانتعاش في تراجم سادات أيت عياش*، نستطيع أن نقول إنه كان من بين فقهاء البادية الذين استطاعوا أن يكسروا طوق العزلة التي يفرضها المحيط الذي نشؤوا فيه ؛ فحصلوا ثقافة لا بأس بها ؛ لا سيما وأن زاويتهم كانت يومئذ إحدى منارات العلم. فمن خلال المصدر المذكور يبدو أن المترجم كان حافظا لكتاب الله الكريم، وأنه كان ملما بما هو معلوم من الدين بالضرورة، لا سيما ما يتعلق بالعبادات والمعاملات. لكن لا يخالجنا شك في أنه كان من بين أدباء ذلك الوقت. فقد تخللت أسلوبه سجعات جميلة لا تكلف فيها ولا تمحل. وشحن تراجمه بالشواهد الأدبية التي تدل على أن ثقافته لم تكن متواضعة.

وإذا كانت معرفتنا به ترتبط أساسا بالكتاب الذي ترك ؛ فلأنه يتضمن معلومات تعز في نظرائه، وبخاصة في منطقة كانت تسودها الثقافة الشفهية ويندر فيها التدوين. ومن ثم، يعد وثيقة فريدة، ولاسيما حين ترجم محمدا بن عبد الجبار العياشي ـ آت الترجمة ـ وضمنها الرسالة التي بعث بها إلى أحد أقربائه، ليخبره بحال المغرب الذي نزلت به مجاعة عظمى عامي 1071 ـ 1072.

توفي عبد الله بن عمر العياشي عام 1169 ـ 1756.

ع. العياشي، فهرس، تح. ن. الذهبي ؛ ع. بن عمر العياشي، *الإحياء والانتعاش في تراجم سادات أيت عياش*، مخطوط مصور، الخزانة العامة بالرباط، 1433 د ؛ م. المنوني، المصادر العربية، 1 : 163.

أحمد عمالك

العياشي، عبد الله ابن المجاهد مَحمد السلاوي، فقيه عامل أديب ناظم ناثر. درس بسلا وفاس على عدد من علمائها، أمثال محمد العربي بن محمد البوعناني الذي أجازه سنة 1048 / 1638 ثلاث إجازات في الحديث والقراءات والمصافحة، وأبي القاسم بن أبي النعيم وعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي. كما أجازه من علماء المشرق عالم الحرمين الشريفين عيسى الثعالبي. وكانت له مجالس علمية في مدينة سلا يتردد عليها كبار علماء الوقت، مثل محمد بن أحمد ميّارة الفاسي الذي أطلعه على تأليفه المعنون بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين، وهو شرح لنظم الفقيه عبد الواحد بن عاشر الأكبر، فأشار عليه باختصاره، فألف ميارة الشرح الأصغر المعروف بمختصر الدر الثمين. وقد مدح عبد الله العياشي كتاب المرشد بقوله :

عليك إذا رُمْتَ الهدى وطريقه ... وبالدين للمولى الكريم تدين
بحفظ لنظم كالجمان فُصُوله ... وما هو إلا مرشد ومعين

إلى جانب نشاط عبد الله العلمي والأدبي، كان يشارك والده في عملياته الجهادية، ويساعده في مهمته وينوب عنه في بعض العمليات. وقد حاول الثأر لوالده بعد مقتله، فجمع أنصاره واصطدم بجيش الدلائيين سنة 1053 / 1643، في معركة انتهت بتفوق الدلائيين وتشتت أنصار عبد الله العياشي.

ويظهر أن عبد الله استقر بمدينة فاس، حيث كان من بين أعيان المدينة وعلمائها الذي حضروا لاستقبال مولاي مَحمد بن الشريف عند دخوله هاته المدينة آخر جمادى الأولى 1060 (29 يونيه 1650) وقد خاطبه بقصيدة منها :

لَمّا حللتَ حلولَ بدر التمِّ في ... أوطاننا والوابل المتوكّف
ورآيتُ وجهَكَ ذا المهابة بعدما ... كاد الإياس يصدني عن موقفي
وعلمتُ أن الدهرَ أسعد بالمُنى ... ولطالما عهدي به لم يسعف

ومن نماذج شعره قصيدة في رثاء والده منها :

أحمِّل نفسي ما استطعْتُ على الرضى ... بأحكام مَنْ المسلمين بصير
وأصبرُ صبرَ المقتفين سبيل مَنْ ... يرى أنه للصابرين نصير

توفي عبد الله العياشي عشاء ليلة عرفة عام 1073 (15 يوليوز 1663) ودفن جوار سيدي بوسلهام من بلاد الغرب.

لا نعرف من عقب المجاهد العياشي إلا ابنه عبد الله هذا. ويظهر أن بعض أحفاده انتقل إلى مصر واستقر بها مدة طويلة، وبلغ مرتبة اجتماعية تؤهله للتوسط بين الحجاج المغاربة وحكام مصر.

أبو أملاق، عبد القاهر بن محمد، *الخبر عن ظهور الفقيه العياشي بهذه البلاد وذكر سبب قيامه بوظيفة الجهاد* ؛ محمد حجي، *الحركة*

الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، 2 : 447 ؛ *الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي*، طبعة ثانية، 1409 / 1988 ؛ *موسوعة أعلام المغرب*، 4 : 1515.

عبد اللطيف الشاذلي

العياشي، عيوش مقاوم ولد سنة 1915 بمرنيسة إقليم فاس من والده عبد الله بن محمد وأمه فاطمة بنت محمد.

كان الفقيد من المقاومين وأعضاء جيش التحرير المخلصين والمدافعين عن عزة الوطن وكرامته لذلك اختار العمل المسلح ضمن صفوف جيش التحرير بمركز بورد تحت قيادة محمد علال وقد شارك في العديد من المعارك والهجومات التي شهدتها مناطق تازة إلى أن تم طرد المستعمر الغاشم وتحقق الاستقلال.

وقد استجاب لنداء ربه 30 / 11 / 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة رقم 529154.

العياشي، مَحمد بن **أحمد**، المجاهد السلاوي، من رجال السياسة في مغرب النصف الأول من القرن 11 (17 م). ظهر في وقت عرف فيه المغرب ظروفا سياسية خاصة تتمثل في تنازع أبناء أحمد المنصور السعدي على الملك بعد وفاة والدهم سنة 1603، واقتصار سلطتهم على بعض المدن كفاس ومراكش، وقيام زعامات محلية في مختلف جهات المغرب، واستغلال إسبانيا لهذه الوضعية لاحتلال العرائش سنة 1610، ثم المعمورة (المهدية حاليا) سنة 1614.

ولد مَحمد بن أحمد المالكي الزياني سنة 980 / 1573، في بيت خير وصلاح منذ القديم، وكانت لآل العياشي الرئاسة المتوارثة على بني مالك في الغرب.

تلقى العياشي مبادئ القراءة والكتابة في مسقط رأسه، ثم انتقل إلى سلا حيث لازم الشيخ عبد الله بن حسون، ووقف نفسه على خدمته. وكان أسرع التلاميذ إلى خدمة الشيخ وأكثرهم طاعة له. وكان تلقيه منه على وجهين : وجه التتلمذ العلمي، ووجه المصاحبة في الطريقة، ورغم أن ابن حسون لم يجز أحدا، فإن كل الذين تحدثوا عن العياشي أطنبوا في تحليته بألقاب العلم والمعرفة.

حوالي سنة 1012 / 1604 أهدى بعض أشياخ القبائل إلى عبد الله ابن حسون فرسا، فأمر الشيخ بإسراجه وقال : أين محمد العياشي، فقال له : ها أنذا يا سيدي، فقال له : اركب فرسك ودنياك وآخرتك، فتقهقر متأدبا، فحلف له وحبس له الركاب بيده وقال : ارتحل عني إلى أزمور، وانزل على أولاد أبي عزيز وجاهد في سبيل الله. وهكذا نزل العياشي عند أولاد أبي عزيز وطال به المقالم عندهم حوالي 10 سنوات، نظم العياشي خلالها عددا من العمليات الجهادية ضد البرتغال الذين كانوا يحتلون البريجة (الجديدة حاليا). وبذلك نمت شهرة العياشي وشعبيته، إلى أن ولاه السلطان زيدان بن أحمد المنصور على ثغر أزمور.

واصل العياشي عمله الجهادي. فازدادت شهرته وتناقل الناس حديثه، وأبلغ أعداؤه السلطان زيدان بأنه يخشى منه على الملك، فانتقل العياشي إلى سلا، ناجيا بنفسه أو بأمر من زيدان، حسب روايات متضاربة.

استقر محمد العياشي بسلا، منشغلا بنفسه مبتعدا عن الخوض في ما كانت تعرفه منطقة سلا والرباط من اضطرابات وفتن، بعد أن ثار أهل سلا على قائد السلطان زيدان، عبد العزيز الزعروري، وحبسوه، ثم طردوا القائد عجيب الذي بعثه إليهم نفس السلطان. وقد اتخذ أهل الرباط نظاما سياسيا خاصا قوامه ديوان مكون من عدد من الرؤساء، بينما ظلت سلا "فوضى لا ولي بها، فكثر بها وبأحوازها العيث والنهب ومد اللصوص أيديهم للمال والحريم، وكثرت الشكاية من التجار المسافرين من إخافة السبيل وقطع الطرقات". فاتصل عدد من أهل سلا وأشياخ منطقة الغرب بمحمد العياشي وطلبوا منه القيام بوظيفة الجهاد والسعي في مصالح العباد "فأمر أشياخ ا لقبائل وأعيانها من عرب وبربر ورؤساء بأن ينزلوا خطوطهم في ظهير بأنهم رضوه وقلدوه وقدموه على أنفسهم والتزموا طاعته... فكتبوا بذلك خطوطهم ووافق عليه قضاة الوقت وفقهاؤها من تامسنا إلى تازى". وبذلك غدا محمد العياشي أميرا للجهاد في السهول الأطلسية من طنجة إلى أزمور.

بدأ محمد العياشي نشاطه السياسي بمحاولة ضبط أمور بعض القبائل التي استغلت ظروف الفترة للتضييق على جيرانها. ومن تلك القبائل سگير والحياينة وشراگة. وزاد من حدة شوكتها قيادة بعض الأمراء السعديين لها واستغلالها لترسيخ نوع من النفوذ السياسي المحدود. واستعان محمد العياشي في هذه العمليات بمحمد بن أبي بكر الدلائي الذي أنجده بقوة يقودها ابنه محمد الحاج. وتمكن محمد العياشي من إقرار نوع من الاستقرار في المناطق التابعة له، مستعدا لإنجاز عمله الجهادي. حاصر المعمورة مرتين وأوقع بالإسبان المحتلين للعرائش في عدد من المعارك، وهاجم الحصون المحتلة في العرائش وطنجة والبريجة، وضيق على الإسبان والبرتغاليين تضييقاً كبيراً.

لقيت الانتصارات التي حققها المجاهدون بزعامة محمد العياشي صدى واسعا في مختلف أرجاء البلاد. وراسله عدد من العلماء والصلحاء من فاس وغيرها يهنئونه بما حقق من انتصارات ويدعون له بالنصر. وكاتبه شيوخ الوقت مثل الشيخ أحمد بناصر الدرعي، وحلاه في رسالته بأمير المؤمنين وسيد المسلمين، ومدحه الإمام الشهير عبد الواحد بن عاشر بقصيدة، كما كاتبه العلامة محمد بن العربي الفاسي، والشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي، وعبد الرحمن العايدي ومحمد المكلاتي ومحمد بن أحمد ميارة ومحمد بن أحمد الشريف البوعناني، وغيرهم من علماء ومشايخ الفترة.

حدد المجاهد محمد العياشي لعملياته هدفا كبيرا هو تحرير المراكز التي يحتلها الأجانب. غير أنه ما كان ليصل إلى تحقيق هذا الهدف إلا عبر المشاركة في الحياة السياسية التي تعيشها البلاد، مما أدى به إلى الخوض في النزاعات والخلافات التي عاشها المغرب في هذا الإبان. فقد حاول في البداية استغلال العلاقة الطيبة التي كانت تربطه بالسلطان الوليد ابن زيدان، وكان المجاهد قد آواه في سلا وأحسن استقباله عندما وفد عليها بها منهزما أمام أخويه. فكتب إليه بعد أن اقتعد أريكة الملك في مراكش يوجهه وينصحه. لكن السلطان السعدي المنشغل بمشاكله الخاصة لم يعر نصائح المجاهد أي اهتمام. وفي نفس الوقت، بعد أن تبين للناس فضل المجاهد واستقامته وسعيه في مصالح العباد، سنة 1631، وصلته بيعة أهل فاس. ثم انضمت إليه مدينة مكناس وقبائل الشاوية، بينما ثار على عبد الله النقسيس في تطوان المقدمان أحمد بوعلي وسليمان بن يوسف، وأعلنا تبعية المدينة للعياشي. وقد ربط المقدم سليمان بن يوسف علاقات ببعض تجار لندن وبريستول، باسم العياشي، فأخذوا يترددون على مرسى تطوان ويزودون المجاهد بالسلاح. كما جرت بين محمد العياشي وأبي حسون السملالي في إليغ مراسلات كانت تدور كلها حول الحالة في البلاد وضرورة تنظيم عمليات الجهاد. وربطته بالزاوية الدلائية علاقات متينة ؛ فقد كان محمد الحاج الدلائي يساعد المجاهد في محاربة القبائل المتنطعة ويسانده معنويا وماديا. ومن جهة أخرى ربطت بين العياشي والسلطان محمد الشيخ الأصغر، الذي خلف أخاه الوليد بعد وفاته سنة 1045 / 1636 علاقات ودية.

وعمل المجاهد محمد العياشي على ربط صلات بعدد من الدول الأوربية، بغاية الحصول على السلاح اللازم لإنجاز مهمته الجهادية. وساعده على ذلك اهتمام بعض الدول الأوربية بربط الصلة بالمغرب الذي كان يعد في هذه المرحلة من المناطق التي استقر بها نشاط القرصنة والجهاد البحري ؛ فكانت الدول المشار إليها تسعى لربط الصلة بكل القوى السياسية في المغرب، للحصول على اتفاقيات مهادنة وصلح تؤمن بها حركة سفنها، وتمكنها من تحرير رعاياها الواقعين في الأسر في المغرب.

وفي هذا الإطار أوفدت بريطانيا عددا من المبعوثين لهاته الغاية. كان من أشهرهم المدعو جن هارسون John Harrison الذي زار في مهمته العاشرة تطوان سنة 1625 وانتقل منها إلى سلا رفقة المجاهد العياشي الذي استغل المناسبة فعرض على الإنجليز مشروع تحالف ضد الإسبان، وحمل المبعوث رسالة في هذا المعنى إلى ملك إنجلترا. وبعد مفاوضات واتصالات، توصل الطرفان إلى إبرام اتفاقية بتاريخ 13 ماي 1637، نصت على تجديد عهود المهادنة والسلم الواردة فيما سبق بين البلدين من اتفاقيات، والعمل على تأمين التجارة وعدم مهاجمة السفن التابعة للمتعاقدين. كما نصت على ألا تتعامل بريطانيا مع أعداء العياشي من أهل الرباط وأن تساعده بمحاصرة هاته المدينة وأن تزود بريطانيا العياشي بالسلاح وأن تسهل له الحصول على ما يريده من مواد تجارية.

ومن جهة ثانية، حاول العياشي استغلال الحرب المعلنة بين إسبانيا وهولندة، وهكذا رحب بقنصل هولندة المدعو بسترفلت Juriaem Van Bystervelt الذي أقام بمدينة سلا مدة. استغل العياشي عداوة هولندة لإسبانيا للتزود بالذخيرة وحصل منها سنة 1639 على عشرين ألف رطل من البارود.

لم تقف إسبانيا مكتوفة الأيدي أمام ما يقوم به العياشي، فتدخلت في الصراعات القائمة عند مصب أبي رقراق، وأجرت اتصالات مع بعض سكان القصبة الهورناشيين. ويظهر أن بعض هؤلاء أبدى استعدادا للعودة إلى مدينتهم الأصلية هورناتشو بالأندلس، مقابل عدد من الوعود لإسبانيا من بينها اغتيال العياشي.

ويطغى على هذه المرحلة من تاريخ المغرب كثير من التشابك في المعطيات والتعقيد في الحياة السياسية ؛ فإلى جانب تعدد مراكز القوى السياسية، واستقرار عدد من المهاجرين الأندلسيين عند مصب واد بورقراق، مع ما جر ذلك من صراعات داخلية وهجومات أجنبية، كان التأثير الأروبي يلعب دورا في تأليب تلك القوى على بعضها. لذلك عمل المجاهد العياشي على المحافظة على نوع من التوازن بين تلك القوى السياسية عن طريق الاعتراف الدائم بسلطة السعديين - على وهنهم وضعفهم - وعدم خلع طاعتهم، ثم المحافظة على علاقات ودية مع باقي القوى السياسية، واعتبار تقديم الناس له وسيلة للقيام بما اعتبره مهمته الأساسية، وهي تنظيم عمليات الجهاد لتحرير الثغور المحتلة. لكن المحافظة على هذه السياسة في الجو العام الذي أشرنا إليه ما كانت لتدوم، وبدأت حركة المجاهد العياشي تعرف، ابتداء من سنة 1638 اصطدامات بين القوى السياسية المتعايشة في هذه المرحلة.

وبدأت الحرب بين العياشي ومحمد الحاج الدلائي سنة 1641 حيث جرت بين القوتين ثلاث معارك انهزم بعدها العياشي ولاذ بقبيلة الخلط بالغرب.

اغتيل المجاهد محمد العياشي في 9 محرم يوم الخمار 21 أبريل 1641.

عبد اللطيف الشاذلي

العياشي، محمد بن **أبي بكر**، أحد المرابطين المشهورين بالصلاح من قبيلة آيت عياش البربرية (الأطلس الكبير الشرقي جنوبي مدينة ميدلت)، ومؤسس زاويتها سنة 1044 / 34 - 1635.

ولد محمد بن أبي بكر (بن يوسف بن موسى بن محمد ابن يوسف بن عبدالله) - حسب مؤرخي الأسرة - سنة 981 / 73 - 1574، وتوفي في 20 شعبان 1067 / 3 يونيه

1657. أتيحت له فرصة الرحلة والتعلم نظرا لاهتمامات أسرته بهذا الجانب - رغم إمكانياتها المحدودة واستيطانها في منطقة جبلية نائية - وبذلك أخذ عن كثير من شيوخ العلم والتصوف، وبخاصة الشيخ أحمد أذفال الدرعي السوساني، وجماعة من الصلحاء أمثال ؛ عبد الله بن أبي بكر الفيلالي من أصحاب أبي الطيب الميسوري، ومحمد بن محمد الملواني ومحمد بن يوسف الملواني، أما شيوخ الزاوية الدلائية فقد لازمهم مدة طويلة، وتتملذ للإمامين أبي بكر وابنه محمد، وهذا الأخير هو الذي أشار عليه بتأسيس زاوية له بغاية إرشاد قومه، وتعليمهم القراءة ومبادئ الدين، وكانت الزاوية العياشية على صورة زاوية الدلاء يطعم فيها الطعام، وتلقن أوراد الشاذلية وتشرح كتب القوم وخاصة وظيفة الشيخ أحمد زروق، وأحزاب أبي الحسن الشاذلي.

وقد أحسن الشيخ محمد بن أبي بكر استغلال قدراته العلمية والتربوية مما أعطى لزاوية سيدي حمزة - كما تسمى اليوم - نوعا من النفوذ الروحي والمعنوي تجلى في كثرة المريدين، وإقبال الطلبة وكذلك في العلاقات الطيبة والواسعة مع سائر قبائل المنطقة التي التزمت في كثير من الأحيان بتقديم الهبات والعطايا للزاوية بشكل منتظم. ويظهر أن هذه العلاقات ازدادت متانة بعد تأسيس الزاوية كما تشير رواية مؤلف الإحياء والانتعاش لكون الشيخ محمد بن أبي بكر ارتبط مع عدد من قرى المنطقة وأهلها منذ وقت سابق لتأسيس الزاوية بعد تنقل بين سبعة مواضع، وجمعته بسكانها علاقات النسب، والمصاهرة، وشراء العقارات، إلى جانب إمامة الصلوات وخدمة العلم، وكان الموضع السابع هو موطن آبائه في ترزفت، وهو مقر الزاوية. أما عن اهتمامات محمد بن أبي بكر ونشاط زاويته فيظهر من إشارات مترجميه أن الزاوية العياشية كانت بسيطة في أيامه، ولكنها لعبت دورا لا بأس به في تلقين المريدين وتعليم الطلبة، وإيواء المحتاجين، كما أنها طبعت بطابع السلوك الصوفي السني وكان محمد بن أبي بكر متمسكا بالصلاح عاملا بالكتاب والسنة، ورعا، زاهدا، وصفه شيخه محمد بن أبي بكر الدلائي بأنه من عدول الوقت، وعده ابنه أبو سالم في طليعة أئمته في التصوف، واعترف بفضله في تكوينه وتوجيهه. وفي إطار النشاط الصوفي التعليمي قرب الشيخ مريديه وطلبته حتى أصبح بعضهم من أقرب المقربين إلى الأسرة، ومن بينهم الشيخ عثمان بن علي اليوسي الذي شهد لشيخه بالاستقامة بقوله : "وقد شاهدت من استقامته، وظهر من كرامته ما لا يتزلزل معه يقيني.

وفي هذه المرحلة الأولية والبسيطة من حياة الزاوية نهج الشيخ نهجا صحيحا لترسيخ الدور التربوي عندما أنجز مخططا متكاملا لوظائف الزاوية. فقد اهتم بتوسيع مسجدها سنة 1066 / 55 - 1656 لاستقبال أكبر عدد من المصلين وفسح مجال الاستفادة والمذاكرة في أمور الدين، كما أنه وضع مع أخيه عبد الجبار القواعد الأولى لخزانة الزاوية إذ أوقفا جميع كتبهما على بينهما الذكور، وسجلا هذا الوقف في وثيقة لاتزال موجودة ضمن أحد مخطوطات المكتبة.

العياشي أبو سالم عبدالله، *اقتفاء الاثر بعد ذهاب أهل الأثر*، دراسة وتحقيق نفيسة الذهبي، رسالة جامعية مرقونة، كلية الآداب الرباط (شعبة التاريخ) ؛ العياشي عبد اله بن عمر بن عبد الكريم، *الاحياء والانتعاش في تراجم سادات زاوية أيت عياش* ؛ الإفراني محمد بن محمد المراكشي، *صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر*، المطبعة الحجري بفاس، دون تاريخ، ص. 134 ؛ القادري محمد بن الطيب الحسن، *نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني*، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1982، ج. 2، ص. 183 ؛ *التقاط الدرر ومستفاد الواعظ والعبر من أخبار أعيان المائة الحادية والثانية عشر*، تح. الاستاذ هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الآفاق، بيروت، 1983، رقم 232، ص. 139 ؛ *الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج*، مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط، رقم 1897، ص. 190 ؛ الحضيكي محمد بن أحمد السوسي، *طبقات*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم 1124 د، ورقة 106 ؛ محمد المنوني، مكتبة *الزاوية الحمزية صفحة من تاريخها*، مجلة تطوان، العدد 8 سنة 1963، (إشارات في مواضع متفرقة من المقدمة) ؛ محمد حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة فضالة، 1978.

نفيسة الذهبي

العياشي، محمد بن **عبد الجبار**. لا نعرف له ترجمة إلا في كتاب الإحياء والانتعاش. تجمعه قرابة العمومة مع العياشي سابق الترجمة. ومن خلال إشارة وردت في ذلك المصدر نفيد أنه ولد عام 1056، حيث جزم بأنه توفي عام 1090 وهو ابن أربع وثلاثين سنة.

وقد ذكر أنه "كان.. هضبة توقير لا ترجف ولا تزلزل، وذروة علم دونها السماك الأعزل..". أي أنه اكتسب حظوة في المجتمع الصغير الذي كان يعيش بين ظهرانيه. ولعل تبوأه لتلك المكانة كان نتيجة لما توافر له من فضل وعلم. فقد اشتغل بالتعليم، وتصدر للإفتاء ؛ حتى كانت النوازل ترد عليه من الآفاق البعيدة. من شيوخه الرحالة أبو سالم عبد الله العياشي، الذي يبدو أنه ابن عمه. ويشير المصدر نفسه إلى أن صاحب الترجمة توفي بالوباء، صبيحة يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شوال عام 1090 / 1679، بعدما "قرأ وألف". لكننا لا نعرف له إلا الرسالة التي بعث بها إلى شيخه المذكور حين كان الأخير بالمشرق ؛ وهي بعنوان "*نزهة المشتاق لبعض ما وقع في المغرب عام اثنين سبعين من الجوع والشقاق*". وهي تويلف يقع في ثمان وعشرين صحيفة من القطع الكبير، أثبتها صاحب *الإحياء والانتعاش* في كتابه من صحيفة 248 إلى صحيفة 275. وتعد وثيقة فريدة فيما يختص بوصف مجاعة 1071 - 1072 ؛ من حيث انتشارها في المكان والزمان، وهولها بما ترتب عنها من آثار ديموغرافية واقتصادية وسياسية ونفسية ؛ حتى إننا لم نقف لها على مثيل في الأزمات السابقة واللاحقة.

ع. العياشي، اقتفاء الأثر ؛ ع. ع. العياشي، *الإحياء والانتعاش*.

أحمد عمالك

ابن **عياض** هو أبو عبد الله محمد ولد القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي.

لم تذكر المصادر تاريخ ولادته، ونقدّر أنها كانت حوالي سنة 520 وكان والده في هذا التاريخ قاضي سبتة وزعيم الجماعة بها في عهد المرابطين، وذلك من عام 515 إلى عام 531 وفي هذا العام عين قاضياً بغرناطة وقد ترك أهله في سبتة التي رجع إليها بعد إعفائه من القضاء بغرناطة عام 532 ثم أعيد إلى خطة القضاء بسبتة عام 539 وخلال هذه السنوات كان أبو عبد الله محمد ولد القاضي عياض الوحيد مقبلاً على الدّراسة والرواية في سبتة عن والده الذي اعتنى بتثقيفه بنفسه وتخريجه على يده، ولعلّه ألّف من أجله كتاب *الإعلام بحدود قواعد الإسلام*. عندما كان في بداية التعلّم، وتأثر ولد القاضي عياض بأبيه واضح في الكتاب الذي ألّفه في التعريف به وكذلك في كتاب مذاهب الحكام الذي جمع فيه نوازل وفتاوي والده.

وقد روى ولد القاضي عياض أيضاً عن شيخين من شيوخ العلم في سبتة هما أبو علي الحسن بن سهل الخشني، وقد أشار إليه وأبو عبد الله مراراً في مذاهب الحكام، ومن هذه الاشارات قوله : "وأخبرني الفقيه الحافظ أبو علي بن سهل شيخنا حفظه الله"

توفي هذا الشيخ الفقيه المحدث الذي كان من أنبغ أصحاب الحافظ الصدفي في حدود 560 والشيخ الثاني الذي روي عنه ولد القاضي عياض كذلك هو أبو بكر يحيى بن محمد ابن رزق من جلّة المحدثين وهو من أهل المرية خرج منها عندما سقطت في يد المسيحيين سنة 542 وأقام بسبتة يسمع منه أهلها كتب الحديث ومنهم ولد القاضي عياض الذي قرأ عليه كتاب السنن للحافظ النسائي، وقد توفي هذا الشيخ بقرية بنيونش من قرى سبتة سنة 560.

وقد روى أبو عبد الله أيضاً عن الشيخين الشهيرين أبي بكر ابن العربي وأبي القاسم ابن بشكوال في إشبيلية كما روى عن غيرهم، وهو في كتاب التعريف يروي بالإجازة والإذن عن أحمد بن بقي ويونس بن مغيث والحافظ السّلفي، وهؤلاء من شيوخ القاضي عياض ولعله هو الذي استجازهم لولده.

وبفضل هذا التكوين الجيد الذي تم في ظروف عائلية قلقة وأوقات صعبة بسبب الحروب بين المرابطين والموحدين أصبح أبو عبد الله "فقيها محدّثاً مشهور العفاف والطهاره عالي الهمة متواضعاً ذا حظ من الأدب ومعرفة الأخبار" ولهذا عين في عهد يوسف بن عبد المومن قاضياً في مدينة دانية قبل سنة 570 ولسنا ندري هل كان هذا التّعيين ضربا من "رد الاعتبار" بعد محنة القاضي عياض ووفاته مغربا عن بلده أم أنه كان نفياً وإبعاداً عن مدينة سبتة على أنه ولي بعد ذلك قضاء غرناطة وبها توفي حميد الذكر نزيه السيرة سنة 575.

وقد خلف ولداً يحمل اسم جده كان له ولولده مكانة كبيرة في غرناطة النصريين كما خلف عدداً من المؤلفات عنى فيها بالتعريف بوالده وجمع تراثه وهي :

1 ـ التعريف بالقاضي عياض 2 ـ مذاهب الحكام في نوازل الأحكام 3 ـ ديوان رسائل القاضي عياض 4 ـ رسائل الكتاب إلى القاضي عياض 5 ـ شعر القاضي عياض 6 ـ ما قيل من شعر في القاضي عياض وقد وصل إلينا من هذه المؤلفات كتاب التعريف بالقاضي عياض الذي حققته ونشرته وزاره الأوقاف في أكثر من طبعة وكتاب مذاهب الحكام الذي حققته أيضاً وطبعته دار الغرب الإسلامي مرتين، وقد ترجم إلى اللغة الإسبانية.

مقدمة التعريف بالقاضي عياض ؛ مقدمة مذاهب الحكام.

عياض (القاضي -) هو أبو الفضل عياض بن موسى ابن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي. هكذا ساق نسبه ولده أبو عبد الله محمد في كتابه : *التعريف بالقاضي عياض*.

وقد تكرّر اسم عياض ـ بكسر العين ـ في أجداد القاضي وفي عقبه، ويبدو أن الجد الأعلى المسمى بهذا الاسم الذي قدم من المشرق إلى المغرب واستقر بالقيروان وعاش فيها هو وبعض ولده، ثم انتقل بعضهم إلى جهة بسطة بالأندلس، ومنها انتقلوا إلى مدينة فاس حيث اشتهر منهم عمرون والد جد القاضي عياض، ولما دخل المنصور بن أبي عامر ـ أو ولده المظفر ـ أخذ معه إلى قرطبة بعض أولاد أعيان فاس كرهائن وكان فيهم أخوان لعمرون المذكور، فترك مدينة فاس وسكن مدينة سبتة ليكون قريباً منهما، وقد اشترى بها أرضاً بنى فيها مسجداً وديارا ومقبرة وعرف هذا الحي بالمنارة وكانت وفاة عمرون هذا سنة 397 مخلفا ولده عِياض الذي سينجب موسى والد القاضي.

وولد عياض في النصف من شعبان عام 476 في حضن أسرة تعتز بما كان لها من ذكر في القيروان وبسطة وفاس وما أنشأته في سبتة، وقد عني والده بتربيته "فنشأ على عفة وصيانة، مرضي الخلال، محمود الأقوال والأفعال موصوفا بالنبل والفهم والحذق، طالبا للعلم حريصا عليه مجتهدا فيه، معظّما عند الأشياخ من أهل العلم، كثير المجالسة لهم والاختلاف إلى مجالسهم، إلى أن برع أهل زمانه وساد جملة أقرانه".

وكانت مدينة سبتة وقتئذ قد أصبحت مركزاً علميا وظهر فيها عدد من شيوخ العلم الذين درس عليهم ومنهم القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى. والقاضي أبو محمد عبد الله بن محمد بن منصور اللخمي والقاضي أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد البصري والخطيب أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد المعافري والفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر اللواتي المعروف بابن الفاسي وغيرهم.

وقد أراد أن يتوج مسيرته العلمية فعزم على الرحلة إلى الأندلس للأخذ عن كبار مشايخها ؛ ولمكانة أسرته في خدمة

المرابطين كتب أمير المسلمين علي بن يوسف إلى ابن حمدين قاضي الجماعة بقرطبة يدعوه إلى الاعتناء به، وكان خروج عياض من سبتة متوجها إلى قرطبة في يوم الثلاثاء منتصف جمادى الأولى سنة 507 ووصل إليها يوم الثلاثاء مستهل جمادى الآخرة بعده، وقد أخذ بها عن قاضي الجماعة المذكور أبي عبد الله محمد بن علي بن حمدين وأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن عتاب وأبي عبد الله محمد بن أحمد التجيبي المعروف بابن الحاج وأبى عبد الله محمد بن أحمد بن رشد وغيرهم، ثم انتقل منها إلى مدينة مرسية للقاء المحدث الكبير الحافظ أبي علي الحسين بن محمد الصدفي فسمع منه وقابل كتبه بأصوله ؛ ولم يكتف عياض بالأخذ والسماع من شيوخ العلم في سبتة والأندلس وإنما طلب الإجازة من غيرهم في إفريقية ومصر والحجاز كالمازري والطرطوشي والسلفي وبلغ عدد من أخذ عنهم بالسماع أو الإجازة مائة عرف بهم في فرسته المعروفة بالغنية.

ولما رجع عياض من رحلة الدراسة في الأندلس إلى بلده سبتة أجلسه أهلها للمناظرة عليه في المدونة وهو ابن اثنين وثلاثين عاما، وتعدّ المناظرة في المدونة أسمى درجات العلم ؛ وبعد ذلك ولي خطة القضاء في سبتة عام 515 ونُقل إلى غرناطة قاضيا بها سنة 531 ثم أعيد إلى قضاء سبتَة عام 539 ولما قامت دولة الموحدين امتنع أهل سبتة من الدخول في طاعتهم ومعهم قاضيهم يدبر أمر البلد ويسوس أهله إلى أن اشتد الحصار على سبتة واستولى عليها الموحِّدون عام 543 فحمل القاضي عياض إلى مراكش "فوصلها والحال متغيرة عليه" كما يقول ولده لكنه عرف كيف يستعطف عبد المومن فعفا عنه، ويقال إنه ولاه القضاء في مدينة داي بتادلا لكن ولد القاضي عياض لم يذكر شيئاً من هذا وإنما ذكر أن عبد المومن أمره بلزوم مجلسه، ولما خرج إلى غزو دُكّالة خرج صحبته لكنه مرض في الطريق فأذن له في الرجوع إلى مراكش حيث مات في 9 جمادى الآخرة من عام 544.

كان القاضي عياض إماما في الحديث وعلومه والتفسير وأدواته والفقه ورجاله وفروعه وأحكامه ونوازله مع معرفة بعلمي الأصول والكلام وتوسع في علوم اللغة وآدابها يجيد قول الشعر ويحبّر الرسائل الفنية ويبهر في الخطابة ويتفوق في التأليف وقد ترك أزيد من 30 مؤلفا وصل إلينا عدد منها وأشهرها كتاب *الشفا*، بتعريف حقوق المصطفى وكتاب *مشارق الأنوار* وكتاب *ترتيب المدارك* وكتاب *الالماع* وكتاب *الغنية* وكتاب *الإلماع* وكتاب *بغية الرائد* وكتاب *الإعلام* بحدود قواعد الإسلام وهي كلها مطبوعة ومتداولة.

لقد أدرك القاضي عياض شهرة واسعة في المغرب والمشرق ومن العبارات الشائعة : "لولا عياض لما ذكر المغرب".

التعريف بالقاضي عياض لولده أبي عبد الله محمد، *مذاهب الحكام في نوازل الاحكام* ؛ ت. تح محمد بن شريفة ؛ المقري، *أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض*، تر. القاضي عياض بقلم محمد بن شريفة ؛ في مذكرات من التراث المغربي، 2 : 271 . 274.

محمد بنشريفة

العيّاط، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس وقد ظل هناك بعض أفرادها أرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Ayat وAyet ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان، وليس هناك ما يثبت بأنها تنتمي إلى أسرة القاضي عياض كما يزعم البعض.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1209.

محمد ابن عزوز حكيم

عيّاط (بنو-)، وتدعى أيضا أبا عياض ؛ قبيلة بربرية تتكون من بقايا عناصر هسكورة وصنهاجة، لأن مواطنها تمتد على إحدى جبهات الاحتكاك والاتصال بين هذين القبيلين الكبيرين. كما تضم بعض التجمعات العربية، بسبب موقعها بين السهل والجبل. ومن ثم، فكما يتحدث البربر لسانا يندرج في سياق مزيج بين تاشلحيت وتامزيغت، على اعتبار أن بني عياط ينتمون إلى منطقة الاتصال بين مصمودة وصنهاجة ؛ يتحدث العرب لسانا عاميا لا يختلف عن لسان أهل السهل المجاور.

تقع مواطن هذه القبيلة في غربي دير بني ملال، الممتد على سفوح الأطلس المتوسط ؛ وعلى بعد حوالي خمسة وعشرين كلم من المدينة المذكورة. تحد هذه القبيلة من الغرب قبيلة أولاد عياد، ومن الجنوب قبيلة آيت عتاب، ومن الشمال قبيلة أولاد موسى، ومن الشرق قبيلة أيت بوزيد.

وقبيلة بني عياط ليست قبيلة كبيرة، ومع ذلك فهي تتكون من قبيلتين هما : أهل الشعبة وإسفاون.

- ينقسم أهل الشعبة إلى ثلاث فخذات وهي : آيت وايو، وفيها يوجد أهل تزگي، وآيت يحيى، وآيت فارس التي ينضوي تحتها عظما آيت صالح وأيت وعتيق.

- وينقسم إسفاون إلى خمس فخذات وهي : أهل الدير، وأيت العوينة، وآيت إملول، وآيت مگونة، وآيت سيدي علي بن إبراهيم. ويوجد أيضا دوار إملول ؛ وعظم آيت حمزة وعظم تگموت إريان، ضمن إسفاون.

وإلى جانب القبيلتين المذكورتين، بمختلف فروعهما ينضوي تحت لوائهما أربع زوايا تنتمي ترابيا، إلى زاوية سيدي علي بن إبراهيم. وهي عبارة عن أربعة مداشر تصنف كالآتي : أگرض والكنيز والكديات والزرايب ؛ في حين انسلخت عنها تاخسيت التي أصبحت ضمن تراب قبيلة أولاد عياد المجاورة.

من خلال القرائن العديدة التي تزخر بها المصادر تبدو هاته المنطقة من المناطق القديمة التعمير. وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى ما توافر لها من أسباب أهمها :

- موقع ترابها في دير جبال غنية بالمياه.

- وقربها من طريق طالما عدت صلة وصل بين شمال البلاد وجنوبها.

ـ وكونها أحد مجالات عبور لكثير من الهجرات التي عرفها المغرب، منذ العصور السحيقة.

لهذه الأسباب مجتمعة، استقطبت قبيلة أيت عتاب اهتمام كثير من المتصوفة. فقد قصدها الشيخ سيدي علي بن إبراهيم البوزيدي، واستقر بأگرض حيث بنى زاوية صارت مقصودة من مختلف الآفاق ؛ ونشأت حولها قرية استبحر عمرانها. كما أضحت في القرن الثاني عشر (18 م) منطقة ناصرية، بسبب إقبال كثير من سكانها على الانخراط في طريقة الشيخ أحمد الخليفة. ومن أمثلة مقدميه الذين ترجمهم الخليفتي، نذكر أحمد بن البكري، وهو أحد حفدة علي بن إبراهيم البوزيدي ؛ وأحمد بن عبد العزيز التاخسيتي. وقد أسس هذان التلميذان وغيرهما، في هذه الجهة مدارس لتعليم القرآن الكريم ومبادئ الدين، إلى جانب التصوف الذي كان بمثابة علم السلوك الذي لم ينفك الناس في ذلك الزمان عن الانخراط في سلكه.

ابن عسكر، دوحة ؛ الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ م. السوسي، *المعسول* ؛ *التحري الميداني*.

Répertoire alphabétique des tribus.

أحمد عمالك

غ

الغابة (في المغرب القديم) لعبت الغابة دوراً متميزاً في الاقتصاد الزراعي للمغرب القديم سواء خلال الفترة البونية أو الرومانية، ويبدو أن غابات الريف والأطلس المتوسط اثارت انتباه البحارة البونيين ثم الفينيقيين الذين وصلوا إلى سواحل الأطلنتي منذ القرن 7 ق م. أن هؤلاء القادمين من الساحل اللبناني يعرفون جيدا قيمة هذه الأشجار، وخاصة أشجار الأرز والعرعر (Tuya) مع العلم أن الأطلس المغربي يحتوي على أشجار جيدة من الأرز في شمال إفريقيا والتي امتدت ربما على مساحات شاسعة في الفترة القديمة.

ولقد تحدثت النصوص القديمة سواء الإغريقية أو الرومانية عن أهمية ليبيا الغربية على مستوى الأشجار وخاصة الأنواع النادرة منها ،سطرابون في حديثه عن أعمدة هرقل يصور جبل أبيلا "كمجال آهل بالحيوانات ومغطى بأشجار ضخمة" ويشير في فقرة أخرى إلى أن بوصيدونيوس في اتجاهه نحو إيطاليا لاحظ وجود غابة من الفلين على ساحل ليبيا".

ويصف هيرودوت وبعده رحلة حانون راس اسبارطيل بأنه "مجال غابة كثيفة" ومعلوم أن الكتلة الجبلية الممتدة على مساحة 8 كلم من طنجة إلى رأس سبارطيل أي "الجبل الكبير" تعرف انتشار رقعة غابوية كبيرة توجد بها أصناف لا نجدها على الساحل الأطلنتي.

ولاحظ بومبنيوس ميلا عند وصفه للساحل الأطلنتي "أن بعض ساكنته تعيش داخل الغابات وهي أقل ترحالا من غيرها". ولابد من الإشارة كذلك إلى أن إحدى محطات موريطانية الطنجية الواردة في مسلك انطونان تحمل إسماً ذا دلالة هو "Tremulis"، وحسب شاتلان فان لهذا الاسم علاقة ببعض الأشجار النادرة في هذه المنطقة والتي تحتاج لكميات من الرطوبة . أما فيما يتعلق بالكتلة الأطلسية، فيفيدنا بلنيوس بمعلومات دقيقة بشأنها إذ يقول" من وسط الرمال، يعلو نحو السماء جبل أطلس .. المغطى بغابة ذات ظلال وارفة ..." ويخبرنا في فقرة أخرى بوجود غابة تمتد من الأطلس إلى الغروب حيث تعيش حيوانات ضارية.."

ومن بين الأشجار التي تنتجها هذه الغابات، أشجار الكتروس (Citrus) التي يتفق الباحثون بأنها هي أشجار العرعر التي مازالت منتشرة إلى يومنا هذا.

وخلال فترة حكم كلاوديوس، يخبرنا بلنيوس بأن القائد الروماني سويطونيوس أثناء مروره بالمغرب ترك وصفا لبعض الغابات التي كانت تمتد عند قدم الأطلس، "إنها غابات كثيفة وعميقة وذات أشجار من أصناف نادرة، وتذكرنا أوراقها، بأوراق السرو وهي ذات رائحة زكية ومغطاة بزغب خفيف يتحول إلى مادة تستعمل في صنع بعض الأثواب":

ونجد كذلك إشارة لهذه الغابات التي تغطي الأطلس المغربي عند كل من فرجليوس وسيلوس إيطاليكوس وبوزنياس إليانوس (Elien) فلم يغفل هؤلاء المؤرخون الحديث عن صنوبر نوميديا الذي استعمل في بناء هيكل أبولون بمدينة اوتيكا والذي يعود للقرن XII ق. م.

فهل هذه الإشارات النصية تتماشى مع المخلفات الأثرية ؟ وما هي الشهادات المادية التي خلفتها الآثار المتعلقة بالاستغلال الغابوي ؟

ان الطبقات الرمادية في مغارة تافوغالت، خلفت بقايا من الخشب المحروق وهي في الغالب من الصنوبر الحلبي (Pinus Helpensis) وبما أن تاريخ هذه المغارة يعود إلى الفترة الممتدة ما بين القرن الثاني عشر والثامن (ق م) يجب الاعتقاد بأن هذه الأنواع ذات جذور محلية.

ويشهد القبر التلي الذي اكتشفه كل من A. Ruhlman وA. Luquet سنة 1938 بسيدي سليمان، عن استعمال شجر التويا من طرف الليبيين والفينيقيين، فهو يضم قاعة جنائزية حيث الأسوار الحجرية يُدعمها سقف من الخشب. ولاحظ A. Luquet أثناء حفرياته في السور الشمالي بوليلي، وجود دعائم من الخشب مستعملة في واجهات الجدران، وهذه

الطريقة كانت موجودة عند الإغريق والغاليين. وبالرغم من صعوبة تحديد أشكال هذه الأخشاب يبدو أن هذه الدعائم كانت من العرعر.

وإن امتداد الغابات المغربية حاليا يجعلنا نعتقد بأهميتها في الفترة القديمة، وقد بينت دراسات علماء الجيولوجيا والنبات، والمؤرخين على أنها قلت بنسبة النصف أو أكثر.

وحسب كاركوبينو، فإن زوالها لا يعود لفترة قريبة، بل يعود لاستغلال على مدى آلاف السنين. يقول "لقد استغل الرومان، الغابات بشراهة كبيرة" كما تحدث أيضاً عن حنطات تجارية لتجار التويا "Negotiatores citruarii" وأشار گزيل كذلك إلى نفس الحنطة التي ظلت موجودة في روما على عهد الامبراطور أدريانوس.

وكان خشب التويا يستعمل في روما مع بداية العهد الامبراطوري، في صنع طاولات ذات قيمة كبرى "Tabulae Tigrinae" كما أشار إلى ذلك بلنيوس، وكانت أكبر هذه الطاولات والتي وصل قطرها إلى 4 اقدام ونصف، في ملكية الملك الموريطاني بطليموسي.

وإذا كان استغلال الخشب كثيفا في كل الفترات، فإن الغابة المغربية رغم محدوديتها، لم تختف نهائيا. لقد كان الأطلس الذي كان معروفا عند الفينقيين والإغريق والرومان عبارة عن خزان لا ينضب، فقد كان يضم أشجار الأرز ممتدة على ملايين الهكتارات، وكانت قممه تضم أشجار التويا والفلين. لقد شكل استغلال الغابة الأطلسية أهم الثروات الاقتصادية للمغرب القديم مما يمكن من فتح طريق دائم في اتجاه الجنوب انطلاقا من أعمدة هرقل إلى حدود الصحراء، وهي الطريق الملكية التي ظلت إلى عهد قريب، محور البلاد المغربية.

Pline, *Histoire naturelle*, Livre V, éd. J. Desanges, Coll. Belles-Lettres, Paris, 1980 ; J. Carcopino, *Le Maroc antique*, Paris, 1943 ; A. Jodin, *L'exploitation forestière du Maroc antique*, Actes du 93e Congrés National des Sociétés Savantes, Tours, 1968, p. 413 - 422.

عبد العزيز بل الفايدة

الـغـابة الـمـغربيـة تغطي مساحة تقدر بأقل من 9 ملايين من الهكتارات أي ما يوافق حوالي 8 في المائة من مساحة التراب الوطني انظر أيضاً : 1) الطوابق النباتية والسلسلات البيئية التعاقبية 2) النظم البيئية.

أ ـ مكونات وبنيات الغابة المغربية :

تشمل هذه المساحة غابات بمعناها الصحيح وتشكيلات شبه غابوية وأخرى شبه سهبية وكذلك سهوب الحلفاء وسافانات صحراوية. أما السهوب الأخرى فهي لا تدخل ضمن هذه المساحة.

إن الغابة عشيرة نباتية منظمة من أشجار سائدة ترافقها جنبات وجنيبات وجُنَيِّبَات وأعشاب وأُشَنَات وفطور وغيرها من الكائنات الحية النباتية والحيوانية. فالغابة إذن نظام بيئي مؤلف من كائنات حية منتجة وهي النباتات وكائنات مستهلكة وهي الحيوانات، وكائنات مُفَكِّكة تعيش في حالة تفاعل مع بعضها البعض ويوجد بينها تكافل وتبادل في المواد بشكل مستمر. ولا يمكن لهذه الغابة أن تتشكل إلا في المناطق شبه الرطبة والرطبة والرطبة جداً واستثنائيا في المستوى العلوي للمناطق شبه الجافة.

وفي المناطق الجافة وشبه الجافة تتكون عشائر نباتية شبه غابوية أو شبه سهبية أو سهبية. وتتميز العشائر شبه الغابوية وشبه السهبية بقلة الأشجار التي تكون ممثلة بأفراد متناثرة في تشكيلات مكونة من الجنبات والجُنَيْبات المتوسطية بالنسبة للصنف الأول أو من النباتات القزمية السهبية بالنسبة للصنف الثاني. أما العشائر السهبية فهي خالية تماما من الأشجار ولا تتشكل إلا بجُنَيِّبَات أو حشائش جفافية تتحمل أقصى الجفاف في المناطق الجافة أو الصحراوية أو أقصى البرودة المصادفة في قمم الجبال العالية جداً.

أما عشائر السافانا فإنها تتكون من آشجار وشجيرات متناثرة في تشكيلات من الحشائش النجيلية والجُنَيْبات والجُنَيِّبَات الصحراوية.

إضافة إلى هذه التشكيلات النباتية المناخية الواسعة الانتشار نسبياً، تصادف محليا عشائر إلْفَمَائية تعيش على ضفاف الأنهار والبحيرات أو إلفملحية تقطن الأراضي المالحة.

ـ التشكيلات الغابوية : تكسو الغابات مساحة تقدر بما يقارب المليونين من الهكتارات. وتتشكل من الأرز والشوح وأنواع البلوط وأنواع الصنوبر والعرعر البربري والخروب والزيتون البري.

ـ التشكيلات شبه الغابوية وشبه السهبية : تغطي هذه التشكيلات أكثر من المليونين ونصف المليون من الهكتارات. ويتعلق الأمر بتشكيلات العرعر البربري والعرعر الأحمر والعرعر الفواح والبطم الأطلسي وأركان والسرو وغير ذلك .

ـ التشكيلات السهبية (انظر "سهوب" و"حلفاء") : تمتد تشكيلات السهوب بمختلف مكوناتها على مساحات شاسعة جداً من المناطق الصحراوية والجافة واستثنائياً شبه الجافة وشبه الرطبة على قمم الجبال الشاهقة.

تكسو سهوب الحلفاء لوحدها أكثر من 3 ملايين من الهكتارات معظمها متواجد بالمنطقة الشرقية من المغرب شبه الجاف والجاف.

ـ السافانا الصحراوية : تُنَظِّم السافانا الصحراوية من طرف أنواع شجرية وشجيرية تنتمي إلى أجناس الطلح (انظر طلح) والزَّقُّوم أو تَيْشَط (انظر الزَّقُّوم) وأتيل (انظر أتيل) وغيرها.

تلاحظ السافانا الصحراوية المغربية في كل المناطق الموجودة ما بين فيگيگ والگويرة مروراً بتافيلالت ودرعة والساقية الحمراء ووادي الذهب.

تقدر مساحة السافانا المغربية بما يفوق مليون هكتار

معظمها مكوّن بأنواع الطلح وخاصة النوع السائد في المناطق الصحراوية وهو Acacia raddiana.

ب ـ التوزيع الجغرافي لغابات المغرب :

تنتشر التشكيلات الغابوية وشبه الغابوية وشبه السهبية والسهبية والصحراوية كالآتي :

. الريف والشمال الشرقي وتازكا :

. بيومناخات شبه رطبة ورطبة، وشديدة الرطوبة ومحلياً شبه جافة.

ـ تشكيلات غابوية وشبه غابوية ومحلياً شبه سهبية منظمة من طرف البلوط الفليني والبلوط الأخضر، والبلوط القرمزي، وبلوط الزان، والبلوط الزغبي، والعرعر البربري، والزيتون البري، والصنوبر البحري، والصنوبر الحلبي، ومحليا الشوح المغربي.

. تشكيلات سهبية منظمة من طرف الحلفاء.

ـ الأطلس المتوسط والجهة الشرقية من الأطلس الكبير :

. بيومناخات شبه رطبة ورطبة ومحلياً شبه جافة.

. تشكيلات غابوية وشبه غابوية منظمة من طرف البلوط الأخضر وبلوط الزان، والأرز ومحلياً العرعر البربري.

. تشكيلات شبه سهبية منظمة من طرف العرعر الأحمر والعرعر الفواح.

. تشكيلات سهبية منظمة من طرف القتنات الشوكية أو الجنيّبات الشوكية على قمم الجبال العالية ومن طرف الحلفاء على الواجهة الشرقية.

ـ سهول الغرب والمعمورة ودكالة والشاوية وعبدة وتادلة :

. بيومناخات شبه رطبة وشبه جافة.

. تشكيلات غابوية منظمة من طرف البلوط الفليني والعرعر البربري ومحلياً الزيتون البري.

ـ الهضبة الوسطى :

. بيومناخات شبه جافة وشبه رطبة

. تشكيلات غابوية منظمة من طرف البلوط الفليني والبلوط الأخضر والعرعر البربري ومحلياً الزيتون البري.

ـ الهضاب العليا للمغرب الشرقي :

. بيومناخات شبه جافة وجافة

. تشكيلات غابوية وشبه غابوية منظمة من طرف البلوط الأخضر والصنوبر الحلبي والعرعر البربري.

ـ تشكيلات شبه سهبية منظمة من طرف العرعر الأحمر والبطم الأطلسي.

ـ تشكيلات سهبية منظمة من طرف الحلفاء.

ـ المنطقة الوسطى من الأطلس الكبير :

ـ بيومناخات شبه جافة ومحلياً شبه رطبة

ـ تشكيلات غابوية وشبه غابوية منظمة من طرف البلوط الأخضر والعرعر البربري والصنوبر الحلبي.

. تشكيلات شبه سهبية منظمة من طرف العرعر الأحمر والعرعر الفواح.

. تشكيلات سهبية باردة فوق قمم الجبال العالية منظمة من طرف الـجُنَيِّبات الجفافية الشوكية.ـ الحوز والرحامنة :

. بيومناخات جافة ومحليا شبه جافة.

. باقات على مساحات جد محدودة منظمة من طرف الطلح المغربي.

ـ الجهة الغربية من الأطلس الكبير، والشياظمة، وحاحا وسوس، والأطلس الصغير :

. بيومناخات شبه جافة وجافة.

. تشكيلات غابوية وشبه غابوية منظمة من طرف البلوط الأخضر والعرعر البربري.

. تشكيلات شبه سهبية منظمة من أركان والعرعر الأحمر والعرعر الفراح ومحلياً السرو الأطلسي.

. تشكيلات سهبية باردة منظمة من طرف الـجُنَيِّبات الجفافية على قمم الجبال العالية.

ـ المناطق الصحراوية :

. بيومناخات صحراوية.

. تشكيلات من السافانا منظمة من طرف أنواع الطلح الصحراوية والزقوم.

. تشكيلات سهبية منظمة من الـجُنَيِّبات الجفافية الصحراوية.

ج ـ أدوار الغطاء الغابوية وفوائده :

إن للغابة أدوار وفوائد عديدة من الصعب ذكرها كلها. ومن هذه الأدوار والفوائد نذكر :

ـ إنتاج مواد جد هامة لفائدة البشر كالخشب والحطب والفواكه والأعشاب الطبية والعطرية والرعوية ... (انظر الاقتصاد الغابوي في المادة التالية).

ـ المحافظة على التربة والتوازن للدورة المائية.

ـ المحافظة على التنوع البيولوجي.

ـ المحافظة على التوازن الطبيعي وتنقية الهواء من التلوث ...

فمن الملاحظ أن المناطق المغطاة بغابات كثيفة ومتسعة الأرجاء كالمنطقة الوسطى من الأطلس المتوسط. تتميز بينابيع أهم الأنهار المغربية، وبأهم الثروات والموارد الغابوية في المغرب.

فالغابة تساعد على التقليل كثيراً من نسبة المياه التي تنسال على سطح الأرض، بحيث تكون بمثابة حاجز بين الأمطار والأرض، وتقوم بهذا الدور حتى ولوكانت تكسو أراض شديدة الانحدار. وهكذا فمهما بلغت غزارة المطر فإن القطرات تسيل أولاً على أوراق الأشجار وأغصانها وجذوعها قبل أن تسقط على الأرض، وبذلك تخف حدة سقوطها. مما يساعدها على التسرب داخل الأرض.

وعلاوة على هذا تؤدي الغابة دور تحسين التربة من حيث نفوذيتها للماء والهواء وقدرتها على الاحتفاظ بالماء. وذلك نظراً لكون تربة الغابة غنية بالمواد العضوية، وبالتالي تكون ذات مسامية عالية مما يجعلها قادرة على امتصاص أكبر قدر من الماء والاحتفاظ به.

د. الغابة وعوامل التدهور :

إن أهم أسباب تدهور أو اندثار الغطاء الغابوي تكمن في الاستغلال المفرط أو في الإدارة اللاعقلانية. ويتجلى ذلك في ممارسة عمليات قطع الأشجار أو الاجتثاث لفائدة الأراضي الزراعية أو لاستبدال الغابة الأصلية بتشكيلات اصطناعية من الصنوبريات أو الأوكاليبتوس أو السنط الاسترالي. كما يعتبر الرعي الجائر في بعض المناطق أهم أسباب التدهور.

أما من حيث إدارة الغابة فإن تمزق الغطاء الحراجي واندثاره ينتج عن التقنيات غير المتلائمة مع الأنظمة الغابوية. فبالقطع الكلي أو المنسغة المبسطة أو الغابة العالية المنتظمة المكونة من أشجار لاتتفاوت في الأعمار. التي هي تقنيات غير ملائمة للغابة المغربية، تدمر بنيات هذه الأخيرة وتفقد تنوعها البيولوجي ومؤهلاتها التي تمكنها من الاشتغال المتوازن مع الظروف البيئية. وفي هذه الحالات تحدث تغيرات محلية للظروف البيئية الموقعية تتجلى في تزايد في الحرارة القصوى وانخفاض الحرارة الدنيا وفي التعطيل الوظيفي للدورة المائية ...

ومن أهم تداعيات تمزق واندثار الغطاء الغابوي نذكر :

- اتساع ظاهرة انجراف التربة، والانخفاض الخطير في خصوبتها. تجدر الإشارة في هذا الشأن إلى أن نسبة انجراف التربة على السفوح الجنوبية والشرقية من الريف ومقدمته تعتبر من أعلى النسب في العالم، نظراً للانقراض التام للغطاء الغابوي بهذه المنطقة.
- التدهور لبنيات ومكونات واشتغال الأنظمة البيئية الطبيعية.
- التراجع الخطير للتنوع البيولوجي
- التعطيل الوظيفي للدورة المائية وما ينتج عنه من فيضانات وانجراف التربة ونضوب الينابيع ...
- انهيار المناطق من الناحية البيئية بفعل ظاهرة التصحر الذي يحول أراضي خصبة منتجة إلى أشباه صحار عقيمة.

أبحاث شخصية.

A. Benabid, *Flore et écosystèmes du Maroc. évaluation et préservation de la biodiversité*. Ibis Press. Paris, 2000, 360 p.

عبد المالك بنعبيد

الغابة والاقتصاد تعتبر الغابة منذ أقدم العصور مجالا حيويا بالنسبة للإنسان الذي وجد فيها كل ما احتاجه من خشب وحطب ومواد تغذية أو عطرية أو طبية وغيرها. وكان هذا الاستغلال لا يخل بالتوازن الطبيعي للغابة التي كانت انتاجيتها تفوق بكثير متطلبات الإنسان الذي كان يعيش في مجتمعات قليلة العدد. لكن تكاثر عدد السكان أدى إلى الخلل الكبير في التوازنات الطبيعية للمنظومات الغابوية.

تصنف أدوار الغابة إلى صنفين رئيسيين. فيه إنتاج لمواد غابوية تكون موضع مبادلات تجارية وتحويلات صناعية وغير ذلك، أو حماية التربة والتنوع البيولوجي والبنيات التحتية للاقتصاد كالطرق والسدود ...

- الانتاج الغابوي : تنتج الغابة أنواعا مختلفة من الأخشاب والحطب والعلف والمواد الأخرى منها الطبية ومنها العطرية ومنها الغذائية وغيرها :
- خشب النجارة : أهم الإنتاج الوطني من خشب النجارة مصدره غابات الأرز الأطلسي Cedrus atlantica (انظر أرْز) التي توفر سنويا أكثر من خمسين ألف متر مكعب. وهذه الكمية لا تغطي إلا نسبة ضعيفة من متطلبات الوطن من هذه المادة، مما يجعل المغرب يستورد كميات كبيرة لسد عجزه في هذا الإطار.
- خشب الصناعة يتعلق الأمر هنا بخشب الأوكاليبتوس المستعمل في إنتاج عجين الورق (انظر سليلوز المغرب).
- الحطب أو خشب الوقود : تساهم الغابة بحوالي 30٪ في الاستهلاك الوطني للطاقة. وتقدر كمية الحطب المستهلك في المغرب بما يقارب عشرة ملايين متر مكعب تستخرج كلها من الغابة، ويستهلك أكبر قدر من هذه الكمية في القرى والمناطق النائية عن المصادر الطاقوية الأخرى، وكذلك في عملية تحضير الخبز وتسخين الحمامات.
- خشب الصناعة التقليدية : تعتبر الصويرة أهم مراكز الصناعة التقليدية للخشب ولا سيما خشب العرعر (انظر "خشب" و"عرعر").
- الفلين : تنتج غابات البلوط الفليني المغربية حوالي 4٪ من الانتاج العالمي للفلين، بالرغم من أن المساحة الوطنية لهذه الغابات تقدر 350 000 هكتار أي ما يعادل 15٪ من المساحة العالمية (انظر "فلين").
- مواد أخرى : يتعلق الأمر بمواد مختلفة منها النباتات الطبية والنباتات العطرية. والقنص. وقد بلغت مبيعات جزء من هذه المواد 315 مليون درهم سنة 1994 و258 مليون درهم سنة 1995، أي ما يعادل ثلاث مرات عائدات تصدير الفلين. وكانت المداخيل الغابوية عن طريق القنص 10 ملايين درهم سنة 1997.
- العلف الغابوي : تنتج المراعي الغابوية حوالي مليار ونصف المليار من الوحدات العلفية في السنة أي ما يعادل 16٪ من مجموع الانتاج الوطني لهذه المادة.
- الصناعة الغابوية : تتشكل الصناعة الغابوية المغربية من وحدات عصرية منظمة وأخرى تقليدية. والمجموع الحالي لعدد هذه الوحدات يبلغ 300، منها ما يكمل هذه الصناعة : مقاولة عجين الورق، مقاولات تحويل الفلين، مقاولات الورق والكارطون، مقاولات الخشب. تمثل صناعة الخشب وحدها 5٪ من الوحدات الصناعية وتشغل 2٪ من اليد العاملة في هذا المجال.

إضافة إلى هذه المقاولات الكبيرة تُوجد بالمغرب أكثر من 1000 مقاولة صغيرة لها أنشطة تتعلق بالتشجير أو بالاستغلال الغابوي أو بالقيام بالأعمال الغابوية وغير ذلك.

وإن هذه المقاولات تلعب دوراً مهما في التنمية الاقتصادية والتشغيل والرفع من القيمة المضافة.

ـ التجارة الغابوية : تنتج الغابة المغربية أقل من خمس مجمل الاحتياجات الوطنية.

مثلت الواردات من الخشب ومشتقاته سنة 1993 حوالي 2,5٪ من القيمة الاجمالية للواردات العامة، أو ما يعادل 47,2٪ من مبلغ مشتريات القمح أو 17,3٪ من مشتريات الطاقة. وفي نفس السنة احتل الخشب المستورد المركز السابع من بين الواردات الاجمالية، والمركز الثاني من بين المواد الفلاحية. وقد بلغت قيمة الخشب المستورد سنة 1998 ما يقارب 4 ملايير من الدرهم.

تتشكل الصادرات من عجين الورق، والفلين ومشتقاته، والورق والكارطون، وبعض أنواع الخشب. بلغ معدل الصادرات في التسعينيات من القرن العشرين أقل من مليار واحد من الدراهم.

ـ الغابة والشغل : تساهم النشاطات الغابوية أو المرتبطة بها بحوالي 10 ملايين يوم عمل في السنة. هذا بالإضافة إلى أقل من 50 000 منصب شغل قار سنويا.

ـ الغابة والتنمية المحلية : هدف ظهير 20 شتنبر 1976 إلى إشراك الجماعات المحلية القروية في الاقتصاد الغابوي وتنمية مواردها المالية.

أبحاث شخصية.

A. Bouslihim, *Contribution à l'étude socio-économique des composantes de la filière du liège au Maroc*, DES, Fac. Sc. Jur. Econom. et Soc.. Agdal, Rabat, 1996 ; Ministère Chargé des Eaux et Forêts, Colloque National sur la forêt, *Ifrane*, Mars 1996 ; Ministède de l'Industrie et du Commerce, *L'industrie de transformation*, décembre 1998.

عمر بوسليهم

الغابوش، علي بن ميمون من مواليد سنة 1905 بآيت أفلمان إقليم بولمان، لما قامت قوات الاستعمار الفرنسي الغاشم بالاعتداء على السيادة المغربية انضم الشهيد إلى العمل المسلح السري فحمل السلاح وقام بعدة عمليات جريئة. إلا أن افتضاح أمره أدى برجال الأمن الاستعماري إلى إلقاء القبض عليه والزج به في المعتقل وبقي فيه إلى يوم الهجوم على مرموشة، حيث حاول الفرار من السجن بعدما استولى على سلاح هاجم به حارس السجن لكن هذا الأخير كان أسرع في استعمال سلاحه فأطلق طلقات نارية عليه اسقطته شهيدا وذلك سنة 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 521982.

الغاز الطبيعي نوع من المحروقات الغازية، تكون مع البترول من تحلل أجسام كائنات بحرية دقيقة في باطن الأرض، عاشت في بحار دافئة منذ مئات الملايين من السنين، طمرت في أعماق القشرة الأرضية بفعل التقلبات الجيولوجية، فتحولت تحت الضغط والحرارة الأرضية الكبيرة إلى زيوت وغازات. ويكتشف الغاز اليوم في مخازن باطنية ضمن صخور مسامية مع البترول أو منعزلا عنه، بسبب تنقله في باطن الأرض. يتكون من غاز الميتان CH بنسبة 90 ـ 99٪ ومن الأزوت بنسبة 1 ـ 3٪ ومن مواد أخرى بنسب وشوائب مثل الكبريت والفوسفور، وتوجد مكامنه غالبا على أعماق تصل إلى 5000 متر، بينما توجد مخازن البترول على عمق معدله 3000 م. فالحرارة والضغوط التي ترتفع مع زيادة العمق هي التي تعمل على تحويل جزء من المحروقات إلى غاز. ترتبط مكامنه بصخور ترجع إلى أقدم الأزمنة الجيولوجية، فصخرته الأم غالبا ما ترجع إلى الزمن الجيولوجي الأول، بينما توجد "مصايده" في صخور الزمن الثاني أو الثالث الجيولوجي. ويتميز بقدرة حرارية عالية : 9000 ـ 12000 سعر لكل متر مكعب، لكنه لا يستعمل خاما إذ لابد من تنقيته من الشوائب وتصفيته وتصنيفه إلى عينات متجانسة أهمها : غاز البوتان الذي يستعمل في الطبخ المنزلي، وغاز البروبان الذي يستعمل في المنشآت الكبرى حيث يخزن في قارورات ضخمة في ظروف أمنية أقوى لأنه غاز قوي سهل الانفجار. والغاز المصفى لا لون له ولا رائحة، لكنه يخلط بمركبات كبريتية لإعطائه رائحة كريهة لإنذار مستعمليه بتسربه، لتجنب أخطار حرائقه وانفجاراته المدمرة بالمنازل. ويتميز الغاز الطبيعي بسهولة احتراقه وقلة تلويثه للبيئة، وانعدام الفضلات، لذا عم استعماله في المنازل بسرعة كبيرة في جميع أرجاء العالم.

ابتدأت عمليات التنقيب عن المحروقات الهيدروكربونية : البترول والغاز، بجوانب سهل الغرب، خاصة بواد بهت منذ بداية عهد الحماية سنة 1914. وتم حفر أول بئر منتجة للبترول بجبل تسلفات بجوار سيدي قاسم سنة 1919، كان عمقها 90 م، تعطي بضعة أمتار مكعبة من البترول يوميا، وتوالت الاكتشافات لكنها تتعلق دائما بآبار ضعيفة سرعان ما ينفذ احتياطها الهزيل بعد عدة سنوات. وفي 8 مارس 1934 تم حفر بئر بجبل تسلفات أعطى تدفقا للبترول والغاز، أنعش الآمال من جديد في اكتشاف ثروة حقيقية للبترول والغاز، لكن سرعان ما خابت الآمال بعد التأكد من ضعف احتياطه الذي بدأ ينفذ بسرعة مع توالي الأسابيع. وبتوالي عمليات التنقيب تم حفر بئر للغاز الطبيعي بمكمن المنزه بين سيدي يحيى والقنيطرة تم استغلاله بين 1953 و 1958، حيث نفذ احتياطه وتوقف عن الإنتاج، وربط بأنبوب طوله 14 كلم فزود لمدة أربع سنوات معملا للشركة المغربية للورق والكارطون بالقنيطرة بحوالي 23 مليون م3 من الغاز. ثم اكتشفت آبار أخرى للغاز ضعيفة في بودراع في منتصف الخمسينات، وجه إنتاجها إلى مصفات سيدي قاسم، لكن سرعان ما نفذ احتياطها بعد بضع سنوات. وبعد الاستقلال توجه الاهتمام إلى حوض الصويرة حيث اكتشفت بنيات جيولوجية واعدة من طرف الشركة الإيطالية للمحروقات فتم

حفر بئر منتجة للغاز في "كشولة" على بعد 50 كلم من الصويرة سنة 1957. ولم يتقاعس المسؤولون المغاربة عن استمرار في البحث والتنقيب عن المحروقات سواء بإمكانياتهم الخاصة أو بالتعاقد مع شركات دولية مختصة إيطالية وأمريكية وفرنسية وإنجليزية من أجل اكتشاف البترول والغاز في البر والبحر. وهكذا حفرت آبار عديدة بحوض الصويرة أعطى بعضها مؤشرات عن احتياطي بسيط من البترول والغاز خاصة، مما شجع على المزيد من التنقيب. وتوج ذلك باكتشاف عدة آبار منتجة للغاز فوق مكامن صغيرة وعميقة عددها أربعة هي : توگيمت ومسكالة وزلتن اندارك، يستخرج من الثلاثة الأوائل غاز مع نفط مكثف، أما مكمن اندارك فيستخرج منه غاز جاف مصحوب بكمية من الآزوت ومركبات كبريتية وهو أغناها يقدر مخزونه القابل للاستخراج بـ 1.26 مليار م^3. ويتم استخراج الغاز حاليا من مكمن مسكالة وتوگيمت، ويوجه إلى وحدات تجفيف الفوسفاط للمكتب الشريف للفوسفاط باليوسفية عن طريق شبكة من الأنابيب الصغيرة ويتوفر المكتب على وحدتين للمعالجة لفصل النفط المكثف عن الغاز، تبلغ طاقتهما الإجمالية 250.000 م^3 يوميا من النفط والغاز المكثف. وما زال المكتب الشريف للبترول يعمل على إيجاد زبناء آخرين لغاز حوض الصويرة، كمعمل الإسمنت بأگادير ونواحي مراكش. لكنهما مترددان لأن عملية التحول إلى الغاز ستكلف نفقات إضافية لتغيير الأفران والتجهيزات.

وأنتج المكتب الشريف للبترول كميات من الغاز من آبار جديدة صغيرة تم حفرها بهوامش سهل الغرب وجهت غالبيتها إلى معمل الكارطون بالقنيطرة ومصفات سيدي قاسم.

ورغم تطوير أحواض الصويرة والغرب فإن إنتاج المغرب من البترول والغاز ظل متواضعا إذ بلغ خلال الفترة الممتدة من 1980 إلى 1985 حوالي 75.000 طن، واستمر في الانخفاض بسبب ضعف احتياطي الآبار التي تنضب بعد سنوات قليلة من الإنتاج، ولسبب آخر هو انعدام الأجهزة والخبرة لمعالجتها لكي تعطي مزيدا من البترول والغاز. وقد بلغ معدل الإنتاج السنوي خلال الفترة الممتدة من 1995 إلى 1999 : 45.000 طن معادل بترول. أي ما يعادل 1٪ من مجموع الحاجيات الوطنية. وقد كانت سنة 1987 قياسية واستثنائية في الإنتاج الذي بلغ 18.000 طن معادل بترول موزعا كالآتي :

النفط والغاز المكثف : 40.000 طن معادل بترول.

غاز الغرب : 50.000 طن معادل بترول.

غاز حوض الصويرة : 90.000 طن معادل بترول.

وانتج المغرب سنة 1999 من الغاز الطبيعي 43.8 مليون م^3، و11.300 طن من البترول. وإنتاجه في تناقص مستمر، فقد بلغ 75 مليون م^3 من الغاز سنة 1980، ذلك أن ثروته سواء النفطية أو الغازية في طريق الاستنزاف السريع. لكن معلقة الآمال على اكتشافات جديدة للبترول والغاز بشرق المغرب (تالسينت) وبالرصيف القاري البحري خاصة بالسواحل الجنوبية.

وبلغ استهلاك المغرب 8.18 مليون طن من البترول سنة 1999، تم تكريره بمصفاتي المحمدية وسيدي قاسم استخرجتا منه 184.000 طن من غاز البوتان و671.000 طن من غاز البروبان وذلك سنة 198 حيث عالجتا 6.112 مليون طن من البترول الخام، بالإضافة إلى استيراد 839.000 طن من الغازات النفطية ومحروقات أخرى و372.000 طن من الغازوال والفيول.

المغرب، *البترول والتنمية*، العدد 19، منشورات الزمن.

أحمد هوزالي

الغازي (سيدي -) بن **أحمد**، درعي الأصل، وسجلماسي الدار والقرار. توفي في شعبان عام 981 / 1570 أخذ عن الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله السجلماسي دفين سجلماسة وعن الشيخ أبي العباس أحمد بن يوسف الراشدي الملياني، ثم الشيخ أبي العباس أحمد زرُّو والشيخ اليونسي الفاسي. وأخذ عنه هو الشيخ أبو العباس أحمد بن علي الدرعي وغيره.

دفن الشيخ سيدي الغازي بتبُوبكرت بسجلماسة. ولازال قبره هناك يتردد عليه الزوار. أسس هو وأتباعه زوايا متعددة في الحواضر والبوادي المغربية. وكان له عدد غفير من الأتباع والمريدين، أشهرهم تلميذه المجدوب أبو حامد سيدي الحاج العربي الروندي الأندلسي المتوفى سنة 1077 / 1664 والمدفون بدار برأس الشراطين بفاس. وهي التي يصعد إليها الآن بالأدراج قبالة وجه الداخل للزنقة المقابلة لباب مدرسة الشراطين. وقد تحولت تلك الدار فيما بعد، إلى زاوية معدة لإيواء أتباع ومريدي الشيخ سيدي الغازي جيلا بعد جيل. وصارت أيضا مقبرة دفن بها عدد من صلحاء مدينة فاس. وكانت تقام بها أيضا الصلاة. وتم تحبيس عدد من الأوقاف عليها، منها كان الإمام المؤذن والمكلف بمهمة التدريس يأخذ أجرته.

م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، الجزء الأول، فاس سنة 1899 ؛ ع. الكتاني، *روض الأنفاس*، ميكروفيلم، خ. ع بالرباط رقم 62.

العربي اكنينح

غازي، الباشا أحد أركان ديوان الشرطة في دولة السلطان العلوي المولى إسماعيل. اضطلع إلى جانب عدد من القادة والعمال ممن كانوا أعمدة الجهاز المخزني الجهوي في جنوب المغرب، بأدوار على قدر كبير من الأهمية سواء على مستوى استتباب الأمن وتثبيت سلطة الدولة وتوسيع دائرة نفوذها المخزني بين القبائل القاصية والدانية، أو على مستوى تعقب وملاحقة كل من يروم المساس برموزها أو عدم الامتثال لمطالبها. تولى الباشا غازي بوحفرة إدارة الحكم في مدينة مراكش وإقليمها بعد وفاة الباشا عبد الكريم بن

منصـور التكني، وحظي يومـهـا بسلطات واسعـة في تدبيـر شؤون المناطق والمجموعـات القبليـة التي كـانت تقع ضمن مجال نفوذه وتحت مراقبة عيونه، إذ جمع، في ذات الوقت، بين المهام الأمنية والإدارية والعسكرية، لأن منصب الباشا في النسق الإداري للدولة الإسماعيلية كان متعدد الاختصاصات والمسؤوليات. ويعود ذلك، كما هو معلوم، إلى كون بنية هذه الدولة ذاتها وتركيبة هياكلها لم تكن تقوم أو تشتغل بالأحرى على أساس الفصل الوظيفي بين السلطة المدنيـة والسلطة العسكرية.

وإذا لم تحتفظ كتب التاريخ إلا بأخبار محدودة عن الباشا غازي لا تتجاوز في عمومها بعض الإشارات الشاردة، فإن ذلك لا يعني البتة أن مسار حياته في سلك الخدمة المخزنية كان محدود الآثار وغير ذي شأن يذكر، بل على العكس من ذلك، ساهم الباشا غازي، بحكم مكانته الوازنة كنائب للسلطان في مراكش، مساهمة فعالة في إقرار الأمن بين الناس وعبر المسالك والطرقات وفي زجر المعتدين والمخالفين والتصدي للمارقين والمتمردين تجسيدا لحضور رمزية الدولة وتأكيدا لهيبتها المخزنية. ومما ينهض دليلا على مكانته وكبير حظوته لدى السلطان المولى إسماعيل ما جاء في الرسالة التي وجهها هذا الأخير إلى شيخ زاوية تاسفت الحاج إبراهيم الزرهوني بهدف جبر خاطره والاعتذار له عما صدر عنه من مواقف وأفعال أقر فيها على سبيل الإبانة والنصح مانصه : ".. ولا تقطع كلامك عن مملوكنا الأحظى الباشا غازي لأنه هو العوض منا، والنائب عنا والسلام". مما يؤكد أن سلطة الباشا كانت من القوة والشمول ما جعلها حقا موضع رهبة وتوجس من قبل عامة الناس، بل وأحيانا من طرف رموز الوسط الصوفي حتى، التي كانت تتمتع بنفود روحي قوي وتحظى بتأييد قبلي واسع كما هو الحال بالنسبة لشيخ زاوية تاسافت الذي كان يرقب من داخل وادي نفيس بعين الريبة والحذر حركات الباشا غازي وأعوانه وعيونه المنبثين في كل مكان رغم صفح السلطان عنه وزوال ما كان قائما بينهما من توتر وجفاء. وتفيد الحوليات التاريخية في هذا الصدد، أنه بسبب هذه الحظوة البالغة التي نالها الباشا غازي لدى المولى إسماعيل، فإنه لم يتردد كلما دعته الظروف إلى ذلك في ملاحقة وتعذيب واعتقال حتى العناصر التي كانت تحظى بتقدير وإجلال كبيرين في أوساط المجتمع، بل وحتى في قتل بعض الرموز المنتمية إلى النخبة المخزنية ذاتها كما حدث بالنسبة للكاتب الخياط بن علي بن منصور وأخيه عبد الرحمن اللذين ذبحهما الباشا بسجن مكناسة سنة 1125.

وقد توفي الباشا غازي في آخر شهر صفر من عام 1113 بوادي بهت وهو في طريقه إلى العاصمة السلطانية، وإن كان صاحب الجيش العرمرم يجعل وفاته بوجدة في شهر محرم من نفس السنة. وقد خلفه على رأس باشوية مراكش الباشا المدعو حمو طرف.

ع. الكريم بن موسى الريفي، *زهر الأكم*، 150 ـ 200 ؛ ع. الله بن إبراهيم التاسافتي، *رحلة الوافد*، 217 ـ 218 ـ 219 ـ 226 ـ 229 ؛ أ. القاسم الزياتي، البستان الظريف، 186 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *المنزع اللطيف*، 87 ـ 260 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 4 : 128 ؛ أ. عبد الله محمد الكنسوسي، *الجيش العرمرم*، ج 1 : 155.

الفقيه الإدريسي

الـغازي، الـشاوي، المزامزي أو المزيمزي. ولي عمالة العدوتين الرباط وسلا وعرب الويدان والشاوية في 17 ربيع الأول 1220 كما في تاريخ الضعيف. تنسب إليه العرصة الغازية المشهورة، وذكر الضعيف أنه جاء الأمر السلطاني عام 1228 بأنه حبس سانية الباشا الغازي المذكور التي على البحر على الحزابين بالجامع بالرباط وجامع سلا الكبير.

الفاسي *مدينة الرباط*، ص. 111، *دينية مجالس*، ص. 210، *الضعيف*، تـ. العماري، ص. 337.

عبد الإله الفاسي

الـغازي (سيدي -) بن **قاسم** الأسفي. أحد الأولياء الصالحين بأسفي، ربما كان من جملة المرابطين على هذه المدينة في فترة احتلالها من قبل البرتغاليين في النصف الأول من القرن السادس عشر. يوجد ضريحه في حي القصْبة بأسفي بجوار المسجد والزاوية الحمدوشية.

م. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، ج 2، مخطوط.

عبد الرحيم العطاوي

غازي، محمد (الفقيه الوطني) أحد قادة الحركة الوطنية المغربية المنظرين المناضلين الكبار منذ البداية إلى بزوغ الاستقلال. ولد بمدينة مكناس سنة 1901. وتعلم بجامعة القرويين في حلقات كبار علماء عصره وكان من العصاميين النبهاء فوعى علوم الدين وعلوم الآلة على اختلافها. كان ولوعاً بالاصلاح العقائدي فتابع الدعوة السلفية بالشرق العربي على يد الافغاني ومحمد عبده وتشرب بها وأصبح من دعاتها. كما مارس الكفاح الوطني مع رفاقه الأوائل علال الفاسي، الهاشمي الفيلالي. عبد العزيز بن إدريس الخ ... وهو في طور التحصيل.

وما أن أتم دراسته حتى أنشأ مدرسة حرة بفاس : مدرسة الناصرية، كانت إلى نشرها لتعاليم العقيدة واللغة العربية تناهض الانحراف خاصة الطرق المنحرفة والشعوذة وأشياعها الذين كانوا يتعاونون مع رجال الحماية الفرنسية. فتضايقت منه الإدارة فنفته إلى الدار البيضاء حيث أسس مدرسة حرة ثانية : مدرسة عكور وانشأ جماعة أحباء السنة ومناهضة البدع.

بعد صدور الظهير البربري 1930 الرامي إلى تمزيق وحدة المغرب عاد إلى مكناس وأخذ يقوم بدروس دينية وتوعوية بمساجدها وأسس جماعات وطنية لمناهضة الاستعمار. ثم

التحق بالرباط حيث ساهد في تحرير دفتر المطالب الوطنية وترأس الوفد الذي قدمها سنة 1934 إلى الصدر الأعظم (الوزير الأول) بالقصر السلطاني في الرباط. وقعت له كثير من المضايقات بعد ذلك.

تم رحل إلى مدينة آسفي حيث زاول مهنة وكيل شرعي لدى المحاكم الشرعية، ثم انتقل نهائياً إلى مدينة الرباط سنة 1936 حيث اندرج في قيادة كتلة العمل الوطني ثم بعد حلها على يد السلطات الفرنسية وقمع قيادتها ومسيريها أصبح من قادة الحزب الوطني. وكان من أبرزهم تجربة وتفكيراً وأقدرهم على الإشارة بالرأي وصياغته. وكانت السلطات الفرنسية تدرك خطره وقد اعتقلته مرات عديدة وقضى سنوات طويلة في سجون البلاد ومنافيها سنة 1937 و1944 و1952. كان عن اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال ومن الذي ينسقون مع جلالة، محمد الخامس العمل في الخفاء بالقصر المواقف التي أفضت إلى تحرير وثيقة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال وتحرير المذكرات والخطب التي كانت تصدر عن القصر إبان الأزمة المغربية ـ الفرنسية 1952. نفي أثناء قمع دجنبر 1952 إلى آسا بگلمين وبقي بها إلى عودة محمد الخامس واستقلال المغرب وكان له دور بارز غداة الاستقلال، ثم عينه محمد الخامس سفيراً بالمملكة العربية السعودية. وكانت منتهى آماله. توفي بها سنة 1972.

قاسم الزهيري

ابن **غازي، محمد** بن **أحمد** بن محمد بن علي بن العثماني المكناسي. ولد بمكناس على الأرجح سنة 841 / 1437، يحدثنا ابن غازي عن نشأته قائلاً "نشأت بهذه المدينة كما نشأ بها أسلافي، وقرأت بها ثم ارتحلت إلى مدينة فاس في طلب العلم أظنه سنة ثمان وخمسين ثمانمائة، فأقمت بها ما شاء الله تعالى، ولقيت من الأشياخ بالمدينتين جماعة ذكرت مشاهرهم في الفهرست [...]، ثم عدت إلى مدينة مكناسة فأقمت بها بين أهلي وعشيرتي زمانا، ثم انتقلت إلى مدينة فاس كلاها الله تعالى فاستطونتها.

وكان ما كان مما لست أذكر   فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

أما عن أمه فيقول بأنها "رحمة بنت الجنان [...] وكانت رحمها الله تعالى ملازمة لدرس القرآن العزيز في المصحف".

أجمع معاصرو ابن غازي وتلامذته والمؤرخين له على أنه كان عالم عصره وجهبذ وقته، وصدر زمانه في جميع العلوم الفقهية والعقلية، "رحل الناس للأخذ عنه وتنافسوا فيه، كان عذب المنطق حسن الإيراد والتقرير، فصيح اللسان عارفا بصنعة التدريس، ممتع المجالسة جميل الصحبة، سري الهمة نقي الشيبة، حسن الأخلاق والهيئة عذب الفكاهة معظما عند الخاصة والعامة" على ما قال التنبكتي، أسند له كرسي بالقرويين لتدريس الحديث والفقه وكان الكرسي من وقف أبي فارس الورياغلي.

ولم يقتصر ابن غازي على نشر العلم دراسة وتدريسا وتأليفا، بل كان نموذج المثقف العضوي الملتزم بقضايا أمته، "فلم يزل باذل النصيحة للمسلمين محرضا لهم في خطبه ومجالس إقرائه على الجهاد والاعتناء بأموره" وقرن في ذلك القول بالفعل فقد شارك في الجهاد مراراً "وحضر فيه بنفسه مواقف عديدة ورابط مرات" فقد جاهد ضد الاحتلال البرتغالي إلى جانب السلطان محمد الشيخ الوطاسي (ت. 910 / 1505) وابنه السلطان محمد البرتغالي (ت. 932 / 1524) والذي كان يقرب ابن غازي من مجلسه.

واستمر ابن غازي على الجهاد ضد البرتغاليين إلى آخر أيامه، فقد خرج ـ كما يقول تلميذه عبد الواحد الونشريسي (ت. 955 / 1548) ـ "رحمه الله في آخر عمره لقصر كتامة المذكور [= القصر الكبير] *بقصد الحراسة* فألم به مرض فآب لفاس واستمر مرضه إلى أن توفي.

ترك ابن غازي ذخيرة مهمة لا يستغنى عنها، ذات طابع شمولي : في الفقه والحديث والتاريخ والآداب والحساب الخ ... فاقت الثلاثين، نذكر منها على سبيل المثال ثلاثة مؤلفات تعكس توجه ابن غازي واهتماماته الفكرية المتنوعة..

1 ـ *التعلل برسوم الإسناد، بعد انتقال أهل المنزل والناد* : وهو فهرس من أشهر الفهارس بالمغرب في القرن 10 / 16. فهو صورة جامعة للأحوال الثقافية والتعليمية بالمغرب في عصر ابن غازي. يضم هذا الفهرست أسماء الشيوخ المغاربة الذين أخذ عنهم ابن غازي وأجازوه، والكتب التي كانت تدرس ويفوق عددها ثلاثمائة كتاب، وفي نهاية الفهرسة يذكر ابن غازي مؤلفاته التي تم إنجازها أو التي كان قيد إنجازها.

2 ـ *الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون* : خصه لتاريخ مدينة مكناس، وقسمه إلى ثلاثة أقسام : قسم جغرافي وآخر تاريخي، وثالث خاص بترجمة الأعلام. والكتاب إلى جانب أهميته التاريخية فهو مهم من ناحية الجغرافية المحلية والحياة الاقتصادية وقد ترجم جزء منه المستشرق "هو داس" في المجلة الأسيوية.

3 ـ *الكليات في الفقه* : ويندرج هذا الكتاب ضمن المشروع المجتمعي للفقيه ابن غازي كمثقف مجاهد. حيث أن الكتاب ـ في تقديرنا ـ ليس مجرد عرض لقواعد فقهية في صيغ كلية، وإنما هو كتاب ملتزم بالمجال التداولي لصاحبه (عقديا وسياسيا ومجتمعيا)، ضمن مشروع يهدف لشرعنة الدولة الوطاسية (876 / 1471 ـ 961 / 1553) من خلال تقعيد الشريعة من أجل وحدة تنظيمية سياسيا واجتماعيا بالمغرب.

توفي بفاس إثر صلاة الظهر من يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة تسع عشرة وتسع مائة [= 919 / 1513] وصلى عليه ولده أبو العباس سيدي أحمد بالمقابر بالغادين [يعرف بالقرادين] الموضع المعروف داخل باب الفتوح عدوة

فاس الأندلس ... واحتفل الناس لحضور جنازته احتفالا عظيما حضرها السلطان ووجوه دولته ..."

ابن غازي محمد بن أحمد، *الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون*، طبعة حجرية، د. ت ؛ الكليات في الفقه، طبعة حجرية، د. ت ؛ *التعليل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد*، تح. محمد الزاهي، ط 1، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، 1979 ؛ أ. بَابَ التنبكتي، *نيل الابتهاج*، (طبع بهامشي، الديباج لابن فرحون) ط 1، مصر، 1351 ؛ ع. الرحمن ابن زيدان، *إتحاف*، ج 4، الرباط، 1929 - 1933 ؛ ع. الله گنون، *النبوغ المغربي*، ط 1، بتطوان، د. ت ؛ م. الأمراني، مداخلة في ندوة مراكش الحلقة الثانية، نونبر، 1990.

محمد الأمراني

الـغازية، طائفة صوفية أسسها الشيخ أبو القاسم بن محمد بن عمر بن أحمد السوسي الهرغي مولداً، السجلماسي داراً ومقبراً، المعروف بسيدي الغازي، المولود عام 901 / 1494 والمتوفى 981 / 1574.

ويتصل سياق نشأة هذه الطائفة بتاريخ دخول الطريقة الراشدية إلى المغرب وانتشارها به، والذي اتخذ في مساره الجغرافي اتجاهين رئيسيين، انتهى أولهما إلى التمركز في زرهون وبعض المداشر الزروالية ومواضع من القطر التادلي، وامتد ثانيهما على شكل هلال يصل طرفاه ما بين السواحل الشمالية المتوسطية والسواحل الأطلسية الصحراوية مروراً بالأقاليم الشرقية والجنوبية، من بني يزناسن ففجيج ووادي غير والرتب وكرزاز وتوات وسجلماسة ودرعة إلى الساقية الحمراء. وقد استغرق هذا الانتشار القرنين 10 و11 / 16 و17 بأتمهما، وتوج جهود أجيال متعاقبة وطبقات متتالية من مشايخ وإخوان الراشدية المغاربة، الذين جمعت بينهم وحدة السند وفرقت بينهم الاختلافات المذهبية.

وتنتمي الطائفة الغازية في جغرافيتها إلى الاتجاه الثاني الأكثر امتداداً واتصالا، وتحتل مكانا متقدماً في تاريخ حلقات تسلسله وانتشاره. وتكاد تكون هي والطائفة السهيلية الأصلين اللذين تفرعت عنهما جل الطوائف والزوايا المشكلة لهذا الاتجاه، وعلى رأسها الكرزازية والشيخية والناصرية.

ويحسب الشيخ الغازي علي الطبقة الراشدية الثانية، وقد انتسب إلى الشيخ علي بن عبد الله السجلماسي (ت. 940 / 1533)، أي في حياة شيخ شيخه أحمد بن يوسف الراشدي الذي توفي في العام الذي يليه 931 / 1524. وصرف الغازي عقداً كاملاً من عمره في ملازمة شيخه السجلماسي إلى أن أتاه اليقين في العام المذكور، وورث عنه المشيخة وقد بلغ أشده وبلغ أربعين سنة.

ويشبه المذهب الصوفي الذي تصدر الشيخ الغازي لنشره، والمبثوث في ثنايا التراجم المفردة فيه، صورة الطلل الماحل الذي يبرز بعض رسمه وينطمر معظمه. ويوافق بعض ما بقي منه مذهب الشيخ الراشدي، ويتفق مع نظرته إلى العلاقة التي تنظم بين الله والوجود والإنسان. ومنه قوله : "الجنة جنتان : جنة في الدنيا هي معرفة الله عز وجل، وجنة الفردوس في الآخرة. من دخل جنة المعرفة لا يحتاج إلى جنة الفردوس، إذ جنة الفردوس ليس فيها إلا حظ النفس (كُلُوا وَاشْرَبُوا)، وجنة المعرفة (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ). وقال أيضاً - والقول منسوب للشيخ أحمد بن يوسف الراشدي قبله - "شتان ما بين من همته الحور والقصور وبين من همته رفع الستور ودوام الحضور، وما افترقت الناس إلا في الهمة". والتهوين من شأن الجنة باد في هذه الأقوال المتصلة بالمعرفة والهمة، وهو هروع على أثر موقف الراشدي من الخلدين، والذي يقول إن العارف غايته من الله لاسكنى الجنة، وإنما التوجه الخالص إلى خالق الكونين، وأن العبادة إحسان بلا علل، وعلى رأسها الخلدان.

وصدر الشيخ الغازي في مشيخته عن تعاليم الشيخ الراشدي، فكان يسعى في رضى الناس وإطعامهم وإيوائهم والاحسان إليهم، وبالأخص طلبة العلم، وقال : "كان سيدي أحمد بن يوسف الراشدي يقول : أيأوي الغريب، أيأوي الغريب ؟ ! أي يعظم أمر من يأوي الغريب، لكثرة أجره ولايحصيه إلا الله، فإن في إطعام الطعام رضاء الله تعالى".

وأقام الشيخ الغازي طريقته على الذكر، لأهميته في الطريقة الراشدية ومدارها عليه، باعتباره أرقى وسائل الطلب والرجاء التي تعين السالك على تلقي النور وبلوغ الغاية واحتلال أعلى المقامات.

وكان مثل الشيخ الراشدي يؤثر الذكر بالجمع والجهر، وذكر بعض أصحابه أنهم كانوا جلوساً عنده، "والفقراء في الحضرة يذكرون لا إله إلا الله حتى وصل العصر، فقال بعضهم : نسكتهم يا سيدي حتى يصلون العصر، فقال الشيخ : إنا لا نقول لمن يذكر الله اسكت". وكان يحذر من الغفلة التي تتربص بالأعضاء القائمة بالذكر من الانسان من لسان وقلب وجوارح، وقال : "أشد المصائب الغفلة، قال تعالى (ولاَتَكُنْ من الْغَافِلِينَ)، وقال صلى الله عليه وسلم : لاظلمة أشد من عمى القَلب"، وكان يستشهد بالحديث القدسي القائل على لسان الحق "أنا جليس من ذكرني".

وجمع الشيخ الغازي مثل الشيخ الراشدي بين المعرفة والشطح، وصدرت عنه شطحات في مقالات لم نقف عليها، والشطح علامة بلوغ مرتبة العارف. وقد أسلفنا قول الشيخ الغازي يجعل المعرفة جنة الدنيا التي لا يحتاج العارف معها إلى جنة الفردوس.

واستمرت الطائفة الغازية وتفرعت وانتشرت على يد العديد من أتباع الشيخ الغازي وأتباعهم، ومن أكابر تلامذته ولد أخيه أحمد بن يوسف السجلماسي، ونجل شيخه محمد بن علي بن عبد الله السجلماسي وكان يخرج إلى توات وتنبكت للتجارة، والفقيه الصوفي عبد الله الدليمي، ومسعود بن بركة، وعبد الواحد الجاوزي، وأبو القاسم بن مولود الجاوزي وأبوه مولود من أصحاب الشيخ أحمد بن

يوسف الراشدي، ومحمد الفيلالي وأخوه أحمد دفيني مراكش، وأحمد بن محمد الفيلالي دفين بني بوزرا.

واشتهر من بين تلامذة الشيخ الغازي مسعود بن مبارك الفيلالي الذي تصدر للمشيخة بفاس، وأسس بها زاوية غازية وافرة التلامذة والأتباع والأشياع. وتوفي في أوائل القرن (11 / 17)، ودفن خارج باب الشريعة المعروف بباب المحروق من فاس القرويين، وبنيت عليه قبة. ونبتت قريباً من روضته نخلة، ولذلك عرف عنه أهل فاس "بسيدي مسعود مول النخلة". وظلت روضته معمورة من قبل الفقراء الغازيين، ولم تنقطع عمارتهم منها إلا بعد أن أسس الشيخ العربي الرندي الأندلسي (تـ. 1177 / 1763) زاوية بداره براس الشراطين من فاس القرويين، فتحولوا إليها. وقد أحيى هذا الشيخ ذمامة الطائفة الغازية بفاس خلال القرن (12 / 18)، وشد المطا إلى تافيلالت وأخذ عن المشايخ الغازيين بزاوية تبوبكرت قبل أن يؤسس زاويته المذكورة.

ومن مشاهير الطبقة الغازية الأولى الشيخ أحمد بن علي الحاجي الدرعي (تـ. 998 / 1589)، صاحب الزاوية المعروفة "بزاوية جبار المكسور" بقصر أولاد الحاج على الضفة الشرقية لنهر درعة. وتؤرخ مشيخته لانتقال الطريقة الزروقية بوجه عام والطائفة الغازية بوجه خاص من تافيلالت إلى درعة، حيث انثال عليه الناس من مزگيطة إلى محاميد الغزلان على مشارف الصحراء. وورث عنه مشيخة الطائفة الغازية تلميذه عبد الله بن حسين الرقي المدعو القباب (تـ. 1045 / 1635)، الذي انتقل من زاوية سيد الناس بفزواطة من درعة إلى زاوية تامگروت الأنصارية، والتي أصبحت حسينية لعلو صيته وكثرة أتباعه، وعن طريق تلميذه محمد بن ناصر الدرعي (تـ. 1085 / 1674) ستتصل السلسلة الغازية بالطائفة الناصرية.

ومع هذا الاتصال تطوى الصفحات المستقلة من تاريخ الطائفة الغازية، والسابقة لنشأة الناصرية وتطورها المتعاظم، الذي غبر في وجه العديد من المشايخ، وجرف في طريقه العديد من الزوايا، وعفا معه أثر العديد من الطوائف. ويشرع التأريخ الناصري للغازية باعتبارها توطئة وتمهيداً للناصرية، ويحتب الشيخ أبو القاسم الغازي مكانة مكينة في سلسلة الأقطاب التي تصل الشيخ محمد بن ناصر قطباً عن قطب بالرسول (ص). ويسلم له الناصريون بالامامة، ويقولون إنه رأس طريقهم الأكبر، وأصلها الأشهر، وسندها الأعلى في الشاذلية. ويجعلونه أمجد أهل الطريق، وأبجلهم وأشرفهم وأصلهم، وأولى أهل الطريق وأفضلهم، ورئيس الأولياء وصنديدهم. وعنوا بشد الرحال إلى روضته بتبوبكرت، وتنافسوا في تعليق قصائد مدحه بجدرانها، وتواطأوا على أكبار من صافحهم وانتسب في حرمها إلى شيعتهم.

وصبغ الناصريون تاريخ الغازية بصبغة ناصرية محضة، وأقحموا العمل على أحياء السنة في سياق نشأتها وصلب دعوتها، وحاولوا سدل الأستار بينها وبين الشبهات التي حامت حول الطريقة الراشدية شيخاً ومذهباً وأتباعاً. ومع ذلك فان نفراً من أتباع الزاوية الناصرية تبرأوا من الشيخ محمد بن ناصر لما حدث بقولة " من رأى من رآني إلى سبعة ضمنت له الجنة" بسنده إلى الشيخ الغازي، وكتبوا في ذلك كراسة، وأضرموا على الناصريين نار الفتنة في سجلماسة بالذات. وقالوا إن هذه المقالة توقع الناس في الأمن، وفي الاعراض عن علم التوحيد، زيادة على أنها لا وثوق بها ولايعول عليها بحال. ولم تصرف هذه الفتنة الناصريين عن إشاعة هذه القولة بين خاصة وعامة أتباعهم، والاذن بروايتها لأشياعهم من الشرقاويين، واستمر الناس على خلافهم في شأنها، وانقسموا إلى معتقدين ومنكرين.

ولاشك أن الناصرية قد كسفت بدر الغازية، وزاحمتها شيئاً فشيئاً إلى أن اضمحلت ولم يبق منها إلا مزار تبوبكرت. وقد تم احصاء الغازيين بالمغرب خلال النصف الأول من القرن (14 / 20) فكانوا أقل من ألف مريد، نصفهم بتافيلالت، وقريباً من المائتين بمكناس، وقريباً من المائة بالرباط، وبضع عشرات في كل من فاس ومراكش وآسفي والأطلس المتوسط.

م. المهدي الفاسي، *تحفة أهل الصديقية*، 72 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، 122 . 130 ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، تح. نوحي، 315 ؛ نفس المؤلف، *الروض الزاهر*، تح. م. الغالي، 92 ؛ أ. المنالي الزبادي، *سلوك الطريق الوارية*، تح. ن. بنونة، 354 . 360 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 3 : 193 . 195 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 24 ؛ *المعلمة*.

L. Rinn, *Marabouts et Khouans*, 274 - 275 ; O. Depont et X. Coppolani, *Les confréries religieuses*, 468 ; G. Spillman (G. Drague), *Esquisse d'histoire religieuse*, 75, 120, 122, 186, 190, 277.

عبد الله نجمي

ابن أبي **غافر**، أبو زيد **عبد الرحيم** بن مسعود عرف بابن أبي غافر، من أهل سبتة، سمع وتفقه بها، وارتحل إلى مصر ولقي أئمة المالكية بها مثل بكر بن أبي العلاء القشيري وأبي حفص الإسكندراني وغيرهما. أخذ عنه كثير من مشيخة بلده سبتة منهم عبد الرحيم ابن العجوز الكتامي (راجع في المعلمة مادة "بنو العجوز").

توفي ابن أبي غافر بعد سنة 390.

عياض، *المدارك*، 6 : 276.

أحمد عزاوي

الغافقي، أبو إسحاق **إبراهيم** بن **أحمد** بن عيسى بن يعقوب الغافقي الإشبيلي السبتي. وغافق قبيلة من الأزد، وإليهم ينسب حصن غافق من أعمال فحص البلوط بالأندلس غير بعيد عن قرطبة.

ولد الغافقي بإشبيلية سنة 641 / 1243 وحُمل صغيراً إلى سبتة سنة 646 / 1248 عندما تغلب النصارى على إشبيلية. وبسبتة نشأ وتربى على العلم وعلى مصاحبة

العلماء. فأخذ علم العربية على كبير النحاة أبي الحسين بن أبي الربيع فتقدم فيها، ونهل من علم القراءات عن استاذها أبي الحسن بن الخضار، وسمع الحديث عن الفقيه محمد بن عبد الرحمن بن جرير، وقرأ *الموطأ والشفا* على القاضي محمد بن عبد الله الأزدي وعلى الحافظ أبي يعقوب يوسف الحساني، وقرأ بالتيسير والكافي على أبي بكر محمد بن شلبون وعلى أبي العباس أحمد بن ثابت المازري، وروى عن الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سليمان والأديب الفرضي أبي الحكم مالك بن المرحل المالقي والقاضي أبي عبد الله بن أبي موسى عمران وغيرهم من علماء المشرق والمغرب والأندلس. تصدى الغافقي للتدريس وخاصة علوم العربية بمدارس سبتة فصار شيخها وأستاذ أهل المغرب فيها، وألف فيها كتباً وتقاييد نافعة. كما برز في تدريس علوم القراءات وتفنن فيها حتى أصبح من كبار شيوخها وصنف تأليفا في قراءة نافع. وكان يحج إليه طلبة العلم فتتلمذ على يديه علماء كبار في قراءة القرآن وعلوم العربية من أمثال المقرئ أبي القاسم بن يحيى بن محمد الوَازَرْوالي بن درهم، والخطيب أبي جعفر الزيات، وشيخ النحاة بغرناطة أبي عبد الله محمد بن علي الخولاني، والقاضي أبي بكر محمد بن أحمد بن شبرين والقاضي أبي إسحاق إبراهيم بن يحيى بن زكرياء والقاضي أبي القاسم الشريف الغرناطي وأبي القاسم بن عمران الحضرمي. تولى الغافقي إلى جانب التدريس قضاء سبتة مدة من الزمن إلى أن توفي بها في آخر ذي القعدة من عام 716 / 1316.

النباهي، *المرقبة العليا في القضاء والفتيا*، تح. ليفي بروفنسال، بيروت، بدون تاريخ، ص. 133 ـ 134 ـ 153 ـ 154 ـ 176 ؛ ابن خلدون، *التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً*، *العبر*، ج 7، بيروت، 1978، ص. 831 ؛ ابن الجزري، *غاية النهاية في طبقات القراء*، بيروت، 1980، ج 1، ص. 8 ؛ ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة*، بيروت، د. ت. ج 1، ص. 13 ؛ السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، بيروت، د. ت. ج 1، ص. 405 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال في أسماء الرجال*، طبعة القاهرة، تونس، 1970 ؛ ج 1، ص. 176 ـ 177 ؛ ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب*، بيروت، د. ت، ج 6، ص. 38.

الغافقي، محمد بن **إبراهيم** شيخ النحاة المترجم أعلاه. كان فقيها راوية ومشاركاً في فنون شتى. يعد من أشهر الوراقين بسبتة والمغرب الأقصى. له مصنفات كثيرة في علوم مختلفة.

توفي قبل عام 750 / 1350.

مجهول، *بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب*، الرباط، 1984، ص. 31 ؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية*، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1991، ص. 60.

رشيد السلامي

الغاق والغاقة كما في اللغة وفي المعاجم وكما ينطق به في بعض المناطق المغربية، طائر بحري أسود الريش من رتبة كفيات القدم البجعيات Pélicaniformes ومن فصيلة Phalacrocoracidae، يألف الشواطئ والأماكن الصخرية الساحلية ويتغذى من الأسماك البحرية. منه نوعان يعيشان في المغرب.

الغاق الكبير Phalcrocorax carbo sinensis ويسمى أيضاً غراب الماء وغراب البحر لسواد ريشه المعدني اللمعان. يسمى بالفرنسية Cormoran وبالإنجليزية Cormorant وبالإسبانية Cormoran grande وبالإيطالية Marangone. يتميز بريش أسود معدني اللمعان على جسده وبخصلة من الريش الأبيض على عنقه من الجهة الأمامية، ذيله طويل نسبيا بقربه غدتان تفرزان مادة زيتية تجعل الريش كتيمة، عنقه طويل ممتد نحو الأمام. للقوائم أربعة أصابع، ثلاثة منها ملتحمة بواسطة غشاء سباحي والرابع الخلفي حر. قده بين البجعة والبط، ويحسن السباحة والغطس حيث يبلغ أعماقاً تتعدى 20م ليبحث عن الأسماك وتدوم مدة الغطس دقيقة واحدة. المنقار مسطح وممتد نسبيا، رمادي مصفر. الإناث شبيهة بالذكور ويبلغ طول بسطة الجناحين 130 ـ 140 سم وطول الجسم 90 سم ويزن الكبار 1700 ـ 2900 غرام. طائر اجتماعي يعيش في مجموعات متعددة الأفراد. عدة مجموعات أوروبية تشتي على السواحل المتوسطية وخاصة منها رأس كبدانة وصبخة بوعرك ومصب نهر ملوية وسد محمد الخامس، بينما معظم مجموعات المناطق الساحلية الأطلنطية مستقرة في الجهات لوسطى والجنوبية من البلاد وتتوالد قرب الصويرة وماسة وسيدي إفني والداخلة منذ أبريل إلى يونيو. توضع الأعشاش متقاربة على الصخور الساحلية وتفرش بالأغصان اليابسة وقطع الطحالب البحرية. يبلغ عدد البيض 3 ـ 5 زرقاء شاحبة، طول قطرها 6.6 سم وتزن 50 غرام. يحضن البيض بالتناوب مدة 28 ـ 29 يوماً. يقتات الصغار من الأسماك يأتي بها الآباء وتغادر العش بعد خمسة أسابيع وتحسن الطيران بعد شهرين.

الغاق المتوج Phalcrocorax aristotelis ويسمى بالفرنسية Cormoran huppé وبالإنجليزية Shag وبالإسبانية

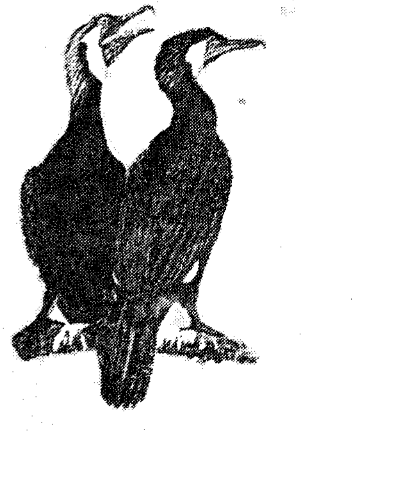

وبالإيطاليـــة Cormoran monodo Marangone dal ciuffo. يختلف عن الغلق الكبير بريشه الأسود الموحد على سائر الجسد وعدم وجود خصلة الريش الأبيض على العنق، تبلغ بسطة الجناحين 90 ـ 100 سم وطول الجســم 76 سم. طائر اجتماعي يعيش في مجموعات يتراوح عدد أفرادها بين 4 ـ 20. تشـتي المجمــوعــات الأوروبيــة على طول الســواحل المتوسطية والأطلنطية تضاف إلى مجموعات مستقرة في المناطق الممتدة بين الواليدية وماسة وهناك بضع وحدات تتوالد قرب الصويرة وماسة وسيدي إفني والداخلة منذ أبريل إلى يونيو. نمط العيش والتوالد لهذا النوع شبيه بالغاق الكبير.

م. رمضاني، *البط*، *معلمة المغرب*، الجزء 4، ص. 1264 ـ 1265 ؛ الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*. Elsevier, 1977, 420 p.

محمد رمضاني

ابن **غالب، عبد الله** بن غالب بن تمام بن محمد الهمذاني : عالم صالح ورع من أسرة علمية يرجع أصلها إلى مدينة نكور، وسكنت سبتة واشتهرت بها. كان أبوه عالما متضلعا في الوثائق والفقه والحساب والفرائض، وله في ذلك تآليف.

أخذ أبو محمد بن غالب عن أشياخ بلده سبتة، ورحل إلى الأندلس، فسمع من أبي محمد الأصيلي، وأبي بكر الزبيدي. ثم يمم شطر المشرق نحو سنة 380 / 990، فدخل القيروان صحبة بلديه عبد الرحيم بن العجوز الكتامي، وسمعا معا من أبي محمد بن أبي زيد القيرواني كتبه، وتابع ابن غالب طريقه إلى المشرق فسمع بمصر من أبي بكر ابن إسماعيل بن المهندس وابن الوشاء، وكانت له أسفار كثيرة ربما وصل خلالها إلى العراق.

وصف بالتفنن في علوم كثيرة، وكان قائما على المذهب المالكي، "نظارا حافظا بليغا أديبا شاعرا مجيدا" *المدارك*. فضلا عما اشتهر به من الصلاح والدين. وللتأكيد على شهرته العلمية وتضلعه في الفقه ذكرت المصادر أن رجلا من أهل سبتة رفع مسألة إلى القيروان، فقيل له أليس ابن غالب حيا ؟ قال نعم، فقيل له : ما ينبغي لبلد فيه مثله أن يرفع منه سؤال. شاوره قاضي سبتة ابن زوبع، ثم اعتمده قضاتها بعده إلى أن مات.

أخذ عنه جماعة من أهل سبتة، منهم ابنه القاضي أبو عبد الله، وإسماعيل بن حمزة، وأبو محمد المسيلي، والقاضي ابن حجاج، والقاضي ابن جماح وابن علا قومه وابن البربا، وغيرهم.

توفي في صفر سنة 434 / 1042.

القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، تح. سعيد أعراب، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف، 1983، ج 8، ص. 188 ـ 189 ؛ ابن بشكوال، *كتاب الصلة*، القاهرة، 1955، ج 1، ص. 288 ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة*، تح. عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف، 1993، ق 3، ص. 154 ؛ ابن فرحون، *الديباج المذهب*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، دار التراث، ج 1، ص. 435 ـ 436.

ابن **غالب، محمد** بن عبد الله بن غالب بن تمام الهمذاني : من أسرة علمية سبتية، ومن أهل الفضل والورع. أخذ عن أبيه ومن شيوخ بلده، ثم حج فسمع من عدد من علماء مصر مثل الحوفي، وأخذ بمكة عن أبي ذر الهروي. نفي صحبة جماعة من فقهاء سبتة إلى مالقة فيما يبدو خلال ظروف الاضطراب التي عرفتها مدينتهم إبان حكم الحموديين. وعاد إلى سبتة فعين قاضياً خلال عصر لمرابطين، ثم نقل إلى قضاء الجماعة بمراكش. وقد أدركته محنة أخرى فأخرج مع أهله إلى بادس، وبعد رجوعه إلى سبتة تفرغ للفتوى إلى وفاته. وكان حسن السيرة متثبتا في قضائه.

القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، تح. سعيد أعراب، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف، 1983، ج 8، ص. 170 ـ 171.

محمد المغراوي

غالي، أحمد بن محمد ولد سنة 1917 بمدينة الدار البيضاء عمل الشهيد في صفوف المقاومة السرية المغربية، وشارك مشاركة فعالة في تحرير البلاد واسترجاع سيادتها.

ألقت السلطات الاستعمارية عليه القبض بتهمة امتلاك بعض الأسلحة وتخزينها (بندقية ومسدس وقنبلة) وعذبوه كثيرا ولما أعياهم البحث معه، ولما لم يقر لهم بشيء رموه من أعلى مركز الشرطة (كومسارية المعارف) فسقط رحمه الله شهيداً مقدما روحه ثمنا للحرية والاستقلال.

وكان ذلك بتاريخ 15 شتنبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، بطاقة مقاوم رقم 524708.

الغالية عرفت الغالية بالمغرب منذ أقدم العصور، وكانت تدخل ضمن أصناف الأطياب المستوردة إليه من المشرق العربي والحوض المتوسطي. وقد نقل العرب صناعتها عن حكماء اليونان القدامى، وبرعوا فيها لعدة قرون، وجعلوا منها مادة رفيعة وثمينة تهدى للملوك والحكام دون غيرهم، واستعملها الأطباء منهم في علاج عدة أمراض ذات الصلة بالأبدان والغرائز الجنسية. وذكر البكري أن المولى إدريس الأول قُتل غدرا بغالية مسمومة، وقال إن الخليفة العباسي شكا إلى يحيى بن خالد البرمكي دخول المولى إدريس إلى بلاد المغرب وإقامته بها، فتولى يحيى المذكور عملية قتله بواسطة سليمان بن جرير الجزري.

إلا أن المغاربة يطلقون أحيانا اسم "الغالية" على مسك الزبادة وقد ذكر عبد الرحمن السعدي في هذا الصدد أن

"السلطان مولاي أحمد الشريف الهاشمي - [أرْسَلَ] - رسوله إلى أسكيا الحاج بهدايا عجيبات له، وقصده في ذلك الاطلاع على حال بلاد التكرور، لأنه عزم على بعث رسوله إلى كَاغُ فتلقاه أسكيا بالإكرام، وأرسل له عند رجوع مرسوله أضعاف ما أُرْسَلَ هو من الهدايا من خدام وسنانير الغالية وغير ذلك". وقد شكلت مادة الغالية - (الزبادة) - إحدى أهم المواد التجارية التي كانت تنقلها القوافل المغربية من إفريقيا الغربية إلى حدود نهاية القرن الثالث عشر (19 م). وذكر دُ زُورَارَا /De Zurara أن المغاربة كانوا ينقلونها إلى بلدانهم وإلى قلعة أرگوين / Arguin إلى حدود منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، وأكد ڤالنتين فرنَانْدشْ / Valentin Fernandes صحة تلك الشهادة، وَأشار إلَى أن مصادرها تقع في المناطق الممتدة من كَزَاَمنسا بجنوب السنگال إلى غاية السِّيرَّاليون الحاليتين.

وقد حظيت الغالية - (الزبادة) - باهتمام التجار المغاربة بصفة خاصة في البلاد السودانية، واحتكروا تجارتها بشكل كبير خلال القرن التاسع عشر الميلادي، فذكر محمد بن عثمان الحشائشي أن عدداً من أعيان التجار الغدامسية وصلوا إلى بلدة غات الليبية سنة 1896، وقد قدموا من بلاد السودان - (الأوسط) - "وكانوا يقيمون بكَانُو - [بنيجريا] - منذ ثماني عشرة سنة، وصلوا أثناءها إلى مكانة طيبة جدا، وكان لأحدهم يدعى (ابن حمود) بكَانُو أربعون قطا من النوع المنتج للزباد، يملكها لحسابه الخاص وتنتج له يوميا كمية كبيرة من الزباد السوداني دون اعتبار ما كان يشتريه من الزباد من التجار الآخرين". ومن المحتمل أن تكون هذه الطريقة هي الأكثر انتشاراً عند التجار المغاربة المقيمين في البلاد السودانية، في إنتاج وجمع وتصدير الزباد إلى المغرب.

أبو عبيد الله البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، تح. تر، دوسلان، باريس، ميزونوف، 1965 ؛ داوود بن عمر الأنطاكي، *تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب*، المكتبة الثقافية، بيروت، جزءان ؛ عبد الرحمن السعدي، *تاريخ السودان*، تح. تر، هوداس وبنوة، أنجي، بريدن، 1898 ؛ محمد بن عثمان الحشائشي، *الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد التوارق*، تقديم وتعليق ومراجعة، محمد المرزوقي، الدار التونسية للنشر، 1988.

Gomes Eanes de Zurara, *Chronique de Guinée*, Mem. n° 60, Dakar, 1960 ; Valentin Fernandes, *Description de la Côte d'Afrique*, Paris, Larose, 1938 ; Raymond Mauny, *Tableau géographique de l'Ouest Africain au Moyen Age*, Mem. n° 61, Amesterdam, Swets et Zeitlonger N.V. 1967.

خالد أوشن

غَانم، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل هناك بعض أفرادها بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا Janem - Ganim - Ganem.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1213.

ابن **غَانم، محمد** قائد مشارك في معركة وادي المخازن بجانب السلطان المتوكل وقد فر يوم 4 غشت 1578 إلى أصيلا التي كانت آنذاك بيد البرتغال، ومنها التحق بعاصمة لشبونة حيث انضم إلى حاشية الأمير مولاي الشيخ بن السلطان المتوكل وظل بجانبه إلى أن اعتنق الأمير دين الكفر.

Archivo General de Simancas (España), Guerra antigua

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **غَانم، يحيى** بن علال القرشي العمري المالكي (تـ. 945 / 39 - 1538) ينسب إلى قبيلة بني مالك. إمام في العلم والعمل. من أجل تلامذة الشيخ التباع. وأخذ كذلك عن أحمد الحارثي عن الإمام الجزولي. وكانت له زاوية بموضع يقال له تيزغوين من بلاد أزغار (قريب من واد الردم، حيث كان الخلط يستقرون آنذاك). ودفن بوصية منه في فاس. وحضر السلطان أحمد الوطاسي لجنازته.

توفي سنة 945 / 1539.

ابن عسكر، *دوحة*، ص. 140 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج*، ص. 130 - 144 - 148 ؛ م. ع. الفاسي، *مرآة*، ص. 190 ؛ م. م. الفاسي، *ممتع*، ص. 55 - 109 ؛ ابن عيشون الشراط، *الروض العطر الأنفاس*، ص. 70 - 71 ؛ م. القادري، *التقاط الدرر*، ص. 68 ؛ أ. ابن يوسف الفهري الفاسي، *المنح الصفية*، ص. 13.

المصطفى البوعناني

غانية (بنو -) تنتمي أسرة بني غانية إلى قبيلة مسوفة، عاصرت دولتي المرابطين والموحدين، وتوارث أفرادها الولاية والحكم في الأندلس وجزر البليار وإفريقية. قادت مقاومة عنيفة ضد الدولة الموحدية على امتداد حوالي قرن من الزمان، إلى أن توفي آخر ثوارها : يحيى بن إسحاق 633 / 1235 / 1236.

ومسوفة التي ينتسب إليها بنو غانية، إحدى قبائل صنهاجة ؛ كانت مواطنها في شمال إفريقيا، وأمام ضغط القبائل الأمازيغية البترية، اتجهت إلى الغرب والجنوب عبر موجات بشرية، شأنها في ذلك شأن القبائل الصنهاجية الأخرى، لتستقر في الصحراء، بين المغرب والسودان الغربي، في مناطق قاحلة تقع بين سجلماسة في الشمال وأودغشت في الجنوب، وكانت بعض بطونها توغل شرقا حتى تصل تادمكة وكوكو، مما جعلها تبسط سيطرتها على الطريق الحيوي للتجارة العابرة للصحراء ؛ وظلت كذلك إلى زمن ابن بطوطة (القرن 8 / 14).

ساهمت مسوفة في الأحلاف الصنهاجية التي مهدت السبيل لقيام دولة المرابطين، وانخرطت في الدعوة التي قادها عبد الله بن ياسين، فوفدت على المغرب الأقصى ضمن القبائل الصنهاجية الأخرى، خاصة لمتونة وجدالة، استجابة للدعوة التي وجهها إليها أمراء المرابطين للهجرة إلى الشمال

والاستقرار إلى جانبهم حتى "أصبح للكثير منهم في دولة المرابطين حظ وجاه" (ابن خلدون).

كان علي بن يوسف أول من برز من أسرة بني غانية على المسرح السياسي المرابطي، فقد أهلته كفاءته ومكانته بين قومه، ليكون قريباً من الأمير يوسف بن تاشفين. وربما كان تقريب الأمير المرابطي له مما أثار غيرة بعض رجالات لمتونة، تطورت إلى خلاف، مما اضطره إلى النجاة بنفسه واللجوء إلى الصحراء موطنه القديم. غير أن يوسف بن تاشفين استرضاه بعد سنين وأعاده إلى مكانته السالفة، التي يرجح أنها منصب مهم في البلاط ؛ وزوجه امرأة من بيته تدعى "غانية"، ومنها استمدت تسمية الأسرة.

ويعد تعيين يحيى بن علي بن يوسف من قبل الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين، حاكما للأندلس سنة 520 / 1126، أول بروز سياسي فعلي لأسرة بني غانية. فقد ظهر محمد بن علي بن يوسف، الذي عهد إليه أخوه يحيى بحكم جزر البليار، عقب اندلاع ثورة هناك في السنة ذاتها.

وهكذا كان بروز كل من يحيى ومحمد ابنا علي بن يوسف بمثابة تأسيس لأسرة حاكمة، تحت حكم المرابطين، ومستقلة بعد انهيارهم، في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

خاض بنو غانية الصراع ضد المتمردين على الدولة المرابطين في السنوات الأخيرة من عمرها، حيث شهدوا انفصال معظم المدن الأندلسية عن المرابطين، وحاولوا الوقوف في وجه التدخل المسيحي الإسباني من الشمال، والموحدي من الجنوب. وعرف نفوذ بني غانية بعض التراجع بسبب عجز يحيى بن علي عن منع تطور الأحداث في الأندلس لصالح الموحدين، وتوفي في خضم ذلك في غرناطة، في شعبان 543 / دجنبر 1148.

وفي البليار، كان إعلان سقوط دولة المرابطين يعني استقلال الجزر استقلالا نهائيا تحت حكم محمد بن غانية، الذي انصرف إلى العناية بشؤونها ؛ وآوى فلول المطاردين في الأندلس، من أتباع المرابطين، وربط علاقات ودية وتجارية مع المدن الإيطالية (بيزا وجنوة)، إلى أن قاد ابنه إسحاق انقلابا ضده، رداً على إعلانه ابنه الأكبر عبد الله ولياً للعهد.

وهكذا أصبح إسحاق بن محمد حاكماً للبليار منذ سنة 550 / 1155، يدير أمورها بمعزل عن الصراعات التي شهدتها الأندلس بين الموحدين والثوار الأندلسيين والإسبان، مما أتاح له القيام بتحصينها وضبط شؤونها، بمساعدة أولئك الذين فضلوا الحفاظ على ولائهم للمرابطين، وبفضل هؤلاء أيضاً قاد حملات عسكرية في البلاد المسيحية. ووعيا منه بأن استقرار جزر البليار رهين بانشغال الموحدين بأحداث الأندلس، وبأن خضوع الأندلس للسيطرة الموحدية، يعني تفكير الخلفاء في التوجه إلى الجزر غير البعيدة منها، قام بمهادنة الخليفة يوسف ابن عبد المؤمن عبر إرسال الهدايا والأسرى المسيحيين، لكسب مودته.

وحدث ما توقعه بن محمد من تطلع الموحدين إلى جزر البليار، ففي سنة 578 / 1182 / 1183 دعا الخليفة الموحدي يوسف، زعيم بني غانية إلى الدخول في طاعته والدعاء له على المنابر. وأحدثت هذه الدعوة انشقاقا في صفوف بني غانية، وانقسموا بين راغبين في الاستجابة لها وبين آخرين فضلوا الاستقلال وقيادة المقاومة ضدها. وأمام تردد إسحاق في اتخاذ القرار المناسب، فكر في إشغال أتباعه بالحرب ضد المسيحيين، فكانت تلك آخر حملة في هذا الاتجاه، حيث قتل فيها سنة 579 / 1183.

غير أن تأجيل الرد على الدعوة الموحدية الموحدية لم يعد مقبولا لدى خلفه محمد بن إسحاق، الذي وجد نفسه أمام خيارين : الاستجابة وما قد تثيره من حرب أهلية بين أنصاره، أو الرفض وتبعاته، إذ لن يكف آنذاك الموحدون أيديهم عن إمارته.

أظهر محمد بن إسحاق ميله إلى الخضوع للموحدين، فأعلن طاعته لهم. وسارع الخليفة الموحدي إلى إيفاد أحد قادته، و علي بن الربرتير، إلى جزر البليار للوقوف على جدية قرار بني غانية والاطمئنان إلى صدقه. وكان ذلك إيذانا بإشعال نار الفتنة في ميورقة، حيث دبر في السر انقلاب ضد محمد بن إسحاق، تزعمه إخوته، وعلي رأسهم علي، فقاموا بسجنه ومبعوث الخليفة، واستولوا على السفن التي حملته من سبتة. وجرت هذه الأحداث فيما بين محرم وربيع الثاني من سنة 580 / أبريل - يونيوز 1184.

اعتقد علي بن إسحاق وقد تولى زعامة بني غانية، أن بإمكانه الوقوف في وجه الموحدين، شرط أن يكون ذلك خارج جزر البليار، وبالضبط في إفريقية، مستغلا ظروفهم هناك. ومن هنا جاء تفكيره في غزو ممتلكات الخلافة الموحدية في المغرب.

واتخذت مقاومة بن غانية للموحدين في بلاد المغرب أبعاداً خطيرة، وذلك بنجاحها في عقد تحالفات مع الأتراك الأغزاز ومع عرب بني هلال، وفي الحصول على دعم بربر الإمارات السياسية السابقة كبني حماد، واستقطاب مجموعات بربرية مازالت على ولائها للمرابطين.

وهكذا تمكن علي بن إسحاق من تحقيق انتصارات سريعة في المغرب الأوسط،لكنها سرعان ما تحولت إلى انتكاسات بمجرد تحرك القوات الموحدية، براً وبحراً، في المنطقة ؛ ليضطر بنو غانية إلى التوجه إلى إفريقية، خاصة في الجنوب، في قفصة وتوزر... مما استدعى تدخل الخلافة الموحدية من جديد.

وتوالت جولات المواجهات بين بني غانية والموحدين في إفريقية، أسفرت إحداها عن هزيمة موحدية (موقعة عمرة 583 / 1187)، ثم هزيمة بني غانية (موقعة الحمة في السنة ذاتها)، ليتوالى سقوط مدن وقواعد إفريقية في يد الموحدين، مثل قابس وقفصة وتوزر ونفطة وتقيوس ...

وفي الوقت الذي كان فيه علي بن إسحاق يعمل على تجميع قواته لمواجهة الموحدين واستعادة ممتلكاته في إفريقية،

فاجأه الموت سنة 584 / 1188 / 1189، ليخلفه في زعامة بني غانية أخوه يحيى بن إسحاق.

وهددت حركة بني غانية بقيادة يحيى بن إسحاق، مرة أخرى الوجود الموحدي في إفريقية، فقد قاد هذا الزعيم انطلاقا من الصحراء حملات عسكرية، تمكنت من إخضاع طرابلس، مؤقتا، ثم قابس والمهدية، مما مهد السبيل أمامه لاكتساح مدن باجة وقسنطينة وبسكرة وبونة، ولم يبق أمامه سوى مدينة تونس مركز الوالي الموحدي.

وتفسر انتصارات يحيى ابن غانية تلك بقوة حركته وانبعاثها من جديد، كما تفسر بظروف الخلافة الموحدية التي كانت تعرف تدهوراً كبيراً، بفعل ثورات داخلية كثورة عبد الرحيم الجزولي في سوس، وبفعل انشغالها بفصل قاعدة بني غانية الأولى، وهي جزر البليار، عنهم، وهو ما تم فعلا، لتسقط الجزر نهائياً في يد الموحدين، ولم تعد للملثمين أية سيطرة عليها.

وتوجه يحيى بن إسحاق، من المهدية إلى تونس آخر معقل للموحدين بإفريقية، سنة 599 / 1203، فحاصرها في جيش كثيف لمدة أربعة أشهر، وحين لم تصلها الإمدادات، أعلنت استسلامها في 7 ربيع الثاني 600 / 14 دجنبر 1203، فدخلها ابن غانية ونكل بأهلها.

ولم تكن الانتصارات العسكرية التي حققها يحيى ابن غانية كفيلة بضمان استقرار الوضع لصالحه في المناطق التي خضعت له، خاصة وأن السياسة التي سلكها في تدبير شؤونها كانت تقوم على الشدة وقوة السلاح وقسوة المغارم. مما ولد شعوراً بالتذمر الشديد، تطور إلى إعلان عدة جهات التمرد عليه، مثل جبل نفوسة بعمل طرابلس، وطرة بإقليم نفزاوة والحمة وقابس. ووجدت الخلافة الموحدية نفسها مضطرة إلى القيام يحملة عسكرية حشدت لها جيشاً كبيراً وأسطولاً بحرياً، سيرهما الناصر الموحدي باتجاه بجاية وتونس. وحمل هذا التحرك إشعاراً لبني غانية بعزم الموحدين على استئصال حركتهم.

وهكذا قرر يحيى إخلاء تونس والتراجع إلى القيروان ومنها إلى قفصة التي دخلها الموحدون، ومنها إلى قابس حيث عقدوا العزم على مطاردته مهما كلفهم ذلك من ثمن. والتقى الطرفان في معركة تاجرا، قرب قابس، سنة 602 / 1205، أسفرت عن هزيمة زعيم بني غانية، أمام الشيخ عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي قائد الموحدين، وفراره في جماعة قليلة من أتباعه، في وقت كان فيه الناصر الموحدي محاصراً للمهدية، التي استسلمت له بعد مقاومة عنيدة، في جمادى الأولى 602 / 1205. ثم عاد الناصر إلى مراكش، بعد أن عين الشيخ عبد الواحد والياً على إفريقية.

لم يكن نصر تاجرا انتصاراً مبرما على ثورة بني غانية، وإن كان قد أعلن العد العكسي لنهايتها. فقد توغل يحيى ابن غانية في الصحراء وظل هناك يترقب الفرصة السانحة. وأمام ظهوره من جديد، بادر الوالي الموحدي عبد الواحد بن أبي حفص سنة 604 / 1207 إلى التصدي له، وأرغمه على التراجع مرة أخرى، والبحث عن مناطق ضعف في الامبراطورية الموحدية غير إفريقية ؛ وهو ما تحقق له في تلمسان حيث نجح في استقطاب قبيلة زناتة المناوئة للموحدين، التي آوته وبفضل دعمها تمكن من هزم الوالي الموحدي، خارج المدينة. وفضل يحيى عدم دخول تلمسان لامتناع أهلها عن دعمه، فاستولى على تاهرت مؤجلا تلمسان إلى فرصة أخرى.

وتحركت الخلافة الموحدية من جديد، بعد أن تيقنت أن حملة الناصر لم تكن كافية للقضاء نهائيا على بني غانية، فقرر يحيى التراجع مرة أخرى خوفاً من تضييق الموحدين الخناق عليه شرقاً (الهنتاتي) وغرباً (أبو زيد بن يوجان والي تلمسان). لكن الشيخ عبد الواحد الهنتاتي اعترض طريقه فهزمه، وجعله يلجأ إلى جبال طرابلس، بل ويواصل مطاردته في عقر داره جبال نفوسة، وهو ما تم له سنة 606 / 1209 / 1210، مما أسفر عن هزيمة منكرة لحقت يحيى ابن غانية وأتباعه.

استغل ابن غانية وفاة عبد الواحد الحفصي، والي إفريقية، في غرة المحرم 618 / 1221 ليعاود الظهور من جديد من معاقله الصحراوية، منتهزاً ما رافق ذلك من اضطراب الوضع في إفريقيه. فقاد جولات من الصراع ضد الوالي الموحدي الجديد (أبو العلاء إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن)، امتدت من طرابلس إلى بسكرة وتونس ورالقيروان. وبدا أن بني غانية عادوا لاكتساح إفريقية من جديد، فانتشر الهلع بين أهلها، غير أن هزيمة أخرى ليحيى ابن غانية قرب قرية مجدول، بين قفصة والقيروان أرغمته على التراجع من جديد إلى الصحراء.

وظهر يحيى ابن غانية في مناطق بجاية وبعض سواحل المغرب الأوسط، التي استطاع اكتساحها، غير أن تصدي والي إفريقية الجديد عبد الله بن عبو بن عبد الواحد الهنتاتي له، دفعه إلى الاتجاه صوب سجلماسة، مما أعجز الموحدين عن مطاردته، لكن إلى حين.

وتولى أبو زكريا الحفصي أخذ زمام المبادرة، فلم ينتظر ظهور يحيى بن إسحاق بل سارع إلى ملاحقته وأنصاره من عرب بني هلال وبني سليم وغيرهم، في المنطقة الواقعة بين طرابلس وورقلة.

وأمام شدة وطأة هذه المطاردة، لم يبق مع يحيى ابن غانية في أواخر أيامه سوى قلة قليلة من أتباعه المخلصين، فقد تخلى عنه إخوانه وأقرباؤه، وقتل ابناه في إحدى المواجهات ؛ ومع ذلك لم يفكر في الاستسلام، إلى أن توفي على ضفاف الشلف، غير بعيد عن مليانة، سنة 633 / 1235 / 1236، ودفن هناك، مخلفا وراءه ثلاث بنات، استأمنهم لدى خصمه الأمير أبي زكريا الحفصي، فحظين بمعاملة طيبة، وجعلت إقامتهن في قصر خاص بمدينة تونس، عرف بقصر البنات. وبذلك أسدل الستار على حركة بني غانية، وانقطعت أخبارهم.

شجرة نسب بني غانية

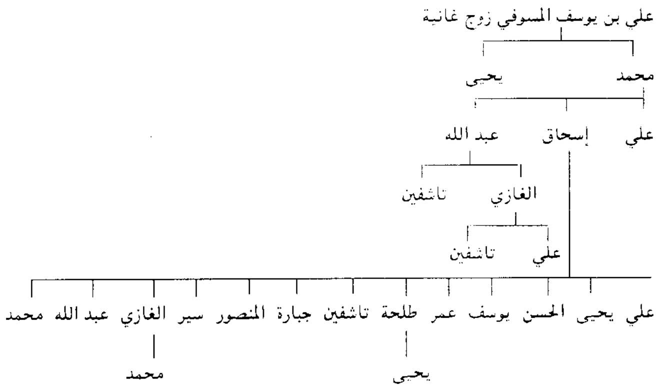

ابن **غانية، علي** بن **إسحاق** : ينتمي علي بن إسحاق إلى أسرة بني غانية الصنهاجية الشهيرة، التي قادت مقاومة عنيفة ضد الموحدين. فهو علي بن إسحاق بن محمد بن علي بن يوسف المسوفي، الملقب بالميورقي. تولى زعامة ثورة بني غانية في جزر البليار في ظروف مضطربة، فانتقل منها إلى المغرب الأوسط وإفريقية، حيث وجه من هناك ضربات موجعة للسلطة الموحدية، فتت في عضدها. وصفته المدونات التاريخية بالجرأة والبسالة والحكمة والحزم.

لم تسجل المصادر معلومات تهم حياة علي بن إسحاق قبل توليه قيادة حركة بني غانية في ميورقة سنة 580 / 1184 ؛ ففي هذه السنة حدث انقلاب في جزر البليار ضد زعيم الحركة محمد بن إسحاق، الذي اتخذ قرار إعلان ولائه للموحدين دون استشارة بقية إخوته، الذين نقموا عليه انفراده بالرأي، فقرروا التخلص منه، ورموه في السجن وعينوا مكانه أخاه علي. ويرجح وقوع هذه الأحداث بين تاريخ توجه الخليفة الموحدي يوسف إلى الأندلس في محرم 580 / أبريل ـ ماي 1184، وبين وفاته يوم السبت 12 ربيع الثاني 580 / 23 يوليوز 1184.

كان أول عمل أقدم عليه علي بن إسحاق وقد تولى زعامة الحركة، هو اعتقال علي بن الربرتير موفد الخليفة الموحدي وإيداعه السجن، ليتفرغ لتنظيم الدفاع عن جزر البليار، مستشعراً خطورة خطوته ومستغلاً انشغال الموحدين بشؤون الأندلس.

رغم الإمكانيات المادية والبشرية التي وفرتها جزر البليار لبني غانية، فقد ارتأى زعيمهم الانتقال منها إلى بلاد المغرب، لأنها توفر مجالاً شاسعاً للمقاومة والمناورة في انتظار المواجهة الحاسمة، كما أن مواجهة الخصم في عقر داره يحمل دلالة نفسية قوية، سواء بالنسبة لأتباعه أو لخصومه.

وتنم خطوة الانتقال عن جزر البليار إلى المغرب عن حس سياسي كبير، فقد عول علي بن إسحاق على دعم مجموعة من القوى، على رأسها عرب بني هلال وبربر الإمارات السابقة كإمارة بني حماد، بالإضافة إلى عدم جهله ببقاء مجموعات بربرية على ولائها للمرابطين. كما أنه بإعلانه الحرب على الموحدين سيجبرهم على استدعاء قسم كبير من قواتهم من الأندلس، فيصرف بالتالي نظرهم عن ضرب جزر البليار، قاعدته الخلفية.

كانت إفريقية تعيش اضطرابا سياسياً كبيراً في خلافة أبي يوسف يعقوب المنصور، إذ لم يكن الوضع قد استقر فيها لصالحه بعد، نتيجة بقائها في الظل أمام انشغال الموحدين بالأندلس والمغرب الأقصى (ثورة غمارة)، وبعدها عن مركز الخلافة في مراكش. وتعزز هذا الوضع بظهور الزعيم الأرمني قراقوش، أحد رجال صلاح الدين الأيوبي، على رأس مجموعات تركية مصرية، ابتداء من سنة 568 / 1173، جعلت هدفها الاستقرار في إفريقية، وتأسيس إمارة بها. وهو ما تحقق لها بدعم من العرب هناك.

عجل خبر موت الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف ببداية تنفيذ علي بن إسحاق لمشاريعه، فقد استغل انشغال الخليفة الموحدي الجديد بتوطيد سلطته، ليقوم بإسناد حكم البليار لأخيه طلحة، وليجهز أسطولا، قاده بنفسه صحبة بعض إخوانه كيحيى وعبد الله والغازي وجبارة. وكان الأسطول يتكون من 32 سفينة ومائتي فارس وأربعة آلاف من الرجالة، ساعدته رياح مواتية على مغادرة ميورقة والتوجه عرضا في البحر إلى الشرق. وبعد مرور عدة أيام وصل الأسطول إلى بجاية، واستولى عليها في 6 شعبان 580 / 12 نونبر 1184.

انضم العرب الهلاليون إلى زعيم بني غانية، خاصة منهم الأثبج وجشم ورياح ـ في حين ظلت زغبة وفية للموحدين ـ مما شجعه على تنظيم استقراره بمدينة بجاية والمنطقة المجاورة لها، فعين أخاه يحيى حاكما للمدينة، وعين الفقيه عبد الحق ابن الرحمان الأزدي خطيباً بالجامع الكبير. وعمل على كسب ود القبائل عبر توزيع الغنائم على أفرادها، ثم فتوحات جديدة خارج المدينة باتجاه الغرب، فتمكن من الاستيلاء على مدينة الجزائر، وولى عليها ابن أخيه يحيى بن طلحة، ثم واصل زحفه غربا، لتسقط كل من مدينتي موزية ومليانة في قبضته.

وكانت مدينة مليانة الحد الذي لم يتجاوزه علي بن إسحاق في فتوحه الغربية، باعتبار أن هذه المنطقة تعد مجال ولاء قوي للموحدين، وهو ما تؤكده برودة استقباله في مليانة نفسها، وباعتبار سماعه بخبر انتقال الخليفة يعقوب المنصور من الأندلس إلى المغرب.

عاد علي بن إسحاق إلى الجبهة الشرقية عبر قلعة بني حماد، التي اقتحمها بعد حصار دام ثلاثة أيام ؛ وبدعم من العرب وصل إلى أسوار قسنطينة الحصينة، التي استعصت عليه.

وأغرت هذه الانتصارات السريعة ابن غانية ودفعته إلى مواصلة زحفه، دون أن يلتفت إلى أن حلفائه من العرب وغيرهم لم يكونوا مستعدين للصمود معه في أول نكسة يتعرض لها، وهذا ما حدث فعلا.

عاد الخليفة يعقوب المنصور من الأندلس بعد أن اطمأن إلى استقرار الوضع نسبيا هناك، ليتفرغ لحركة بني غانية التي تهدد دولته. فقام بإعداد حملة عسكرية برية وبحرية، ضمن 20 ألف رجل، واتجهت شرقاً. وكانت أخبار هذه الحملة كافية لبداية تصدع صفوف بني غانية. فقد نزع أهل مليانة ولاءهم لعلي بن إسحاق، وعادوا إلى الطاعة الموحدية، مما اضطر حاكمها إلى الانسحاب منها ليلا، وهو ما عرضه للملاحقة التي انتهت بمقتله. وما حدث في مليانة تكرر في الجزائر، فقد قام أهلها بأسر حاكمها واستقبال الأسطول الموحدي بحفاوة وقدموا إليه الأسرى عنوانا لولائهم. ثم جاء دور مزية التي فتح أهلها أبوابها للموحدين.

أثرت هذه الأحداث في القبائل المناوئة للموحدين، ودفعتها إلى التخلي تباعا عن بني غانية، مما عجل بسقوط بجاية نفسها، التي انسحب منها يحيى وعبد الله ليلتحقا بأخيهما علي المحاصر لمدينة قسنطينة، وذلك أمام تقدم القوات الموحدية براً وبحراً. وهكذا سقطت بجاية بدورها في يد الموحدين في صفر 581 / ماي 1185 بعد أن ظلت سبعة أشهر بيد بني غانية.

وكان إقدام الأسطول الموحدي على مهاجمة مدينة بجاية خطأ كبيراً، عندما لم ينتظر وصول القوات البرية، مما وفّر لبني غانية فرصة تجميع صفوفهم ورفع الحصار عن قسنطينة واللجوء إلى الصحراء؛ حيث لم تتمكن القوات الموحدية من اللحاق بهم.

واخترق علي بن إسحاق الأطلس الصحراوي عبر بعض الواحات ليصل إلى بلاد الجريد، وهناك بدعم من عرب جشم ورياح قام بفرض الحصار على توزر، التي استسلمت له بعد مقاومة عنيفة، سنة 582 / 1186، فصادر أملاك أهلها وباع سبيها في الأسواق. ومن توزر قصد ابن غانية قفصة التي فتحت له أبوابها دون مقاومة، ومنها إلى طرابلس التي عقد بها حلفا مع قراقوش وأنصاره الغز وعرب رياح.

ولم يهمل علي بن إسحاق جزر البليار، فأمام تطور الأوضاع بها لغير صالحه، منذ تدبير مبعوث الخلافة الموحدية علي بن الربرتير السجين انقلابا ضد الأمير طلحة ونجاحه في إرجاع محمد بن إسحاق إلى مكانه حاكما للجزر، وإعلانه ولاءه للموحدين سنة 581 / 1185؛ أوكل علي بن إسحاق إلى أخيه عبد الله مهمة استعادة الجزر، وهو ما تم له في ظروف غامضة.

واستشعرت الخلافة الموحدية خطورة الموقف فوجهت أسطولها المرابط في بجاية إلى الجزائر الشرقية، وفرضت الحصار عليها. غير أن رد فعل علي ابن غانية كان سريعا، فقد أوفد، مطمئناً إلى تحالفه مع قراقوش، أسطوله بقيادة أخويه عبد الله والغازي، اللذين وصلا إلى ميورقة وتمكنا بمساعدة أهلها من فك الحصار الموحدي عنها، في نهاية سنة 582 أو بداية 583 / 1187.

وأمام استفحال سيطرة بني غانية والعرب على جل جهات إفريقية عدا المهدية وتونس، قام الوالي الموحدي عبد الواحد الهنتاتي بمراسلة الخليفة الموحدي مستنهضا إياه لإنقاذ البلاد، خاصة وأن زعيم بن غانية علي بن إسحاق أصبح يتصرف في المناطق الخاضعة له باعتباره الأمير الشرعي للدولة المرابطية، فقد اعترف بولائه للخليفة العباسي الناصر بن المستضيء بالله، وراسله أملا في الحصول على دعمه، بل قام بإيفاد ابنه على رأس وفد إلى بغداد إلحاحا منه في طلب العون.

واستجاب الخليفة العباسي، فعقد لابن غانية على سائر ما تحت يده من أقطار وأمصار، ثم أصدر أمره إلى حاكم سوريا ومصر صلاح الدين الأيوبي بدعم ابن غانية، وهو ما حصل عليه علي بن إسحاق من قراقوش، الذي سارع إلى التحالف معه ضد الموحدين.

ودفعت هذه التطورات المتلاحقة الخليفة الموحدي يعقوب المنصور إلى تجهيز حملة عسكرية، بلغ تعداد أفرادها 20 ألف فارس. وفي بداية سنة 583 / 1187 غادر الخليفة العاصمة مراكش باتجاه إفريقية. واستعد علي بن إسحاق للمواجهة الحاسمة، بتجميع قواته في بلاد الجريد في الجنوب، حتى يكون قريبا من الصحراء، في حال انكساره. واستقر المنصور الموحدي بمدينة تونس، ومنها بعث بحملة تتكون من 6 آلاف فارس، دخلت في مواجهة مع بني غانية، في سهل عمرة، قرب قفصة، في 15 ربيع الأول 583 / 25 ماي 1185، أسفرت عن هزيمة الموحدين وفقدانهم أعداداً كبيرة من الجند، ولجوء الباقين إلى قفصة، حيث أمنهم ابن غانية ثم قتلهم.

وقرر الخليفة الموحدي المقيم في تونس القيام بنفسه وقيادة الحملة، وهو ما أحدث اضطرابا في صفوف بني غانية، اضطر علي بن إسحاق إلى الانسحاب إلى موقع حصين قرب قرية الحمة، بين قابس ونفطة، خاصة بعد انكسار العرب أمام الزحف الموحدي. وهناك التقى الطرفان في 9 شعبان 583 / 14 أكتوبر 1187، في معركة عنيفة، خلفت العديد من القتلى من بني غانية وأتباعهم العرب؛ ليترك علي بن إسحاق إفريقية ويقصد الصحراء، وليتوالى سقوط مدن وقواعد إفريقية بيد الموحدين؛ مثل توزر وقابس وقفصة وتقيوس والحمة ونفطة ...

وأغرت هذه الانتصارات الخليفة الموحدي، فترك مطاردة بني غانية وقرر العودة إلى الأقصى معتقداً أن إفريقية أصبحت آمنة. غير أن علي بن إسحاق ظهر صحبة قراقوش من جديد في جنوب إفريقية، وقام بتجميع قواته وترميم صفوفها؛ لكن الموت فاجأه في وقت كان يستعد فيه لبداية جولة جديدة من الصراع ضد الموحدين.

ويكتنف الغموض تاريخ وفاة علي بن إسحاق ابن غانية وظروفها، إذ يتراوح ذلك بين روايتين: الأولى لعبد الواحد المراكشي التي تشير إلى وفاته متأثراً بجراحه في معركة الحمة، في خيمة عجوز أعرابية؛ والثانية لابن خلدون التي ترجعها إلى صابته بجراح في معركة ضد نفزاوة سنة 584 / 1188 / 1189. ثم إن روايات أخرى تذهب إلى أنه كان

حيا سنة 591 / 1195. ويشمل الغموض قبره أيضا، فهو موجود لدى نفزاوة، وفي روايات أخرى تم حمل جثته إلى ميورقة، ودفن بها. ومرد هذا الغموض هو تعرض المعلومات المكتوبة والأثرية إلى الإتلاف، أو انعدامها أساساً.

ولم تكن وفاة علي بن إسحاق لتنهي مقاومة بني غانية، فقد تسلم قيادتها خلفه يحيى بن إسحاق.

ابن **غانية، محمد** بن **علي** (ت. 550 / 1155) ينتمي محمد بن علي إلى أسرة بني غانية المسوفية الصنهاجية، التي اضطلع بعض أفرادها بدور فاعل في تاريخ الأندلس قادة للجيوش وولاة على بعض الجهات، واستمر هذا الدور بعد زوال الدولة المرابطية، في جزر البليار وإفريقية. وغانية، التي انتسب إليها هؤلاء - ومن ضمنهم محمد بن علي - هي قريبة يوسف بن تاشفين وزوجها يوسف كان أحد زعماء قبيلة مسوفة الصنهاجية.

تلقى محمد بن علي بن غانية تربيته الأولى في بلاط مدينة مراكش المرابطية، وأصبح موضع ثقة الأمير علي بن يوسف بن تاشفين، الذي أرسله إلى الأندلس، صحبة أخيه يحيى الوالي على بلنسية وقرطبة. وعهد إليه أخوه هذا بولاية بعض أعمال قرطبة التابعة له. وتذهب بعض المصادر إلى القول إن الأمير المرابطي عينه والياً على الجزائر الشرقية سنة 520 / 1126، عند قيام ثورة أهلها ضد الوالي وانور بن أبي بكر، وإن كنا نجهل الكثير عن السنوات الأولى من حكمه للجزر.

وتلقي ظروف المرحلة الانتقالية بين المرابطين والموحدين في الأندلس بظلالها على ولاية محمد بن غانية على جزر البليار، وإن كانت هذه الولاية سجلت فاتحة عهد جديد في تاريخها. فقد عمل على ضبط شؤونها بحزم كبير، جعل حكمه لها يمتد زمناً طويلاً إلى ما بعد وفاة الأمير المرابطي علي بن يوسف سنة 537 / 1143. بل إنه نجح في توطيد نفوذه بجزر البليار بمعزل عن تطور أحداث الدولة الموحدية، فقد حافظ على ولائه للمرابطين، واستمر في الدعوة لهم على المنابر إلى جانب خلفاء بني العباس.

وهكذا غدت جزر البليار تحت حكم محمد بن علي بن غانية ملاذا لفلول المرابطين، من أمثال ابن هلال والي لاردة. وشجع استقرار الأوضاع في الجزر أميرها على التحكم في شؤونها، فعهد إلى ابنه الأكبر عبد الله بولاية عهده.

وتختلف الروايات التاريخية بشأن مصير محمد ابن غانية بين قائلة بوفاته وتولية ابنه عبد الله بعده، وأخرى تقول بقيادة ابنه إسحاق انقلابا ضده وضد ولي عهده، انتهى بمقتلهما، وبتوليته أمور الجزائر الشرقية سنة 550 / 1155.

وقد حقق حكم محمد ابن غانية للجزائر الشرقية نوعاً من الاستقرار بفضل حنكته الإدارية والدبلوماسية، فقد ضبط شؤونها بمساعدة مجلس يسهر معه على تدبير أمورها. كما حافظ على علاقات طيبة بأخيه يحيى في الأندلس، وهو ما يعبر عنه مغادرته جزره سنة 538 / 1143 - 1144 نحو الأندلس مهنئا أخاه بمناسبة تعيينه قائداً عاماً لها. كما نجح في ربط ولايته بعلاقات ودية وتجارية مع المدن الإيطالية، خاصة بيزا وجنوة، منذ سنتي 544 - 545 / 1147 - 1150.

مجهول، *الاستبصار في عجائب الأمصار*، 1985 ؛ ع. الواحد المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، 1978 ؛ ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 10 : 1995 ؛ ابن أبي زرع الفاسي، *الأنيس المطرب بروض القرطاس*، 1973 ؛ ع. الله بن محمد التجاني، *رحلة التجاني*، 1981 ؛ ع. الرحمن ابن خلدون، *كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر*، 6 : 1992 ؛ م. عبد الله عنان، *عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس*، 2 : 1964 ؛ م. العروسي المطوي، *السلطنة الحفصية*، 1986.

Alfred Bel, *Les Benou Ghânya*, 1903.

عبد الإله بلمليح

غَجُّو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل اسم Gallo نسبة إلى المدينة الإسبانية التي تحمل نفس الاسم.

غجو، محمد بن أحمد، كان يعتبر أمهر مدفعي بحامية تطوان سنة 1246 (1831).

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1217.

محمد ابن عزوز حكيم

غدات (واد وحوض -) مجرى مائي بالسفوح الشمالية للأطلس الكبير الغربي، ينبع عند حدوده الشرقية بمنطقة فج تيزي ن تيشكا، يعتبر من أهم روافد نهر تانسيفت، ويقال إن التسمية معربة ومشتقة من كلمة أمازيغية : تاغدوت التي تعني جذع شجرة، وقد اشتهر سرير الواد بأشجار الصفصاف. تبلغ مساحة حوضه الجبلي 537 كلم^2 وطول مجراه الجبلي 50 كلم والسهلي بشرق الحوز 24 كلم. يبلغ معدل ارتفاع مجراه الجبلي 1825 متر ودرجة انحداره 15 درجة.

تبدأ منابع روافده من سفوح سلسلة أعراف أنرار أوزليم وأدرار تيغشت 3578م، تكون حاجزاً صخرياً بين الواجهة الأطلنتيكية الشمالية الغربية والواجهة الصحراوية الجنوبية الشرقية، تتجاوز بعض قممها 3500 م، يقطعها اثنان من أهم فجاج الأطلس الكبير هما : تيزي ن تلوات 2415 م الممر التاريخي نحو تافيلالت ودرعة، وتيزي ن تيشكا الممر الجديد الذي تعبره الطريق الوطنية رقم 9 بين مراكش وورزازات علوه 2200 م.

تتكون هذه الجبال المركزية من شيست قديم يرجع إلى الزمن الجيولوجي الأول توضع خلال نظامي الفحمي والكامبرو أوردوفيسي، تتوزع حول نوايا گرانيتية وصخور صهيرية اندفاعية : الريوليت، ترجع إلى ما قبل الكامبري.

ساهم اندفاعها خلال الانتهاض الهرسيني على رفع وتحويل الشيست إلى شيست متبلور، وإعادة تشكيل الكتل الكبرى بفعل ما تخللها من الفوالق والانزلاقات. ويبدو أن الأغطية الرسوبية للأزمنة اللاحقة، أزيلت بفعل عوامل التعرية القوية هنا. يلي هذه القمم نحو السافلة مجالات ترجع إلى الزمن ج ا، توضعت بها مواد البيرموترياس : حث وطين وهي مواد هشة، شكل فيها واد غدات وروافده مجراه الرئيسي، كانت تشكل الغطاء الرسوبي لما بعد الفترة الهرسينية تغطي القاعدة القديمة، تعرض خلال الحقبة البيرينية والألبية إلى حركات لي قوية، كونت به مقعرات واسعة تنفصل عن بعضها بمحدبات ضيقة وتدفقات بركانية قديمة مازالت تتمثل في سطوح من اللافا فوق بعض القمم. ونجد بسافلة الحوض مقعرات وأحواضاً أكثر اتساعا خاصة بصخور البيموترياس وسلاسل من الطبقات الكريتاسية. يتعاقب فيها الكلس والصلصال والحث وقليل من الرصيص، تكون كتلا وأعرافا يخترقها الواد مكونا أحواضا صغيرة وخوانق ضيقة متوالية تشرف عليها أجراف يبلغ علو بعضها مئات الأمتار. وتتراوح الارتفاعات في الجبال المتوسطة 1500 ـ 2000 م. وأهم ما يميز هذا الحوض الجبلي أنه ظل محافظاً على بنيته الأصلية رغم معاودة نشاط التعرية بقوة خلال الحركات التكتونية التي خلفت التواءات وانكسارات وانزلاق أغطية رسوبية ترجع إلى الزمن ج 2. فهو نهر سالف كجل وديان الأطلس الغربي، بالمقارنة مع أهم الحوادث الأطلسية. وتسمح المدرجات والسطوح الغرينية النهرية بتتبع أهم مراحل الحفر والترسيب التي عرفها الحوض خاصة بسافلته. وبعدها يعبر الوادي منطقة الدير التي تتكون من مجموعة تلال مقدمة الأطلس : 900 إلى 1200 م، وينتهي الواد بعبور آخر ثغرة له بمخرجه إلى السهل عند مركز سيدي رحال مكوناً مروحة مخروط غير منتظمة تتميز بقطاع مستعرض مقبب، ينحرف الواد عن محورها نحو شمالها الغربي ليصل إلى مستوى قاعدته : تانسيفت، كما تتلاصق مع مروحة واد لاغ ومروحة واد تازارت.

المناخ : تتميز المنطقة بتباينات مناخية ومطرية كبيرة من فصل لآخر ومن سنة لأخرى، خاصة في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، حيث صارت السنوات الجافة أكثر من المطرة. يسود حوض غدات مناخ متوسطي يخضع لمؤثرات أطلنتيكية تميل إلى القارية، وصحراوية أحياناً، تتبدد تساقطاتها من سنة لأخرى. ويصنف هذا المناخ في إطار شبه الجاف ودون الرطب، تتزايد مقادير الأمطار من منطقة الدير بسافلة الواد حيث سجل في محطة سيدي رحال على علو 700 متر : 340 ملم / سنة وذلك في الفترة 1975 ـ 1996. لكن معدل الأمطار يزيد في الجبال الوسطى، ذلك أن الكتل الهوائية الرطبة التي تأتي من الشمال الغربي تصعد مع الوادي إلى أن تصطدم مع جبهة عالية تتكون من جبل إيفروان وجبل گدروز، فتتوقف جل السحب مما يكون فضاءاً مضبباً طيلة أسابيع عديدة من أشهر الشتاء، وهنا يقع المركز الغابوي الاصطيافي لتوفليحت على علو 1450م حيث يسجل أكبر معدل مطري بالأطلس الكبير الغربي 884 ملم خلال الخمسينيات والستينيات لكنه انخفض في الفترة 1978 ـ 1994 إلى 676 ملم (سجل به في السنة الفلاحية 94 ـ 95 : 426 ملم وفي السنة الموالية 95 ـ 96 : 1218 ملم). يبدأ تساقط الثلوج بعد علو 1400 ـ 2000م حسب السنوات إن كانت رطبة أو جافة، لكن بعد 2500م تكون جل التساقطات من الثلج التي تدوم طيلة أشهر الشتاء، مما جعل جل المجال الجبلي العالي خالياً من الغابات. يتميز شتاء حوض غدات بقساوته، إذ تنخفض حرارة الأحواض الداخلية والقمم العائلية إلى ما دون الصفر خاصة في شهري دجنبر ويناير. وتزداد البرودة مع الارتفاع حيث تبقى الثلوج طيلة الشتاء، وكثيراً ما أغلقت فج تيشكا خلال الستينيات والسبعينيات. أما الصيف فيعرف اعتدالاً نسبياً عندما تسود رياح "أزاغار". لكن عندما تهب عليه الرياح الشرقية الجنوبية ترتفع حرارة أحواضه إلى ما فوق 40 درجة أحيانا، وقد تتسبب في عواصف رعدية عنيفة لتصادم كتل هوائية متناقضة وتخلف كوارث كما حدث في صيف 1995.

التربة : تسود القمم والمنحدرات العالية تربة هيكلية معدنية خشنة تفتقر إلى الدبال ذات سمك بسيط، ذلك أن شدة الانحدار وقساوة المناخ لا تسمح بنضجها أو تراكمها، أما على السفوح المغطاة فتستقر تربة أفضل لكنها ناقصة التطور والنضج، تحتفظ بالركيزة الصخرية، فهي تربة شيستية رمادية في الجبال العالية وطينية حمراء على منحدرات الجبال المتوسطة، تعمل جذور النباتات على تثبيتها وإغنائها. ويغلب على المنخفضات وأسرة المجاري تربة طينية أكثر سمكاً تغنيها محلياً الإرسابات تشكل مصطبات ومدرجات تعرف تفاوتا في مساحتها وجودتها، فهي بعالية الوادي فقيرة تتطلب تسميداً عضوياً كثيفاً قبل كل عملية زراعية، أما بوسط الحوض فتنتشر مصطبات أكثر اتساعاً ذات تربة متوسطة الجودة تتخللها أتربة رملية ناتجة عن عمليات الغمر المائي المؤقت، وهناك مدرجات قليلة تتوفر على تربة طينية جيدة تسمح بزراعات شجرية مهمة.

الجريان المائي : يكون واد غدات شريان الحياة في هذا الحوض، يتميز بدوام جريانه لكنه يجف صيفاً بعد مخرجه إلى السهل اللهم عندما تنبثق عين بضفافه تأسرها السواقي حالاً. يتلقى روافد على طول مجراه الجبلي أهمها : بالضفة اليمنى واد أسيرس إيغي وإيفردان وأسوال وبالضفة اليسرى: تازليدا وإيموزار وتيسخت. لكن طبيعة صخوره تجعل نسبة خزن المياه ضعيفة مما يقلل صبيبه صيفاً، لهذا فإن تساقطاته تصرف مباشرة بعد سقوطها عل شكل سيول جارفة خطيرة في بعض الأحيان تؤدي إلى اقتلاع الأشجار ونقل المفتتات بل الصخور الضخمة مما ينشط التعرية المائية ويزيدها حدة شدة الانحدار وضيق قعر الوادي وكثرة المعرجات. وباستثناء

السواقي التقليدية فإنه لم ينشأ عليه أي منشأة لخزن مائه والتخفيف من حدة فيضانه. ولازال واد غدات يعرف فيضانات ربيعية قوية عندما تتآزر لتغذيته أمطار رعدية ربيعية مع ذوبان متسارع للثلوج بسبب ارتفاع مفاجئ للحرارة. كما يعرف أحياناً صيفاً طويلاً حاراً خاصة بمجراه الأعلى تنعدم فيه الأمطار طيلة 6 ـ 7 أشهر (مايو ـ نونبر). يتميز فيضانه بحمولة طينية كبيرة لأن 53٪ من مساحة حوضه صخور هشة : بيرموترياس، مما يرفع حمولة مياهه إلى 4.5 كلغ / م3 فتبلغ حمولته السنوية الصلبة 500.000 م3.

يتميز واد غدات بصبيب غير منتظم فهو واد موسمي مرتبط أساساً بالتساقطات وكثيراً ما تجف منه مقاطع بمجراه الجبلي صيفاً لقلة العيون المغذية وارتفاع نسبة التبخر. يبلغ معدل صبيبه 2.42 م3 / ث في الفترة 1977 ـ 1992، لكنه سجل 0.41 سنة 82 ـ 83. وسجل به كأكبر صبيب عند فيضانه بتاريخ 13 ـ 8 ـ 182 : 685 م3 / ث. يبلغ معدل جريانه السنوي 120 مليون م3 خلال الخمسينيات والستينيات، لكنه تناقص خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين إلى 91 مليون م3، مع تذبذب كبير من سنة لأخرى. ولم يستفد واد غدات من أي تجهيزات أو مشاريع مائية سواء في عهد الحماية أو بعد الاستقلال.

المياه الجوفية : تتميز الأحواض وقعور الأودية بوجود جريان باطني وفرشات مائية منعزلة غير عميقة على مستويات متباينة، تزود القرويين بآبار مياه الشرب، لكنها لا توفر إمكانية خلق مشاريع سقوية مهمة، كما تتميز العيون بسفوح الجبال وقعور الأودية بتغيرات فصلية كبيرة تصل إلى درجة الجفاف صيفاً، وقد جف بعضها منذ سنوات لتوالي السنوات الجافة.

الغطاء الغابوي : يعتبر حوض غدات من أهم المجالات الغابوية بالأطلس الكبير الغربي، تعرف أشجاره ونباتاته تنوعاً كبيراً تبعاً للارتفاعات واختلاف نوعية الصخور ومقادير الأمطار والتوجهات ودرجة انحدار السفوح، ومما ساعد على انتعاشها قلة سكانه قديماً، كما تتباين في تراجعها أو بقائها، فإذا كانت المناطق الغربية بالجبال الوسطى لا زالت تحتفظ بإحدى أجمل وأكبر الغابات : غابة اگلاوة الشمالية الغنية بالبلوط الأخضر وأنواع من العرعار وأشجار ثانوية ومحلية كانت مساحتها 36165 هـ، فإن الغابة بالمناطق الشرقية بالحوض والجنوبية والعالية تراجعت كثيراً بسبب الاستغلال الجائر ولم تعد تغطي الغابة سوى 40٪ من مساحة "زرقطن" بعالية الحوض التي تحتضن أكبر المجالات الغابوية.

السكان : يعتبر غدات مجال قبيلة هسكورة التاريخية وبعد تفتتها واندثارها في القرن السابع الهجري بزيادة سكانها واتجاههم إلى الاستقرار وممارسة الزراعة، حلت محلهم مجموعة قبائل استطينابة صغيرة معظمها من نسلهم، أهمها بسافلة الحوض "تگانة" بالضفة اليسرى و"غجدامة" بالضفة اليمنى وبعالية الحوض "مسفيوة" بالضفة اليسرى و"گلاوة" بالضفة اليمنى. وكان معظم الحوض منذ القرن (17 هـ) يخضع لقائد زمران المقيم بسيدي رحال. لكن القرنين الأخيرين (13 و14 هـ) تميزا بتوسع نفوذ قبيلة گلاوة المنطلقة أصلاً من حوض تلوات بالسفوح الجنوبية الشرقية للأطلس الكبير الأوسط نحو المنحدرات الشمالية للأطلس الكبير وذلك عبر واد غدات وقد استوطنوا عاليته منذ قرون. وفي سنة 1856 أسندت سلطات المخزن قيادة آيت أوزاغار بوسط الحوض إلى قائد تلوات أحمد أمزوار الگلاوي فأقام سوقاً أسبوعية قرب مركز زرقطن. وبعد عقود قليلة تسرب نفوذ گلاوي إلى سافلة الحوض بل إلى سهل الحوز الشرقي : زمران وذلك على حساب نفوذ مسفيوة وغجدامة وتگانة. وامتلك رؤساؤهم مساحات شاسعة بأراضي حوض غدات والدير والحوز الشرقي. وبنشر الأمن الاستعماري تدعم نفوذ قواد وشيوخ گلاوي بحوضي واد غدات وواد الزات وبقسم كبير من الحوز الشرقي والأوسط. وكان حوض غدات خاضعاً لقيادة گلاوة بتلوات يمثلها عدد من الخلفاء بعدة مراكز مثل سيدي رحال وتازارت. وبعد الاستقلال أعيد تنظيم الإدارة بالحوض عدة مرات.

اقتصاد فلاحي تقليدي متدهور :

يتميز اقتصاد الحوض بسيادة النشاط الفلاحي الذي يتمثل في زراعة الحبوب والأشجار المثمرة وتربية المواشي إضافة إلى أنشطة غير مهيكلة أو غير مشروعة كالتجارة والاستغلال الغابوي والعمل المنجمي وبوادر أنشطة سياحية. لكن هذا الاقتصاد لا يحقق اكتفاءاً ذاتياً بسبب شح مصادر المياه والتدهور البيئي والتزايد السكاني، فضلاً عن ظروف استغلال معقدة بسبب تخلف التقنيات وأساليب العمل والعجز المالي للأغلبية عن شراء أدوات حديثة وبذور منتقاة، يضاف إلى كل التفتت المتوالي للأرض وحقوق السقي بتوالي عمليات الإرث والتقسيم عبر الأجيال، وهجرة مستمرة للطاقة الشابة الطامحة إلى تغيير واقعها المتحجر خاصة الشباب المتعلم، وأخيراً تأخر تطبيق برامج تستهدف التحديث الزراعي. وينتشر الآن بجماعة غدات عدد من التعاونيات والجمعيات غير الحكومية يتلقى بعضها مساعدات إنسانية خارجية تهدف إلى تحديث البنية وإدخال مهن جديدة لرفع المستوى المعاشي.

الملكية : تتلخص في نموذجين :

ـ الملكية الجماعية الموروثة عن التنظيم القبلي تهتم أساساً بالأرض الرعوية وحقوق الرعي حتى بالمجالات الغابوية وإن كانت غير معترف بها رسميا، فكل ما ليس ملكية خاصة هو ملكية للدولة.

ـ الملكية الفردية : تخص الأراضي الزراعية، تتميز بالتفتت والصغر وتوزيعها بعدم تكافؤ.

تربية المواشي : تتكامل مع الزراعة، فهي توفر المادة العضوية المخصبة للأرض إضافة إلى مساهمتها في تغذية الأسر. وتتنوع تربية الماشية بالحوض، حيث يأتي في

مقدمتها الأغنام ثم الماعز والأبقار والدواجن والدواب، وقد تأثرت بظروف الجفاف وتراجع ظاهرة التعزيب وارتفاع تكاليف العلف، وتتم تربيتها في إطار عائلي فكل أسرة تعتني بقطيعها الذي يتكون غالباً من بقرة أو بقرتين وبعض رؤوس الأغنام والماعز. تقدر نسبة الأغنام بـ 50٪ من مجموع الرؤوس والماعز 40٪ والأبقار 10٪. ويلاحظ أن الكثير من العائلات صارت تعوض تراجع رعي المواشي الصغيرة بتربية بقرة حلوب رومية أو مهجنة. ويقدر قطيع الأغنام بالحوض الجبلي بحوالي 40.000 رأس والماعز 38.000 والأبقار 8500 رأس. أما الدواب خاصة البغال فلا زالت تعتبر وسيلة نقل أساسية ولا زال عددها يكتسي أهمية : 4650 بغلاً إلا أنه عرف مع ذلك تراجعاً لضعف إمكانيات تربيتها ثم لاستخدام سيارات الأجرة في النقل خاصة بالنسبة لكل القرى المتصلة بطريق مرصف.

الاستغلال المعدني : تمثل الثروة المعدنية عنصراً جديداً في اقتصاد الحوض الذي يتميز بتوفر منتوجين أساسيين هما : الملح والباريتين، ذلك أن صخور البيرموترياس تحتوي على طبقات ملحية كثيرة اهتم السكان باستغلالها وذلك إما عن طريق ملاحات تقليدية تقوم على تجفيف المياه المالحة أو مناجم تنتج ملحاً صخرياً، ويوجه كل إنتاجها للأسواق المحلية. كما يتخلل الصخور الصهيرية اندفاعات لعروق الباريتين، أنشئت عليها استغلالات منجمية لكنها لا تعمل إلا موسميا خاصة في الصيف إذا ارتفع ثمن البارتين في السوق العالمي لأنها توجه للتصدير.

استطلاعات ميدانية ؛ كتب جغرافية المغرب ؛ مونوغرافيات ودراسات قطاعية من الجماعات المحلية بحوض واد غدات ؛ بحوث طلبة السنة الرابعة بكلية الآداب بمراكش ؛ *خرائط طوبوغرافية*.

Etude monographique de la probvince d'Alhaouz, PNUD octobre1997, Direction de la programmation, Rabat.

أحمد هوزلي

غداوي، عباس. ولد سنة 1938 بمدينة وادي زم بإقليم خريبگة. كان من الشباب المغربي الذي وقف سدا منيعا ضد الهجمة المسعورة التي قامت بها الإقامة العامة على إثر الانتفاضات الشعبية، فبالرغم من تفوق الآلة العسكرية الاستعمارية حاول هؤلاء الشرفاء بجهادهم واستبسالهم خلق توازن القوى التواقة إلى التحرر والسلطات الفرنسية آنذاك.

ومدينة وادي زم التي ينتمي إليها الشهيد غداوي عباس احتضنت داخل دروبها ثورة كبيرة ضد الحجر والعدوان وذلك يوم 20 غشت 1955 فكان غداوي عباس من بين الوطنيين الذي برزوا كمؤطرين ومنظمين في ذلك اليوم العظيم. ولما تدخلت القوات الفرنسية بالقوة للحيولة دون انفجار الوضع من جديد وبشدة، قتل عدد كبير من الضحايا الذين فضلوا الاستشهاد في سبيل الله وخدمة العرش العلوي المجيد على أن يظلوا تحت السيطرة الأجنبية. وقد استشهد غداوي بتاريخ 20 غشت 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، شهداء الاستقلال، بطاقة مقاوم رقم 524147.

الـغُدّان، نوع من التين مازال معروفاً بهذا الاسم في شمال المغرب وتحديداً في بلاد جبالة، ولهم عنه حكايات ونوادر، وهو من أجود أنواع التين، لبياض بشرته ورقة قشرته وحلاوة لبه ودقة عجمه وقابليته للتحول إلى زبيب (شريحة) منتظم في خيوط على أن استهلاكه طرياً أفضل.

لم يرد له ذكر في المصادر التي اهتمت بالمنطقة الشمالية خاصة في العصر الوسيط مثل المقصد الشريف واختصار الأخبار فقد قرب لنا هذا الأخير مدينة سبتة ومحيطها وما تحتويه من مرافق وبنايات ومتاجر ومصانع وما يحيط بها من مزارع وبساتين وقدم لنا جرداً بمنتجات مدينتي سبتة وبنيونش الفلاحية ؛ وعند ذكره للفواكه (ص. 92) صنفها إلى صيفية وخريفية وشتوية لكنه لم يذكر الغدان ولا أي اسم آخر للتين بل أشار إلى أن الموجود منه في سبتة وبنيونش 28 نوعاً وهذا رقم كبير لكنه غير مستعبد بالنسبة لمنطقة سبتة في عهده (ق 9 : 15)، ولاشك أن الغدان من ضمنها.

الإشارة الوحيدة إلى الغدان وردت عند ابن غازي فقد استعرض ما تنتجه مكناسة الزيتون وأحوازها من فواكه وغلال وأطنب في وصفها وأبراز خصائصها ومميزاتها وأصولها، وبخصوص التين قدم لنا لائحة بالأنواع التي كانت موجودة في عهده لكنه لم يحصرها : "... وفيها من التين أنواع منها الشعري كشعري إشبيلية ومنها نوع يقال له السبتي وهو أبيض للطول رقيق البشرة وهما نوعان طيبان إذا أكلا أخضرين ومنها نوع جليل أبيض للخضرة مستدير يقال له الانبضار يشرح فتأتي شريحته في غاية الطيب وغير ذلك من أنواع التين كالأشكوز والشبلي والحمراء والغدان والحافر والنقال وغيرها ...". وما يلاحظ من قراءة نص *الروض الهتون* أن كثيراً من الفواكه مستوردة أصولها من الأندلس وبقيت تحمل اسم المكان القادمة منه، كالاشكور، والشبلي وغيرها ولاشك أن الغدان من ضمنها، وفي المصادر التاريخية إشارات كثيرة إلى استيراد التين من الأندلس إلى المغرب فقد كانت تجارة مربحة لشدة الإقبال على استهلاكه طرياً، و"شريحة". لكن ذلك لا يعنى أن المغرب لم يكن ينتج تيناً، بل أن المسألة تتعلق بالتفاوت ما بين العرض والطلب، فالاستهلاك خاصة لبعض الأنواع يفوق الانتاج كما أن الجودة والنوع تلعب دوراً في التسويق، يضاف إلى ذلك فترات الجفاف. والملاحظ كذلك أن استيراد التين كان يتم بحراً وحتى لو استوردت دكالة مثلاً التين براً من شمال المغرب فإن ثمنه سيكون مرتفعاً لتكاليف السفر وجودته أقل بسبب ظروف النقل البري وطوله، بينما نقله بحراً يجعله يحافظ على طراوته وجودته لأن ظروف النقل أسرع وأحسن، من هنا كانت تجارته مربحة.

وبرجوعنا للمصادر في مختلف العصور تبين لنا من

خلال الإشارات أن التين (الفلاحي) كان في جميع مناطق المغرب جباله وهضابه وسهوله وحتى واحاته وأن انتشاره انطلق من الشمال من بلاد جبالة - وخاصة الأنواع الجيدة والجديدة المستوردة من الأندلس - ليعم باقي الجهات.

الإدريسي، *نزهة المشتاق*، الطبعة الإيطالية، نابولي، بدون تاريخ، ج 3، *سوس وقاعدتها تارودانت*، ص. 227، *جبل درن*، 230، *مكناسة*، 245 ؛ مجهول، *الاستبصار*، الإسكندرية، 1958، *تازة*، 186، *مطماطة امسكور*، 193 ؛ التادلي، *التشوف*، الرباط، 1956 و 1984، شفشاون، شفشاون، 62، أزمور، 169، *ايروجان*، 200، *مغيلة*، 296 ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار*، تطوان، ع 3، 1958 - 1956، *سبتة وبنيونش*، 92 ؛ ابن غازي، *الروض الهتون*، الرباط، 1964، *مكناسة الزيتون*، 6.

محمد حجاج الطويل

غدة ولد الرايس من رياس أواخر عهد سيدي محمد بن عبد الله، ويبدو أنه لم يكن في سنة 1198 / 1784 إلا من بين الثانويين منهم، إذ لم يذكر من بين الرياس العاملين بسلا والذين حصلوا على إنعام السلطان، رغم أن المعطيات تشير إلى انتسابه إلى طائفتهم، حيث كان البحارة المذكورون ضمن طاقمه غالبيتهم من الأسر السلاوية.

العسري، *كناش*، ص. 49.

حسن أميلي

الغراب يجمع على غربان وأغرب وأغربة وهي طيور سوداء من رتبة الجواثم Passeriformes ومن فصيلة الغرابيات Corvidae منها خمسة أنواع تعيش في المغرب : الغراب الأسود الكبير Corvus corax والغراب الأسمر Corvus ruficollis وغراب الزرع Corvus monedula والغراب أحمر المنقار Pyrrhocorax pyrrhocorax والغراب أصفر المنقار Pyrrhocorax graculus.

الغراب الأسود الكبير Corvus corax يسمى في الشرق العربي غراب أسحم وغراب حاتم وفي شمال إفريقيا الغراب وبالفرنسية Grand corbeau وبالإنجليزية Raven وبالإسبانية Cuervo وبالإيطالية Corvo imperiale ؛ وهو طائر بري شديد السواد يعيش على النصف الشمالي من الكرة الأرضية وشائع في شمال إفريقيا وأوروبا وأمريكا الشمالية. يعد من أكبر أنواع رتبة العصفوريات في شمال إفريقيا وأوروبا. المنقار محدب طويل وقوي، اللسان غضروفي، يبلغ طول الجسم 50 - 63 سم وبسطة الجناحين 117 - 130 سم ويزن 1000 - 1300 غرام.

طائر مستقر ويتنقل قليلا في نفس المنطقة دون أن يبتعد عن مكان ولادته. يألف الجبال والغابات والصخور الساحلية ونادر جدا في السهول. يعيش مزدوجا ولا يفترق الزوجان طيلة الحياة. يتوالد في فبراير - مارس، يبني عشه غالبا بين شقوق صخور الجراف ونادرا على الأشجار، وهو عش ضخم يبلغ علوه مترا وقطره مترا ويتكون من فرشة من الأغصان الكبيرة متبوعة بفرشة من الأغصان الدقيقة ومن الأعشاب اليابسة وقطع من الصوف أو القطن يأتي بها الزوج وترتبها الزوجة. تضع الإناث 3 - 6 بيضات خضراء تميل إلى الأزرق ومنقطة بالبني الداكن وتزن 23 - 33 غراما، تحضن طيلة 20 - 23 يوما ويقوم الزوج بتقديم الأكل لزوجته خلال هذه الفترة. تنمو الفراخ ببطء مدة 5 - 6 أسابيع ثم تغادر العش. يعمر الغراب حوالي 70 سنة.

الغراب الأسود قارت يتغذى من الحبوب والثمار والطيور الصغيرة والحيوانات اللبونة الصغيرة وجثث الغنم والمعز، يبحث عنها في مسافات قد تتعدى 10 كلم ويأكل أيضا الحشرات والديدان ويصيد أحيانا صغار الأرانب والفئران. يألف أماكن تجمع الأزبال المنزلية بجوار المدن والقرى ليبحث عن الأكل.

يبلغ طوله 62 سم ويزن 1000 - 1300 غرام ؛ تبلغ بسطة جناحيه مترا، منقاره طويل ومقوس قليلا وقوي، القائمتان قويتان. ريش عنقه طويل ومستدق الرأس، الريش والمنقار والقوائم سوداء لها انعكاسات معدنية بنفسجية زرقاء عند الجنسين، الذيل دائري. يضرب به المثل في الشؤم ولا يأكله الإنسان.

الغراب الأسمر Corvus ruficollis أحمر العنق يسمى في مصر الغراب النوحي نسبة إلى النبي نوح ويسمى بالإنجليزية Brown-necked raven وبالفرنسية Corbeau brun، موطنه النصف الجنوبي من الكرة الأرضية، يألف سهوب وفيافي المناطق الصحراوية والجافة وشبه الجافة المغاربية والإفريقية والجزيرة العربية والعراق وسوريا وإيران والهند. طائر مستقر، ريشه أسمر محمر على مؤخرة الرأس والرقبة يصعب تمييزه من بين الريش الأسود الطاغي على الجسم. يبلغ طوله الأقصى 50 سم، منقاره طويل، أسود اللون ومقوس قليلا إلى الأسفل وأقل قوة من منقار الغراب الأسود الكبير. الجناحان مستدقا الرأس، الأرجل قصيرة وبنية.

يتوالد في فبراير - مارس ويصنع عشا ضخما بين كسور صخور الجرف وأحيانا على الأشجار يفرشه بقطع الأعشاب والريش والصوف. تضع الإناث 3 - 6 بيضات زرقاء شاحبة مزركشة بخطوط معوجة سمراء، يبلغ طول قطريها 32 X 47 ملم وتحضنها 20 - 21 يوما ؛ تغادر الصغار العش بعد حوالي خمسة أسابيع. يتغذى من مختلف الثمار ومن الحشرات والقواقع والزواحف الصغيرة وجثث الغنم والمعز وغيرها.

الغراب أحمر المنقار Pyrrhocorax pyrrhocorax يسمى أيضا الغراب الأعصم وزميت وغراب الزرع وبالإنجليزية Chough وبالفرنسية Crave à bec rouge، وبالإسبانية Chova piquirroja، يتميز عن سائر أنواع غرابيات المغرب العربي بمنقار وقوائم حمراء. موطنه المناطق الجبلية بالريف والأطلس ويقتصر توزيعه الجغرافي على شمال المغرب والجزائر وأوروبا الجنوبية في كل من إسبانيا والبرتغال وجبال الألب ومناطق نورماندي الغربية والجزر البريطانية وإيطاليا

واليونان وتركيا والشرق الأوسط وإيران. لا يتعدى طوله 39.5 سم ويألف صخور الجرف والغابات الجبلية. منقاره طويل ومقوس ؛ ريشه أسود لامع يميل إلى الأزرق.

طائر مستقر في المغرب ويتنقل قليلا، يعيش في أسراب ويتوالد خلال أبريل ـ يونيو ويضع عشه بين كسور صخور الجرف الشديد الانحدار ويفرشه بقطع الأعشاب والقطن والريش والصوف. تضع الإناث 3 ـ 6 بيضات بيضاء إلى خضراء مصفرة منقطة بالأسود وتحضنها 17 ـ 18 يوما. تغادر الصغار العش بعد خمسة أسابيع.

الغراب أصفر المنقار Pyrrhocorax graculus يسمى بالإنجليزية Alpine Chough وبالفرنسية Chocard des Alpes - Chocard à bec jaune وبالإسبانية Chova piquiamarilla، يتميز عن سائر أنواع غرابيات المغرب الغربي بمنقار أصفر قصير وبقوائم حمراء داكنة، ذيله قصير وريشه أسود قليل اللمعان، لا يتعدى طول الجسم 38 سم. ويألف كسور صخور الجرف والغابات الجبلية. يعيش في مجموعات قليلة الأفراد ويخفي عشه بين الكسور الصخرية. تبيض الإناث 3 ـ 6 بيضات ملساء لامعة تميل إلى الأبيض المخضر الباهت ومنقطة بالأسمر الداكن، يبلغ طول قطريها 25,5 X 39 ملم. تدوم مدة الحضانة 19 ـ 21 يوما وتهجر الصغار الأوكار بعد ثلاثة أسابيع.

طائر مستقر منه عدة مجموعات تعيش في المناطق الجبلية بالأطلس المتوسط ونادر في الأطلس الكبير. يقتصر توزيعه الجغرافي على جبال البرانس والألب وجبال اليونان وتركيا وإيران.

غراب الزرع Corvus monedula يسمى بالإنجليزية Jackdaw وبالفرنسية Choucas des tours وبالإسبانية Grajilla وهو الغراب الأسود الوحيد الذي يملك ريشا رماديا على مؤخرة عنقه. لا يتعدى طوله 33 سم ويألف كسور صخور الجرف والمزارع والغابات غير الكثيفة ويقترب أحيانا من المدن والقرى. يعيش في أسراب متعددة الأفراد ويحدث ضجيجا بأصوات جماعية متتالية. يعد من الطيور المهاجرة ويوجد بكثرة في مناطق الريف وشمال الأطلس المتوسط وخاصة على الجرف الساحلي بالبحر المتوسط ـ الرأس الأسود والحسيمة ومليلية ـ. يتوالد من مارس إلى يونيو. يوضع العش على الأشجار وبين كسور الصخور، تحضن الإناث 4 ـ 6 بيضات حوالي 18 يوما. تغادر الصغار العش بعد 4 ـ 5 أسابيع.

شائع في أوروبا وآسيا وشمال المغرب والجزائر وتونس ومنه عدة مجموعات تشتو جنوب المغرب الشرقي.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, 1979, 320 p. ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*. Elsevier, 1977, 430 p.

محمد رمضاني

الغراب سفينة من الأنواع المتوسطية المجذافية شائعة الاستعمال منذ العهد القرطاجي، ويبدو أن التسمية مأخوذة من الأصل اللاتيني (Corvus) الذي انحدرت منه سفينة الحراقة أو القربيطة (Corvette). والغراب سفينة حربية طولية تسير بالمجاذيف (180 مجذافا في الأقصى) وبالأشرعة (صاريان إلى ثلاثة)، وتحمل في المتوسط مائتي رجل، متسمة بدقتها وبطلائها باللون الأسود وبجؤجؤها البارز على هيئة رأس غراب، ولذلك أصبح اسمها يحيل على الغراب من الطير، وفي ذلك يقول ابن الساعاتي (ت. 604) :

وركبت بحر الروم وهو كحلبة والموج نحسبه جوادا يركض
كم من غراب للقطيعة أسود فيه، يطير به بجناح أبيض

ويقول يحيى ابن أبي حجلة التلمساني :

غربانها سود وبيض قلوعها يصفر منها العدو الأزرق

وقد شاع استعمال الغراب في المغرب منذ العهد المرابطي، وظل يمثل جزءا رئيسيا في الأنواع المكونة للأسطول المغربي في العهد الموحدي ويشكل ثلث الأنواع المستعملة على الأقل، وكانت دار الصناعة بمدينة سبتة مركزاً رئيسياً لإنشاء العدد الأوفر من وحداته. واستمر العمل به حتى العهد المريني.

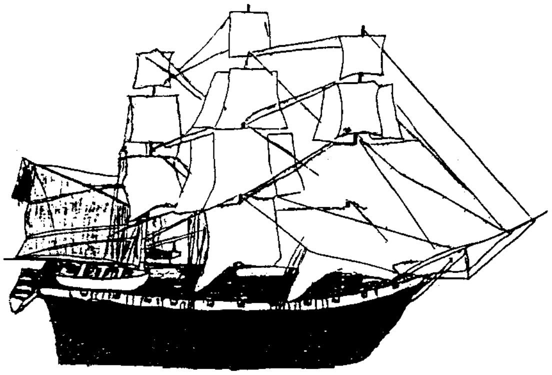

وقد ورد ذكر الغراب في أشعار العهد الموحدي، وجاء في مدح الشاعر أبي عمر ابن حربون للأمير أبي حفص عمر بن عبد المؤمن الموحدي أثناء عبوره إلى جبل طارق سنة 560 :

بحر كأن أبا حفص بصهوته لقمان والمركب الجاري به لبد
تعجبوا من غراب فوق غاربه نهلان ذو الهضبات الشم أو أحد

وأيضاً مدح الشاعر أحمد بن يحيى بن أبي حجلة التلمساني للسلطان أبي عنان المريني :

فلله ما أنشأته من مراكب ترادفها في البحر منه تكاوس
قطائعها مثل النجوم قلوعها وغربانها قطع من الليل دامس
كأن مجاذيف الغراب قوادم يطير بها والنسر في الأفق كانس

ع. الواحد المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، ص. 214 ـ 15 ؛ ابن خلدون، *العبر*، ج 4، ص. 165 ؛ الحميري، *الروض المعطار*، ص. 188 ـ 89 ؛ عبد العزيز سالم ومختار العبادي، *تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس*، ص. 243 ـ 281 ـ 288 ـ 89 ـ 297 ؛ النخيلي، *السفن الإسلامية*، ص. 104 ـ 12.

حسن أميلي

الطلح الصحراوي

الطلح الصحراوي

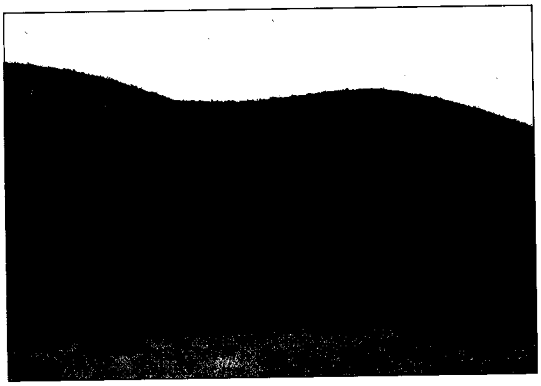

العرعر البري

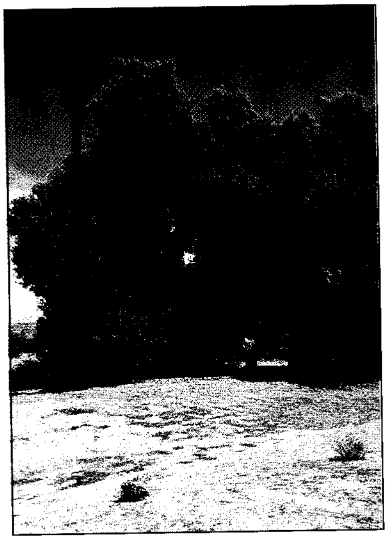

الطرفاء

العليق

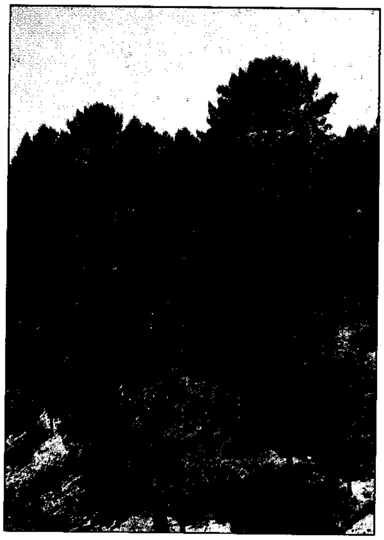

غابة
الصنوبر المغربي

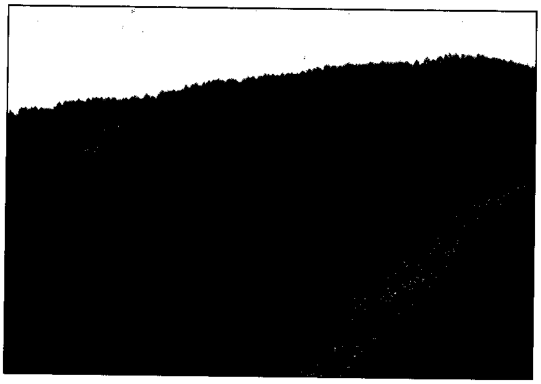

غابة الصنوبر المغربي

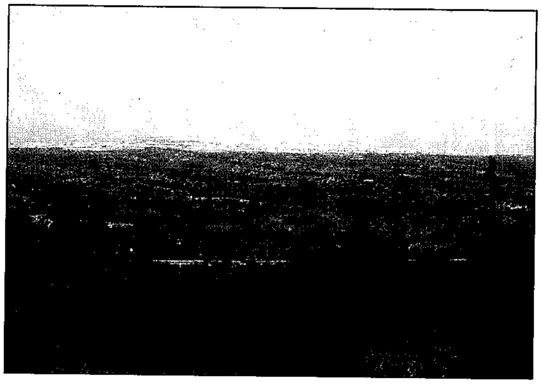

غابة العرعر الأحمر

غابة العرعر الفواح

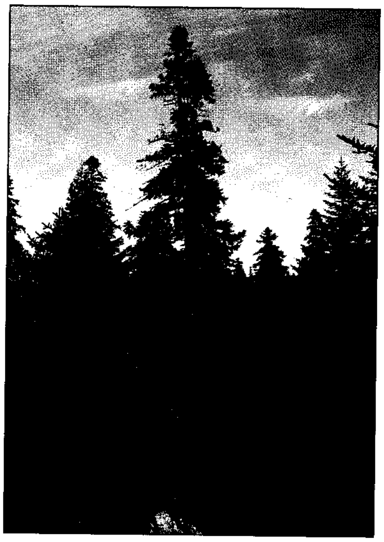

غابة الشوح

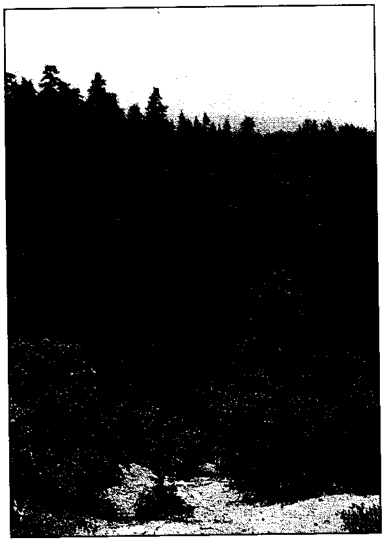
غابة
الأرز

غابة الأوكالبتوس

غابة البلوط الفليني
(تازا)

غابة البلوط الفليني
(المعمورة)

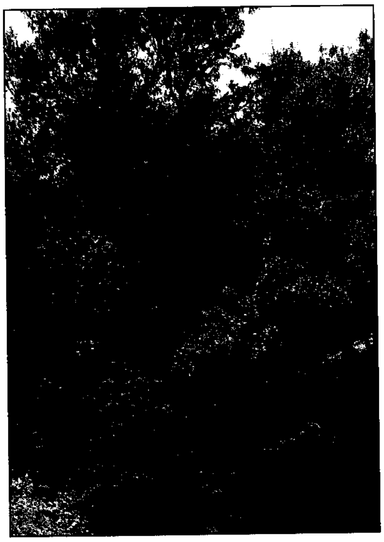
غابة البلوط الأخضر

تم طبع الجزء 18 من معلمة المغرب

بمطابع سلا وبمطبعة النجاح الجديدة

في شعبان عام 1424 / أكتوبر 2003

مطابع سلا

قسمة 14، زنقة عثمان بن عفان

الحي الصناعي لتابريكت

ص.ب. 596 سلا

Directeur de publication : Feu Mohamed **Hajji**

Comité de rédaction : Ahmed **Toufiq**
Mohamed **Hajji**

Comités scientifiques :

Pour les sciences humaines

Mohamed **BENCHERIFA**, Faculté des Lettres, Rabat.
Brahim **BOUTALEB**, Faculté des Lettres, Rabat.
Salem **YAFOUT**, Faculté des Lettres, Rabat.
Mustapha **NAIMI**, Institut Universitaire pour la Recherche Scientifique, Rabat.

Pour la géographie et les sciences de la nature

Abdellah **LAOUINA**, Faculté des Lettres, Rabat.
Dris **EL-FASSI**, Institut Agronomique et Vétérinaire Hassan II, Rabat.
Mustapha **AYAD**, Faculté des Lettres, Rabat.
Abdelmalek **BÈNABID**, Ecole Nationale Fôrestière, Salé.
Mohamed **RAMDANI**, Institut Scientifique, Rabat.

Tous droits réservés, y compris le droit de traduction ou de reproduction même partielles sous quelque forme que ce soit.

IMPRIMERIE DE SALÉ

Lot 14, Rue Othman Ibnou Affane
Zone Industrielle de Tabriquet
B.P. 596 SALÉ

Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

18

Publiée par

L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication

Editée par

L'Imprimerie de Salé

"SALA"

2003 - 1424

Copyright © IMPRIMERIE DE SALÉ "SALA" 2003
ISBN 9981 - 03 - 000 - 7 (Ensemble)
ISBN 9981 - 03 - 025 - 2 (Tome 18)

Encyclopedie

du

Maroc